

مفتاح السعيا
في شرح نهج الغيلا

لمؤلفه
محمد تقى النقوى القاينى



www.haydarya.com

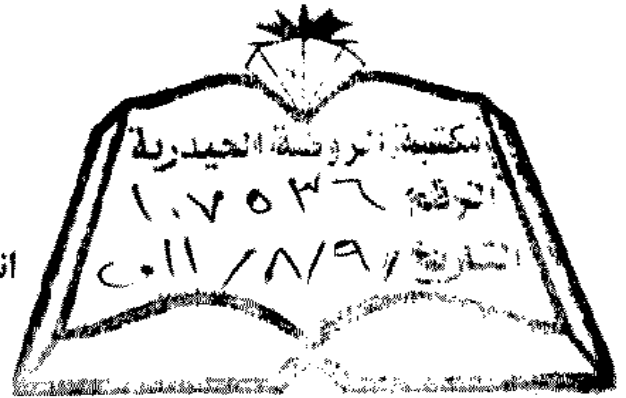
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

المجلد الرابع

لمؤلفه سيد محمد تقى النّقى

قائمه
انتشارات قائن



نقوی قاننی، محمد تقی، ۱۳۰۸ -

مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه | علی بن ابی طالب علیه السلام | تألیف محمد تقی نقوی
القائنی - تهران: قائن، ۱۳۸۳.

ج

(دوره): ISBN - SET : 964 - 94687 - 5 - 7

(ج ۴): ISBN : 964 - 94687 - 9 - x

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما:

عربی:

کتابنامه.

۱. علی بن ابی طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه - نقد
و تفسیر. ۲. علی بن ابی طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - کلمات قصار.
۳. علی بن ابی طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - خطبه‌ها. الف. علی بن
ابی طالب علیه السلام، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه. شرح. ب. عنوان. ج. عنوان:
نهج البلاغه. شرح.

۲۹۷/۹۵۱۵

BP۳۸/۰۲/۵۷

۱۳۸۳

۳۴۵۷۱-۸۳م

کتابخانه ملی ایران

مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه - مجلد الرابع

المؤلف: محمد تقی نقوی قاننی

الکمیة: ۵۰۰

الطبعة: الثانی

تاریخ الطبع: ۱۳۸۶ ش. - ۱۴۲۸ ق.

تنسيق الصفحات: نشرقائنی - ۸۸۳۱۵۱۰۸ - ۴۴۴۹۵۹۲۷

لیتوغرافی: نوین

المطبعة: زنبق

انتشارات: قائن

تهران: شارع جنت آباد، هاتف: ۸۸۳۱۵۱۰۸ - ۴۴۴۹۵۹۲۷

جميع الحقوق محفوظة للناشر

با مشارکت و حمایت معاونت امور فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی

شابک: ISBN : 964 - 94687 - 9 - x ۹۶۴ - ۹۴۶۸۷ - ۹ - x

شابک دوره: ISBN-SET : 964 - 94687 - 5 - 7 ۹۶۴ - ۹۴۶۸۷ - ۵ - ۷

﴿وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (٢٤)﴾

□ قوله ﷺ: وَلِعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَن خَالَفَ الْحَقَّ وَخَابَطَ الْغَيَّ مِنْ إِدْهَانٍ وَلَا إِيْهَانٍ، فَاتَّقُوا لِلَّهِ عِبَادَةَ اللَّهِ وَفِرُّوا مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَامْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ فَعَلَيَّْ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ أَجْلًا إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا..

◁ اللّغة

(العَمْرِي) بفتح العين اسمٌ لِمُدَّةِ الْحَيَوةِ ولا يستعمل في القسم إلا بالفتح وهو محذوف الخبر. (خَابَطَ الْغَيَّ) الخَبَطُ هو المَشْيُ على غير استقامة. (الْغَيَّ) الضَّلَالَةُ. (إِدْهَانٍ) الأِدْهَانُ والمُدَاهَنَةُ المصانعة وهي المُدَارَاةُ. (الإِيْهَانُ) الضَّعْفُ. (نَهَجَهُ) النَّهْجُ الأمر الواضح. (عَصَبَهُ) أَي شَدَّهُ. (الْفَلْجُ) الظَّفَرُ. (تُمْنَحُوهُ) مَنَحَ الرَّجُلُ اعطاه والأسمُ المُنْحَةُ وهي العَطِيَّةُ.

◁ المعنى

(وَلِعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَن خَالَفَ الْحَقَّ) والماشي على غير طريق الدّين كائناً من كان (إِدْهَانٍ)، أَي ضَعْفٌ، (وَلَا إِيْهَانٍ) ولا مساهلةً، اذ مقاتلتهم واجبة، (فَاتَّقُوا لِلَّهِ عِبَادَةَ اللَّهِ)، أَمْرُهُمُ بالتَّقْوَى اعنى الحَذْرُ عن المعاصي (وَفِرُّوا مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ) أَي فِرُّوا من معصية الله الى طاعته، (وَامْضُوا)، أَي واسلُكُوا، في الطَّرِيقِ (الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ)، وهو طريق الشَّرْعِ (وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ)، أَي الشَّرْعِ

بكم باتيان الواجبات وترك المحرمات (فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ)، اى ظفركم فى الآخرة (ان لم تُمنحوهُ عاجلاً). اى فى الدنيا.

◀ الشرح

وَلِعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَخَابَطَ الْغَيَّ مِنْ إِدْهَانٍ وَلَا إِيْهَانٍ...

اعلم: ان هذه الخطبة صدرت منه عليه السلام فى ردّ مخالفيه فانهم قالوا ان متابعتهم لمحاربيهم ومصانعتهم كان أولى من محاربتهم فنبه عليه السلام على فساد ما زعموه وبطلان ما تخيلوه وقال عليه السلام وَلِعَمْرِي الْخ.

قال الله تعالى: ﴿لِعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١)

قيل: كلمة العَمْر، بفتح العين وضمها لاتستعمل فى القسم الا بالفتح وهو مبتدء محذوف الخبر وجوباً، والتقدير قَسَمِى او يَمِينِ وهى دائرة بين فُصْحَاء العرب.

قال ابو فراش:

لَعَمْرُو ابى الطير المرنة عذرةً على خالدٍ لقد وقعتُ على لحم
فعلى هذا قوله عليه السلام: وَلِعَمْرِي اى لحياتى و قوله تعالى: لِعَمْرُكَ اى لحياتك
وقيل ما حلف الله بحياة احد الا بحياة النبى صلى الله عليه وسلم هذا وقد انكره النحويون
وقالوا معنى لِعَمْرُكَ فى الآية لِدِينِكَ الذى تعمّر كما قال الشاعر:

اَيُّهَا الْمُنْكَرُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً عَمْرُكَ اللهُ كَيْفَ يَجْتَمَعَانِ

قالوا عمرك الله، عبادتك الله وقيل فيه غير ذلك ولا فائدة فيه والحق ان العَمْر هو مدّة الحَيَاة وعليه يُحمل كلامه عليه السلام فى المقام لاعلى ما ذهب اليه النحويون.

وعلى اى حال المقصود من هذا الكلام هو ان قتاله مع المخالفين للحق والذاهبين الى الضلالة والغواية ليس فيه مساهلة ولاضعف، وبعبارة اخرى:

ليس مداهنتهم بواجبة على من جهه المصلحة الدينية ولا على في محاربتهم
ضعف وفتور وفيه رد لقول من قال مداهنته لمخالفيه كانت اولى من
محاربتهم.

وانما قال عليه السلام: ما قال لان من خالف الحق وخابط الغي يجب على الامام
ردعه ومنعه مع وجود القدرة لوجوب الامر بالمعروف، والنهي عن المنكر
على جميع المسلمين ولا سيما على الامام الحافظ للشريعة والمجربى
لاحكامها فمع وجود المقتضى وفقد المانع لايجوز عليه تركه فان تركه فلا
يخلوا اما ان يكون الترك مستندا الى ضعفه وجبته. واما الى عدم اهتمامه
بالدين وكلا الشقين محال.

اما الاول: لان نسبة الضعف الى الامام بمعنى الجبن لامعنى له فان الامام
لا يخاف الا من الله تعالى.

واما الثانى: فهو اقبح لان عدم الاهتمام بالدين ينافى الامامة فاذا بطل
الشقان فقد ثبت قوله بلا كلام.
□ قوله عليه السلام: فأتقوا لله عباد الله متن.

ثم امر عليه السلام: بالتقوى ببعالقرآن الكريم حيث امرنا الله تعالى فيه بالتقوى،
ايضا فى آيات كثيرة تشير الى بعض منها:

فمنها قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١)

و: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢)

و: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٣)

و: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤)

و: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٥)

و: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٦)

١. البقرة- ١٩٤.

٢. البقرة- ١٩٦.

٣. البقرة- ٢٠٣.

٤. البقرة- ٢٢٣.

٥. البقرة- ٢٣١.

٦. البقرة- ٢٣٣.

- و : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(١)
- و : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(٢)
- و : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٣)
- و : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٤)
- و : ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾^(٥)
- و : ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾^(٦)

هذه شردمة من الآيات الواردة في الأمر بالتقوى وما لم نذكره أكثر مما ذكرناه جدًا.

وأما الاخبار فكثيرة قد ذكرنا شطراً منها في شرح قوله ﷺ: الا وان التقوى مطايا ذلل، وسبق منا هناك ما يناسب التقوى من حيث حقيقتها وبيان ماهيتها فلا نعيده الا ان الحوالة باسرها توجب الملالة فلا بد لنا من الاشارة الى بعض ماورد فيها مما لم نذكره هناك فنقول قالوا التقوى في اللغة الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية وفي العرف هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته.

وقيل: هي بحسب العرف الشرعي تعود الى خشية الحق سبحانه المستلزمة للأعراض عن كلما يوجب الالتفات عنه عن متاع الدنيا وزينتها.

وقال الصادق ﷺ في تفسيرها ان لا يفقدك حيث أمرك ولا يترك حيث نهاك، انتهى. وهذه الوجوه نقلها الخوئي في شرحه:

اقول: اعلم ان التقوى وهي حفظ النفس ووقايتها عن مخالفة امر الله جل جلاله وارتكاب ما نهى عنه. قال الله تعالى في كتابه: ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله، وهي جماع الخير كله ولا خير فيمن ليس بمتقي البتة ولما كان متعلقها ما أمر الله تعالى به ونهى عنه فيكون لها مراتب اعلاها التقوى في توحيد الله ثم التقوى في صفاته، ثم في افعاله، ثم في معرفه النبي،

ثم في الوصى وغير ذلك مما حققناه في شرح قوله ﷺ أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا
ذُلٌّ. ص ٩٦.

قسّم بعض العلماء الورع والتقوى عن الحرام على اربع درجات:
الأولى: ورع العُدول وهو الأجتنب عن كل ما يلزم الفسق باقتحامه وتسقط
به العدالة ويثبت به العصيان والتعرض للنار وهو الورع عن كل ما يحرمه فتوى
المجتهدين.

الثانية: ورع الصالحين وهو الأجتنب عن الشبهات ايضاً فضلاً عن
المحرّمات.

الثالثة: الورع عما يخاف إدائه الى محرّم او شبهة ايضاً وان لم يكن فى
نفسه جراماً ولا شبهة فهو ترك ما لا بأس به مخافة ما بأس به.

الرابعة: ورع الصديقين وهو الأجتنب من كل ما ليس لله ويتناول لغير الله
وغير نيته التقوى على عبادته وان كان حلالاً صرفاً لا يخاف إدائه الى حرام او
شبهة والصديقون الذين هذه درجتهم هم الموحّدون المتجرّدون عن حظوظ
انفسهم المتفردون لله تعالى بالقصد الرأوون كل ما ليس لله تعالى حراماً
العاملون بقوله سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (١)

وقال الصادق ﷺ: التقوى على ثلاثة اوجه:

تقوى من خوف النار والعقاب وهو تقوى العام.

وتقوى من الله وهو ترك الشبهات فضلاً عن الحرام وهو تقوى الخاص

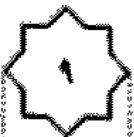
وتقوى فى الله وهو ترك الحلال فضلاً عن الشبهة والى هذه المراتب الثلاثة

اشير فى الكتاب الالهى بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ

فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢)

□ قوله ﷺ: وَفِرُّوا مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ...



وهذه الجملة من العويصات التي لم يصل الي كُنْهها إلا من عَصَمه الله من الرُّكُل واذاقه الله من حلاوة العلم الذي هو نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء ونحن نقل ما ذكروه في سُروحهم في المقام ثم نُردفه بذكر ما خَلَج ببالي الفاتر.

قال الشَّارح الخوئي (قدّه) في شرحه فِرّوا من الله، اي من غضب الله إلى الله، اي إلى رحمة الله، والمعنى فِرّوا من غضبه إلى رحمته.

وقال ابن ابى الحديد: وقوله، فَفِرّوا إلى الله من الله، اي أهربوا إلى رحمة الله من عذابه واستشهد فيه بقول الفرزدق حيث قال:

اليك فَرَرْتُ مِنْكَ وَمِنْ زِيَادٍ وَلَمْ أَحْسَبْ دَمِي لَكُمْ حَلَالًا
وقال البحراني (قدّه) الثاني الأمر بالفرار إلى الله وهو امر بالاقبال على الله وتوجيه وجه النَّفس إلى كعبة وجوده.

ثم قال (قدّه) واعلم أنّ الفرار إلى الله على مراتب:

فاوليها: الفرار عن بعض آثاره إلى بعض كالفرار من اثر غضبه إلى رحمته كما قال تعالى حكاية عن المؤمنين في التضرع اليه، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُخَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَابِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا﴾^(١) فكانهم لم يروا إلا الله وافعاله ففرّوا إلى الله من بعضها إلى بعض.

الثانية: ان يُغنى العبد عن مشاهدة الأفعال ويترقى في درجات القرب والمعرفة إلى مصادر الأفعال وهي الصفات فيفرّ من بعضها إلى بعض كما ورد عن زين العابدين عليه السلام: اللهم اجعلني أسوة من قد انهضته بتجاوزك من مصارع المؤمنين (المجرمين) فأصبح طليق عَفْوِكَ من اسر سَخَطِكَ والعَفْو والصفة صفتان فاستعاذ باحديهما من الاخرى

الثالثة: أن يترقى من مقام الصفات إلى مقام الذات فيفرّ منها إليها كقوله تعالى: ﴿لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾^(٢) إلى آخر ما قال (قدّه).

اقول: أمّا ما ذكره الخوئي (قدّه) فهو ليس قولاً برأسه بل هو مأخوذ ظاهراً

عمّا قاله المحقق البحراني (قدّه) بل هو عين ما ذكره البحراني (قدّه) في الوجه الأول من الوجوه الثلاثة وهو قوله كالفرار من اثر غضبه الى رحمته
وامّا قول المعتزلي فأنه لا يعباء به اذ لا معنى لقوله اي اهربوا الى رحمة الله من عذابه، ولا تعلم ولا يعلم هو ايضاً معناه اذ لقائل ان يقول كيف نهرب من عذابه الى رحمته فإن العذاب في الآخرة وليس في الدنيا عذاب، وكلامه عليه السلام ناظر الى الدنيا وذلك لأنه كان بصدد الوعظ لأصحابه.

فعلى قول الشارح المعتزلي معنى العبارة هو أنه عليه السلام أمرهم بالفرار من عذابه الى رحمته ولم يُعَيّن الشارع العذاب الذي كانوا مأمورين بالفرار عنه والرحمة التي سارعوا اليها فلو قال من غضبه الى رحمته لكان اولي وليس هذا منه ببعيد فإنه لم يكن من فرسان ابحاث العقلية ودقائق الفلسفية وأما هو رجل اللغة والأدب والنسب وعدم اقتحامه فيها كان اولي له.

وامّا ما ذكره المحقق البحراني (قدّه) فهو وان كان مطابقاً للتحقيق وموافقاً للتدقيق كيف لا وهو (قدّه) من فرسان هذا الميدان واساتذة الفلسفة والعرفان وما قاله (قدّه) في شرح العبارة صار بمنزلة الأصل لما ذهب اليه من بعده من الشراح او بمثابة البذر لهذه الثمرة فإن من بعده من الشراح في هذه العبارة وامثالها ممّا هو موجود في نهج البلاغة لم يأتوا بشيء مقلّع بل كلّ ما ذكره في امثال هذه العويصات أنّها هو من ثمرات افكاره (قدّه) كما هو غير خفي على المتأمل.

الآن ما ذكره (قدّه) ايضاً لا يفي بالمقام ولا يوضح المرام وليس هذا قدحاً فيه (قدّه) بل لأن الكلام صدر عمّن لم يوجد مثله بعد ابن عمّه رسول الله صلى الله عليه وآله أحد في الأحاطة بفنون الكلام وشعوب العلم والعرفان كيف وكلامه عليه السلام فوق كلام المخلوق وتحت كلام الخالق وعليه فالبلوغ الى كنه كلامه والوصول الى لبّ مرامه لا يمكن الا لمن كان في درجته وحيث لا يكون هذا فالاطلاع على حقيقه مقاله غير ممكن فاستخرج كلّ واحد من العلماء من كلامه شيئاً غير ما

استخرجه الآخر وَمَنْشَأَ ذَلِكَ هو تفاوت الأشخاص بتفاوت الأستعداد
والمعلومات كما هو الشَّانُ في تفسير كلام الله وكلام الرُّسول والائمة فنحن
ايضاً نذكر ما حَطَّرَ ببالنا واستفدنا منه حَسَبَ دركنا واستعدادنا فان كان ما
نذكره حَسَنًا موافقاً لما يقتضيه العقل السليم فَمِنْ بركاته ﷺ وان لَمْ يَكُنْ
فلأجل قُصورنا وِضعف احاطتنا بحقيقة كلامه ونحن نُقربُه ولا نَدعِي ما ليس
في وُسْعنا وعَقْلنا، والحمد لله رب العالمين.

فنقول: اعلم انَّ توضيح كلامه ﷺ: يستدعي ذكر مقدمة، لامحيص عن
ذكرها.

وهي انَّ الموجود على قسمين: واجب وممكن ولائالت له على مسلك
التحقيق.

والسر فيه هو انَّ كل ما يوجد في الخارج لا يخلوا اما ان يكون وجوده في
نفسه ويقال له الوجود المَحْمُولِي وهو مفاد كان التامة المتحقق في الهليات
البيسيطة بمعنى عدم جريان القاعدة الفرعية فيها كقولنا زيد موجود، فانه
لامعنى لجريان القاعدة فيه اذ لازم ذلك هو كون زيد موجود قبل وجوده وهو
محال بعبارة اخرى قاعدة الفرعية تقتضى ثبوت الموضوع قبل ثبوت
المحمول لانَّ ثبوت شئ لشيء فرع ثبوت المثبت له وفيما نحن فيه لا يمكن
لانا اذا فرضنا ثبوت الموضوع اعنى زيد مثلاً قبل وجوده والثبوت ليس الا
الوجود يلزم وجوده قبل وجوده وهو مُستلزم لِتقدّم الشئ على نفسه وهو
محال واليه اشار السبزواري (قده) في منظومة المنطق المسماة بالثلثي حيث
قال:

وفي البسيطة من الهلية لا تجزى قاعدة الفرعية
وانما يقال: لها هل البسيطة لكونها صرف الوجود بخلاف المركبة فانها
مفاد كان الناقصة المتحقق في الهليات المركبة كقولنا زيد كاتب او عالم وامثال
ذلك من الأوصاف المحمولة على الموضوعات المُستدعية لثبوت الموضوع

قبله فإنَّ زِيداً كان موجوداً قبل كتابته وعلمه وصنعتة وهكذا ويعبّر عنه
بالوجود الرابطي على المشهور وبالرابط على اصطلاح المُحَقِّقِ الدَّانِدِ (نَه)
وتبعه فيه كثير من المتأخرين كتلميذه صدر الدّين الشّيرازي صاحب الاسفار
والحكيم السبزواري في المنظومه وغيرهما.

ويقال له الوجود لافي نفسه وهو الوجود الرابطي.

ثم انّ الوجود في نفسه وهو القسم الاول من القسمين المذكورين اما لنفسه
كوجود الجواهر مطلقاً واما لغيره كوجود الأعراض كذلك كما يقال في تعريف
الجواهر هو الموجود لافي موضوع وفي العَرَضِ انه في الموضوع ولذلك
يقال وجود العَرَضِ في نفسه عَيْنٌ وجُودُهُ في موضوعه لِغَيْرِهِ فَلِلْعَرَضِ وجود
في نفسه لكونه مَحْمُولاً وله ماهية تامة ملحوظة بالذات في العقل ولكن ذلك
الوجود في غيره لانه في الخاج نَعَتْ لِلْمَوْضُوعِ ولا قوام له فيه مع قطع النظر
عنه.

ثم الاول منهما اعني الوجود في نفسه لنفسه المُعَبَّرِ عنه بالوجود النَّفْسِي
ينقسم الى قسمين: في نفسه لنفسه بنفسه، في نفسه لنفسه بغيره وذلك لانّ
الوجود النَّفْسِي الَّذِي لِنَفْسِهِ اعني غير قائم بالموضوع تارة يُوجَدُ بنفسه ايضاً
اي من غير علّة وتارة يوجيد بغيره اي بسبب العلة.

فالاول: اعني ما وجد بنفسه هو وجود الواجب تعالى.

والثاني: هو وجود الجواهر الخمسة اعني العقل والنفس والجسم،
والهيولي، والصورة والى ما ذكرنا اشار السبزواري ايضاً في المنظومة قال:

انّ الوجود رابطٌ ورباطي ثمّة نفسى فهاك وأضبط
لانّه في نفسه أو لا وما في نفسه إما لنفسه بما
او غيره والحق نحو آيسه في نفسه لنفسه بنفسه

فوجود الواجب عبارة عن الوجود الذي في نفسه لنفسه بنفسه، في نفسه
لانّه مفاد كان التامة وعدم استدعائه ثبوت الموضوع قبل حتّى يلزم تركب

الواجب عن ماهية ووجود عارض لها فان العروض يقتضى المعلولية كما قال
ايضاً:

الْحَقُّ مَا هَيْتُهُ اَنْيَتُهُ اذ مُقْتَضَى العُرُوض مَعْلُولِيَّتُهُ
وقولنا ان وجوده لنفسه لعدم قيامه بالموضوع كوجود الاعراض، وقولنا
بنفسه لانه موجود بذاته لا بغيره حتى يكون معلولاً للغير كما قال (قده) فى
موضع آخر:

ماذاته بذاته لذاته موجود الحق العلى صفاته
اذ الوجود كان واجباً فهو ومع الامكان قد استلزمه
وحيث اخطت خبراً بما تلوناه عليك من تقسيم الوجود وان وجود
الواجبى فى نفسه لنفسه بنفسه، ووجود الممكن فى نفسه لنفسه بغيره كوجود
الجواهر وفى نفسه لغيره كوجود الاعراض، فقد دريت ان الوجودات الامكانية
جواهرها واعراضها انما توجد بغيرها اعنى لها علة مؤجدة كما هو شأن
الممكن اذ الممكن من ذاته ان يكون ليساً ومن شأنه او من علته ان يكون آيساً
فقد ظهر وتحقق ان للممكنات وجود الا انه مسبق بالعلة والعلة لا بد من ان
تكون موجودة بذاته والا لدار او تسلسل فالعلة المخرجة للممكن من حد
الاستواء لامحالة واجبة لان الممتنع ليس له وجود ومُعطى الشئ لا يكون
فاقداً له فكيف يعطى الوجود للممكن والمفروض انه لا وجود له، والممكن
ايضاً لا يمكن ان يكون علة لانه مستلزم للدور والتسلسل كما ذكرناه فيبقى فى
المقام واجب الوجود فهو المخرج له عن حد الاستواء وهو المطلوب.

فوجود الواجب هو الوجود الحقيقى الذى ظاهر بذاته مظهر لغيره اما كونه
ظاهراً بالذات فقد ثبت لعدم كونه مسبقاً بالعلة واما كونه مظهر لغيره لان كل
ماهية خرجت عن حد الاستواء وحصل لها الامتياز والتحصّل وظهرت من
الابهام والكمون فسبب الوجود الحقيقى فهو المظهر لها بجميع انحاء الظهور
وبه تظهر الماهيات وله ومعها وفيه ومنه ولولا ظهوره فى ذوات الاكوان

واظهاره لنفسه بالذات ولها بالعَرَضَ لَمَا كَانَتْ ظَاهِرَةً مَوْجُودَةً بِوَجْهِهِ مِنْ
الْوَجْهِ بَلْ كَانَتْ بَاقِيَةً تَحْتَ اسْتَارِ الظُّلْمَةِ وَالْعَدَمِ، اِذِ الْمَفْرُوضُ أَنَّهَا اِى
الْمَاهِيَّاتِ بِحَسَبِ ذَوَاتِهَا وَحُدُودِ انْفِسِهَا مَعْرَاةً عَنِ الْوُجُودِ وَالظُّهُورِ فَالْوُجُودُ
وَالظُّهُورُ يَطْرَأُ عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِهَا فَهِيَ فِي حُدُودِ انْفِسِهَا هَالِكَاتِ الذَّوَاتِ
بِاطِلَاتِ الْحَقَائِقِ اِزْلاً وَاِبْدَآ لَافِي وَقْتٍ مِنَ الْاَوْقَاتِ وَمُرْتَبَةٍ مِنَ الْمَرَاتِبِ فَاِنَّ
الْفَقْرَ سَوَادِ الْوَجْهِ فِي الدَّارَيْنِ.

ثُمَّ اِنَّ ظُهُورَ الْوُجُودِ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنَ الْاَكْوَانِ وَتَنْزُلُهُ اِلَى كُلِّ شَأْنٍ مِنَ الشُّيُورِ
يُوجِبُ ظُهُورَ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ الْمَمَكِّنَاتِ وَعَيْنٍ مِنَ الْاَعْيَانِ الثَّابِتَةِ وَكَلَّمَا كَانَ
مَرَاتِبِ النَّزُولِ اَكْثَرَ وَعَنِ مَنَبَعِ الْوُجُودِ اَبْعَدَ كَانَ ظُهُورُ الْاَعْدَامِ وَالظُّلْمَاتِ بِصِفَةِ
الْوُجُودِ وَنَعْتِ الظُّهُورِ اَكْثَرَ فَكُلُّ بَرَزَةٍ مِنَ الْبَرَزَاتِ تَوْجِبُ تَنْزِلاً عَنِ مَرْتَبَةٍ
الْكَمَالِ وَتَوَاضِعاً عَنِ غَايَةِ الرَّفْعَةِ وَالْعِظْمَةِ وَشِدَّةِ النُّورِيَّةِ وَقُوَّةِ الْوُجُودِ فَكُلُّ
مَرْتَبَةٍ مِنَ الْمَرَاتِبِ الْوُجُودِيَّةِ كَانَ التَّنْزِيلُ وَالْخَفَاءُ فِيهَا اَكْثَرَ كَانَ ظُهُورِهَا عَلَى
الْمَدَارِكِ الضَّعِيفَةِ اَشَدَّ، وَاَمَّا فِي الْمَدَارِكِ الْقَوِيَّةِ فَالْحَالُ بَعَكْسِ مَا ذَكَرَ كَمَرَاتِبِ
اَنْوَارِ الشَّمْسِ بِالْقِيَاسِ اِلَى اَعْيُنِ الْخَفَافِيشِ وَغَيْرِهَا اَلَا تَرَى، اِنَّ اِدْرَاكَ الْاَجْسَامِ
الَّتِي فِي غَايَةِ نَقْصَانِ الْوُجُودِ اَسْهَلَ عَلَى النَّاسِ مِنْ اِدْرَاكِ الْمَفَارِقَاتِ النُّورِيَّةِ
الَّتِي هِيَ فِي غَايَةِ قُوَّةِ الْوُجُودِ، وَشِدَّةِ النُّورِيَّةِ لَاشَدَّ مِنْهَا فِي الْوُجُودِ الْاَمْبُدَعِهَا
وَهُوَ نُوْرُ الْاَنْوَارِ وَوُجُودِ الْوُجُودِ حَيْثُ اِنَّ قُوَّةَ وَجُودِهِ وَشِدَّةَ ظُهُورِهِ غَيْرُ مَتْنَاهِيَّةِ
مُدَّةً وَشِدَّةً وَقُوَّةً وَعِدَّةً وَلا جَلَّ هَذِهِ الشَّدَّةُ الْوُجُودِيَّةُ لِاِتِّدْرَاكِ الْاَبْصَارِ وَهُوَ
يُدْرِكُهَا وَلا تُحِيطُ بِهِ الْاَفْهَامُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ مَحِيطٌ.

فَالْمَدَارِكِ الضَّعِيفَةِ تَدْرِكُ الْوُجُودَاتِ النَّازِلَةَ الْمَصْحُوبَاتِ بِالْاَعْدَامِ
وَالْمَلَكَاتِ الْمُنْصَبِغَةَ بِصَبْغِ الْمَاهِيَّاتِ الْمُتَخَالِفَةِ.

وَلَمَّا كَانَ وَاَجِبَ الْوُجُودِ مِنْ فَضِيلَةِ الْوُجُودِ فِي اَعْلَى الْاَنْحَاءِ وَالْمَرَاتِبِ
وَفِي سَطُوْحِ النُّورِ فِي قُصَا الْمَرَا حِلِّ يَجِبُ اَنْ يَكُونَ وَجُودُهُ اِظْهَرَ الْاَشْيَاءِ
عِنْدَنَا وَحَيْثُ نَجِدُ الْاَمْرَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ عَلِمْنَا اِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ جِهَتِهِ بَلْ

لضعف عقولنا وأنغماسها في المادة وملاستها للاعدام والظلمات.
 فَثَبَّتْ أَنْ خَفَائِهِ مِنْ شِدَّةِ ظُهُورِهِ فَهُوَ بَاطِنٌ مِنْ حَيْثُ هُوَ ظَاهِرٌ وَظَاهِرٌ مِنْ
 حَيْثُ هُوَ بَاطِنٌ فَبُطُونُهُ فِي ظُهُورِهِ وَظُهُورُهُ فِي بُطُونِهِ فَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ
 وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَإِذَا اسْتَلَّكَ عَنِّي عِبَادِي فَأَتَى
 قَرِيبَ أَجِيبِ دَعْوَةَ الدَّاعِ:

يَا مَنْ هُوَ اخْتَفَى الْفَرْطَ نُورَهُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنَ فِي ظُهُورِهِ
 مَفْهُومَهُ مِنْ أَعْرَفِ الْأَشْيَاءِ وَكُنْهُهُ فِي غَايَةِ الْخَفَاءِ
 إِذَا عَرَفْتَ هَذِهِ الْمَقْدَمَةَ الْمُفْصَّلَةَ الْمُفِيدَةَ وَعَلِمْتَ أَنَّ الْمَمَكِنَاتِ كَأَنَّهَا مِنْ
 كَانَ لَا وُجُودَ لَهَا فِي قِبَالِ وُجُودِ الْوَاجِبِ لِأَنَّهُ الشَّيْءُ وَمَا سِوَاهُ فِيهِ، وَهُوَ الْأَصْلُ
 وَغَيْرُهُ الْفَرْعُ وَهُوَ الذَّاتُ وَغَيْرُهُ الظِّلُّ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ
 لَجَعَلَهُ سَاكِنًا:

بِنُورِ وَجْهِهِ اسْتِنَارَ كُلُّ شَيْءٍ وَعِنْدَ نُورِ وَجْهِهِ سِوَاهُ فِيهِ
 فَوُجُودَاتِ الْمَمَكِنَاتِ لَيْسَتْ إِلَّا التَّدْلِيَّاتُ وَالتَّعْلُقَاتُ وَالرِّوَابِطُ الْمَحْضَةُ
 لِأَمْوَجُودَةٍ وَلَا مَعْدُومَةٍ فَلَا مُؤَثَّرٌ فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ فَاعْلَمْ أَنَّ الْمَمَكِنَ لِمَعْلُولِيَّتِهِ
 وَافْتِقَارِهِ الذَّاتِي، يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ لِأَقْوَامٍ لَهُ بَدَائِعُهُ
 مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْعِلَّةِ كَمَا هُوَ مُقْتَضِي الْمَعْلُولِيَّةِ كَيْفَ وَوُجُودِهِ مِنْهُ وَبِحَكْمِ
 كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ، رَجُوعُهُ أَيْضًا إِلَيْهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.
 فَابْتِدَاءُ الْوُجُودِ مِنْهُ تَعَالَى وَإِنْتِهَاءُهُ وَإِخْتِتامُهُ أَيْضًا إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعِلَّةَ الْمَوْجُودَةِ
 هِيَ الْعِلَّةُ الْمُبْقِيَّةُ بِعَيْنِهَا لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ بَلَى، أَنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ
 لِقَادِرٍ، وَإِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعِي، ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَانْقُوا
 يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ مَنْ يُحْيِي وَيُمَيِّتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا
 خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ أَلَا تُرْجَعُونَ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١) لَهُ الْحُكْمُ
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. وَامْتِثَالُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

فَقَوْلُهُ ﷻ: **وَفِرُّوْا مِنْ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ**. وهو اعلم بما قال يمكن ان يكون اشارة الى مبدء الوجود في الممكن ومنتهاه فقوله ﷻ: **وَفِرُّوْا مِنْ اللَّهِ** اشارة الى مبدئه وانه معلول له مخلوق، فان كلمة (من) للابتداء.

وقوله ﷻ: **إِلَى اللَّهِ**، اشارة الى مقام رجوعه اليه وهو مُنتهى سَير السَّالِك وكلمة (الى) للانتهاه.

وانما قال الى الله ولم يقل حَتَّى اللهُ مثلاً مع ان حَتَّى ايضاً يفيد الانتهاه لان كلمة (حَتَّى) يدخل ما بعده في ما قبله يقال اكلت السمكة حَتَّى رَأْسِهَا اي اكلت رَأْسِهَا ايضاً بخلاف كلمة (الى) حيث انها تفيد الانتهاه فقط، يقال سرت من الكوفة الى البصرة ولا يستفاد منه سير البصرة ايضاً.

فَقَوْلُهُ ﷻ: **يَدُلُّ عَلَى** ان انتهى سير السَّالِك هو مقام الوصول الى الله واما الوصول الى كهنه فلا لعدم دخول ما بعدها في ما قبلها وفيه سر لطيف ان كنت من اهله.

ثم ان في قوله ﷻ: **هَذَا اسرار** وحقائق من العلوم والمعارف لا بأس بالاشارة الى جملة منها بعد ما عرفت ما ذكرناه.

احدها: ما ذكرناه وهو كون كلمة (من) للابتداء، وكلمة الى للانتهاه فالغرض سَوْق النَّاسِ وَتَوَجُّهَهُمْ الى هاتين المرتبتين اللتين هما الأصل ومدار السعادة يَدُورُ عليهما انا لله وانا اليه راجعون، رحم الله امرءاً اَعَدَّ لِنَفْسِهِ واستعدَّ لِرَمِّهِ وَعَلِمَ من اين وفي اين وَالى اين.

وثانيها: الاشارة الى انه لا يمكن لأحد الفرار عن حكومته كما قال ﷻ في الدِّعَاء: ولا يمكن الفرار من حُكومتك واذا كان كذلك فينبغي للمِرء التَّوَجُّه الى أعماله في اليوم والليلة والمُحاسبة لنفسه، حاسبوا نَفْسَكُمْ قبل ان تُحاسبوا. وثالثها: ان اَعْرَضْتُمْ عن ذكر الله باغواء الشَّيْطَانِ وَعَصَيْتُمُوهُ فلا تَيَأَسُوا من رَوْحِ اللَّهِ بل فِرُّوْا الى الله بالتَّوْبَةِ والرَّجُوعِ عَمَّا سَبَقَ مِنْكُمْ فانه يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جميعاً، وعليه فالمعنى هو الفرار من الله بسبب المعصية والفرار اليه بسبب

التَّوْبَةِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

ورابعها: ان يكون قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: **فِرَّوْ مِنْ** الله اشارة الى السفر من الحق الى الخلق وقوله الى الله الى السفر من الخلق الى الحق بالحق، وتوضيحه ان للسالك الى الله اسفاراً اربعة:

احدها: السفر من الخلق الى الحق، برفع الحُجْبِ الظلمانية والنورية التي بين السالك وبين حقيقته التي هي معه ازلاً وابدأ، وان شئت قلت بالترقى من مقام القلب الى مقام الروح ومن مقام النفس الى مقام القلب ومن مقام الروح الى مقصد الأقصى والبهجة الكبرى وهو الجنة المزلفة للمتقين في **«وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ»** ^(١) اي المتقين عن إدناس مقام النفس وهي الحُجْبِ الظلمانية وانوار مقام القلب واضواء مقام الروح وهي الحُجْبِ النورانية فان المقامات الكلية للإنسان هذه الثلاثة وما قيل ان بين العبد وبين الرب ألف حجاب يرجع الى تلك الثلاثة الكلية فاذا سلك السالك الى المقصود برفع تلك الحُجْبِ الظلمانية والنورانية، يشاهد جمال الحق ويفنى ذاته فيه وربما يقال له مقام الفناء في الذات وفيه السر والخفي والأخفى من السفر الثاني كما سنبينه ان شاء الله تعالى.

وثانيها: السفر بالحق في الحق، وتوضيحه اجمالاً هو ان السالك بعد سفره الاول يأخذ في السفر الثاني وهو بالحق في الحق او من الحق الى الحق بالحق وذلك لانه بعد ما صار وجوده وجوداً حقانياً على ما مر في السفر الاول فيأخذ في السلوك من موقف الذات الى الكمالات واحداً بعد واحد حتى يشاهد جميع كمالاته فيعلم الأسماء كلها الا ما استأثره عنده فيصير ولايته تاماً ويفنى ايضاً ذاته وافعاله وصفاته في ذاته وافعاله وصفاته فيه يسمع وبه يبصر وبه يمشى وبه يبسط والسر فناء ذاته والخفاء فناء صفاته وافعاله والأختفاء فناء فنائيته وان شئت قلت السر هو الفناء في الذات وهو منتهى السفر الاول

ومبدء السّفر الثّاني والخفاء هو الفناء في الالوهيّة والأخفى هو الفناء في
الفنائين فيتمّ دائرة الولاية وينتهي السّفر الثّاني وينقطع فنائه.

وثالثها: اعنى السّفر الثّالث، يقابل الأوّل، لانه من الحقّ الى الخلق
بالحقّ، ويسلك في هذا الموقف في مراتب الافعال ويَزُول مَحْوَه ويحصل له
الصّحو التّام ويبقى ببقاء الله ويُسافر في عوالم الجبروت والملكوت،
والناسوت ويشاهدها بأعينانها ولوازمها ويحصل له حظٌّ من النّبوة فينبىء عن
المعارف من ذاته تعالى وصفاته وافعاله نبياً ويأخذ الكلام والشرايع من النّبي
المطلق ويتبعه وح ينتهى السّفر الثّالث.

ورابعها: يقابل السّفر الثّاني من وجهٍ لانه بالحقّ في الخلق وربّما قيل
من الخلق الى الخلق بالحقّ. وفي هذا السّفر يشاهد الخلائق وآثارها
ولوازمها فيعلم مضارّها ومنافعها في العاجل والآجل يعنى في الدّنيا والآخرة
ويعلّم رجوعها الى الله وكيفيّة رجوعها وما يسوقها ويقودها ويمنعها ويعوقها
ويدعوها فيكون نبياً بنبوة التّشريع ويسمى بالنّبي ويكون في كلّ ذلك بالحقّ
لانّ وجوده حقّانى ولا يشغله الألتفات اليها من التّوجه الى الحقّ هذا كله على
مسلك العرفاء.

وامّا الحكماء: والفلاسفة فسلكوا مسلكاً آخر في ترتيب الاسفار الأربعة.
وحاصله، على سبيل الاجمال انهم ينظرون في الآفاق والأنفس فيرون آياته
تعالى فيها ظاهرة وراياته عنها باهرة فيستدلّون بأثار قدرته على وجوب
وجوده وذاته ويستشهدون بانوار حكمته على تقدّس اسمائه وصفاته.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى
يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»^(١). وعند ذلك تبين لهم انه الحقّ بحيث يرون كلّ وجود
وكمال وجودٍ مُستهلكاً في وجوده وكمالات وجوده بل يرون كلّ وجودٍ
وكمالٍ لمعة من لمعات نوره وجلوة من جلوات ظهوره، وهذا هو السّفر الأوّل

من الاسفار الاربعة.

ثم يَنْظُرُونَ الى الوجود ويتأملُونَ في حقيقته فَيَتَبَيَّنْ لَهُم أَنَّهُ الواجب بذاته ولذاته وَيَسْتَدَلُّونَ بوجوبه الذّاتي على بساطته ووحدانِيّته وعلمه وقدرته وحياته واراادته وسمعُه وبصره وكلامه وسائر اوصاف كماله ونعوت جماله وجلاله وعلى انّ كلّها عين ذاته فتَظْهَرُ أَحَدِيَّتُهُ وبأَحَدِيَّتِهِ صَمَدِيَّتُهُ وبصَمَدِيَّتِهِ أَنَّهُ كَلَّ الأشياء بنحو الأثم والأعلى وهذا هو السّفر الثّاني.

ثم ينظرون في وجوده وعنايته وأَحَدِيَّتِهِ فَيَكشِفُ لَهُم وُحْدَانِيَّتَهُ فِعْلَهُ وكَيْفِيَّةَ صدور الكثرة عنه وترتيبها حتّى ينتظم سلاسل العقول والنّفوس، ويتأملُونَ في عوالم الجبروت والمَلَكوت أعلاها وأسفلها الى ان ينتهي الى عالم الملك والنّاسوت أو لم يكف بزبك أَنَّهُ على كلّ شيءٍ شهيد، وهذا هو السّفر الثّالث من الاسفار الاربعة العقلية.

ثم ينظرون في خلق السّموات والارض ويعلمُونَ رجوعها الى الله، ويعرفون مَضَارَها ومنافعها وما به سعادتها وشقاوتها في الدّنيا والآخرة فَيَعْلَمُونَ معاشها ومعادها فَيَنْهَوْنَ عن المفساد ويأْمُرُونَ بالمصالح وينظرون في امر الآخرة وَيَعْلَمُونَ ما فيها من الجنّة والنّار والثّواب والعقاب والصّراط والميزان والحساب وتطائر الكتب وَتَجَسُّمُ الأعمال وبالجملة كلّ ما جاء به الأنبياء وأخبر به الرّسل سلام الله عليهم اجمعين وهذا هو السّفر الرّابع من الاسفار الاربعة العقلية.

اذا عرفت ما ذكرناه وامعنت النّظر فيه فقد علمت انّ الأسفار الاربعة المذكورة لِلسّالك الى الله تعالى سواء قلنا فيها باصطلاح العرفاء ام باصطلاح الفلاسفة ترجع الى شَيْءٍ واحدٍ وهو المعرفة بذاته وصفاته واسمائه وأنما قلنا شَيْءٍ واحدٍ لأنّ معرفه الصّفات والافعال تابعة لمعرفة الذّات لعينيّة الصّفات للذّات هناك.

الآن ما ذكره واصطَلَحوا عليه في باب السّير والسّلك من الأسفار

الأربعة أنما هو تفصيل المُجمل عباراتها شتى وحُسنك واحدٌ وكلُّ الى ذاك الجمال يشيرٌ.

وان آيَت الآ عن هذا فنقول: الأسفار الأربعة ترجع الى سفرين احدهما من الخلق الى الحقّ.

وثانيهما بالحقّ في الحقّ. والثالث يقابل الاوّل والرّابع يقابل الثّاني، فكأنه لِّلسالك الى الله سفران:

احدهما: من الخلق الى الحقّ وعكسه وهو من الحقّ الى الخلق.

وثانيهما: بالحقّ في الحقّ وعكسه بالحقّ في الخلق من وجهٍ.

فيمكن ان يكون قوله ﷺ: فِرَّوْ مِنْ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ اشارة الى هاتين المرتبتين:

فقوله ﷺ: فِرَّوْ مِنْ اللَّهِ اشارة الى الثّاني وقوله الى الله اشارة الى الاوّل، ويمكن

تطبيق الاصطلاحات بأجمعها ايضاً على ما ذكره ﷺ كما لا يخفى.

الوجه الخامس: ان يكون قوله ﷺ هذا من قبيل يا مَنْ دَلَّ على ذاته بذاته

وهو ايضاً ممّا لا يخفى لطفه.

وسادسها: ان يكون قوله ﷺ: هذا اشارة الى سوقهم الى الوّحدة والأعراض

عن الكثرة، اى فِرَّوْا من الوحدة الى الوحدة اى من وحدة الذات الى وحدة

الصفات وهو ايضاً وجهٌ وجيه فانّ وحدة الصفات لا تثبتُ إلا بعد وحدة الذات

فيرجع المعنى الى أنّه لا يجوز القول بوحدة الذات مع عدمه بوحدة الصفات

وكلّ هذه الوجوه محتملة والعلم عندالله فهذا ما خَطَرَ ببالنا فى شرح كلامه ﷺ:

فى المقام مضافا الى ما استنبطه غيرى من الشّراح واما تشخيص الحقّ منها عن

الباطل والصّحيح عن السّقيم فهو امر مفوّض الى فطانتك ودرايتك، والحمد

لله ربّ العالمين.

□ قوله ﷺ: وَأَمْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ...

النّهج، الطّريق الواضح والمقصود منه فى المقام هو طريق الدّين الذى

اوضّحه النّبى ﷺ لنا ولذلك أمرهم وأمّرنا ايضاً باتّباعه وقد دلّ هذا الكلام

بمفهومه على النهى عن متابعة المُشْتَبِهَات اعنى ما ليس بواضح لنا وهو كذا لك.

ولا يبعد ان يكون كلامه عليه السلام، اشارة الى وجوب اتباعهم له عليه السلام اذ هو الذى نهجه النبى ﷺ لِلْأُمَّةِ كما رَوينا الآثار الواردة فيه فيما مضى، قال الله تعالى مخاطباً لنبىه قل ان كنتم تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ، ولا شك فى ان متابعة النبى لا تحصل الا بالعمل بما جاء به ﷺ ومنه الامر بتمسك الكتاب والعتره وهو عليه السلام فى رأسها.

□ قوله عليه السلام: وَقَوْمُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ...

ثم بعد امره لهم بالمشى فى طريق الدين أمرهم بالقيام بما يجب القيام به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واتبان الواجبات وترك المنهيات.

□ قوله عليه السلام: فَعَلَيْ ضَامِنٍ لِفَلْجِكُمْ أَجْلاً إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلاً...

الفاء للتفريع اى ان عملتُم بما قلت لكم فأنا ضامنٌ لكم بِفوزكم، وظفركم على الشيطان والنفس الامارة ودخولكم الجنة فى الآخرة ان لم تُعطوه فى الدنيا.

والوجه فيه هو ان الآخرة هى دار الحيوان والبقاء والدنيا دار فناء وبلاء، فللعاقل ان يتوجه الى الآخرة دون الدنيا كما ستعرف مفصلاً، ان شاء الله تعالى.

وانما قال عليه السلام: فَعَلَيْ ضَامِنٍ الخ...

للاشارة الى من اقتفى فى دينه به عليه السلام، وعمل بما أمره به وانتهى عما نهى عنه فهو من الفائزين.

وكفاك شاهداً عليه قول الرازى فى تفسيره الكبير: من اقتدى فى دينه بعلى فقد اهتدى، مع انه لم يكن من شيعته.

﴿ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﴾ (٢٥)

□ مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهْبُتُ أَعَاصِيرُكَ
فَقَبَّحَكَ اللَّهُ فَمَثَلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَعَمْرُؤُ أَيُّكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنِّي عَلَى وَضْرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلٌ
ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أُنْبِتُ بُسْرًا قَدْ أَطْلَعَ الْيَمْنَ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَظُنُّ هَؤُلَاءِ
الْقَوْمَ سَيِّدُ الْوَنِّ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ،
وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ وَبِأَدَائِهِمْ
الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ صَاحِبَكُمْ وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ
فَلَوِ اتَّمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قُعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ
مَلَلْتُهُمْ، وَمَلَّوْنِي وَسَمَّيْتُهُمْ وَسَمَّوْنِي فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي
شَرًّا مِنِّي اللَّهُمَّ مَتَّ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاتُ الْمَلْحُ فِي الْنَاءِ أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنْ
لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي قَرَاسٍ ابْنِ غَنَمٍ قَالَ ﷺ:

هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتِ أَتَاكَ مِنْهُمْ قَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ

◀ اللغة

(أَقْبِضُهَا) الضَّمِيرُ إِلَى الْكُوفَةِ وَالْقَبْضُ مَصْدَرٌ كَالضَّرْبِ بِمَعْنَى الْأَخْذِ
(أَبْسُطُهَا) الْبَسْطُ أَيْضاً مَصْدَرٌ بِمَعْنَى النُّشْرِ، يُقَالُ بَسَطَ الثَّوْبَ أَيْ نَشَرَهُ. (تَهْبُتُ)
هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ بَابِ نَصَرَ أَيْ هَاجَتْ. (الْأَعَاصِيرُ) جَمْعُ أَعْصَارٍ، الرِّيحُ
الْمُسْتَدِيرَةُ تَرْفَعُ تُرَاباً إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهُ عَمُودٌ مِنْ نَارٍ. (وَضْرٍ) بِفَتْحَتَيْنِ الْوَسْخُ

الباقي او هو غَسالة القصعة والسَّقاء. (أُنْبِئْتُ) الأبناء، الأخبار. (بُسْر) بضمّ الباء والسّين المهملة ابن ابي ارطاة من اصحاب معاوية. (اطَّلَعَ) اى بَلَغ. (سَيِّد الوُن) يقال اداَلنا الله من عَدُّونا اى جَعَلَ الكَرَّة لنا عليهم فغلبنا بالظَّفَر. (قَعْب) القَعْب بالفتح فالسُّكون قَدَح من خَشَبٍ مُقَعَّر. (مِث) فعل امر من ماث يميث، وماث الشَّىء اذا ذاب. (غَنَم) ابن تغلب ابن وائل بفتح الغين المُعجمة فالسُّكون ابو قبيلة.

◀ المعنى

(ماهى) اى الخِلافة، (الا الكوفة) ويُمكن رجوعها الى المَمْلَكة، والمال واحد، والمقصود انه لم تَبَقْ لنا مملكة اِلا الكوفة. (أَقْبِضُها) اى آخذها تارةً وأَبَسَطُها أُخرى، ثمَّ عَدَل من الغيبة الى الخطاب وقال مخاطباً لِلكُوفَةِ (ان لَم تَكُونِى الا انت) يعنى: ان لم تكن مملكتى فى الدنْيا الا انت. (تَهَبُّ اعاصيرك) اى حالكونك تَهَبُّ اعاصيرك، وتُبَعَثُ منك الآراء المُختلفة والفِتن المُضلة (فَقَبَّحَكَ اللهُ)، تَقْبِيحُهُ أَيَاها لِلدَّلالة على إستهْغارها.

ثمَّ تَمَثَّلَ ﷺ: بقول الشاعر تشبيهاً لها بالوَضْر اى الوَسَخ الباقي نَحْتَ الأناة فقال ﷺ: (أُنْبِتُ بَسْرًا قَدْ اطَّلَعَ اليَمَن) اى أَخْبَرْتُ انَّ بُسْر ابن ارطاة لَعَنَ اللهُ عَلَيْهِ قَدْ غَلَبَ على اليَمَن. (وانى والله لا أَظُنُّ هؤُلاءِ القوم) اى معاوية واصحابه، سَيَغْلِبُونَ بالظَّفَر (منكم باجتماعهم على باطلهم)، وذلك لان معاوية واصحابه كانوا اصحاب الباطل واتباع الشيطان. (وَتَفَرَّقْكُمْ) اى تَشَتَّتْكُمْ، (عَنْ حَقِّكُمْ)، لَكُونْكُمْ على الحَقِّ (وبمعصيتكم) يا اهل الكوفة، (إمامكم)، وهو على ﷺ. (وطاعتهم) اى أهل الشَّام. (امامهم) وهو معاوية. (وبأدائهم) اى اصحاب معاوية. (الأمانة الى صاحبهم) وهو معاوية والمقصود عدم خيانتهم له. (وخيانتكم صاحبكم) يعنى امير المؤمنين. (وبصلاحهم) اى اصحاب معاوية، (فى بلادهم) وهى الشَّام وغيره من البلاد. (وفسادكم) فى كُونِكم من المنافقين الخائنين، (فلو ائتمنتُ أَحَدَكُمْ على قَعْب) خَشَب

(أَخَشِيْتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ)، مبالغَةٌ منه في ذمِّهم بالخيانة على سبيل الكناية. ثمَّ شَكَى ﷺ: إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَقَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ)، بسبب مخالفتهم، (وَمَلُونِي)، بعصيانهم لي. (وَسَيَّمْتُهُمْ، وَسَمَّوْنِي)، والمعنى كسابقه (فَأَبَدَلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ)، والباء للبدل وقرضه ﷺ: منه الشكَاية إلى الله في الخِلاص مِنْهُمْ. (وَأَبَدَلَهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي) لأنهم لَا يَلِيقُونَ بِي. (اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبُهُمْ) إلى آخر الخطبة دعاء منه عليهم لكونهم مُسْتَحَقُّونَ بِهِ، ثمَّ تَمَثَّلَ بقول الشَّاعر وهو معلوم.

◀ الشرح

اعلم: أن سَبَبَ صدور هذا الكلام منه ﷺ: ما روى أن قوماً بصنعاً من شيعة عثمان كانوا يُعْظَمُونَ قَتْلَهُ فَبَايَعُوا عَلِيًّا عَلَيْهِ دَعَلٍ فَلَمَّا اخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَيْهِ بِالْعِرَاقِ وَكَانَ الْعَامِلُ لَهُ يَوْمَئِذٍ عَلِيٌّ صَنْعَاءُ هُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَلَى الْجُنْدِ بِهَا سَعِيدُ ابْنِ نَمْرَانَ، ثُمَّ قُتِلَ مُحَمَّدُ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ بِمِصْرَ وَكَثُرَتْ غَارَاتُ أَهْلِ الشَّامِ وَتَكَلَّمَ هَؤُلَاءُ وَدَعَّوْا إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ فَانكَرَ عَلَيْهِمْ عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ عَبَّاسٍ فَتَظَاهَرُوا بِمُنَابَذَةِ عَلِيٍّ ﷺ فَحَسِبَهُمْ فَكْتَبُوا إِلَى أَصْحَابِهِمْ بِالْجُنْدِ فَعَزَلُوا سَعِيدَ ابْنِ نَمْرَانَ عَنْهُمْ فَأَظْهَرُوا أَمْرَهُمْ فَأَنْضَمَ إِلَيْهِمْ خَلْقٌ فَكَتَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَسَعِيدُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَخْبِرَانِهِ الْخَبِيرَ فَكَتَبَ ﷺ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ وَالْجُنْدِ كِتَاباً يُهَدِّدُهُمْ يُذَكِّرُهُمُ اللَّهَ فَاجَابُوهُ بِأَنَّا مُطِيعُونَ إِنْ عَزَلْتِ عَنَّا هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ عُبَيْدُ اللَّهِ وَسَعِيدُ ابْنِ نَمْرَانَ.

ثمَّ كَتَبُوا إِلَى مَعَاوِيَةَ فَأَخْبَرُوهُ فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ بُسْرَ ابْنَ أَرْطَاةٍ وَوَقَعَ مَا وَقَعَ كَمَا سَتَعَلَّمَ وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا عُبَيْدُ اللَّهِ وَسَعِيدُ ابْنِ نَمْرَانَ وَاسْتَخْلَفَا عَلَيْهَا عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ عَمْرٍو ابْنُ أَرَاكَةَ الثَّقَفِيُّ فَقَتَلَهُ بُسْرٌ وَأَخَذَ صَنْعَاءَ وَلَمَّا قَدِمَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ عَلَى عَلِيٍّ عَاتَبَهُمَا عَلَى تَرْكِهِمَا قِتَالَ بُسْرٍ، ثُمَّ قَامَ ﷺ إِلَى الْمَنْبَرِ ضَجْرًا مِنْ مَخَالَفَةِ أَصْحَابِهِ لَهُ فِي الرَّأْيِ فَخَطَبَ بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ:

□ قوله ﷺ: مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهْبُ

أَعَاصِيرُكَ فَقَبَّحَكَ اللهُ فَمَثَلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ...

وقد ذكرنا في شرح اللغات أنّ الضمير في قوله عليه السلام (هي) الى الخلافة او الى المملكة. وحاصل كلامه عليه السلام أنه قال لم تبق من المملكة الا الكوفة فان غارات اهل الشام اوجبت خروج سائر البلاد كاليمن والمصر والمدينة وغيرها عن المملكة، وبعبارة اخرى: ليست لي حكومة بحسب الظاهر الا فيها اقبضها تارة وأبسطها اخرى.

ثم توجه عليه السلام: من الغيبة الى الخطاب وقال مخاطباً للكوفة (ان لم تكوني الخ) والمقصود أنه يقول ان لم يكن لي غيرك، فلا نفع فيك ايضاً لأنه (تُهَبّ اعاصيرك) وهو كناية عن كونها محلاً للإختلاف وموقعاً لتشتت الآراء ثم استصغرها فقال:

لَعَمْرُو أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنِّي عَلَى وَصْرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلٌ
والمقصود أنه لم يبق لي من الحكومة الا شيء يسير لا يعناء به وانما مثله كمثل الوسخ الباقي من اللبن وغيره في القصة وهو كناية عن عدم الاعتناء به وكونه غير لائق بالذكر ليدانته وخيسته.
ثم قال عليه السلام:

□ قوله عليه السلام: أُنْبِئْتُ بُسْرًا قَدْ أَطَّلَعَ عَلَيَّ الْيَمَنَ...

قد ذكرناه صورة القضية وان قوماً من شيعة عثمان كاتبوا معاوية ابن ابي سفيان في هذا الامر فوجه اليهم بسر بن اوطاة وقيل ابن ابي ووطاة ابن عويمر ابن الحليس ابن سيار بن نزار ابن معيص ابن عامر ابن لوى ابن غالب ابن فهر ابن مالك ابن النضر ابن كنانة كان رجلاً سفاكاً فاسقاً.

واما صورة الواقعة فعلى ما ذكره الشارح العتزلي ان قوماً بصنعاء كانوا من شيعة عثمان كانوا يعظمون قتله لم يكن لهم نظام ولا رأس فيايعوا لعلي عليه السلام على ما في انفسهم وساق الحديث كما مر الى ان قال:

والتقى عبيدالله ابن عباس وسعيد ابن نمران ومعهما شيعة علي فقال ابن

عبّاس لأبن نمران والله لقد اجتمع هولاء وأنهم لنا لمقاربون وان قاتلناهم
لا تعلم على من تكون الدائرة فهلم لنكتب الى امير المؤمنين عليه السلام بنخبرهم
وقدمهم وبمنزلهم الذي به فكتب الى علي عليه السلام

اما بعد: فانا نخبر امير المؤمنين عليه السلام ان شيعة عثمان، وثبؤنا وأظهروا ان
معاوية قد شيد أمره واتسق له اكثر الناس وانا سرنا اليهم بشيعة
امير المؤمنين عليه السلام ومن كان على طاعته الى آخر ما ذكره في شرحه من ارسال
الرسل والمكاتبات بين اليمن والكوفة ونحن لانعرض لما ذكره خذراً من
الأطناب ومن شاء تفصيل الواقعة فليراجع الى شرحه فانا ذكرنا موضع
الحاجة منه.

ثم قال الشارح: وبعث معاوية الى بسر بن ارطاة فبعثه في ثلاثة آلاف وقال
له سير حتى تمر بالمدينة فاطرد الناس وأخف من مررت به وانهب اموال كل
من أصبت له مالا ممن لم يكن دخل في طاعتنا فاذا دخلت المدينة فأرهم انك
تريد انفسهم وأخبرهم انه لا برائة لهم عندك ولا عذر حتى اذا اظنوا انك موضع
بهم فاكف عنهم.

ثم سير حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لأحد وارهب الناس عنك بين
المدينة ومكة واجعلها سردات حتى تأتي صنعاء والجند فان لنا بها شيعة وقد
جائني كتابهم.

فخرج بسر في ذلك البعث حتى أتى دير مروان فعرضهم فسقط منهم
اربعمائة فمضى في الفين وستمائة فقال الوليد ابن العقبه اشرنا على معاوية
برأينا ان نسير الى الكوفة فبعث الجيش الى المدينة فمثلنا ومثله كما قال الأول
ارايها السها وتربني القمر فبلغ ذلك معاوية فغضب وقال والله لقد هممت
بمسااة هذا الأحمق الذي لا يحسن التدبير ولا يدري سياسة الأمور، ثم
كف عنه.

قال الشارح المعتزلي في هذا المقام، قلت: الوليد كان لشدة بغضه القديم

التالد لا يرى الأناة في حربه ولا يستصلح الغارات على اطراف بلاده ولا يشفى غيظه ويبرد حرارات قلبه إلا بأستيصاله نفسه بالجُيوش وتسييرها الى دار مُلكه وسرير خلافته وهي الكوفة وان يكون معاوية بنفسه هو الذي يسيّر بالجُيوش اليه ليكون ذلك ابلغ في هلاك عليّ واجتثاث اصل سلطانه ومعاوية كان يرى غير هذا الرأى ويعلم ان السير بالجيش لِقَاءِ عَلِيٍّ خَطَرٌ عَظِيمٌ فَاقْتَضَتْ المصلحة في جمهور جيشه ويُسرّب الغارات على عمال عليّ فيه وبلاده فتجوس خلال الديار وتضعفها فاذا اضعفها اضعفت بيضة ملك عليّ لان ضعف الأطراف يوجب ضعف البيضة واذا اضعفت البيضة كان علي بلوغ ارادته والمسيرح ان استصوب المصير أقدر ولا يلزم الوليد على ما في نفسه فان علياً قتل اياه عقبه ابن ابي مُعيط صبراً يوم بدر وسمى الفاسق بعد ذلك، ثم جلده الحد في خلافة عثمان وعزله عن الكوفة وبعض هذا عند العرب ارباب الدين والتقى تستحل المحارم وتستباح الدماء ولا يبقى مراقبة في شفاء الغيظ لدين ولا لعقاب ولا الثواب فكيف الوليد المشتمل على الفسق والفجور مهاجراً بذلك وكان من المؤلفة قلوبهم مطعوناً في دينه مرمياً بالألحاد والزندقة انتهى ثم قال.

رؤى عن الكلبى ولوط ابن يحيى ان بُسراً لما أسقط من أسقط من جيشه سار بمن تخلف معه وكانوا اذا وردوا ماء أخذوا اهل ذلك الماء فركبوها وقادوا خيولهم حتى يردو الماء الآخر فيردون تلك الأبل ويركبون ابل هولاء فلم يزل يصنع ذلك حتى قرب الى المدينة.

وقد رؤى ان قضاة استقبلتهم ينحرون لهم الجُزر ويحملونهم حتى دخلو المدينة فدخلوها وعامل عليّ عليها ابو ايوب الانصارى صاحب منزل رسول الله فخرج عنها هارباً ودخل بسر المدينة فخطب الناس وشتّمهم وتهدّدهم وقال شأهت الوجوه ان: «وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ اٰمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا

وقد أوقع الله ذلك المثل بكم وجعلكم أهله كان بلدكم مهاجر النبي ومنزله وفيه قبره ومنازل الخلفاء من بعده فلم يشكروا نعمة ربكم ولم ترعو حق نبيكم قتل خليفة الله بين أظهركم فكنتم بين قاتل وخاذل ومتربص وشامت ان كانت للمؤمنين، قُلْتُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ، قُلْتُمْ أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ شَتَمَ الْأَنْصَارَ.

فقال: يا معشر اليهود وابتناء العبيد بنى رزيق وبنى النجار وبنى سالم وبنى عبد الأشهل أما والله لأوقعن بكم وقعة تشفى غليل صدور المؤمنين وآل عثمان.

أما والله لأدعنكم احاديث كالأمم السالفة فتهددهم حتى خاف الناس أن يؤقع بهم ففزعو الى حويطب ابن عبد العزى ويقال له أنه زوج أمه فصعد اليه المنبر فناشده وقال عترتك وانصار رسول الله وليست بقتلة عثمان فلم يزل به حتى سكن ودعا الناس الى بيعة معاوية فبايعوه ونزل فأحرق دورا كثيرة منها دار حرار ووزارة ابن حرون أحد بنى عمرو ابن عوف ودار رفاعه ابن رافع الزرقى ودار ابو ايوب الانصارى وفقد جابر ابن عبدالله، فقال مالى لأرى جابراً يا بنى مسلمة لا امان لكم عندي أو تأتوني بجابر فعاذ جابر بأم سلمة (رض) فارسلت الى بسر ابن ارطاة فقال لأومنه حتى يبايع فقالت له أم سلمة اذهب فبايع وقالت لابنها عمر اذهب فبايع فذهبا فبايعاه.

ثم قال فاقام بسر بالمدينة اياماً، ثم قال لهم انى قد عفوت عنكم وان لم تكونوا لذلك بأهل ما قوم قتل امامهم بين ظهراينهم بأهل ان يكف عنهم العذاب ولئن نالكم العفو منى فى الدنيا انى لأرجوان لاينالكم رحمة الله عز وجل فى الآخرة.

وقد استخلفت عليكم أبا هريرة فاياكم وخلافه.

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ فَلَمَّا قَرِبَ مِنْهَا هَزَمَ قَتْمَ ابْنِ الْعَبَّاسِ وَكَانَ عَامِلٌ عَلَى
وَدَخَلَهَا بُسْرَ فَشْتَمَ أَهْلَ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا شَيْبَةَ ابْنِ عَثْمَانَ.
وَقَدْ رَوَى عَوَانَةُ عَنِ الْكَلْبِيِّ أَنَّ بُسْرًا لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ قَتَلَ فِي
طَرِيقِهِ رَجَالًا وَأَخَذَ أَمْوَالًا وَيَبْلُغُ أَهْلَ مَكَّةَ خَبْرَهُ فَتَنَحَّى عَنْهَا عَامَّةَ أَهْلِهَا وَتَرَضَى
النَّاسَ بِشَيْبَةَ ابْنِ عَثْمَانَ أَمِيرًا لَمَّا خَرَجَ قَتْمُ ابْنِ الْعَبَّاسِ عَنْهَا وَخَرَجَ إِلَى بُسْرِ قَوْمٍ
مِنْ قُرَيْشٍ فَتَلَقَوْهُ فَشْتَمَهُمْ.

ثُمَّ قَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ تَرَكْتُ وَرَأَيْتُ فِيكُمْ لَتَرَكْتُكُمْ وَمَا فِيكُمْ رُوحٌ تَمْشِي عَلَى
الْأَرْضِ فَقَالُوا نُشَدُّكَ اللَّهُ فِي أَهْلِكَ وَعِترتك فَسَكَتَ، ثُمَّ دَخَلَ وَطَافَ بِالْبَيْتِ
وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَخَطَبَهُمْ وَقَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ دَعْوَتَنَا وَجَمَعَ الْفِتْنَةَ وَأَذَلَّ عَدُوَّنَا بِالْقَتْلِ، وَالتَّشْرِيدِ هَذَا
ابْنَ أَبِيطَالِبٍ بِنَاحِيَةِ الْعِرَاقِ فِي ضَنْكٍ وَضَيْقٍ قَدْ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِخَطِيئَتِهِ وَأَسْلَمَهُ
بِجَرِيرَتِهِ فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ نَاقِمِينَ عَلَيْهِ وَوَلِيَ الْأَمْرَ مَعَاوِيَةَ الطَّالِبَ بِدَمِ عَثْمَانَ
فَبَايَعُوا وَلَا تَجْعَلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا فَبَايَعُوا وَفَقَدَ سَعِيدُ ابْنُ الْعَاصِ فَطَلَبَهُ
وَلَمْ يَجِدْهُ وَأَقَامَ أَيَّامًا ثُمَّ خَطَبَهُمْ وَقَالَ:

يَا أَهْلَ مَكَّةَ إِنِّي قَدْ صَفَحْتُ عَنْكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَالْخِلَافَ فَوَاللَّهِ إِنْ فَعَلْتُمْ لِأَقْصَدَنَّ
مِنْكُمْ إِلَى الَّتِي تُبِيرُ الْأَصْلَ وَتَحْرِبُ الْمَالَ وَتَخْرِبُ الدِّيَارَ.

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَغِيرَةَ ابْنَ شَعْبَةَ حِينَ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَيْهَا.
أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ بَلَغَنِي مَسِيرُكَ إِلَى الْحِجَازِ وَتُرُوكَ مَكَّةَ وَشِدَّتِكَ عَلَى الْمُرِيبِ
وَعَفْوِكَ عَنِ الْمُسِيءِ وَإِكْرَامِكَ لِأَوْلَى النَّهْيِ فَحَمَدْتُ رَأْيَكَ فِي ذَلِكَ فَدُمَ عَلَى
صَالِحٍ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَنْ يَزِيدَ بِالْخَيْرِ أَهْلَهُ إِلَّا خَيْرًا جَعَلَنَا اللَّهُ
وَإِيَّاكَ مِنَ الْأَمْرَيْنِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْقَاصِدِينَ إِلَى الْحَقِّ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا، قَالَ
وَوَجَّهَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى نِبَالَةَ وَبِهَا قَوْمٌ مِنْ شَيْعَةِ عَلِيٍّ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ فَأَخَذَهُمْ
وَكَلَّمَهُ فِيهِمْ وَقِيلَ لَهُ هَؤُلَاءِ قَوْمُكَ فَكَفَّ عَنْهُمْ حَتَّى تَأْتِيكَ بِكِتَابٍ مِنْ بُسْرِ
بِأَمَانِهِمْ، فَجَسَّهُمْ وَخَرَجَ مَنِيعَ الْبَاهِلِيِّ مِنْ عِنْدِهِمْ إِلَى بُسْرِ وَهُوَ بِالطَّائِفِ

يستشفع اليه فيهم فتحمل عليهم بقوم من الطائف فكلموه فيهم وسألوه
الكتاب باطلاقهم فوعدهم ومطلهم بالكتاب حتى ظن انه قد قتلهم القرشي
المبعوث لقتلهم وان كتابه، لا يصل اليهم حتى يقتلوا، ثم كتب لهم فاتى منيع
بمنزله وكان قد نزل على امرء بالطائف ورحله عندها فلم يجدها في منزلها
فوطأ على ناقته بردائه وركب فسار يوم الجمعة وليلة السبت لم ينزل على
راحلته قط فاتهم صخرة وقد اخرج القوم ليقتلوا واستبطىء كتاب بسر فيهم
فقدم رجل منهم فضربه رجل من اهل الشام فانقطع سيفه فقال الشاميون
بعضهم لبعض شمسوا سيوفكم حتى تلين فهزوها وتبصر منيع الباهلى بريق
السيوف فالتمع بثوبه فقال القوم هذا راكب عنده خبر فكفوا وقام به بغيره ونزل
عنه، وجاء على رجله يشد ودفع الكتاب اليهم فاطلقوا وكان الرجل المقدم
الذى ضرب بالسيف اخاه.

وروى على ابن مجاهد عن ابي اسحاق ان اهل مكة لما بلغهم ما صنع
بسر خافوه وهربوا فخرج ابنا عبيد الله ابن العباس وهما سليمان وداود وامهما
حورية ابنته خالد ابن فارط الكنانية ومكنى ام حكيم وهم خلفاء بنى زهرة
وهما غلامان مع اهل مكة فاضلوهما عند بئر ميمون ابن الحضرمي وميمون
هذا هو احق العلاء ابن الحضرمي وهجم عليهما بسر فاخذهما ودبجهما
فقال امهما تريتهما:

يا من احسن يا بنى اللذين هما

كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يا من احسن يا بنى اللذين هما

مخ العظام فمخى اليوم مزردهف

نبت بسرا وما صدقت مازعموا

من قتلهم ومن الأفك الذى اقترفوا

انحى عليّ ودجى ابن بنى مرهفه
مَشْحُوذَةٌ وَكَذَاكَ الْاسْمُ يُقْتَرَفُ
مَنْ ذُلٌّ وَالْهَيْةُ حَرَى مَسْلَبَةٌ
عَلَى صَبِيَيْنِ ضَلَا اِذَا غَدَا السَّلْفُ

وزاد فى الكامل:

من احسن با بنى اللذين هما قلبى وسمعى فقلبى اليوم مختلف
وقد روى ان اسمهما قثم وعبدالرحمن وروى انهما ضلّا فى اخوالهما فى
بنى كنانة وروى ان بسراً انما قتلهما باليمن وانهما ذبحا على درج صنعاء.
وروى عبدالملك ابن نوفل ابن ماحق عن ابيه ان بسراً لما دخل الطائف
وقد كَلَّمَهُ الْمُغِيرَةَ قَالَ لَهُ لَقَدْ صَدَقْتَنِي وَنَصَحْتَنِي فَبَاتَ بِهَا وَخَرَجَ مِنْهَا فَشِيعَهُ
الْمُغِيرَةَ سَاعَةً ثُمَّ وَدَعَهُ وَانصَرَفَ عَنْهُ فَخَرَجَ حَتَّى مَرَّ بِبَنِي كِنَانَةَ وَفِيهِمْ ابْنَا
عَبِيدَ اللَّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَامَّهُمَا فَلَمَّا انْتَهَى بِسْرُ الْيَهُمَا طَلَبَهُمَا فَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
كِنَانَةَ وَكَانَ أَبُوهُمَا اَوْصَاهُ بِهِمَا فَاخَذَ السَّيْفَ مِنْ بَيْتِهِ وَخَرَجَ فَقَالَ لَهُ بُسْرُ ثَكَلْتِكَ
اُمِّكَ وَاللَّهِ مَا كُنَّا اَرَدْنَا قَتْلَكَ فَلِمَ عَرَضْتَ نَفْسَكَ لِلْقَتْلِ قَالَ اُقْتُلْ دُونَ جَارِي
اَعْدِرْ لِي عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ.

ثم شدّ على اصحاب بسر بالسيف حاسراً وهو يرتجز:

آلِيتْ لَا يَمْنَعُ خَافَاتِ الدَّارِ وَلَا يَمُوتُ مِصْلَتَا دُونَ الْجَارِ

الآ فتا اروع غير عذار. فضارب بسيفه حتى قتل ثم قدم الغلامان فقتلا.

فخرج نسوة من بنى كنانة فقالت: امرئة منهن هذه الرجال تقتلهم فما بال
الولدان والله ما كانوا يقتلون فى الجاهلية والاسلام والله ان سلطاناً لا يقوم
(لا يشتد) الا بقتل الزرع (الصبى) الضعيف والشيوخ الكبير ورفع الرحمة (ونزع
الرحمة) وقطع الأرحام لسلطان سوء.

فقال بسر: والله لهممت ان أضع فيكنّ السيف، قالت: والله انه لأحب إلى ان
فعلت.

قال: ثمَّ خَرَجَ بُسْرٌ مِنَ الطَّائِفِ فَأَتَى نَجْرَانَ فَقَتَلَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ عَبْدِ الْمَدَانِ
وَابْنَهُ مَالِكاً وَكَانَ عَبْدِ اللَّهِ هَذَا صَهْرًا لِعَبِيدِ اللَّهِ ابْنِ الْعَبَّاسِ ثُمَّ جَمَعَهُمْ وَقَامَ
فِيهِمْ وَقَالَ.

يا اهل نجران: يا معشر النصارى، واخوان القُرود، اما والله ان بَلَّغْنِي عَنْكُمْ
مَا أَكْرَهَ لِأَعُوذَنَّ عَلَيْكُمْ بِالَّتِي تَقْطَعُ النَّسْلَ وَتَهْلِكُ الْحَرْثَ وَتَخْرِبُ الدِّيَارَ
وَتَهْدُدُهُمْ طَوِيلًا ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى أَرْحَبَ فَقَتَلَ أَبَا كَرْبٍ وَكَانَ يَتَشَبَّعُ وَيُقَالُ أَنَّهُ
كَانَ سَيِّدًا مِنْ كَانٍ بِالْبَادِيَةِ مِنْ هَمْدَانَ فَقَدَّمَهُ وَقَتَلَهُ.

ثمَّ أَتَى صَنْعَاءَ وَقَدْ خَرَجَ عَنْهَا عَبِيدُ اللَّهِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ ابْنُ نَمْرَانَ وَقَدْ
اسْتَخْلَفَ عَبِيدُ اللَّهِ عَلَيْهَا عَمْرُو ابْنُ أَرَاكَةَ الشَّعْفِيُّ فَمَنْعَ بَسْرًا مِنْ دُخُولِهَا وَقَاتَلَهُ
فَقَتَلَهُ بُسْرٌ وَدَخَلَ صَنْعَاءَ وَقَتَلَ مِنْهَا قَوْمًا وَأَتَاهُ وَفَدَّ مَارِبَ فَقَتَلَهُمْ فَلَمْ يَبْجِ مِنْهُمْ
إِلَّا رَجُلًا وَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُمْ أَلْغَى قَتْلَانَا شَيْوْخًا وَشُبَّانًا.

قال هذه الابيات المشهورة لعبدالله ابن اراكاة الثقفي يرثي بها ابنه عمرا:
لعمرى لقد أردى ابن ارطاة فارساً

بصنعاء كاللثيث الهزير ابى الأجر

تُعزَّ فان كان البكاء وُدَّ هالكاً

على آخِدي فأجهد بكأك على عمرو

ولا تبك مَيِّتاً بعد مَيِّتِ احبِّه

على وعباس وآل ابى بكر

قال وروى نمير ابن وعلة عن ابى وذاك قال كنت عند على لما قدم عليه
سعید ابن نمران الكوفة فعتب عليه وعلى عبیدالله ان لا يكونا قاتلاً بسراً، فقال
سعید قد والله قاتلتُ ولكن ابن عباس خذلتنى وابى ان يُقاتل ولقد خلوتُ به
حينَ دَنَامَنَا بُسْرًا، فقلتُ: ان ابن عمك لا يرضى منى ومنك بدون الجُد في
قتالهم قال لا والله ما لنا بهم طاقة ولا يُدان فقمْتُ في الناس فحمدتُ الله.

ثمَّ قلتُ: يا اهل اليمن من كان في طاعتنا وفي بيعة امير المؤمنين فاليئ

فاجابني منهم عصابة فقاتلت قتالاً ضعيفاً وتفرق الناس عني وانصرفت.
قال ثم خرج بسر من صنعاء فاتى اهل حيسان وهم شيعة علي فقاتلهم
وقاتلوه فهزّمهم وقتلهم قتلاً ذريعاً.

ثم رجع الى صنعاء قتل بهامائة شيخ من ابناء فارس لان ابنى عبيدالله ابن
عباس كانا مستترين فى بيت امرئة من ابناء وتعرف بابنة بزرخ.

قال الكلبي وابو مخنف فندب علي اصحابه لبعث سيرته فى اثر بسر
فتشاقلوا اجابه جارية ابن قدامة السعدى فبعته فى الفين فشخص الى البصرة،
ثم اخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن وسأل عن بسر فقيل اخذ فى بلاد بنى
تميم، فقال اخذ فى ديار قوم يمتعون انفسهم وبلغ بسرأ مسير جارية فانحدر
الى اليمامة واخذ جارية ابن قدامه السير وما يلتفت الى مدينة مرّ بها ولا اهل
حصن ولا يعرج على شىء الا ان يرمل بعض اصحابه من الزاد فيأمر اصحابه
بمساواته (بمواساته) او يسقط بعير رجل او تخفى دابة فيأمر اصحابه بان
يعقبوه حتى انتهوا الى ارض اليمن فهربت شيعة عثمان واصابوا منهم وصد
نحو بسر وبسر بين يديه يفر من جهة الى جهة اخرى حتى اخرجته من اعمال
علي كلها فلما فعل به ذلك اقام جارية يحرس نحواً من شهر حتى استراح
واراح اصحابه ووثب الناس يسر في طريقه لما انصرف من بين يدي جارية
لسوء سيرته وفضاظته، وظلمه وغشمه واصاب بنو تميم ثقلاً من ثقله فى بلاده
وصحبه الى معاوية لبيايعه على الطاعة ابن مجاعة ورئيس اليمامة فلما وصل
بسر معاوية قال هذا ابن مجاعة قد اتيتك به فاقتله، فقال معاوية تركته لم تقتله،
ثم جئتني به فقلت اقتله لالعمري لا اقتله، ثم بايعه ووصله واعاده على قومه.

وقال بسر لمعاوية احمد الله انى سرت فى هذا الجيش اقتل عدوك ذاهباً
جائياً لم ينكب رجل منهم نكبه، فقال معاوية الله قد فعل ذلك لانت وكان
الذى قتل بسر فى وجهه ثلاثين الفا وحرق قوماً بالنار فقال يزيد ابن مفرغ.

تَعَلَّقَ مِنْ أَسْمَاءٍ مَا قَدْ تَعَلَّقَا

وَمِثْلُ الَّذِي لَاقَى مِنَ الشُّوقِ أَرْقَا

سَقَى مَنفَعِ الْأَكْنَفِ فَبِجَعِ الْكَلَى

مَنَازِلَهَا مِنْ مَشْرِقَانِ فَشَرَّقَا

إِلَى الشَّرْفِ الْأَعْلَى إِلَى رَامِ هُرْمِزِ

قَرَابَاتِ الشَّيْخِ مِنْ نَهْرٍ أَوْ بَقَا

إِلَى دَسْتِ مَارِينِ إِلَى الشُّطِّ كَلَّهْ

إِلَى مَجْمَعِ السَّلَانِ مِنْ بَطْنِ دُورِقَا

لِي حَيْثُ يَرْجَى مِنْ دَجِيلِ سَقِيفِهِ

إِلَى مَجْمَعِ النَّهْرَيْنِ حَيْثُ تَفَرَّقَا

وَرَوَى أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ: اجْتَمَعَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَبُسْرُ بْنُ أَرْطَاةَ

يَوْمًا عِنْدَ مَعَاوِيَةَ بَعْدَ صَلَاحِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنْتِ أَمَرْتِ اللَّعِينِ

السَّيِّئِ الْقَدَمِ أَنْ يَقْتُلَ ابْنِي؟ فَقَالَ: مَا أَمَرْتِهِ بِذَلِكَ وَلَوْ دَدْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَتَلَهُمَا

فَغَضِبَ بُسْرٌ وَتَرَعَّ سَيْفَهُ وَالْقَاهُ وَقَالَ لِمَعَاوِيَةَ اقْبِضْ سَيْفَكَ عَنِّي قَلْدَتَيْنِهِ

وَأَمَرْتِي أَنْ أَخْبِطَ النَّاسَ بِهِ فَفَعَلْتُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ مَا أَرَدْتَ.

قُلْتُ: لَمْ أَهْوِ وَلَمْ أَمُرْ؟

فَقَالَ: خُذْ سَيْفَكَ إِلَيْكَ فَلَعَمْرِي إِنَّكَ ضَعِيفٌ مَا يَبْقَى حِينَ تَتْلَى السَّيْفَ بَيْنَ

يَدَيْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْفَى قَدْ قَتَلْتَ أُمَّسَ ابْنِيهِ. فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ أَنْتِ حَسِبْتِي يَا

مَعَاوِيَةَ قَاتِلًا بُسْرَ بَاحِدِ ابْنِي هُوَ أَحَقُّرٌ وَأَلَامٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَا أَرَى لِي

مَقْنَعًا وَلَا أَدْرِكُ ثَارًا إِلَّا أَنْ أَصِيبَ بِهَا يَزِيدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ مَعَاوِيَةَ وَمَا ذَنْبُ مَعَاوِيَةَ

وَابْنِي مَعَاوِيَةَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ وَلَا أَمَرْتُ وَلَا رَضَيْتُ وَلَا هَوَيْتُ وَاحْتَمَلْتُهَا مِنْهُ

لَشَرَفِهِ وَسُودَدِهِ.

قَالَ وَدَعَا عَلِيًّا عَلَى بُسْرٍ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ بُسْرًا بَاعَ دِينَهُ بِالْدُنْيَا وَأَنْتَ هَكَذَا

مَحَارِمُكَ وَكَانَتْ طَاعَةٌ مَخْلُوقٍ فَاجْرِ أَثْرَ عِنْدِهِ مِمَّا عِنْدَكَ، اللَّهُمَّ فَلَا تَمُتْهُ حَتَّى

تَسْلُبُ عَقْلَهُ وَلَا تُوَجِّبُ لَهُ رَحْمَتَكَ وَلَا سَاعَةَ مِنْ نَهَارٍ، اللَّهُمَّ الْعَن بُسْرًا وَعَمْرًا
وَمَعَاوِيَةَ وَلِيَجِلَّ عَلَيْهِمْ غَضَبُكَ وَلِتَنْزِلَ بِهِمْ نِقْمَتُكَ وَلِيَصْبِهِمْ بِأَسْكَ وَزَجْرِكَ
لَا تُرَدِّدْهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرَمِينَ فَلَمْ يَلْبِثْ بُسْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى وَسَّوَسَ
وَذَهَبَ عَقْلُهُ فَكَانَ يَهْدِي بِالسَّيْفِ وَيَقُولُ اعْطُونِي سَيْفًا أَقْتُلُ بِهِ لَا يَزَالُ يُرَدِّدُ
ذَلِكَ حَتَّى اتَّخَذَ لَهُ سَيْفٌ مِنْ خَشَبٍ وَكَانُوا يَدْنُونَ مِنْهُ الْمَرْفِقَةَ فَلَا يَزَالُ يَضْرِبُهَا
حَتَّى يَفْشَى عَلَيْهِ فَلَبِثَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ.

قال الشَّارِحُ بَعْدَ نَقْلِهِ مَا نَقَلْنَاهُ مَا هَذَا الْفِطْرَةُ:

قلت: كان مسلم ابن عَقْبَةَ وَمَا عَمِلَ لِمَدِينَةٍ فِي وَقْعَةِ الْحَرَّةِ كَمَا كَانَ بُسْرٌ
لِمَعَاوِيَةَ، وَمَا عَمِلَ فِي الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَمَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ.

نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا

نَبْنِي وَنَفَعَلْ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

أقول: ما ذكرناه في قِصَّةِ بُسْرٍ نَقَلْنَاهُ عَنِ الشَّرْحِ الْمُعْتَزَلِيِّ وَقَدْ نُقِلَ فِي بَعْضِ
التَّوَارِيخِ بِطَرِيقٍ آخَرَ وَلَا مَشَاحَةَ فِيهِ فَإِنَّ الْأَمْرَ سَهْلٌ.

□ قوله ﷺ: وَأَنِّي وَاللَّهِ لَا أَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيِّدُ الْوُنَّ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيَّ
بِاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنِّي حَقِّكُمْ إِلَى قَوْلِهِ وَفَسَادِكُمْ...

ثم بعد ذلك أَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِأَنَّهُمْ أَيُّ مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُ سَيَغْلِبُونَ عَلَيْكُمْ هَذَا،
قَالُوا فِي شَرْحِ الْعِبَارَةِ سَيِّدُ الْوُنَّ مِنْكُمْ، يَغْلِبُونَ عَلَيْكُمْ، وَلِقَائِلُ أَنْ يَقُولَ لَوْ كَانَ
الْغَرَضُ مَا ذَكَرُوهُ فَلِمَ لَمْ يَقُلْ ﷺ سَيَغْلِبُونَ مِنْكُمْ، مَعَ أَنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ فِي
الْفِصَاحَةِ بَاضْعَفٍ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: سَيِّدُ الْوُنَّ مِنْكُمْ لِمَجِيئِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَالَ
اللَّهُ الْمَ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبَتِهِمْ سَيَغْلِبُونَ.

فلو لم تكن هذه الكلمة فصيحة لما وجدت في القرآن وقد أجمعوا على
فصاحته بجميع حروفه وكلماته.

والذي يختلج بالبال في وجه التعبير بها هو أن المقصود لم يكن الأخبار
بغلبتهم عليهم فقط بل المقصود مضافاً إلى الغلبة جعل الخلافة والحكومة

بينهم متداولاً واحداً بعد واحداً.

قال في المنجد مادّه دُول ادالّ ادالّه، الشّيء جَعَلَهُ متداولاً الله بنى فلان من عدّوهم جعل الكَرّة لهم عليه، الله زيد امن عمرو، نزع الدّولة من عمرو وحوّلها الى زيد، انتهى.

وعليه فالمحتملات في هذه الكلمة ثلاثة:

احديها: ان يكون اللفظ بظاهره من غير تصرف فيه بجعله المضارع المجهول من باب ادالّ يُدِيلُ إدالة. فيصير المجهول أديل، يُدَالُ ادالة: ثم انّ السّين لحقته للدّلالة على انّ الامر واقع قريباً لابعيداً كما هو فائدة التأكيد بالسّين وسوف وهذا ظاهر.

وثانيها: ان يكون الفعل معلوماً غير مبنيّ للمفعول من باب داوّل يُدَاوِلُ مداولةً وعليه فالفعل محذوف الواو ولعلّة سَقَطَ من قلم الكاتب والاصل سيّدالون، ومعناه صَيَّرَ الأمر لهؤلاء تارةً ولهؤلاء اخرى وهذا المعنى ايضاً لا بأس به لكون الخلافة بعده كذلك في بنى امية.

وثالثها: ان يقال من تداوّل يتداوّل مُتداولة، يقال تداولته الأيدي تعاقبته اي اخذته هذه مرّة وهذه مرّة، قد أوّل الشّيء بينهم اي تتأقّلوه وقلّبوه بين أيديهم وتناوّبوه وعليه فالاصل في العبارة سيتداولون بحذف التاء والواو وحيث انّ الاضمار خلاف الاصل فالقول الأوّل هو المُتَّبِعُ فظهران غرضه الغلبة: الغلبة لمعاوية واصحابه على سبيل التداول بين الأمويين وهذا منه اخبار عن الوقائع المستقبلية وحيث انه صدر الكلام بكلمة (أنى) وهي للتأكيد واو القسم مع اسم الجلالة فقد دلّ على انه امر سيقع كما هو كان كذلك، ثم استدلّ على مدّعاه بامور ثمانية.

احديها قوله الغلبة: بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَىٰ بَاطِلِهِمْ...

وهو مُشْعِرٌ بأنّ الاجتماع والاتفاق على ايّ امرٍ من الامور يوجب البلوغ الى المرام والوصول الى المقصد وان كان الاجتماع باطلاً في نفسه والمقصد ايضاً

باطلاً وذلك لأن في نفس الأَجماع ووحدرة الكلمة اثرٌ خاصٌ وهو ممّا لا كلام فيه.

وثانيها قوله ﷺ: **وَتَفَرِّقُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ...**

وهذا هو الثاني من الأدلة الموجبة للمغلوبيّة والمَقهوريّة فاذا كان الأَجماع موجباً للغلبة كما ذكره ﷺ أولاً فلامحالة تكون التفرقة وهي ضدّ الأَجماع موجبة وباعثة للمغلوبيّة لأستحالة اجتماع الضدين.

وبعبارة اخرى: اما ان تكون التفرقة هي عدم الأَجماع والوحدة فتكون نقيضة له، واما ان تكون امراً وجودياً فتكون ضده فعلى الاول:
لا يمكن لا اجتماعهما ولا ارتفاعهما لأستحالة اجتماع النقيضين وارتفاعهما.

واما على الثاني: اى القول بكونهما ضدين مع انه خلاف التحقيق فان التشتت والافتراق ليس الا عدم الاتفاق وليس من الأمور الوجودية بشى فالأمر يدور مدارهما على الفرض فوجود احدهما يستلزم انتفاء الآخر وبالعكس.

وثالثها قوله ﷺ: **وَبِمَعْصِيَتِكُمْ اِمَامَكُمْ الْحَقَّ...**

وذلك لكونهم اى اهل الكوفة غير مطيعين له ﷺ، بل اكثرهم كانوا منكرين مخالفين له ﷺ مع انه ﷺ كان على الحق بلا كلام ومن عصى امامه فى الحق فقد عصى الله واقعاً فقوله هذا اشارة الى عصيانهم أولاً وكونه اماماً حقاً ثانياً.

ورابعها قوله ﷺ: **وَطَاعَتِهِم اِمَامَتُهُمْ فِي الْبَاطِلِ...**

اى وطاعة اصحاب معاوية فى الباطل، وذلك لانهم كانوا مُطيعين لمعاوية مع انه كان على الباطل ولا شك ان الاتفاق على الباطل يُوجب الغلبة على الحق ظاهراً وان لم يكن كذلك واقعاً فان للحق دولة وللباطل جولة.

وخامسها قوله ﷺ: **وَبِادَائِهِمُ الْاَمَانَةَ اِلَى صَاحِبِهِمْ...**

يمكن ان يكون المقصود بالامانة فى كلامه ﷺ: الامانة التى يعرفها الناس ويمكن ان يكون المراد بها الثبات والاستقرار على البيعة والعهد.

فعلى الاول: يكون المراد بالصاحب صاحب الأمانة.

وعلى الثانى: الامام الذى بايعوه والتزموا بمتابعته واطاعته والمعنى الاول، وان كان أنسب بسياق العبارة إلا ان الثانى أوفق بنظم الكلام ويؤيده قوله عليه السلام صاحبهم دون صاحبها اذ لو كان المراد بها المعنى الاول فحق العبارة ان يقال: الى صاحبها اى صحاب الأمانة وحيث أنه عليه السلام عبر بقوله صاحبهم فلايبعد ارادة الثانى وعليه فالمعنى ان اصحاب معاوية مع أنهم على الباطل لكنهم يوفون بعهدهم وميثاقهم ولا يخالفونه فى باطلهم بخلاف اصحابه فأنهم مع أنهم على الحق كانوا يسلكون مسلك التفاق والشقاق فنكثت طائفة ومرقت آخرون. واما على المعنى الاول فظاهر.

وسادسها قوله عليه السلام: وَخِيَانَتِكُمْ صَاحِبِكُمْ...

والكلام فيه كالكلام فى الجملة السابقة وقد ظهر معناه ايضاً مما ذكرناه فيها.

وسابعها قوله وَبِصْلَاحِهِمْ فِى بِلَادِهِمْ...

والمقصود أنهم اى معاوية واصحابه كانوا يتجاوزون ويتعدون فى غير

بلادهم وعلى غير من يكون فيها واما فى بلادهم فلا.

وثامنها قوله عليه السلام: وَقَسَادِكُمْ...

وهذا اشارة الى ان مرام اصحابه كان بخلاف اصحاب معاوية وذلك لانهم لم يكونوا بصدد صلاح بلادهم واهليها ولذلك كانت آرائهم مشتتة واهوائهم مختلفة وقلوبهم منكدرة مخروبة، وان كانت اجسادهم ملتصقة مقترنة.

□ قوله عليه السلام: فَلَوْ اَتَمَمْتُمْ اَحَدَكُمْ عَلَى قُعْبٍ لَّخَشِيتُ اَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ...

ثم بالغ عليه السلام فى ذمهم بالخيانة على طريق الكناية وقال عليه السلام فلوا اتممت احداكم على قعب اى على قدح من خشب مقعر لخشيت ان يذهب ذلك القعب بعلاقته ومن كان كذلك فكيف يؤتمن فى الامور المهمة.

□ قوله عليه السلام: اَللّٰهُمَّ اِنِّى قَدْ مَلِيتُهُمْ، وَمَلُوْنِى وَسَمَّيْتُهُمْ وَسَمَّوْنِى...

ثم شكى الى الله سبحانه وتعالى بقوله عليه السلام: اَللّٰهُمَّ اِنِّى قَدْ مَلِيتُهُمْ لكثرة ما

تَكَرَّرَ مِنْهُ ﷺ الْأَمْرَ لَهُمْ بِالْجِهَادِ وَالذَّبِّ عَنِ دِينِ اللَّهِ الْمَنَافِي لَطِبَاعِهِمْ وَالْمَنَافِرِ عَنْهُ قُلُوبُهُمِ الْمَشْغُولَةَ بِالْدُنْيَا وَزَخَارِفَهَا وَمَلَوْتِي، لِأَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَى تَحْصِيلِ مَرْضَاتِهِ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دَعْوَتَهُ ﷺ إِلَّا فِرَاراً وَقَرِيباً مِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ ﷺ: وَتَسَمُّتُهُمْ وَتَسَمُّونِي فَإِنَّهُ أَيْضاً بِمَعْنَى الْمَلَالَةِ وَمَا شَابِهَا وَتَغْيِيرِ اللَّفْظِ مَعَ كَوْنِ الْمَعْنَى وَاحِدٍ الْفِرَارِ عَنِ التَّكْرَارِ الْمُسْتَهْجَنِ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ.

○ قَوْلُهُ ﷺ: فَأَبْدَلْتَنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَأَبْدَلْتَهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي...

ثُمَّ أَرَدَفَ ﷺ: مَا ذَكَرَهُ بِالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فِي الْخِلَاصِ مِنْهُمْ، ثُمَّ بِالذَّعَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِشَارٍ إِلَى الْأَوَّلِ بِقَوْلِهِ ﷺ: فَأَبْدَلْتَنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ، وَأَلْبَاءٌ فِي قَوْلِهِ ﷺ: بِهِمْ (لِلْبَدْلِ) وَإِلَى الثَّانِي بِقَوْلِهِ ﷺ: وَأَبْدَلْتَهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ﷺ: قَدْ دَعَا اللَّهَ لِنَفْسِهِ أَنْ يُبَدِّلَهُ خَيْراً مِنْهُمْ أَمَّا فِي الدُّنْيَا قَوْماً ضَالِحِينَ يَنْظُرُونَ بِنُورِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْآخِرَةُ قَوْماً غَرَقُوا فِي مَطَالَعَةِ أَنْوَارِ كِبْرِيَاءِ اللَّهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنِ أَوْلَادِكَ رَفِيقاً.

وَأَمَّا الثَّانِي: فَقَدْ دَعَا اللَّهَ أَنْ يُبَدِّلَهُمْ شَرّاً مِنْهُ ﷺ، وَهُوَ مَشْعِرٌ بِعَدَمِ لِيَاقَتِهِمْ وَاسْتِعْدَادِهِمْ لِعَدَمِ وَجُودِ السَّنَخِيَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ﷺ.

قَالَ الشَّارِحُ الْمُحَقِّقُ الْبَحْرَانِيُّ (قَدَّه) بَعْدَ شَرْحِهِ لِهَذِهِ الْعِبَارَةِ قَرِيباً مِمَّا ذَكَرْنَاهُ مَا هَذَا الْفِظَةُ:

فَإِنْ قُلْتَ - أَنْ صَدُورَ مِثْلِ هَذَا الدَّعَاءِ مِنْهُ ﷺ، مَشْكَلاً مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا أَنَّهُ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ هُوَ ذَا شَرٍّ وَقَدْ ثَبَّتَ أَنَّهُ كَانَ مُنْزَهاً عَنِ الشَّرِّ. الثَّانِي أَنَّهُ كَيْفَ يَجُوزُ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوا بِوُجُودِ الشَّرِّ وَوُجُودِ الْأَشْرَارِ. قَالَ (قَدَّه):

قُلْتَ - الْجَوَابُ عَنِ الْأَوَّلِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا أَنْ صِغَةَ أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ كَمَا تَرَدَّدَ لِأَثْبَاتِ الْأَفْضَلِيَّةِ كَذَلِكَ قَدْ تَرَدَّدَ لِأَثْبَاتِ الْفَضِيلَةِ وَحَاحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: شَرّاً مِنِّي أَيْ أَبْدَلْتَهُمْ بِمَنْ فِيهِ شَرٌّ غَيْرِي.

الثانى ان تكون شراً منى بحسب عقائدهم إن فى شراً عليهم واعتقادهم انه ذو شر لا يوجب كونه كذلك وعن الثانى من وجهين:
احدهما انه لما كان فى دعاء الله ان يبدلهم من هو شر منه مصلحة تامة حسن منه ذلك وبيان المصلحة من وجهين:

احدهما ان صدور ذلك الدعاء منه عليه السلام بمشهد منهم ومسمع من اعظم الاسباب المخوفة الجاذبة لأكثرهم الى الله تعالى وذلك مصلحة ظاهرة. وثانيهما ان نزول الأمر المدعو به عليهم بعده مما ينبئهم على فضله ويذكرهم انه لم يصبهم ذلك الا لتركهم اوامر الله تعالى وخروجهم عن طاعته فيتفقهروا عن مسالك الغى والفساد الى واضح سبيل الرشاد، ويكون ذلك بلاء من الله لهم.

الثالث لعله انما دعا عليهم لعلمه بانه لا يرجئ صلاحهم فيما خلقوا لأجله مما يدعوهم اليه ومن لا يرجئ صلاح حاله مع فساد نظام العالم بوجوده ولزومه لىما يضاد مطلوب الله منه فعده أولى من وجوده فكان دعائه عليهم إذن مندوباً اليه وعلى ذلك ايضاً يحتمل دعائه عليهم، اللهم ميث قلوبهم كما يُمات الملح فى الماء الى آخر ما قال (قده).

ثم ان الشارح الخوئى (قده) قد ذكر الاشكال والجواب على نحو ما ذكرناه فى كتابه والظاهر انه (قده) أخذه عن البحرانى لتقدم زمانه وشرحه على الخوئى وشرحه بقرون كثيرة فلا يحتمل العكس الا انه (قدس سره) لم يتعرض فى شرحه للبحرانى وشرحه ولم يقل انه قال كذا وكذا وليس هذا اول قارورة كسرت فى الإسلام.

وعلى اى تقدير هذا هو الاشكال والجواب وعليك بالتدبر فى المقام فان الشارح البحرانى (قده) قد أوقع نفسه فى مخصصة لم يمكن له الفرار منها وكلما ذكره فى الجواب فهو أوهن من بيت العنكبوت واما سائر الشراح كالخوئى وغيره فقد أخذوا منه فلا يُعبأ بكلامهم فى هذا المورد.

أما أولاً: فلكونهم آخِذين منه ما أخذوه.

وثانياً: لأنَّ الموضوع من الأمور العقليَّة الدَّقِيقَة والسَّارِح الخوئى والمعتزلى وامثالهما لا يمكن لهم الخوض فيها وهذا بخلاف البحرانى (قدَّس سرّه) فإنّه من فحول العلماء على ما هو المشهور والمُتَراى من كلماته وتأليفاته واساتيد الفلّسفة على ما يدعى ويدعُونَ له فكيف تَقُول بهذه الأفاويل وتكلم بهذه الكنمات الخارجة عن الأصطلاح وحيث أنجَرَ الكلام الى هذا البحث مع أنّه خارج عن طور الكتاب فلا بدّ لنا من التكلّم فيه حسب ما يقتضيه الحال والمقام ليُتضح المقال وقبل التّعرض لبيان ما وقع له من الخلل وتوضيح موارد الضعف فى كلامه نوضّح لك معنى الخير والشرّ بحسب ما اصطَلَحُوا عليه فنقول: قال صدر الدّين الشّيرازى (قدَّس سرّه) فى الأسفار ما هذا الفظه.

انّ الخير ما يَتَشَوِّقُه كَلُّ شَيْءٍ وَيَتَوَخَّاهُ وَيَتَمُّ بِهِ قِسْطُهُ مِنَ الْكَمَالِ الْمُمْكِنِ فِي حَقِّهِ وَيَكُونُ كُلُّ ذَاتٍ مُؤَلِّيه وَجَهَ الْقَصْدِ إِلَى شَطْرِهِ فِي ضَرُورِيَّاتٍ وَجُودِهَا وَأَوَائِلِ فِضْرَتِهَا وَفِي مَكْمَلَاتِ حَقِيقَتِهَا وَمُتَمَمَّاتِ صِفَاتِهَا وَأَفْعَالِهَا وَثَوَانِي فَضَائِلِهَا وَلِوَاجِبِهَا.

فالخير المُطْلَقُ الَّذِي يَتَشَوِّقُه كَلُّ الْأَشْيَاءِ وَيَتَمُّ بِهِ أَوْ بِمَا يَفِيضُ مِنْهُ ذَوَاتِهَا وَكَمَالَاتُ ذَوَاتِهَا هُوَ الْقِيَوْمُ الْوَاجِبُ بِالذَّاتِ جَلُّ ذِكْرِهِ لِأَنَّهُ وَجُودٌ مُطْلَقٌ لَا نَقْصَ فِيهِ وَنُورٌ مَحْضٌ وَبِهَاءٌ مَحْضٌ وَتَامٌ فَوْقَ التَّمَامِ فَيَعِشْقُهُ، وَيَتَشَوِّقُه كَلُّ مُمْكِنٍ بِطَبَاعِ امْكَانِهِ وَكَلُّ مَوْجُودٍ دُونَهُ بِطَبَاعِ نَقْصَانِهِ فَيَخْضَعُ لَهُ كَلُّ مَعْلُولٍ بِقَوَامِ مَعْلُولِيَّتِهِ وَفَقْرِهِ فَكُلُّ مَا سِوَاهُ لَا يَخْلُوعُ مِنْ شَوْبِ نَقْصٍ وَفَقْرٍ فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ الْمَعْلُولَاتِ خَيْراً مَحْضاً مِنْ كُلِّ جِهَةٍ بَلْ فِيهِ شَوْبٌ شَرِّيَّةٌ بِقَدْرِ نَقْصَانِ دَرَجَتِهِ عَنِ دَرَجَةِ الْخَيْرِ الْمَطْلُوقِ الَّذِي لَا يَتَهَيَّئُ خَيْرِيَّتُهُ إِلَى حَدٍّ وَلَا يَكُونُ فَوْقَهُ غَايَةً قَالَ (قَدَّهُ).

وللشرّ معنى آخر، هو المُصْطَلَحُ وهو فَقْدُ ذَاتِ الشَّيْءِ أَوْ فَقْدُ كَمَالٍ مِنْ الْكَمَالَاتِ الَّتِي يَخْصُهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ ذَلِكَ الشَّيْءُ بَعِينَهُ، وَالشَّرُّ عَلَى كَلَامِ

المعنيين أمرٌ عَدَمِيٌّ وان كان له حصولٌ في بعضِ كحصولِ الاعلامِ والمَلَكاتِ
والأمكاناتِ للأشياءِ ضَرْباً من الحُصولِ في ظرفِ الانْتِصافِ ولأجلِ ذلكِ قالتِ
الحكماءُ انَّ الشَّرَّ لا ذاتٍ له بل هو امرٌ عَدَمِيٌّ إمَّا عدمِ ذاتٍ او عدمِ كمالٍ.

ثمَّ استدلَّ عليه وقالِ والدليلُ انَّهُ لو كان امرأً وجودياً لكان امراً شراً لنفسه، او
شراً لغيره، لاجازتِ ان يكون لنفسه والآلَمُ يُوجدُ لأنَّ وجودِ الشَّيءِ لا يقتضى
عدمِ نفسه ولا عدمِ شىءٍ من كمالاته ولو اقتضى الشَّيءُ عدمِ بعضِ ماله من
الكمالاتِ لكان الشَّرُّ هو ذلكِ العدمِ لا هو نفسه ثمَّ كيف يتصوَّرُ ان يكون
الشَّيءُ مُقتضياً لعدمِ كمالاته مع كون جميعِ الأشياءِ طالبةً لكمالاتها اللاتِّقَّةُ بها
والعنايةُ الالهيةُ كما اشير اليها لانقتضى اهمالِ شىءٍ بل توجب اىصالِ كلِّ شىءٍ
الى كماله فيكون الأشياءُ بطبائعها وغرائزها طالبةً لكمالاتها وغاياتها لامقتضية
لعدمها ونقصانها.

ولا جازتِ ان يكون الشَّرُّ على تقديرِ كونه وجودياً شراً لغيره لأنَّ كونه شراً
الغيره إمَّا ان يكون لأنه يعدم ذلك الغير او يعدم بعضِ كمالاته او لأنه لا يعدم
شيئاً.

فان كان كونه شراً لكونه مُعدِماً للشَّيءِ او لبعضِ كمالاته فليس الشَّرُّ إلا
عَدَمُ ذلكِ الشَّيءِ او عَدَمُ كمالاته لانفسِ ذلكِ الامرِ الوجودى المُعْدَمُ وان لم
يكن مُعدِماً لشيءٍ اصلاً فليس بشراً لما فرضَ انَّهُ شَرٌّ له فانَّ العلمَ الضَّرورى
حاصلٌ بانَّ كلِّما لا يوجب عَدَمُ شىءٍ ولا عدمِ كماله فأنه لا يكون شراً لعدمِ
استضراره به واذا لم يكن الشَّرُّ الذى فرضناه امرأً وجودياً شراً لنفسه ولا شراً
لغيره فلا يجوز عدُّه من الشَّرِّ وصورةُ هذا القياسِ على نظمه الطَّبِيعى هكذا.

لو كان الشَّرُّ امرأً وجودياً لكان الشَّرُّ غير شَرٍّ، والتالى باطل، فكذا المقدم
وبيان اللزوم وبطلان التالى ما مرَّ تقريره فعلم انَّ الشَّرَّ امرٌ عَدَمِيٌّ لا ذاتٍ له إمَّا
عدمِ ذاتٍ او عدمِ كمالِ ذاتٍ.

ثمَّ قال.

وانت اذا تأملت واستقرت معانى الشرور واحوالها ونسبها وجدت كلما يطلق عليه اسم الشر لا يخرج من امرين:

فانه اما عدم محض او مؤذ الى عدم فيقال شر لمثل الموت والجهل البسيط والفقر والضعف والتشويه من الخلقة ونقصان العضو والقحط وامثالهما من عدميات محضة، ويقال شر لما هو مثل الألم والحزن والجهل المركب وغير ذلك من الامور التي فيها ادراك لمبدء ما وسبب ما لا فقد لمبدء ما وسبب ما فقط فان السبب المضر المنافى للخير والكمال الموجب للفقد والزوال قسمان:

القسم الاول: ما كان مواصلاً للمضرور به المؤلف من جهة وجوده فيدركه مدرك عدم الصحة والسلامة كمن يتأذى بفقدان اتصال عضو بوجود حرارة ممزقة له قطعة لذاعة فانه من حيث يدرك فقدان الاتصال وزوال الصحة بقوة شاعرة في مادة ذلك العضو وطبيعته يدرك بتلك القوة بعينها السبب المؤذى الحار ايضاً فيكون هناك ادراكا، ادراك امرٍ عدمي على نحو ادراك سائر الامور العدمية، وادراك امرٍ وجودي على نحو ادراك سائر الامور الوجودية وهذا المدرك الوجودي ليس شراً في نفسه بل بالقياس الى هذا الشيء واما المدرك الآخر من عدم الكمال وزوال الاتصال فهو شر في نفسه وليس شراً بالقياس اليه فقط حتى يتصور له وجود ليس يكون بحسبه شراً بل وليس نفس وجوده إلا شراً فيه وعلى نحو كونه شراً فان العمى لا يجوز ان يكون الا في العين ومن حيث هو في العين لا يجوز ان يكون شراً وليس له جهة اخرى يكون بها غير شر بخلاف ذلك الامر الوجودي المضر المولم، فان الحرارة المؤذية او الخلط اللذاع او السم القاتل يتصور لهما نحو آخر من الوجود لا تكون بحسبه شراً بل خيراً.

والقسم الثاني: ما كان غير مواصلي للمضرور به كالتحباب المضلل المانع لأشراق الشمس على المحتاج اليه في استكمالها بالتسخين وكالبرد المفسد للثمار والمطر المانع عن تبيض الثوب فان كان المفتقر الى الاستكمال ذراكاً

أَدْرِك فَقَدْ كَمَالَهُ وَعَدَمَ انْتِفَاعِهِ وَلَكِنْ لَمْ يُدْرِكْ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ يَدْرِكُ لِذَلِكَ إِنْ
السَّحَابِ قَدْ حَجَبَ أَوْ الْمَطَرِ قَدْ مَنَعَ أَوْ الْبَرْدِ قَدْ أَفْسَدَ ثَمَارَهُ بَلْ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ
مُدْرِكٌ بِقُوَّةِ اللَّمْسِ وَهِيَ بِالْحَقِيقَةِ عَادَتُهُ لِلْكَمَالِ اللَّمْسِ وَفَاقِدَةُ لِلسَّلَامَةِ
وَالِاعْتِدَالِ الْمَزَاجِيِّينَ وَهِيَ أَيْضاً مَدْرِكَةٌ لِهَذَا الشَّرِّ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي هُوَ الْعَدَمُ
وَالْفَقْدَانُ.

وَأَمَّا الْمُدْرِكُ لِلْمُزِيلِ الْمَانِعِ كَالسَّحَابِ هِيَهْنَا فَهُوَ الْبَصَرُ لِقُوَّةِ اللَّمْسِ،
فَلَيْسَ هُوَ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مُبْصَرٌ مَتَأَذِيّاً عَنِ السَّحَابِ وَلَا مَتَضَرِّراً مِنْهُ وَلَا مُتَّقِصاً
بَلْ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ ذَالِمِيسٍ وَذَاقُوَّةٍ لِمَسِيَّةٍ وَالْقُوَّةِ اللَّمْسِيَّةِ، لَا تَدْرِكُ السَّحَابَ
الْمُعْدِمَ لِكَمَالِهِ بَلِ الَّذِي تَدْرِكُهُ هَذِهِ الْقُوَّةُ هُوَ عَدَمُ الصَّحَّةِ وَزَوَالُ الْكَيْفِيَّةِ
الْمَلَائِمَةِ فَالشَّرُّ بِالذَّاتِ هُوَ الْعَدَمُ وَلَا كَلَّ عَدَمِ بَلِ عَدَمِ وَاصِلِ إِلَى الشَّيْءِ وَلَا كَلَّ
عَدَمِ وَاصِلِ إِلَيْهِ فَإِنَّ عَدَمَ الْحَلَاوَةِ فِي قُوَّةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لَيْسَ بِشَرِّ لِهَمَا بَلِ عَدَمِ
وَاصِلِ إِلَيْهِ يَكُونُ عَدَمٌ مُقْتَضِي طَبِيعَتِهِ مِنَ الْكَمَالَاتِ الَّتِي تَخْصُ لِنَوْعِهِ
وَطَبِيعَتِهِ.

ثُمَّ قَالَ: وَأَمَّا الْوُجُودَاتُ فَهِيَ كُلُّهَا خَيْرَاتٌ أَمَّا مُطْلَقاً، إِي بِالذَّاتِ وَبِالْقِيَاسِ
جَمِيعاً أَوْ بِالذَّاتِ وَلَكِنْ قَدْ يَعْضُهَا بِالْقِيَاسِ إِلَى بَعْضِ الْأَشْيَاءِ إِنْ يُودَى إِلَى
عَدَمِهِ أَوْ عَدَمِ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ وَيُقَالُ لَهَا الشَّرُّ بِالْعَرَضِ وَهُوَ الْمُعْدِمُ الْمُزِيلُ أَوْ
الْجَالِسُ الْمَانِعُ لِلْخَيْرِ عَنِ مُسْتَحَقِّهِ أَوْ الْمَضَادُّ الْمُنَافِي لِكَمَالِ يِقَابِلِهِ وَخَيْرِ
يُضَادِّهِ، وَسَاقَ الْكَلَامَ بِذِكْرِ الْأَمْثَلَةِ وَغَيْرِهَا إِلَى إِنْ قَالَ:

فَإِذَا تَصَفَّحْتَ عَنِ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الْمَوْجُودَةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْمَسْمُومَةِ عِنْدَ
الْجَمْهُورِ شُرُوراً لَمْ تَجِدْهَا فِي أَنْفُسِهَا شُرُوراً هِيَ شُرُورٌ بِالْعَرَضِ خَيْرَاتٌ
بِالذَّاتِ كَمَا مَرَّ بَيَانُهُ بِالْوَجْهِ الْقِيَاسِيِّ، أَنْتَهَى مَا ذَكَرَهُ بِالْفَازِظَةِ وَعِبَارَاتِهِ.
وَأَمَّا ذَكَرْنَا مَا ذَكَرْنَاهُ بِطَوْلِهِ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ الْفَلَسَفَةَ انْتَفَقُوا عَلَى أَنَّ الشُّرُورَ أُمُورٌ
عَدَمِيَّةٌ وَإِنَّ مَا سِوَى الْوَاجِبِ تَعَالَى لَهُ حَظٌّ مِنَ الشَّرِّ كَائِناً مِنْ كَانَ وَالَّذِي لَيْسَ
بَشَرٌّ بِجَمِيعِ أَنْحَائِهِ وَأَقْسَامِهِ هُوَ الْحَقُّ الْمَتَعَالِ لِغَيْرِهِ.

وبذلك قد ظهر لك ان الممكن عقوله ونفوسه جواهره وأعراضه لا يخلوا عن شائبة الشر إلا ان الشر فيه بقدر نقصان درجته عن درجة الخير المطلق الذي لا تنتهي خيريته الى حد ولا يكون فوقه غاية ولا شرفاً اذا عرفت هذا فلنرجع الى متن.

□ قوله ﷺ: وَأَبْدِلُهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي، يُحْمَلُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَلَا اشْكَالَ فِيهِ اصْطِلَاحًا وَلَا مَنَافَاةً فِيهِ إِذَا قَلْنَا بِإِرَادَةِ التَّفْضِيلِ مِنْهُ كَمَا هُوَ ظَاهِرُهُ وَذَلِكَ لِأَنَّ امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ لَمْ يَكُنْ بِوَاجِبِ الوجودِ قَطْعًا نَعُودًا بِاللَّهِ مِنْهُ بَلْ هُوَ ﷺ كَانَ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ وَالْمَعْلُولَاتِ لَهُ تَعَالَى إِلَّا أَنْ وَجُودَهُ ﷺ كَانَ أَقْرَبَ الوجودَاتِ إِلَى الْعِلَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَشْرَفَ وَأَقْرَبَ إِلَى الْحَقِّ مِنْهُ ﷺ وَهَذَا مِمَّا لَا كَلَامَ لَنَا فِيهِ وَيُؤَيِّدُهُ الْإِدْلَاءُ الْعَقْلِيَّةُ وَالنَّقْلِيَّةُ وَقَدْ فَرَعْنَا عَنْ بَحْثِهِ وَاثْبَاتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْبَيِّنِ وَالْقَطْعِ رُغْمًا لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يُمْكِنُ لَهُمُ الْإِتِمَانُ بِهِ تَعْصَبًا مِنْهُمْ وَعِنَادًا أَوْ نَحْنُ نَقُولُ ذَرَّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ.

فَإِذَا اثْبَتْنَا امْكَانَهُ ﷺ، وَعَدَمَ وَجُودِهِ وَقَدْ ثَبِتْنَا أَنَّ الْمُمْكِنَ زَوْجٌ تَرْكِيبِيٌّ لَهُ مَاهِيَّةٌ وَوَجُودٌ وَثَبِتْنَا أَيْضًا أَنَّ الوجودَ هُوَ الْخَيْرُ وَالْخَيْرُ لَيْسَ إِلَّا الوجودُ فَحَيْثُ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ وَجُودًا بَحْتًا وَنُورًا مُحَضًّا بِالشَّائِبَةِ ظَلْمَةٍ وَمَاهِيَّةٍ فَلَا جَرَمَ لَهُ حَظٌّ مِنَ الشَّرِّ مِنْ جَانِبِ مَاهِيَّتِهِ الْأَمْكَانِيَّةِ الَّتِي لَيْسَتْ إِلَّا ظَلْمَةٌ وَبِذَلِكَ يَثْبُتُ كَوْنُهُ شَرًّا مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَإِنْ كَانَ خَيْرًا مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ. وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ لَهُ ﷺ مَاهِيَّةٌ وَوَجُودٌ الْخَيْرَاتُ كُلُّهَا مِنْ لَوَازِمِ الوجودِ وَالشَّرُّ وَالْأَفَاتُ مِنْ جَانِبِ الْمَاهِيَّةِ الْأَمْكَانِيَّةِ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ لِلْمَاهِيَّةِ لَوَازِمًا مِنَ الشَّرِّورِ فَلَا أَقْلَ مِنْ كَوْنِهَا فِي حَدِّ نَفْسِهَا مُتَّصِفَةً بِهِ كَيْفَ لَا وَهِيَ الَّتِي أَوْجَبَتْ لِلْمُمْكِنِ الْفَقْرَ الذَّاتِي كَمَا قَالَ سَيِّدُ الرَّسْلِ الْفَقْرَ فَخْرِي، فَإِنَّ الْفَقْرَ الْمَقْصُودَ مِنْهُ هُوَ الْفَقْرُ الْأَمْكَانِي لِأَنَّ الْفَقْرَ الْإِصْطِلَاحِي الْمَتَعَارَفَ بَيْنَ النَّاسِ اعْنَى الْفَقْرَ فِي الْمَالِ.

وَلَا شَكَّ فِي كَوْنِ الْفَقْرِ أَمْرًا عَدْمِيًّا لِأَنَّهُ عَدَمُ الْغِنَى وَالْأَعْدَامُ شَرُّورٌ كَمَا أَنَّ الشَّرُّورَ أَعْدَامٌ فَثَبِتْنَا أَنَّهُ ﷺ مِنْ جِهَةِ فَقْرِهِ إِلَى اللَّهِ الَّذِي يَنْشَأُ مِنْ حَيْثُ الْمَادَّةُ

والماهية الأمكانية المسبوقة بالعدم والملحوق به ايضاً، غير قائم بذاته وجوداً محتاجاً الى الله تعالى في قوامه وبقائه غير غني عنه تعالى وعدم الغنى شراً بالنسبة الى الغنى المطلق وهكذا الحال بالنسبة الى امير المؤمنين وسائر المعصومين بالاولوية.

نعم، الانبياء المرسلين والأوصياء على ترتيب مقاماتهم ودرجاتهم يتفاوتون من هذه الجهة شدة وضعفاً وكمالاً ونقصاً.

قال الله تعالى: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» (١) فكل من كان أقرب الى المبدء فالنقص الأمكانى فيه اقل وأضعف وكلما كان أبعد فهو ايضاً فيه أكثر ومع ذلك فالممكن لا يخلو عن النقص الذاتى اعنى عدم الكمال المعبر عنه بالشّر الأمكانى وعلى هذا فإى اشكال فى قوله ﷺ حتى نحتاج الى تلك التكاليف التى ارتكبتها الشارح البحرانى (قدّه) فى حل الاشكال.

نعم، بناء على ما ذهب اليه فى اصل الاشكال من كونه ﷺ منزهاً عن الشرور فلا بُدّ له من ذكر ما ذكره.

واما على ما سلكناه تبعاً لجمهور الفلاسفة معتضداً بالأدلة العقلية القطعية فقد علمت ان ما ذكره فى اصل الاشكال من كونه ﷺ منزهاً عن الشرور بالكلية ليس الا خيراً محضاً ووجوداً بحتاً بسيطاً المعراى عن ظلمة المادة ونقص الأمكان وهو ليس الا الله تعالى وعنت الوجوه للحق القيوم.

اللهم الا ان يقال بان الشرور ليست أموراً عديمة بل هى من الامور الوجودية الثابتة فى الخارج وعليه فهو ﷺ وامثاله من الأنبياء المرسلين والأئمة المعصومين لا يشائبهم شرراً ابداً لأن الوجود خيراً محضاً وقد ثبت عصمتهم عن كل ما ينافى مقام العصمة وقد فرضنا ان الشر من الامور الوجودية المَجعولة ولا يمكن اتصاف المعصوم به وهذا ممّا لا يمكن القول به من وجوه.

احدها ان الشر لو كان امراً وجودياً فلامحالة يكون قياسه قياس سائر

الموجودات من حيث احتياجه الى العلة فإن الموجود الممكن لا يوجد بدون العلة واذ ثبت احتياج سائر الممكنات الموجودة الى العلة ثبت احتياجه ايضاً بها، فإن حكم الامثال فيما يجوز وفيما لايجوز واحد ولعدم جواز الترجيح بلا مرجح فعدم احتياجه اليها دونها توجيخ من غير مرجح وهو كما ترى.

وإذا ثبت العلة فيه فلا يخلو الامر اما ان تكون العلة فيه هو الواجب تعالى كما في سائر الموجودات او لا يكون كذلك بل له علة مُستقلة من سنجيه.

فان كان الاول: فيلزم كون الواجب تعالى علة لايجاد الشرور، والنقائص مع انه وجود محض والوجود لا يكون الا علة للخير بل هو عينه كما ثبت مضافاً الى عدم السنجية المعتبرة بين العلة والمعلول.

وان كان الثاني: يلزم القول بمعدتين مبدء النور ومبدء الظلمة وهذا هو قول الثنوية القائلين بالأصلين اعنى اليزدان والأهرمن، فاليزدان فاعل الخيرات، والأهرمن فاعل الشر والآفات واليه اشار السبزواري (قده) في منظومته حيث قال:

الشر اعدام فكم قد ضلّ من

يقول باليزدان ثم الأهرمن

وثانيها لو كان الشر من الأمور الوجودية ولا يمكن استنادها الى علة غير الواجب تعالى للزومه القول بتعدد القدماء وادلة التوحيد تنفيه فلامحالة تستند اليه تعالى وهو يوجب الجبر المحال عقلاً وشرعاً وذلك لان الشر اعنى القتل او الزنا او السرقة او الظلم او ما شئت فسمه لو كان مخلوقاً معلولاً له تعالى فقد أوجده لعباده واتصف العباد به.

وبعبارة اخرى: انه موجود في عرض وجوده فكما ان الانسان، لااختيار له في أصل الأيجاد بل الله أوجده فكذلك لااختيار له في وجود الشر وايجاده فكيف يمكن له التخلف منه.

فاذا فرضنا ان الله تعالى أوجد الانسان وأوجد القتل فيه ايضاً فكيف لا يقتل

وهو مستلزم لانتصاف الشيء بنقيضه وهو محال فكما انّ الإنسان الموجود من حيث كونه موجوداً ومتصفاً لا يكون متصفاً بعدم الوجود للزومه اجتماع النقيضين ولا بعد مه للزومه ارتفاعهما فكذلك اذ افرضنا كون الظلم او القتل مثلاً موجوداً فيه فان لم يظلم او لم يقتل يلزم الاجتماع او الارتفاع وكلاهما محال.

وثالثها بناء على كونه من الأمور الوجودية المعلولة للحق كما هو المفروض فاما ان يكون في كل الموجودات او لا يكون في كلها.
وعلى الأول اما ان يكون في كلها على حد سواء اولاً، بل بالشدة والضعف والكمال والنقص فالشقوق كلها باطلة.

اما الشق الأول: وهو كونه في كلها على حد سواء فهو امر غير معقول بل مخالف للحس والعيان وذلك لاننا نرى ان الشرور في الموجودات متفاوتة متخالفة واثباته لا يحتاج الى دليل من العقل او النقل بل الحس يكفي.

اما الشق الثاني: اعني كونه فيها بالتفاوت فهو يستلزم الترجيح من غير مرجح وذلك لانه لا يلائم شيء أو وجد الله الشر في بعض الموجودات اكثر منه في غيره أو أشد منه في غيره مع انه لا تفاوت فيها من حيث الوجودية وهل هذا الا تحكّم وزور.

واما الثالث: وهو ان لا يكون في كلها بل وجد في بعضها دون بعض فهو ايضاً مستلزم للترجيح من دون مرجح المستلزم للجبر ايضاً فبهذه الوجوه المذكورة التي قدّمنا هالك مع انها بالنسبة الى ما لم نذكره ليست الا قطرة في مقابل البحر، ثبت وتحقق لك ان الشرور لا يمكن ان تكون اموراً وجودية بل هي من العدميات التي تستند الى الماهيات الأمكانية بل من لوازمها فكما ان الماهيات غير مجعولة بالجعل المركب فكذلك لوازمها فكل من كانت له ماهية لا ينفك عن شر ما بالتقريب الذي مر ذكره.

فالشر غير لاحق إلا لما في طباعه ما بالقوة وذلك لاجل المادة الجسمية

بسبب أن وجودها وجود ناقص مُتهَيء لقبول الفساد، والأنقسام والتكثُر
وحصول الأضداد والأستحالة، والتجدد في الأحوال والأنقلاب في الصُور
فكلما كان هو أكثر براءةً من المادّة فهو أقلُّ شراً.

فإن الموجودات المُمكنة بالقسمة العقلية في بادى الأَحتمال لا تخلوا من
خمسة أقسام:

١. ما هو خَيْرٌ كُلّه لا شَرٌّ فيه اصلاً.

٢. وما فيه خَيْرٌ كَثِيرٌ مع شَرٍّ قَلِيلٍ.

٣. وما فيه شَرٌّ كَثِيرٌ مع خَيْرٍ قَلِيلٍ.

٤. وما يتساوى فيه الخَيْرُ والشَّرُّ.

وما هو شَرٌّ مُطْلَقٌ لا خَيْرَ فيه.

وقد أجمعوا على أن لم يَدْخُل في حَيْزِ الوجود من هذه الخُمسة إلا اثنان:
خَيْرٌ مَحْضٌ، وما فيه خَيْرٌ كَثِيرٌ مع شَرٍّ قَلِيلٍ، وأما الباقيات الباطلات فما كانت
صالحة لدخولها في حرم الوجود.

والأول هو الواجب لا غير على مَسْلَكنا، وأما على مَسْلَكِ بعض الفلاسفة
فعالم العقول والنُّفوس السَّماوية وكذلك ضَرَبٌ من النُّفوس الكاملة الأنسانية
إذ الحَقِيقَتِ بالسَّابِقِينَ المُقَرَّبِينَ فهي أيضاً من هذا القسم، وقد أثبتنا أن ما ذكره
لادلِيل عليه بل هو مُجَرَّد الحَدْسِ والظَّنِّ ولا يساعده العقل والنقل إذ ما ذكره
من الحاقها بمبَدئها من جهة الخيرية مُبْتَنِيَةً على كونها بالفعل من جَمِيعِ
الوجوه وأنَّ كُلَّ ما يَنْبَغِي أن يكون لها بالأمكان العام قد حصل لها في فطرتها
الأصليّة الأولى لأنها بالفعل من جَمِيعِ الوجوه لكونها مُسْتَكْفِيَةً بذاتها ومَقْوَمٌ
ذاتها في خروجها من القُوَّة إلى الفعل غير ممنوعة عن البلوغ من حدِّ النقص
إلى الكمال.

وأنا بعد ما ابطلنا هذا المَبْنِي وأثبتنا أن ما سوى الواجب لا ينفك عن النقص
وشوب القُوَّة وعدم الفِعْلِيَّة المَحْضَة بمعنى أن كُلَّ ما يمكن حصوله بالأمكان

فهو قد حصل للموجود بالفعل، لا يمكن القول به إلا في حق الواجب تعالى لاغيره، وأما ما سوى الواجب كائناً من كان فلا يخلو عن شوب القوّة والنقص، وللبحث فيه مقام آخر.

والثاني هو الممكنات على تفاوت مراتبهم في القرب والبعد عن المبدء كما مرّ ولنحتيم الكلام هنا فإنّ الكلام يجرّ الكلام ولعله قد خرجنا عن وظيفة من كان بضدّ شرح الألفاظ كما عليه أكثر الشراح في كلّ باب.

فقد تحضّل ممّا ذكرناه أنّ قوله ﷺ: لا أشكال فيه لكونه مطابقاً للقواعد وحيث أنّه ﷺ قال ابدلهم بي شراً مني، فمعلوم فإنّ كلّ من كان اميراً بعده فهو شراً منه ﷺ بلا كلام لكون غيره أبعد عن الحقّ المتعال منه بمراتب لا تحصى. والحمد لله ربّ العالمين

□ قوله ﷺ: اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبِهِمْ كَمَا يُمَاتُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ...

وهذا دعاءٌ عليهم فأنهم كانوا مُستحقّين له لعنادهم ونفاقهم، وعصيانهم وعدم لياقتهم واستعدادهم للأستفاضة من انوار الملكوتية والاشعة الربانية تأسياً بالأنبياء الماضين كما قال نوح ﷺ: رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً، دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ بعد تمردهم عن طاعة الحقّ حيث قال ربّ ائني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً.

وكقول موسى ﷺ قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(١) والآيات في الباب كثيرة.

ان قلت - لم قال ﷺ اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبِهِمْ ولم يقل مِثْ ابدانهم او أجسادهم فما وجه اختصاصه بالذكر؟

قلت - يمكن ان يكون الوجه فيه هو ان اصحابه كانوا منافقين حيث أقروا بامامته لساناً وانكروها قلباً، كما هو شأن المنافق فثبت ان مركز النفاق القلب دون اللسان وسائر الاعضاء فصّح الدعاء عليه بهذا المعنى.

ويمكن إن يكون السر فيه هو أنه ﷺ لو دعا عليهم بغير ذلك وقال أبدانهم
أو أجسادهم لنزل البلاء عليهم ونزول البلاء بهذا المعنى لم يكن مقصوداً
له ﷺ بل الغرض الدعاء عليهم بغير الموت، فإن الحيوة مع الشقاوة أشد من
الموت بمراتب والله اعلم بحقائق الأمور.

أما والله، لَوَدَّتْ أَنْ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنَمٍ.
خَصَّ ﷺ هذه القبيلة بالذكر لشهرتهم بسُرعة اجابة الداعى والشجاعة
والحمية ومعنى البيت واضح مما ذكره السيد (قدس سره) وبالله التسيّد.

﴿ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (٢٦) ﴾

□ قوله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَشَرِّ دَارٍ مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَاتٍ صُمٌّ تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشْبَ وَتَسْفِكُونَ دِمَائَكُمْ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ مِنْهَا، فَظَنَرْتُ فَإِذَا أَلَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجِي، وَصَبَرْتُ عَلَى آخِذِ الْكُظْمِ وَعَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ.

وَمِنْهَا وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْمُبَايِعِ وَخَزِيَتْ أَمَاتُهُ الْمَتْبَاعِ فَخَذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا وَأَعَدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لُظَاهَا وَعَلَا سَنَاهَا وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ، انْتَهَى.

◀ اللُّغَةُ

(مُنِيخُونَ) انَاخَ النَّاقَةَ إِذَا أَبْرَكَهَا. (صُمٌّ) بَضَمَ الصَّادِ جَمَعَ صَمَاءٍ وَهِيَ الصَّخْرَةُ الصُّلْبَةُ. (حَيَاتٍ) جَمَعَ حَيَّةٍ. (الْجَشْبُ) كَكْتَفِ أَيْ غَلِيظٍ أَوْ بِلَا إِدَامٍ. (مَعْصُوبَةٌ) الْمَشْدَدَةُ. (فَضَنَنْتُ) ضَنَّ بِالشَّيْءِ إِذَا بَخِلَ بِهِ. (أَغْضَيْتُ) الْأَعْضَاءَ إِدْنَاءَ الْجُفُونَ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ. (الْقَدَى) وَهُوَ مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ. (وَالشَّجِي) كَعَصَا وَهُوَ مَا اعْتَرَاضَ فِي الْحَلْقِ مِنْ نَشْبٍ وَعَظْمٍ. (الْكُظْمَةُ) أَخَذَ بِكُظْمِهِ بَفَتْحَتَيْنِ وَهُوَ الْحَلْقُ أَوْ الْفَمُ أَوْ مُجْرَى النَّفْسِ. (الْعَلْقَمُ) كَجَعْفَرِ شَجَرٍ مُرٍّ وَيُقَالُ

للجنظل علقم ولكل شجر مر كذا لك. (ظَفِرَتْ) ظفر المطلوب اذا فاز (خَزِيَتْ) خزي الرجل اذا وقع فى بليّة. (المُتَبَاع) المشتري. (أُهْبِتَهَا) الأهبة كالغدة بالضم فيها ما يُعدّ للحرب والسّفَر من الآلات والسّلاح. (سَبَّ لَظَاهَا) اى اوقدت نارها او لهيبها. (سَنَاها) السّنا كعصا الضوء.

المعنى

ان الله تبارك وتعالى بعث وأرسل محمداً ﷺ (نذيراً للعالمين) من الأنس والجن. قال الله تعالى: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ»^(١). (وَأَمِيناً عَلَى التَّنزِيلِ): اى غير خائن فيما أنزله الله عليه. (وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ) فان العرب كانت فى الجاهليّة على دين الهوى ومن اتّخذ إلهه هواء فحالُه معلوم. (وَشَرَّ ذَارٍ): وهى أرض الحجاز وتهامة او نجد. (مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَاةٍ خُشْنٍ): جمع خشناء وهى التى لاندأوة لها ولا نبات. (وَحَيَاتٌ صُمٍ): التى لاعلاج لسمومها لحدتها. (تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ): اى الماء الغير الصافى. (وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ): لأكلهم الحيوانات البرية من الحيات والفراة وغيرهما ممّا يدب على الأرض. (تَسْفِكُونَ دِمَائِكُمْ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ): اما سفكهم للدماء وقطعهم الارحام فغنى عن البيان. (فَنظَرْتُ): فى حالى وأمرى بعد النبى ﷺ (فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ): ولاناصر. (إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي) وَهُمْ الْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ وَغَيْرُهُمَا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ. (فَضَنَيْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ): اى بخلت بهم عنه وذلك لأن قيامه مع هذا العدد القليل بعد من القاء النفس فى التهلكة بلاشك: (أَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى): اى لما علمت عدم حصول المقصود بهؤلاء النفس أطبقت جفونى على القذى الخ والأغضاء على القذى والشرب على الشجى كنايةان عن تحمله ﷺ الامور التى يصعب التحمل عليها كما يشهد به قوله ﷺ: (وَصَبَرْتُ عَلَى أَخَذِ الْكُظْمِ، وَعَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ

الْعَلَقَمِ): من حيث ان فيها الألم النفساني وفي العلقم الألم البدني. (وَلَمْ يُبَايِعْ): اي لم يُبايِع عمرو ابن العاص لمعاوية. (حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى السَّبِيْعَةِ ثَمَنًا). والثمن هو حكومة مصر طعمة. (فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْمُبَايِعِ): وهي عمرو في بيعته لمعاوية. وخزيت امانة المتبايع: وهو معاوية لعنة الله عليه. (فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا): اي سلاحها. (وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا)، وَلَهَبَهَا (وَعَلَا سَنَاهَا) وِضُونَهَا (وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ): اي اجعلوه شعاراً لكم كالثوب الملازم للجسد. فَإِنَّهُ: اي الصبر. إِلَى النَّصْرِ: اي أقوى سبباً له.

◀ الشرح

اعلم، ان هذه الخطبة لها فصول:

١. الفصل الاول: من قوله ﷺ: أَنْ اللَّهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ.

٢. الفصل الثاني: من قوله ﷺ: فَتَنَزَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ.

٣. الفصل الثالث: من قوله ﷺ: وَلَمْ يُبَايِعِ حَتَّى شَرَطَ إِلَى قَوْلِهِ فَإِنَّهُ أَدْعَى النَّصْرَ وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَلِيْحِدَةً فنقول:

اما الفصل الاول، فهو صدر منه ﷺ في بيان حال العرب في عهد الجاهلية وما كانوا عليه من الضنك والفسق من جهة المعاش، والتوحش والسبعية بالنظر الى الدين وما من الله عليهم من بعث الرسول وانشاء لهم من سوء الحال الى حسنها في الدنيا والآخرة كما سيوضح لك ان شاء الله تعالى.

الفصل الاول:

□ قوله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ...

اشار ﷺ بقوله هذا الى وصفين من اوصاف النبي ﷺ اللذين هما من لوازم

بعثته ورسالته.

احدهما كونه نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، اَمَّا كونه نَذِيرًا فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (١)

و: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٢)

و: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٣)

و: ﴿إِن تَتَّبِعِ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٤)

و: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٥)

و: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٦)

و: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٧)

و: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٨)

وكثير من الآيات التي لم نذكرها مخافة الأطناب.

وامَّا كونه مُنذِرًا وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ: فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَإِنَّا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (٩)

و: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٠)

و: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَتَهُ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١١)

و: ﴿مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٌ﴾ (١٢) وامثال ذلك من الآيات.

وامَّا كونه مُنذِرًا لِلْعَالَمِينَ، وَالْعَالَمِينَ هُوَ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَقِيلَ: هُوَ جَمْعُ الْعَالَمِ وَرَدَّهُ السِّيَاطِي بِأَنَّ الْعَالَمِينَ دَالٌّ عَلَى الْعُقَلَاءِ فَقَطُّ وَالْعَالَمِ دَالٌّ عَلَيْهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ إِذْ هُوَ اسْمٌ لِمَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يَكُونُ جَمْعًا لَهُ لِلزُّومِ زِيَادَةَ مَدْلُولِ الْجَمْعِ عَلَى مَدْلُولِ مَفْرَدِهِ وَمَا نَحْنُ فِيهِ لَيْسَ كَذَلِكَ.

- | | |
|------------------|--------------------------------------|
| ١. الزعد - ٧. | ٢. الفرقان - ٥٦. |
| ٣. الاحزاب - ٤٥. | ٤. الأحقاف - ٩. |
| ٥. فضلت - ٤. | ٦. الملك - ٢٦. |
| ٧. التزعد - ٧. | ٨. ص - ٦٥. |
| ٩. الاعراف - ٦٨. | ١٠. الشعراء - ١٢٥ و ١٤٣ و ١٦٢ و ١٧٨. |
| ١١. الدخان - ١٨. | ١٢. التكوير - ٢١. |

اقول: ليس الامر على ما زعمه السيوطي اذ العالمون اصناف الخلق والعالم الخلق كله فقوله ان العالمين دال على العقلاء فقط هو احد الأقوال في المسئلة وليس بمسئل عند الكل اذ على ما ذكرناه والفرق بينهما بالأجمال والتفصيل. قال في لسان العرب ج ١٢ في مادة علم ما هذا لفظه:

ولا واحد للعالم من لفظه لان عالماً جمع اشياء مختلفة فان جعل عالم اسم لواحد منها صار جمعاً لأشياء متفقة والجمع عالمون ولا يجمع شياً على فاعل بالواو والنون الأ هذا، وهذا كما ترى رد على السيوطي بانكاره له، ثم قال فيه.

وقيل: جمع عالم الخلق، العوالم وفي التنزيل الحمد لله رب العالمين، قال ابن عباس رب الجن والانس. وقال قتادة: رب الخلق كلهم.

وقال الزجاج: معنى العالمين كل ما خلق الله وهو جمع عالم، وقال ولا واحد للعالم من لفظه الى آخر ما ذكرناه.

فظهر لك ان ما ذكره السيوطي من انكار كون العالمين جمعاً للعالم لامحصّل له ولو كان الأمر كما ذكره، وان العالمين دال على العقلاء فقط للزم ان يكون الله تعالى غير رب، لما سوى العقلاء في «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

وبهذا الاستدلال يظهر فساد ما ذهب اليه ابن عباس ايضاً من ان المراد بالآية رب الجن والانس اذ لا وجه لهذا التخصيص بعد ما ثبت انه تعالى خالق الكل فالحق في المقام ما ذهب اليه الزجاج من ان المراد بالعالمين كل ما خلق الله وهو جمع عالم ولا واحد من لفظه هذا.

واما الدليل على كونه وَاللَّهُ نذيراً للعالمين، بعد الأدلة العقلية الدالة على ان الرسول لا بد له من ان يكون مبعوثاً الى كافة الخلق فرقاً بينه وبين النبي، قوله تعالى في كتابه: حيث قال عز من قائل: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا»^(١)

ومنها - مارواه المجلسي (قدّه) في البحار باسناده عن حفص الكناسي،

قال سمعت عبدالله ابن بكير الرّجائي قال لي الصادق عليه السلام أخبرني عن رسول الله كان عاماً للناس أليس؟ قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ ^(١) لأهل الشّرق والأرض وأهل السّماء والأرض الجنّ والأنس هل أبلغ رسالته اليهم كلّهم؟ قلت: لا ادري.

قال: يا ابن بكير ان رسول الله لم يخرج من المدينة فكيف أبلغ أهل الشّرق والغرب؟

قلت: لا ادري. قال عليه السلام: ان الله تبارك وتعالى أمر جبرئيل فأقلع الأرض بريثه من جناحه ونصبها للمحمّد عليه السلام وكانت بين يديه مثل راحته في كفه ينظر الى أهل الشّرق والغرب ويخاطب كلّ قوم بالسنتهم ويدعوهم الى الله والى نبوته بنفسه فما بقيت قرية ولا مدينة إلا دعاهم النبي عليه السلام بنفسه «بحار الانوار، ج ٦، ص ٢٥٢، ط كمياني»...

ومنها- مارواه ايضاً باسناده عن الثّمالي، قال سمعتُ عليّ بن الحسين يقول من أحبّ ان يُصافحَه ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ فليزر الحسين ليلة النّصف من شعبان لأنّ ارواح النّبيين يستأذنون الله في زيارته فيأذن لهم فطوبى لمن صافحهم وصافحوه منهم خمسة أولوالعزم من المرسلين نوح و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمّد عليه السلام.

قلت: ولم سمّوا أولوالعزم؟

قال عليه السلام: لأنهم بُعثوا الى شرقها وغربها وجنّها وانسها، انتهى «ج ٥، ص ١٦، كمياني»...

واما معنى البعثة والنّبوة والرّسالة فقد مضى الكلام فيه وفي علّة احتياج الخلق اليها في المجلّد الاوّل فلا نعيده ثانياً.
واما الوصف الثّاني له عليه السلام اعنى كونه أميناً على التّنزيل فقد ذكرنا شواهد

من الكتاب الالهى مضافا الى ان من لم يكن اميناً على التنزيل فكيف يجوز عليه تعالى امضاء بعثه ورسالته والمفروض انه خائن نعوذ بالله منه.

□ قوله ﷺ: **وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَشَرِّ دَارٍ...**

وفى هذا الكلام اشار ﷺ الى وصفين من اوصاف الاعراب فى زمان الجاهلية، احدهما كونهم على شَرِّ دِينٍ، وثانيهما كونهم فى شَرِّ دَارٍ وقد تكلمنا فى هذا الاصل فى شرح قوله ﷺ واهل الأرض يؤمنذ ميلل مُتفرقه واهواء مُتشرة وطرائق مُتشتتة الى آخر ما قاله فى تلك الخطبة فان شئت الاطلاع عليه فارجع اليه. واما فى المقام فلا نشير اليه الا اجمالاً.

اما الاصل الاول: وهو كونهم على شَرِّ دِينٍ فلانهم كانوا عبدة الأصنام واولياء الشيطان ولذلك يُعبرون عنهم بالمُعطلة لحكمهم بتعطيل العالم عن الخالق وكونهم حيارى من مذاهبهم وهم كانوا على اصناف شتى.

فصنف منهم، أنكروا الخالق والبعث والأعادة وقالوا بالطبع المحيى والدهر المُنفى وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد بقوله تعالى: **﴿وَمَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَىٰ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾** (١).

وهم الدهريون الذين عطّلوا المصنوعات عن صانعها فقالوا بالطبائع المحسوسة فى العالم السفلى وقصر الحياة والموت على تركيبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر ومالهم بذلك من علم ان هو الا يظنون وهؤلاء فرقتان:

فرقة: قالت ان الخالق سبحانه خلق الأفلاك مُتحركة أعظم حركة دارت عليه فأحرقتة ولم يقدر على ضبطها وامسك حرّكتها.

وفرقة: قالت ان الاشياء لها اول البتة وانما تخرج من القوة الى الفعل فاذا خرج منها اليه تكوّنت الاشياء مركباتها وبسائطها من ذاتها لامن شىء آخر الى آخر ما قالوا من الخرافات والباطيل والى هذه الأوهام الفاسدة اشار الله تبارك وتعالى فى كتابه غير مرة كقوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ**

وَالْأَرْضِ ﴿١﴾

و: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» ﴿٢﴾ فهذه الآيات ونظائرها اشارت الى بطلان مسلكهم، وفساد دعوايهم نقلاً مضافاً الى الأدلة العقلية المذكورة في محالها:

وصنف آخر أقرّوا بالخالق وابتداء الخلق والأبداع وأنكروا البعث والأعادة وقد قال الله تعالى في ردّهم في كتابه تعالى: «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُخْبِي الْعِظَامَ وَهِيَ زَمِيمٌ، قُلْ يُخْبِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» ﴿٣﴾ وسائر الآيات.

وصنّف منهم أقرّوا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الأعادة وانكروا الرُّسل وعبدو الاصنام وزعموا أنّهم شفعاؤهم عندالله وشبهاتهم كانت مقصورة على هاتين الشبّهتين:

١. انكار البعث، بعث الاجساد.

٢. جحد البعث بعث الرُّسل.

فهذه اصناف العرب قبل البعثة من حيث المذهب والدين ولهم فرق أخرى لامجال لذكرها ومن ارادها فليراجع الى الكتب الموضوععة لهذا الفن كالممل والتحل للشهرستاني وغيره.

واما الاصل الثاني: وهو كونهم في شرّ دارٍ فقالوا المراد بها تهامة او نجد او البوادي التي كانوا يسكنونها ثم فتح الله عليهم البلاد والى هذا التفسير ذهب المحقق البحراني والشارح المعتزلي وتبعهما الخوئي (قدّس سرّه) فيه.

ولقائل ان يقول: انّ هذا التفسير لا يستقيم وذلك لانّ كثيراً من الاعراب لولا اكثرهم كانوا ساكنين في البلاد كالمدينة ومكة والطائف واليمن والشام ومصر وامثالها من البلدان واما الساكنون في البوادي فهم كانوا قليلين بالنسبة الى غيرهم فتفسير العبارة بما ذكروه لامعنى له فانّ المنادى بقوله ﷺ: وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

العَرَبِ عَامٌّ وَالْخَطَابُ لِلْجَمْعِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ عَلَى الْمَتَأَمَّلِ.

ويمكن عنه الجواب بوجهين:

أحدهما أن نقول أنه من باب التَّغْلِيْبِ لو قلنا أكثر العرب كانوا ساكنين بالبوادي وإثباته مشكل.

وثانيهما وهو الحقّ عندى أنه لا إشكال في كون العرب بأجمعهم عَلَى شَرِّ دِينٍ وَشَرِّ دَارٍ وذلك لأن الدَّارِ الَّتِي لِادِينٍ فِيهَا فَهِيَ شَرٌّ قَطْعاً سِوَاءَ كَانَتْ فِي الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ أَوْ غَيْرَهُمَا وَالَّذِي صَارَ سَبَباً لِحَمْلِهِمُ الْعِبَارَةَ عَلَى مَا قَالُوهُ هُوَ أَنَّ الْمَدِينَةَ وَمَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ مِثْلًا كَيْفَ يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّهُمَا تَتَّصِفَانِ بِالشَّرِّ فَحَمَلُوا الْعِبَارَةَ عَلَى دُورِ الْبُوَادِي، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اتِّصَافَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَمَا شَابَهُمَا بِالشَّرِّ لَيْسَ فِيهِ إِشْكَالٌ فَإِنَّ الشَّرَّ شَرٌّ: ذَاتِيٌّ وَعَرَضِيٌّ وَالْمَقْصُودُ هُوَ الثَّانِي فَإِنَّ الْقَاتِلَ مِثْلًا لَيْسَ بَشَرٌّ ذَاتًا وَأَمَّا هُوَ شَرٌّ بِالْعَرَضِ لِكُونِهِ قَاتِلًا وَلَيْكُنْ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ هَذَا.

مع أنه ﷺ لم يقل في شرِّ بلد بل قال في شرِّ دارٍ ولا منافاة في كون الدَّارِ شَرًّا والبلد غير شرٍّ فإن دار أبي لهب وأبي جهل وأمثالهما من المشركين كانت شرًّا من جهة عدم نفوذ الدين فيها سواء كانت في مكة أو غيرها وبعبارة أخرى لامتلازمة بين البلد والدَّارِ من هذه الجهة:

والحاصل: أنه لا كلام لأحدٍ في أن العرب قبل البعثة كانوا في شَرِّ دِينٍ وَشَرِّ دَارٍ كما قال الله: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١)
□ قوله ﷺ: مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَاتٍ صُمٌّ.
ثم أنه ﷺ: بعد ما وصفهم بكونهم عَلَى شَرِّ دِينٍ وَشَرِّ دَارٍ وَصَفَهُمْ ثَانِيًا بِالْأَوْصَافِ الَّتِي كَانَتْ تَابِعَةً لِلْوَصْفَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ وَهِيَ سَبْعَةٌ:

أحدها قوله ﷺ: مُنِيخُونَ إِلَى قَوْلِهِ صُمٌّ. وفيه إشارة بكونهم مُقِيمِينَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، أَي صُلْبٍ لِانْدَاوَةِ فِيهَا وَلَانِبَاتٍ وَحَيَاتٍ صُمٌّ، وَالْحَيَاتُ جَمْعُ حَيَّةٍ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَرْضَ الْعَرَبِ عَلَى الْمَشْهُورِ عَلَى غَلْظَتِهَا وَخُشُونَتِهَا ذَاتُ

حَيَاتٍ كَثِيرَةً.

وقال الشَّارِحُ البَحْرَانِي (قَدَّهُ) فِي عِلَّةِ وَصْفِهَا بِالصُّمِّ لِأَنَّ حَيَاتِ تِلْكَ الْأَرْضِ عَلَى غَايَةِ مِنَ الْقُوَّةِ وَحِدَّةِ السَّمُومِ لِاسْتِيْلَاءِ الْحَرَارَةِ عَلَيْهَا.

وَأَمَّا الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِيُّ فَقَدْ نَفَى الْبُعْدَ عَنِ كَوْنِ الْعِبَارَةِ مِنَ الْاسْتِعَارَاتِ وَإِنْ يَكُونُ الْمُرَادُ بِالْحَيَاتِ الصُّمِّ الْأَعْدَاءِ.

أَقُولُ: لِأَشْكَالٍ فِيْمَا ذَكَرَهُ الْمُعْتَزَلِيُّ إِلَّا أَنَّهُ خِلَافَ الظَّاهِرِ فَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْبَحْرَانِيُّ أَوْلَى وَأَوْفَقَ بِظَاهِرِ اللَّفْظِ وَالْأَمْرِ سَهْلٍ.

وِثَانِيهَا: قَوْلُهُ ﷺ: تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ...

وَفِيهِ إِسْأَارٌ ﷺ: بَأَنَّ الْمِيَاءَ الَّتِي كَانُوا يَشْرَبُونَهَا كَانَتْ كَدِرَةً وَالْكَدِيرُ ضِدُّ الصَّافِي وَذَلِكَ لِعَدَمِ وَجُودِ الْمَاءِ الْغَيْرِ الْكَدِيرِ فِي أَرْضِهِمْ لِكَوْنِهَا مُسَطَّحَةً لَا يُمْكِنُ حَفْرَ الْقَنْوَاتِ فِيهَا وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ بَعِيدَةٌ مِنَ الْمَاءِ جَدًّا لِيُبَوِّسْتَهَا وَبُعْدَهَا عَنِ الْبَحْرِ لَا تَرَى

أَنَّ كُلَّ أَرْضٍ أَقْرَبَ إِلَى الْبَحْرِ فَالرُّطُوبَةُ فِيهَا أَكْثَرُ وَتُرُودُ الْأَمْطَارِ فِيهَا أَوْ فُرُوبًا لِعَكْسِ بِالْعَكْسِ هَذَا بِحَسَبِ الْأَغْلَبِ وَالْأَبْعَضِ الْأَرْضِي فِي الْحِجَازِ لَيْسَ كَذَلِكَ وَأَمَّا اتِّصَافُ مَائِهِمْ بِالْكَدْرِ فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى قَلَّةِ عَقْلِهِمْ وَسُوءِ فَهْمِهِمْ وَعَدَمِ مِرَاعَاتِهِمْ لِقَانُونِ النَّظَافَةِ وَعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِكَوْنِ الْمَاءِ الْكَثِيفِ مُضِرًّا لِلْبَدَنِ، ثُمَّ بِبِرْكَةِ الْأَسْلَامِ عِلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ قَابِلٍ لِلشَّرْبِ إِلَّا فِي مَوَارِدِ الْأَضْطِرَارِ كَمَا عِلِمُوا غَيْرَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْإِخْلَاقِيَّةِ:

فَقَوْلُهُ ﷺ: فِيهِ إِشْعَارٌ بِتَوْحُشِهِمْ وَبُعْدِهِمْ عَنِ مَقَامِ الْإِنْسَانِيَّةِ قَبْلَ الْبِعْثَةِ وَالْأَفْنِ فَنَحْنُ أَيْضًا قَدْ شَرَبْنَا مِنْ هَذِهِ الْمِيَاءِ فِي سَفَرِنَا إِلَى الْحِجَّ مِنْ طَرِيقِ الْبَوَادِي الْأَضْطِرَارِ وَقَدْ أَقْرَأَ الشَّارِحُ الْخَوْنِيُّ (قَدَّهُ) أَيْضًا بِشْرَبِهِ مِنْهَا فِي شَرْحِهِ لِهَذِهِ الْعِبَارَةِ.

وِثَالِثُهَا: قَوْلُهُ ﷺ: وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ...

إِشَارٌ ﷺ، بَأَنَّ مَأْكُولَاتِهِمْ أَيْضًا كَانَتْ مَنْفُورَةً لِلطَّبَاعِ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانُوا

يأكلون مادب من حيوان وبعضهم يخلط الشعير بنوى التمر ويتخذ منها خبزاً. وقد ذكر الشارح الخوئي (قدّه) في طعامهم امثلة وحكايات ونحن نذكر ايضاً من نوادير حكاياتهم ما لم يذكره زيادةً للبصيرة وتوضيحاً للمقام ذكرها في عقد الفريد.

الأصمعي، قال أصطحَبَ شيخٌ وحدث في سفر وكان لهما قرص في كل يوم وكان الشيخ منخِلع الأضراس بطيء الأكل وكان الحدّث يبطش بالقرص ثم يجلس ويشتكى العشق ويتصور الشيخ جوعاً وكان الحدّث، يسمي جعفر فقال الشيخ:

لقد رأيتني من جعفر إن جعفرأ
 بطيش بقرصي ثم يبكي على جمل
 فقلت له لو مسك الحب لم تبث
 بطينا ونسأك الهوى شدة الأكل

قال الاصمعي انشدني اعرابي لنفسه:

ألا ليت لي خبزاً تُسربل رائباً وخيلاً من البرني فرسانها الزبد
 فأطلب فيما بينهنّ شهادةً بموت كريم لا يُعدّ له لحد
 الشيباني عن العتبي عن ابيه قال قال اعرابي كنت اشتهي ثريدة ذكاء من
 الفلفل رقطاء من الحمص ذات حفافين من اللحم لها جناحان من العراق
 أضرب فيها كما يضرب ولي السوء في مال اليتيم.

وقال رجل من اهل المدينة لأعرابي ما تأكلون وما تعافون قال له الأعرابي
 نأكل كل ما دبّ وهبّ إلا أم حبين (هي دويبة على حلقة الحرباء عريضة
 الصدر عظيمة البطن وقيل هي أنثى الحرباء) قال المدني تهني أم حبين العافية.
 وقال رجل من الأعراب لولده اشترى لي لحماً، فاشترى فطبخه حتى تهرأ
 فأكل منه حتى أنتهت نفسه ولم يبق إلا عظمه وشرعت اليه عيون ولده فقال ما
 ان مطعمه احداً منكم إلا من أحسن أكله فقال له الاكبر الوكّه (أكله) يا ابت حتى

لا ادع فيه للذرة مُقيلاً قال لست بصاحبه.

قال الآخر الوكه حتى لا تدرى العامة هوام لعام الاول، قال لست بصاحبه.

قال له الأصغر أدقه يا أبت وأجعل ادامه المُمخ. قال: انت صاحبه وهولك.

وقال اعرابي تمرنا خرس فطس يُغيب فيهن الصُرس كان فاها السن الطير

تقع الثمرة منها في فيك فتجد خلاوتها في كعبك.

وحضر اعرابي سُفرة سليمان ابن عبدالمك فلما أتى بالفالودج جعل

يسرع فيه، فقال سليمان أتدرى ما تأكل يا اعرابي؟

فقال: بلى يا اميرالمؤمنين اتى لأجد ريقاً هنيئاً ومزدرداً لينا وأظنه الصراط

المستقيم الذى ذكره الله فى كتابه فضحك سليمان وقال ازيدك منه يا اعرابي

فأنهم يذكرون أنه يزيد فى الدماغ.

قال: كذبوك يا اميرالمؤمنين، لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل.

اتى اعرابي بخربز (البطيخ) وكانت امامه فلما أبصرها تأملها طويلاً وجعل

يقول:

بدلت والدهر قديماً بدلاً من قبض بيض لقفير فقعا حنظلاً

أخبت ما تنبت ارض ما كلاً

فكنا نقول له يا ابا الزهراء انه ليس بحنظل ولكنه طعام هنيء مريبى ونحن

نبدؤك فيه ان شئت قال فخذوا منه حتى أرى فبده أنا ناكل وهو ينظر لا يطرف

فلما رأى ذلك بسط يده فأخذ واحدة فنزع اعلاها وقور أسفلها فقلنا له ما

تريدان تصنع؟

فقال: ان كان السم يابن اخى فيما ترون فلما طعمه أستخفه، واستعذبه

واستعلاه فلم يكن يؤثر عليه شيئاً وما كنا نأثيته بعد بغيره وجعل فى خلال

ذلك يقول:

هذا طعام طيب يلين فى الجوف والحلق له سُكون

الشهد والزبد به معجون

وقيل ان بنى تميم يُعَيَّرُونَ بِأَكْلِ الضَّبِّ، قال ابن نواس في هجوههم: اذا ما
تَمِيمِيَّ اَتَاكَ مُفَاخِرًا

فقل عَدُّ عن ذا كيف أَكَلْتَ للضَّبِّ وحكاياتهم في مآكلهم ومشاربهم
وآدابهم كثيرة مذكورة في كتب السِّيَرِ ومن شاء فليراجع اليها.
ورابعها: قوله ﷺ: **وَتَسْفِكُونَ دِمَائِكُمْ...**

وهذا ايضاً ممّا لا شُبُهَة فيه على مَنْ مارس خلال هذا الدِّيار قال الله تعالى:
﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ (١)

وذلك لأن القتل والغارة كان شعار العرب في ايام الجاهلية حتى ان الوالد
ربّما كان يقتل ولده.

قال الله تعالى: **﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾** (٢)
و: **﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾** (٣)، ومن كان
قاتلاً لولده فأمره معلومٌ عنّي عن البيان.

وخامسها قوله ﷺ: **وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ...**

وسادسها قوله ﷺ: **الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنصُوبَةٌ...**

وسابعها قوله ﷺ: **الْأَثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ...**

وهذه الاوصاف الثلاثة ايضاً واضحة مُستغنية عن البيان وقد مرّ الكلام في
الأصنام والأثام في الجاهلية مفصلاً في المجلد الاوّل وسيأتى الاشارة اليها في
الأبحاث الآتية انشاء الله تعالى.

الفصل الثاني:

□ قوله ﷺ: **فَنظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي...**

اعلم: ان هذا الفصل الى آخره يَشتمَل على شكايته من ابناء زمانه من
المهاجرين والانصار من جهة عدم نُصرتهم له ﷺ في اقامة الحق وامانة الباطل
واستيفائه الحق المُسلم من عند الله ورسوله وقد بسطنا الكلام في هذا الامر

عند البحث في الخطبة الشَّقْشِقِيَّة بما لا مزيد عليه إلا أن الحوالة توجب الملاحة
وتضييع الوقت فلامحالة نتكلم فيه هنا على سبيل الاجمال.

قوله عليه السلام: فنظرت الى آخره. اشارة الى حقيقة من الحقائق المُسَلِّمة عند
الفريقين وهي بيعة الناس لابي بكر في السَّقِيفَة خلافاً لما أوصى به الله ورسوله
عندنا وعدم الوصية عند بعض العامة تَعْصَباً منه وعناداً والأ فحديث الغدير
وامثاله مما لا ينبغي ان يُنكَروا على ائى التَّقَادير لاشك عند الكل في إعراض
الناس عنه عليه السلام، واقبالهم الى ابي بكر وعمر وامثالهما وكلامه هذا صريح فيما
ذكرناه.

وحاصل كلامه عليه السلام: ائى قد نظرتُ في أمرى بعد وفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم من القيام
والتعود وان الوظيفة ما هي فرأيت ان القعود أولى من القيام فان القيام لاستيفاء
الحق اذا لم يكن فيه مُعَيَّنٌ ولا ناصرٌ لامعنى له مضافاً الى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اوصاه
بالقيام مع وجود الناصر وعدمه مع عدمه وحيث انه لم يُساعده على هذا الامر
الأ اهل بيته وهم كانوا قليلين غير قادرين على المخالفة فلم يحصل شرط
القيام وهو المطلوب لانتفاء المشروط بانتفاء شرطه:

ان قلت - لعله عليه السلام لم يستمد من المهاجر والأنصار في هذا الامر اذ لو استمد
منهم لنصرؤه وعاونؤه على استيفاء الحق واجراء العدالة.

قلت - ليس الأمر كما زعمت بل هو عليه السلام استمد منهم مراراً فلم يُجيبوه
واستعان بهم فلم يُعينوه والدليل على المدعى من وجوه:

احدها: انه عليه السلام قد صرَّح في كلامه هذا وغيره مما هو مذكور في الكتب بانهم
اي المهاجر والأنصار لم ينصرؤه وهذا لا يُصدَّق إلا بعد استنصاره منهم وعدم
نصرتهم له وإلا يكون كاذباً في قوله وقد ثبت انه عليه السلام كان معصوماً عن الخطاء
فنحكم بصحة ما قاله عليه السلام: قضاءً لحق العصمة وهو المطلوب مما ذكره مؤيداً
بالعقل والنقل.

وثانيها: انه لو ثبتت النصره منهم له لوصل اليها وحيث انا نرى ان المورخين
والمُحدثين من الخاصة والعامة اتفقوا على عدم تحققها في حقه عليه السلام فنعلم

علماً قطعياً بأنهم لم يَنْصِرُوهُ بعد استنصاره منهم وهو المطلوب ولا يشك فيه
الآ المعاند المتعصب.

وثالثها: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات على كل مسلم
ومسلمة فضلاً عنه عليه السلام فإنه عليه السلام كان في رأس الأمرين بالمعروف والنهي عن
المنكر ولا شك أن خلافة غيره كانت من المنكرات التي يجب النهي عنه على
كل فرد من المسلمين فضلاً عنه عليه السلام فلو فرضنا وجود الناصر والمعين له عليه السلام في
اجرائهما ومع ذلك تقاعد عنه فكيف كان معصوماً والمفروض أن تركهما مع
وجود الشرائط من المحرمات وهو ينافي مقام العصمة فتعوده عن الأمر
وسكوته عنهما يثبت لنا عدم وجود الشرط وهو المعين والناصر له وهو
المطلوب.

ورابعها - أنه قد روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين أنه عليه السلام كان يقول لو
وجدت أربعين ذوى عزم لقاتلت، دلت هذه العبارة بمفهومها أنه لم يجد
أربعين ذوى عزم فهذا لم يقاتل وهو المطلوب...

وخامسها - مارواه مقداد وابوذر وسلمان أن رجلاً فاخر علياً فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي فاخر أهل الشرق والغرب والعرب والعجم فانت
أقربهم نسباً، وابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكرمهم نفساً وأعلاهم رفعةً
وأكرمهم ولداً وأكرمهم اخاً وأكرمهم عمّاً، وأعظمهم جِلاماً وأقدمهم سِلاماً
وأكثرهم علماً وأعظمهم عزاً في نفسك ومالك وانت أقرءهم لكتاب الله عز
وجل وأعلاهم نسباً وأشجعهم قلباً في لقاء الحرب وأجودهم كفاً وأزهدهم
في الدنيا وأشدّهم جهاداً وأحسنهم خلقاً وأصدقهم لساناً وأحبّهم إلى الله
والى وسبقى بعدى ثلاثين سنة تعبد الله وتصبر على ظلم قريش، ثم تجاهد
في سبيل الله انا وجدت أعواناً تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله
تقتل شهيداً تخضب لحيّتك من دم رأسك قاتلك يعدل قاتل ناقة صالح في
البغضاء لله والبعد من الله (أبعد من الله).

يا على، انك من بعدى مغلوبٌ مَغضوبٌ تصبر على الأذى في الله وفيّ
مُحتسباً أجرك غير ضايحٍ فجزاك الله عن الأسلام خيراً، انتهى «بحار الانوار»
ج ٨، ص ١٥٤»...

وسادسها- ماروى في البحار ايضاً باسناده عن جعفر ابن محمد عن
آبائه عليهم السلام قال عليه السلام: خَطَبَ امير المؤمنين عليه السلام بالكوفة فلما كان في
آخر كلامه، قال انى لأولى الناس بالناس وما زلتُ مَظْلُوماً مُنذُ قُبُضِ رسول
الله صلى الله عليه وآله فقام الأشعث ابن قيس لعنه الله عليه، فقال يا امير المؤمنين لم
تَخطبنا خُطبةً منذُ قَدِمْتَ العراقِ إلا وقلتَ والله انى لأولى الناس بالناس وما
زلتُ مَظْلُوماً منذُ قُبُضِ رسول الله صلى الله عليه وآله ولما ولى يتم وعدى هلاً ضربتُ
بسيّفك دونَ ظلامتك.

فقال له امير المؤمنين عليه السلام يا ابن الخمارة (الجمارة) قد قلت قولاً فأستمع
والله ما متعنى الجبن ولا كراهية الموت ولا منغنى ذلك الآ عهد أخى رسول
الله أخبرنى وقال يا ابا الحسن ان الأمة ستغدر بك وتنقض عهدى وانك منى
بمنزلة هرون من موسى، فقلت يا رسول الله فما تعهد إلى اذا كان كذلك؟
فقال: ان وجدت اعواناً فباير اليهم وجاهدُهم وإن لم تجد اعواناً فكف يدك
وأحقن دمك حتى تلحق بى مَظْلُوماً فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله اشتغلت بدفنه
والفراغ من شأنه، ثم آليت يميناً انى لا ارتدى إلا للصلاة حتى أجمع القرآن
ففعلت.

ثم اخذت بيد فاطمة وابنى الحسن والحسين، ثم دُرْتُ على اهل السابقة
فناشدتهم حتى ودعوتهم الى نصرى فما أجابنى منهم إلا اربعة رهط سلمان
ومقداد وعمار وابوذر وذهب من كنت اعتضد بهم على دين الله من اهل بيتى
وبقيت بين حفيرتين قريبتى العهد بجاهلية عقيل والعباس.

فقال له الاشعث كذالت كان عثمان لماً لم يجد اعواناً كف يده حتى قتل
مَظْلُوماً، فقال امير المؤمنين يا ابن الجمارة ليس كما قست ان عثمان لماً جلس

فى غير مجلسه وأرتدى بغير ردايه وصار ع الحق فصرعه الحق والذى بعث
 محمدأ بالحق لو وجدت يوم بويع أخويتم اربعين رهطاً لجاهدتهم من الله
 الى ان الى عذرى، ثم ايها الناس ان الاشعث لايزن عندالله جناح بعوضد وانه
 أقل فى دين الله من عفة عنز، انتهى «بحار الانوار، ج ٨، ص ١٢٥، ط
 كمپانى»...

اقول: وهذه الرواية كما ترى صريحة فى المدعى ومعها لاحاجة فى اطالة
 الكلام مضافاً ما مرّ من فى شرح الخطبة الشفقيّة من الروايات الدالة على علة
 قعوده عليه السلام عن الامر فراجعها.

□ قوله عليه السلام: فَضِنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى وَشَرِبْتُ عَلَى
 الشَّجَى...

اي لما رأيت عدم نصرة القوم لى فى استنقاذى حتى فعلت ان القيام
 بالأمر مع هذه الكيفية غير مطابق للشرع والعقل لادائه الى قتل اهل بيتى
 وخواص اصحابى لامحالة فلاجرم اغضيت، اي اطبقت جفونى على القذى
 وشربت على الشجى فالأغضاء والشرب كنايةتان عن تحمّله على الأمور
 الصعبة وهما عبارتان حاكيتان عن قوله عليه السلام: فى الخطبة الشفقيّة فصبرت وفى
 العين قذى وفى الحلق شجى وتغيير اللفظ مقتضى قانون البلاغة وهكذا الأمر
 فى الجملة التالية وهى قوله عليه السلام:

□ قوله عليه السلام: وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكُظْمِ وَعَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ...

وذلك لان الصبر على هذه الدواهى أمرٌ مشكل هو أمرٌ من طعم العلقم
 الذى دفعى مدتها لأن مرارته قليلة بخلاف الصبر على هذه الأمور فان مرارتها
 تدريجيّة طويلة المدّة كيف وكان عمر مرارته خسماً وعشرين سنة وأنا قد
 استوفينا الكلام فى هذا البحث فى الخطبة الشفقيّة فلانعيد الكلام بأعادته.

الفصل الثالث:

□ قوله عليه السلام: وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا...

اعلم: ان هذا الفصل فى كيفية بيعة عمرو بن العاص لمعاوية ابن ابى سفيان

وأنه لم يُبايعه مجاناً أو قربةً الى الله لعلمه بعدم لياقته للخلافة وإنما بايَّعه على ان يؤتَّيه على البيعة ثمناً فهو في الحقيقة باع آخرته بديناه بل بُدِّينا غيره كما سيُتَّضح لك ان شاء الله تعالى.

وَصُورَة هذه الواقعة على سبيل الأجمال هي أنه لما عادَ عليٌّ عليه السلام من البصرة بعد فراغه من الجَمَلِ قَصَد الكوفة وأرسل الى جرير ابن عبدالله البجلي وكان عاملاً على همدان استعمله عثمان والي الأشعث ابن قيس وكان على آذربايجان استعمله عثمان ايضاً يأمرهما بأخذ البيعة والحضور عنده فلما قَدِمَا عليه واران عليه السلام ان يُرسل رسولا الى معاوية قال جرير أرسلني اليه فإنه لي وُدٌّ فقال الأشر لا تفعل فإن هواء مع معاوية فقال:

عليٌّ عليه السلام دَعَهُ حَتَّى نَنظُر ما الَّذي يرجع الينا به فَبَعَثَهُ وَكَتَبَ مَعَهُ كِتَاباً الى معاوية يُعَلِّمُهُ باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وخر به عليه السلام إناهما ويدعوهُ الى الدخول فيما دخل المهاجر والأنصار من طاعته فسار جرير الى معاوية ودعاها الى بيعة علي ومعاوية ماطلَّه واستنظره لكونه خائفاً من الحرب معه عليه السلام وراجياً للخلافة ففي الحقيقة وَقَعَ في مَحذُورين: مَحذُور البيعة ومَحذُور الخلافة.

وبعبارة اخرى: مَحذُور البيعة ومَحذُور عَدَمها وذلك لعلمه بأن علياً عليه السلام لا يؤمره على الشأم وعلى غيره فهذا في البيعة وعلمه ايضاً بأن عدم البيعة يوجب وقوعه في الحرب معه عليه السلام وهو من أشدَّ المَهالك لأنه كان عارفاً بشجاعته ومهارته في الحرب مع عداوته له عليه السلام، كيف لا وهو الَّذي قتل حنظلة ابن ابي سفيان اخاه وهو الَّذي قتل خاله وليد ابن عتبة وجده عتبة كلهم في يوم واحد كما نسب اليه أند بعد ماورد جرير عليه وسلَّم اليه كتاب علي عليه السلام كان مُتَوَجِّهاً خائفاً وقال:

تطاوَل ليلى وأعترتني وساوسي
أتانا جرير والحوادث، جُمَّة
لآتٍ أتى بالثرهات البسائس
بتلك التي فيها اجتداع المعاطيس

أَكَابِدُهُ وَالسَّيْفَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
 ان الشَّامَ اعطت طاعةً بِمَنْيَتِهِ
 فَان يَجْمَعُوا صَدَمَ عَلِيًّا بِجَبْهَةٍ
 وَاِنِّي لَارْجُو خَيْرَ مَا قَالَ نَائِلُ
 وَاِلَّا يَكُونُوا عِنْدَ ظَنِّي بِنَصْرِهِمْ
 وَلَسْتُ بِاثْوَابِ الدَّيْنِ بِبِلَاسِ
 تَوَاصَفَهَا اَشْيَاخَهَا فِي الْمَجَالِسِ
 تَقَّتْ عَلَيْهِ كَلَّ رَطْبِ وَيَابِسِ
 وَمَا اَنَا مِنْ مَلِكِ الْعِرَاقِ بِآبِسِ
 وَاِن يَحْلِفُوا ظَنِّي اَنْلِي كَفَّ عَانِسِ

روى أنه ذات يوم جمع اهله وعشيرته وأظهر لهم مكنون خاطره وأنه بصدد
 تحصيل الخلافة والحكومة بائٍ وجهٍ اتفق استشارهم في ذلك الامر، فقال له
 عتبة ابن ابي سفيان نعم المقصد مقصدك الا انه لا يتم الا باستعانتك من عمرو
 ابن العاص واستمدادك من مكره وحيلته فانه من فرسان هذا الامر ولا يدانيه
 فيه أحد من العرب.

فقال لاخيه: نعم الرأى رأيك الا ان عمرواً هواه مع عليٍّ وانا اخاف ان
 دعوته الى نفسى لا يوافقنى عليه.

قال له اخوه عتبة: ان عمرواً لم يكن من ابناء الدين ولكنه من ابناء الدنيا
 وانه من الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة فأجبه بكل ما يرتضيه من
 الدرهم والدينار والمقام وغيرها.

فكتب معاوية اليه وهو في فلسطين لانه سار عن المدينة قبل ان يقتل
 عثمان نحوه وسبب ذلك على ما فى الكامل انه لما احيط بعثمان خرج عنها
 وسار معه ابنه عبدالله ومحمد فسكن فلسطين فمر به راكب من المدينة فقال
 عمرو ما اسمك؟

قال حصيرة. قال عمرو حصير الرجل. وما الخبر؟ قال: تركت عثمان
 محصوراً.

ثم مرّ به راكب آخر بعد ايام فقال له عمرو ما اسمك؟
 قال: قتال. قال: قتل الرجل فما الخبر؟ قال قتل عثمان.
 ثم مرّ به راكب آخر بعد ايام، فقال له عمر ما اسمك؟

قال: حَرَب، قال عَمرو: ليكون حرب وقال له ما الخبر؟
 قال: بايع الناس علياً، فقال: مسلم ابن زنباع يا معشر العرب كان بينكم وبين
 العرب باب فكسِر فاتخذوا باباً غيرَه فقال عَمرو ذلك الذي نريدُه انتهى.
 فلمّا وصل اليه الكتاب وهو هذا:

من معاوية ابن ابي سفيان خليفة عثمان ابن عفان امام المسلمين وخليفة
 رسول ربّ العالمين ذى النورين ختن المُصطفى على ابنتيه صاحب جيش
 العُسرة وبثر رُومة المَعْدُود الناصر الكثير الخاذل المَحْصُور فى منزله المَقْتول
 عَطْشاً وظُلماً فى محرابه المُعذَّب بأسياف الفَسَقَة الى عَمرو ابن العاص
 صاحب رسول الله ﷺ وأمير عسكره بذات السلاسل المُعظَّم رأيه المُفخَّم
 تدبيره.

أما بعد: فلن يخفى عليك احتراق قلوب المؤمنين وما اصابوا به من الفجیعة
 (الفخيمه) بقتل عثمان وما أرتكب به حَسداً وبَغياً بامتناعه من نصرته وخذلانه
 اياه واشلامه الغارة عليه حتى قتلوه فى محرابه فيالها من مصيبة عَمَّت جميع
 المسلمين وفَرَضت عليهم طلب دمه من قتلته وانا ادعوك الى الحَظِّ الأَجْزَل
 من الثواب والنَّصيب الأوفر من حُسن المآب بقتال من آواى قَتْلَة عثمان رضى
 الله عنه وأضاه وأحلّه جَنَّة الماوى انتهى.

فاجابه عمرو ابن العاص بهذا الجواب:

من عمرو ابن العاص صاحب رسول الله الى معاوية ابن ابي سفيان:
 أما بعد: فقد وصل كتابك فقرأته وفهمته.

فأما ما دعوتنى من خلع ربقة الأسلام من عُنقى والتَّهَوُّرُ فى الضلالة مَعَكَ
 واعانتى اياك على الباطل واختراطِ السَّيفِ فى وجهِ عليّ (رض) وهو أخو
 رسول الله ﷺ ووصيّه ووارثه وقاضى دينه ومُنْجِز وعده وزَوْج ابنته سيِّدة
 نساء العالمين وابو السَّبْطَيْنِ الحسن والحسين سيِّد شباب اهل الجَنَّة.

فأما ما قلتَ أنّك خليفة عثمان فقد صدقتَ ولكن يتعيّن اليوم عزلك عن

خلافته وقد بُويع لغيره فرالت خلافتك.

وامّا ما عَظَّمْتَنِي به ونسبتَنِي اليه من صُحبة رسول الله ﷺ وائى صاحب جيشه فلا أَعْتَرَّ بالتولية ولا أَمِيلُ بها عن الملة.

وامّا ما نسبْتَ ابا حسن ابا رسول الله ﷺ، ووصيَه الى الحَسَدِ والبغى على عثمان وسميتَ الصّحابة فسقة وزعمتَ انه اشلاهم على قتله فهذا كِذْبٌ وغواية.

ويحك يا معاوية اما علمت ان ابا حسن بذل نفسه بين يدي رسول الله وبات على فراشه وهو صاحب السبق الى الاسلام والهجرة وقد قال فيه رسول الله ﷺ هو مِنِّي وانا منه هو مِنِّي بمنزلة هرون من موسى الا انه لانيبي بعدى. وقد قال فيه يوم غدير خمّ اَلَا مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وهو الذى قال فيه يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

وهو الذى قال فيه يوم الطير، اللَّهُمَّ أَتَيْتَنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ ﷺ اللَّهُمَّ وَالِيٌّ وَقَدْ قَالَ فِيهِ يَوْمَ النَّصِيرِ عَلِيٌّ إِمَامَ الْبِرَّةِ وَقَاتِلِ الْفَجْرَةَ مَنْصُورٌ مَنْ نَصَرَهُ مَخْذُولٌ مَنْ خَذَلَهُ.

وقد قال فيه: عَلِيٌّ وَلِيَّكُمْ بَعْدِي وَاكَّدَ الْقَوْلَ عَلِيٌّ وَعَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَالَ أَنِّي مُخَلَّفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ، وَعِترَتِي. وقد قال: انا مدينة العلم وعلي بابها.

وقد علمت يا معاوية ما أنزل الله تعالى فى كتابه من الآيات المتلوات من فضائله التى لا يشركه فيها أحد، كقوله تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالْعُدْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (١)

و: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ زَاكِعُونَ﴾ (٢)

و : «أَقْمَنَ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» (١)

وقد قال الله تعالى لرسوله ﷺ: «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (٢)

وقد قال رسول الله اما ترضى ان يكون سيلمك سيلمى وحرُّبك حربي وتكون آخى ووليتى فى الدنيا والآخرة، يا ابا الحسن من آحبك فقد آحببى ومن ابغضك فقد ابغضنى ومن آحبك فقد ادخله الله الجنة ومن ابغضك ادخله الله النار وكتابك يا معاوية الذى هذا جوابه ليس مما يُخدع به من له عقل أو دين، انتهى.

ثم ان معاوية بروايه نصر ابن مزاحم كتب اليه كتاباً آخر وهو:
اما بعد: فانه قد كان من امرِ عليّ وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط الينا مروان ابن الحكم فى رافضة اهل البصرة وقدام الينا جرير ابن عبد الله فى بيعة عليّ فقد حبست نفسى عليك حتى تأتيني أقبل اذاكرك أمراً ثم قال:
جهلت ولا تعلم مَحَلِّكَ عندنا

فأرسلت شيئاً من خطابٍ وما تدرى

فتو بالذى عندى لك اليوم آينفاً

من العزِّ والأكرام والجاه والقدر

فأكتب عهاً ترتضيه مؤثقا

واشفعه بالبذل منى وبالبر

فأنشد عمرو ابن العاص فى جوابه هذه الأشعار:

أبى القلب منى أن يُخدع بالمكر

بقتل ابن عفان آجر على الكفر

وأنى لعمرو ذودهاى وفتنة

ولست ابيع الدين بالريح والوفر

فلو كنتُ ذا عقلٍ ورأيٍ وحنكةٍ
لقلتُ لهذا الشيخِ إن خاضُ في الأمرِ
تحيّةَ منشورٍ جليلٍ مكرمٍ
بخطِ صحيحِ ذي بيانٍ على مصرِ
أليسَ صغيراً مُلكِ مصرٍ ببيعةٍ
هي العارفي الدنيا على العقبِ من عمروِ
فإن كنتَ ذا ميلٍ شديدٍ إلى العليِّ
وأمرّةِ أهلِ الدينِ مثلِ أبي بكرِ
فاشركِ أخا حزمٍ ورأيٍ وحيلةٍ
معاوياً في امرٍ جليلٍ لدى الذكرِ
فإنّ دواءَ اللّيثِ صعبٌ على الوريِّ

وان عابَ عمروَ وزيدُ شرُّ عليِّ (الي) شرِّ
ثمّ أنّه استشارَ أبيه عبد اللهَ ومُحمّدَ وقالَ لها ما تريان فقالَ له عبد اللهَ أرى أنّ بنيَ
اللهِ قبضُ وهو عنك راضٍ وكذا لخليفتان من بعده وقُتلَ عثمانُ وانت عنه
غائبٌ فقَرِّ في منزلكِ فلستَ مَجعولاً خليفةً ولا تريدُ عليّ أن تكونَ حاشيةً
لمعاويةِ عليّ دنيا قليلة. وقالَ محمّدُ أرى أنّ شيخَ قريشٍ وصاحبَ أمرها وان
تصرمَ هذا الأمرُ وانت فيه غافلٌ تصاغرُ أمرُك فالحقُ بجماعةِ أهلِ الشّامِ وكن
يداً من أيديها واطلُبْ بدمِ عثمانٍ فإنّه سيقومُ بذلكِ بنو أمية.

فقالَ عمروُ أمّا أنتَ يا عبد اللهَ فأمرتني بما هو خيرُ لي في ديني وأمّا أنتَ يا
مُحمّدَ فأمرتني بما هو خيرُ لي في دنياي وأنا ناظرٌ فيه فلمّا جَنَّهُ اللّيلُ رفعَ
صوتهَ يَنشدُ أبياتاً في ذلكِ فقالَ عبد اللهَ ترَحَّلَ الشيخُ وهي هذه:

تَطَاوَلَ لَيْلِي لِلهُمومِ الطَّوَارِقِ	وَخَوْفِي الَّتِي تَجَلُّوْ وَجُوهُ العَوَائِقِ
وَأَنَّ ابْنَ هِنْدٍ سَأَلَنِي أَنْ أزوَرَهُ	وَتَلِكِ الَّتِي فِيهَا نَبَاتُ البَوَائِقِ
أَتَاهُ جُرَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ بِخَطِّه	أَمَرَّتْ عَلَيْهِ العَيْشُ ذَاتَ مَضَائِقِ
فَأَنَّ نَالَ مِنِّي مَا يُؤَمِّلُ رَدَّهُ	وَأَنْ لَمْ يَنْلُهُ ذَلٌّ ذُلُّ المَطَابِقِ

فَوَاللَّهِ مَا ادْرَى وَمَا كُنْتُ هَكَذَا
 أُخَادِعُهُ أَنْ الْخُدَاعَ ذَنْبِيَّتُهُ
 أَوْ أُقْعِدُ فِي بَيْتِي وَفِي ذَلِكَ رَاحَةً
 وَقَدْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَوْلًا تَعَلَّقَتْ
 وَخَالَفَهُ فِيهِ أَخُوهُ مُحَمَّدٌ
 أَكُونُ وَمَهْمَا مَا دَنَى فَهُوَ سَائِقِي
 أَمْ أُعْطِيهِ مِنْ نَفْسِي نَصِيحَةً وَأَمَقِي
 لِشَيْخٍ يَخَافُ الْمَوْتَ فِي كُلِّ شَارِقِي
 بِهِ النَّفْسُ إِنْ لَمْ يِعْتَلِقْنِي عَوَائِقِي
 وَأَتَى لَصَلْبِ الْعُودِ عِنْدَ الْحَقَائِقِي

ثُمَّ إِنَّ عَمْرُوَ أَدْعَا غَلَامَهُ وَرِدَانَ وَكَانَ ذَاهِبًا مَارِدًا فَقَالَ لَهُ أَرْحَلْ يَا وَرِدَانَ، ثُمَّ قَالَ
 أَحِطُّ يَا وَرِدَانَ، ثُمَّ قَالَ أَرْحَلْ يَا وَرِدَانَ احْطِطْ يَا وَرِدَانَ، فَقَالَ لَهُ وَرِدَانَ خَلَطِ
 يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمَا أَنْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِمَا فِي نَفْسِكَ؟ قَالَ عَمْرُو هَاتِ وَيْحَكَ،
 قَالَ أَعْتَرَكِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عَلَى قَلْبِكَ. فَقُلْتُ عَلَيَّ مَعَهُ الْآخِرَةُ فِي غَيْرِ الدُّنْيَا
 وَفِي الْآخِرَةِ عَوَاسٍ وَمَعَاوِيَةَ مَعَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ آخِرَةٍ وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا عِوَاضٌ مِنَ
 الْآخِرَةِ، أَنْتَ وَاقِفٌ بَيْنَهُمَا قَالَ فَأَنْتَ وَاللَّهِ مَا اخْطَأْتُ فَمَا تَرَى يَا وَرِدَانَ؟
 قَالَ: أَرَى إِنْ تَقِيمُ فِي بَيْتِكَ فَإِنَّ ظَهْرَ أَهْلِ الدِّينِ عَشْتُ فِي عَفْوِ دِينِهِمْ وَإِنْ
 ظَهَرَ أَهْلُ الدُّنْيَا لَمْ يَسْتَغْنُوا عَنْكَ، قَالَ الْآنَ لَمَا شَهِدْتَ الْعَرَبَ مَسِيرِي إِلَى
 مَعَاوِيَةَ فَارْتَحِلْ وَهُوَ يَقُولُ:

أَقَاتِلِ اللَّهَ وَرِدَانًا وَفِطْنَتَهُ

أَبْدَى لَعْمَرِكَ مَا فِي النَّفْسِ وَرِدَانَ
 لَمَّا تَعَرَّضْتَ الدُّنْيَا عَرَضْتُ لَهَا
 بِحَرَصِ نَفْسِي وَفِي الْأَطْبَاعِ إِذْهَانُ
 نَفْسٍ تَعِيفُ وَآخِرَى الْحَرَصِ يَقْبَلُهَا
 وَالْمَرْءُ يَأْكُلُ تَيْبَانًا وَهُوَ غَرْتَانُ
 أَمَا عَلَيَّ فِدَيْنٌ لَيْسَ يَشْرِكُهُ
 دَيْنَانًا وَذَلِكَ لَهُ دَيْنَانُ وَسُلْطَانُ
 فَأَخْتَرْتُ مِنْ طَعْمِي دَيْنَانًا عَلَى بَصْرِي
 وَمَا مَعِيَ بِالَّذِي اخْتَارُ بَرَهَانُ

أَنْسَى لِأَعْرَفٍ مَا فِيهَا وَابْصُرُهُ
 وَفِيَّ أَيْضاً لِمَا أَهْوَاهُ أَلْوَانُ
 لَكِنَّ نَفْسِي تُحِبُّ الْعَيْشَ فِي شَرْفٍ
 وَلَيْسَ يَرْضَى بِذَلِكَ الْعَيْشَ إِنْسَانُ
 أَمْرٌ لِعَمْرٍو أَبِيهِ غَيْرُ مَشْتَبِهِ
 وَالْمَرْءُ يَعْطَشُ وَالْوَسْنَانُ وَسْنَانُ

فسار حتى قدم على معاوية وعرف حاجة معاوية اليه فباعده، من نفسه
 وكأيد كل واحدٍ منهما صاحبه، فقال معاوية لعمرو يوم دخل عليه يا ابا عبد الله
 طرقتنا في ليلتنا ثلثة اخبار ليس فيها ورد ولا صدر قال: وما ذاك؟ قال منها ان
 محمد ابن ابي حذيفة كسر سجن مصر فخرج هو واصحابه وهو من آفات
 هذا الدين.

ومنها - ان قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام.

ومنها - ان علياً نزل الكوفة وتهيئاً للمسير اليها، فقال عمرو ليس كل ما
 ذكرت عظيماً.

اما ابي حذيفه فما يتعاطمك من رجل خرج في اشباهه ان تبعث اليه رجلاً
 يقتله او يأتيك به وان قاتل لم يضرك.
 واما قيصر فأهد له الوصايف وآنية الذهب والفضة وسله المؤادعة فانه
 اليها سريع.

واما علي فلا والله يا معاوية ما يسوى العرب بينك وبينه في شئ من
 الأشياء وان له في الحرب لحظاً ما هو لأحد من قريش وانه لصاحب ما هو فيه
 إلا ان تظلمه.

قال معاوية لعمرو اني ادعوك الى جهاد هذا الرجل الذي عصى الله وشق
 عصا المسلمين وقتل الخليفة وأظهر الفتنة وفرق الجماعة، وقطع الرحم فقال
 عمرو من هو قال علي قال عمرو: والله يا معاوية ما انت و علي جملتي بغير

ليس لك هجرته ولا سابقته ولا صحبتته ولا جهاده ولا فقهه ولا علمه ووالله ان
 له مع ذلك لحظاً في الحرب ليس لأحدٍ غيره ولكني قد تعودت من الله تعالى
 احساناً وبلاءً جميلاً فما تجعل لي ان اشايحك على حربيه وانت تعلم ما فيه من
 الغرر والخطر، قال معاوية حكمتك فقال مصر طعمة فتلكاء عليه معاوية وأنشد
 عمرواً:

معاوى لأعطيك ديني ولم آت فان تُعطيني مصرأ فأريح بصفقة وما الدين والدنيا سواء وانى ولكنى اغضى الجفون وانى واعطيك امراً فيه للملك قوّة وتمنعنى مصرأ ولست نزعته	بذلك دنياً فأنظرن كيف تصنع أخذت بها شيخاً يضر وينفع لأخذ ما تعلق ورأسى مقتنع لاخذع نفسى والمخادع يخذع واتى به ان زلت النعل اصرع واتى بذي المسموع قدماً لمولع
---	---

فقال معاوية: يا عمرو أما تعلم ان مصرأ مثل العراق؟

قال: بلى، ولكنها انما يكون لى اذا كانت لك وانما يكون لك اذا اغلبت علياً
 على العراق، وقد كان اهل مصر بعثوا بطاعتهم الى علي فلما حضر عتبة ابن ابى
 سفيان فقال لمعاوية اما ترضى ان تشتري عمرواً بمصر ان هى صفة لك ليتك
 لاتغلب على الشام. فقال معاوية: يا عتبة بت عندنا الليلة فلما جن الليل على
 عتبة رفع صوته لىسمع معاوية وقال:

أيها المانع سيفاً لم يهز انما انت خروفاً مائل اعط عمرواً ان عمرواً تارك يالك الخير فخذ من دره واسحب الذيل وبادر فوقها اعطه مصرأ وازدد مثلها واترك الحرص عليها ضلة ان مصرأ لعلى اولنا	انما قلت على خز وبز بين صرعين وصوف لم تحز دينه اليوم لذنيا لم تحز شحنة الاولى وابعد ما غزر وانتهزها ان عمرواً ينتهز انما مصر لمن عز وبز واشبب النار لمقرور يكرز يغلب اليوم عليها من عجز
---	--

فلَمَّا سَمِعَ مَعَاوِيَةَ هَذِهِ الْأَشْعَارَ مِنْ عَتَبَةَ أَرْسَلَ إِلَى عَمْرٍو فَأَعْطَاهُ مِصْرًا فَقَالَ
عَمْرٍو لِي اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ شَاهِدٌ؟

قَالَ: نَعَمْ، لَكَ اللَّهُ عَلَيَّ بِذَلِكَ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْكُوفَةَ. فَقَالَ: عَمْرٍو وَاللَّهِ عَلَيَّ
مَا نَقُولُ وَكَأَيْلٍ فَخَرَجَ عَمْرٍو مِنْ عِنْدِهِ.

فَقَالَ لَهُ ابْنَاهُ مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: أَعْطَانَا مِصْرًا طَعْمَةً، قَالَا وَمَا مِصْرٌ فِي مَلِكِ
الْعَرَبِ؟ قَالَ: لِأَشْبَعِ اللَّهُ بَطُونَكُمْ إِنْ لَمْ تَشْبِعْكُمْ وَكُتِبَ مَعَاوِيَةَ لَهُ بِمِصْرٍ كِتَابَةٌ.
قِيلَ: إِنْ مَعَاوِيَةَ أَرَادَ أَنْ يَكِيدَ عَمْرٍو، فَقَالَ لِكَاتِبِهِ أَكْتُبْ عَلَيَّ أَنْ لَا يَنْقُضَ
شَرْطَ طَاعَتِهِ فَقَالَ عَمْرٍو أَكْتُبْ عَلَيَّ أَنْ لَا يَنْقُضَ طَاعَتَهُ شَرْطًا، وَبَيْنَ الْجَمَلَتَيْنِ
مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى فَرْقٌ وَاضِحٌ.

وَكَانَ لِعَمْرٍو ابْنُ الْعَاصِ ابْنُ عَمٍّ مِنْ سَهْمٍ أَرِيبٌ فَلَمَّا جَاءَ عَمْرٍو بِالْكِتَابِ
مَسْرُورًا أَعْجَبَ الْفَتَى وَقَالَ أَلَا تُخْبِرُنِي يَا عَمْرٍو بَأَيِّ رَأْيٍ تَعِيشُ فِي قَرِيشٍ
أَعْطَيْتَ دِينَكَ وَضَيَّعْتَ دُنْيَا غَيْرِكَ، أَتَرَى أَهْلَ مِصْرٍ وَهُمْ قَتَلُوا عِثْمَانَ يَدْفَعُونَهَا
إِلَى مَعَاوِيَةَ وَعَلَيٌّ حَيٌّ وَاتُّرَاهَا إِنْ صَارَتْ لِمَعَاوِيَةَ لِاتَّخِذَهَا بِالْحَرْفِ الَّذِي
قَدَّمَهُ فِي الْكِتَابِ فَقَالَ عَمْرٍو يَا ابْنَ أَخِي إِنْ الْأَمْرَ لِلَّهِ دُونَ مَعَاوِيَةَ وَعَلَيٍّ
فَقَالَ الْفَتَى:

أَلَا يَا هِنْدُ اخْتِ بَنِي زِيَادٍ
رَمَى عَمْرٍو بِأَعْوُرٍ عَيْشَمِيٍّ
لَهُ خَدَعٌ يُحَارِ الْعَقْلَ فِيهَا
تَشَرَّطَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْهِ حَرْفًا
وَأَثَبَتْ مِثْلَهُ عَمْرٍو عَلَيْهِ
إِلَّا يَا عَمْرٍو مَا أَحْرَزْتَ مِصْرًا
وَبَعَثَ الدِّينَ بِالدُّنْيَا خِسَارًا
فَلَوْ كُنْتَ الْغَدَاةَ أَخَذْتَ مِصْرًا
وَقَدَّتْ إِلَى مَعَاوِيَةَ ابْنِ حَرْبٍ
دَهَى عَمْرٍو بِدَاهِيَةِ الْبِلَادِ
بَعِيدِ الْقَصْرِ مَحْشَى الْكِبَادِ
مُزَخْرَفَةٌ صَوَائِدُ لِفَقْوَادِ
يُنَادِيهِ بِخُدْعَتِهِ الْمَنَادِ
كَلَامِ الْمَرْتِنِ حَيَّةَ بَطْنِ وَاذِ
وَمَا مِلْتَ الْغَدَاةَ إِلَى الرَّشَادِ
فَأَنْتَ بِذَلِكَ مِنْ شَرِّ الْعِبَادِ
وَلَكِنْ دُونَهَا خَرَطَ الْقِتَادِ
فَكُنْتَ بِهَا كَوَافِدِ قَوْمِ عَادِ

وأعطيت الذي أعطيت منه
 ألم تعرف ابا حسن علياً
 عدلت به معاوية ابن حرب
 ويا بعد الأصابع من سهيل
 أتأمن أن تراه على خدب
 يُنادى بالتزال وانت منه
 بطرس فيه فضع من مداد
 ومالت يده من الأعادي
 فيا بعد البياض من السواد
 ويا بعد الصلاح من الفساد
 تحث الخيل بالأهل الحداد
 بعيد فانظرن من ذاتعاد
 فقال عمرو لمّا سمع الأشعار يابن اخي لو كنت عند عليّ لو سعني ولكني
 الآن عنده (اي معاوية).

قال الفتى له إنك لو لم تُرد معاوية لم يُردك ولكنك تريد دنياه وهو يريد
 دينك وبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب ولحق بعليّ عليه السلام فحدثه أمره فسّر به
 وقربه وغضب مروان وقال ما بالي لا اشتري، فقال معاوية أما يشتري الرجال
 لك فلما بلغ علياً عليه السلام ما صنع معاوية انشد عليه السلام وقال:

يا عجباً لقد سمعتُ منكرًا
 يسترقُ السَّمعَ ويُغشى البَصْرَا
 ان يَقْرِنُوا وَصِيَّةَ وَالْأَبْتِرا
 كلاهما في جُنده قد عَسْكَرا
 من ذا بُدنيا بِيعه قد خَسْرا
 انى اذ المَوتِ دَنى وَحَضْرَا
 قَدِّمَ لَوَاى لَاتَوَفِّرَ حَذْرَا
 لَمَّا رَأَيْتُ المَوتِ مَوتًا أَحْمَرَا
 حَى يَمَانٍ يَعْظَمُونَ الحَظْرَا
 قُلْ لابنِ حَرْبٍ لَاتَدْبُ الحَمْرَا
 لَاتَحْسَبْنى يابنِ حَرْبٍ عُمْرَا
 كَانَتْ قَرِيشَ يَوْمَ بَدْرٍ جُرْرَا
 كذِباً على الله يُشيبُ الشُعْرَا
 ما كان يَرْضى احمدُ لو خَبْرَا
 شَأْنى الرَسُولِ وَاللَّعِينِ الأَخْزْرَا
 قد باعَ هَذَا دينه فَافْجَرَا
 بِمُلكِ مِصرانِ اصَابَ الظَّفْرَا
 شَمَرْتُ ثَوْبى ودَعَوْتُ قَنبرَا
 لَنْ يَنْفَعِ الحِذَارِ ما قد قُدْرَا
 عِبَاتُ هَمِيدانِ وَعَبُّو حَميرَا
 قَرْنَا اذَا ناطحَ قَرْنَا كَسْرَا
 آرودُ قَليلًا ابدٍ مِنْكَ الفَجْرَا
 وَسَلْ بنا بَدْرًا مَعًا وَخَيْرَا
 اذ وَرَدَ والأمرُ فَدَنْتُوا الصِّدْرَا

لَوْ أَنَّ عِنْدِي يَابْنَ حَرْبٍ جَعْفَرًا أَوْ حَمْزَةَ الْقُرْمِ الْهُمَامِ الْأَزْهَرًا
رَأَتْ قَرِيْشٌ نَجْمٌ لَيْلٍ ظَهَرًا

فلما كتب معاوية الكتاب لعمرو على ما مرَّ قال له ما ترى الآن؟
قال عمرو: أمضى الرأى الأول فبعث مالك ابن هبيرة الكندي فى طلب
محمد ابن ابى حذيفة فأدرّكه فقتله وبعث الى قيصر بالهدايا فوادعه واشتغل
بمقدمات الحرب مع على عليه السلام كما سيأتى تفصيله فى محله انشاء الله تعالى.
فقوله عليه السلام: وَلَمْ يُبَايِعْ: أى لم يُبايع عمرو ابن العاص لمعاوية ابن ابى
سفيان.

وقوله عليه السلام: حَتَّى شَرَطَ، أى حَتَّى شَرَطَ عَمْرُو، عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمْنًا وَهُوَ مُلْكُ
مِصْرَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ، فَعَمْرُو ابْنُ الْعَاصِ بِمَنْزِلَةِ الْبَايِعِ لِأَنَّهُ بَاعَ دِينَهُ وَابْنَ
أَبِي سَفْيَانَ هُوَ الْمُشْتَرَى لِدِينِهِ وَالْثَمَنُ فِي هَذِهِ الْمَعَامَلَةِ هُوَ مَلِكُ مِصْرَ، فَقَدَّتْ
الْبَيْعُ بَارَكَانَهُ الثَّلَاثَةَ: الْبَايِعَ، وَالْمُشْتَرَى، وَالْثَمَنَ أَوْ الرَّابِعَةَ بِإِضَافَةِ الْمُثْمَنِ وَهُوَ
بِيعْتُهُ.

وأما بيان نَسَبِ عَمْرُو وَمَعَاوِيَةَ فَسَيَأْتِي فِي مُسْتَقْبَلِ الْقَوْلِ انْشَاءَ اللَّهِ فِي شَرْحِ
وَقَعَةِ الصَّفِينِ.

□ قوله عليه السلام: فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَايِعِ وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُتْبَاعِ...

والمقصود من هذا الكلام انَّ عَمْرُوًّا لَا يَفُوزُ وَلَا يَفْلَحُ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ أَوْ بِمَا
يَأْمَلُهُ وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُتْبَاعِ اعْنَى مَعَاوِيَةَ فَاشَارَ عليه السلام بِهِ إِلَى أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَتَلَبَّقُ أَنْ
يَبِيعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَايَا فَضْلًا عَنْ دُنْيَا غَيْرِهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ وَالْآخِرَةُ بَاقِيَةٌ وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ
تَعَالَى فِي كِتَابِهِ.

منها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ﴾ (١)

و: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ (٢) وأمثال

ذلك من الآيات.

□ قوله ﷺ: فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا فَقَدْ شَبَّ لَهَا ظَاهَا وَعَلَّاسِنَاهَا...

ثم أمرهم بالجهاد في سبيل الله والحرب مع أعدائه فقال ﷺ خذوا وسلاح الحرب وأجمعوا عدتكم لها فقد آن وقت شروعها، وذلك لأن معاوية على غيه وضلاله والمقصود من هذا الحرب هو حرب صفين وقد أخبره النبي ﷺ بقتاله القاسطين والناكثين والمارقين والقاسطين هم معاوية واصحابه وسيأتي الكلام فيه مفصلاً، انشاء الله تعالى

□ قوله ﷺ: وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى لِلنَّصْرِ...

ثم أنه ﷺ، بعد ما أمرهم بتهيئة اسباب الجهاد امرهم ثانياً بالصبر وقال لهم اجعلوا الصبر شعاراً لكم كالثوب الملازم للجسد فقوله ﷺ: هذا استعارة، والمقصود من هذا الكلام هو الاعلام بأن الصبر مفتاح الفرج والفتح فكأنه قال لهم لا تغرنكم كثرة الأفراد وقلة عدد العدو فإن الانسان اذا لم يكن صابراً ولا سيما في الشدائد والمصائب لا يظفر ولا ينال الى ما اراد وذلك لأن الصبر مفتاح الفرج بل هو بمنزلة الرأس من الجسد.

ولذلك قال ﷺ: انه، اي الصبر ادعى للنصر ولا بأس بالاشارة الى حقيقته وماهيته وفضله والآثار المترتبة عليه اجمالاً.

اعلم: ان الصبر على ما عرفوه في علم الاخلاق هو ثبات النفس، وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب بان تقاوم معها بحيث لا تخرجها عن سعة الصدر وما كانت عليه قبل ذلك من السرور والطمأنينة وله اقسام:

الصبر على المكروه، وصدّه الجزع.

والصبر في كظم الغيظ وهو الحلم وصدّه الغضب.

والصبر على المشاق كالعبادة وصدّه الفسق.

والصبر على شهوة البطن والفرج وصدّه الشره.

والصبر عن فضول العيش وضده وهو الزهد وضده الحرص.

والصبر في كتمان السر وضده الاذاعة.

والصبر في الحروب وهو من انواع الشجاعة وضده الجبن والمقصود في المقام هو الاخير وسياتي تفصيل الكلام في كل واحد من اقسامه في مقام ابقى وانسب به.

واما فضله فلا يخفى على احد وقد تواترت الآيات والأخبار به وكفاك فيه انه منزل من منازل السالكين ومقام من مقامات الموحدين وبه ينسلك العبد في سلك المقرّبين ويصل الى جوار رب العالمين وقد اضاف الله اكثر الدرجات والخيرات اليه وذكره في ينف وسبعين موضعاً في القرآن ووصف الله الصابرين بأوصاف وتشير الى بعض الآيات والآثار الواردة فيه تمثيلاً وتبركاً

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١)

و: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ (٢)

و: ﴿وَأَنْ تَصَبَرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣)

و: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ (٤)

و: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٥)

و: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦)

و: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ (٧)

قال رسول الله ﷺ الصبر نصف الإيمان.

وقال ﷺ: من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمته الصبر، ومن أعطى حظّه

منها لم يُبال ما فاتته من قيام الليل وصيام النهار ولئن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحبّ إليّ من ان يوافيني كل امرء منكم بمثل عمل جميعكم ولكنني

٢. السجدة - ٢٤.

٤. الاعراف - ١٣٧.

٦. هود - ١١٥.

١. آل عمران - ١٨٦.

٣. النساء - ٢٥.

٥. النحل - ٩٦.

٧. القصص - ٥٤.

اخاف ان تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضاً وينكركم اهل السماء
بعد ذلك فمن صبروا احتسب ظفر بكمال ثوابه. ثم قراء عليه السلام ﴿مَا عِنْدَكُمْ
يَنْقُدُوا مَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (١) ،

وقال عليه السلام الصبر كنز من كنوز الجنة...

وقال عليه السلام: أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه...

وقال عليه السلام: الصبر من الأيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن
لأرأس له ولا ايمان لمن لا صبر له...

وسئل عليه السلام عن الأيمان فقال، الصبر والسماحة، وغير ذلك من الاخبار
التي سيأتي عليت تفصيلها انشاء الله في محله.

وبالجملة لاشك في ان الصبر مفتاح الفرج في الشدائد والمصائب ولذلك
قال عليه السلام: بالصبر يتوقع الفرج.

وروى عن الأشعث انه قال دخلت على امير المؤمنين عليه السلام فوجدته قد اثر فيه
صبره على العبادة الشديدة ليلاً ونهاراً فقلت يا امير المؤمنين الى كم تصبر على
مكابدة هذه الشدائد، فما زادني الا ان قال

اصبر على ماض الأذلاج في السحر

وفى الرواح الى الطاعات فى البكر

انى رأيت وفى الأيام تجربة

للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جد فى امر يؤمله

واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وقال فيه بعض الشعراء:

عظمت دونه الخطوب وجلت

واذا أمست الزمان بضير

سيئت نفسك الحياة وملت

وأتت بعده نوائب أخرى

فأصطبر وانتظر بلوغ الأمانى
وذا أوهنت قواك وجلت
وقال الآخر:

إذا ما أتاك الدهر يوماً بنكبة
فإن تصاريف الزمان عجيبة
وما مسنى عُسرُ ففوّضتُ أمره
وقال الآخر:

الدهر لا يبقى على حالةٍ
فإن تلقاك بمكروهةٍ

فألزايها إذا توالّت تولّت
كشفت عنك جملةً وتخلّت

فأفرغ لها صبراً ووسّع لها صدرأ
فتوماً ترى يسراً ويوماً ترى عُسرأ
الى المليك الجبار الآ تيسراً

لأبُد ان يُقبل او يُدبرا
فأصبر فإن الدهر لا يصبرا

﴿ وَمَنْ خُطِبَ لَهُ ﴾ (٢٧)

فى فضل الجهاد

□ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ، وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وَشَمَلَةَ الْبَلَاءِ، وَدَيَّتْ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْهَابِ، وَأَدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَسَيْمِ الْخَشْفِ وَمُنْعِ النَّصْفِ.

أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ كَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا وَإِعْلَانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ: أُغْزَوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يُغْزَوْكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا غَزَى قَوْمٌ قَطُّ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا، فَتَوَّأَكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شَنَّتْ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ، وَمَلَكَتْ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانَ، وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ ابْنَ حَسَّانِ الْبَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا. وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْثَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهَدَةَ فَيَنْتَزِعُ حُجْلَهَا وَقَلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعْثَهَا، مَا يَمْتَنِعُ مِنْهَا إِلَّا بِالْأَسْتِرْجَاعِ وَالْأَسْتِرْحَامِ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَافْرِينَ، مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ وَلَا أَرِيقَ لَهُ دَمٌ.

فَلَوْ أَنَّ أَمْرًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا، فَيَا عَجَبًا عَجَبًا!! وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ إِلَيْهِمْ مِنْ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرْحًا حِينَ صِرْتُمْ

غَرَضاً يُرْمَى، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ، وَتُغْرُونَ وَلَا تُغْرُونَ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضُونَ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةٌ الْقَيْظِ أَمِهْلْنَا يُسَبِّحُ عَنَا الْحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ، قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَةٌ الْقُرِّ أَمِهْلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَا الْبَرْدُ، كُلُّ هَذَا فِرَارٌ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفْرُونَ فَانْتُمْ وَاللَّهُ مِنَ السَّيْفِ أَفْرٌ. يَا أَشْبَاحَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالِ، حُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعَقُولُ رِبَاتِ الْحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمُ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ، مَعْرِفَةٌ، وَاللَّهُ جَرَّتْ نَدْمًا وَأَعْقَبَتْ سَدْمًا، قَاتَلَكُمْ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا، وَسَخَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَّعْتُمُونِي نُعْبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ حَتَّى قَالَتْ فُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ.

لِلَّهِ أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي؟ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، وَهَا أَنَا ذَاقِدٌ ذَرَفْتُ عَلَ السَّتِينِ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ.

◀ اللغة

(الْجُنَّةُ) بِالضَّمِّ وَالتَّشْدِيدِ مَا يُسْتَرُّ بِهِ مِنْ سِلَاحٍ وَغَيْرِهِ. (الدُّلُّ) بِضَمِّ الدَّالِ ضِدُّ الْعِزِّ. (دِيَّتٌ) بِالْبَاءِ لِلْمَفْعُولِ أَيْ ذُلٌّ. (الصَّغَارُ) كَسْحَابٍ مُصَدَّرٌ مِنْ صَغَرَ الرَّجُلُ إِذَا رَضِيَ بِالذُّلِّ. (الْقَمَاءُ) كَسْحَابِ الْحَقَارَةِ وَالذَّلَّةِ. (الْأَسْدَادُ) جَمْعُ سَدٍّ وَهُوَ الْحَاجِزُ وَالْمَانِعُ وَفِي بَعْضِ النُّسخِ الْأَسْهَابُ بِالْكَسْرِ وَهُوَ ذَهَابُ الْعَقْلِ. (أَدِيلٌ) أَدَالُ الشَّيْءِ إِذَا جَعَلَهُ مُتَدَاوِلًا. (وَسِيمٌ) أَيْ كَلْفٌ وَالزِّمُّ وَاصِلُهُ الْوَاوُ وَهُوَ مَجْهُولٌ وَمَعْلُومُهُ سَامٌ. (النُّصِفُ) بِفَتْحِ النُّونِ، الْأَنْصَافُ. (إِعْلَانًا) الْأَعْلَانُ، الْأَظْهَارُ. (عُقْرٌ) بِالضَّمِّ أَصْلُهُ وَوَسْطُهُ وَقِيلَ تَضَمَّ الْعَيْنُ وَتَفْتَحُ فِي الْحِجَازِ (فَتَوَاكَلْتُمْ) التَّوَاكُلُ أَيْ كَالِ الْأَمْرِ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ إِلَى صَاحِبِهِ. (تَخَاذَلْتُمْ) التَّخَاذُلُ خِذْلَانٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَهُوَ تَرْكُ الْعَوْنِ، وَالنُّصْرُ. (سُنَّتِ الْغَارَةَ عَلَيْهِمْ) إِذَا صَبَّهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَالشَّنُّ الْمَزْقُ وَالْغَارَةُ اسْمُ مُصَدَّرٌ مِنَ الْأَغَارَةِ وَهُوَ النَّهْبُ.

(غَامِدٍ) قبيلة من اليمن والمقصود منه فى المقام هو سفيان ابن عوف الغامدى.
(مَسَالِحِهَا) المسالِح جمع مَسْلِحَة بفتح الميم وهى الحدود. (المُغَاهَدَة)
الذميمة. (حِجْلِيهَا) الحِجْل بكسر المهملة وفتحها الخلال. (قَلْبُهَا) القلب بالضم
سوار المرثة. (الرِّعَاث) بالكسر جمع رَعَثَة وهى القرط. (الْأَسْتِرْجَاع) ترديد
الصوت بالبكاء. (الْأَسْتِرْخَام) مناشدة الرِّحْم وقيل طلب الرِّحْم. (وَأَفْرِين)
الوَفْر الجَمع وَفْر المال والمَتَاع اى جَمَعَهُ وَكَثُر. (الكَلْم) الجَرَح. (الْأَسْف)
بفتحَتين شِدَّة الحُزن. (الْجَدِيرَاء) الخَلِيق. (التَّرْح) ضِدَّ الفرح. (الغَرَض) الِهْدَف.
(حَمَارَةٌ الْقَيْظِ) بِتَشْدِيد الرَّاء شِدَّة حرّه. (يُسَبِّخُ) اى سَكَن وفتَر. (صَبَارَةٌ
الشِّتَاءِ) بِالتَّشْدِيد شِدَّة بَرده. (الْقَرَّ) بِضَمِّ القاف فَالتَّشْدِيد البَرْد او هو يَخْصُ
الشِّتَاءِ. (يَنْسَلِخُ) الأَنْسِلَاخ المُضَى. (حُلُومٌ) بِالضَّم جَمع حِلْم بالكسر وهو
العقل. (رَبَاتِ الْحِجَالِ) النِّسَاء لكونها صَواحِبَات لها وَالْحِجَال جَمع حِجْلَة
وهو بَيْتُ العروس. (سَدَمًا) بِفَتْحَتَيْنِ الهَمَّ والحُزن. (قَيْحًا) بِفَتْحِ القاف
فالسَّكُون ما يَكُون فى الفُرحة من المَدَّة. (شَحَنْتُمْ) مَلَأْتُمْ. (نُغَبٌ) جَمع نَغْبَة
بالضَم وهى الجُرعة. (التَّهْمَام) بِفَتْحِ التَّاء الهَمَّ مَراسًا، المَراس الممارسة.
(نَهَضْتُ) اى قَمْتُ. (ذَرَفْتُ) بِتَشْدِيد الرَّاء اى زِدْتُ.

◁ المعنى

قوله ﷺ اَمَّا بَعْدُ: اى بَعْدَ الحَمْدِ والشَّاءِ. (فَإِنَّ الْجِهَادَ): سِوَا كَانِ بِالسَّيْفِ
وَالسَّنَانِ او مَعَ النَّفْسِ الامَّارَة. (مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ) (فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ):
لِعَدَمِ لِيَاقَةِ غَيْرِ أَوْلِيَائِهِ لَهُ (وَهُوَ): اى الْجِهَادِ. (لِبِئْسَ التَّقْوَى) لِأَنَّ التَّقْوَى الَّتِي
لِاجْتِهَادِ مَعَهَا بِكَلَامٍ مَعْنِيهِ كَالجَسَدِ بِالبَّاسِ. (وَدِرْعُ اللهِ الْحَصِينَةُ): شُبَّهَ الْجِهَادُ
بِالدَّرْعِ بَعْدَ تَشْبِيهِهِ ﷺ آيَاهُ بِالبَّاسِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْجِهَادَ فى دِينِ اللهِ بِمَنْزِلَةِ
الدَّرْعِ لِلبَدَنِ. فَكَمَا أَنَّهُ يَحْفَظُهُ عَنِ الْآفَاتِ وَالْأَصْدَامِ فَكَذَلِكَ الْجِهَادُ يَحْفَظُ
الدِّينَ عَنِ تَجَاوُزِ الْأَجَانِبِ بِهِ. (وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ): الَّتِي بِهَا تُحْفَظُ النَّفْسُ عَنِ
المَضَارِّ، (فَمَنْ تَرَكَهُ) اى الْجِهَادَ، (رَغْبَةً عَنْهُ)، اى بِبَلَاغِ عَذْرٍ: (الْبَسَهُ اللهُ تَوْبًا

الذُّلُّ) فى الدنيا والآخرة، (وَسَمَلَةَ الْبَلَاءِ) والمَمَحَن.

(وَدَيْتٌ): اى ذُلٌّ. (بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ): اى يصير راضياً بالذُّلِّ والحقارة.

(وَضْرِبَ عَلَى قَلْبِهِ): بالأسداد حَتَّى عَجَزَ عن تدبير مصالحه وعميت عليه
مذاهبه وفى بعض النسخ (بالأسهاب)، وهو ذهاب العقل. (وَأَدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ
بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ): اى يصير مغلوباً مقهوراً بايدي الأعداء بسبب تركه
آياه. (وَسَيِّمَ الْحَسْفُ): والذلة (وَمُنِعَ النَّصْفُ) والعدالة. (أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ
إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ): معاوية واصحابه من اهل الشام.

(لَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا) (اى خفية) (وَأَعْلَانًا): اى غير خفية. (وَقُلْتُ لَكُمْ):
(أَغْرَوْهُمْ): اى معاوية واصحابه. (قَبْلَ أَنْ يَغْزَوْكُمْ): هؤلاء القاسطين. (فَوَاللَّهِ مَا
غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ): اى فى اصله ووسطه. (أَلَا ذَلُّوا فَتَوَاكَلْتُمْ): اى
وَكَوَّلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ امْرَأَهُ إِلَى غَيْرِهِ. (وَتَخَادَلْتُمْ): اى خَذَلَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. (حَتَّى
شُنْتُ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ): اى هَجَمَت عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ مِنْ مَعَاوِيَةَ
وَاصْحَابِهِ. (وَمُلِكْتُ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانَ): بالقهر والغلبة. (وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ):
سفيان ابن عوف الغامدى. (وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ): بامر معاوية
الجبار. (وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ ابْنَ حَسَّانِ الْبَكْرِىَّ): من اصحابه رضي الله عنه وشيعته وقد كان
وايماً عليه من قبله. (وَأَزَالَ): اخو غامد، (خَيْلُكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا): اى ازالها عن
الحدود. (وَلَقَدْ بَلَغْنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ): من الشاميين. (كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْثَةِ
الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ): الذميمة. (فَيَنْتَزِعُ): الرَّجُلُ الشَّامِيَّ. (حُجَلَهَا
وَقَلْبَهَا): اى المرثة اعنى خلخالها وسوارها (وَقَلَّادُهَا وَرِعْثُهَا): اى ينتزع
قلائد المرثة وقرطها. (مَا يَمْتَنَعُ): اى ما يمكن ان تمتنع (مِنْهَا إِلَّا بِالْأَسْتِرْجَاعِ
وَالْأَسْتِرْحَامِ): من السارق.

(ثُمَّ أَنْصَرَفُوا): اى أَخُو غَامِدٍ وَاصْحَابُهُ مِنَ الْأَنْبَارِ. (وَأَقْرَبِينَ): فى كثير من
الأموال المأخوذة المَسْرُوقَةِ. (مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ): اى من اهل الشام. (كَلَّمُ): اى
جراحة.

وَلَا أَرِيقَ لَهُ دَمٌ): فَرَجَعُوا سَالِمِينَ غَانِمِينَ. (فَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مُسْلِمًا): كَائِنًا مِنْ
 كَانَ (مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا) وَمَحْسُرًا (مَا كَانَ) مِنْ مَاتَ (مَلُومًا) فِي مَوْتِهِ
 (بَلْ كَانَ بِهِ): أَي بِالْمَوْتِ. (عِنْدِي جَدِيرًا) خَلِيقًا، فَيَا عَجَبًا (وَاللَّهُ يُمِيتُ الْقُلُوبَ
 وَيَجْلِبُ إِلَيْهَا) وَالْحَزْنَ (مِنْ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ): أَي اصْحَابِ مَعَاوِيَةَ. (عَلَى
 بَاطِلِهِمْ): لِكُونِهِمْ عَلَى ضَلَالَةٍ وَغَوَايَةٍ. (وَتَفَرَّقُكُمْ) وَتَشْتَتِكُمْ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ،
 (عَنْ حَقِّكُمْ): فَإِنَّ مَعَاوِيَةَ، وَاصْحَابَهُ لَيْسَ لَهُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ حِظٍّ وَلَا
 نَصِيبٍ. (فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرْحًا): أَي هَمًّا وَحُزْنًا.

(حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا): وَهَدَفًا، (يُرْمَى) بِالنَّبَالِ. (يُغَارُ عَلَيْكُمْ): مِنْ جَانِبِ
 الْأَعْدَاءِ.

(وَلَا تُغَيِّرُونَهَا): عَلَى أَعْدَائِكُمْ. (وَتُغَزُونَ): مِنْ قَبْلِهِمْ. (وَلَا تَغْزُونَ):
 عَلَيْهِمْ. (وَيُعْصَى اللَّهُ): بِطَغْيَانِهِمْ وَقَتْلِهِمُ النَّفُوسَ الْمَحْرَمَةَ، (وَتَرْضُونَ):
 بِأَعْمَالِهِمُ الْقَبِيحَةَ. (فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ): إِلَيْهِمْ وَالْحَرْبَ مَعَهُمْ. (فِي أَيَّامِ
 الْحَرِّ): أَي فِي الصَّيْفِ. (قُلْتُمْ): فِي جَوَابِي، (هَذِهِ حَمَارَةٌ الْقَيْظِ): وَهَجْمَةٌ
 الصَّيْفِ وَشِدَّةُ حَرَارَتِهِ. (أَمَهَلْنَا يُسَبِّحُ عَنَّا الْحَرُّ): وَيَفْتَرُ عَنَّا الْهَجْرَ. (وَإِذَا
 أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ، قُلْتُمْ): فِي الْجَوَابِ،

(هَذِهِ صَبَارَةٌ الْقُرِّ أَمَهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبُرْدُ): وَيَنْقُضُ الْقَرَّ. (كُلُّ هَذَا) كَلَّ هَذَا:
 أَي هَذِهِ الْأَفَاوِيلُ. (فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ): وَالْحَرَارَةُ
 وَالْبُرُودَةُ (تَفِرُّونَ): (فَأَنْتُمْ) يَا أَصْحَابِي (وَاللَّهُ مِنَ السَّيْفِ أَقْرُّ): لِأَنَّهُ بِالْفِرَارِ مِنْهُ
 أَوْلَى (يَا أَشْبَاحَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالًا): لِعَدَمِ أوصافِ الرِّجَالِ فِيكُمْ. حَلُومُكُمْ
 (حُلُومُ الْأَطْفَالِ): أَي عَقُولُكُمْ عَقُولِهِمْ. (وَعَقُولُ رِبَاتِ الْحِجَالِ): أَعْنَى النِّسَاءِ.
 (لَوَدِدْتُ): أَي أَحْبَبْتُ. (أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ): بِالْعَيْنِ (وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً، وَاللَّهُ
 جَرَّتْ نَدْمًا وَأَعَقَبَتْ الْمَعْرِفَةَ سَدَمًا) وَحُزْنًا. (فَاتَلَكُمُ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي
 قَيْحًا): لِسُوءِ أَعْمَالِكُمْ وَعَدَمِ اجَابَتِكُمْ إِيَّاي (وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا): بِقُبْحِ
 فِعَالِكُمْ وَتُمْرِدِكُمْ وَتَسَاهُلِكُمْ فِي الْأُمُورِ (وَجَرَّعْتُمُونِي نُعْبَ التَّهْمَامِ) وَجُرِّعَ

الهموم. (أنفاساً): جُرعةٌ بعد جُرعةٍ. (وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ
وَالْخِذْلَانِ): لعدم التفاتكم بما أمرُكم به.
(حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ
بِالْحَرْبِ): ولم يَعْلَمُوا أَنَّ الضَّعْفَ وَالتَّوَانِيَّ مِنْكُمْ لَأَمْنِي. (لِلَّهِ أَبُوهُمْ! وَهَلْ أَحَدٌ
مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا): أي للحرب (مِرَاساً): وممارسةً مِنِّي. (وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي؟
لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا): أي في الحرب. (وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، وَهَا أَنَا ذَاقِدٌ ذَرَفْتُ
عَلَّ السِّتِينَ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ)، لأنَّ عدم الأَطَاعَةِ يوجب فساد
الرأى.

◀ الشرح

اعلم: أنَّ هذه الخطبة من خطبته المشهورة وقد ذكرها أبو العباس المبرّد
وغيره على ما في الشرح البحراني (قدّه) والسبب في إيرادها عنه عليه السلام على
ما نقله هو (قدّه) وغيره من أرباب السير وكذا الشارح المعتزلي نقلاً عن كتاب
الغارات لأبراهيم ابن محمد الثقفى عن أبي الكنود هو أن معاوية دعا سفيان ابن
عوف العامدى وقال له أتى باعثك في جيش كثيف ذى أداة وجلادة فالزم
الفرات حتى تمرّ بهيت فتقطعها فان وجدت بها جنداً فاغر عليهم والآ فامض
حتى تغير على الأنبار فان لم تجدها جنداً فامض حتى توغل المدائن.

ثم اقبل الى وانق ان تقرب الكوفة واعلم انك ان أغرت على الأنبار واهل
المدائن فكأنك أغرت على الكوفة ان هذه الغارات يا سفيان على اهل العراق
ترعب قلوبهم وتفرح كل من له فينا هوى منهم وتدعو الينا كل من خاف
الدوائر فاقتل من لقيت ممن ليس هو مثل رأيك واخرب كل ما مررت به من
القرى واحرب الاموال فان حرب الاموال شبيهة بالقتل وهو أوجع للقلب.

قال فخرجت من عنده فعسكرت وقام معاوية فى الناس وخطبهم فقال ايها
الناس انتدبوا مع سفيان ابن عوف فانه وجه عظيم فيه اجرٌ سريعة فيه ادبتكم
ان شاء الله. ثم نزل.

قال فواللذي لا اله غيره ما مرّت ثلاثة حتّى خَرَجْتُ فِي سِتَّةِ آلافٍ، ثمّ لرفت شاطيء الفرات فاغذذتُ السّير حتّى أمرّ بهيت فبَلَّغهم انّ قد غَشِيتم فقطعوا الفرات فَمَررت بِها وما بها غَريب كانها لم تحلّل قَطّ فوطيتها حتّى امر بصدوراء فَفَرّوا فلم ألق بها احداً فامضى حتّى أتتَح الأنبار وقد أنزَر وابى فخرج صاحب المَسْلحة فَوَقف إلى فلم اقدم عليه حتّى اخذت غلمانا من اهل القرية فقلت لهم أخبروني كم بالأنبار من اصحاب عليّ قالوا عدّة رجال المُسَلّحة خمسمائة ولكنهم قد تَبَدّدوا ورجعوا الى الكوفة ولا ندرى بالذي يكون فيها قد يكون مأتى رجل.

فَنزلتُ فكتبت اصحابى كتاب، ثمّ اخذت ابعثهم اليه بعد كتيبة فيقاتلهم والله ويصير لهم ويطارد هم ويطاردون في الأزقه فلما رأيت ذلك أنزلت إليهم نحواً من مأتين وأتبعتهم الخيل فلما حملت اليهم الخيل وامامها الرجال تمشى لم يكن شىء حتّى تفرقوا وقتل صاحبهم فى نحو من ثلاثين رجلاً وحملنا ما كان فى الأنبار من الاموال ثمّ انصرفت.

فوالله ما غزوت غزوة كانت أسلم ولا أقرّ للغيون ولا أسرّ للنفس منها وبلغنى أنّها رعبت الناس فلما عدت الى معاوية حدّثته الحديث على وجهه فقال كنت عند ظنى بك لا تنزل فى بلدٍ من بلدانى الا قضيت فيه مثل ما يقضى فيه اميره وان احببت توليته وليتك وليس لأحدٍ من خلق الله عليك أمرٌ دؤنى. قال فوالله ما لبثنا الا يسيراً حتّى رأيت رجال اهل العراق يأتوننا على الأبل هرباً من عسكر على انتهى.

ثمّ بعد ذلك قدم عالج من اهل الأنبار على على ﷺ فاخبره فصعد المنبر وخطب الناس وقال انّ احاكم البكرى قد اصيب بالأنبار وهو معتزل لا يخاف ما كان واختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا اليهم حتّى تلاقوهم فان أصبتم منهم طرفاً انكلتموهم عن العراق ابداً مابقو.

ثمّ سكت ﷺ: عنهم رجاء ان يُجيبوه او يتكلّم مُتكلّم منهم بكلمة فلم ينفس

احد بكلمة فلما رأى صمتهم نزل وخرج يمشى راجلاً حتى اتى النخيلة والناس يمشون خلفه حتى احاط به قوم من اشرافهم فقالوا:
ارجع يا امير المؤمنين نحن نكفيك.

فقال ﷺ: ما تكفوني ولا تكفون انفسكم فلم يزالوا به حتى صرفوه الى منزله وهو واجم كئيب.

ودعى سعيد ابن قيس الهمداني فبعته من النخيلة في ثمانية آلاف وذلك انه اخبر ان القوم جاؤوا في جمع كثيف فخرج سعيد ابن قيس على شاطئ الفرات في طلب سفيان ابن عوف حتى اذا بلغ عامات سرح امامه هاني ابن الخطاب الهمداني فاتبع آثارهم حتى دخل ادنى ارض قنسرين وقد فاتوه وانصرف.

ولبت على ﷺ: حتى ترى الكأبة والحزن حتى قدم عليه سعيد ابن قيس وكان تلك الايام عليلاً فلم يقو على القيام في الناس بما يريد من القول فجلس بباب السدة التي تصل الى المسجد ومعه ابناه الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر.

ودعا سعداً مولاه فدفع اليه الكتاب وامره ان يقرئه على الناس.
فقام سعد بحيث يسمع على صوته ويسمع ما يرد الناس عليه ثم قرء الخطبة هذه:

اما بعد: فإن الجهاد الى آخر الخطبة.
اقول: ما ذكرناه في سبب صدور الخطبة منه ﷺ قد ذكره الخوئي ايضاً والمأخذ فيه هو شرح المعتزلي ونحن ايضاً نقلناه منه.
اما الشارح البحراني (قده) فهو ايضاً ذكر ما ذكرناه الا ان ما ذكره اجمل وأخصر والمآل في الكل واحد ولنرجع الى المتن.
□ قوله ﷺ: **أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ...**

الجهاد مأخوذ من الجهد او الجهد بضم الجيم او فتحها فعلى الاول المشقة

وعلى الثاني بذل الوسع والطاقة هذا بحسب اللغة.

وفى الاصطلاح بذل النفس وما يتوقف عليه من المال فى محاربة
المشركين والباغين على وجه مخصوص.

او بذل النفس والمال والوسع فى إعلاء كلمة الاسلام واقامة شعائر الأيمان
وهو واجب على كل مكلف عدا الصبى والمجنون والمملوك والمرثة والشيخ
العاجز وفرضه كفائى لا عينى بمعنى سقوطه عن الغير اذا قام من به الكفاية به
ويشترط وجوبه بوجود الامام او من نصبه الامام له وتفصيل الكلام فيه مقرر
فى الفقه.

وقد وردت الآيات والاحبار فى مدحه والحث عليه وقد ذكرنا شطراً منها
عند قوله ﷺ: نَسئَلُ اللهَ فَنَازِلِ الشَّهَدَاءِ، ونشر فى المقام الى شطر آخر.

منها - قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَبِ
وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَّ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى
الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١)

و: ﴿فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (٢)

و: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٣)

و: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (٤)

و: ﴿وَجَاهِدْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (٥)

و: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (٦)

و: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ (٧)

و: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ﴾ (٨)

١. الفرقان - ٥٢.

٢. التحريم - ٩.

٣. المائدة - ٥٤.

٤. البقرة - ٢١٨.

١. النساء - ٩٥.

٢. العنكبوت - ٦.

٣. الحج - ٧٨.

٤. الصف - ١١.

و : «الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (١)

و : «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَمَّا يَأْتِكُم مِّنَ اللَّهِ الْقُرْآنُ وَقَدْ نَزَّلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَتَعْلَمُونَ» (٢) والآيات فيه كثيرة.

أما الآثار:

فقد روى في المستدرک باسنادہ عن عليؑ قال: قال رسول الله ﷺ
حَمَلَةَ الْقُرْآنِ عِرْفَاءَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُودُهَا وَالرُّسُلُ
سَادَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، انتهى «مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٢٤٢، كتاب الجهاد»...
وبهذا الاسناد قال ﷺ: قال رسول الله ﷺ دعا موسى وأمن هرون
وأمنت الملائكة فقال الله عز وجل استقيما فقد أجيبت دعوتكما ومن غزافي
سبيل الله عز وجل استجيبت له كما استجيبت لهما الى يوم القيمة، انتهى «ص
٢٤٢»...

وبهذا الاسناد قال: قال رسول الله ﷺ ان أبخل الناس من بخل بالسلام
وأجود الناس من جاد بنفسه وماله في سبيل الله تعالى انتهى «ص ٢٤٢»...
وبهذا الاسناد قال: قال رسول الله ﷺ في مريض وفاته ومن ختم له
بجهاد في سبيل الله ولو قدر فواق ناقة دخل الجنة، انتهى «ص ٢٤٢»...
وبهذا الاسناد قال رسول الله ﷺ: ان فوق كل يري حتى يقتل في سبيل
الله (حتى يقتل الرجل شهيداً في سبيله) الحديث «ص ٢٤٢»...
وبهذا الاسناد قال رسول الله ﷺ خيول الغزاة في الدنيا هي خيولهم في
الجنة، انتهى «ص ٢٤٢»...

العياشي في تفسيره عن جابر عن ابي جعفرؑ قال أتى رجل رسول
الله ﷺ فقال أتى راغب نشيط في الجهاد، قال ﷺ فجاهد في سبيل الله فانك
ان تقتل كنت حياً عند الله تُرزق وان مُت فقد وقع اجرُك على الله، وان رجعت
خرجت من الذنوب الى الله هذا تفسير ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتاً الآية «ص ٢٤٢»...

وقال ﷺ: قَتَلَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الْقَائِمِ الْقَائِمَةِ لَا يَزَالُ فِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَقَالَ ﷺ: إِذَا خَرَجَ الْغَازِي مِنْ عُتْبَةِ بَابِهِ بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا بِصَحِيفَةٍ سَيَّاتِهِ فَطَمَسَ سَيَّاتِهِ وَقَالَ ﷺ: مَنْ كَبَّرَ تَكْبِيرَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوَاقٍ نَاقَةٍ وَجَبَّتْ لَهُ الْجَنَّةُ.

وقال ﷺ: لَا يَجْمَعُ اللَّهُ كَافِرًا وَقَاتِلَهُ فِي النَّارِ، قَالَ ﷺ: لَا يَجْتَمِعُ غِبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ، وَقَالَ ﷺ: السُّيُوفُ مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ أَنْتَهَى «ص ٢٤٣»...

وقال ﷺ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَيَتَمَنَّى أَنْ يَخْرُجَ فِيهَا إِلَّا الشَّهِيدَ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ مِمَّا يَرَى مِنْ كِرَامَةِ اللَّهِ أَنْتَهَى «ص ٢٤٣»...
وقال أيضاً ما مِنْ قَطْرَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَطْرَةٍ دَمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ قَطْرَةٍ دَمٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، أَنْتَهَى «ص ٢٤٤»...

والرّوايات من طرق الشيعة في فضل الجهاد أكثر من أن تُحصى ومن أراد الاطلاع عليها فليراجع الوسائل والمستدرک والبحار وسائر الكتب المفصلة وكفاك شاهد اعلى أهميته الجهاد كونه كتاباً مستقلاً في الفقه الإسلامي.
وامّا الآثار من طريق العامة أيضاً كثيرة ولنذكر بعضاً منها تكميلاً للبحث وتتميماً للغرض.

منها - مارواه في المُستطرف عن النّبي ﷺ ما مِنْ قَطْرَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَةٍ دَمٍ فِي سَبِيلِهِ أَوْ قَطْرَةٍ دَمٍ فِي جَوْفِ لَيْلٍ مِنْ خَشْيَتِهِ، أَنْتَهَى.
منها مارواه فيه أيضاً عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ أَظْلَالِ السُّيُوفِ، أَنْتَهَى...

منها - مارواه فيه أيضاً عن أنس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْتَهَيْنَا إِلَى خَيْبَرِ اللَّهِ أَكْبَرَ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا أَنْزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَنَسَاءُ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ، أَنْتَهَى...

وايضاً عنه ﷺ: (لِغَدْوِهِ) لَغَزْوُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةُ خَيْرٍ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَنْتَهَى...

وروى عن ابن مسعود أنّ ارواح الشهداء فى حواصل طيور خُضر لها قناديل مُعلّقة بالعرش تُسرح من الجنة حيث شئت ثم تأوى الى تلك القناديل، انتهى...

وعن فضالة ابن عبيد رفعه عنه عليه السلام: قال كلّ ميّتٍ يختم على عمله الآل المرابط فانه يُنمى له عمله الى يوم القيمة ويؤمن من فتنة القبر... وعن سهل ابن حنيف رفعه قال عليه السلام: من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه انتهى...

فقد ثبت وظهر لك من الآيات والآثار أنّ الجهاد فى سبيل الله من أفضل الأعمال وأوجب الواجبات ان تمت شرائطه لانه يوجب تضعيف الكفار وتذليلهم بالقتل والسبى وامثالها ولازم ذلك تقوية الدين وشوكته بحيث لولاه لا يُعبد الله، فانّ المسلمين ما لم يكونوا مأمومين من شرّ الكفار وكيد الأشرار كيف يمكن لهم الأتيان بالواجبات والمستحبات كما سيُتضح لك عند البحث عن الفوائد المترتبة عليه فانتظر.

ثم اعلم أنّ الجهاد على اقسام: فمنها جهاد العُدو اعنى جهاد المسلمين مع الأعداء من الكفار، والمشركين الذين ليسوا من اهل الذمة كغزوات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع اهل المشركين وهم على صنفين: اهل الكتاب.

وغير اهل الكتاب.

اما الصنف الاوّل اعنى اهل الكتاب: من اليهود والنصارى فيجب جهادهم بالكتاب والسنة والأجماع من الفقهاء وانفقوا على أنه لا يطلب منهم الا أحد الأمرين اما الأسلام، او الجزية فان أسلموا فلا بحث وان امتنعوا وبدلوا الجزية أخذت منهم وأقروا على دينهم بلاخلاف وقد دُلّ: على هذا الحكم الكتاب والسنة.

اما الكتاب فقوله تعالى: ﴿قاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا

يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ بَيْنَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ»^(١).

وأما السنة: فقد روى الفريقين أن رسول الله ﷺ: كتب الى اهل مكة اسلموا والا نابدتكم بحرب فكتبوا الى النبي ﷺ أن خذنا الجزية ودعنا على عبادة الأوثان فكتب النبي ﷺ اني لست آخذ الجزية الا من اهل الكتاب الحديث.

ثم أنهم اتفقوا على أن اليهود والنصارى من اهل الكتاب واختلفوا فى المجوس فذهب المشهور الى عدم كونهم منه وقال آخرون بلحقوهم به إما لأنه كان لهم كتاباً ونبياً فقتلوا النبي وأحرقوا الكتاب كما هو ظاهر بعض الاخبار، وإما لأنه كان لهم شبهة كتاب فمن أجل ذلك أحقوا باليهود والنصارى وتحقيق الكلام فى الفقه.

وقد اتفقت الأدلة فى الدلالة على وجوب القتال مع هؤلاء كما يقاتل اهل الحرب حتى يسلموا او ينقادوا بشرائط الذمة ولا تؤخذ الجزية عن الصبيان والمجانين والنساء والبله وهو من لا عقل له على كلام فى الآخرين.

أما الصنف الثانى اعنى من ليس لهم كتاب ولا شبهة كتاب من سائر فرق الكفار كعبدة الأصنام والشمس والقمر والنجوم وامثال ذلك فهؤلاء يجب قتالهم الى ان يسلموا او يقتلوا ولا تقبل منهم الجزية بلاخلاف فيه إلا عن الأسكافى فى الصابى حيث الحقه بالكتابى وهو نادر والاجماع على خلافه، ولقوله تعالى: «فَاَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ»^(٢).

و: «فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ»^(٣) وَلَمْ يَذْكُرُوا الْجِزْيَةَ وَيَدَلَّ عَلَيْهِ مفهوم الآية المتقدمة ايضاً شرط فيها اخذ الجزية بكونهم من اهل الكتاب فمن لم يكن منه فلا تقبل منه الجزية.

ومنها الجهاد على البُغاة جمع باغ وهو من خَرَجَ على الامام المعصوم من
الائمة كما يستفاد من النص وكلمات القوم.

قال المحقق (قدّه) يجب قتال من خرج على امام عادل، وقال الشارح في
شرحه لهذه العبارة ما هذا الفظه:

بالاجماع الظاهر المُصَّرح به في عبارات جماعة بعد الكتاب والسنة الى آخر
ما قال (قدّه).

اقول: اما القسمين الاولين من الاقسام الثلاثة للجهاد فلا كلام لنا فيهما فعلاً
ولا كلامه ﷺ ايضاً ينظر اليهما في الخطبة وذلك لان السبب في صدور الخطبة
منه ﷺ هو الحث على الجهاد مع معاوية واصحابه كما عرفته مفصلاً وعليه
فالبحث انما يدور على القسم الأخير منها وهو الجهاد مع البُغاة فان من خرج
على الامام المعصوم يجب على المسلمين رده ودفعه حتى يفيء الى امر الله
اذا كانت شرائط الجهاد موجودة وما نحن فيه من هذا القبيل.

قال رسول الله ﷺ ان منكم من يُقاتل بَعْدِي على التأويل كما قاتلت على
التنزيل فسئل من هو قال ﷺ خاصف النعل يعنى امير المؤمنين قال عمارة بن
ياسر قاتلت بهذه الرواية مع رسول الله ﷺ ثلاثاً وهذه الرابعة ولو ضربونا
حتى يبلغونا السعفات من هجر لعلمنا اننا على الحق وانهم على الباطل.
واما قوله ﷺ ان الجهاد باب من ابواب الجنة، فهو مقتبس من قول
رسول الله ﷺ حيث قال:

جاهدوا في الله القريب والبعيد في الحضر والسفر فان الجهاد باب من
ابواب الجنة فتحة الله لأوليائه وانه يُنجي صاحبه من الهَمِّ، والغَمِّ، انتهى
«مستدرک، ج ٢، ص ٢٤٥»...

وقال ﷺ الا وان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحة الله لأوليائه، انتهى
«ص ٢٤٥»...

وقد ذكر في الجواهر في حديث ان السيف مقاليد الجنة والنار وللجنة

باب يقال باب المُجاهدين يَمْضُونَ اليه فاذا هو مَفْتُوحٌ وَهُمْ مَتَقَلِّدُونَ سَيُؤْفَهُم
الحديث.

رَوَى فِي الْمُسْتَدْرَكِ بِإِسْنَادِهِ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
هُؤُلَاءِ الَّذِينَ نَقَاتَلَهُمْ، الدَّعْوَةُ وَاحِدَةٌ وَالرَّسُولُ وَاحِدٌ، وَالصَّلَاةُ وَاحِدَةٌ وَالْحَجُّ
وَاحِدٌ فَبِمَ نُسِمِيهِمْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِمَا سَمَّاهُمْ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ؟ فَقَالَ: مَا كُلُّ مَا فِي كِتَابِ
اللَّهِ أَفْهَمُهُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَا سَمِعْتَ اللَّهُ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى
بَعْضٍ» إِلَى قَوْلِهِ: «فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ» ^(١) فَلَمَّا وَقَعَ الْأَخْتِلَافُ كُنَّا
نَحْنُ أَوْلَى بِاللَّهِ وَبِدِينِهِ وَبِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالْكِتَابِ وَبِالْحَقِّ فَنَحْنُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَهُم الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَنَّا قَتَلَهُمْ لَقَتَلْنَاهُمْ بِمَشِيئَتِهِ وَارَادَتِهِ، انْتَهَى «ص ٢٤٥»...

وَعَنْ مَنَاقِبِ ابْنِ شَهْرٍ أَشُوبٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ ذَكَرَ الَّذِينَ حَارَبَهُمْ
عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَا أَنَّهُمْ أَعْظَمُ حَرْبًا فَمَنْ حَارَبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ لَهُ
وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْلَيْكَ كَانُوا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ وَهُؤُلَاءِ قَرَأُوا
الْقُرْآنَ وَعَرَفُوا أَهْلَ الْفَضْلِ فَأَتَوْا مَا أَتَوْا بَعْدَ الْبَصِيرَةِ، انْتَهَى «ص ٢٤٥»...

وَمِنْهَا مَارَوَاهُ عَنْ تَفْسِيرِ فِرَاتِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ الْكُوفِيِّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي
جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ
أَنَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ.

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُؤُلَاءِ الْقَوْمُ هُمْ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ يَعْنِي أَهْلَ صَفِّينَ وَالْبَصْرَةَ
وَالْخَوَارِجَ، انْتَهَى «ص ٢٤٥»...

وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ صِفِّينَ أُقْتِلُوا بِقِيَّةِ الْأَحْزَابِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيَاطِينِ أُقْتِلُوا
مَنْ يَقُولُ كَذِبَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، انْتَهَى «ص ٢٤٥»...

وَعَلَى أَيِّ حَالٍ لَاشِكُّ فِي كَوْنِ مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْبَغَاةِ الَّتِي يَجِبُ الْجِهَادُ
مَعَهُمْ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ وَلِذَلِكَ أَمَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْحَابَهُ بِالْجِهَادِ غَيْرَ مَرَّةٍ وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ

قاتِلُوا اهل الشام مع كلِّ امام بعدى.

تنبيه: اعلم: انَّ للجهاد فوائد كثيرة مُرتبة عليه:

منها - انَّ الجهاد يوجب حفظ بِيضة الأسلام عن شرِّ الأشرار وكَيْد الفجَّار ولولاه لم يكن الأسلام مأموناً منهم.

ومنها - انَّ الجهاد يوجب قوَّة الدِّين وشوكته فى انظار المُخالفين كما انَّ تركه يُوجب ضَعفه وفتوره.

ومنها - انه يصير سبباً للأجر والثَّواب يوم القيمة كما عرَّفته من الأخبار مفصلاً.

ومنها - كونه سبباً لأزدياد الثروة والمال فى الدنْيا كما نرى انَّ المسلمين فى صدر الاسلام كانوا فقراء فأغناهم الله بسبب الجهاد مع الرُّوم والفرس وغيرهما ولا سيَّما فى الحرب القادسيَّة.

ومنها - انَّ جهاد المجاهدين تُوجب رفاهيَّة غيرهم من طبقات المسلمين مِنَّ لا يقدرُونَ عليه واشتغالهم بالعبادة والطَّاعة مع فراغ البال واستراحة الخيال وغيرها من الفوائد ممَّا لم نذكرها حذراً من الأطناب الباعث للملال.

قوله ﷺ: فَتَحَ اللهُ لِيَخَاصَّةِ أَوْلِيَائِيهِ...

اي فَتَحَ اللهُ الْجِهَادَ الَّذِي هُوَ بَابٌ مِّنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ لِيَخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ دون غيرهم.

فان قلت - الجهاد واجبٌ على كلِّ مسلم بالشُّرائط المُتقدِّمة سواء كان من خاصَّة اوليائه ام لم يكن فما وجه اختصاصه بخاصَّة اوليائه؟

قلنا: الجواب من وجهين:

احدهما: انه ﷺ قال فَتَحَ اللهُ لِيَخَاصَّةِ أَوْلِيَائِيهِ ولم يقل وَضَعَهُ اللهُ لِيَخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ والاشكال مُتوجِّه على الثانى دون الاول لظهور الفرق بين وضعه لىلأولياءه وفتحها لهم حيث انَّ الاول يوجب عدم وجوبه على غير الاولياء لانَّ المفروض كونه موضوعاً لهم وعلى الثانى فلا، كما لا يخفى.

وثانيهما: انّ غرضه من هذا الكلام هو انّ الجهاد على ما ينبغي لا يمكن تحصيله الاّ لخاصّة اوليائه وذلك لانّهم هم المخلصون في العبادة والطاعة ومن المعلوم انّ الجهاد في سبيل الله باي معنى كان اذا كان خالصاً لوجه الله فهو من خواصّ الكاملين في العبادة والخالصين في المحبّة.

والسرّ فيه انّ الجهاد واجب من الواجبات كالصّلوة والصّوم والحجّ وغيرها مشروط بالنية وان يكون قربة الى الله فكلّ واجب من الواجبات اذا لم يكن فعله بداعي الأمر فلا فائدة فيه وهذا المعنى جار في الجهاد ايضاً لعدم القول بالفصل، بل يمكن ان يقال انّ قصد القربة في الجهاد أصعب وأشكل من قصد القربة في غيره من الواجبات ولذلك قال عليه السلام فتحة الله لخاصّة أوليائه وممّا يؤيدنا على المدعى أمور:

احدها: انّ الجهاد له ربطٌ بالنفس والمال بخلاف سائر الواجبات فانّ الصّلوة مثلاً لا تضرّ بهما او باحدهما وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في اكثر الأوقات نعم الزكوة والخمس والحجّ لها عُلقة وربطٌ بالاموال فقط وإمّا الارتباط بالنفس او بها والمال معاً فهو من خواصّ الجهاد اذ فيه مظنة القتل والشهادة لافى غيره ولا شك انّ احبّ الاشياء واعزّها للإنسان النفس اولاً والمال ثانياً ولذلك ترى العاقل يفدى ماله لحفظ نفسه ولا يفدى نفسه لحفظ ماله وهو كاشف عن شرف النفس وعزّها وأنّه لا شيء من الأشياء أحبّ الى الانسان منها.

وقد ثبت انّ كلّ ما كان أحبّ فتركه أشدّ واصعب وبالعكس بالعكس قال الشاعر:

يقولون انّ الموت صعبٌ على الفتى

مفارقة الاحباب والله أصعب

والموت ايضاً فراق الأحبّة ولذلك صعب على الناس فحيث انّ المجاهد اختار الموت على الحياة وبذل نفسه التي أعزّ الاشياء اليه في سبيله فلا جرم

يكون في أعلى مراتب العبودية والخُلوص ولا يعتنى بما سواه، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ومن كان باذلاً لنفسه في سبيل الله فيكون باذلاً لغيرها من النعم أيضاً بطريق أولى ولا يمكن هذا إلا من أوليائه.

وثانيها: ان في الجهاد اظهار الشجاعة والجلادة ولا شك انهما من الصفات المُستَحسنة التي تستهيبها الأنفس بالطبع والفطرة وربما يكون جهاد بعض الأفراد لأجل اظهار هذه الخصلة فاذا كان المجاهد قصده القربة اليه تعالى لاغيرها من اظهار الشجاعة والقُدرة والقُوّة وامثال ذلك فهو من اوليائه الخالصين وحيث لم يكن التُّطرق اليه في غزوات الرّسول وامير المؤمنين عليه السلام إلا لقليل من الأفراد كعمّار ابن ياسر ومقداد وامثالهما قال عليه السلام: فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ...

وثالثها: انه ربما يكون بعض المجاهدين بل اكثرهم غرضهم من الجهاد تحصيل الغنائم والأموال كما هو كان شأن كثير من المجاهدين في صدر الاسلام حيث ان شركتهم في الجهاد لم تكن إلا لأجل الغنيمة ولذلك تربيهم قد جمّعوا أموالاً كثيرة من هذه الطريفة كسعد ابن ابي وقاص وطلحة ابن عبيدالله والزبير وامثالهم ولم يكن غرضهم الجهاد في سبيل الله بمعناه الواقعي قربةً الى الله وله شواهد كثيرة من التواريخ غير خفية على من مارس خلال هذه الديار.

فلهذه الوجوه المذكورة وغيرها ممّا لم نذكره صحّ ان يقال فتّحه الله لخاصّة أوليائه فانّ الخواصّ من اولياء الحقّ الذين لا يعترِبهم شكّ ولا ريب في انّ الجهاد وغيره من العبادات لا يجوز ان يكون من رياءٍ وسُمعةٍ بل لا بدّ من ان يُؤتى به على وجهه.

وامّا غير الخواصّ من الظاهريين فربّما يُجاهدون بأموالهم وأنفسهم بداعٍ آخر من الدواعي.

ورابعها: حمل الكلام على ظاهره وهو انّ الضمير في قوله عليه السلام فَتَحَهُ اللهُ، الى

الجهاد المذكور في صدر الخطبة لا الى مطلق الجهاد اللغوي وعليه فالمعنى ان الجهاد الذي باب من ابواب الجنة هو الذي فتحة الله لخاصته اوليائه وهذا مما لا كلام فيه فان الجهاد بهذا المعنى لا يمكن ان يتحقق الا من الاولياء دون غيرهم.

وخامسها: ان نقول ان الجهاد الشرعي لا يوجد الا من الاولياء واما ما يوجد من غيرهم فربما يظن انه جهاد الا ان الامر ليس كذلك بل هو جهاد صوري فاننا نرى ان كثيراً من المسلمين المنافقين جاهدوا باموالهم وانفسهم في الغزوات مع النبي ﷺ لأغراض آخر وهو لم يكن بجهاد واقعاً كما وقع منهم في عزوة احد لأجل الغنائم ونظائرها كثيرة.

□ قوله ﷺ: وَهُوَ لِبَاسِ التَّقْوَى وَدَرَعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ...

بعد ما بين ﷺ: إِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِّنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُوَ شِعَارُ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ ذَكَرَ ﷺ لَهُ أَوْصَافاً ثَلَاثَةً.

احدها: انه لباس التقوى.

وثانيها: انه ودرع الله الحصينة.

وثالثها: انه وجنته الوثيقة.

اما كون الجهاد لباس التقوى فلوجوه:

احدها: ان اللباس ما يستتر به البدن بحيث لولاه لكان عرياناً واذا كان عرياناً فلا محالة يستتصر بالحر والبرد والآفات فباللباس يصير مأموناً فيها فكذلك التقوى عريان تحتاج الى لباس تستتر به والا تستتصر بالآفات والحوادث المؤلمة الموجهة من جانب الأعداء باطلاعهم على اسرار المسلمين فالمتقى لا بد له من ستر كان حائلاً بينه وبين اعدائه في دينه حتى يكون مأموناً وهذا الستر هو الجهاد اذ ببركة الجهاد يدخل الرعب في قلوب الكفار والمخالفين ويُجعل بينهما سداً.

وثانيها: ان اللباس يحفظ البدن عن الأنظار ويستتر العورات عن الأشرار

مضافاً الى انه يُعدّ مِنَ الزِينة لِلإنسان:

الا ترى الانسان اذا كان عُريانياً تَتَوَجَّه الأنظار من الناس اليه ويَطَّلَعُونَ على ما لا يجوز الاطّلاع عليه فكذلك الجهاد بالنسبة الى التَّقوى فانَّ المسلمين اذا لم يكونوا مجاهدين في سبيل الله يُحيطون الكفار وَيَغْلِبُونَ عَلَيْهِم احاطة وغلبة لامحيص لهم عنها وهذا من اقْبَح القبائح وأسوء الحالات.

وثالثها: انَّ الانسان لا بدّ له من لباسٍ ولا يمكن له التَّعيش بدونه فكذلك المُسلم لا يمكن له حفظ دينه بدون الجهاد كما انَّ اصحاب عليّ لَمَّا تَرَكُوا الجهاد مع معاوية واصحابه احاطت بهم الغارات من جانب معاوية من كلِّ جانب ومن المَعْلُوم انَّ ذلك يوجب تشويق البال وتَشْتُّت الاحوال فكيف يمكن حفظ الدين ومراعاة التَّقوى.

ورابعها: انَّ التَّقوى عبارة عن اتيان الواجبات وترك المحرّمات قُرْبَةً الى الله ومن الواجبات الجهاد الذي هو بالنسبة الى سائر الواجبات من الصلوة والصوم والحجّ وغيرها كالسّاتر للبدن فكما انَّ اللباس ساتر له فكذلك الجهاد ساتر لها وحافظ لشئونها فالجهاد هو الحافظ للواجبات عن طَوَارِق الحَدَثان اذ لولاه لا يكون من الدين عينٌ ولا أثر وهذا ظاهر.

وخامسها: ان يكون المراد بالجهاد معناه الاعمّ الشامل للجهاد مع النفس ايضاً كما هو كذلك، فانَّ الجهاد مع النفس هو الاصل والجهاد مع الأعداء بَمَنْزلة الفرع ولا فرع الآ بعد وجود الاصل ولذلك عبّر عنه بالجهاد الأكبر وعن المبحوث عنه بالجهاد الأصغر في لسان رسول الله ﷺ حيث قال لاصحابه رَجَعْتُمْ عن الجهاد الأصغر وعليكم بالجهاد الأكبر.

قيل وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ﷺ؟

قال ﷺ: الجهاد مع النفس الامارة.

ومن المعلوم انَّ الإنسان ما لم يُسَلِّط على نفسه الامارة فلا يمكن له الأقدام على الجهاد بالسيف والسنان في طلب مَرْضاة الله بل لو أقدم عليه يُقَدِّم بداعٍ

آخر غير أمر الله تعالى والتَّقَرُّب اليه.

وعليه فالمعنى اوضح لانَّ الجهاد بهذا المعنى هو لباس التَّقْوَى بلا شكَّ فانَّ التَّقْوَى مع عدم المِجَاهِدَة مع النَّفْس لفظ بلامعنى واسم بلا مسمّى كيف والتَّقْوَى ليست الا المِجَاهِدَة النَّفْسَانِيَة قربة الى الله واتيان العمل خالصاً لوجه الله من أشدَّ المِجَاهِدَات وأصعب الرِّيَاضَات كما لا يَخْفَى على من كان من اهله. واما كون الجهاد دِرْعُ اللهِ الْحَصِينَةُ. فهو ايضاً قد ظهر ممّا ذكرناه وذلك لانه ﷺ شَبَّه الجهاد بالدَّرْع الَّذِي يُلْبَسُ فِي الْحُرُوبِ وَالغَزَوَاتِ لِحِفْظِ الْبَدَنِ عَنْ اَصَابَةِ السَّيْفِ وَالسَّنَانِ وَالتَّبَلِّ مَثَلًا وَوَجْهَ الشَّبَّهِ هُوَ الْحِفْظُ وَالصِّيَانَةُ عَنِ الْآفَاتِ وَالْجِهَادِ فِي الدِّينِ اَيْضًا كَذَلِكَ فَانَّ الدِّينَ دَائِمًا يَكُونُ غَرَضًا وَهَدَفًا لِئِيَالِ الْأَعْدَاءِ إِلَّا أَنْ نَبَالِهِمْ عَلَى قَسْمِينَ:

فَقِسْمٌ مِنْهَا، فِي الظَّاهِرِ بِقَتْلِ الْمُسْلِمِينَ وَنَهْبِ الْمَوَالِهِمْ وَسَبِي نِسَائِهِمْ وَهَتِكَ حَرِيمِهِمْ.

وقسّم منها، فِي الْبَاطِنِ بِتَبْلِيغِ تَهْمِ السُّوءِ وَوَعْدِهِمْ وَوَعِيدِهِمْ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِيَدِنِ الدِّينِ دِرْعٌ وَهُوَ الْجِهَادُ فَلَا مَحَالَةَ يَنْعَدِمُ وَيَنْصَرِمُ.

فالجهاد مع القسم الاوّل بالسيف والسنان.

ومع الثاني بالتبليغ والبيان والكتابة وامثال ذلك، فانَّ الجهاد لا يَنْحَصِرُ فِي

نوع واحد كما لا يخفى.

وَأَمَّا قَالَ ﷺ: دِرْعُ اللهِ وَلَمْ يَقُلْ دِرْعُ الدِّينِ مَثَلًا لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ لَا يَكُونُ إِلَّا لَهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَذَلِكَ لِأَنَّ دِرْعَ كُلِّ شَخْصٍ مَثَلًا هُوَ لَهُ لِالْغَيْرِ فَلَا يُمْكِنُ اشْتِرَاكُ الْغَيْرِ مَعَهُ فِيهِ فَكَذَلِكَ الْجِهَادُ حَيْثُ أَنَّهُ لَا بَدَأَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَحْدَةً وَلَا يَجُوزُ اشْتِرَاكُ الْغَيْرِ مَعَهُ وَالْأَيُّ يَخْرُجُ الْجِهَادُ عَنِ الْجِهَادِ.

وثانياً انَّ الدَّرْعَ دَائِمًا يَكُونُ مَلَابِسًا لِلشَّخْصِ مُلْتَصِقًا بِجِسْمِهِ بِحَيْثُ

لَا يُمْكِنُ انْفِكَاكُهُ مِنْهُ فَكَذَلِكَ الْجِهَادُ بِالنُّسْبَةِ إِلَى تَعَالَى كَأَنَّهُ مُلْتَصِقٌ بِهِ مُلَازِمٌ لَهُ فَلَا يَكُونُ الْجِهَادُ إِلَّا لَهُ تَعَالَى.

فهو الباعث لاعلاء كلمة التوحيد وابقائها وهو الضامن لعدم تجاوز الكفار بحريم الكبرياء وهو الموجب لهدم اساس الشرك والنفاق وبيان الغي والضلال فهو حصن حصين له تعالى: ﴿فَمَنْ نَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (١).

ثم ان التعبير بالدرع في المقام وباللباس في الجملة السابقة يمكن ان يكون السرفيه هو ان اللباس مشتق من اللبس وهو كل ما يلبس لأجل استتار البدن ولهذا يُسمى لباساً والدرع ليس كذلك ولذا لا يقال له اللباس بل هو يُلبس لأجل حفظه عن الجراحات الواردة وحيث ان الله تبارك وتعالى لا يمكن ان يكون مُستتراً عن خلقه فان العلة لا تكون مستترة عن المعلول لكونه موجبا لقطع الفيض الدائم الذي يوجب بقاء المعلول وابقائها كيف وظهور الواجب سبب لظهور الموجودات بل ظهوره ظهورها من وجه فاستتار المبدء المفيض عن المفاض له امر غير معقول ولاجل ذلك لم يعبر في المقام باللباس موضع الدرع.

واما التقوى فليست كذلك لانها كما تكون غريانا مثلاً كذلك تكون مُلبسة باللباس ولباسها الجهاد ولاضير في اختفائها واستتارها والعلم عندالله. واما قوله ﷺ: وَجَنَّتْهُ الْوَثِيقَةُ...

شبهه ﷺ: الجهاد بالجنة ثالثاً وهي كل ما وقى وهي ايضاً من الآت الحرب كالدرع الا انه ملتصق به بخلافها فكأنها درع وهي ايضاً تستعمل لدفع البليات فكأنها واقية له تعالى عن بلية الشرك والكفر والنفاق وهذه الفائدة مُرتبة على الجهاد اذ لولاه لما وقى التوحيد عن هُجوم الأشرار والمآل فيها واحد.

بقي في المقام شىء لا بأس بالاشارة اليه وهو انه ﷺ اتصف الدرع بالحصينة والجنة بالوثيقة لنكتة وهي ان الدرع من شأنه الأحاطة بجميع البدن فكأنه بمنزلة سور البلد المحيط به فكما ان فائدة السور حفظ جميع البلد عن هُجوم الاجانب ولذا يقال له الحصن فكذلك الدرع يحفظ جميع مملكة البدن

فتاوح السعادة في شرح نهج البلاغه

عن الآفات فهو بمنزلة سور البدن وحصنه فصَحَّ اتصافه بالحصينة التي شأنها حفظ البلد.

وأما الجُنَّة: فليست كذلك لعدم احاطتها بالبدن اصلاً فلا يصح التعبير عنها بالحصينة.

نعم، من شأنها الصلابة والأستحكام ولأجل هذا وصفها بالوثيقة التي هي الاستحكام وما ذكره عليه السلام في اوصاف الجهاد يدل على عظم شأنه وجلالة قدره وكل ما ذكره في المقام استعارات وكنائيات بليغة فقد افاد أولاً: بأنه بالنسبة الى التقوى بمنزلة اللباس.

وثانياً: بأنه حصن حصين ﴿فَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (١)

وثالثاً: بأنه جُنَّةٌ وثيقةٌ مُحكمةٌ لا يمكن كسرها بسهولة وما كان شأنه هكذا ينبغي للعاقل التمسك به والدخول في حصنه الحصين والتلبس بلباسه ودفع البليات والآفات من قبل الاعداء به.

ثم بعد ذكر الجهاد ووصافه الثلاثة بل الأربعة شرع عليه السلام في ذم من تركه وبين المفساد المترتبة على الترك بلا عذر.

قال عليه السلام: فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وَشَمِلَهُ الْبَلَاءُ، وَدِيَّتَ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ، وَأَدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وَسِيَمَ الْخَسْفُ، وَمُنِعَ النِّصْفُ...

رتب عليه السلام على ترك الجهاد من غير عذر اوصافاً سبعة التي لا تنفك عن التارك العامد كائناً من كان ونحن قبل الخوض في البحث عن كل واحد منها نذكر بعض الأخبار الواردة الدال على تحريم الفرار من الزحف إلا ما استثنى فنقول منها - مارواه في الوسائل باسناده قال: قال امير المؤمنين عليه السلام في كلام له وَلَيَعْلَمُ الْمُنْهَزِمُ بِأَنَّهُ مُسَخِّطٌ رَبَّهُ وَمُؤَبِّقٌ نَفْسَهُ وَإِنَّ فِي الْفَرَارِ مَوْجِدَةً لِّلَّهِ وَالذُّلُّ اللَّازِمُ وَالْعَارُ الْبَاقِي وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ وَلَا مَحْجُونٌ بَيْنَهُ

وَبَيْنَ يَوْمِهِ وَلَا يَرْضَى رَبَّهُ وَلَمَوْتُ الرَّجُلِ مُحِقًّا قَبْلَ اتْيَانِ هَذِهِ الْخِصَالِ خَيْرٌ
مِنَ الرَّضَا بِالتَّلْبُسِ بِهَا وَالْأَقْرَارِ عَلَيْهَا أَنْتَهَى «وَسَائِلُ الشَّيْخَةِ، ج ٢، كِتَابُ
الْجِهَادِ»...

ومنها - مارواه فيه أيضاً بإسناده عن محمد ابن سنان ان ابا الحسن
الرضا عليه السلام كَتَبَ اليه فيما كَتَبَ من جوابِ مسائله حَرَّمَ اللهُ الْفِرَارَ مِنَ الرَّحْفِ
لَمَا فِيهِ مِنَ الْوَهْنِ فِي الدِّينِ وَالْأَسْتِخْفَافِ بِالرَّسْلِ وَالْأَثْمَةَ الْعَادِلَةَ وَتَرَكَ
نُصْرَتَهُمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَالْعُقُوبَةَ لَهُمْ عَلَى تَرَكَ مَا دُعُوا اليه مِنَ الْأَقْرَارِ
بِالرُّبُوبِيَّةِ وَآظْهَارِ الْعَدْلِ وَتَرَكَ الْجَوْرَ وَإِمَاتَةَ الْفِسَادِ لَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ جُرْأَةٍ
الْعَدُوِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ مِنَ السُّبْيِ وَالْقَتْلِ وَابْطَالِ دِينِ اللهِ عَزَّ
وَجَلَّ وَغَيْرِهِ مِنَ الْفِسَادِ، أَنْتَهَى.

ومنها - مارواه فيه أيضاً بإسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قَالَ عليه السلام قَالَ
امير المؤمنين لأصحابه إِذَا لَقَيْتُمْ عَدُوَّكُمْ فِي الْحَرْبِ فَأَقِلُّوا الْكَلَامَ وَادْكُرُوا اللهَ
عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تُؤَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ فَتَسْخَطُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَسْتَوْجِبُوا غَضَبَهُ
الْحَدِيثُ...

ومنها - مارواه في المستدرک عن دعائم الاسلام عن امير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ
قَالَ الْفِرَارُ عَنِ الرَّحْفِ مِنَ الْكِبَائِرِ، أَنْتَهَى «ج ٢، ص ٢٥٥»...

ومنها مارواه فيه أيضاً عن الارشاد للمفيد (قدّه) عن عمران ابن حصين
قَالَ لَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي يَوْمِ أُحُدٍ جَاءَ عَلِيٌّ عليه السلام مُتَقَلِّدًا سَيْفَهُ
حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ فَقَالَ مَا بَالُكَ لَمْ تَفَرَّ مَعَ النَّاسِ؟
فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَرْجِعْ كَافِرًا بَعْدَ إِسْلَامِي، الْخَبْرُ أَنْتَهَى «ص ٢٥٦»...

ومنها - مارواه عن ابي اسامه عن زيد الشحام عن ابي الحسن عليه السلام فِي
حَدِيثٍ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «الْأَمْتَجِرْنَا لِقِتَالٍ أَوْ مَتْحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ» قَالَ عليه السلام
مُتَطَرِدًا يُرِيدُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَمَتْحِيزًا، يَعْنِي مِتَّأَخِرًا عَنْ أَصْحَابِهِ (إِلَى أَصْحَابِهِ)
مِنْ غَيْرِ هَزِيمَةٍ فَمَنْ أَنْهَزَمَ حَتَّى يَحُوزَ صَفًّا أَصْحَابَهُ بَاءً بَغْضَبٍ مِنَ اللهِ،
أَنْتَهَى «ص ٢٥٦»...

اذ اعرفت هذا اعنى حرمة الفرار من الزحف وكونه من الكبائر من جهة الشرع فاعلم ان الفرار من الزحف مضافاً الى حرمة الشرعية وكون الفار مغضوباً لله تعالى مبعداً من رحمته فى الدنيا والاخرة يستوجب ابتلائه بالأوصاف السبعة المذكورة فى المتن فى هذه الدنيا.

احدها قوله ﷺ: **فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ الْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ...**

وهذا هو الابتلاء الاول المترتب على الفرار من دون عذر وهو ان الله البسه ثوب الذل، فالضمير فى قوله (تَرَكَهُ) راجع الى الجهاد وكذا الضمير فى (عنه). واما الضمير فى قوله (الْبَسَهُ) فراجع الى التارك المستفاد من الترك كقوله تعالى: **«إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى»** (١) حيث ان ضمير (هو) ترجع الى العدل المستفاد من قوله إعدلوا، فمرجع الضمير مقدم معنى لالفاظ.

ثم ان رَغَبَ، ان تعدى بعن فمعناه الأعراض وان تعدى (بالى) فمعناه الرغبة والميل يقال فلان مرغوباً عنه ومرغوباً اليه.

فيصير المعنى ان من ترك الجهاد معرضاً عنه، اى بلا عذر عقلى او شرعى، **الْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ.**

فقوله ﷺ: **رَغْبَةً عَنْهُ** اشارة الى ما استثنى منه كما اذا كان فرار المسلم من ثلثة فى الحرب.

فقد روى فى المستدرک من دعائم الاسلام عن ابي عبدالله ﷺ انه قال من فر من اثنين فقد فر ومن فر من ثلاثة لم يكن فاراً لان الله عز وجل افترض على المسلمين ان يقاتلوا مثلى اعداءهم من المشركين، انتهى «ج ٢، ص ٢٥٥»...

وعن العياشى عن الحسين ابن صالح، قال سمعت ابا عبدالله ﷺ يقول كان على ﷺ يقول من فر من رجلين فى القتال من الزحف فقد فر من الزحف ومن فر من ثلثة رجال فى القتال من الزحف فلم يفر انتهى «ص ٢٥٥»...

وعن على ابن ابراهيم فى تفسيره فى **«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى**

الْقِتَالِ»^(١) قَالَ كَانَ الْحُكْمُ فِي أَوَّلِ النُّبُوَّةِ، فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ
الرَّجُلَ الْوَاحِدَ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يِقَاتِلَ عَشْرَةَ مِنَ الْكُفَّارِ فَإِنْ هَرَبَ فَهُوَ الْفَارُّ مِنَ
الرَّحْفِ وَالْمِائَةَ يِقَاتِلُونَ أَلْفًا ثُمَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ فِيهِمْ ضَعْفًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ: «الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ»^(٢).

فَقَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يِقَاتِلَ رَجُلًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلَيْنِ مِنَ الْكُفَّارِ فَإِنْ فَرَّ
مِنْهُمَا فَهُوَ الْفَارُّ مِنَ الرَّحْفِ وَإِنْ كَانُوا ثَلَاثَةً مِنَ الْكُفَّارِ وَوَاحِدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
فَقَرَّ الْمُسْلِمُ فِيهِمْ فَلَيْسَ هُوَ الْفَارُّ مِنَ الرَّحْفِ، انْتَهَى «ص ٢٥٥»...

هَذَا إِذَا كَانَ الْغَرَضُ بِتَرْكِ الْجِهَادِ تَرْكُهُ بَعْدَ وَقُوعِهِ فِيهِ الَّذِي يُعْبَرُ مِنْهُ بِالْفِرَارِ
وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْغَرَضُ مِنَ التَّرْكِ فِي الْعِبَارَةِ هُوَ عَدَمُ دُخُولِهِ فِيهِ رَأْسًا كَأَصْحَابِهِ مِنْ
أَهْلِ الْكُوفَةِ حَيْثُ أَنَّهُمْ قَدْ تَرَكُوا الْجِهَادَ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يُقَدِّمُوا عَلَيْهِ كَمَا هُوَ
ظَاهِرُ الْعِبَارَةِ حَيْثُ أَنَّهُ ﷺ عَبَّرَ بِالتَّرْكِ وَلَمْ يَقُلْ فَرًّا. فَعَلِيهِ الْمَقْصُودُ مِنَ
الْمُسْتَثْنِيَّاتِ هُوَ السَّبْعَةُ الْمَشْهُورَةُ فِي السَّنَةِ الْفَقِيهَاءِ الْمَشَارِ الْيَهَا فِي صَدْرِ
الْبَحْثِ مِنَ الطِّفْلِ الَّذِي لَمْ يُكَلَّفْ - وَالْمَرْثَةَ وَالْعَبْدَ وَالْمَجْنُونِ وَالشَّيْخَ الَّذِي
لَا يَقْدِرُ، وَالْأَعْمَى، وَالْمَرِيضَ فَهَذِهِ هِيَ الْمُسْتَثْنِيَّاتُ.

فِيصِيرُ مَعْنَى الْعِبَارَةِ أَنَّ مَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ رَغْبَةً عَنْهُ، أَيْ مُعْرِضًا بِمَعْنَى عَدَمِ
كُونِهِ مِنَ السَّبْعَةِ الْمَذْكُورَةِ فَالْبَسَهُ اللَّهُ لِبَاسِ الدُّلِّ وَذَلِكَ لِأَعْرَاضِهِ عَنْهُ بِدُونِ
عُذْرِ شَرَعِيٍّ وَهُوَ مِمَّا لَا كَلَامَ فِيهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: الْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الدُّلِّ...

فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى عَدَمِ جَوَازِ تَرْكِ الْجِهَادِ مِنْ غَيْرِ عُذْرِ وَذَلِكَ لِأَنَّ تَرْكَهُ مِضَافًا
عَلَى الْعُقُوبَاتِ الْآخَرِيَّةِ مُسْتَلْزَمٌ لِلدُّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالْحَقَارَةِ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَلَا
يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ الدُّلُّ مِنْ آثَارِهِ الْوَضْعِيَّةِ وَاسْنَادِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَبِيلِ الْمَجَازِ
فِي الْأَسْنَادِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْأَسْنَادُ حَقِيقَةً وَكَانَ الدُّلُّ مِنَ الْآثَارِ الشَّرْعِيَّةِ
وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ لَا كَلَامَ فِي أَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ مُوجِبًا لِلدُّلِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أما الآخرة، فلكونه عملاً حراماً وتركاً للواجب ومعلوم أن ترك الواجب من
المُحرّمات وتتبّعه العقوبات في الآخرة.

وأما كونه مُوجباً للدّل في الدنيا فلأنّه يوجب تسليط الأعداء عليه، و على
غيره من المسلمين فيكون العَدُو هو الحاكم والمُسلم هو المحكوم عليه وهو
الأمر وهو المأمور ولا داء أشدّ وأصعب على المُسلم الغيور من هذا الداء لأنّ
العَدُو لا يرحم عليه وعلى غيره كما أنّ أهل الكوفة بسبب تركهم الجهاد مع
معاوية واصحابه وعدم اطاعتهم لأمير المؤمنين عليه السلام في هذا الأمر الْبَسَهُمُ اللَّهُ
ثَوْبَ الذُّلِّ وابتلاهم بالظالمين الفاسقين فعذبوهم بأنواع العذاب وقتلواهم
ونهبوا أموالهم فتارة سلط الله عليهم زياد ابن ابيه لعنه الله، وتارة ابنه عبيدالله،
وتارة حجاج ابن يوسف الثقفي وامثال ذلك من المعاندين المطرودين
الذينهم كانوا اخوان الشياطين فقتلواهم وطردوهم وصلبواهم وظلمواهم
وعذبوهم كلّ ذلك لرفضهم الحقّ وأخذهم الباطل، ومن اعان ظالماً سلطه الله
عليه وائى ذلّ أعظم وأشدّ من هذا الذلّ فترك الظاهر يوجب تسليط الأشرار،
والأعداء اعنى شياطين الانس كما أنّ ترك الجهاد الواقعي اعنى الجهاد مع
النفس الامارة يوجب تسليط الجنّ وكلاهما حقارة وذلة.

وثانيها قوله عليه السلام: **وَسَمَلَهُ الْبَلَاءُ...**

والمقصود منه اما فتنة الأعداء كما ذهب اليه بعض الشارحين، ولا بأس به
فإنّ فتنة الأعداء من البليّات العظيمة.

الآن الأظهر في المقام هو ارادة القحط والغرق والمرض وامثال ذلك من
البليّات السماوي اعادنا الله منها والجمع مهما امكن أولى من الطرح.

وثالثها قوله عليه السلام: **وَدِيَّتْ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ...**

اي ترك الجهاد يُصيره مُذللاً بالحقارة فيكون ذليلاً حقيراً في نظر الأعداء
واستعمال كلمة (دِيَّتْ) في العبارة التي منها اشتقّ الديوث وهو الذي لاغيرة له
مما لا يخفى لطفه فقوله هذا اشارة الى أنّ المسلم التارك للجهاد ممّن لاغيرة له.

ورابعها قوله ﷺ: وَضُرِبَ عَلَيَّ قَلْبِي بِالْأَسْهَابِ...

حتى عَجَزَ تدبير مصالحة وعميت عليه مذاهبه وضاعت له مسالكه فلا جرم يصير مصداقاً لقوله تعالى: «لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا»^(١)

و: «وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ»^(٢)

وخامسها قوله ﷺ: وَأَدِيلَ الْحَقِّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ...

والمراد ان ترك الجهاد وتضييعه يوجب غلبة الباطل على الحق فيصير الباطل غالباً. والحق مغلوباً.

ووجهه يظهر من اعمال المسلمين في صدر الاسلام بتركهم الجهاد مع اعداء الدين فصار هذا سبباً لحكومة الأشرار وامامة الفجار وانزواء اهل البيت وصيرورة المنكر معروفاً والمعروف منكراً.

وسادسها قوله ﷺ: وَسِيمَ الْخُسْفِ...

بالبناء للمفعول من سامه خسفاً او كلفه ذلاً، اي كلف بالذل، والحقارة بعد تركه الجهاد بسبب تسلط الظالمين عليه.

وسابعها قوله ﷺ: وَمَنْعَ النَّصْفِ...

بفتح النون الأنصاف وذلك لانه كيف يتوقع من الظالم الأنصاف وكيف يمكن ان يكون الانسان منصفاً في حكومته اذ بناء حكومته على التعدى والانحراف والأعراض من الحق والإقبال الى الباطل وهذا واضح.

□ قوله ﷺ: الْاِوَائِي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا وَعَلَانِيَةً وَإِعْلَانًا...

الآ من حروف التنبيه والمعنى اني قد دعوتكم وأمرتكم الى قتال معاوية واصحابه من اهل الشام وغيرهم في الليل والنهار والسّر والعن فلم تجيبوني مع ان هذا الجهاد كان نافعاً لكم في الدنيا والآخرة على ما مر.

□ قوله ﷺ: وَقُلْتُ لَكُمْ أُعَزُّوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزَوْكُمْ...

وذلك لأنَّ الرُّفْعَ أَسْهَلَ مِنَ الدَّفْعِ فَجِهَادُهُمْ مَعَ أَهْلِ الشَّامِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ كَانَ أَخْفَ مَوْئِنًا مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنْ جِهَاتٍ كَثِيرَةٍ:

منها - أنَّ مَعَاوِيَةَ فِي بَدْوِ الْأَمْرِ كَانَ ضَعِيفًا وَبَعْدَ ذَلِكَ صَارَ قَوِيًّا وَلَا شَكَّ أَنَّ الْغَلْبَةَ عَلَى الضَّعِيفِ أَسْهَلَ مِنْهَا عَلَى الْقَوِيِّ.

ومنْهَا - أَنَّ أَشْيَاعَهُ وَاتِّبَاعَهُ كَانُوا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ مُتَفَرِّقِينَ مُتَشَتِّتِينَ وَالْآنَ صَارُوا مَجْتَمِعِينَ مُتَّحِدِينَ فَالْجِهَادُ مَعَهُمْ أَصْعَبُ.

ومنْهَا - أَنَّ دَائِرَةَ التَّبْلِيغِ قَدْ كَثُرَتْ وَشَاعَتْ مِنْ قَبْلِهِ بِخِلَافِهَا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ حَيْثُ أَنَّهَا كَانَتْ مَحْدُودَةً بِالشَّامِ فَقَطْ وَلَا شَكَّ أَنَّ إِطْفَاءَ نَائِرَةِ الْفَسَادِ قَبْلَ الْأَشْتِعَالِ لَيْسَ بِصَعْبٍ وَأَمَّا بَعْدَهُ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ

ومنْهَا - أَنَّ الْجِهَادَ مَعَهُمْ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ كَانَ جِهَادًا قَبْلَ رَأْيِ الْحَكَمِيِّينَ فِي دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ بِنَصْبِهِ لِلْخِلَافَةِ وَعَزْلِ عَلِيِّ ﷺ مِنْهَا كَمَا سَتَعْرِفُ شَرْحَهُ فَهُوَ أَوْقَعَ فِي النُّفُوسِ وَأَتَمَّ حِجَّةً عَلَى مَعَاوِيَةَ وَمَتَابِعِيهِ وَأَمَّا بَعْدَ الْحَكَمِيِّينَ فَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَوَامَّ بَعْدَ الْحَكَمِيِّينَ كَانُوا يَرَوْنَهُ خَلِيفَةَ وَالْجِهَادَ مَعَهُ كَانَ صَحِيحًا عَلَى مَذَاقِهِمْ فَإِنَّ بَعْضَ الْأَفْرَادِ مِنْ حُمَقَاءِ النَّاسِ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا الرَّأْيَ صَادِرٌ مِنَ الْحَكَمِيِّينَ عَلَى مَوَازِينِ الشَّرْعِ وَبِحَكْمِ الْقُرْآنِ فَلِذَلِكَ كَانَ الْجِهَادُ مَعَهُمْ وَالْقِيَامُ عَلَيْهِمْ صَعْبًا عَسِيرًا.

ومنْهَا أَنَّ الْجِهَادَ مَعَ مَعَاوِيَةَ وَاتِّبَاعِهِ فِي بَدْوِ الْأَمْرِ كَانَ جِهَادًا قَبْلَ تَسَلُّطِهِ عَلَى الْبِلَادِ وَنَفُوذِهِ فِي الْعَوَامِّ.

وأَمَّا بَعْدَ الْغَلْبَةِ عَلَى أَكْثَرِ الْبِلَادِ بِالنَّهْبِ وَالغَارَةِ مِنْ قَبِيلِ مِصْرَ وَالْيَمَنِ وَغَيْرِهِمَا فَدَفَعَهُ أَمْرٌ مُشْكَلٌ.

فلهذه الوجوه وغيرها قال ﷺ: مَا قَالَ مِنْ قَوْلِهِ قُلْتُ لَكُمْ أُعَزُّوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزَوْكُمْ...

□ قوله ﷺ: فَوَاللَّهِ مَا غَزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا...

قال الشارح البحراني (قدّه) في شرحه لهذه العبارة أنّ للاوهام افعال عجيبة في الأبدان تارة بزيادة القوّة وتارة بنقصانها حتّى إنّ الوهم ربّما كان سبباً لمرضٍ صحيح لتوهمه المرض وبالعكس فكان السبب في ذلّ من غزى في داره وان كان معروفاً بالشجاعة هو الأوهام أمّا اوهامهم فلأنّها تحكم بأنّها لم تُقدّم على غزوهم إلا لقوّة غازيهم واعتقادهم فيهم الضعف بالنسبة اليه فيفعل أذن نفوسهم من تلك الأوهام وتنفهر عن المقاومة، وتضعف عن الأنبيات وتزول غيرتها وحميتها فتحصل على طرف رذيلة الذلّ وأمّا اوهام غيرهم فلأنّ الغزو الذي يلحقهم يكون باعثاً لكثير الأوهام على الحكم بضعفهم ومُحرّكاً لطمع كلّ طامع فيهم فيُتبرّر ذلك لهم احكاماً، وهميّة ليعجزهم عن المقاومة ثمّ أردف ذلك بما قابلوا به نُصّحه بقوله فتَوَاكَلْتُمْ الخ.

والشارح الخوئي قد نقل هذه العبارة في المقام عن المحقّق البحراني وقنع بها في شرح الالفاظ ولم يأت بشيء آخر من عند نفسه وأمّا الشارح المعتزلي فلم يذكر في شرحه لهذه العبارة شيئاً غير شرح اللغات وقال عُقر دارهم بالضّم اصل دارهم والعُقر الاصل، ومنه العقار للنخل كأنه اصل المال انتهى.

اقول: هذا هو المتّوقّع منهم فإنّ البحراني رجل العلم والتحقيق والمعتزلي رجل الأدب واللغة والعلم بأنساب العرب والخوئي رجل الدراية والحديث. وانا اقول: أمّا ما قاله المحقّق البحراني (قدّه) لا يَعْلَمُ معناه إلا الله والراسخون في العلم او هو (قدّه) نفسه على احتمالٍ بعيد.

وأمّا انا فلم أفهمه بعد التأمل والتدبر وما أدري ما قال وما اراد، والعبارة ومعناها لا تنطبق على ما ذهب اليه.

والعجّب أنّ الشارح الخوئي تلقّاه بالقبول ونقله في شرح العبارة في كتابه وظنّي أنّه (قدّه) ايضاً لم يفهمه ولم يدر ايّ شيء اراد بقوله هذا إلا أنّه اعتمد على فضله وتحقيقه فحسب.

واظنّ أنّ المراد من هذه العبارة ليس ما ذكره (قدّه) بل لاربط لها بهذه

الأستخراجات الوهيمية الظنية ومعنى العبارة اوضح من ذلك وتحقيقه ان
العبارة تحتل معنيين:

احدهما: على قراءة (غزى) بالمعلوم.

وثانيهما: على قرائته بالبناء للمفعول.

فعلى الاول: يصير معنى العبارة، ماجاهد قوم قَطُّ في وسط دارهم او اصل
دارهم مع الاعداء إلا وانهم قد ذلوا بذلك لان الدار ليست بمحل للغزو
والجهاد، بل الجهاد يكون في خارج الدار وعليه فقوله عليه استعارة وكناية عن
قعودهم عن الجهاد وسكونهم في بيوتهم كالنساء والصبيان من دون ان
يدوقوا حد السيف والسنان فاذا كان الشخص هذا دأبه وديدته في دفع الاعداء
فلا مخلص له من الدل اذ لازم ذلك الأهمال هو تسلط العدو عليه.

وعلى الثاني: فالمعنى ان من قعد في بيته وغفل عن توجه الاعداء
وهجومهم عليه فهو ممن غزى في عقر داره وهو كناية عن غفلتهم واهمالهم
في امر الجهاد وان العدو ليس بنائم.

وحاصل المعنيين يرجع الى امر واحد وهو ان الانسان ينبغي ان يكون
متوجهاً الى عاقبة الأهمال والمسامحة وان لا يقعد في بيته من غير عذر حتى
صار غرضاً لنبال الاعداء وهجوم الأشرار فان هذا ليس شأن الرجل الغيور
واهل الكوفة كانوا من هذا القبيل فلا جرم وقعوا فيما وقعوا ولعمري هذا
واضح على المنصف.

□ قوله عليه: فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات ومليكت عليكم
الأوطان...

قالوا في معنى التواكل اي وكل كل واحد منكم امره الى غيره، وعليه
فالمعنى انه وكل كل واحد منكم امره الى غيره وبه صار الجهاد متروكاً فيما
بينكم وانت خبير بان هذا المعنى لا يساعده اللفظ اذ لم يثبت ان كل واحد منهم
وكل امره الى غيره فان التاركين لجهاد الاعداء المخالفين لأمره عليه كلهم كانوا

مخالفين للجهاد غير موافقين له من دون إيكال الأمر الى الغير.

وَالَّذِي يُقَوِّى فِي النَّظَرِ هُوَ أَنَّ التَّوَاكُلَ فِي الْمَقَامِ مَعْنَاهُ الْفِتْرَةُ اعْنَى التَّوَانِي فِي الْأُمُورِ مِنْ غَيْرِ تَصْمِيمٍ مِنْهُمْ فِيهَا إِلَّا بِقُوَّةٍ قَسْرِيَّةٍ وَعَلَى هَذَا فَالتَّوَاكُلُ مِنْ وَكَلْتِ الدَّابَّةِ وَكَالِهَا إِذَا اسَاءَتْ السَّيْرَ فَتَوَاكَلَهُمْ كِنَايَةٌ عَنْ اسَاءَتِهِمْ وَبَطْئِهِمْ فِي السَّيْرِ نَحْوَ الْمَقْصُودِ وَهَذَا الْمَعْنَى أَنْسَبُ وَأَصْلَحُ بِالْمَقَامِ مِنَ الْأَوَّلِ وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ أَيْضاً مِمَّا تُسَاعِدُهُ اللَّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ إِلَّا أَنَّ سِيَاقَ الْعِبَارَةِ يَبَاهُ.

وعلى اى حال فالغرض هو انكم اسأتم بمخالفتكم امرى فى الجهاد وهذه المخالفة أوجبّت خذلانكم وَضَعْفَكُمْ حَتَّى هَجَمَتْ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ مِنْ مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ فَنَهَبُوا أَمْوَالَكُمْ وَهَتَكُوا حَرِيمَكُمْ وَمَلَكَوْا أَوْطَانَكُمْ كُلَّ هَذَا بِسَبَبِ تَرْكِكُمْ الْجِهَادَ.

ويمكن ان يكون التواكل مأخوذاً من الأكل والواو مُبدلة من الهمزة يقال فرس واكل اى يتكل على صاحبه فى العدو ويحتاج الى الضّر وهو لايسير بنفسه وهذا المعنى ايضاً ينطبق على الكوفيين فى عهده لأنهم كانوا غير سائرين بانفسهم الى جهاد العدو بل كانوا محتاجين الى الضرب والشتم وامير المؤمنين عليه السلام لم يكن ضارباً ولا قاتلاً ولا شاتماً من غير حق.

واما الامراء بعده عليه السلام فحيث كانوا اهلاً لها فهم كانوا مُطيعين لهم سامعين لأوامرهم وتاركين لنواهيهم وان كانوا على باطل كما نشاهد ان اهل الكوفة فى حكومة زياد ابن ابىه وعبيدالله ابنه والحجاج ابن يوسف الثقفى لم يكونوا كما كانوا فى عهده عليه السلام.

وبدلك على هذا ان علياً عليه السلام لم يقدر على انفاذهم، وارسالهم للجهاد الى معاوية ابن ابى سفيان مع ان فسقه بل كُفّره كان أظهر من الشمس فى رابعة النهار وهو الذى صار ملعوناً على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الشجرة الملعونة فى القرآن مع اقاربه من بنى اميه وبالجملة هو الذى لم يُشك فى الحاده وزندقته أحد من عُقلاء المسلمين.

وامّا عبيدالله ابن زياد لعنه الله عليه انفذ الجيش الكثيف اللعين الى الحسين ابن على ابن ابيطالب سبط الرسول وفلذة كبده وامه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وقد ثبت وتقرر ان الجيش كانوا من اهل الكوفة لم يكن فيهم بصرى ولا شامى ولا غيرهما مع انهم اى اهل الكوفة كانوا يعرفون الحسين ﷺ حق المعرفة كما هو واضح.

ومن المعلوم ان هذا الجيش لم يقاتلوا الحسين ﷺ من عند انفسهم بل عبيدالله وعدهم ووبخهم وهددهم فى صورة عدم المقاتلة فكيف امكن له انفاذ ثلثين او اربعين الف او اكثر الى حرب سبط رسول ولم يمكن لأمير المؤمنين انفاذ عشرة الاف الى حرب معاوية اللعين فضلاً عن ثلاثين او اربعين. والجواب يظهر مما ذكرناه وأستنبطناه من التاريخ وهو ان علياً لم يظلم عليهم ولم يؤعدهم على ترك المقاتلة والنهب والسبى وعبيدالله وامثاله أجبروهم على المقاتلة وقد قالوا ان من ترك القتال فيقتل ويُنهب امواله ويُسبى نسائه، فلامحالة ارتحلوا الى ما اراد.

فقوله ﷺ: فَتَوَاكَلْتُمْ، كانه ايماء الى ان اهل الكوفة ليسوا ممن يختارون الجهاد على تركه بميلهم وطبعهم لولا اجبارهم من المجبر، نعم لو أجبرهم الحاكم عليه فلا محالة يجاهدون وحيث ان الجهاد فى سبيل الله لا بد من ان يكون باختيار من المكلف اذ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (١)

فلا وجه لأجبارهم والزامهم عليه واذا انتفى الأجبار والأكراه فلا جهاد عندهم وانما مثل اهل الكوفة مثل الجمار او الفرس البطيء السير فكما انه لايسير الا بالضرب من صاحبه، فكذلك اهل الكوفة حيث انهم، لايطيعون الا بالضرب والشتم والهتك وهذه الرؤية مع انها منافية للجهاد فى سبيل الله المشروط بالنية المأخوذة فيها قصد القرية الذى لا يتمشى من احد بالاختيار وهو منافية لعدالته ايضاً وهو ظاهر.

ومما ذكرناه يظهر الوجه في قوله ﷺ: وَتَخَاذَلْتُمْ، وذلك لأن الأهمال في الأمور ولا سيما في دفع الأعداء يوجب تسلطهم ولازم ذلك خذلان التاركين وغيرهم، فإن حكومة معاوية وامثاله في العالم لا تثمر إلا خذلان الحق والأيمان للمؤمن بل وغير المؤمن أيضاً لأن مقاصدهم واهدافهم في الحكومة امانة الحق وأحياء الباطل لامانة الباطل، وأحياء الحق اذ هذا ليس من شأنهم فإن الباطل يحيى الباطل والحق يحيى الحق بمقتضى قانون السُنخية ولو لم يكن كذلك لا يمكن لهم الوصول الى مقاصدهم وهذا واضح.

أما قوله ﷺ: حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ وَمُلِكْتُ عَلَيْكُمْ الْأُطَانَ...

وهذا كالتيجة لما تقدم وهو أن عدم اجابتكم واطاعتكم لما دعوتم اليه أوجب عليكم من الأعداء وقوع الغارات من كل جانب وتصرف البلاد والغلبة عليها من جانب آخر وهذا من لوازم النوم والغفلة عن مكر العدو فإنه لا ينوم وحيث أن اصحابه ﷺ كانوا مسامحين في دفع الأعداء فلامحالة وقع ما وقع

ثم إن أمير المؤمنين ﷺ: إنما اتى في العبارة بكلمة (حتى) دون الى، ولم يقل الى ان شنت عليكم الغارات، لأن حتى مابعدا داخل في ما قبلها يقال أكلت السمكة حتى رأسها أى اكلت رأسها أيضاً بخلاف قولنا الى رأسها فإن معناه اكل السمكة دون الرأس ففي المقام حيث ان الغارات قد وقعت من معاوية واصحابه فاللزام هو التعبير بكلمة حتى دون كلمة الى ولدفع هذا التوهم أردف ﷺ كلامه بقوله وهذا اخو غامد الى آخره.

□ قوله ﷺ: وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ وَقَدْ قَتَلَ حَسَانَ ابْنَ حَسَانَ الْبَكْرِيِّ وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا...

وقد ذكرنا قصته في صدر هذه الخطبة وكيفية دخوله الأنبار وقتله الحسنان وغير ذلك مما وقع منه فلا نعيده.

□ قوله ﷺ: وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمِرْتَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعْثَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ

إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافْرِينَ مَانَالِ رَجُلًا فِيهِمْ كَلِمٌ وَلَا أَرِيقَ لَهُ دَمٌ...

اشارة ﷺ في هذه الفقرات الى امور مؤلعة مؤجعة لا بد لكل مؤمن آمن بالله واليوم الآخر ان يتوجع منها بل الانسان اذا كان غيوراً لا يصبر على هذه الأعمال الخبيثة والأفعال الكثيفة الخارجة عن حدود الانسانية وذلك لان النساء ليس عليهن من حرج كما قال الحسين ﷺ مخاطباً لجيش ابنه يزيد حين هجموا على خيامه للغارة وهو ﷺ يجود بنفسه، يا شيعة آل ابي سفيان ان لم يكن لكم دين فكونوا حراراً في دنياكم انتم تقاتلونني وانا قاتلكم والنساء ليس عليهن من حرج.

فالتعرض للنساء ليس من شأن الرجل الحر الغيور وان لم يكن مؤمناً متديناً وهكذا الأمر بالنسبة الى الأطفال والمستضعفين من الرجال واما ابوسفيان وابنه معاوية وهلم جرأ فحيث لم يكن فيهم من الايمان، والانسانية عين ولا أثر فلا جرم كان دأبهم من زمان الجاهلية الغارة والقتل ثم هذه الروية البعيدة عن الحق والعدالة قد بقيت في اولادهم، ومتابعيهم الى يوم القيمة كما نشاهد في زماننا هذا ايضاً.

اللهم العن من اسس اساس الظلم والجور والبدعة ومتابعيهم الى يوم القيمة.

والامر الثاني قوله ﷺ: ثُمَّ انْصَرَفُوا الى آخره.

وهو مشعرٌ بعدم لياقة اهل الكوفة وضعفهم كما ان الامر الاول قد دل على ضعف معاوية واصحابه وذلك لان الغارة والهجوم على النساء والأطفال والمستضعفين من الرجال الذين ليس لهم دفاع عن نفوسهم ولا قدرة على المقابلة والمقاتلة دالة على ضعف المهاجم وعدم قدرته ولياقته على مبارزة الأبطال ومعاوية كان كذلك اذ لم تكن له وسيلة من نيله الى آماله وبلوغه الى غاياته وأهدافه الا قميص عثمان المتلطح بالدم وغاراته ونهبه وهتكه كما هو

معلوم علي من له أدنى ممارسة وإطلاع على التواريخ ومن كان او يكون هذا حاله فعليه لعنة الله.

واما الامر الثاني وهو عدم مقابلة اهل الكوفة وقعودهم عن القتال حتى حكم فيهم العدو بما اراد وفعل ما شاء فهو دليل على ضعف نفوسهم وعدم غيرتهم وحميتهم العربية وكلاهما مذمومان ففي الحقيقة ضعف الطالب والمطلوب. وما ربك بظلام للعبيد.

□ قوله عليه السلام: **فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفَاءَ مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا...**

وذلك لانه لامخلص ولا مهرب له إلا بالموت فان المرء المسلم اذا رأى ظلم الظالم ولم يقدر على دفعه بنحو من الأنحاء فراحته في الموت حتى لا يرى ما يراه.

□ قوله عليه السلام: **فَيَا عَجَبًا عَجَبًا!! وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنْ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ...**

ثم انه قد تعجب تعجباً يُمِيت القلب ويجلب الهم والحزن من اجتماع هؤلاء القوم أعني معاوية واصحابه على باطلهم وتفرق اهل الكوفة على حقهم وذلك لان اهل الكوفة من حيث انهم كانوا من أتباعه عليه السلام قائلين بامامته بحسب الظاهر فلا جرم كانوا على الحق بخلاف معاوية واصحابه فانهم كانوا من عبدة الهوى واتباع الشيطان.

ووجه التعجب ظاهر لان الحق واتباعه واشياعه ينبغي ان يكون على هيئة الاجتماع والاتفاق لقوله تعالى: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾** (١) دون الباطل الذي لأصل له ولا ملاك فيه وحيث كان الأمر في اصحابه واصحاب معاوية على خلاف ذلك فتعجب عليه السلام منه تعجباً شديداً ولأجل ذلك كرر عليه السلام قوله عجباً فان التكرار يوجب التأكيد لفظاً ومعنى.

واما قوله ﷺ: يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ...

فهو اشارة الى ان هذه الروية الردية المخالفة للعقل والشرع مما يميت بها القلب ويجلب بها الحزن فان حياة القلب بالايمان، والاتصاف بالملكات النفسانية، كما ان حياة الجسد بالاكل والشرب، والاستراحة وغيرها.

فاذا افرضنا ان انساناً وقع في اجتماع كثيف لم يكن فيهم من الايمان والملكات عين ولا أثر بل كانوا فاسقين ظالمين ولم يمكن له اصلاحهم وارشادهم الى سواء السبيل فلا محالة يموت قلبه ويكثر همّه وحُزنه، بل يذوب فيهم كما يذوب الملح في الماء.

ولا شك في كونه ﷺ انساناً كاملاً متصفاً بجميع الكمالات التي يمكن تحصيلها للبشر واما ابناء زمانه فاكثرهم كانوا فاقدين لها بل كانوا في صورة الانسان وسيرة الحيوان وحيث انه ﷺ كان في اعلى مراتب الايمان فلا جرم صار محزوناً مغموماً وهكذا الامر في كل انسان وقع في هذه الورطة المهلكة. □ قوله ﷺ: فُقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحُّاً حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى...

وقد سبق نظير هذا الكلام منه ﷺ: في قوله ﷺ: فانتم غرض لنا بل واكله لاكل وفريسة لصائل، وقد تقدم منا الكلام هناك بما يليق بالمقام، فلا تُعيده خوفاً من الأطالة فراجعه.

وخلاصة الكلام فيه ان الانسان لا ينبغي ان يكون هدفاً لمقاصد الناس وآمالهم الا ان يكون جاهلاً فاسقاً ففي هذه الصورة لامحالة يقع غرضاً للرامي ولو تفحصت التواريخ والسير في كل عهد وزمان لدرت ان تسلط الجبابرة واخوان الشياطين واستيلائهم على الناس كان مسبباً ومعلولاً لحماقة الحمقاء وجهالة الجهال اللذين لا يعلمون الجر من البر ولا يدرون اين يذهبون، ولم يعلموا انهم صاروا بذلك غرضاً للرامي اعنى من كان او يكون بصدد الحكومة والرئاسة عليهم وظنى بل يقينى ان هذا هو مادة الفساد في كل عهد كما نشاهد في زماننا هذا بالمعانية ولا نحتاج في اثبات قوله ﷺ: هذا الى تصفح اوراق

التواريخ، والسِّيَر وتَتَبَّع حالات اصحابه واصحاب معاوية وغيرهم فى صدر الاسلام فَاِنَّ حَكَم الامثال فيما يَجُوز وفيما لا يَجُوز واحد وَاَعْلَنَّا نَشِير الى بعض الامور مِمَّا يَناسب المَقَام فى تنبيهات الخُطْبَة انشاء الله تعالى.

قوله ﷺ: يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ، وَتُغَزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ...

اشاره ﷺ: فى هذه الفقرات الى نقاط ضعف اصحابه وموارد زَلَّات اَشْياعه واتباعه من اهل الكوفة وغيرهم وهى ثلاثة:

الاول قوله ﷺ: يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ...

اى يُغَار عليكم من جانب معاوية واصحابه بقتل اخوانكم نهب اموالهم فى اليمن ومصر والمدينة والأنبار وغيرها مِمَّا مَرَّ ذكره تفصيلاً ولا تُغَيِّرُونَ عليهم بل انتم ساكتون صامتون وعن الحق ناكبون.

ان قلت - الغارة من الامور المذمومة عقلاً وشرعاً فكيف ذمهم على تركها وامرهم بها تلويحاً.

قلت - الغارة مذمومة عقلاً وشرعاً اذا صدرت ابتداء من غير مُجَوِّز كما فى معاوية واصحابه واما اذا صدرت ثانياً من طرف المقابل فهى تصير دفاعاً عن حريمهم لا غارة.

الاترى ان الكافر المُحَارِب للمسلم وجب قتله لو امكن واما اذا لم يكن مُحَارِباً مُفْسِداً فلا يجوز قتله فقتله بدون المُجَوِّز الشرعى حرام وكذلك نهب ماله واسر نسائه واما معه فلا يكون حراماً بل قد يصير واجباً.

والغارة فى المَقَام من هذا القبيل فَاِنَّ معاوية واصحابه كانوا من القاسطين الذين امره النبي ﷺ بقتالهم ان كان له ﷺ اعواناً وانصاراً فبذلك صاروا من الذين وَجِبَتْ مقاتلتهم، ومُحَارِبَتهم حَسْماً لمادة الفساد فى الاسلام سواء غاروا ولم يُغَاروا فلا حرمة لهم ولا لاموالهم واتباعهم فى نظر الشارع الا ان هذه المُحَارِبَة فى الصُّورَة المفروضة اعنى هُجُومهم على المسلمين كانت اشد

وأقوى ملاكاً.

فكانه ﷺ قال: لَهُمْ: يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيَّرُونَ، عليهم، فكيف يُتَوَقَّعُ منكم التَّهْجُومُ والغارة عليهم ابتداءً وهذا دليل على نفاق أهل الكوفة ومن حَذَى حَذْوِهِمْ وأنهم في الحقيقة في عداد الحيوانات لافي زُمرَةِ الأنسان والآ كيف يعقل ان يَقْعُدَ الأنسان في بَيْتِهِ وَيَضَعُ إِحْدَى يَدَيْهِ على الأخرى ولا يَدْفَعُ عن نفسه وماله وعرضه مع كونه قادراً على الدَّفَاعِ أَفلا يكون هذا الشَّخْصُ مُعِيناً لِلظَّالِمِ في ظُلْمِهِ ومصدَاقاً لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (١)

وقد قال رسول الله ﷺ: من اعانَ ظالماً سلَّطَهُ اللهُ عليه، ولا شك إنَّ السَّكُوتَ في مقابل الظلم مع القُدرة على رَفْعِهِ او دَفْعِهِ اعانة عليه كما سَتَكَلَّمُ فيه انشاء الله تعالى في محلّه.

الثانى قوله ﷺ: وَتُغْزَوْنَ وَلَا تُغْزَوْنَ...

وهذا ايضاً كسابقه في الملاك وذلك لانَّ المفروض انَّ غَزَوْهُمْ وقتلهم كان واجِباً عليهم في اطاعة على ﷺ التي هي اطاعة الله ورسوله في بدو الأمر كما أومانا اليه مراراً.

واما مع تَحَقُّقِ الغارة والتَّهْجُومِ من القاسطين فالملك في حربهم وجهادهم كان أولى ولذلك ذمَّهم ﷺ به.

الثالث قوله ﷺ: وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ...

والمقصود انَّ معاوية واصحابه يَعْصُونَ اللهُ ورسوله بِتَرْكِهِمْ طاعة على ﷺ وَيَبِيعْتَهُ واتباعهم للشيطان والهواجس النفسانية وقتلهم المسلمين ونهبهم لأموالهم كل ذلك معصية الله بلا كلام واذا كان الامر على هذا المنوال فيجب على كل مسلم آمن بالله واليوم الآخر رَدُّعُ العاصي ومنعه عن معصيته اداءً لحق الله تبارك وتعالى الثابت على ذمته من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أوضح الواضحات انَّ المنكر الذي يجب دفعه ورفعته اذا كان من قبيل القتل

وَالنَّهْبُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَالنَّهْيُ عَنْهُ لَا يَتَحَقَّقُ بِالْقَوْلِ بَلْ تَحَقُّقُهُ بِالْقِصَاصِ أَنْ أَمَكَّنَ
فَسَكُوتَ الْمُسْلِمِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى دَفْعِهِ أَوْ رَفْعِهِ بِمَنْزِلَةِ الْأَمْضَاءِ وَالتَّقْرِيرِ لَهُ وَهُوَ
يَكْشِفُ عَنِ الرِّضَا بِفِعْلِهِ مِنْهُ وَيُعْبَرُ عَنْهُ فِي الْأَصْطِلَاحِ بِالرِّضَا الْعَمَلِيِّ.

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُ كَانُوا يَرْتَكِبُونَ الْمُنْكَرَاتِ بِأَجْمَعِهَا
قَوْلًا وَفِعْلًا:

أَمَّا قَوْلًا، فَلَانَّهُمْ كَانُوا يَسُبُّونَ عَلِيًّا فِي رُؤُوسِ الْمَنَابِرِ وَالْمَجَامِعِ حَتَّى فِي
الْقُنُوتِ وَإِي مُنْكَرٍ فِي دِينِ اللَّهِ أَنْكَرَ مِنْ سَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّ سَبَّهُ ﷺ سَبُّ النَّبِيِّ
وَسَبُّ النَّبِيِّ سَبُّ اللَّهِ فَسَبُّ عَلِيٍّ سَبُّ اللَّهِ وَسَبُّ رَسُولِهِ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَالرَّوَايَاتُ فِي اثْبَاتِ الصَّغْرَى وَالْكِبْرَى مُتَظَافِرَةٌ إِنْ لَمْ تَكُنْ مُتَوَاتِرَةً وَقَدْ مَرَّ
شَطْرًا مِنْهَا فِي شَرْحِ الْخُطْبَةِ الشَّقْشَقِيَّةِ وَسَيَأْتِي بَعْضُ آخَرِ فِي مَحَلِّهِ فَقَدْ أَحَبَّ
اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ.

هَذَا كُلُّهُ مُضَافًا إِلَى ارْتِكَابِهِ لِسَائِرِ الْمُنْكَرَاتِ مِنَ الْقَتْلِ وَالظُّلْمِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا
يَطُولُ الْكَلَامُ بِذِكْرِهِ، بَلْ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ إِحْصَائُهَا فَإِنَّ خِبَائِثَهُ وَرذَالَتَهُ كَانَتْ فِي
مَرْتَبَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ عُقُولِ الْبَشَرِ بَحِيثٌ لَا تَنَالُ الْعُقُولُ إِلَيْهَا لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
مَنْ تَابَعَهُ.

وَأَمَّا ارْتِكَابُهُ الْمُنْكَرَاتِ فِعْلًا فَهُوَ مِمَّا لَا يَخْفَى عَلَى ذِي مَسْكِةٍ فَضْلًا عَنْ
الْمُتَّبِعِ كَيْفَ وَهُوَ فِي الْأَلْحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ مِنْ جِهَةِ الْأَعْتِقَادِ وَفِي الْحَرَصِ عَلَى
الظُّلْمِ وَارَاقَةِ الدِّمَاءِ وَنَهْبِ الْأَمْوَالِ وَمُضَادِرَتِهَا مِنْ جِهَةِ الْأَفْعَالِ وَالْأَعْمَالِ كَانِ
فِرْعَوْنَ زَمَانِهِ وَضَحَّاكَ عَصْرِهِ كَيْفَ لَا وَهُوَ أَصْلُ الشَّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ فِي الْقُرْآنِ
وَالْمُؤَسَّسِ لِحُكُومَةِ الشَّيْطَانِ فِي الْأِسْلَامِ بِتَأْسِيسِهِ الْحُكُومَةَ الْأُمَوِيَّةَ وَتَسْلِيطِهِ
ابْنَهُ يَزِيدَ عَلَى الْأُمَّةِ مِنْ غَيْرِ أَخْذِ الرَّأْيِ مِنْهُمْ وَلَا الْمَشُورَةَ مَعَهُمْ مَعَ عِلْمِهِ بِعَدَمِ
لِيَاقَتِهِ كَمَا هُوَ أَيْضًا نَفْسُهُ كَمَا كَذَلِكَ وَمَنْ كَانَ هَذَا شَأْنَهُ فَكَانَ وَاجِبًا عَلَى
الْمُسْلِمِينَ فِي عَهْدِهِ رَدُّعِهِ وَمَنْعِهِ وَإِنْ أَبَى قَتْلَهُ فَسَكُوتُهُمْ فِي مَقَابِلِ هَذَا الْخَبِيثِ
وَجَنَائِاتِهِ وَأَعْمَالِهِ تَقْرِيرٌ لِعَمَلِهِ مَعَ كَوْنِهِمْ قَادِرِينَ عَلَى دَفْعِهِ وَرَفْعِهِ كَمَا هُوَ

المفروض ومعلوم ان من رضى بفعل قوم فهو منهم.

□ قوله عليه السلام: فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةٌ الْقَيْظِ أَمَهَلْنَا يُسَبِّحُ عَنَّا الْحَرُّ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الشِّتَاءِ، قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَّارَةٌ الْقَرُّ أَمَهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبَرْدُ كُلُّ هَذَا فِرَارٌ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرُّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَقْرُ...

ثم اشار عليه السلام في هذه الفقرات الى اعدارهم الباطلة، واجوبتهم الكاسدة الفاسدة في جوابه عليه السلام حيث دعاهم الى الجهاد الذي افترض الله عليهم وذلك لان دعوته اليه ان كانت في الصيف فكانوا يعتذرون ويقولون بان هذه حمارة الغيظ وشدة حره أمهلنا الى ان يسبح عنا الحر وسكن وان كانت في الشتاء فعذرهم برودة الهواء ولا شك ان هذه الأقاويل الباطلة انما صدرت منهم لأجل الفرار عن الجهاد والّا فالجهاد اذا تمت شرائطه فهو واجب ولا يجوز تأخير الواجب عن وقته من غير عذر ومن كان كذلك اي من كان فاراً من الحر والقرف فهو من السيف أقر لان ملاك الفرار فيه أقوى بل لاملاك فيما زعموه اصلاً، فان الإنسان اذا خاف على نفسه من الحر والبرد فكيف لا يخاف عليها من السيف والسنان ولذلك قال عليه السلام: فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَقْرُ. بواو القسم واسم الجلالة مُشْعِراً بان هذا الذي قلت لكم لاشك فيه ولا خلاف في صحته فان الرجل المسلم المؤمن بالله واليوم الآخر لا يتقول بهذه الأقاويل الموجبة للفرار عن الجهاد.

□ قوله عليه السلام: يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ حُلُومِ الْأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ...

ثم انه عليه السلام، بعد ما قال لهم من تركهم الجهاد الذي صار موجبا لتسليط معاوية واصحابه على البلاد وغلبة الباطل على الحق وضرورة المنكر معروفاً والمعروف منكراً وحدوث القتل والغارة من الشيطان واصحابه في الامة خاطبهم وناداهم بقوله عليه السلام: يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ الْخ.

وَأَمَّا اتَى ﷺ مِنْ حُرُوفِ النَّدَاءِ بِالْيَاءِ دُونَ إِخْوَاتِهَا مِنَ الْهَمْزَةِ وَأَيَا وَهَيَا
وَأَي، لِأَنَّ أَيَا وَهَيَا وَضَعْنَا لِلنَّدَاءِ الْبَعِيدِ وَالْمُخَاطَبُونَ بِهَذَا الْكَلَامِ لَمْ يَكُونُوا
كَذَلِكَ، وَأَي، وَضَعْتُ لِنَدَاءِ الْمُتَوَسِّطِ بَيْنَ الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ، وَالْهَمْزَةُ وَضَعْتُ
لِلْقَرِيبِ فَقَطْ، وَأَي، أَيْضاً لَا يُمْكِنُ الْإِتْيَانُ بِهَا لِأَنَّ الْمُخَاطَبِينَ كَانُوا حَاجِزِينَ
وَأَمَّا (يَا) فَهِيَ أَعْمٌ لِلْمَنَادَى الْبَعِيدِ وَالْمُتَوَسِّطِ وَالْقَرِيبِ.

فَان قَلْتُ - لَمَّا كَانَتِ الْهَمْزَةُ مَوْضُوعَةً لِلْمَنَادَى الْقَرِيبِ فَلِمَ لَمْ يَأْتِ ﷺ بِهَا
فِي الْمَقَامِ، مَعَ كَوْنِ الْمُخَاطَبِ قَرِيباً مِنْهُ كَمَا هُوَ الْمَفْرُوضُ، وَاتَى بِالْيَاءِ الَّتِي
وُضِعَتْ لِلْأَعْمِ مِنْهُ وَالْبَعِيدِ وَالْمُتَوَسِّطِ؟

قَلْتُ - السَّرْفِيهِ هُوَ أَنَّ الْمَنَادَى فِي الْمَقَامِ لَمْ يَكُنْ قَرِيباً مِنْهُ ﷺ فَحَسَبَ حَتَّى
يُؤْتَى بِالْهَمْزَةِ وَلَا مُتَوَسِّطاً بَيْنَ الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ حَتَّى يُؤْتَى بِأَي، وَلَا بَعِيداً
فَحَسَبُ حَتَّى يُؤْتَى بِأَيَا وَهَيَا وَحَيْثُ لَمْ يَصِحَّ الْإِتْيَانُ فَاتَى بِالْيَاءِ الْأَعْمِ اعْنَى
لِلْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ وَالْمُتَوَسِّطِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَنَادَى فِي كَلَامِهِ ﷺ لَهُ
إِحْتِمَالَاتٌ أَرْبَعَةٌ:

١. كَوْنُ الْمَنَادَى قَرِيباً.
٢. كَوْنُهُ بَعِيداً.
٣. كَوْنُهُ جَامِعاً بَيْنَ الثَّلَاثَةِ.
٤. مُتَوَسِّطاً.

وَلَا يُمْكِنُ فَرَضُ شَيْءٍ آخَرَ فِي الْمَقَامِ فَإِنَّ الْمَنَادَى فِي أَيِّ مَقَامٍ وُجِدَ
لَا يَخْلُو مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ: وَعَلَى كَلَا التَّقْدِيرِينَ لَا بَدَّ مِنَ الْإِتْيَانِ بِالْيَاءِ لِكَوْنِهَا أَعْمٌ.
وَتَوْضِيحُ الْمَقَالِ، هُوَ أَنَّ الْمَنَادَى فِي كَلَامِهِ ﷺ اعْنَى: أَشْبَاهَ الرِّجَالِ، يُمْكِنُ أَنْ
يُرَادَ بِهِ الرِّجَالُ الْمَوْجُودُونَ فِي الْمَسْجِدِ السَّامِعُونَ لِكَلَامِهِ ﷺ وَيُمْكِنُ أَنْ يُرَادَ
بِهِ الْمُتَوَسِّطُونَ فِي الْقُرْبِ، وَالْبَعْدِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْبَعِيدِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُرَادَ بِهِ
الْأَعْمُ مِنْهَا وَهُوَ الْأَقْرَبُ فَإِنَّ الْجَمْعَ مَهْمَا أَمْكِنُ أَوْلَى.

فَقَوْلُهُ ﷺ: يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ لَا يَكُونُ مُخْتَصَّصاً بِمَنْ كَانَ حَاضِراً فِي الْمَسْجِدِ

منه بل المنادى اعمّ من الحاضرين في المسجد، والغائبين عنه.

فان كان المراد هو الاول اعنى الموجودين في المسجد يلزم ان لا يشمل غيرهم ممن لم يكن فيه وهو لا يصحّ فانّ كثيراً من اشباه الرجال كانوا في خارج المسجد بل وفي خارج الكوفة وحيث كان كلامه ﷺ متوجّهاً الى كل من كان كذلك سواء كان في المسجد ام لم يكن وسواء كان في الكوفة ام في المدينة واليمن والبصرة وغيرها فلا جرم اتى ﷺ بالياء الشاملة للقريب والبعيد والمتوسّط حتّى يشمل المنادى الكلّ هذا اذا حملنا اللفظ على ظاهره وقلنا باختصاص المنادى بمن كان في عهده وزمانه ﷺ في الكوفة وغيرها.

وامّا اذ قلنا بعموم الخطاب وخصوص المورد كما هو الحقّ في امثال هذه الخطابات الصادرة من الله ورسوله واوصيائه من باب الأشتراك في التكليف فالأمر اوضح، اذ المرادح بالقرب من كان في عهده قريباً منه ﷺ في المسجد والمتوسّط من كان بعدهم والبعيد من كان بعد المتوسّط الى يوم القيمة، فانّ الناس من عهده ﷺ الى يوم القيمة لا يخلوا حالهم من هذه الاحوال الثلاثة، فمن كان منهم واجداً لمراتب الأنسانية فهو رجل واقعاً، ومن لم يكن كذلك فهو شَبَحَ الرَّجُلِ سِوَاهُ كَانُ فِي زَمَانِهِ لَمْ يَكُنْ.

والياء، في حروف النداء من حيث جامعيتها متكفّلةً للمراتب الثلاثة ولذلك اختصّ بالذكر.

وامّا قوله ﷺ: لَا رِجَالَ، فكلمة (لا) لنفى الكمال لالنفي الجنس كما في قوله ﷺ: لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ.

وقوله: لَا فَتْنَى إِلَّا عَلَى لَأْسِيفِ الْأَذْوَالِ فَقَارٍ وامثال ذلك ممّا تكون كلمة (لا) لنفى الكمال دون الماهية والجنس وهو ظاهر اذ لا يعقل نفي الجنس.

ومن المعلوم انّ الجنس اعنى الحيوانية يشمل الكلّ مؤمناً كان او منافقاً كافراً كان او مسلماً، فكأنه ﷺ قال: انتم لستم برجال واقعاً وانما انتم اشباح الرجال اعنى في صورة الرجال من حيث الجنس والماهية والفصل، وامّا لوازم

الرُّجُولِيَّةُ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالغَيْرَةِ وَالْحَمِيَّةِ وَغَيْرِهَا فَلَا تُوجَدُ فِيكُمْ فَانْتُمْ نَاقِصُونَ فِي الرُّجُولِيَّةِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِهِ مِنْ دُونَ عَذْرِ صَلَاةٍ وَأَقْعًا وَحَقِيقَةً، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَتْ بِكَامِلَةٍ وَهَكَذَا.

وَفِي تَعْبِيرِهِ عليه السلام بِالْأَشْبَاحِ الَّتِي هِيَ جَمْعُ شَبَحٍ دُونَ الْأَشْبَاهِ جَمْعُ شِبْهِهِ أَوْ الْأَمْثَالِ جَمْعُ مِثْلٍ إِشَارَةٌ إِلَى دَقِيقَةٍ أُخْرَى وَهِيَ أَنَّ الشَّبْهَ بِكَسْرِ الشَّيْنِ وَالْهَاءِ السَّائِكَةِ بِمَعْنَى النَّظِيرِ فَإِذَا قِيلَ فَلَانٌ شَبِهُ فَلَانًا، أَوْ شَبِيهُ فَلَانٌ مَعْنَاهُ أَنَّهُ نَظِيرُهُ فِي الْأَوْصَافِ وَالْأَثَارِ.

وَأَمَّا الْمِثْلُ فَهُوَ الْمَشَارِكُ مَعَ غَيْرِهِ فِي الْمَاهِيَّةِ وَلَوْ أَوْزَمَهَا، يُقَالُ فَلَانٌ مِثْلُ فَلَانٍ أَيْ هُمَا مَشَارِكَانِ فِي الْمَاهِيَّةِ وَلَوْ أَوْزَمَهَا وَلِذَلِكَ لَا يَجْتَمِعَانِ مَعًا وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمِثْلَيْنِ وَالشَّبْهَيْنِ فَإِنَّ الْمِثْلَيْنِ لَا بَدَّ وَأَنْ يَكُونَا مَشَارِكَيْنِ فِي الْمَاهِيَّةِ وَلَوْ أَوْزَمَهَا وَأَمَّا الشَّبْهَيْنِ فَلَا يَتَشَارِكَانِ إِلَّا فِي الْأَوْصَافِ فَقَطْ وَأَمَّا فِي الْمَاهِيَّةِ فَلَا. وَحَيْثُ أَرَادَ عليه السلام: نَفَى وَجُودِ الْأَوْصَافِ الرَّجَالِ الْوَاقِعِي فِيهِمْ فَلَمْ يَقُلْ يَا أَشْبَاهَ الرَّجَالِ لِانْتِفَاءِ الْأَوْصَافِ فِيهِمْ وَحَيْثُ أَرَادَ عليه السلام نَفَى اشْتِرَاكِهِمْ مَعَ الرَّجَالِ فِي الْمَاهِيَّةِ وَلَوْ أَوْزَمَهَا لَمْ يَقُلْ يَا أَمْثَالَ الرَّجَالِ لِأَنَّ الْأَوْصَافَ الرَّجَالِ وَلَوْ أَوْزَمَ مَاهِيَاتِهِمْ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالغَيْرَةِ وَالْحُرِّيَّةِ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ فِيهِمْ.

وَأَمَّا الْأَشْبَاحَ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ فَتَصَدَّقُ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الشَّبْحَ عِبَارَةٌ عَمَّا يُتَخَيَّلُ أَنَّهُ إِنْسَانٌ أَوْ حَيْوَانٌ أَوْ غَيْرُهُمَا، ثُمَّ يَنْكَشِفُ خِلَافُهُ وَأَنَّهُ غَيْرُ مَا تُتَخَيَّلُهُ أَوَّلًا وَهُؤُلَاءِ كَانُوا كَذَلِكَ.

وَبِمَا ذَكَرْنَا قَدْ ظَهَرَ لَكَ سِرٌّ آخَرَ وَهُوَ أَنَّ التَّعْبِيرَ بِالشَّبْحِ فِي الْمَقَامِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنِّي كُنْتُ فِي سَالِفِ الزَّمَانِ قَبْلَ الْمَجِيءِ إِلَى الْكُوفَةِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى ضَمَائِرِكُمْ وَأَوْصَافِكُمْ وَإِخْلَاقِكُمْ وَأَدَابِكُمْ، ظَنَنْتُكُمْ رَجَالًا وَأَقْعِيًّا، وَأَنْسَانًا حَقِيقِيًّا فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى الْكُوفَةِ وَعَرَفْتُكُمْ عَلِمْتُ أَنَّ الْأَمْرَ بِخِلَافِ مَا تُتَخَيَّلْتُ وَظَنَنْتُ.

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: كُنْتُمْ أَشْبَاحَ الرَّجَالِ وَقَدْ كُنْتُ ظَنْنْتُ أَنْكُمْ مِنَ الرَّجَالِ فَلَيْسَ

الامر كما زعمت، ولا يخفى عليك ان هذا الكلام منه عليه السلام بناء على هذا التقرير من باب التخاطب والافكيف يمكن ان يقال انه عليه السلام كان لا يعرفهم قبل مجيئه الى الكوفة.

ولا يبعد ان يكون المراد من قوله عليه السلام: هذا هو تفهيمه اياهم بانهم ليسوا من الرجال واقعا خلافا لما اعتقدوه من عداهم نفوسهم من الرجال فكائه قال ليس الامر كما ظننتم بل الحق انكم اشباح الرجال فاعلموا ان كنتم ما علمتم به قبل هذا وكان الامر مشتبهاً عليكم.

□ قوله عليه السلام: حُلُومُ الْأَطْفَالِ وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ...

ثم انه بعد ما اثبت لهم انهم من اشباح الرجال ولا رجال ذكر لهم وصفين: احدهما: كون حُلُومِهِم حُلُومُ الْأَطْفَالِ.

وثانيهما: كون عُقُولِهِم عُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ وهذين الوصفين بمنزلة التعليلين للمدعى اعنى كونهم اشباح الرجال فكائه عليه السلام قال: والدليل على كونكم اشباح الرجال هو ان حُلُومَكُمْ حُلُومُ الْأَطْفَالِ، وعقولكم عقول ربات الحجال اذا الرجل الكامل لا يكون حِلْمُهُ وعقله كذلك.

اما الوصف الاول وهو قوله عليه السلام: حُلُومُ الْأَطْفَالِ فقد قالوا فى شرحه ما يظهر منه ان الحُلُومَ فى قوله عليه السلام جمع حِلْمٍ بكسر الحاء، قال الخوئى اما وصفهم بحُلُومِ الْأَطْفَالِ فلان ملكة الحِلْمِ ليست بحاصلة للطفل وان كانت قُوَّة الحِلْمِ حاصلة له لكن قد يحصل له ما يتصور بصورة الحِلْمِ كعدم التسرع الى الغضب عن خيال يرضيه واغلب احواله ان يكون ذلك فى غير موضعه وليس له ملكة تكسب نفسه طمأنينة كما فى حق الكاملين، فهو اذن نقصان ولما كان تاركوا امره عليه السلام قد تركوا المُقاوِلة حِلْمًا عن أدنى الخيال كتركهم الحرب بصفين عن خدعة اهل الشام لهم بالمسالمة وطلب المحاكمة ورفع المصاحف فقالوا اخواننا فى الدين لا يجوز لنا قتالهم كان ذلك حِلْمًا فى غير موضعه حتى كان من امرهم ما كان بأشبهه رضى الصبيان انتهى ما ذكره (قده) بالفاظه.

وانت ترى ان ما ذكره (قده) صريح في كون الحُلوم جمع حِلْم تبعاً للمحقق
البحراني (قده) وذلك لان ما ذكره الخوئي قد أخذه عن البحراني طابق النعل
بالنعل ولم يزد الخوئي فيه شيئاً آخر، بل نقل عباراته بالفاظها في شرحه كما
نقلناها ايضاً.

واما المعتزلي فلم يذكر فيه شيئاً، وانا اقول ما ذكره في شرح كلامه عليه السلام بعيد
عن الصواب وذلك لانه لم يكن البحث في الجلم حتى يقال حُلوم الأطفال
بمعنى انه لا صبر لكم مثلاً بالفعل اي ملكة الحلم وان كانت قُوّة الحلم حاصلة.
والوجه فيه ان ملكة الجلم لا تكون حاصلة لاكثر الناس لولا كلهم غير
الكاملين منهم كما اعترف به (قده) ايضاً فعليه يلزم ان يكون الذم في قوله عليه السلام
شاملاً لجميع المخاطبين غير عليّ، والحسن والحسين وهذا لا يقول به من كان
له شعور وعقل فضلاً عمّن كان بصدد التحقيق كيف والبلوغ الى أقصى مراتب
الكمال والاتصاف بالصفات على ما هي عليه لا يمكن لأحدٍ الا المعصوم
مضافاً الى ان ترك الجهاد لا يكشف عن عدم الجلم بل هو كاشف عن عدم
الايمان والاعتقاد.

فقوله (قده) كان ذلك حِلماً في غير موضعة في غير موضعه لانه لم يكن
بحلم ابدأ بل تركهم المقاتلة دليل على نفاقهم وسوء سريرتهم لانه حِلْمٌ في
غير موضعه وائى حِلْمٌ في ترك المقاتلة وعصيان الامام بل الجلم والصبر على
المقاتلة والطاعة وعلى فرض التسليم وامكان تصوير ما ذكره (قده) على وجه
صحيح فهو الأكل من القفا.

والذى يُقوى في النفس هو ان الحُلوم في المقام جمعٌ للحلم لا بمعنى الصبر
بل بمعنى العقل المقابل للجهل والسّفه كقول الشاعر وانّ سفاه الشيخ لاحلم
بعده، اي لا عقل بعده قاله في المنجد:

ويؤيده ما رواه غير واحد عن الرسول ﷺ في صلوة الجماعة انه قال:
لَيْلِيْنِي مِنْكُمْ اُولُو الْاِحْلَامِ وَالنُّهْيِ، اي ذوو الالباب والعقول واحدها الجلم

بالكيسر وكأنه من الجلم الأناة والتثبت في الأمور وذلك من شعار العقلاء.
وقال في لسان العرب والجلم نقيض السفه وفيه قال الشاعر:

مُجْرَبُ الْحَزْمِ فِي الْأُمُورِ وَإِنْ
خَافَتْ حُلُومٌ بِأَهْلِهَا حَلَمًا

وعلى ما اخترناه فقوله عليه السلام: حُلُومُ الْأَطْفَالِ معناه أنه كما أن الاطفال لا عقل لهم حقيقةً والذي فيهم شبيه به فكذلك انتم لا عقل لكم بل عقلكم شبيه بعقل الطفل في عدم تمييزه الحق عن الباطل والخير عن الشر فقوله عليه السلام هذا كناية واستعارة عن كونهم غير موصوفين بالعقل واقعاً فإن العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان ومن لا يكون كذلك فهو غير عاقل عند العقلاء وان كان معدوداً منهم عند العرف.

والسر فيه هو أن العقل في الأطفال عقل هيولاني في مقام القوة ولذلك قد يُعبّر عنه بالعقل بالقوة، ثم يصير عقلاً بالملكة، ثم بالفعل ثم بالمستفاد،
والأول: استعداد محض.

والثاني: استعداد كسب النظريات المدركة من أوليات معقولة له سواء كان بالفكر او بالحدس.

والثالث: استعداد الاستحضار للنظريات المكتسبة المخزونة متى شاء بمجرد الألتفات بلا انظار جديدة.

والرابع: انعدام الاستعداد فيه واستحضاره العلوم مُشاهداً ايها من غير فكرٍ وتأملٍ متى شاء و اراد.

وإنما سُمي الأول: هيولانياً لأن الهيولى ليست إلا صرف القوة وهذا العقل كذلك لأنه قوة محضة واستعداد خالص بالنسبة الى الإدراكات النظرية والعلوم والمعارف الحقّة.

وإنما سُمي الثاني: بالملكة لحصول ملكة الاستعداد في كسب النظريات بالفكر او الحدس فيه.

وَأَمَّا سُمِّيَ الثَّالِثُ: سُمِّيَ بِالْفِعْلِ لِأَنَّ الاسْتِعْدَادَ فِي اسْتِحْضَارِهِ لِلنَّظَرِيَّاتِ فِيهِ
مَوْجُودٌ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْكَسْبِ وَالْأَخْذِ تَفْصِيلاً.

وَوَجْهٌ تَسْمِيَةِ الرَّابِعِ بِالْمُسْتَفَادِ لِأَنَّ اسْتِحْضَارَهُ الْعُلُومِ مَشَاهِدًا أَيَّهَا الْمُسْتَفَادُ
مِنْ عَقْلِ الْفِعَالِ الَّذِي هُوَ مُخْرَجُ نَفْسِنَا مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ فِي الْكَمَالَاتِ وَإِلَى
مَا ذَكَرْنَاهُ إِشَارَةُ السَّبْزَوَارِيِّ (قَدَّه) حَيْثُ قَالَ:

فَمَا هُوَ اسْتِعْدَادُ الْأُولَى سُمِّيَ بِالْعَقْلِ الْهَيْولَانِي
وَعَقْلُ اسْتِعْدَادِ كَسْبِ الْمُدْرَكَةِ مِنْ أَوْلِيَّاتِ لَهُ بِالْمَلَكَةِ
بِالْفِعْلِ ذُو اسْتِعْدَادِ اسْتِحْضَارِ لِلنَّظَرِيَّاتِ بِلا انْظَارِ

فَقَدْ عَلِمْتَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ أَحْسَنَ الْعُقُولِ مِنْ حَيْثُ الْمَرْتَبَةُ هُوَ الْعَقْلُ
الْهَيْولَانِيُّ الَّذِي هُوَ فِي الْأَطْفَالِ وَقَدْ إِشَارَ إِلَيْهِ أَيْضًا حَيْثُ قَالَ:

كَقُوَّةِ الطِّفْلِ وَمَنْ تَرَعَّرَعَا لَصَنْعَةٍ وَمَاهِرٍ مَا صَنَعَا

فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حُلُومُ الْأَطْفَالِ، إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ عُقُولَ الْمُخَاطَبِينَ كَعُقُولِ الْأَطْفَالِ
مِنْ حَيْثُ كَوْنِهَا بِالْقُوَّةِ وَعَدَمُ كَوْنِهَا مُدْرَكَةً لشيءٍ فَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ هُوَ أَنَّ
حُلُومَكُمْ حُلُومَ الْأَطْفَالِ بِحَذْفِ كَافِ التَّشْبِيهِ أَوْ هُوَ هُوَ ادِّعَاءٌ.

فَكَمَا أَنَّ الطِّفْلَ لَا يَمِيزُ النَّحِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَالجَيِّدَ مِنَ الرَّدِيِّ فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ
الْقَوْمِ حَيْثُ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ وَلَا بَيْنَ الْجِهَادِ وَتَرْكِهِ وَلَا بَيْنَ
الْعِزَّةِ وَالذُّلَّةِ وَهَكَذَا وَلَيْسَ هَذَا إِلَّا لِأَجْلِ أَنَّ عُقُولَهُمْ لَمْ تَبْلُغْ مَرْتَبَةَ التَّمْيِيزِ
وَالتَّشْخِيسِ وَهَذَا هُوَ بَعِينُهُ شَأْنُ عَقْلِ الطِّفْلِ وَلَا جِلَّ ذَلِكَ عَبْرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْأَطْفَالِ
دُونَ الصَّبِيَّانِ مِثْلًا فَإِنَّ عَقْلَ الصَّبِيِّ لَيْسَ فِي أَغْلِبِ الْأَوْقَاتِ عَقْلاً هَيْولَانِيًّا
مَحْضًا بَلْ هُوَ عَقْلٌ بِالْمَلَكَةِ لِأَنَّ لَهُ اسْتِعْدَادَ كَسْبِ الْمُدْرَكَاتِ بِالْفِكْرِ وَالْحَدْسِ
وَهُوَ أَعْلَى مَرْتَبَةً مِنَ الْأَوَّلِ كَمَا ظَهَرَ لَكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ...

فَقَالُوا فِي شَرْحِهِ أَنَّ وَجْهَ الْأَشْتِرَاكِ فِي الْحَاقِ عُقُولَهُمْ بِعُقُولِ النِّسَاءِ هُوَ
النُّصُورُ وَالنَّقْصَانُ وَقَلَّةُ الْمَعْرِفَةِ بِوَجْهِ الْمَصَالِحِ الْمَخْصُوصَةِ بِتَدْبِيرِ الْحَرْبِ

والمدن هذا.

اقول: ما ذكروه في المقام ايضاً لا يرجع الى محصل ذلك لانه ﷺ لم يقل وعقول النساء، بل قال وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ، وبين الكلامين فرق واضح ولو كان الامر كما ذكروه فينبغي ان يقول عقول النساء لكونه اخصر وأوفى بالمقصود وحيث لم يقل ذلك فنكشف ان الغرض شيء آخر كما هو كذلك. وتوضيح المقال ان ربّات الحجال وان كانت داخلة تحت النساء من جهة اللوازم والآثار إلا ان لها مزيد اختصاص ليس لغيرها وذلك لان ربّات الحجال هي النساء اللواتي في الحجال اعني العرائس وللعرائس تجمّلات وتزيّينات ليست لغيرها والعروس اعني المرثة التي في الحجلة لا توجّه لها إلا بلباسها وزينتها مادام كونها فيها ولا تدرى ان هذه الحالة ستندم وترجع العروس الى حالتها الاولى.

وايضاً لا تعلم ان بعد هذه المرحلة عقبات ونكبات من الوطى والحمل والضرب والشتم وغيرها وهكذا هؤلاء القوم فانهم لم يعلموا ان هذه النعمة اعني حكومة عليّ عليه السلام وعدالته لا تبقى لهم وسيرجعون الى سيرتهم الاولى وحكومتهم السابقة ويكون الحاكم عليهم من لا يرحمهم، بل يظلمهم ويقتلهم ويسلبهم ويُعذبهم بأشدّ العذاب.

فلو كان لهم عقل سليم غير مشوب بشوائب الأوهام لعلموا ان الرشد والصّلاح في اطاعته عليه السلام والأجتناب عن معصيته والحرب مع ابن ابي سفيان حتى تحسم مادة الفساد فان في ذلك سعادة الدارين وكمال النشأتين ومن المعلوم ان النساء ولا سيّما ربّات الحجال لا توجّه لهنّ بعاقبه الأمور ومن كان كذلك من الرجال فعقله عقّلها بلا كلام فيه

□ قوله عليه السلام: لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدْمًا وَأَعْقَبَتْ سَدْمًا...

واللام في قوله عليه السلام: لَوَدِدْتُ، للتأكيد والمعنى لأحبيت أني لم أركم، وذلك

لأنَّ المثل المشهور: وتَسْمَعُ بالمُعَيْدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ كَانَ صَادِقاً عَلَيْهِمْ
والمقصود من هذا الكلام أنَّ اهل الكوفة كانوا مشهورين بالشجاعة، والحرية
والقدرة في صدر الأسلام ولعلَّه لهذه الجهة اختار الكوفة من سائر البلاد، ثمَّ
بعد الورود بها والمجالسة مع اهلها انكشف خلاف ذلك وصار الموضوع
مصدراً لقول المشهور:

رَبِّ شُهْرَةٍ لِأَصْلِ لَهَا وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنِّي كُنْتُ عَالِماً بِبِقَاقِمِكُمْ
وَشِقَاقِكُمْ مِنْ قَبْلِ الْآنَ السَّمَاعُ غَيْرُ الرَّؤْيَةِ فَلَيْتَنِي لَمْ أَرْكَمْ.
ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ الْخِ وَالْتَقْدِيرُ لَوُدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ هَذِهِ
الْمَعْرِفَةُ الَّتِي وَاللَّهِ لَقَدْ جَرَّتْ وَاسْتَجَلِبَتْ نَدَمًا وَسَثِيمًا وَأَعَقَبَتْ حُزْنًا وَهَمًّا ثُمَّ
دَعَا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ قَاتَلَكُمْ اللَّهُ الْخِ.

□ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَاتَلَكُمْ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا وَشَحْنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا،
وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهَامِ أَنْفَاسًا وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيانِ وَالْخِذْلَانِ
حَتَّى قَالَتْ قَرِيشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِيطَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ...
ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: قَاتَلَكُمْ اللَّهُ أَي لَعْنَتِكُمْ اللَّهُ فَإِنَّ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ فَهُوَ
الْمَقْتُولُ الْهَالِكُ وَاقِعًا وَقَدْ عَقَّبَ عَلَيْهِ دَعَاؤُهُ عَلَيْهِمْ بِأُمُورٍ أَرْبَعَةٍ كُلُّهَا بِمَنْزِلَةِ الْعَلَّةِ
لِلدَّعَاءِ عَلَيْهِمْ وَالتَّنْفِرِ مِنْهُمْ.

أَحَدُهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا...

أَي كَيْفَ لِأَقُولُ قَاتَلَكُمْ اللَّهُ وَأَنْتُمْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا.

صَدَّرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَامَهُ بِكَلِمَةٍ قَدْ، الْمُفِيدَةُ لِلتَّحْقِيقِ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى الْمَاضِي مَعَ
الْأَمِّ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهَا الْمُفِيدَةُ لِلتَّأَكِيدِ أَيْضًا لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ مَا قَالَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَقٌّ لَا مَبَالِغَةَ
فِيهِ بَلْ هُوَ وَاقِعٌ جَدًّا حَاصِلُهُ أَنْكُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا أَي
صَدِيدًا بِلَادِم.

وَقَالَ فِي الْمَنْجَدِ: الْقَيْحُ، الْمُدَّةُ الْبَيْضَاءُ الْخَائِثَةُ الَّتِي لَا يُخَالِطُهَا دَمٌ وَأَنْمَا كَانَ
ذَلِكَ لِعَدَمِ اطِّاعَتِهِمْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسُوءِ أَعْمَالِهِمْ وَفُضَايِحِ أَعْمَالِهِمْ وَتَرْكِهِمُ الْجِهَادَ مَعَ

اعدائهم وقرودهم فى البيوت مع نسائهم.
وثانيها قوله عليه السلام: **وَسَخَنَتْمْ صَدْرِي غَيْظًا...**

اي رؤيتكم الكاسدة الفاسدة فى هذه الدنيا الدنية اوجبت واورثت فى
صدى غيظاً وغبياً.

وذلك لان المؤمن فضلاً عن الامام المعصوم اذ راي فى الناس افعالاً شنيعة
واعمالاً قبيحة بتركهم طاعة الله واتيانهم بالمعاصى ولم يقدر على ردعهم
ومنعهم عنها فلامحالة يصير صدره مشحوناً بالغيظ والغضب والا لم يكن
مؤمناً واقعياً.

وثالثها قوله عليه السلام: **وَجَرَّعْتُمُونِي نَعْبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا...**

اي جرعتموني الهموم والأحزان جرعة بعد جرعة وفيه اشارة الى ان اهل
الكوفة كانوا من اول الأمر غير مطيعين له عليه السلام كما مرّت الاشارة اليه منّا فى
ارساله عليه السلام الحسن عليه السلام الى الكوفة من الرّبذة فى مسيره عليه السلام الى البصرة ومخالفة
ابى موسى الاشعري وكثير من اهل الكوفة حين دعاهم الى المسير الى البصرة
لحرب اصحاب الجمل وغير ذلك من الموارد المذكورة فى التواريخ.

ورابعها قوله عليه السلام: **وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ...**

وذلك لان عدم اطاعتهم له عليه السلام فى الأمور صار سبباً لفساد رأيه وتدبيره
وعدم انفاذه امره، لان اجراء التدبير والرأى منوط بوجود المعين والناصر فى
صورة عدم الناصر لامحالة لايمكن انفاذ الأمر والبلوغ الى المقصد.

وفى تعبيره عليه السلام: بأفسدتم، من باب الافعال اشارة الى كون رأيه سديداً
صحيحاً فى حدّ نفسه الا انهم بسبب مخالفته وعدم نصرته فيما اراد قد أفسدوا
عليه رأيه ولذلك قد عقب كلامه عليه السلام بقوله: حتى قالت الخ.

□ قوله عليه السلام: **حَتَّى قَالَتْ قَرْيَشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِيطَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ
بِالْحَرْبِ...**

وهذا بمنزلة النتيجة لما تقدّم او المعلول له والمعنى ان عصيانكم وتمردكم

لى صارَ باعثاً لِمَا قالته قريش ان ابن ابيطالب رجل شجاع ولا علم له بالحرب. ولم يعلموا ان هذا الوهن والفشل فى الحكومة انما هو مسبب عن عدم اتفاقهم واجتماعهم على الحق ومخالفتهم لامامهم لامن سوء تدبير امامهم وخليفتهم كما زعموا وظنوا فان الامام اذا لم يطاع فكيف يظهر رُشدَه ولياقته. قوله ﷺ: لِلّٰهِ اَبُوهُمُ وَهَلْ اَحَدٌ مِّنْهُمْ اَشَدُّ مِرَاساً لَهَا وَاَقْدَمُ فِيمَا مَقَاماً مِنِّى لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَهَا اَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السِّتِينَ وَلَكِن لِّلرَّأى لِمَنْ لَا يُطَاعُ...

والمقصود انهم اى القائلين بهذه المقالة قد اخطأوا فيها وذلك لانه لم يكن احد منهم اشد مراساً وممارسة للحرب والقتال واثبت مقاماً فيها منى كيف لا يكون كذلك ولقد نهضت فى الحرب وقمت بها وما بلغت العشرين اى كان سنى اقل من ذلك والآن قد تجاوزت وزدت على الستين ومن كان فى هذه المدة الكثيرة البالغة على اربعين سنة ممارساً للحروب فكيف لا يكون له علم بها ولكن لارائى لمن لايطاع، اى ولكن من لايطاع فى اصحابه وقومه لارائى له ولا تدبير، انتهى والحمد لله رب العالمين.

تنبيه فلسفى وتأويل عرشى فى هذه الخطبة الشريفة.

اعلم: ايذك الله تعالى فى الدارين واذقك الله حلاوة النشأتين ان هذه الخطبة التى مرت عليك الفاظها ومعانيها تشتمل على نكات، ودقائق لا باس بالاشارة اليها بحسب الأجمال دون التفصيل الذى يوجب الملل فنقول:

العالم عالمان: عالم كبير، وعالم صغير، فالعالم الكبير هو هذا العالم المحسوس المشاهد الموجود مع ما فيه من الأفلاك والعناصر والانسان والحيوان والنبات والجماد والمعدنيات وغير ذلك من الموجودات.

والعالم الصغير عبارة عن مملكة البدن مع ما فيها من القوى العقلية والحيوانية والأوردة والشرايين والرباطات والدم والعظم واللحم وغير ذلك مما جعله الله تعالى فيها وقد ثبت ان عالم الصغير انموذج من عالم الكبير

ومُجمل من هذا المُفَضَّل بل العالم الكبير مُنطَوٍ فيه بَنحو الاثم والأحسن كما قال عليّ عليه السلام فيما نسب اليه.

دَوَائِكَ فِيكَ وَمَا تَشْعُرُ ودَائِكَ مِنْكَ وَلَا تُبْصِرُ
وَأَنْتَ الْكِتَابُ الْمُبِينُ الَّذِي باحرفه تُظْهِرُ الْمُضْمِرُ
أَتَزَعَمُ أَنَّكَ جِرْمٌ ثَقِيلٌ وفِيكَ أَنْطَوَى الْعَالَمُ الْاَكْبَرُ

وقد عَلِمَ أوَّلُ الألبابِ أن الاستدلال على ما هناك لا يُعَلِّمُ إلا بما هيئنا وكما أن في عالم الكبير اصناف الملائكة فكذلك في العالم الصَّغير القوى العَقْلِيَّة البَدَنِيَّة وكما أن في عالم الكبير شيطان كذلك في البدن النَّفس الامارة وفي العالم الكبير العناصر الاربعة وهكذا الامر في الصَّغير وبالجملة لا يوجد شيء هناك إلا ومنه انموذج فيه اداء لحقّ الجامعة.

وامّا تفصيل الكلام وانطباق الكبير على الصَّغير كما هو كذلك تفصيلاً فهو ممّا يطول الكلام بذكره وليس كلامنا فيه فعلاً.

ومن جملة المُسَلِّمات في عالم الكبير في كلِّ عهد وزمان وجود الحقِّ وضدّه وهو الباطل فَلِلْحَقِّ نداء وللباطل نداء آخر فنداء المَلِكِ حقٌّ ونداء الشَّيْطَانِ باطلٌ، سواء كان النداء من الرُّسُولِ او النَّبِيِّ او الوَصِيِّ او من قام مقامهم فكلُّ هذا النداء حقٌّ لا يُعْتَرِيهِ شَكٌّ كما أن نداء الباطل شيطانيّ سواء كان منه او من فِرْعَوْنَ او ثَمْرود او أَبِي جَهْلٍ وَابِي لَهَبٍ وغيرهم ممَّن قام او يقوم مقامهم في العالم من بَدْوِ خَلْقَةِ آدَمَ الى وقت ظُهورِ الحقِّ وهو معلوم فتارة يَتَجَلَّى الحقُّ في العالم الكبير في صورة آدَمَ وتارة في صورة نُوحٍ وتارة في صورة ابراهيم وتارة في صورة عيسى وتارة في صورة موسى وأخرى في صورة محمّدٍ وتجلّيه في صورته ﷺ تجلّيه في صورته الكلُّ كما أن نسخة وجوده ﷺ من حيث الجامعة نسخه وجود الكلِّ فمن اطاعه اطاع الكلِّ ومَنْ عَصَاهُ كَذَلِكَ.

وهذه القاعدة جارية في أوصياء الأنبياء ايضاً بلافات فيهم من هذه الجهة

فكما ان وجود الرسول ﷺ ووجود الأنبياء بأجمعهم فكذلك تُسخة وجود وصيه اعنى علياً عليه السلام نسخة وجود الأوصياء فهو ﷺ خاتم الأنبياء وهذا خاتم الأوصياء.

اذ عرفت هذا فى جانب الحق فاعمل بهذه القاعدة فى جانب الباطل ايضاً، فان الباطل يقابل الحق تقابل التضاد فاذا كان وجود على وجوداً جامعاً لوجودات الأوصياء وانموذجاً منها كذلك وجود معاوية الذى كان فى مقابله نسخة جامعة لوجودات الأشرار والأباطيل وانموذجاً منها من وجود فرعون وتمرود وشداد وغيرهم حفظاً لقاعدة التوافق بين الحق والباطل.

وحيث انا قلنا بان مملكة البدن حاوية جامعة لما فى الخارج فيها ايضاً حق وباطل وكما ان لهما فى عالم الخارج مظاهر يجمعها مظهران وهما الشيطان والمملك وما سواهما من المظاهر اتباعهما واشياعهما فكذلك فى عالم الباطن لهما مظاهر يجمعها مظهران العقل والجهل وما سواهما اتباعهما واشياعهما.

فعلى ﷺ فى مملكه البدن هو العقل، ومعاوية هو الجهل والباطل، وكما ان فى الخارج كان واجباً على الناس متابعة عليّ والجهاد معه ومخالفة معاوية والجهاد عليه فكذلك فى عالم الباطن يجب متابعة العقل واطاعته ومخالفة الجهل والباطل والجهاد عليه بل هذا هو الاصل بالنسبة الى ما فى الخارج.

فمن تابع جهله وهواه فى الباطن فلامحالة يتبع معاوية وامثاله فى الخارج ومن تابع العقل تابع علياً وليست خصوصية فى شخص عليّ ومعاوية بل الملاك فى صحة الاتباع وعدمها هو الحق والباطل ففى كل عهد وزمان عليّ ومعاوية وكما ان لكل واحد منهما فى عالم الخارج اتباع واشياع فكذلك لعليّ ومعاوية الموجودان فى الباطن اعنى العقل والجهل لكل منهما اشياع واتباع بلازيادة ونقيصة.

فجنود معاوية فى الخارج عمرو ابن العاص ويسر ابن ارطاة وشرحبيل

وامثالهم من اتباع الشيطان فى كل بلد وقريه وفى كل عهد وزمان الى يوم
ظهور دولة الحق اعنى المهدي الموعود.

وجنود عليؑ، عمار ابن ياسر ومالك الاشر النخعي وصعصعة ابن
صوهان وكميل ابن زياد واشباههم، وامثالهم فى كل عهد وزمان الى يوم القيمة.
وهكذا الامر فى جنود العقل والجهل:

ومن الأول الشجاعة والعفة والسخاوة، والعدالة وغيرها. ومن الثانى الجبن
والبخل والظلم وامثال ذلك

والفرق بين الجهل وقواه، ومعاوية وقواه انما هو بحسب الوجود الخارجى
والذهنى لاشياء آخر، كما ان الفرق بين عليؑ واتباعه والعقل واشياعه ايضا
كذلك.

وقد ثبت فى محله انه لافرق بين الموجود الخارجى والموجود الذهنى من
حيث الماهية، فان الاشياء بماهيتها توجد فى الذهن وانما الفرق بينهما
بالوجود فقط.

فمعاوية هو الجهل من حيث الماهية وان كان مغايراً له بحسب الوجود
الخارجى حيث انه فى الخارج وهو فى الباطن.

وكذا الامر فى عليؑ، فانه هو العقل من حيث الواقع والماهية وجنوده
جنوده.

وحيث ان الموجود الخارجى له آثار خارجية والذهنى له آثار ذهنية،
وتفاوت الآثار لا تدل على تفاوت الماهية فان الآثار من لوازم الوجود دون
الماهية، بناء على اصالة الوجود، واعتبارية الماهية كما هو احد القولين فى
المسئلة وهو الحق.

فلازم ماهيتهؑ بعينه لازم ماهية العقل، كما ان لازم ماهية معاوية لازم
ماهية الجهل والظلمة والتفاوت فيها بحسب ظرف الوجود من الخارج
والذهن، فمن لم يكن تابعا للعقل، مطيعاً لما يقتضيه لا يكون تابعا لعليؑ مطيعاً

لأوامره ومن كان تابعاً ومطيعاً له يكون من اتباع عليّ وأشياعه.
ومن كان تابعاً للجهل كان تابعاً لمعاوية فالأصل في الأتباع متابعة العقل
والجهل ولعله لاجل هذه الدقيقه عبّر عنه في لسان النبي ﷺ بجهاد الأصغر
وعن مخالفة الجهل والنفس الامارة بجهاد الاكبر، فان مخالفة الجهل والظلمة
هي الأصل بالنسبة الى مخالفة مظاهره في الخارج. فالعاقل لا يتبع إلا الأولياء
والجاهل لا يتبع إلا الاشقياء وهذا هو الملاك في متابعة الحق ومتابعته الباطل.
واليه الاشارة بقوله ﷺ: لَمَّا سَأَلَ عَنِ الْعَقْلِ، الْعَقْلُ مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ
وَاصْتُبَ بِهِ الْجَنَانُ الْحَدِيث.

فاغتنتم هذا فإنه سرٌّ من الأسرار قلماً يوجد في غير هذا الكتاب ﷺ.

﴿ وَمِن خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (٢٨) ﴾

□ أما بعد:

فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَأَذْنَتْ بِوَدَاعٍ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ، أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ، وَغَدًا السَّبَاقُ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ، أَفَلَا تَأْتُبُ مِنْ خُطْبَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ، أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ مَهَلٍ (أَمَلٍ) مِّنْ وَّرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامٍ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ، وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ وَضُرَّهُ أَجَلُهُ، أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ، كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ، أَلَا وَإِنِّي لَمَ أَرَكُمُ الْجَنَّةَ نَامَ طَالِبُهَا، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا! أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى يَجْرُ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى، أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظُّعْنِ، وَدَلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعَ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ، تَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا، انتهى.

قال الرضى (ره) اقول انه لو كان كلام يأخذ بالأعناق الى الزهد من الدنيا ويضطر الى عمل الآخرة لكان هذا الكلام وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال وقادحاً زناد الأتعاض والأزدجار ومن أعجبه قوله أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ، وَغَدًا السَّبَاقُ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ، فإن فيه مع فخامة اللفظ وعظم قدر

المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه سراً عجيباً ومعنى لطيفاً وهو قوله ﷺ والسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ فخالف بين اللفظين لأختلاف المعنيين ولم يقل السَّبَقَةُ النَّارُ كما قال والسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ لَأَنَّ الاسْتِثْبَاقَ أَنَّمَا يَكُونُ إِلَى أَمْرٍ مَحْبُوبٍ وَغَرَضٌ مَطْلُوبٌ وَهَذِهِ صِفَةُ الْجَنَّةِ وَلَيْسَ هَذَا الْمَعْنَى مَوْجُوداً فِي النَّارِ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْهَا فَلَمْ يَجْزَأْ يَقُولُ وَالسَّبَقَةُ النَّارُ بَلْ قَالَ: وَالْغَايَةُ قَدْ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَنْ لَا يَسْرُهُ الْإِنْتِهَاءُ إِلَيْهَا وَمَنْ يَسْرُهُ ذَلِكَ فَصَحَّ أَنْ يُعْبَّرَ بِهَا عَنِ الْأَمْرَيْنِ مَعاً فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَالْمَصِيرِ وَالْمَالِ قَالَ اللَّهُ: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ ^(١) وَلَا يَجُوزُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنْ يُقَالَ سَبَقْتُمْ إِلَى النَّارِ بِسُكُونِ الْبَاءِ فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ فَبَاطِنُهُ عَجِيبٌ وَغُورُهُ بَعِيدٌ وَكَذَلِكَ أَكْثَرَ كَلَامِهِ ﷺ، وَفِي بَعْضِ النَّسَخِ وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ بِضَمِّ السَّيْنِ وَالسَّبَقَةُ عِنْدَهُمْ اسْمٌ لَمَّا يُجْعَلُ لِلسَّبَاقِ إِذَا سَبَقَ مِنْ مَالٍ أَوْ عَرَضٍ وَالْمَعْنِيَانِ مُتَقَارِبَانِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ جِزَاءً عَلَى فِعْلِ الْأَمْرِ الْمَذْمُومِ وَأَنَّمَا يَكُونُ جِزَاءً عَلَى فِعْلِ الْأَمْرِ الْمَمْدُوحِ الْمَحْمُودِ، أَنْتَهَى مَا قَالَهُ الرَّضِيُّ (قَدَّهُ)

◀ اللُّغَةُ

(أَذَنْتُ) بِالْمَدَّاءِ أَعْلَمْتُ. (بِوَدَاعٍ) الْوَدَاعُ كَسَحَابِ اسْمٍ لِلتَّوْدِيْعِ. (أَشْرَفْتُ) الْأَشْرَافُ الْإِطْلَاعُ مِنْ فَوْقِ. (بِإِطْلَاعٍ) الْإِطْلَاعُ بِتَشْدِيدِ الطَّاءِ الْعِلْمُ. (الْمِضْمَارُ) الْمَوْضِعُ الَّذِي يَضْمُرُ فِيهِ الْخَيْلُ، وَقِيلَ أَنَّهُ مِنْ تَضْمِيرِ الْفَرَسِ وَهُوَ أَنْ تَعْلِفَهُ حَتَّى يَسْمَنَ ثُمَّ لَا تَعْلِفَهُ إِلَّا قُوْتاً فِي مَدَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْماً وَهَذِهِ الْمَدَّةُ تُسَمَّى الْمِضْمَارَ. (وَالسَّبَاقُ) مَصْدَرٌ مِنْ سَابَقْتَهُ فِي الْعَدْوِ. (السَّبَقَةُ) بِحَرَكَاتِ السَّيْنِ اسْمٌ لَمَّا يُجْعَلُ لِلسَّبَاقِ مِنْ مَالٍ أَوْ عَرَضٍ (الْبِئُوسُ) بِضَمِّ الْبَاءِ وَسُكُونِ الْهَمْزَةِ الْحَاجَةُ وَشِدَّتُهَا. (الرَّدْيُ)، كَعَصَا الْهَلَاكِ. (الظُّغْنُ) السَّيْرُ. (تَحْرُزُونَ) أَي تَحْفَظُونَ، وَالغُورُ فِي كَلَامِ السَّيِّدِ (قَدَّهُ) الْقَعْرُ.

اعلم: ان مدار هذه الخطبة على التزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة والاستعداد للموت قبل حلول القوت فاشار اولاً الى عدم جواز الركون على الدنيا لعدم بقائها على حالة واحدة ومالا بقاء له لا يعتمد عليه. بقوله: (فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْبَرَتْ وَأَذَتْ بِوَدَاعٍ)، والى الأقبال على الآخرة، بقوله: (وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَشْرَفَتْ) والى وجوب الاستعداد بذكر غايته السباق للسعى والمقصر بقوله: (أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ، وَغَدَاً السَّبَاقُ، وَالسَّبِقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ). والى لزوم التوبة قبل الموت، بقوله: (أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ). والى العمل للنفس قبل يوم يؤسبه: بقوله: (أَلَا غَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ). والى لزوم التسوية للعامل بين العمل فى الرغبة والعمل فى الرهبة، بقوله: (، أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ مَهَلٍ (أَمَلٍ) مِّنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، إِلَى قَوْلِهِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرُّهْبَةِ). والى كون المؤمنين بالجنة والنار نائمين فى مرآة الطبيعة بقوله: (أَلَا وَإِنِّي لَمَ أَرَكُمُ الْجَنَّةِ نَامًا طَالِبُهَا، وَلَا كَالثَّارِ نَامًا هَارِبُهَا). والى لزوم الحق والفرار من الباطل، بقوله: (أَلَا وَإِنَّهُ مَن لَّا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ)، والى من لم يكن الهدى دليله، بقوله: (وَمَنْ لَّا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى يَجُرُّ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدى). والى ملاحظة الأوامر الواردة بالظعن، بقوله: (أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظُّعْنِ، وَدُلِّمْتُمْ عَلَى الزَّادِ). والى خوف الأمور التى ينبغى ان يخاف منها، بقوله: (وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ وَطَوْلُ الْأَمَلِ)، والى ان كل زاد أعد به الإنسان نفسه للوصول الى جوار الله بقوله: (تَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا).

□ قوله ﷺ: **إِنَّمَا بَعْدَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْبَرَتْ وَأَذَتْ بِوَدَاعٍ...**

الدنيا على وزن فعلى نقيض الآخرة أنقلب الواء فيها ياء، لأن فعلى اذا كانت اسماً من ذوات الواو أبدلت واوها ياء كما أبدلت الواو مكان الياء فى فعلى فادخلوها عليها فى فعلى ليتكافأ فى التغير وهذا قول سيبويه.

وَحَكَى ابن الأعرابي، ماله دُنْيَا ولا آخرة، فَنُوْن دُنْيَا تُشَبِّهُهَا لَهَا بِفَعْلَل قال والأصل ان لاتعرف لانها فُعَلِي والجمع دُنا مثل الكُبرى والكبر والصغرى والصُغْر، وقال الجوهرى والأصل (دنو، فحذفت الواو لاجتماع الساكنين) وقال ابن بَرى فقلبت الواو الفأ لتحركها وانفتاح ماقبلها، ثم حذفت الالف لالتقاء الساكنين وهما الالف والتنوين وفي الحديث الجمرة الدُّنيا، اى القريبة الى منى وهو فُعَلِي من الدُّنو، والدُّنيا ايضاً اسم لهذه الحياة لبعد الآخرة عنها. (١)

وقال فى المنجد، الدُّنيا ايضاً الحياة الحاضرة نقيض الآخرة جمع دُنَى، والنسبة اليها دُنِيوى ودُنياوى ويقال هو فى دنيا دانية، اى ناعمة يأخذ ما يُريد من قرب انتهى.

وقال فى مجمع البحرين: الدُّنيا من الدُّنو بمعنى القرب، لانه عاجل قريب قوله تعالى: ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ (٢) قيل: العذاب الأدنى هو عذاب الدُّنيا من القتل والأسر. وقال فى ﴿الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ (٣)، اى الذى هو أحسن، انتهى.

والغرض من نقل كلام اللغويين هو انهم اتفقوا على ان الدُّنيا من الدُّنو وهو القُرب، واما كونها مأخوذة من الدُّنى اى الخسيس فلم ارفى كلامهم ما يدل عليه.

اذا عرفت معنى الدُّنيا من حيث اللغة وانها من الدُّنو اى القُرب فالمقصود من قوله ﷺ: اَمَّا بَعْدَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْبَرَتْ الخ... ان الدُّنيا وهى الحياة الحاضرة قد أعرَضت وأعلّمت صاحبها بالتوديع قد استعار ﷺ وشبّه الدُّنيا وهى الحياة الحاضرة عن رجل أذبر وأعرَض عن قومه وأعلمهم بالتوديع وفيه لطائف.

إحديها: أنه ﷺ افاد بقوله هذا عدم بقائها ودوامها فان الشئىء الباقي لا يدبر

٢. السجدة - ٢١.

١. لسان العرب، ج ١٤.

٣. البقرة - ٦١.

أبدأً وحيث أنها من المُدبرين فهي غير باقية فلا ينبغي الرُّكُون إليها فإن الاعتماد والرُّكُون على الفانى قبيح عقلاً.

وثانيتهما: انّ الادبار لها من لوازم ذاتها وماهيّتها كما هو شأن الحوادث كلّها فلو لم تكن الدّنيا حادثه لم يكن فيها ادبارٌ واقبال اصلاً فإنّ الأدبار والأقبال عبارتان عن الانقلابات الواقعة فيها وهي عين الحدوث والتّغيّر وكلّ متغيّر فهو فانٍ لامحالة فالدّنيا فانية والعاقل لا يركن ولا يعتمد على ما هو موصوفٌ بالفناء بل عيّنه.

وثالثتها: انّ الدّنيا مدمومة فإنّ الأدبار دليل على عدم الوفاء ومُشعرٌ بالعدر والمكر وكلّ ما هذا شأنه مدموم فالدّنيا مدمومة.

ورابعتها: انه ينبغي لمن كان فيها غير غافلٍ عنها لعدم اعتبارها بواسطة عدم بقائها فلو كان غافلاً عنها يستصّرُ بها لامحالة.

ثمّ انه قد تواترت الآيات والآثار وكلمات القوم فى ذمّها وعدم اعتبارها وانه لا ينبغي للعاقل الرُّكون عليها.

فمن الآيات قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(١)

و: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٢)

و: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبِئَةِ﴾^(٣)

و: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾^(٤)

و: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٥)

و: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾^(٦)

١. البقرة-٨٦.

٢. البقرة-٢١٢.

٣. آل عمران-١٤.

٤. آل عمران-١٨٥.

٥. آل عمران-١٥٢.

٦. النساء-٧٧.

و : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (١)

و : ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (٢)

و : ﴿فَلَا تَغْرُبَنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَبَنَّكُم بِإِلَهِ الْغُرُورِ﴾ (٣)

و : ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٤)

و : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرُبَنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (٥) والآيات في ذمِّ

الدُّنْيَا كَثِيرَةٌ.

أما الأخبار فمن الخاصّة والعامّة كثيرة ونشير الى طرف منها.

منها - قوله ﷺ: لو كانت الدُّنْيَا تَعْدَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَ جُنَاحِ بَعُوضَةٍ مَا أُعْطِيَ

كَافِرًا وَلَا مَنَافِقًا مِنْهَا شَيْئًا «تحف العقول، ص ٣٣»...

منها - قوله ﷺ: الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ مِنْهَا، انْتَهَى...

وقوله ﷺ: الدُّنْيَا سَجِنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ...

وقوله ﷺ: مَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ وَالزَّمَّ اللَّهُ

قَلْبَهُ أَرْبَعِ خِصَالٍ:

هَمًّا لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ أَبَدًا.

وَشُغْلًا لَا يَتَفَرَّعُ مِنْهُ أَبَدًا.

وَفَقْرًا لَا يَنَالُ غِنَاهُ أَبَدًا.

وَأَمَلًا لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ أَبَدًا، انْتَهَى.

ومنها - قوله ﷺ: يَا عَجِبًا كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ بَدَارِ الْخُلُودِ وَهُوَ يَسْعَى

لِدَارِ الْغُرُورِ، انْتَهَى...

ومنها - قوله ﷺ: لَتَأْتِيَنَّكُمْ بَعْدِي دُنْيَا تَأْكُلُ إِيْمَانَكُمْ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْخَطْبَ

انْتَهَى...

وقوله ﷺ: حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، انْتَهَى...

ومنها - قوله ﷺ: من أحب دنياه أضرب بأخرته ومن أحب آخرته أضرب بدنياه فأثروا ما يبقى على ما يفنى. انتهى...

ومنها - قوله ﷺ: إن الله لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وأنه لم ينظر إليها منذ خلقها، انتهى...

ومنها - قوله ﷺ: إحدروا الدنيا فإنها اسحر من هاروت وماروت...

وقوله ﷺ: حق على الله ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه...

ومنها - قوله ﷺ: فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم انتهى. وقال عيسى بن مريم ؑ: من ذا الذي ينبي على أمواج البحر داراً بلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً، انتهى...

ومنها - إن النبي ﷺ: مر على مذبلة فوقف عليها وقال هلموا الى الدنيا وأخذ خرقاً قد بليت على تلك المذبلة وعظاماً قد نخرت فقال هذه الدنيا...

ومنها - ما قال الصادق ؑ مثل الدنيا كماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله، انتهى. والاحاديث كلها نقلنا من جامع السعادات «ج ٢، ص ٢٥ و ٢٦... الخ.

أما كلمات الحكماء فمنها ما قال بعضهم، الدنيا دار خراب، واخرب منها قلب من يعمرها.

وقال بعضهم الدنيا لمن تركها والآخرة لمن طلبها.

وقال بعضهم أنك لن تصبح في شيء في الدنيا إلا وقد كان له اهلٌ مثلك ويكون له اهلٌ بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغذاء يوم فلا تهلك نفسك في أكلةٍ وصم الدنيا وأفطر على الآخرة فإن رأس مال الدنيا الهوى ورنيجها النار.

وقال بعضهم الدنيا تخلق الأبدان وتجدد الآمال وتقرّب المنيّة وتبعد الأمنية ومن ظفر بها تعب ومن فاتته نصب.

وقال بعضهم ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألترق به شيء يسوك.

وقال بعضهم لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث أنه لم يشبع مما جمّع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحن الزاد لما قديم عليه.

وقال حكيم كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب ولا أكون فيها فكيف اسكن إليها فإن عيشتها نكد، وصفوها كدر، وأهلها منها على وجلٍ إماماً بنعمة زائلة، أو بليّة نازلة، أو منية قاضية.

وقال بعض العرفاء الدنيا خانوت الشيطان فلا تَسرق من حانوته شيئاً فيجىء في طلبك ويأخذك.

وقال بعضهم لو كانت الدنيا من ذهب يَفنى والآخرة من خَرَف يَبقى لكان ينبغى ان يختار العاقل خَرَفاً يَبقى على ذهبٍ يَفنى فكيف والآخرة ذهب يَبقى والدنيا أدون من خَرَفٍ يَفنى انتهى.

وقال بعضهم العقلاء ثلاثة من تَرَكَ الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله، وأرضى خالقه قبل ان يلقاه.

اقول: الاخبار والآيات فى ذمها كثيرة وكتب الأخلاق وغيرها من كلمات القوم فى ذمها مشحونة وفيما ذكرناه كفاية لمن أمعن النظر فيه حتى امعانه ويعظم آفة الدنيا وحقارتها ومهانتها عند الله لم يرضها لأحد من اوليائه وحذرهم عن غوائلها فتزهدوا وأكلوا منها قَصداً وقَدَموا فضلاً أخذوا منها ما يكفى، وتركوا ما يلهى، لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام ما سدَّ الجوع، نظروا الى الدنيا بعينٍ أنها فانية والى الآخرة أنها باقية فتزودوا منها كزاد الرّكاب فحربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة لِمَا عَلِمُوا أَنَّهُمْ سِيرَتَحِلُّونَ إِلَيْهَا بِأَبْدَانِهِمْ صَبَرُوا قَلِيلاً وَنَعَمُوا طَوِيلًا وَلنعم ما قيل.

يا واقفين ألم تكونوا تعلموا
لو تنزلون بشعبنا لعرفتم
ساوى الردى ما بيننا فى حفرة
لا تستغروا فى الحياة فانكم
وقال بعض آخر:

ان الحمام بكم علينا قادم
تبنون والموت المفرق هادم
حيث المخدم واحد والخادم
ان المفرط فى التزود نادم

من قليل أصيرُ كوم تُرابٍ
صار تحت التُّراب عظماً رميمًا
وقال الآخر:

أليس الى ذا صار آخر أمرنا
فلا تعجبي يا نفس ممّا ترينه
وقال الآخر:

يا من نملك مُلكاً لابقاء له
هل الحياة بذى الدُّنيا وان عذبت
وقال الآخر:

وغاية هذه الدار لذة ساعةٍ
ويَعقبها الأحران والهَمّ والنَّدَم
وهاتيك دارُ الأمن والعزّ والتُّقى
وَ رَحمة ربّ الناس والجود و الكَرَم
وقال الآخر:

مُقيمٌ بالحُجون رَهينُ رَميسٍ
كأنى لم أكن لهم حبيباً
فَعُوجُوا بالسَّلام فان آبتُم
وقال الآخر:

ولقد سئلتُ الدارَ عن اخبارهم
حتى مَروت على الكَنيف فقال لى
وقال الآخر:

فان كنت لاتدرى منى الموت فاعلمن
بانك لاتبقى الى آخر الدهر

أين آدم، وأين الأولون والآخرون، اين نوح شيخ المرسلين واين إدريس

رَفِيعُ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ أَيْنَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ؟ أَيْنَ مُوسَى الْكَلِيمِ مِنْ بَيْنِ
سَائِرِ النَّبِيِّينَ؟ أَيْنَ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ وَكَلِمَتِهِ رَأْسِ الزَّاهِدِينَ وَامَامِ السَّانِحِينَ، أَيْنَ
مُحَمَّدَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ؟ أَيْنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُلُوكِ السَّالِفَةِ؟ أَيْنَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ؟
أَيْنَ الَّذِينَ نَصِبَتْ عَلَيْهِمُ الْفُرُوقُ وَالْمَشَارِقُ وَالْمَغَارِبُ؟
أَيْنَ الَّذِينَ تَمَتَّعُوا بِاللَّذَاتِ وَالْمَشَارِبِ وَبِالْجُمَلَةِ أَيْنَ وَأَيْنَ وَأَيْنَ فَاعْتَبِرُوا يَا
أُولِي الْأَبْصَارِ.

قَالَتِ الْعُرَفَاءُ اعْلَمْ أَنَّ لِلدُّنْيَا صِفَاتٍ خَسِيسَةً قَدْ مُثِّلَتْ فِي كُلِّ صِفَةٍ بِمَا
تُمَثِّلُهُ فِيهَا.

فَمَثَلُهَا فِي سُرْعَةِ الْفَنَاءِ وَالزُّوَالِ وَعَدَمِ الثَّبَاتِ مِثْلُ النَّبَاتِ الَّذِي اخْتَلَطَ بِهِ مَاءُ
السَّمَاءِ فَأَخْضَرَ، ثُمَّ أَصْبَحَ هَثِيمًا تَذُرُّهُ الرِّيَّاحُ أَوْ كَمَنْزَلٍ نَزَلَتْهُ ثُمَّ أَرْتَحَلَتْ عَنْهُ
كَمَا قِيلَ.

أَنَّمَا الدُّنْيَا كَظَلٍّ زَائِلٍ

أَوْ كَضَيْفٍ بَاتَ فِيهَا وَارْتَحَلَ

أَوْ كَقَنْطَرَةٍ تَعْبُرُ عَنْهَا وَلَا تَمُكُّ عَلَيْهَا أَوْ كَدَارٍ لَهَا بَابَانِ تَدْخُلُ مِنْ أَحَدِهِمَا
وَتَخْرُجُ مِنَ الْآخَرِ.

وَمِثَالُهَا فِي كَوْنِهَا مُجَرَّدَ الْخِيَالِ وَالْوَهْمِ وَأَنَّهَا مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ حَقِيقَةً كَفَيْءِ
الضَّلَالِ أَوْ خِيَالَاتِ الْمَنَامِ وَأَضْغَاثِ الْأَحْلَامِ فَانْكَ تَجْدُفِي مَنَامِكَ مَا تُهَوِّاهُ فَإِذَا
اسْتَيْقَظْتَ لَيْسَ مَعَكَ مِنْهُ شَيْءٌ كَسِرَابٍ بَقِيعَةٍ يَحْسُبُهُ الظَّمَانُ مَاءً الْآيَةَ.
وَفِي كَوْنِهَا عَدُوًّا لِأَهْلِهَا وَاهْلَاكِهَا أَيَّاهَا، بِأَمْرَةٍ تَزِينَتْ لِلْخُطَّابِ حَتَّى إِذَا
نَكَحْتَهُمْ ذَبَحْتَهُمْ.

فَقَدْ رَوَى أَنَّ عِيسَى عليه السلام كَوَشَفَ بِالدُّنْيَا فَرَأَاهَا فِي صُورَةِ عَجُوزٍ شَمْتَاءَ هَمْتَاءَ
عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ، فَقَالَ لَهَا كَمْ تَزَوَّجْتِ، قَالَتْ لِأَحْصِيَهُمْ قَالَ عليه السلام: فَكُلُّهُمْ مَاتَ
عَنْكَ أَوْ كُلُّهُمْ طَلَّقَكَ.
قَالَتْ: بَلْ كُلُّهُمْ قَتَلْتِ.

فقال ﷺ: بؤساً لأزواجك الباقيات كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم
واحداً واحداً ولا يكونون منك على حذر.

وفى مخالفة باطنها لظاهرها كعجوزٍ مُتزيّنة تَخدع النَّاسَ بظاھرِها فاذا وَقَفُوا
على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها ظهرت لهم قبائحها.

روى أنه يؤتى بالدنيا يوم القيمة فى صورة عَجُوزَةٍ شَمطاء زرقاء أنيابها
بادية مُشوّة خَلقها فتشرف على الخلائق ويقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذُ
بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا ثم يُقذف بها فى جهنم فتنادى اى رب اى رب اى رب
أتباعى واشياعى فيقول الله عز وجل اِحَقُّوا بها اتباعها واشياعها.

وفى قصر عمرها لكل شخصٍ بالنسبة الى ما تقدّمه من الأزل وما يتأخر عنه
من الأبد كمثل خُطوةٍ واحدةٍ بل أقل من ذلك بالنسبة الى سفرٍ طويل بل
بالنسبة الى كل مسافة الأرض اضعافاً غير متناهية ومن رأى الدنيا بهذه العين لم
يركن اليها ولم يبال كيف انقضت ايامها فى ضيقٍ وضربٍ او فى سعة ورفاهية بل
لا يبنى لبنَةً على لبنَةٍ.

توفى سيّد المرسلين ﷺ وما وَضَعَ لبنَةً على لبنَةٍ ولا قَصَبَةً على قَصَبَةٍ
ورأى بعض اصحابه يبنى بيتاً من حُصٍّ فقال ﷺ: ارى الأمر أعجل من هذا
والى هذا اشار عيسى ﷺ حيث قال الدنيا قنطرةٌ فأعبروها ولا تعمروها.

وفى نُعومة ظاھرِها وحُشونة باطنها مثل الحية التى يلين مَسّها ويقتل سَمّها.
وفى قِلّة ما بقى منها بالأضافة الى ما سبق مثل ثوبٍ شقّ من أوّله الى آخره
فبقي متعلقاً فى آخره فيؤشك ذلك الخيط ان ينقطع.

وفى قِلّة نسبتها الى الآخرة كمثل ما يجعل أحد اصبعيه فى اليمّ فلينظر بَم
يرجع اليه من الاصل.

وفى تأدية الحرص عليها الى الهلاك غمّاً كمثل دودة القز كلما ازدادت على
نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً.

وفى تَعذُّر الخلاص من تبعاتِها واستحالة عدم التلوث بقاذوراتها بعد
الخوض فيها كالماشى فى الماء فى امتناع عدم تتبلّ قدمه.

وفي نضارة أولها وخبائث عاقبتها كالأطعمة التي تُوكَل فكما إن الطعام كلما كان اللذ طعماً وأكثر دُسومةً كان رَجِيعه أقدر وأشدُّ نتناً فكذلك كلُّ شهوة من شهوات الدنيا التي كانت للقلب أشهى وأقوى فتنها، وكرهيتها والتأذي بها عند الموت أشدُّ بها عند الموت أشدُّ وهذا مشاهد في الدنيا فإن المصيبة والألم والتفجع في كلِّ ما فقد بقدر الألتذاذ بوجوده وحرصه عليه وحبّه له ولذا ترى أن من نهبت داره وأخذت أهله وأولاده يكون تفجعه وألمه أشدَّ ممّا اذا اخذ عبداً من عبيده فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده والذ فهو: عند الفقد أوهى وأمر وما للموت معنى إلا فقد ما في الدنيا.

وفي تنعم الناس بها ثم تفجعهم على فراقها مثل طبق ذهب عليه بخور ورياحين في دار رَجُلٍ هيّاه فيها ودعا الناس على الترتيب واحداً بعد واحد ليَدْخُلوا داره وَيَشْمَه كل واحدٍ وَيَنْظُر اليه، ثم يتركه لمن يلحقه، لا يملكه ويأخذه فدخل واحدٌ وجهل رَسْمه فظنَّ أنه قد وهب ذلك له فتعلق به قلبه لما ظنَّ أنه له فلما استرجع منه ضجره تألم ومن كان عالماً برسمة انتفع به وشكره وردةً يطيب قلبه وانشرح صدره.

فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا عليم أنها دار ضيافة سبّلت على المُجتازين ليتنفعوا بما فيها كما يتنفع المسافر بالعواري، ثم يتركوها ويتوجّهوا الى مقصدهم من دون صرف قلوبهم اليها حتى تعظم مُصيبتها عند فراقها ومن جهل سنة الله فيها ظنَّ أنها مملوكة له فيتعلق بها قلبه فلما اخذت منه عظمت بليته واشتدت مُصيبته.

وفي اغترار الخلق بها وضعف ايمانهم بقوله تعالى: في تحذيره أيّاهم غوائلها كمفازة غبراء لانهاية لها سلكوها قومٌ وثاروا فيها بلازادٍ وماءٍ وراحلةٍ فأيقنوا بالهلاك فيبيناهم كذلك اذ خرج عليهم رجلٌ وقال أرايتهم إن هديتكم الى رياضٍ خضرٍ وماءٍ رواءٍ ماتعملون قالوا لانعصيك في شيء فأخذ منهم عهداً ومواثيق على ذلك فأوردتهم ماءً رواءٍ ورياضاً خضراً فمكث فيهم ماشاء الله.

ثم قال الرّحيل، قالوا الى أين؟

قال: الى ماءٍ ليس كمائكم والى رياضٍ ليست كرياضكم، فقال أكثرهم
لا تريد عيشاً خيراً من هذا فلم يُطيعوه وقالت طائفة وهم الأقلون، ألم تُعطوا
هذا الرجل عهدكم ومواثيقكم بالله الا تعصوه وقد صدقكم فى أوّل حديثه
فوالله أنه صادق فى هذا الكلام ايضاً فأتبعه هذا الأقل فذهب فيهم الى ان
اوردهم فى ماءٍ ورياضٍ أحسن بمراتب شتى ممّا كانوا فيه أولاً وتخلّف عنه
الأكثرُونَ فبدرهم عدو فأصبحوا بين قتيل وأسيرٍ ونعم ما قيل فى المقام.

وَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا لِعَيْشٍ يَسْرَهُ

فَسَوْفَ لَعَمْرَى عَن قَلِيلٍ يَلُومُهَا

إِذَا ادْبَرَتْ كَانَتْ عَلَى الْمَرْءِ حَسْرَةً

وَإِذَا أَقْبَلَتْ كَانَتْ كَثِيراً هُمُومُهَا

وقال ابن مسعود ما أصبح أحدٌ من النَّاسِ الا وهو ضيفٌ وماله عارية
فالضيف مُرتحلٌ والعارية مردودةٌ وفى ذلك قيل:

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةٌ وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

وقيل لابراهيم ابن أدهم كيف انت؟ فقال:

نُرْقِعُ دُنْيَانَا بِتَمْرِيقِ دِينِنَا فَلَا دِينِنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرْقِعُ

فَطَوَّبُوا لِعَبْدٍ آثَرَ اللَّهُ رَبَّهُ وَجَادُ بَدُنْيَاهُ لِمَا يَتَوَقَّعُ

وقيل ايضاً فيها:

أَرَى طَالِبَ الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ عُمُرُهُ وَنَالَ مِنَ الدُّنْيَا سُرُورًا وَأَنْعَمًا

كَبَانِ بَنَى بَيْتًا لَهُ فَأَقَامَهُ فَلَمَّا اسْتَوَى مَا قَدَّبْنَاهُ تَهَدَّمَا

وقال الآخر:

هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقِ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسُ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى انْتِقَالِ

وَمَا دُنْيَاكَ إِلَّا مِثْلَ فَيْءِ أَظَلَّكَ ثُمَّ آذَنَ بِالزَّوَالِ

وقال ابن عباس انّ الله تعالى جَعَلَ الدُّنْيَا ثَلَاثَةَ اجْزَاءٍ جِزَاءٌ لِلْمُؤْمِنِ وَجِزَاءٌ

لِلْمُنَافِقِ وَجِزَاءٌ لِلْكَافِرِ فَالْمُؤْمِنُ يَتَزَوَّدُوا الْمُنَافِقُ يَتَزَيَّنُ وَالْكَافِرُ يَتَمَتَّعُ، وَقَالَ

بعضهم الدُّنيا جِيفَةً فَمَنْ ارَادَ مِنْهَا شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ عَلَى مُعَاشِرَةِ الْكِلَابِ كَمَا قِيلَ:
 يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا إِلَى نَفْسِهَا تَنَحَّ عَنْ خِطْبَتِهَا تَسْلُمُ
 اِنَّ الَّتِي تَخْطِبُ غَدَارَةٌ قَرِيْبَةُ الْعِرْسِ مِنَ الْمَاتَمِ
 وَقَالَ ابُو الدَّرْدَاءِ مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ اَنَّهُ لَا يَعْصِي فِيهَا، وَلَا يَنَالُ مَا عِنْدَهُ
 اِلَّا بِتَرْكِهَا وَفِي ذَلِكَ قِيلَ:

اِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبُ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنِّ عَدُوٌّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
 وَنَعْمَ مَا قِيلَ:

يَا رَاقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُوراً بِأَوَّلِهِ
 اِنَّ الْحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقْنَ اَسْحَاراً
 اِنَّ الْقُرُونِ الَّتِي كَانَتْ مُنْعَمَةً
 كَرَّ الْجَدِيدِينَ اِقْبَالاً وَاِدْبَاراً
 يَا مَنْ يُعَانِقُ دُنْيَاً لِابْقَاءِ لَهَا
 يُبْسِي وَيُصْبِحُ فِي دُنْيَاهَا سَفَّاراً
 هَلَّا تَرَكْتَ مِنَ الدُّنْيَا مُعَانِقَةً
 حَتَّى تُعَانِقَ فِي الْفِرْدَوْسِ اَبْكَاراً
 اِنْ كُنْتَ تَبْغِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ تَسْكُنُهَا
 فَيَنْبَغِي لَكَ اِنْ لَا تَأْمَنَ النَّارَ

وَالكَلَامُ فِي الدُّنْيَا وَتَبَعَاتِهَا كَثِيرٌ وَالْأَمْثَلَةُ وَكَلِمَاتُ الْعِرْفَاءِ فِيهَا فَوْقَ حَدِّ
 الْأَحْصَاءِ بَحِيثٌ لَوْ أَرَدْنَا اسْتِيفَانَهَا لَا يَسْعَاهَا هَذَا الْمُخْتَصِرُ فَبِالْحَرَى اِنْ نَخْتَمُ
 الْكَلَامَ فِيهَا وَنُعَقِّبُهَا بِمَا لَا بَدَّ مِنْ ذِكْرِهِ تَوْضِيحاً لِلْمَقَالِ وَهُوَ يَتِمُّ فِي مَقَامَيْنِ.
 الْمَقَامُ الْأَوَّلُ: فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَمَاهِيَّتِهَا فِي حَقِّ الْعَبْدِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ
 يَعْرِفِ الدُّنْيَا الْمَذْمُومَةَ لَا تَكْفِيهِ مَعْرِفَةُ ذِمِّ الدُّنْيَا فَلَا بَدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا الَّذِي
 يَنْبَغِي اِنْ يُجْتَنَّبُ مِنْهَا وَعَمَّا لَيْسَ كَذَلِكَ وَمَا الَّذِي لَا يُجْتَنَّبُ فَنَقُولُ اعْلَمْ اَنَّ
 دُنْيَاكَ وَأَخْرَتَكَ عِبَارَتَانِ عَنْ حَالَتَيْنِ مِنْ أَحْوَالِ قَلْبِكَ فَالْقَرِيبُ الدُّنْيَا مِنْهُمَا
 يُسَمَّى دُنْيَاً وَهُوَ كُلُّ مَا قَبْلَ الْمَوْتِ وَالْمَتَأَخِّرُ يُسَمَّى آخِرَةً وَهُوَ مَا

بَعْدَ الْمَوْتِ فَكُلُّ مَالِكٍ فِيهِ حَظٌّ وَنَصِيبٌ وَغَرَضٌ وَشَهْوَةٌ وَلَذَّةٌ فِي عَاجِلِ الْحَالِ قَبْلَ الْوَفَاةِ فَهِيَ الدُّنْيَا فِي حَقِّكَ الْآنَ جَمِيعَ مَالِكَ إِلَيْهِ مَيْلٌ وَفِيهِ نَصِيبٌ وَحَظٌّ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ بَلْ هُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْقَوْمُ فِي عِلْمِ الْأَخْلَاقِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ.

القسم الأول: مَا يَصْحَبُكَ فِي الْآخِرَةِ وَتَبْقَى مَعَكَ ثَمَرَتُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَهُوَ شَيْئَانِ: الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ فَقَطْ وَاعْنِي بِالْعِلْمِ الْعِلْمُ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَمَمْلُوكَاتِ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ وَالْعِلْمُ بِشَرِيعَةِ نَبِيِّهِ. وَاعْنِي بِالْعَمَلِ الْعِبَادَةَ الْخَالِصَةَ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا قُرَّرَ فِي الشَّرِيعَةِ الْمَقْدَسَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ.**

القسم الثاني: مَا يِقَابِلُ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ فِي الطَّرْفِ الْأَقْصَى وَهُوَ كُلُّ مَا فِيهِ حَظٌّ عَاجِلٌ وَلَا ثَمَرَةٌ لَهُ فِي الْآخِرَةِ أَصْلًا كَالْتَلَذُّ بِالْمَعَاصِي كُلِّهَا وَالتَّنَعُّمُ بِالْمَبَاحَاتِ الزَّائِدَةِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ كَالْتَّنَعُّمُ بِالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالخَيْلِ الْمُسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرِثِ وَالخَيْلِ وَالْمَوَاشِي، وَالْمَرَائِبِ الْجَيِّدَةِ وَالْقُصُورِ وَالذُّورِ وَلِلذَائِدِ الْأَطْعَمَةِ وَالْأَلْبَسَةِ الْفَاحِشَةِ، فَحَظُّ الْعَبْدِ مِنْ هَذَا كُلِّهِ هِيَ الدُّنْيَا الْمَذْمُومَةُ فِيمَا يُعَدُّ فُضُولًا.

القسم الثالث: وَهُوَ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ حَظٍّ فِي الدُّنْيَا إِذَا كَانَ مُعِينًا عَلَى الْآخِرَةِ كَقَدْرِ الْقُوَّةِ مِنَ الطَّعَامِ وَالْقَمِيصِ الْوَاحِدِ الْخَشِينِ وَكُلِّ مَا لَا بَدَّ مِنْهُ لِيَتَأْتِيَ لِلْإِنْسَانِ الْبَقَاءَ وَالصَّحَّةَ الَّتِي يَصِلُ بِهَا إِلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَهَذَا لَيْسَ مِنَ الدُّنْيَا كَالْقِسْمِ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ مُعِينٌ عَلَى الْأَوَّلِ وَوَسِيلَةٌ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ بَاعَثَهُ الْحَظُّ الْعَاجِلُ دُونَ الْأَسْتِعَانَةِ عَلَى التَّقْوَى يَلْحَقُ بِالْقِسْمِ الثَّانِي وَصَارَ مِنْ جَمَلَةِ الدُّنْيَا أَنْتَهَى مُلْخَصًا.

المقام الثاني: فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ الدُّنْيَا فِي نَفْسِهَا. قَالُوا إِنَّ الدُّنْيَا عِبَارَةٌ عَنْ أَعْيَانِ مَوْجُودَةِ الْإِنْسَانِ فِيهَا حَظٌّ وَلَهُ فِي صِلَاحِهَا شُغْلٌ فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ، قَدْ يَظُنُّ أَنَّ الدُّنْيَا عِبَارَةٌ مِنْ أَحَادِهَا وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

أَمَّا الْأَعْيَانُ الْمَوْجُودَةُ الَّتِي تَكُونُ الدُّنْيَا عِبَارَةٌ عَنْهَا فَهِيَ الْأَرْضُ وَمَا عَلَيْهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**

فالأرض فراش للآدميين ومهادٍ ومسكنٍ ومُستقرٌّ وما عليها لهم ملبسٌ ومطعمٌ
ومشربٌ ومنكحٌ وجميع ما على الأرض ثلاثة اقسام: المعادن، والنباتات
والحيوان.

أما النبات، فيطلبها آدمى للأقتيات والتداوى.

وأما المعادن فيطلبها للآلات والأواني كالنحاس والرصاص وللنقد كالذهب
والفضة وغير ذلك من المقاصد.

وأما الحيوان، فينقسم الى الإنسان والبهائم:

أما البهائم، فيطلب لحومها للأكل وظهورها للمركب والزينة.

وأما الإنسان، فالانتفاع به يختلف فتارة يطلبه للاستخدام وتارة للتمتع
كالنساء وتارة لغير ذلك من الدواعى فهذه هي الاعيان التي يُعبر عنها بالدنيا
وقد جمع الله كلها فى قوله:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَهَذَا مِنَ الْإِنْسِ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَهَذَا مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْمَعَادِنِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ
وَالْأَنْعَامِ وَهِيَ الْبِهَائِمُ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْحَرْثُ وَهُوَ النَّبَاتُ وَالزَّرْعُ فَهَذِهِ هِيَ اَعْيَانُ
الدُّنْيَا، وَقَدْ فَصَّلُوا الْكَلَامَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ فِي كَيْفِيَّةِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا
وَإِنَّ لِلْعَبْدِ فِيهَا عِلَاقَتَيْنِ عِلَاقَةٌ مَعَ الْقَلْبِ وَهِيَ حُبُّهَا وَعِلَاقَةٌ مَعَ الْبَدَنِ وَهِيَ
إِسْتِغَالُهُ بِاصْلَاحِ هَذِهِ الْأَعْيَانِ لِتَصْلُحَ لِحُظُوظِهِ وَحُظُوظِ غَيْرِهِ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ
وَمَنْ أَرَادَ الْإِطْلَاعَ عَلَى مَا ذَكَرُوهُ وَحَقَّقُوهُ فَعَلَيْهِ بِمِرَاجَعَةِ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ
لِهَذَا الْفَنِّ.

فقد ظهر ممَّا ذكرناه لك انَّ الدُّنْيَا كَيْفَ أَدْبَرْتَ وَأَذْنَتِ بِوَادِعِ، وَأَنَّهُ مَا
حَقِيقَتُهَا فِي نَفْسِهَا وَمَا حَقِيقَتُهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَبْدِ وَالْفَرْقِ بَيْنَ الدُّنْيَا الْمَذْمُومَةِ
وَالْمَمْدُوحَةِ وَأَمَّا تَفْصِيلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ طَوْرِ الْكِتَابِ فَافْهَمِ
مَا ذَكَرْنَاهُ وَأَعْتَنِمَهُ حَتَّى لَا تَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا أَنْشَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِإِطْلَاعِ...

اعلم: انَّ الْآخِرَ تَقَابِلُ الدُّنْيَا تَقَابِلُ التَّضَادِ عَلَى مَا قِيلَ وَالْحَقُّ أَنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ

المتضادين لامكان جمعها في حق بعض من الأولياء والضدان، لا يجتمعان
نعم يمكن دخولهما فيه على ضرب من التأويل:

مثل ان يقال ان حُب الدنيا وحُب الآخرة مما لا يجتمعان فهما من قبيل
التضاد كما قررناه في محله الا ان التضاد من الحُب غيره في الذات، فتأمل.
ثم ان الدنيا قد أدبرت وهي تقابل الآخرة فلامحالة ادبارها يستلزم اقبال
الآخرة كما ان اقبال الدنيا يستلزم ادبار الآخرة فان الأدبار والأقبال متقابلان
يلزم من وجود احدهما عدم الآخر بالنسبة الى شىء واحد والحق ان الأدبار
والأقبال ليسا من المتضادين لعدم كون الأدبار امرأ وجودياً بل هو عدم الاقبال
وقد ثبت ان الضدين امران وجوديان.

وعلى اى تقدير قوله عليه السلام: هذا اشارة الى الا ان الآخرة قد اقبلت اليكم
فأستقبلوها بحسن الأستقبال وأعملوا لها ما ينفعكم في يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من أتى الله بقلب سليم.

والمراد بالآخرة هو عالم الغيب الذى هو بعد هذا العالم اعنى به عالم
الشهادة وانما سمي بالآخرة لتأخره عن عالم الحس ولا شك ان الآخرة آتية
بعد الموت او بسببه وعلى اى حال لا مجال لانكارها عقلاً ونقلأ وقد دلت
عليها الآيات والأخبار بل وضرورة المذاهب والملل.

فمن الآيات ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ﴾ (١)

و: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ (٢)

و: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (٣)

و: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ (٤)

و: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطَاءً فِي الْآخِرَةِ﴾ (٥)

٢. البقرة-٩٤.

٤. آل عمران-١٥٢.

١. البقرة-٤.

٣. البقرة-٢١٩ و ٢٢٠.

٥. آل عمران-١٧٦.

- و : « قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى »^(١)
و : « أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ »^(٢)
و : « تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ »^(٣)
و : « وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ »^(٤)
و : « وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ »^(٥)
و : « الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ »^(٦)
و : « وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى »^(٧)
و : « وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى »^(٨) والآيات فيها كثيرة.

وأما الأخبار والأثار الواردة فيها من العامة والخاصة فهي فوق حد الإحصاء ولا نحتاج إلى ذكرها والتعرض لها لكون الآخرة مما لا شك فيها من أهل الملل فضلاً عن المسلمين وسيأتي في تضاعيف الكتاب ما يناسبها ويوضحها حق الإيضاح انشاء الله تعالى.

فان قلت - ما الدليل على ان الدنيا اذا أدبرت فالآخرة قد أقبلت وأية ملازمة بينهما عقلاً.

قلت - لان الدنيا عبارة عن الحياة الحاضرة ولا شك انها تنصرم أنا فأنما لكون الزمان كما متصل غير قارٍ فلا جرم يكون الأنصرام مأخوذاً في مفهومه بحيث لولاه لم يكن الزمان زماناً والحياة ليست إلا الكون في الزمان، فاذا فرضنا مضيئه وانصرافه فلامحالة يُفنى وينعدم وعليه فلو فرضنا ان موجوداً من الموجودات كان عمره سبعين سنة او اقل او أكثر وليست السنة إلا الشهور والشهور إلا الايام والايام إلا الساعات والساعات إلا الدقائق والدقائق إلا الآنات والمفروض ان الآنات لا يبقا لها لان الآن عبارة عن آخر الماضي وأول

المُستقبل فينتج ان لابقاء للسنين فان الكَلَّ لا وجود له الا بوجود الأجزاء
وحيث ان الآخرة والدنيا متقابلان فكل ساعة مضت من عمرنا مثلاً صرنا
اقرب الى الآخرة اعنى الموت وهذا امرٌ عقلي ضروري فاقبال الآخرة امرٌ
وجداني ضروري على مقتضى القاعدة العقلية هذا.

□ قوله ﷺ: **أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ وَغَدَاً السَّبَاقُ وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغِيَةُ النَّارُ**
متن.

ثم بعد ما افاد ﷺ: **إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْبَرَتْ وَالْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ** أردف كلامه بقوله
أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْخ...
وأثبت فيه اموراً اربعة:

احدها قوله: **أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ** الأ من حروف التنبيه، والألف واللام
في اليوم للعهد الحاضر كقوله تعالى: **«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»** (١) وقال له:
اليوم نامت أعين بك لم تنم، وامثال ذلك.

والمقصود باليوم الدنيا او المقصود يوم التكلم والمال واحد والمِضْمَار
على وزن مِفعال وهو على ما فى المنجد غاية الفرس فى السباق، موضع
تضمّر فيه الخيل مدّة تضميرها، الفسحة الواسعة لسباق الخيل وترويضها
وعليه فالمعنى ان اليوم الحاضر فى الدنيا يوم المِضْمَار اى العمل وهو كذلك
كما قال ﷺ فى موضع آخر اليوم عمَلٌ بلا حساب وغدأ حسابٌ بلا عمل.

وقوله ﷺ: **واعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً، وأعمل لآخرتك كأنك تموت**
غداً إلا ان فى تعبيره بالمِضْمَار دؤن العمل حيث لم يقل إلا وان اليوم يوم
العمَل او يوم عمَلٍ نكات ولطائف.

احدايها: ان المِضْمَار على ما مرّ الموضع الذى تضمّر فيه الخيل مدّة
تضميرها والدنيا بالنسبة الى الآخرة كذلك وفيه تشبيه لطيف.

وثانيها: ان الخيل تضمّر فى المِضْمَار لان تضميرها ان تعلق قوتاً بعد

سَمَنَهَا وَالدُّنْيَا كَذَلِكَ حَيْثُ أَنَّهَا مَوْضِعُ التَّعْلَفِ وَالتَّقْوَتِ لِلْعَمَلِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: مَنْ لَامَعَاشٍ لَهُ لَامِعَادٌ لَهُ.

وثالثها: أَنَّهُ ﷺ: شَبَّهَ الدُّنْيَا بِالْمِضْمَارِ وَالنَّفْسَ النَّاطِقَةَ الْقُدْسِيَّةَ بِالْخَيْلِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ وَتَذَكِيَّةَ الْبَاطِنِ بِالْعَلْفِ فَكَمَا أَنَّ الْخَيْلَ الَّتِي يُرْجَى مِنْهَا الْعَدُوُّ تَحْتَاجُ إِلَى التَّضْمِيرِ فِي الْمِضْمَارِ كَذَلِكَ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ الَّتِي يُرْجَى مِنْهَا الْفَوْزُ وَالْفَلَاحُ غَدًا فِي يَوْمِ الْقِيَمَةِ تَحْتَاجُ إِلَى التَّضْمِيرِ وَالتَّعْلِيفِ فِي الدُّنْيَا وَتَضْمِيرَهَا مَدَاوِمَتَهَا عَلَى الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ وَالرِّيَاضَاتِ الْبَاطِنَةِ فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ فِي الدُّنْيَا فَكَيْفَ يُرِيدُ الْفَوْزَ فِي الْقِيَامَةِ.

ورابعها: أَنَّ الْمِضْمَارَ عَلَى مَا قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ يَكُونُ وَقْتًا لِلْأَيَّامِ الَّتِي تَضْمُرُ فِيهَا الْخَيْلَ لِلْسَّبَاقِ أَوْ لِلرِّكْضِ إِلَى الْعَدُوِّ وَتَضْمِيرُهَا أَنْ تَشُدَّ عَلَيْهَا سُرُوءُ جِهَادٍ وَتُجَلَّلَ بِالْأَجَلَةِ حَتَّى تَعْرِقَ تَحْتَهَا فَيَذْهَبَ وَهَلْهَا وَيَشْتَدُّ لِحْمِهَا وَيَحْمَلُ عَلَيْهَا غُلْمَانٌ خِفَافٌ يَجْرُونَهَا وَلَا يَعْنِفُونَ بِهَا فَإِذَا أَفْعِلَ ذَلِكَ بِهَا أَمِنَ عَلَيْهَا الْبُهِرُ الشَّدِيدُ عَنْهُ حُفْرَهَا وَلَمْ يَقْطَعْهَا الشَّدُّ قَالَ فَذَلِكَ التَّضْمِيرُ الَّذِي شَاهَدَتْ الْعَرَبُ تَفْعَلُهُ يُسَمَّوْنَ ذَلِكَ مِضْمَارًا وَتَضْمِيرًا.

وَعَلَيْهِ فَالْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ أَنَّ الدُّنْيَا وَقْتُ لَأَيَّامِ التَّضْمِيرِ وَالتَّجْهِيزِ وَكَمَا أَنَّ الْخَيْلَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْسَّبَاقِ أَوْ لِلرِّكْضِ إِلَى الْعَدُوِّ تَحْتَاجُ إِلَى التَّضْمِيرِ وَهُوَ شَدُّ السَّرُوجِ عَلَيْهَا وَتُجَلَّلُهَا بِالْأَجَلَةِ حَتَّى تَعْرِقَ تَحْتَهَا وَيَشْتَدُّ لِحْمِهَا وَيَحْمَلُ عَلَيْهَا غُلْمَانٌ خِفَافٌ يَجْرُونَهَا وَلَا يَعْنِفُونَ بِهَا فَإِذَا أَفْعِلَ ذَلِكَ بِهَا يَوْمَنْ عَلَيْهَا الْبُهِرُ الشَّدِيدُ.

فَالدُّنْيَا أَيْضًا كَذَلِكَ فَالْأَنْسَانُ اعْنَى النَّفْسَ النَّاطِقَةَ لِأَهَذَا الْجَسَدِ الْعَنْصَرِيِّ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَنْسَانًا وَلَا يَبْحَثُ عَنْهُ بِمَنْزِلَةِ الْخَيْلِ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْسَّبَاقِ إِلَى الْجَنَّةِ وَجَوَارِ قُرْبِ رَبِّ الْعِزَّةِ أَوْ لِلرِّكْضِ إِلَى الْعَدُوِّ اعْنَى الشَّيْطَانَ فَإِنَّهُ لِلْأَنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَهِيَ تَحْتَاجُ فِي وَصُولِهَا إِلَى هَذَا الْمَقْصِدِ الْأَسْنَى إِلَى التَّضْمِيرِ وَكَمَا أَنَّ تَضْمِيرَ الْخَيْلِ شَدُّ السَّرُوجِ عَلَيْهَا، فَكَذَلِكَ تَضْمِيرُ النَّفْسِ تَهْيِئُهَا لِلرَّحِيلِ كَمَا

قال عليه السلام: في موضع آخر من كلامه عليه السلام: رَجِمَ اللهُ امرءاً أَعَدَّ لِنَفْسِهِ واستَعَدَّ لِرَمْسِهِ وعَلِمَ مِنْ آيِنٍ وَفِي آيِنٍ وَآلِي آيِنٍ.

وقال ايضاً، تَجَهَّزُوا رَجِمَكُم اللهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ وبالجملة تضمير النفس عبارة عن هذا المرحلة لها.

وكما إِنَّ تَجَلَّلَ الخَيْلُ بِالْأَجَلِّه كَذَلِكَ تَجَلَّلَ النَّفْسُ بِالرِّيَاضَاتِ وَاتَّصَفَا بِالمَلَكَاتِ فَإِنَّ التَّجَلُّلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ أَنَّمَا هُوَ بِحَسَبِهِ وَكَمَا أَنَّهُ يَحْمَلُ عَلَى الخَيْلِ غُلْمَانٌ خِفَافٌ يَجْرُونَهَا وَلَا يَعْنِفُونَ بِهَا فَكَذَلِكَ النَّفْسُ حَيْثُ تَحْمَلُ عَلَيْهَا العِبَادَاتِ وَالرِّيَاضَاتِ وَالمَشَاقِّ لَتَجْرُوهَا إِلَى الكَمَالِ وَلَا تَعْنِفُونَ بِهَا حَتَّى تَدْخُلَ فِي الْأَفْرَاطِ المَذْمُومِ فِي الشَّرْعِ فَإِنَّ خَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا.

ومُلَخَّصُ الكَلَامِ هَوَانُ المَرَادِ بِقَوْلِهِ عليه السلام: أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ المِضْمَارُ هَوَانُ الدُّنْيَا بِسِنِينِهَا وَشُهُورِهَا وَأَيَّامِهَا وَلِيَالِيهَا وَسَاعَاتِهَا وَدَقَائِقِهَا وَأَنَاتِهَا وَقَدْ لَتَضْمِيرُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَتَجْهِيْزُهُ إِيَّاهَا لِلسَّبَاقِ إِلَى الجَنَّةِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ المَرَاقِبَةُ وَالمَحَاسِبَةُ لَهَا حَتَّى تَسْتَعَدَّ وَتَهَيِّئَا لِلْعُرُوجِ إِلَى أَقْصَى الكَمَالَاتِ، وَتَصِيرُ بِذَلِكَ مُصَدِّقاً لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾^(١) وَلَا يُمْكِنُ لَهَا البُلُوغُ إِلَى هَذِهِ المَرْتَبَةِ إِلَّا بِالمَطَاعَاتِ، وَالعِبَادَاتِ وَالرِّيَاضَاتِ عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ الشَّرْعُ.

وَخَامِسُهَا: قَالَ بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ أَنَّ تَضْمِيرَ الفَرَسِ إِنْ تَعَلَّفَهُ حَتَّى يَسْمُنَ ثُمَّ تَرَدَّهُ إِلَى القُوَّةِ وَذَلِكَ فِي أَرْبَعِينَ يَوْماً وَهَذِهِ المُدَّةُ تُسَمَّى المِضْمَارَ وَانْتَهَى. وَلَا يَبْعَدُ حَمْلُ كَلَامِهِ عليه السلام عَلَى هَذَا المَعْنَى أَيْضاً وَعَلَيْهِ فَيَكُونُ المَرَادُ بِالمِضْمَارِ هُوَ أَيَّامُ الرِّيَاضَةِ وَتَذْكِيَةِ النَّفْسِ وَهُوَ لَا يَكُونُ إِلَّا أَرْبَعِينَ صَبَاحاً عَلَى المَشْهُورِ فَيَصِيرُ المَعْنَى أَنَّ الْيَوْمَ أَعْنَى الدُّنْيَا أُعِدَّتْ لِلرِّيَاضَةِ وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ بِهَذَا العَدَدِ وَيُؤَيِّدُهُ مَا قَالَ عليه السلام.

مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً جَرَّتْ عَلَى قَلْبِهِ بِنَابِيعِ الحِكْمَةِ.

ولا يخفى أنّ في هذا العدد اعنى الأربعين خصوصيات وامتيازات وقد
تضاعفت الروايات بها وللبحث في هذا الموضوع مقام آخر ولولا قُصور
الافهام عن درك هذه الدقائق لأشبعُ الكلام فيها بما لا مزيد عليه ولكنى اقول:
ماقال مولاي سيّد السّاجدين وزين العابدين عليه السلام.

وربّ جوهر علم لو ابوح به لقليل لى أنت مِمَّنْ تعبد الوثناء
فهذه هي الوجوه المتحملة في المقام في شرح العبارة ولعلّ فيه وجوه اخرى
لم تُدرکها ولا غرو فيه فانّ الكلام فوق كلام المخلوق وتحت كلام الخالق ومع
ذلك كله كم ترك الأوائل لالاوآخر وليكن ما نحن فيه من هذا القبيل.
وثانيها قوله عليه السلام: وَغَدُّ السَّبَاقِ.

ثمّ انه بعد ما بيّن عليه السلام: إِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ بِالْمَعْنَى الَّذِي مَرَّ ذَكَرَهُ أَرَدَفَهُ بقوله
وَغَدُّ السَّبَاقِ والمقصود بالغد هو الآخرة كما أنّ المقصود باليوم في الكلام
السابق هو الدنيا على ما مرّو في تعبيره عليه السلام عن الدنيا باليوم وعن الآخرة
بالغد لطائف.

منها أنّ اليوم مُقَدَّمٌ على الغدو الدنيا ايضاً مقدّم على الآخرة فكما أنّ الغد
لامفهوم له الآ اليوم المتأخر عن هذا اليوم فكذلك الآخرة لامفهوم لها الآ عالم
المتأخر عن الدنيا فالآخرة آخرة لتأخرها وليست بآخرة في حدّ نفسها مع قطع
النظر عن هذه الأضافة وكذلك الغد غدٌ بالنسبة الى اليوم وليس بغدٍ
في حدّ نفسه.

ومنها أنّ العمل في اليوم يُظهِر ثَمَرَتَهُ وَنَتِيجَتَهُ في الغد في جميع الشئون
والمراتب فانّ المقصود بالغد ليس هو الغد الحقيقي بل الاضافي اعنى
المستقبل فمن لم يتعلّم العلم في وقته وزمانه فكيف يكون عالماً في
المستقبل ومن لم يزرع في فصل الشتاء كيف ينتفع به في الصيف وهكذا في
كلّ امرٍ من الأمور فالدنيا بالنسبة الى الآخرة كذلك فمن لم يعمل فيها ليس له
في الآخرة من حظٍّ ولا نصيبٍ ومن عمل فيها لامحالة ينتفع به في الآخرة.

قال رسول الله ﷺ: الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ، ولذلك عَبَّرَ ﷺ عن دار العمل
 باليَوْمِ وعن دار الجزاء بالغَدِ لتوقُّفِ الجزاءِ على العملِ وتأخُّرِهِ عنه...
 ومنها أنَّ اليَوْمَ الحاضرَ مَحْسُوسٌ مشهودٌ لَدَى الكُلِّ بخلافِ الغَدِ فإنه ليسَ
 بمَشهودٍ ولا مَحْسُوسٍ لآئِهِ لَمْ يَأْتِ بعدُ فهو غايِبٌ عن الحواسِّ فكذلك الدُّنْيَا
 مشهودٌ مَحْسُوسٌ بخلافِ الآخِرَةِ فإنَّها غايِبَةٌ عن الحواسِّ، والأدراكِ ولأجلِ
 هذا يُعَبَّرُ عنه بعالمِ الغيبِ وعن الدُّنْيَا بعالمِ الشُّهُودِ والحياةِ الحاضرةِ فَعَبَّرَ
 واستعارَ ﷺ عن الدُّنْيَا المَحْسُوسِ باليَوْمِ المَحْسُوسِ وعن الآخِرَةِ بالغَدِ هو
 لطيفٌ ولعلَّه لهذه الدَّقِيقَةِ اتى ﷺ باليَوْمِ مُعَرِّفاً وبالغَدِ منكرًا ولم يَقُلْ والغَدِ
 السَّباقِ، لِمَعْرُوفِيَّةِ الدُّنْيَا لَدَى الجُمهورِ وَعَدَمِ مَعْرُوفِيَّةِ الآخِرَةِ كذاكَ فإنَّ كثيراً
 من النَّاسِ يَنكُرُونَ الآخِرَةَ وَلَمْ يَسْمَعْ من أَحَدٍ انكارِ الدُّنْيَا فهي مُعَرِّفَةٌ بهذا
 المعنى وتلك نكرة.

ويمكن ان يكون السَّرُّ في تعريفِ الدُّنْيَا دون الآخِرَةِ في التَّعبيرِ شيئاً آخرَ
 وهو أنَّ التَّعريفَ يُوجبُ تضييقَ دائرةِ المُعَرِّفِ بخلافِ التَّنكيرِ حيثُ أنَّ المعنى
 باقٍ مَعَهُ على السَّعَةِ والشَّمولِ.

الا ترى أنَّ قولنا مَرَرْتُ بهذا الرَّجُلِ او مَرَرْتُ بالرَّجُلِ بدونِ الإشارةِ يفيدُ
 تخصيصَ المَمْرُورِ به بِشخصٍ مُعَيَّنٍ ولا يَتَوَجَّهُ ذهنُ المخاطبِ الى سائرِ
 الرَّجَالِ بخلافِ قولنا مَرَرْتُ بِرَجُلٍ حيثُ أنَّ المخاطبِ يَتَرَدَّدُ ذهنه الى كَلِّ
 رَجُلٍ من الرَّجَالِ وليسَ هذا التَّرددُ في التَّنكرةِ وعدمه في المعرفةِ، الأ لأجلِ
 الشَّمولِ في التَّنكرةِ وعدمه في المعرفةِ وليست فائدةُ التَّعريفِ، الأ هذا.

اذ اعرفت هذا فاعلم أنَّ الدُّنْيَا مَوْضُوعَةٌ للحياةِ الحاضرةِ المُعَيَّنَةِ أولها
 وآخِرُها فهي في حَدِّ نَفْسِها مَحْدُودَةٌ مُعَيَّنَةٌ كما أنَّها بالنَّسبةِ الى الموجوداتِ
 الواقعةِ فيها ايضاً مَحْدُودَةٌ فإنَّ دُنْيَاها عباره عن مُدَّةِ حياتها وبقائها ايةً ما كانت.
 واما عالمِ الغيبِ فليسَ كذاكَ لكونه غيرَ مَحْدُودٍ بِحَدِّ مُعَيَّنٍ، ولا بزمانٍ
 مُعَيَّنٍ لأنسلاخه عن الزَّمانِ والمكانِ وغيرهما من لوازمِ المادَّةِ فليسَ له أوَّلٌ ولا
 آخرٌ في حَدِّ نَفْسِهِ وان كان له أوَّلٌ بالأضافةِ الى الأشخاصِ بقوله ﷺ: من ماتَ

فَقَد قَامَتْ قِيَامَتُهُ، أَلَا إِنَّ ثُبُوتَ الْوَلِّ لَهُ بِالْإِضَافَةِ لِإِيْنَابِي عَدَمِهِ فِي حَدِّ نَفْسِهِ، الْآتِرِي أَنْ كَلَّ أَنْ مِنْ الْآنَاتِ فِي طَرَفِ الزَّمَانِ إِذَا فَرَضْتَهُ أَوَّلًا فَهُوَ أَوَّلُ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْكَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ الزَّمَانِ فِي حَدِّ نَفْسِهِ فَلِجَلِّ هَذِهِ الدَّقِيقَةُ عُرِفَ الْيَوْمَ الْمَقْصُودُ بِهِ الدُّنْيَا وَتُكْرَرُ الْغَدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُضَيِّقَةٌ مَحْدُودَةٌ وَالْآخِرَةُ مُوسَّعَةٌ غَيْرُ مَحْدُودَةٍ كَمَا قَالَ ﷺ: الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ فَتَدَبَّرْ فِيهِ حَقَّ التَّدَبُّرِ.

وَأَمَّا اتِّصَافُ الْغَدِ أَعْنَى الْآخِرَةِ بِالسَّبَاقِ حَيْثُ قَالَ ﷺ، وَغَدًا السَّبَاقُ، فَالْوَجْهُ فِيهِ قَدْ ظَهَرَ لَكَ مِمَّا حَقَّقْنَاهُ وَهُوَ أَنَّ الدُّنْيَا لِلْعَمَلِ فَحَسَبُ.

وَأَمَّا السَّبَقُ إِلَى رَحْمَةِ الْبَارِي بِالْإِدْخَالِ فِي الْجَنَّةِ وَالْبُلُوغِ إِلَى أَقْصَى الْمَدَارِجِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا فِيهَا فَكَمَا أَنَّ الْخَيْلَ فِي الْمِضْمَارِ تَنْتَهِيَنَّ لِلْسَّبَاقِ فِي الْغَدِ فَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ فِي دَارِ الدُّنْيَا يَنْتَهِيَنَّ لِلْسَّبَاقِ فِي الْغَدِ أَعْنَى الْآخِرَةِ فَالدُّنْيَا هِيَ الْمِضْمَارُ وَالْآخِرَةُ هِيَ الْمُعَدَّةُ لِلْسَّبَاقِ، فَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ خُلِقْتُمْ لِلْبِقَاءِ لِلْفَنَاءِ وَقَدْ جَاءَ السَّبَاقُ بِمَعْنَى الْقَيْدِ أَيْضًا.

وَتَالِثُهَا قَوْلُهُ ﷺ: وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ...

وَالسَّبَقَةُ بِالتَّحْرِيكِ عَلَى مَا ضَبَطَهَا الرُّضِيُّ (قَدَّهُ) وَقَالَ فِي مَعْنَاهَا لِأَنَّ الْأَسْتَبَاقَ أَمَّا يَكُونُ إِلَى أَمْرٍ مَحْبُوبٍ وَغَرَضٍ مَطْلُوبٍ وَهَذِهِ صِفَةُ الْجَنَّةِ وَلَيْسَ هَذَا الْمَعْنَى مَوْجُودًا فِي النَّارِ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْهَا فَلَمْ يَجْزِ أَنْ يَقُولَ السَّبَقَةُ النَّارُ.

ثُمَّ قَالَ (قَدَّهُ) فِي آخِرِ كَلَامِهِ وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى (وَالسَّبَقَةُ بِضَمِّ السِّينِ وَهِيَ عِنْدَهُمْ اسْمٌ لَمَّا يُجْعَلُ لِلْسَّبَاقِ إِذَا سَبَقَ مِنْ مَالٍ أَوْ عَرَضٍ، وَالْمَعْنِيَانِ مُتَقَارِبَانِ إِلَى آخِرِ مَا قَالَ.

وَأَمَّا الشَّرَاحُ فَلَمْ يَزِيدُوا وَعَلَى كَلَامِهِ (قَدَّهُ) شَيْئًا بَلْ أَخَذُوهُ وَتَلَقَّوهُ بِالْقَبُولِ هَذَا كَلَامُهُمْ فِي شَرْحِ هَذَا اللَّفْظِ.

وَأَمَّا نَحْنُ فَنَذَكُرُ أَوَّلًا كَلِمَاتِ اللَّغَوِيِّينَ فِيهَا ثُمَّ نَخْتَارُ مِنْهَا مَا نَخْتَارُ فَنَقُولُ قَالَ فِي الْمَنْجَدِ: السَّبَقُ جَمْعُ اسْبَاقٍ وَالسَّبَقَةُ مَا يَتْرَاهُنَّ عَلَيْهِ الْمُتَسَابِقُونَ

انتهى.

وَقَالَ فِي الْقَامُوسِ السَّبَقُ فَحْرَكَةٌ وَالسَّبَقَةُ بِالضَّمِّ الْخَطَرُ يُوضَعُ بَيْنَ أَهْلِ

السباق جمع أسباق انتهى.

وقال في المجمع: السَّبَقَةُ بالفتح والسَّكُون ما يتسابق اليه ومنها حديث وصف الاسلام والجنة سبقه فهذه كلمات اللغويين فيما بايدينا من كتبهم.

اذ اعرفت هذا، فقولہ ﷺ: السَّبَقَةُ له احتمالات ثلاثة او اربعة

احدها: السَّبَقَةُ بفتح السين والقاف والباء كما هو ظاهر الكتاب اعنى نهج البلاغه واختاره الرضى (قده) فى احد قوليہ.

وثانيها: السَّبَقَةُ بضم السين وفتح الباء والقاف وهو الذى نقله الرضى فى آخر كلامه.

وثالثها: السَّبَقَةُ بكسر السين وسكون الباء وفتح القاف كالجِدَّة والغِلْظَةُ وهى على هذا اسم من المصدر وهو السَّبِقُ.

والحق بين هذه المعانى الأربعة هو الثانى منها لأن المقصود ان الجنة جعلت بمنزلة المال الذى تُعطى لمن سبق فكأنه ﷺ قال من غلب فى هذه الدنيا على هواه وعمل بما يقتضيه العقل والشرع فى هذه السابقة فالمال او الأجر الذى يُعطى له الجنة.

ويمكن ان يُراد منها المعنى الثالث بقراءته السَّبَقَةُ بسكون الباء وعليه فالمقصود ان الجنة ما يُتسابق اليه وعلى اى تقدير لاخفاء فى المقصود وان كان فى اللفظ خفاء من حيث الأعراب والتراكيب وهذا مما لاضير فيه ورابعها قوله ﷺ: وَالْغَايَةُ النَّارُ...

غاية الشئىء ما ينتهى اليه القصد والفعل، قال الرضى (قده) ولم يقل السَّبَقَةُ النار كما قال السَّبَقَةُ الجنة لأن الأستباق انما يكون الى أمر محبوب وغرض مطلوب وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجوداً فى النار نعوذ بالله منها فلم يجر ان يقول السَّبَقَةُ النار بل قال والغاية قد ينتهى اليها من لايسره الانتهاء اليها ومن يسره ذلك فصلح ان يعبر بها عن الامرين معافهى فى هذا الموضوع كالمصير والمآل، قال الله تعالى: قل تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ الى النار انتهى.

ولقائل ان يقول: هذا الذى ذكره الرضى (قده) من عدم جواز ان يقال السَّبَقَةُ

النَّارَ مِمَّا لَا كَلَامَ فِيهِ فَإِنَّ هَذَا مِنْ تَوْضِيحِ الْوَاضِحَاتِ إِذْ لَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ ﷺ وَلَا لِقَوْلِ أَحَدٍ وَالسَّبْقَةُ النَّارُ، لَوْضُوحِ أَنَّ الْعَمَلَ فِي دَارِ الدُّنْيَا إِنْ كَانَ مَرْضِيًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ كَمَا هُوَ الْمَفْرُوضُ الْمَقْصُودُ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْنَارُ وَغَدًا السَّبَاقُ عَلَى مَا مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ، فَكَيْفَ يَعْقِلُ إِنْ تَكُونُ السَّبْقَةُ النَّارَ أَمَّا الْكَلَامُ فِي تَعْبِيرِهِ ﷺ عَنِ الْجَنَّةِ بِأَنَّهَا السَّبْقَةُ وَعَنِ النَّارِ بِأَنَّهَا الْغَايَةُ وَكَيْفَ يَعْقِلُ إِنْ تَكُونُ النَّارُ غَايَةً فَهُوَ (قَدَّهُ) لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ أَصْلًا مَعَ أَنَّ هَذَا مِنْ أَصْعَبِ الصُّعُوبَاتِ وَأَشْكَلِ الْمُشْكَلاتِ.

أَمَّا الرِّضَى (قَدَّهُ) فَيُمْكِنُ إِنْ يَجَابُ عَنِ قَبْلِهِ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِصَدَدِ شَرْحِ الْأَلْفَاظِ وَأَمَّا هُوَ (قَدَّهُ) كَانَ بِصَدَدِ جَمْعِ خُطْبَتِهِ ﷺ، وَضَبَطَ الْفَاظَهَا كَمَا هُوَ شَأْنُ النَّاقِلِ.

وَأَمَّا الشَّرَاحُ فَلَا عُذْرَ لَهُمْ فِي تَرْكِ الْبَحْثِ عَنِ هَذِهِ الدَّقِيقَةِ الْمَشْكَلَةِ إِلَّا عُسْرَتَهُ وَصُعُوبَتَهُ فَنَقُولُ:

مِمَّنْ تَعَرَّضَ لِهَذَا الْبَحْثِ مِنْ بَيْنِهِمْ هُوَ الْمَحَقِّقُ الْبَحْرَانِيُّ (قَدَّهُ) فَقَطْ وَحَاصِلُ مَا أَفَادَهُ (قَدَّهُ) فِي الْمَقَامِ أَنَّ النَّارَ هِيَ غَايَةُ حَقِيقَةً أَوَّلًا بَلْ تَكُونُ لِأَزْمَةِ لَهَا، وَالْمُنْتَهَى قَدْ يَكُونُ بِسَوْقٍ طَبِيعِيٍّ، وَقَدْ يَكُونُ بِسَوْقٍ إِرَادِيٍّ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَدْ يَكُونُ ذَاتِيًّا، وَقَدْ يَكُونُ عَرَضِيًّا وَالذَّاتِيُّ مِنْهُمَا يُقَالُ لَهُ غَايَةٌ إِمَّا طَبِيعِيَّةً كَاسْتِقْرَارِ الْحَجَرِ فِي حَيْزِهِ عَنِ حَرَكَةِ بِسَوْقِ طَبِيعَتِهِ إِلَيْهِ، وَإِمَّا إِرَادِيَّةً كَغَايَاتِ الْإِنْسَانِ مِنْ حَرَكَاتِهِ الْمُنْتَهَى إِلَيْهَا بِسَوْقِ إِرَادَتِهِ.

وَأَمَّا الْمُنْتَهَى إِلَيْهِ بِالسُّوقِ الْعَرَضِيِّ فَهُوَ مِنْ لَوَازِمِ أَحَدِي الْغَايَتَيْنِ وَقَدْ يُسَمَّى غَايَةً عَرَضِيَّةً، فَالْأَزْمَةُ عَنِ الطَّبِيعِيَّةِ كَمَنْعِ الْحَجَرِ غَيْرِهِ إِنْ يَحُلُّ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ لَوَازِمِ اسْتِقْرَارِهِ، وَالْأَزْمَةُ عَنِ الْإِرَادِيَّةِ كَاسْتِضَائَةِ السَّرَاجِ مِنْ غَيْرِهِ حَيْثُ أَنَّهَا مِنْ لَوَاحِقِ اسْتِضَائَتِهِ، ثُمَّ قَالَ إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَنَقُولُ:

إِنَّ كَوْنَ النَّارِ غَايَةً بِهَذَا الْمَعْنَى الرَّابِعُ وَبَيَانُهُ أَنَّ مَحَبَّةَ الدُّنْيَا وَالْمِيلَ إِلَيْهَا وَالْأَنَّهُمَا فِي مُسْتَهْيَاتِهَا سِوَاءٌ كَانَ مَعَهَا مِسْكَةٌ لِلْإِنْسَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَوْ لَمْ يَكُنْ فَإِنَّ مِنْ لَوَازِمِهَا الْإِنْتِهَاءَ إِلَى النَّارِ إِلَّا إِنْ يَشَاءُ اللَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ

حَزَتْ الدُّنْيَا نُؤْتَهُ مِنْهَا وَمَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿١﴾ وكان المقصود الأوّل للإنسان هو تناول اللذات الحاضرة لكن لما كان من لوازم الوصول الى تلك اللذات والأقبال عليها دخول النار والانتهاه اليها كانت عَرَضِيَّة انتهى ما قال في بيانه بالفاظه.

وانت ترى مافيه من التكاليف التي ارتكبتها هذا المحقق (قدّه) في حلّ الاشكال ولا سيّما قوله الأخير حيث قال: وكان المقصود الأوّل للإنسان هو تناول اللذات الحاضرة الى آخر ما قال. وذلك:

أما أولاً: فلاّنه من أين ثبت أنّ المقصود الأوّل من الإنسان، هو تناول اللذات الحاضرة وائى دليل دلّ عليه من العقل والنقل.

وثانياً: من أين ثبت أنّ تناول اللذات الحاضرة من لوازمها الدخول الى النار والانتهاه اليها ولو عَرَضِيَّة فإن تناول اللذات لو كان من طريق الحلال من لوازمه الدخول الى الجنّة كيف وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (٢)

و: ﴿وَحَرَّمَ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾ (٣)

و: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ (٤)

و: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (٥). والآيات فيه كثيرة.

فالقول: بأنّ النار من لوازم تناول اللذات الحاضرة ولو عَرَضِيَّة تحكّم نعم، لو كان تناولها من غير طريق الشرع فلا كلام في كون النار من لوازمها ما لم يتب وهذا خارج عن محلّ البحث.

فالحقّ في المقام ان نقول أنّ المقصود الأوّل من خلق الانسان والعلّة الغائية لأيجاده أنّما هو المعرفة بالله ورُسله وكُتبه وملائكته وما هو من لوازم المعرفة به كما قال في كتابه الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٦)

اي ليعرفون كما ورد في التفسير.

وقوله تعالى: في حديث القدسي كنت كنزاً مخفياً فأحببت ان أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف وامثال ذلك من الآيات والآثار وقد مرّ منا الكلام فيه مفصلاً وسيأتى لك زيادة توضيح فيه انشاء الله تعالى.

وبعد اللتيا واللتى الذي نقول في حل الاشكال هو ان قوله ﷺ وَالْغَايَةِ النَّارُ: له احتمالات:

احدها: انّ الانسان من حيث كونه مُركباً عن الرّوح المَلَكُوتى والجَسَد العُنصرى النَّاسوتى لو خُلّى وطبعه فالغاية له النار وذلك، لانّ الانسان بحسب الطبع الحيوانى أسير الشّهوات وأنيس الهَوَسات فهو بمقتضى غريزته وجبّلته لاعلاقة له بالطاعات والعبادات وترك المحرّمات لكون الطاعات والأتيان بالمحرّمات غايته النار كما انّ فعلها وترك المحرّمات يوجب له الدّخول الى الجنّة ولذلك، قال رسول الله ﷺ:

حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وليس هذا الا لأجل انّ الشّهوات تكون على مقتضى غريزته والمكارة اعنى الطاعات والعبادات على خلافها فَصَحَّ قوله ﷺ: وَالْغَايَةِ النَّارُ، اي الغاية له لو خُلّى وطبعه ولولا ذلك لما كان في بعث الانبياء والرّسل ثمرة وفائدة للزومه تحصيل الحاصل.

وثانيها: انّ قوله ﷺ: وَالْغَايَةِ النَّارُ بعد قوله ﷺ: وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ فكانه ﷺ قَسَمَ النَّاسَ الى قسمين:

فَقِسَمَ مِنْهُمْ، يَسْلُكُونَ فِي سَبِيلِ الْجَنَّةِ وَهُمْ الَّذِينَ قَدْ دَخَلُوا فِي الْمَسَابِقَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفَازُوا بِهَا عَلَى مَا مَرَّ فَلَا جَزَمَ نَتِيجَةَ عَمَلِهِمُ الْجَنَّةَ وَالِى هَؤُلَاءِ اِشَارَةُ ﷺ: بِقَوْلِهِ وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ...

وَقِسَمَ لَمْ يَدْخُلُوا فِيهَا مِنْ اَوَّلِ اَمْرٍ وَعَمِلُوا فِي الدُّنْيَا بِمَقْتَضَى غَرَائِزِهِمْ فَاطَاعُوا الشَّيْطَانَ وَمَعْلُومٌ اَنْ طَرِيقَهُمْ اِلَى النَّارِ فَصَحَّ اَنْ يُقَالَ الْغَايَةُ النَّارُ، فَاِنَّ الْغَايَةَ عِبَارَةٌ عَنْ مُنْتَهَى سَبِيلِ السَّالِكِ اعْنَى مَا يَنْتَهَى اِلَيْهِ سَبِيلُهُ وَلَيْسَتْ الْغَايَةُ فِي كَلَامِهِ ﷺ الْغَايَةُ مِنَ الْاِبْجَادِ فَانْهَآ لَا تَكُونُ اِلَى النَّارِ قَطْعاً بَلِ الْمُرَادُ الْغَايَةُ اللَّغْوِيَّةُ

فتأمل.

وثالثها: ان يكون المراد ان كل انسان لابد له من الورد على النار إما للدخول فيها وإما للمرور عليها بدليل «وَأَنْ مِّنكُمْ إِذَا رُدُّوا»^(١) وسرُّ الورد عليها هو ان الدخول في الجنة بعد رؤية النار الذِّ وأحسن كما ان الغنى بعد الفقر والصحة بعد المرض والعز بعد الدل أحلى وأطيب وهذا أيضاً ظاهرٌ وغير ذلك من الوجوه التي أعرضنا عن ذكرها مخافة الأطناب.

□ قوله ﷺ: أَفْلا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّةٍ...

والهمزة للاستفهام والتائب اسم فاعل من التوبة والخطيئة الذنب وقيل المتعمد منه، جمع خطايا وخطيئات، المنيّة، بفتح الميم وكسر التون وفتح الياء المشددة، الموت، جمع منايا ومنى والمقصود أفلا تائب يتوب الى الله من ذنبه قبل حلول موته، وهو كقوله ﷺ عَجَلُوا بِالتُّوبَةِ قَبْلَ المَوْتِ. والغرض من هذا الكلام حثه الناس على التوبة فانها باب من ابواب الرحمة فتحة الله لعباده وقد تكلمنا فيها وبيننا حقيقتها ووقتها، وشرائطها وسائر ما يتعلق بها مفصلاً عند شرح قوله ﷺ والتوبة من ورائكم فراجعوه وتزدك في المقام من كلمات الاصحاب في التوبة ما لم نذكره هناك فنقول

قال بعض العلماء من العرفاء التوبة تنظم من امور ثلاثة: علمٌ وحالٌ وعملٌ. اما العلم: فهو اليقين بان الذنوب سُمومٌ مهلكةٌ وحجابٌ بين العبد ومحبوبه وهذا اليقين يُثمر حالةً ثانيةً هي التآلم لفوات المَطْلُوبِ والتأسف عن فعل الذنوب ويُعبّر عن هذه الحالة بالنَّدَمِ وهي تثمر حالةً ثالثةً هي ترك الذنوب في الحال والعزم على عدم العود اليها في الأستقبال وتدارك في الماضي من حقوق الله تعالى مثل الصلوة والصيام والزكوة ونحوها ومن حقوق الناس مثل ردّ المال الى صاحبه ووارثه وطلب الأبراء في الغيبة وتسليم النفس في القصاص الى وليه وهكذا.

وَتَرْتَّبْ هذه الامور غير مُختَصِّصٍ بالتَّوبَةِ بل انتظام الصَّبْرِ والشُّكْرِ، والتَّوَكُّلِ والرِّضَا وغير ذلك من المقامات الدِّينِيَّةِ يَنْتَظِمُ من عِلْمٍ وِحَالٍ وَعَمَلٍ وهذه الامور الثَّلَاثَةُ اذا قيس بعضها الى بعض لآخِ لِلنَّاطِرِينَ اَلَى الظَّوَاهِرِ اَنَّ العِلْمَ مطلقاً اَنَّمَا تَرَادُ لِاَصْوَالٍ وَاَحْوَالٍ اَنَّمَا تَرَادُ لِلْاَعْمَالِ.

وَاَمَّا اهل البصائر وَاوَلُوْا الالباب فالأمر فيهم بالعكس فانَّ الاعمال عندهم تُرَادُ لِلْاَحْوَالِ وَاَحْوَالُ تُرَادُ (للعِلْمِ) فالأفضل العِلْمُ ثمَّ الاحوال، ثمَّ الاعمال لانَّ كُلَّ مرادٍ لغيره يكون ذلك الغير لامحالة افضل منه.

وقال بعض آخر للتَّوبَةِ شروط وَاوصاف اَمَّا شروطها فاربعة:

النَّدَمُ عَلَى مَا سَلَفَ

وَتَرَكَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْحَالِ.

وَالْعَزْمُ عَلَى اَنْ لَا يَعُودَ فِي الْاِسْتِقْبَالِ.

وَنَصَبُ الذَّنْبِ اَمَامَهُ، لَا يَنْبِذُ النَّدَمَ وِرَاءَ ظَهْرِهِ وَلَا يَنْسِيْ اَسَائِتِهِ طَوْلَ عَمْرِهِ.

وَاَمَّا اوصافها الْمُتَمِّمَةُ فاربعة: انْتِبَاهُ الْقَلْبِ عَنْ رَقَدَةِ الْعَقْلَةِ وَالْاَصْغَاءِ اِلَى

مَا يَهْجُسُ فِي الْخَاطِرِ مِنَ الصَّوَارِفِ وَالزَّوَاجِرِ وَهَجْرَانِ اِخْوَانِ السُّوءِ وَمُلَازِمَةَ

اِخْوَانِ الْخَيْرِ.

وَعَنْ اميرالمؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): اِنَّ التَّوبَةَ يَجْمَعُهَا سِتَّةُ اَشْيَاءَ:

عَلَى الْمَاضِي مِنَ الذَّنُوبِ النَّدَامَةُ.

وَلِلْفَرَائِضِ اِعَادَةُ.

وَرَدُّ الْمِظَالِمِ وَاسْتِحْلَالُ الْخُصُومِ وَاَنْ تَعَزَّمَ عَلَى اَنْ لَا تَعُودَ.

وَاَنْ تَذِيْبُ نَفْسَكَ فِي طَاعَةِ اللهِ كَمَا رَبَّيْتَهَا فِي الْمَعْصِيَةِ.

وَاَنْ تَذِيْقَهَا مَرَارَةَ الطَّاعَاتِ كَمَا اَذَقْتَهَا حَلَاوَةَ الْمَعَاصِيِ اَنْتَهَى.

الثَّانِي قَالَ شَيْخُنَا الْبَهَائِيُّ لِارِيْبِ فِي وُجُوبِ التَّوبَةِ عَلَى الْفَوْرِ فَاِنَّ الذَّنُوبَ

بِمَنْزِلَةِ السُّمُومِ الْمُضْرَّةِ بِالْبَدَنِ وَكَمَا يَجِبُ عَلَى شَارِبِ السُّمِّ الْمُبَادَرَةُ اِلَى

الْاِسْتِفْرَاقِ تَلَافِيًّا لِبَدَنِهِ الْمُشْرِفِ عَلَى الْهَلَاكِ كَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى صَاحِبِ

الذنوب المُبادرة الى تركها والتوبة منها تلافياً لدينه المُشرف على الأضمحلال ولا خلاف فى اصل وجوبها سَمِعاً لِلأمر الصّريح بها فى القرآن والوعيد والحثم على تركها فيه قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً﴾^(١) وَمَنْ لَمْ يَتُبْ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢)

وأما الخلاف فى وجوبها عقلاً فأثبتته المعتزلة لدفعها ضرر العقاب وهذا كما لا يخفى لا يدل على وجوب التوبة عن الصّغائر ممّن يجتنب الكبائر لآنها تُكفّره ح ولهذا ذهب الهشمية الى وجوبها عن الصّغائر سَمِعاً لأعقلاً.

نعم، الاستدلال بأنّ النِّدم على القبيح من مقتضيات العقل الصّحيح يَعْمُ القسمين واما فورية الوجوب فقد صرّحت به المعتزلة وقالوا يلزم بتأخيرها ساعةٍ إثمٌ آخر تجب التوبة منه ايضاً حتى ان من آخر التوبة عن الكبيرة ساعةً واحدةً فقد فعّل كبيرتين وساعتين أربع كبائر وهكذا واصحابنا يوافقونهم على وجوب الفورية لكنهم لم يذكر وهذا التفصيل فيما رأيت من كتبهم انتهى.

الثالث قال بعض ارباب القلوب الناس فى التوبة على احوال رجل مُسوّف بالتوبة مدافع بها اغترّ بطول الأمل ونسى هُجُوم الأجل فهذا متى أدركه الموت ادركه على الأصرار فهو هالك.

وَرَجُلٌ تائبٌ ما لم يجد شهوة فاذا وجد ركب هواه واضاع المُحاسبة لنفسه فهذا مُستوجبٌ للعقوبة من الله تعالى.

وَرَجُلٌ تائبٌ بقلبه إلا ان نفسه تدعوه الى الشئىء مما يكره فهذا يحتاج الى الأدب لنفسه وفائدته على قدر مجاهدته.

وَرَجُلٌ مُدِيمٌ للحساب قد قام على ساقٍ مقام الخَاصِم فهذا مستوجبٌ للعصمة من الله تبارك وتعالى.

ورجل قد هام به خوفه من ذنوبه ولم تبق فيه باقية فهذا المُتَوَجِّد بولاية الله.

الرابع قال بعض الناصحين اذا اردت التوبة فبرئ نفسك من التّبعات

وقلبك من الذنوب ووجه وجهك الى غلام الغيوب بعزم صادق ورجاء واثق
وعُدُّ انك عبدٌ ابْتُقُ من مولى كريم رحيم حلِيم يجب عودك الى بابه
واستجارتك به من عذابه وقد طلب منك العودَ مراراً عديدةً وانت مُعرضٌ عن
الرجوع اليه مدَّةً مديدةً مع انه وَعَدَكَ ان رَجَعْتَ اليه، واقلعتَ عما انت عليه
بالعفو عن جميع ما صدر عنك والصفح عن كل ما وقع منك وقم وأغتسل
احتياطاً وطهر ثوبك وصلّى بعض الفرائض وأتبعها بشيء من التوافل ولتكن
تلك الصلوة على الأرض بخشوع وخضوع واستحياء وانكسار وبكاء وفاقة
وافتقار في مكان لا يراك فيه احد ولا يسمع صوتك الا الله سبحانه فاذا سلّمت
فَعَقَّبْ صلوتك وانت حزينٌ مُستحيٌ وجل راجٍ ثم اقرء الدعاء المأثور عن
زين العابدين عليه السلام اوله يا من برحمته يستغيث المذنبون، ثم ضع وجهك على
الأرض واجعل التراب على رأسك الى آخر ما قال (قدّه).

قال شيخنا البهائي (قدّه) من أهمل المبادرة الى التوبة وسوّفها من وقت الى
وقت فهو بين خطرين عظيمين ان سلم من واحد فلعله لا يسلم من الآخر.
احدهما ان يعاجله الاجل فلا يتنبه من غفلته الا وقد حَضَره الموت وفات
وقت التدارك وأنسدت ابواب التلافي وجاء الوقت الذي اشار اليه سبحانه
بقوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون وصار يطلب المهلة يوماً او ساعة فلا يُجاب
اليها كما قال تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ
قَرِيبٍ﴾ ^(١) ثم قال (قدّه) قال بعض المفسرين في تفسير هذه الآية ان المحتضر
يقول عند كشف الغطاء يا مَلِك الموت أخرني يوماً اعتذر فيه الى ربي واتوب
اليه وأتزوّد صالحاً فيقول فنيت الايام فيقول أخرني ساعة فيقول فنيت
الساعات فيغلق عنه باب التوبة ويغرر غرير رُوحه الى النار ويتجرع غصّة اليأس
وحسرة الندامة على تضييع العمر وربما اضطرب اصل ايمانه في صدمات
تلك الاحوال.

وثانيهما ان تتراكم ظلم المعاصي على قابه الى ان تصير ريناً وطبعاً فلا يقبل
 المَحْو فانَّ كلَّ معصيةٍ يفعلها الإنسان تحصل منها ظُلْمَةٌ في قلبه كما تحصل
 من نفس الانسان ظُلْمَةٌ في المرآت فاذا تراكمت ظُلْمَةُ الذَّنُوبِ صارت ريناً
 كما يصير بخار النفس عند تراكمه على المرآت صدعاً واذا تراكم الرّين صار
 طبعاً فيتطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآت اذا تراكم بعضه فوق بعض
 وطال مكثه وغاص في جرمها وأفسدها فصارت لا تقبل الصّيقل ابداً وقد يُعبر
 عن هذا بالقلب المنكوس والقلب الأسود كما روى عن الباقر عليه السلام: ما من شيء
 أفسد للقلب من خطيئة ان القلب ليواقع الخطيئة فلا تزال به حتى تغلب عليه
 فيصير اعلاه اسفله...

وعنه عليه السلام: ما من عبدٍ الا وفي قلبه نُكْتَةٌ بيضاء فاذا اذنب ذنباً خَرَجَ في
 النُّكْتَةِ نُكْتَةٌ سوداء فان تاب ذهب ذلك السّواد وان تمادى في الذَّنُوبِ زاد
 ذلك السّواد حتى يغطّي البياض فاذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه الى خير
 ابداً وهو قول الله عزّ وجلّ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ...

فقوله عليه السلام: لم يرجع صاحبه الى خير ابداً يدل على ان صاحب هذا القلب
 لا يرجع عن المعاصي ولا يتوب منها ابداً ولو قال بلسانه ثبت الى الله يكون
 هذا القول منه مجرد تحريك اللسان من دون موافقة القلب فلا اثر له اصلاً كما
 ان قول الغَسَّالِ غَسَلْتُ الثَّوبَ لا يصير الثَّوبَ نقيّاً من الأوساخ وربّما يؤل
 صاحب هذا القلب الى عدم المُبالاة باوامر الشريعة ونواهيها فيسهل امر الدين
 في نظره ويَزُولُ وقع الاحكام الالهية من قلبه وينفر عن قبولها طبعه وينجرّ
 ذلك الى اختلال عقيدته وزوال ايمانه فيموت على غير الملة وهو المُعَبَّرُ عنه
 بسوء الخاتمة نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات اعمالنا انتهى كلامه رفع
 مقامه.

فاغتنم يا حبيبي التوبة قبل ان يصير القريب تائباً والمُقيم ماضياً،
 وَالْمَحْصُولُ نَدِماً والموجود عدماً وقبل ان يُضْرَبَ الأدبار على المُصْرَبِينَ

سرادق الخسار فلا اقاله عثارٍ ولا توفيق انابةٍ واعتذارٍ.
ذكر العُطبي أنه قيل لرجلٍ عند الوفاة قل لا اله الا الله، فقال: آه وَيَلَى عَلَى
الشباب وفي اى زمان فقدت شرح الشباب حين مات الغيور وارتحض المهر
وغاب الحجاب عن كل باب.

وقيل لآخر: وقد قُرِبَ خروج نفسه قل لا اله الا الله فقال: لهف نفسي على
الزمان وفي اى زمانٍ دهنتى الأزمان حين ولى الشتاء، واستقبل الصيف وطاب
المُدَام والرِيحان، وقال احتضر آخر فقيل له قل: لا اله الا الله فقال برَد الليل
وطاب الماء والتدُّ الشراب ومضى عنّا حزيران وتموز وآب ثم قَضَى لوقته.
وقالت امرئةٌ لرجلٍ كان منزله قريباً من حمامٍ منجباب ببغداد يارجل ابن
الطريق الى حمامٍ منجباب فأوماء اليها وارشدها الى طريق غيره فى سكةٍ
خرابٍ لا مَنفذ لها وتبعها اليها ففَجَرَ بها فلما حضرته الوفاة قيل له قل لا اله الا
الله فقال:

يا ربّ قاتلةً يوماً لقد لقيت اين الطريق الى حمام منجباب
ومات لوقته والحكايات والأمثلة كثيرة، اللهم اجعل عاقبة امورنا خيراً
واجعلنا من التوابين ومن المتطهرين.

سُئِلَ بعضُ العرفاء عن التوبة والأناة فقال هى طلب مجاوزة المقامات
والحذر من الوقوف على الدرجات، والترقى على اعلى المكنونات والأعتماد
بالهمم على صدور مجالس الحضرة، ثم الرجوع من الكل الى الحق سبحانه
بعد حضور الحضرة، ومشاهدة هذه المحاضرة، والأناة الرجوع منه اليه حذراً
ومن غيره اليه رغباً ومن كل تعليقٍ اليه رهباً. ثم نختم الكلام فى التوبة بذكر ما
قاله زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام فى الصّحيفة السّجادية فى مناجاته.

اللهم انى أتوب اليك فى مقامى هذا من كبائر ذنوبى وصغائرها وبواطن
سنيّاتى وظواهرها وسوالف ذلّاتى وحوادثها توبةً من لا يحدث نفسه بمَعْصيته
ولا يضمنان يعود فى خطيئته وقد قلت يا الهى فى مُحكم كتابك إِنَّكَ تَقْبَلُ

التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِكَ وَتَعَفُّوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَتُحِبُّ التَّوَابِينَ فَأَقْبِلْ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ
وَاعْفُ عَنِ سَيِّئَاتِي كَمَا ضَمَنْتَ وَأَوْجِبْ لِي مَحَبَّتَكَ كَمَا شَرَطْتَ، بِحَقِّ مُحَمَّدٍ
وَأَلِهِ الْمَعْصُومِينَ.

□ قوله ﷺ: **أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ...**

الأ ليست من حُرُوفِ التَّنْبِيهِ بَلِ الْهَمْزَةُ لِلْأُسْتِفْهَامِ وَاللَّاءُ لِلنَّفْيِ وَالْمَعْنَى
أَلَيْسَ عَامِلٌ يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ، وَالْبُؤْسُ شِدَّةُ الْحَاجَةِ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ:
«يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ»^(١)

قال الله تعالى: «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ»^(٢).

وقد أشار ﷺ: بقوله هذا الى ان العمل لا بد له من ان يكون قبل يوم القيمة
في هذه الدنيا وقد فصلنا الكلام فيه في شرح قوله ﷺ: **أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ**
وغيره من الموارد فلا نعيد الكلام فيه.

ثم ان في قوله هذا اشارة بل صراحة بان من يعمل فائما يعمل لنفسه لاغيره
ولأجل هذا قال ﷺ: **عَامِلٌ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يَقُلْ أَلَا عَامِلٌ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ وَهُوَ كَذَلِكَ**
قال الله تعالى: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^(٣)

و: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا»^(٤)

و: «فَمَنْ أَمْتَدَى قَلْبِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا»^(٥)

و: «فَمَنْ نَكَّتْ فَإِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ»^(٦)

و: «عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا امْتَدَيْتُمْ»^(٧)

□ قوله ﷺ: **أَلَا وَأَنْتُمْ فِي أَيَّامٍ مَهَلٍ مِّنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامٍ عَمَلَهُ**
(امله) قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ نَفَعَهُ عَمَلُهُ وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامٍ عَمَلِهِ
قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ وَضُرَّهُ أَجَلُهُ...

٢. عبس - ٣٤ إلى ٣٦.

٤. فصلت - ٤٦.

٦. الفتح - ١٠.

١. الشعراء - ٨٨ و ٨٩.

٣. الزلزلة - ٧ و ٨.

٥. الزمر - ٤١.

٧. المائدة - ١٠٥.

وهذه الجملات كالتفسير والتوضيح للجملة السابقة اعنى قوله ألا عامل لنفسه قبل يوم يؤسه، فكأنه قيل له ﷺ وكيف يكون ذلك قال ﷺ: **أَلَا وَأَنْتُمْ** الى آخر ما قال وحاصل كلامه ﷺ المصدّر بحرف التثنية وهو (الا) هو انكم ايها المسلمون في ايام لها فرصة ومُهلة للعمل، والتوبة ولكن هذه الايام ملحوقه بالأجل وهو الموت الذي ينقطع به العمل وتقطع الحياة ولا شك ان العمل قبل حضور الأجل وحلوله ينفع لصاحبه لانه وقع في محله ولا يضرب به الموت وهذا بخلاف المقصر في العمل ايام حياته فانه يكون خاسراً حين حضور أجله وموته نادماً على غفلاته واهمالاته فان الامور مرهونة بأوقاتها والانتفاع بكل شىء من الأشياء وموجود من الموجودات لا يمكن الا في وقت معين. وفي كلامه ﷺ: هذا مواضع من البحث نشير اليها اجمالاً:
احدها قوله ﷺ: أَلَا وَأَنْتُمْ فِي أَيَّامٍ مَهَلٍ مِّنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ...

وروي في ايام أمل، وهذا اوفق بالعبارة لقوله ﷺ بعد هذا الكلام فمن عمل في ايام أمله، ولم يقل في ايام مهله، ولو كان اصل العبارة في ايام مهل، لينبغي ان يقال في ايام مهله كما لا يخفى على من له ادنى بصيرة بالعبارات هذا.
ثم ان في كلامه ﷺ اشارة الى ان الدنيا مسبوقة بالفناء وكل موجود في هذا العالم لا يد له من الموت في وقت معين وهذه القاعدة الكلية الشاملة لكل المخلوقات لم تخصص بشىء ولم يستثنى منها موجود ابداً ويدل عليها
﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (١)
قال الله تعالى: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** (٢) وامثال ذلك من الآيات
وحيث ان الانسان ايضاً من هذه الموجودات الواقعة في العالم فهو ايضاً تحت القاعدة والخطاب في قوله الى الانسان او المخاطبين لا يدل على اختصاص الحكم بهم بل لان الكلام كان متوجهاً اليهم اولاً لان الانسان اشرف المخلوقات فاذا اثبت الحكم فيه ثبت في حق غيره بالأولوية.

وفيه إشارة الى ان الانسان لابد له من الموت ولا مَحِيصٌ له عنه كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِبِكُمْ ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١)

قال الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ (٢). ونحن قد أثبتنا واقمنا البراهين العقلية على ان كل موجود معلول للغير لابقاء له ولا قديم سوى الله تعالى في الابحاث الماضية بما لامزيد عليه فلا وجه لاعادتها ثانياً.

والذي نحن بصدده الآن في شرح كلامه ﷺ هو ان الانسان بعد ما ثبت له الموت ولا يمكن له الفرار عنه ينبغي ان يتوجه الى اعماله وافعاله واقواله في ايام الدنيا وحاسب نفسه قبل ان يحاسب منها فان الوقت عزيز والفرصة تمر مر السحاب قال رسول الله ﷺ: اغتنموا القرص فانها تمر مر السحاب. وقال ﷺ ايضاً اغتيم خمساً قبل خمسين، شبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل مماتك «المواعظ العددية، ص ١٥٢»...

وقال ﷺ سيأتي زمان على امتي يحبون خمساً وينسون خمساً يحبون الدنيا وينسون الآخرة، ويحبون المال وينسون الحساب، ويحبون النساء وينسون الحور، ويحبون القصور وينسون القبور ويحبون النفس وينسون الرب اولئك بريئون مني وانا بريء منهم «ص ١٥٢»...
وثانيها قوله ﷺ: فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ...

بعد ما ذكر ﷺ في الجملة السابقة كونهم في ايام مهل او أمل من ورائه أجل أردف كلامه بقوله فَمَنْ عَمِلَ الى آخره وذلك لان الانسان لو عمل لنفسه في ايام حياته في الدنيا قبل حلول أجله وموته فلامحالة يتتفع به حين الموت ولا

فتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

يَسْتَضِيرُ بِهِ فَإِنَّ الْمَوْتَ رَاحَةً لِلْمُؤْمِنِ وَشِدَّةً لِلْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ.

قال رسول الله ﷺ شَيْئَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ يَكْرَهُهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتَ رَاحَةً لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ وَيَكْرَهُهُ قِلَّةَ الْمَالِ وَقِلَّةَ الْمَالِ أَقْلَ لِلْحِسَابِ، انتهى «بحار الانوار، ج ٣، ص ١٢٧»...

قيل للحسن ابن علي عليه السلام يا ابن رسول الله ما بالنا نكره الموت ولا نُحِبُّهُ فقال ﷺ إِنَّكُمْ أَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ وَعَمَّرْتُمْ دُنْيَاكُمْ فَأَنْتُمْ تَكْرَهُوْنَ النُّقْلَةَ مِنَ الْعُمْرَانِ إِلَى الْخِرَابِ «بحار الانوار، ج ٣، ص ١٢٧»...

وقال رسول الله ﷺ النَّاسُ إِثْنَانِ وَاحِدٌ اسْتِرَاحَ وَآخَرَ أَرَاخَ فَاِمَّا الَّذِي اسْتِرَاحَ فَالْمُؤْمِنُ إِذَا مَاتَ اسْتِرَاحَ مِنَ الدُّنْيَا وَبَلَائِهَا وَامَّا الَّذِي أَرَاخَ فَالْكَافِرُ إِذَا مَاتَ أَرَاخَ الشَّجَرَ وَالدَّوَابَّ وَكَثِيرًا مِنَ النَّاسِ انْتَهَى «ص ١٢٣»... وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الْمَوْتَ رَاحَةً لِلْمُؤْمِنِ أَمَّا الْكَلَامُ فِي أَنَّ أَيَّ الْأَعْمَالِ يُوجِبُ الرَّاحَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَبَعْدَ الْمَوْتِ.

روى المجلسي (قده) في البحار باسناده عن عبد الرحمن ابن سمرة قال كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ ﷺ إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَائِبَ قَالَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رَأَيْتَ حَدَّثْنَا بِهِ فِدَاكَ أَنْفُسَنَا وَأَهْلُونَا وَأَوْلَادَنَا.

فقال ﷺ: رَأَيْتُ رِجَالًا مِنْ أُمَّتِي وَقَدْ آتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ لِقَبْضِ رُوحِهِ فَجَاءَهُ بِرِّهَ بَوَالِدِيهِ فَمَنَعَهُ مِنْهُ.

ورأيت رجالاً من أمتي قد بُسِطَ عَلَيْهِمْ عَذَابُ الْقَبْرِ فَجَاءَهُمْ وَضُوءُهُ وَمَنَعَهُ مِنْهُ.

ورأيت رجالاً من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكره الله عز وجل فنجاه من بينهم.

ورأيت رجالاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلواته فمَنَعَتْهُ مِنْهُمْ.

ورأيت رجالاً من أمتي والنبيون خلقاً خلقاً كلما أتى خلقاً طرد فجاءه

اغْتَسَلَهُ مِنَ الْجَنَابَةِ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ فَاجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِي.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ وَمِنْ خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ وَعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَةٌ وَعَنْ شِمَالِهِ ظُلْمَةٌ وَمِنْ تَحْتِهِ ظُلْمَةٌ مُسْتَنْقِعًا فِي الظُّلْمَةِ فَجَاءَهُ حَجَّهُ وَعُمُرْتَهُ فَأَخْرَجَاهُ مِنَ الظُّلْمَةِ وَأَدْخَلَاهُ النُّورَ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا يُكَلِّمُوهُ فَجَاءَتْهُ صِلَتُهُ لِلرَّحِمِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ كَلِّمُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ وَاصِلًا لِرَحْمَةِ فَكَلِّمُوهُ وَصَافِحُوهُ وَكَانَ مَعَهُمْ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَتَّقِي وَهَجَ النَّيِّرَانِ وَشَهْرَهَا بِيَدِهِ وَوَجْهَهُ فَجَاءَتْهُ صَدَقَتُهُ فَكَانَتْ ظِلًّا عَلَى رَأْسِهِ وَسِتْرًا عَلَى وَجْهِهِ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ أَخَذَتْهُ الزَّبَانِيَةُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَجَاءَهُ أَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَخَلَّصَاهُ مِنْ بَيْنَهُمْ وَجَعَلَاهُ مَعَ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَائِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَحْمَةِ اللَّهِ حِجَابٌ فَجَاءَهُ حُسْنُ خُلُقِهِ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ هَوَتْ صَحِيفَتُهُ قَبْلَ شِمَالِهِ فَجَاءَهُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فَجَعَلَهَا فِي يَمِينِهِ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَجَاءَ افْرَاطُهُ فَشَقَلُوا مَوَازِينَهُ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا عَنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَجَاءَهُ رَجَائُهُ مِنَ اللَّهِ فَأَسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا عَنْ أُمَّتِي قَدْ هَوِيَ فِي النَّارِ فَجَاءَتْهُ دَمُوعُهُ الَّتِي بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَاسْتَخْرَجَتْهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا عَنْ أُمَّتِي عَلَى الصَّرَاطِ يَرْتَعِدُ كَمَا تَرْتَعِدُ السَّعْفَةُ فِي يَوْمِ رِيحٍ عَاصِفٍ فَجَاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ فَسَكَنَ رَعْدَتَهُ وَمَضَى عَلَى الصَّرَاطِ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا عَنْ أُمَّتِي عَلَى الصَّرَاطِ يَزْحَفُ أَحْيَانًا وَيَحْبُوا أَحْيَانًا وَيَتَعَلَّقُ أَحْيَانًا فَجَاءَتْهُ صَلَوَتُهُ عَلَيَّ فَأَقَامَتْهُ عَلَى قَدَمِيهِ وَمَضَى عَلَى الصَّرَاطِ.

ورأيت رجلاً من امتي انتهى الى ابواب الجنة كلما انتهى الى باب أُغلق
دونه فجاءته شهادة ان لا اله الا الله صادقاً بها ففتحت له الابواب ودخل الجنة.
وباسناده عن ابي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض القيامة نار
ما خلا ظل المؤمن فان صدقته تظله، انتهى «بحار الانوار، ج ٣، ص ٢٧٥»...

وباسناده عن ايوب ابن نوح قال سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول من
زار قبر ابي بطوس غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر فاذا كان يوم القيمة
نُصب له منبر بحذاء منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يفرغ الله تعالى من حساب
عباده، انتهى «بحار الانوار، ج ٣، ص ٢٧٥»...

وباسناده عن ابي عبدالله عليه السلام قال من زوج عزباً كان ممن ينظر الله اليه يوم
القيمة انتهى «ص ٢٧٧»...

وباسناده عنه عليه السلام قال: اربعة ينظر الله عز وجل اليهم يوم القيمة
من اقال نادماً واغاث لهفان او اعتق نسمةً او زوج عزباً انتهى «ص
٢٧٧»...

وعنه عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقر ناشيبة في الاسلام آمنه الله
من فزع يوم القيمة، انتهى «ص ٢٧٧»...

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عرضت له فاحشة او شهوة فأجتنبها مخافة الله
عز وجل حرم الله عليه النار وآمنه من الفزع الاكبر، انتهى «ص ٢٧٨»...

والاعمال كثيرة لا يمكن لنا استقصائها والملاك فيها العمل الصالح اذا اتى به
خالصاً لوجه الله لانه تعالى انما يتقبل العمل من المتقين سواء كان العمل واجباً
او مستحباً على ما هو مذكور في كتب الاخبار.. قال الله تبارك وتعالى في كتابه:
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ
لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١)

قال الطبرسي (قده) على ما نقل عنه في البحار في تفسير هذه الآية الذين
آمنوا، اي صدقوا بالله ووحدانيته وكانوا يتقون مع ذلك معاصيه لهم البشري

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

فى الحيوۃ الدنیا والآخرة، قيل فيه اقوال.

احدها ان البشرى فى الحيوۃ الدنیا هى ما بشرهم الله تعالى به فى القرآن على الاعمال الصالحة، ونظيره «وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ» (١)

و: «يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ» (٢)

وثانيها ان البشارة فى الحيوۃ الدنیا بشارۃ الملائكة للمؤمنين عند موتهم: «الَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» (٣)

وثالثها انها فى الدنيا الرؤية الصالحة (الرؤيا الصالحة) يراها المؤمن لنفسه او ترى له وفى الآخرة بالجنة وهى ما تبشرهم الملائكة، عند خروجهم من القبور وفى القيامة الى ان يدخلوا الجنة يبشرونهم بها حالاً بعد حال وهو المروى عن ابى جعفر وساق الكلام الى ان قال (قده) وقيل ان المؤمن يفتح له باب الى الجنة من قبره فيشاهد ما أعد له فى الجنة قبل دخولها.

و: «تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ» (٤) روى عن البراء انه قال يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا سلم عليه.

وقال فى تفسير: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» (٥) وروى محمد ابن الفضل قال سألت ابا الحسن عليه السلام (الرضا) عن الاستقامة فقال هى والله ما أنتم عليه تنزل عليهم الملائكة يعنى عند الموت الى ان قال.

وقيل ان البشرى يكون فى ثلاثة مواطن، عند الموت، وفى القبر وعند البعث، الا تخافوا ولا تحزنوا، اى يقولون لهم لا تخافوا عقاب الله من امور الآخرة ولا تحزنوا ما ورائكم وعلى ما خلقتم من اهل وولد انتهى ما اردنا ذكره. وروى المجلسى (قده) فى البحار باسناده عن الزهرى قال: قال على ابن

الحسين عليه السلام أشدُّ ساعات ابن آدم ثلاث ساعات: السَّاعة التي يُعَين فيها ملك الموت، والسَّاعة التي فيها يَقُوم من قبره، والسَّاعة التي يَقِف فيها بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تبارك وتعالى فإِذَا أَلِي الْجَنَّةِ وَإِذَا أَلِي النَّارِ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ نَجْوَتِ يَابْنَ آدَمَ عِنْدَ الْمَوْتِ فَانْتَ أَنْتِ وَالْأَهْلَكَتِ وَإِنْ نَجْوَتِ يَابْنَ آدَمَ حِينَ تَوْضَعُ فِي قَبْرِكَ فَانْتَ أَنْتِ وَالْأَهْلَكَتِ، وَإِنْ نَجْوَتِ حِينَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَانْتَ أَنْتِ وَالْأَهْلَكَتِ، ثُمَّ تَلَا مِنْ وَرَائِهِمْ بَرَزَخُ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ الْحَدِيثُ «بِحَارِ الْأَنْوَارِ، ج ٣، ص ١٢٥»...

وباسناده عن أبي جعفر عليه السلام: أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقِيلَ مِنْ رَاقٍ، قَالَ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ آدَمَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ هَلْ مِنْ طَبِيبٍ هَلْ مِنْ دَافِعٍ وَقَالَ أَنَّهُ ظَنَّ الْفِرَاقَ يَعْنِي فِرَاقَ الْأَهْلِ وَالْأَحِبَّةِ عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ، وَالتَّفَّتِ السَّاقَ بِالسَّاقِ قَالَ عليه السلام التَّفَّتِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ قَالَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقِ، إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ يَوْمَئِذٍ الْمَصِيرِ، أَنْتَهَى «ص ١٢٥»...

أقول: والرَّوَايَاتُ وَالْآيَاتُ فِي مَوْرَدِ الْبَحْثِ كَثِيرَةٌ وَاطْنُ أَنْ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ كَفَايَةٌ لِأَوْلَى الْأَبْصَارِ وَكَيْفَ يُضْرَهُ أَجَلُهُ وَالْمَفْرُوضُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ عَمِلَ فِي دَارِ الدُّنْيَا بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَيْسَ الْأَيْمَانُ الْحَقِيقِيَّةُ إِلَّا اعْتِقَادٌ وَعَمَلٌ وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الرُّوحَ وَالرَّاحَةَ فِي الْمَوْتِ وَالْمَرَاحِلَ الَّتِي بَعْدَهُ وَهُوَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ هَذَا كُلُّهُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْآيَاتِ وَالْآثَارِ وَأَمَّا بِالنَّظَرِ إِلَى الْعَقْلِ فَالْأَمْرُ أَيْضاً كَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ إِلَّا فِرَاقَ الْأَحِبَّةِ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ الْمَوْتَ الْفِرَاقَ كَمَا ثَبَتَ فِي مَحَلِّهِ وَمَرَّ مِنَ الْكَلَامِ فِيهِ مَفْصَلاً وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ هُوَ الْفِرَاقُ فَالْمُؤْمِنُ الْمَفَارِقُ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا كَانَ عَامِلاً فِيهَا لِآخِرَتِهِ خَالِصاً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَالْعَمَلُ الْخَالِصُ لَا يَتِمُّشِي إِلَّا مَمَّنْ لَيْسَتْ لَهُ مُحَبَّةٌ وَعِلَاقَةٌ بِالدُّنْيَا ضَرُورَةٌ أَنْ مَنْ كَانَتْ لَهُ عِلَاقَةٌ بِهَا لَا يَعْمَلُ لِآخِرَتِهِ، وَمَنْ لَا يُحِبُّ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا كَمَا هُوَ الْمَفْرُوضُ فَوْقَ الْفِرَاقِ مِنْهَا وَعَدَمُهُ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ عَلَى السَّوَاءِ بَلِ الْفِرَاقُ لَهُ أَوْلَى مِنْ عَدَمِهِ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ وَالْآخِرَةُ بَاقِيَةٌ وَالْعَاقِلُ لَا يَرْجِحُ الْبَاقِيَ عَلَى الْفَانِي كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لِأَبْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَسَ

بالموت من الطفل بثدي أمه.

وبعبارة أوضح وأحصر أنّ شدة الموت وعُسره بالنسبة الى الانسان انما هو لأجل علاقته بالدنيا وما فيها فهي دائرة مدارها شدة وضعفاً فمن كان مؤمناً عاقلاً بصيراً بأعماله متوجّهاً الى آخرته كيف يعقل له عسر الموت وشِدته.

ثالثها قوله عليه السلام: وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ وَضَرَّهُ أَجَلُهُ...

وشرح هذه الكلمات قد ظهر ممّا ذكرناه في سابقتها لأنها كالعكس لها فاذا افرضنا أنّ عدم التقصير في الدنيا والمواظبة على الأعمال الصالحة يُوجب عدم كون الموت مُضراً له فلا محالة التقصير فيها وعدم المواظبة على الأعمال يوجب الأضرار به ولا نحتاج في المقام الى زيادة شرح من الآيات والآثار بقي في المقام شيء يسير وهوانه، قال ومن قَصَرَ بالتشديد، ولم يقل قَصَرَ، بالتخفيف للدلالة على أنّ مطلق ترك العمل لا يضر اذا لم يكن عن تقصير منه وهو التّرك عمداً فإن ترك العمل عن قُصُور لا يضرّ

□ قوله عليه السلام: أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ...

الا، من حروف التّنبيه والمقصود أنّه عليه السلام أمرهم وأمرنا بالعمل في الرّغبة وهي السّئوال والطلب كما نعمل في الرّهبه وهي الخوف منه تعالى ووُرد في الحديث لا يجتمع الرّغبة والرّهبه في قلب الآ وَجِبَتْ له الجنّة، وفي الدعاء رغبة ورهبةً اليك، إلا أنّ الرّغبة في الدّعاء كما وردت به الرواية ان تستقبل ببطن كفيك الى السماء وتستقبل لها وجهك، وصلوة الرّغائب ما يرغب فيها من الثّواب العظيم وهي التي تُصلّى في أوّل جمعة من الرّجب جمع رغبة.

والغرض من هذا الكلام منه عليه السلام هو أنّ المؤمن لا يتفاوت عمله في الشّدة والرّخاء والعسر واليسر بل ينبغي له التوجه الى المعبود في السّراء والضّراء والخوف والرّجاء وهذا من أحسن الحالات واعلى المراتب في مقام السلوك الى قاضي الحاجات.

وذلك لأنّ الانسان في موضع الشّدة توجهه الى المعبود اكثر من وقت

الرِّخَاءَ بِحَسَبِ جِبَلَّتِهِ وَفِطْرَتِهِ، الْآ تَرَى أَنَّ الْمَرِيضَ أَكْثَرَ تَضَرُّعاً إِلَى اللَّهِ مِنْ الصَّحِيحِ وَالْفَقِيرَ مِنَ الْغَنِيِّ وَالذَّلِيلَ مِنَ الْعَزِيزِ وَالْعَاصِيَ مِنَ غَيْرِ الْعَاصِي وَهَكَذَا وَلَيْسَ هَذَا إِلَّا مِنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ وَقَلَّةِ التَّدَبُّرِ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَمَّلَ إِيْمَانَهُ وَتَدَبَّرَ فِي وَظِيفَتِهِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى خَالِقِهِ وَمَعْبُودِهِ لَيَعْلَمَنَّ أَنَّ الْعَمَلَ لَهُ وَالتَّوَجُّهُ إِلَيْهِ مِنْ وَظَائِفِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ أَمَّا شَرَعاً فَمَعْلُومٌ وَأَمَّا عَقْلاً فَلِأَنَّ شُكْرَ الْمُنْعَمِ وَاجِبٌ عَقْلاً وَهُوَ تَعَالَى مُنْعِمٌ فَيَجِبُ الشُّكْرُ لَهُ وَقَدْ فَرَّغْنَا عَنْ بَحْثِ الشُّكْرِ وَأَقْسَامِهِ فِي أَوَائِلِ الْكِتَابِ وَقَلْنَا أَنَّ حَقِيقَةَ الشُّكْرِ صَرَفُ الْعَبْدِ جَمِيعَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي مَحَلِّهِ وَمَوْقَعِهِ وَمَنْ كَانَ شَاكِراً بِهَذَا الْمَعْنَى لَا يَعْصِي اللَّهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَداً وَلَا فَرَقَ بَيْنَهُ بَيْنَ حَالَتِي الرِّخَاءِ وَالشَّدَةِ فَإِنَّ جُوبَ الشُّكْرِ لِلْمُنْعَمِ مَطْلُوقٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهَا وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ أَلَا فَاَعْمَلُوا فِي الرِّغْبَةِ الْخِ وَلِنُشِرَ إِلَى بَعْضِ الْآيَاتِ وَالْآثَارِ الْوَارِدَةِ فِيهِ تَيَمُّناً وَتَبَرُّكاً.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً. وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾^(١)

و: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّبِكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ نَدْعُوهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّبِكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾^(٢)

و: ﴿كَأَلَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ، أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾^(٣)

و: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾^(٤)

و: ﴿قَالُوا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾^(٥)

و: ﴿لَا يَسْتَمُّ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُؤَسِّ قَنُوطاً﴾^(٦)

و: ﴿وَلَئِنْ أَدْقْنَا رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءِ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا إِلَى﴾^(٧)

و: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ

١. المعارج- ١٩ إلى ٢١.

٢. العلق ٦ و ٧.

٣. طه- ٤٥.

٤. فصلت- ٥٠.

٥. الأنعام- ٦٣ و ٦٤.

٦. التازعات- ٣٧ إلى ٣٩.

٧. فصلت- ٤٩.

عريض ﴿١﴾

و : ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ (٢)

و : ﴿ثُمَّ إِذَا خَوْلنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (٣)

و : ﴿ثُمَّ إِذَا خَوْلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ (٤)

□ قوله ﷻ: أَلَا وَإِنِّي لَمَ أَرَكَا لُجْنَةً نَّامٍ طَالِبُهَا وَلَا كَالنَّارِ نَامٍ هَارِبُهَا...

اشار ﷻ: بقوله هذا الى صنفين من اصناف الناس احدهما من نام عن طلب الجنة، والثاني من كان هارباً من النار وهو نائم والوجه فيه هو ان الناس على ثلاثة اصناف.

فصنف منهم يطلب الجنة ويهرب من النار وهو متوجه الى ما اراد فيعمل بالأعمال الصالحة ويأتي بما أمره الشارع تقرباً اليه تعالى ويترك المنهيات والمحرمات فهو يطلب الجنة بالعمل ويترك النار بترك المنهيات ومن كان كذلك فليس بنائم قطعاً.

وصنف يطلبها من غير توجه منه الى ما اراد كمن طلب الجنة من غير عمل وهرب النار من غير ترك للمنهيات واتباع هذا القسم كثير جداً.

وصنف لا يطلبها أصلاً، اي لا يطلب الجنة ولا يفر من النار وهو ايضاً كثير. اما الصنف الاول: فلا كلام لنا فيه فعلاً لان الطالب والهارب اذا كان عاملاً بمقتضى الطلب والهرب اي اتيان الواجبات وترك المحرمات فهو ممن ليس بنائم في الدنيا بل هو مصداق لقوله تعالى: ﴿رَجُلٌ لَا تُلَهِيبُهُمْ تجارةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٥)

واما الصنف الثاني: فهو ايضاً خارج عن طور البحث ولا كلام لنا فيه فعلاً وذلك لان من لا يكون طالباً لها ولا هارباً منها فهو ممن لا يعتقد بوجودهما وانهما للمطيعين والعاصين كاکثر الافراد ممن لادين لهم، ولا ايمان كأصناف

الكفار والمخالفين والطبيعيين وغيرهم.

واما الصنف الثالث: فهو محل الكلام والكلام ايضاً ناظرٌ اليه وذلك لان الطالب للجنة والهارب من النار لا يكون الا من اعتقد بوجودهما وان الجنة خلقت لمن اطاع الله ولو كان عبداً حبشياً والنار لمن عصاه ولو كان سيذاق قرشياً.

وانما قلنا ذلك لان طلب الشيء او الخوف والهرب منه لا يمكن ان يوجد الا بعد العلم بوجود المطلوب والمهرؤب عنه والا يلزم ان يكون طالباً للمجهول وهارباً منه ايضاً ولا يعقل طلب المجهول والفرار من المجهول فثبت ان الطلب والفرار يتوقفان على اصل الوجود ولا شك ان الاعتقاد بوجود الجنة والنار انما هو من خصائص اهل الملل من اليهود والنصارى والمسلمين وغيرهم من المتدينين بالاديان الالهية والمقتفين لاحكام الشرعية التي جاءت بها الانبياء والرسل ومن كان كذلك فلامحالة يطلب الجنة بما جعله الله سبباً ووسيلةً اليها ويهرب من النار بما جعله الله سبباً ووسيلةً لعدم دخولها وهذا المعنى ينافي النوم للطالب والهارب ولأجل هذا قال عليه السلام: وانى لم أر الخ. الذي هو بمنزلة التعجب منه عليه السلام.

والمقصود من هذا الكلام هو انه لا يمكن لأحد طلب الجنة والدخول فيها مع النوم في الدنيا الذي هو كناية عن الغفلة ولا الفرار من النار كذلك بل ينبغي لمن اراد الدخول في الجنة وعدم الدخول في النار من الأطاعة وترك العصيان والطاعة وترك العصيان مع النوم اعنى الغفلة والاشتغال بالدنيا والأنغمار فيها والاتبان بشهواتها ولذائذها الخيالية من المحالات فالدخول في الجنة والهرب من النار ايضاً محال لعدم وجود المسبب عند انتفاء سببه وقد ثبت في العلوم العقلية ان وجود المعلول يتوقف على وجود العلة بل لا وجود له عند عدم وجودها فكذلك فيما نحن فيه، هذا كله بالنظر الى العقل وهو مؤيد بالنقل ايضاً.

أما الآيات الواردة في الجنة وإن الدخول فيها لا يمكن إلا بالأعمال فكثيرة. منها ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (١)

و: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢)

و: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِنْ كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ نَدْعُونَهُ أَوْ كُنَّا صَادِقِينَ، بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ (٣)

و: ﴿قُلْ أُوْنَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِمَّنْ ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِالصَّالِحِينَ عَاطِفٌ﴾ (٤)

و: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٥)

و: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (٦)

و: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ قَالُوا لَيْدَخُلُونِ الْجَنَّةَ وَلَا يظَلْمُونَ نَقِيرًا﴾ (٧)

و: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (٨)

روى المجلسي (قده) بإسناده عن عبدالله ابن علي أنه لقي بلال مؤذن رسول الله فسأله فيما سألته عن وصف بناء الجنة قال: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، سمعت رسول الله ﷺ يقول إن سور الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولبنة من ياقوت وملاطها المسك الأزقر وشرقها الياقوت الأحمر والأخضر والأصفر.

١. البقرة - ٢٥.

٢. البقرة - ٨٢.

٣. البقرة - ١١٠ و ١١١.

٤. آل عمران - ١٥.

٥. آل عمران - ١٣٣.

٦. النساء - ٥٧.

٧. النساء - ١٢٤.

٨. الرعد - ٣٥.

قلت: فما أبوابها؟ قال ﷺ: أبوابها مُختلفة: باب الرُحمة من ياقوت حَمراء قلت: فما خلقته؟ قال ﷺ: وَيَحْك كَفَّ عَنِّي فَقَد كَلَّفَتْنِي شَطَطًا، قلت: ما انا بكافٍ عنك حتى تؤدى اليّ ما سمعت من رسول الله في ذلك، قال اكتب: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم اَمَّا باب الصَّبْر فَبَابٌ صَغِيرٌ مِصْرَاعٌ وَاحِدٌ مِنْ ياقوتة الحَمراء لآخِلق له.

وامَّا باب الشُّكر فَانَّه مِنْ ياقوتة بيضاء له مِصراعان مسيرة ما بينهما خمسمائة عام له ضَجِيجٌ وَحَنِينٌ يَقول: اللَّهُمَّ جِئْنِي بِأَهْلِي، قلت: هل يتكلم الباب؟ قال نعم ينطقه ذوالجلال والاكرام.

وامَّا باب البَلَاءِ قلت: أليس باب البلاء هو باب الصَّبْر قال لا قلت: فما البلاء؟ قال المَصائبُ والأَسقامُ والأمراضُ والجُدَامُ وهو بابٌ مِنْ ياقوتة صَفراءِ مِصراعٌ وَاحِدٌ ما أَقلُّ مِنْ يَدْخُلُ فِيهِ، قلت رَحِمَكَ اللهُ زِدْنِي وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ فَإِنِّي فَقِيرٌ، فقال: يا غلام لقد كَلَّفَتْنِي شَطَطًا.

امَّا البابُ الأَعْظَمُ، فَيَدْخُلُ مِنْهُ عِبَادُ الصَّالِحِينَ وَهُمْ أَهْلُ الرَّهْدِ وَالْوَرَعِ وَالرَّاغِبِينَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ المُسْتَأْنَسُونَ بِهِ، قلت: رَحِمَكَ اللهُ فَإِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ مَاذَا يَصْنَعُونَ قال: يَسِيرُونَ عَلَى نَهْرَيْنِ فِي مِصَافٍ فِي سَفْنِ الْيَاقوتِ مِجَازِيْقِهَا اللَّوْلُؤُ فِيهَا مِلائِكَةٌ مِنْ نُورٍ عَلَيْهِمُ ثِيَابٌ خُضْرٌ شَدِيدَةٌ خُضْرَتِهَا.

قلت: رَحِمَكَ اللهُ هَلْ يَكُونُ مِنَ النُّورِ أَخْضَرَ فَإِنَّ الثِّيَابَ هِيَ خُضْرٌ وَلَكِنْ فِيهَا نُورٌ مِنْ نُورِ رَبِّ الْعَالَمِينَ جَلَّ جِلالُهُ يَسِيرُونَ عَلَى حَافَتَيْ ذَلِكَ النُّهْرِ.

قلت: فما اسم ذلك النُّهْرِ؟ قال: جَنَّةُ المَأْوَى. قلت: هَلْ وَسَطُهَا غَيْرُ ذَلِكَ (هذا)؟ قال: نَعَمْ جَنَّةُ عَدْنٍ وَهِيَ فِي وَسْطِ الْجَنانِ فَأَمَّا جَنَّةُ عَدْنٍ فَسُورُهَا يَاقوتٌ أَحْمَرٌ وَحَصْبًا وَثِيابًا اللَّوْلُوءُ.

قلت: فهل فيها غير هذا؟ قال: نَعَمْ جَنَّةُ الفِرْدوسِ.

قلت: وكيف سُورُها؟ قال: وَيَحْكُ كَفَّ عَنِّي حَيَّرَتِ عَلَى قَلْبِي بَلْ أَنْتَ الْفَاعِلُ بِي ذَلِكَ ما انا بكافٍ عنك حتى تتمَّ بِي الصِّفَةُ، وتُخْبِرُنِي عَنْ سُورِها، قال

سورها نور.

قلت: والغَرْفُ التي هي فيها، قال: هي من نُورِ رَبِّ العالمين، قلت: زدني رحمك الله، قال: ويحك الى هذا انتهى بنا رسول الله ﷺ طوبى لك إن انت وَصَلْتَ الى بعض هذه الصِّفة وطوبى لِمَنْ يُؤْمِن بهذا الخبر، انتهى «بحار الانوار، ج ٣، ص ٣٢٤، ط كمياني»...

واما الآيات الواردة في النار ايضا كثيرة ولُشِرَ الى بعض منها:
منها ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١)

و: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢)
و: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٣)

و: ﴿وَنُضِلُّهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٤)
و: ﴿أُولَئِكَ مَا أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ (٥)
و: ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا أُولَئِكَ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٦)
و: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
و: ﴿آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَا أُولَئِكَ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٧)
و: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمَ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ
صَدِيدٍ﴾ (٨)

والآيات الواردة في الجنة والنار واوصافهما وانه لا يدخل النار الا العاصي ولا يدخل الجنة الا المطيع كثيرة في القرآن المجيد وفيما ذكرناه كفاية لأولى

٢. البقرة- ٣٩.

٤. النساء- ١١٥.

٦. التوبة- ٩٥.

٨. ابراهيم- ١٥.

١. البقرة- ٢٤.

٣. البقرة- ٨٦.

٥. النساء- ١٢١.

٧. يونس- ٧ و ٨.

الالباب وبعد ما عرفت الآيات الواردة فنرجع الى شرح كلامه عليه السلام فنقول للبحث فيه مقامات.

المقام الاول: فى إثبات وجود الجنة والنار عقلاً وشرعاً.

المقام الثانى: فى كيفيتهما واحوالهما.

المقام الثالث: فى طريق الوصول الى الجنة وعدم الدخول فى النار والموجبات للدخول فى النار.

اما البحث فى المقام الاول: فاعلم ان الجنة بفتح الجيم البستان من النخل والشجر واصلها من الستر كأن لتكائفها والتفاف اغصانها سميت بالجنة من جنه اذا ستره قال الله تعالى: مثل الجنة التى وعد المتقون.

والنار فى اللغة جوهراً لطيف مُحرق والكلمة مؤنثة وقد تذكر، وتصغيرها نؤيرة وجمعها أنور، نيران، ونيرة، ويكنى بها عن جهنم ثم ان الجنة والنار المبحوث عنهما والواردتان فى الآيات والأخبار اختلفوا فى انهما مخلوقتان ام لا فذهب جمهور المسلمين الى كونهما مخلوقتين الآن وقالت طائفة منهم من المسلمين كآبى هاشم والقاضى عبد الجبار ومن يجرى مجرايهما من المعتزلة بعدم مخلوقيتهما الآن الا انهما ستخلقان فى القيامة والحق هو الاول.

قال شارح المقاصد بعد ذكره ما نقلناه من الخلاف لنا على انهما مخلوقتان وجهان.

الاول قصة آدم وحواء واسكانهما الجنة ثم اخراجهما عنهما بأكل الشجرة وكونهما يخرصان عليهما ورق الجنة على ما نطق به الكتاب والسنة وانعقد عليه الاجماع قبل ظهور المخالفين وحملهما على بستان من بساتين الدنيا يجرى مجرى التلاعب بالدين والمراغمة لأجماع المسلمين ثم لاقائل بخلق الجنة دون النار فثبوتها ثبوتها.

الثانى الآيات الصريحة فى ذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَوْا نَزْلَةَ أُخْرَىٰ، عِنْدَ

سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى»^(١) وكقوله في حق الجنة «أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ»،
 أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ «آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنزَلْنَا لَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَزَّزْنَا بِقُوَّةٍ لَّعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»، وفي حق النار، «أَعَدَّتْ
 لِلْكَافِرِينَ»، وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ وَحَمَلَهَا عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ بِلَفْظِ
 الْمَاضِي مِبَالِغَةً فِي تَحْقِيقِهِ خِلَافَ الظَّاهِرِ فَلَا يَعْدِلُ إِلَيْهِ بَدُونَ الْقَرِينَةِ، ثُمَّ قَالَ لَمْ
 يَرِدْ نَصٌّ صَرِيحٌ فِي تَعْيِينِ مَكَانِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ فَوْقَ
 السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَتَحْتَ الْعَرْشِ تَشْبِيْهُاً بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا
 جَنَّةُ الْمَأْوَى»^(٢)، وَقَوْلُهُ ﷺ: الْجَنَّةُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَالنَّارُ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّبْعِ
 وَالْحَقُّ تَفْوِيضٌ ذَلِكَ إِلَى عِلْمِ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ انْتَهَى.

وَقَالَ الْمُحَقِّقُ الطُّوسِيُّ (قَدَّه) فِي التَّجْرِيدِ، وَالسَّمْعُ دَلٌّ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ
 مَخْلُوقَتَانِ الْآنَ وَالْمَعَارِضَاتُ مُتَأَوَّلَةٌ انْتَهَى.

وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْلَامِ اخْتَلَفُوا فِي أَنَّهَا (أَيِ الْجَنَّةِ) مَخْلُوقَةٌ الْآنَ أَمْ لَا وَالَّذِي
 ذَهَبَ إِلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ وَعَلَيْهِ الْمُحَقِّقُ الطُّوسِيُّ (قَدَّه) فِي التَّجْرِيدِ الْقَوْلُ بِوُجُودِهَا
 الْآنَ وَكُلٌّ مِنْ قَالَ بِخُلُقِ الْجَنَّةِ قَالَ بِخُلُقِ النَّارِ وَلِهَذَا الْقَوْلُ شَوَاهِدٌ مِنَ الْكِتَابِ
 وَالسُّنَنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» وَفِي حَقِّ النَّارِ «أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» إِلَى آخِرِ
 مَا ذَكَرَهُ (قَدَّه) ثُمَّ أَنَّ الْمُنْكَرِينَ لِمَخْلُوقِيَّتِهِمَا احْتَجَّوْهُ فِيهِ بِوُجُوهٍ ثَلَاثَةً.

أَحَدُهَا أَنَّ خُلُقَهُمَا قَبْلَ يَوْمِ الْجَزَاءِ عَبَثٌ لَا يَلِيقُ بِالْحَكِيمِ وَضَعْفُهُ ظَاهِرٌ.
 وَثَانِيهَا أَنَّهَا لَوْ خُلِقَتَا لَهَلَكْتَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»^(٣)
 وَاللَّازِمُ بَاطِلٌ لِلْأَجْمَاعِ عَلَى دَوَامِهِمَا وَالتَّصَوُّصِ الشَّاهِدَةِ بِدَوَامِ أَكْلِ الْجَنَّةِ
 وَظِلِّهَا وَقَدْ أَجَابُوا عَنْهُ:

أَمَّا أَوَّلًا: فَبِتَخْصِيصِهِمَا مِنْ آيَةِ الْهَلَاكِ فَكَأَنَّهُ قِيلَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا الْجَنَّةَ
 وَالنَّارَ جَمْعاً بَيْنَ الْأَدَلَّةِ.

وَثَانِيًا: بِحَمْلِ الْهَلَاكِ عَلَى غَيْرِ الْفَنَاءِ عَلَى مَا قِيلَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَلَاكِ كُلِّ شَيْءٍ

أنه هالك في حد ذاته لضعف الوجود الأمكاني فيتحقق للهالك في غير المعدوم.

وثالثاً: بأن الدوام المُجمع عليه هو أنه لأنقطاع لبقائهما ولا انتهاء لوجودهما بحيث يَبْقِيَانِ عَلَى الْعَدَمِ زَمَانًا يُعْتَدُّ بِهِ كَمَا فِي دَوَامِ الْمَأْكُولِ فَإِنَّهُ عَلَى التَّجَدُّدِ وَالْإِنْقِضَاءِ قَطْعًا وَهَذَا لَا يَنَافِي فَنَائِهَا لِحِظَةِ.

وثالثها أنه قال الله تعالى في وصف الجنة عرضها عرض السموات والأرض وذلك لا يتصور إلا بعد فناء السموات لأمتناع تداخل الأجسام وأجيب عنه بأن المراد عرضها كعرض السموات والأرض لأمتناع أن يكون عرضها عرضيهما بعينه لاحال البقاء ولا بعد الفناء إذ يمتنع قيام عرض واحد شخصي بمحلين موجودين معاً أو احدهما موجود والآخر معدوم وللتصريح في آية أخرى بأن عرضها كعرض السموات والأرض فيحمل هذه عليها وهذه الاحتجاجات الثلاثة مع اجوبتها قد ذكره القوشجى في شرحه على التجريد وانت خبير بما في هذه الدلائل واجوبتها.

وأما الفلاسفة فالجمهور منهم لا يقولون بأن الجنة والنار من الموجودات الخارجية المتأصلة سواء قلنا بخلقتهما الآن أم لا بل يقولون بأنهما صورتا غضب ورحمة له تعالى فالجنة صورة رحمته وجهنم صورة غضبه وذهبوا الى أنهما في هذه الدنيا كما لا يخفى على من مارس كلماتهم في هذا الباب ولازم هذا القول هو انكار وجودهما مطلقاً إلا أنا عرضنا عن ذكر دلائلهم واقاويلهم وما ذكروه في كتبهم ولا سيما المطولات منها كالاسفار والفتوحات المكية وغيرهما حذراً من التطويل وخوفاً من فساد العقيدة بالنسبة الى من لا يكون اهلاً لهذه الأبحاث ومُستَعَدًّا لِفَهْمِ الْكَلِمَاتِ مِضَافًا إِلَى أَنَّهُ لَا نَحْتَاجُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ الْمَسْلُومِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ إِلَى نَقْلِ بَعْضِ الْأَقْوَالِ الَّتِي لَا تَوَافُقُهَا الْآيَاتُ وَالْآثَارُ وَأَمَّا نَحْنُ فَنَقُولُ بِوُجُودِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِعْلًا وَأَنَّهُمَا مَوْجُودَانِ مُسْتَقْلَانِ فِي غَيْرِ هَذَا الْعَالَمِ اعْنَى عَالَمِ الْآخِرَةِ تَبَعًا لِلآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ:

أما الآيات فقد ذكرنا شطراً منها سابقاً وذلك لأن قوله تعالى في وصف الجنة «أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ»، وفي وصف النار «أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» وامثال ذلك من الآيات الدالات على كونهما موجودين الآن حيث أنه تعالى قد أخبر عن أعدادهما بلفظ الماضي وهو يدل على وجودهما والآ لزم الكذب والحمل على التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي عدول عن الظاهر من غير قرينة تدل عليه وهو ممنوع.

وأما الأخبار الواردة في الباب فكثيرة.

منها - مرواه أبو الصلت الهروي عن الرضا عليه السلام قال: قلت له يا بن رسول الله عن الجنة والنار أهما اليوم مخلوقتان؟

قال عليه السلام: نعم، وإن رسول الله قد دخل الجنة ورأى النار لما عُرج به إلى السماء، قال فقلت له إن قوماً يقولون إنهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين. فقال عليه السلام: ما أولئك منّا ولا نحن منهم من أنكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبي وكذبتنا وليس من ولا يتنا على شيءٍ ويُخلد في نارٍ جهنم انتهى...

ومنها - ما عن عليّ ابن ابراهيم قال حدثني ابن عن حماد عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ لما أُسرى بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت قصرًا من ياقوت أحمر يرى داخله من خارجه وخارجه من داخله وفيه بُنيان من دُرٍّ وزبرجد فقلت: يا جبرئيل لمن هذا القصر؟ فقال: لمن اطاب الكلام وادام الصيام وأطعم الطعام وتهدد بالليل والناس نيام انتهى والحديثان رواهما في مجمع البحرين مادة جنن انتهى...

ومنها - مرواه المجلسي (قدّه) باسناده عن زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال عليه السلام إن رسول الله ﷺ حيث أُسرى به على السماء لم يمرّ بخلقٍ من خلق الله إلا رأى منه ما يحبّ من البشر واللطف والسُرور به حتى مرّ بخلقٍ من خلق الله فلم يلتفت إليه ولم يقل له شيئاً فوجده قاطباً عابساً فقال عليه السلام: يا جبرئيل ما مررتُ بخلقٍ من خلق الله إلا رأيت اللطف والبشر والسُرور منه إلا هذا فمن هذا قال هذا مالك خازن النار هكذا خلقه ربه قال عليه السلام فإني أحبّ أن

تطلب اليه ان يُريني النار فقال له جبرئيل انّ هذا محمّد رسول الله ﷺ وقد سألتني ان أطلب اليك ان تُريه النار قال فأخرج له عنقاً منها فرآها فلما أبصرها لم يكن ضاحكاً حتّى قبضه الله تعالى عزّ وجلّ انتهى «بحار الانوار، ج ٣، ص ٣٧٣»...

ومنها - مارواه باسناده عن ابى بكر مثله وفيه قد سألتني ان أسئلك ان تراها ايّاه قال فكشّف له طبّقاً من اطباقها قال ﷺ فما افتقر رسول الله ضاحكاً حتّى مات انتهى «ص ٣٧٤»...

ومنها - مارواه ايضاً باسناده عن ابى جعفر وقال ﷺ والله ما خلّت الجنّة من أرواح المؤمنين منذ خلقها ولا خلّت النار من ارواح الكفار منذ خلقها عزّ وجلّ الخبر «ص ٣٧٤»...

ومنها - مارواه باسناده عن ابن عباس قال قدم يهوديان فسألا امير المؤمنين ﷺ فقالا اين تكون الجنّة واين تكون النار قال ﷺ اما الجنّة ففي السّماء واما النار ففي الأرض، انتهى «ص ٣٧٤»...

ومنها - ما باسناده عن ابى بصير عن ابى عبدالله ﷺ قال ﷺ ما خلق الله خلقاً إلا جعل له من الجنّة منزلاً وفي النار منزلاً فاذا اسكن اهل الجنّة الجنّة واهل النار النار نادى منادياً اهل الجنّة أشرفوا فيُشرفون على النار ويرفع لهم منازلهم فيها ثمّ يقال لهم هذه منازلكم التي لو عصيتم الله دخلتموها قال ﷺ فلوان احداً مات فراحاً لمات اهل الجنّة في ذلك اليوم فراحاً لما صرف عنهم من العذاب، ثمّ يُنادى منادياً اهل النار ارفعوا رؤسهم فينظرون الى منازلهم في الجنّة وما فيها من النعيم فيقال لهم هذه منازلكم التي لو اطعتم ربكم دخلتموها قال ﷺ فلوان احداً مات حزيناً لمات اهل النار حزيناً فيورث هؤلاء منازل هؤلاء ويورث هؤلاء منازل هؤلاء، انتهى «ص ٣٧٤»...

ومنها - مارواه باسناده عن ابى الصلت الهزوى عن الرضا ﷺ قال قلت له ﷺ اخبرني عن الجنّة والنار الخبر وهو الذي نقلناه عن مَجْمَع البحريين. ومنها مارواه باسناده عن معاوية ابن وهب قال كُنّا عند ابى عبدالله ﷺ

فقرأ رجل قل أعوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ فقال الرَّجُلُ وما الفَلَقُ قال ﷺ صَدَعُ في النَّارِ فيه سَبْعُونَ الفِ دارٍ في كلِّ دارٍ سَبْعُونَ الفِ بيتٍ في كلِّ بيتٍ سَبْعُونَ الفِ أُسُودٌ في جَوْفِ كلِّ اسودٍ سَبْعُونَ الفِ جُرَّةٌ سَمٌّ لا بَدَّ لاهلِ النَّارِ ان يَمْرُوا عليها انتهى «ص ٣٧٤»...

ومنه - مارواه عن الصَّادِقِ ﷺ في خبر المعراج قال قال النَّبِيُّ ﷺ سمعتُ صَوْتاً أَفْرَعَنِي فقال لي جبرئيلُ تَسْمَعُ يا مُحَمَّدُ؟ قلت: نعم قال هذه صَخْرَةٌ قَذَفْتُها عن شفيرِ جهنَّمَ منذُ سَبْعِينَ عاماً فهذا حين استقرَّت قالوا فما ضحك رسولِ اللهِ ﷺ حتَّى قُبِضَ قال ﷺ فَصَعِدَ جبرئيلُ وَصَعِدَتِ حتَّى نَخَلتِ سماءَ الدُّنيا فما لقيني مَلَكٌ إلا وهو ضاحِكٌ مُستبشِرٌ حتَّى لَقِيتُ مَلَكاً من الملائكةِ لَمْ أَرِ أعظمَ خَلْقاً منه كَرِهَ المَنْظَرَ ظاهرِ الغَضَبِ فقال لي مثل ما قالوا من الدَّعاء إلا انَّهُ لَمْ يَضْحَكْ وَلَمْ أَرِ فيه الأَسْتَبْشارَ ما رأيتُ ممَّن ضحك من الملائكةِ فقلتُ مَنْ هذا يا جبرئيلُ فأتى قد فزعَتْ منه فقال يجوز ان تَفْرَعَ منه فكُنَّا يَفْرَعُ منه انَّ هذا مالِكُ خازنِ النَّارِ لَمْ يَضْحَكْ قَطُّ وَلَمْ يَزَلْ منذُ وِلاهُ جهنَّمَ يَزِدُّ كلَّ يومٍ غَضَباً وَغَيْظاً على اعداءِ اللهِ وَاهلِ معصيته فَيَنْتَقِمُ اللهُ به منهم الخبر «ص ٣٧٥»...

والرَّواياتُ في البابِ من العامَّةِ والخاصَّةِ كثيرةٌ كلُّها تدلُّ على كونِ الجَنَّةِ والنَّارِ مخلوقتينِ الآنِ وانت تَرى صراحتها على المُدَّعى فكيف يمكن لمن آمَنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وَصَدَّقَ النَّبِيَّ وما جاء ﷺ به انكارِ وجُودهما بتأويلِ هذه الرَّواياتِ كلِّها والآياتِ الواردةِ صريحةً في وجُودهما فالحقُّ في المقامِ هو القولُ بشبوتهما ووجُودهما واقوالِ المخالفِ تُضربُ على الجدارِ. واما الدليلُ العقليُّ على وجُودهما فَلَمْ يَقُمْ من احدٍ من اربابِ التَّحقيقِ لَأَنَّ المَوْضوعَ ليس من العقليَّاتِ حتَّى يَتَطَرَّقَ الدليلُ اليه بل هو من السَّمْعِياتِ الَّتِي لا بَدَّ لكلِّ مؤمنٍ بها الأيمانُ بها والأعتقادُ بمضامينها نعم لو كان المَسْمُوعُ من الأمورِ الَّتِي حكمَ العقلُ بأستحالةِها باجتماعِ النَّقضينِ والضَّدينِ وغيرهما ممَّا هو بديهيُّ البطلانِ فلامناسٍ من تأويلِ السَّمْعِ ان أمكن وتكذيبه في صورة

عدم امکان التأويل وما نحن فيه ليس من هذا القبيل لأنه لم يَقم دليل عقلاً على استحالة كونهما مخلوقتين الآن وإيَّ مَحذُور فيه بل العَقل يحكم بإمكان القضية دون امتناعها وإذا كانت القضية محكومة بالإمكان ولم يَقم دليل على امتناعها فَبَقِيَ على الامكان وبضميمة الشواهد السَّمعية عن الصادق نحكم بِفِعْلِيَّتِهَا ايضاً وهو المطلوب.

والعَجَب من الفلاسفة الأَسلامية مع ادعائهم الأَسلام والأيمان كيف انكروا وجودهما الجِسْماني الفعلي مع وجود هذه الآيات والروايات الدالات على وجودهما فعلاً وإيَّ اشكالٍ في وجودهما الآن عقلاً حتَّى نقول بمقالاتهم ونَسَلُك مَسَلِكِهِمْ ونُرفَع اليد عن ظواهر الآيات والاختبار.

واعجب من هذا كلّه ما ذهب اليه صدر المتألّهين (قدّه) تبعاً لهم في كتبه الفَلَسَفِيَّة ولا سيّما المطوّلات منها كالأسفار ومفاتيح الغيب والشواهد الرُّبوبيَّة وغيرها حيث أنكر وجودهما الجِسْماني الفعلي الآن في عالمٍ غير هذا العالم ونحن نذكر اجمالاً من تفصيله.

قال في فصل ٢٤ في بيان ماهية الجنّة والنار ما هذا الفظه:

أما الجنّة فهي كما دلّ عليه الكتاب والسنة مطابقاً للبرهان والكشف دار البقاء ودار السّلام لا موت فيها ولا هَرم ولا سُقم ولا غَمّ ولا هَمّ ولا دُثور ولا زوال وهي دار المقامة والكرامة لا يَمَسُّ أهلها فيها نَصَبٌ ولا لُغُوبٌ لهم فيها ما تشتهى الأنفُس وتلذُّ الأعيُن وهم فيها خالدون وأنها دارُ أهلها جيران الله وأوليائه وأحبّائه وأهل كرامته وأنهم على مراتب متفاضلة منهم المُتَنَعِّمُونَ بِتَسْبِيحِ اللهِ وتَقْدِيسِهِ وتَكْبِيرِهِ في جملة ملائكة المقربين.

ومنهم المُتَنَعِّمُونَ باللذات المحسوسة كأنواع المأكَل والمشارب والفواكه والآرائك ونكاح حور العين واستخدام الولدان المُتخلّدين الى ان قال وكلّ منهم أنما يتلذذ بما يشتهى ويُريد على حسب ما تعلقت به همّته وبالجملة مبادئ الأكوان في عالم الجنان أنما هي الأمور الإدراكية والجهات الفاعلية ولا دخل لها للمواد والأسباب القابلية لأن وجود الأشياء هناك وجود صوريّ من

غير مادة ولا حركة ولا انفعالٍ وَتَجَدُّدٍ وانتقالٍ، انتهى.

وقال في ماهية النار: وأما النار فهي دار أهلها في هوانٍ وأسقامٍ وأحزانٍ وآلامٍ وجوعٍ وعطشٍ وتجددٍ عذابٍ وتبدلٍ جلودٍ وساق الكلام الى ان قال ومما يجب ان تعلم ان الجنة التي خرجت منها ابونا آدم وزوجته لاجل خطيئتهما هي جنة الأرواح المسماة عند اهل المعرفة والشريعة موطن العهد ومنشاء اخذ الذرية هي غير الجنة التي وعد المتقون وهي جنة البرزخ لان هذه لا يكون لكل احد الا بعد انقضاء حياته الدنيوية بموته وللكل الا بعد خراب الدنيا وبوار السموات والأرض وانتهاء الحركات وبلوغ الغايات وان كانتا متفقين في الحقيقة والمرتبة الوجودية لكونهما جميعاً دار الحياة الذاتية والوجود الإدراكي الصوري من غير تجدد ولا دثور.

ثم قال بعد كلام وقد علمت أن ليس للأخرة مكان في هذا العالم لا في علوه ولا في سفله لأن جميع ما في أمكنة هذا العالم متجددة دائرة مستحيلة فانية وكل ما هو كذلك فهو من الدنيا وهي في داخل هذا العالم وفي باطن حجب السموات والأرض ومنزلتها من الدنيا منزلة الجنين من رحم الأم الى آخر ما قال. وقال في آخر فصل ٢٦ ما هذا لفظه:

مكاشفة تنبيهية، اعلم هداك الله لسلوك الآخرة على الصراط المستقيم ان الجنة التي يصل اليها من هو من اهلها هي مشهودة لك اليوم من حيث محلها (وقال السبزواري في حاشيته على هذا الكلام وهو باطن النفس وملكاتهما العلمية والعملية) لامن حيث صورتها وانت تتقلب فيها على الحال التي أنت عليها ولا تعلم أنك فيها فان الصورة الطبيعية تمنعك وتجبك (تحجبك) من مشاهدتها ومشاهدة ما أعدت فيها من نعيمها وغرفاتها وأشجارها وأنهارها وطعامها وشرابها ثم انه بعد ما ذكر ان اهل الكشف يرون ما يرون ومن لم يكن من اهل الكشف بقي في عماء حجابيه، قال.

وقد علمت ان جنة المؤمن او جحيم الكافر ليست بامر خارج عن نفسه

فاذا كانت مُعدّة اليوم كانت متصلة بها وان كان هو في حجاب عنها لانّ الله قد يحوّل بين المرء وقلبه فكيف بينه وبين قلبه او جحيمه انتهى.

وقال في فصل ٢٧ بعد ما نقل اقوالا في الباب من ابن عربي في الفتوحات، ما هذا اللفظ:

فَتَحَقَّقْ وَتَبَيَّنْ مِنْ جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَنَقَلْنَاهُ اِنَّ الْجَنَّةَ الْجِسْمَانِيَّةَ عِبَارَةٌ عَنِ الصُّورِ الْاِدْرَاكِيَّةِ الْقَائِمَةِ بِالنَّفْسِ الْخِيَالِيَّةِ مِمَّا تَشْتَهِيهَا النَّفْسُ وَتَتَلَذُّهَا وَلَا مَادَّةَ وَلَا مَظْهَرَ لَهَا اِلَّا النَّفْسُ وَكَذَا فَاعِلُهَا وَمُوجِدُهَا الْقَرِيبُ وَهُوَ هِيَ لِاِغْيَابِهَا وَانَّ النَّفْسَ الْوَاحِدَةَ مِنَ النَّفُوسِ الْاِنْسَانِيَّةِ مَعَ مَا تَتَصَوَّرُهُ وَتُدْرِكُهُ مِنَ الصُّورِ بِمَنْزِلَةِ عَالَمٍ عَظِيمٍ اِنْسَانِيٍّ (نَفْسَانِيٍّ) اَعْظَمَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الْجِسْمَانِيِّ بِمَا فِيهِ وَانَّ كُلَّ مَا يَوْجَدُ فِيهَا مِنَ الشَّجَرِ وَالْاَنْهَارِ وَالْاَبْنِيَّةِ وَالغُرَفَاتِ كُلِّهَا حَيَّةٌ بِحَيَاتٍ ذَاتِيَّةٍ وَحَيَاةٌ كُلِّهَا حَيَاةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ حَيَاةُ النَّفْسِ الَّتِي تُدْرِكُهَا، وَتُوجِدُهَا وَانَّ اِدْرَاكِيَّهَا لِلصُّورِ هُوَ بَعِينُهُ اِيْجَادُهَا لَهَا لِاَنَّهَا اِدْرَاكِيَّتُهَا فَاَوْجَدْتَهَا اَوْ اَوْجَدْتَهَا فَاِدْرَاكِيَّتُهَا اَنْتَهَى مَا رَدَدْنَا ذِكْرَهُ.

وقال في مفاتيح الغيب والشواهد الربوبية وسائر كتبه كما قال في الأسفار مع تفاوت وتغيير في الفاظها وان شئت الاطلاع عليه فراجعها حتى يتبين لك الحال وقد علمت مما ذكرناه ونقلناه عنه ان الجنة والنار اللتان اعتقد بهما وأثبت وجودهما غير الجنة والنار اللتان نحن بصددهما تبعاً للآيات والآثار فالجنة التي وعد المتقون بها غداً غير الجنة التي قال بها في كلماته من الجنة الخيالية التي هي من ادراكات النفس وخيالاتها وكذا النار التي أعدت للكافرين غير ما تخيله وارتسمه في ذهنه فهذه الكلمات كما ترى منافية لطواهر الآيات والأخبار مخالفة لما نطقت به الآثار ولا يمكن رفع اليد عن الكتاب والسنة او تأويلها على خلاف العقل والنقل والأخذ بهذه الأقاويل الفاسدة الكاذبة الموهومة المستخرجة من اوهام ابن عربي وامثاله ممن سموهم بالعرفاء فان العارف الحقيقي من كان عارفاً بالكتاب والسنة معتقداً بما نطقا به لامن أول

الآيات والآثار من غير مُجَوِّزٍ عَقْلِيٍّ او شَرَعِيٍّ عَلَى مَذْهَبِهِ وَمَسْلَكِهِ وَأَنَّى
 أَتَعَجَّبُ مِنْ هَذَا الْفِيلَسُوفِ الْكَبِيرِ وَالْمُحَقِّقِ الشَّهِيرِ اعْنَى بِهِ صَاحِبِ الْأَسْفَارِ
 كَيْفَ ذَهَبَ إِلَى مَا ذَهَبَ مَعَهُ عِلْمُهُ بِأَنَّ مَا ارْتَضَاهُ مُخَالَفٌ لِلآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ ظَاهِرًا
 مَعَ أَنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِحَبْلِ وَلَايَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ يَتَقِينًا وَكَيْفَ تَمَسَّكَ فِي
 اثْبَاتِ هَذِهِ الْأَوْهَامِ بِمَقَالَاتِ ابْنِ عَرَبِيٍّ فِي الْفَتْوَحَاتِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ فِيهَا
 إِلَّا حَشْوًا وَهَزْلًا وَإِنْ سَمَّاهُ كَشْفًا وَشَهُودًا، أَوْ مَا عَلِمَ أَنَّ الْمَقَامَ لَيْسَ مِمَّا يُتَطَرَّقُ
 إِلَيْهِ بِالْكَشْفِ وَالرِّيَاضَةِ الْخَيَالِيَّةِ إِذْ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنُّوه وَتَخَيَّلُوهُ مِنْ اثْبَاتِهِ
 بِالْكَشْفِ لَمَا أَحْتَجْنَا إِلَى بَعْثِ الرَّسْلِ وَأَنْزَالِ الْكُتُبِ وَهُوَ ظَاهِرٌ.

وَبَعْدَ اللَّتْيَا وَاللَّتْيَا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْأَعْتِقَادِ بِهَذِهِ الْأَقَاوِيلِ بَلْ نَقُولُ بِمَا جَاءَ بِهِ
 الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ وَجُودِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْآنَ فِي عَالَمٍ غَيْرِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَادِي
 وَأَنْهُمَا مَخْلُوقَتَانِ كَسَائِرِ مَخْلُوقَاتِهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا كَيْفِيَّتُهُمَا عَلَى مَا هُمَا عَلَيْهَا فَلَا عِلْمَ لَنَا بِهَا إِلَّا مَا بَيَّنَّتْهُ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ لَنَا
 وَلَا ضَمِيرَ فِيهِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَيْثُ أَنْهُمَا لَيْسَتَا مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ، وَالْعَقْلِيَّاتِ
 بَلْ مَوْجُودَتَانِ بِوَجُودِ عَيْنِي فِي عَالَمٍ آخَرَ الَّذِي هُوَ غَائِبٌ عَنِ الْحَوَاسِ
 وَالْعُقُولِ فَعَدَمُ الْعِلْمِ بِهِمَا تَفْصِيلًا مِمَّا لَا اشْكَالَ فِيهِ وَلَا أَنَا أُمِرْنَا بِالتَّحْقِيقِ
 وَالتَّفْتِيشِ فِيهِمَا بَلْ أُمِرْنَا بِالْأَعْتِقَادِ بِوَجُودِهِمَا وَهَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْأَعْتِقَادِ يَكْفِينَا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

المقام الثاني في كَيْفِيَّتِهِمَا وَأَحْوَالِهِمَا:

رَوَى الْمَجْلِسِيُّ (قَدَّه) بِالْأَسْنَادِ رَفَعَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ قَالَ لِي جِبْرِئِيلُ قَدْ أَمَرْتُ الْجَنَّةَ
 وَالنَّارَ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْكَ قَالَ ﷺ فَرَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَرَأَيْتُ النَّارَ
 وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ وَالْجَنَّةَ فِيهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْهَا أَرْبَعُ كَلِمَاتٍ
 كُلُّ كَلِمَةٍ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لِمَنْ يَعْلَمُ وَيَعْمَلُ بِهَا وَلِلنَّارِ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى
 كُلِّ بَابٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ كَلِمَاتٍ كُلُّ كَلِمَةٍ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لِمَنْ يَعْلَمُ بِهَا

ويعمل بها فقال لي جبرئيل يا محمد اقرأها على الأبواب فقرأت ذلك أما ابواب الجنة.

فَعَلَى أَوَّلِ بَابٍ مِنْهَا: مَكْتُوبٌ لِإِلَهِ الْإِلَهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيُّ وَلِيُّ اللَّهِ لِكُلِّ شَيْءٍ حِيلَةٌ وَحِيلَةُ الْعَيْشِ أَرْبَعٌ خِصَالٌ: الْقِنَاعَةُ، وَبَذْلُ الْحَقِّ، وَتَرْكُ الْحِقْدِ، وَمَجَالِسَةُ أَهْلِ الْخَيْرِ.

وعلى الباب الثاني: مَكْتُوبٌ لِإِلَهِ الْإِلَهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيُّ وَلِيُّ اللَّهِ لِكُلِّ شَيْءٍ حِيلَةٌ وَحِيلَةُ السُّرُورِ فِي الْآخِرَةِ أَرْبَعٌ خِصَالٌ: مَسْحُ رِوْءِ الْيَتَامَى، وَالتَّعَطُّفُ عَلَى الْأَرَامِلِ، وَالسَّعْيُ فِي حَوَائِجِ الْمُؤْمِنِينَ وَالتَّفَقُّدُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

وعلى الباب الثالث: مَكْتُوبٌ لِإِلَهِ الْإِلَهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيُّ وَلِيُّ اللَّهِ لِكُلِّ شَيْءٍ حِيلَةٌ وَحِيلَةُ الصَّحَّةِ فِي الدُّنْيَا أَرْبَعٌ خِصَالٌ: قَلَّةُ الْكَلَامِ وَقِلَّةُ الْمَنَامِ وَقِلَّةُ الْمَشْيِ وَقِلَّةُ الطَّعَامِ.

وعلى الباب الرابع: مَكْتُوبٌ لِإِلَهِ الْإِلَهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيُّ وَلِيُّ اللَّهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمِ وَالِدَيْهِ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلِّ خَيْرًا أَوْ يَسْكُتَ.

وعلى الباب الخامس: مَكْتُوبٌ لِإِلَهِ الْإِلَهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيُّ وَلِيُّ اللَّهِ مَنْ أَرَادَ أَنْ لَا يُظْلَمَ فَلَا يُظْلَمِ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ لَا يُسْتَمَّ فَلَا يَسْتَمِ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ لَا يُذَلَّ فَلَا يُذَلَّ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوَثْقَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيُقِلِّ لِإِلَهِ الْإِلَهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيُّ وَلِيُّ اللَّهِ.

وعلى الباب السادس: مَكْتُوبٌ لِإِلَهِ الْإِلَهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيُّ وَلِيُّ اللَّهِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ قَبْرُهُ وَسِيعًا فَسِيعاً فَلْيَبْنِ الْمَسَاجِدَ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ لَا تَأْكُلَهُ الدَّيْدَانُ تَحْتَ الْأَرْضِ فَلْيَسْكُنِ الْمَسَاجِدَ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ طَرِيًّا مَطْرًا لَا يَبْلَى فَلْيَكُنِ الْمَسَاجِدَ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرَى مَوْضِعَهُ فِي الْجَنَّةِ فَلْيُكْسِ

المساجد بالبُسُط.

وعلى الباب السابع: مكتوبٌ لاله الآلهة محمٌ رسول الله على ولى الله، بياض القلب فى اربع خصال: عيادة المريض واتباع الجنائز وشراء الأكفان وورد القرص.

وعلى الباب الثامن: مكتوبٌ لاله الآلهة محمٌ رسول الله على ولى الله، من أراد الدُخول من هذه الابواب فليتمسك باربعة خصال: السخاء وحسن الخلق والصدقة والكف عن اذى عباد الله تعالى ورأيت على ابواب النار.

على الباب الاول، مكتوبٌ ثلاث كلمات: من رجا الله سَعِدَ ومن خاف الله آمِنَ ومن خاف غير الله ورَجَا غيره فهو الهالك المغرور

وعلى الباب الثانى، من أراد أن لا يكون عُرياناً يوم القيمة فليكس الجلود العارية فى الدنيا ومن أراد أن لا يكون عطشاناً يوم القيمة فليسبق العطاش فى الدنيا، ومن أراد أن لا يكون يوم القيمة جائعاً فليطعم البُطون الجائعة فى الدنيا.

وعلى الباب الثالث، مكتوبٌ لعن الله الكاذبين لعن الله الباخلين لعن الله الظالمين.

وعلى الباب الرابع، مكتوبٌ ثلاث كلمات أدل الله من اهان الأسلام أدل الله من اهان اهل البيت أدل الله من اعان الظالم على ظلمهم للمخلوقين.

وعلى الباب الخامس، مكتوبٌ ثلاث كلمات لا تتبُعُوا الهوى فالهوى يُخالف الايمان ولا تكثر منطقتك فيما لا يعينك فتسقط من رحمة الله ولا تكن عوناً للظالمين.

وعلى الباب السادس، مكتوبٌ انا حرام على المُجتهدين انا حرام على المُتصدقين انا حرام على الصائمين.

وعلى الباب السابع، مكتوبٌ ثلاث كلمات حاسبوا أنفسكم قبل ان

تُحَاسِبُوا وَبُخُو نَفُوسِكُمْ قَبْلَ أَنْ تَوْبَخُوا وَادْعُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ تَرِدُوا عَلَيْهِ وَلَا تَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ أَنْتَهَى...

روى في البحار أيضاً بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام: قال عليه السلام:
أَحْسِنُوا الظَّنَّ بِاللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ لِلجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ عَرَضَ كُلِّ بَابٍ مِنْهَا مَسِيرَةٌ أَرْبَعِينَ أَلْفَ سَنَةٍ أَنْتَهَى...

وأيضاً عن أبي جعفر عليه السلام: قال قال عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام طُوبَى شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ أَصْلُهَا فِي دَارِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَلَيْسَ مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَفِي دَارِهِ غُصْنٌ مِنْ أَغْصَانِهَا لَا يَنْوِي فِي قَلْبِهِ شَيْئاً إِلَّا آتَاهُ ذَلِكَ الْغُصْنُ بِهِ وَلَوْ أَنَّ رَاكِباً مُجِدَّاً سَارَ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا وَلَوْ أَنَّ غُرَاباً طَارَ مِنْ أَصْلِهَا مَا بَلَغَ أَعْلَاهَا يُبَاضُ هَرِمًا إِلَّا فِي هَذَا فَارْغَبُوا الْخَيْرَ «ج ٣، ص ٣٢٩»...

وإسناده عن عطية عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكتوبٌ على باب الجنة لا اله الا الله محمد رسول الله عليُّ اخو رسول الله قبل ان يخلق الله السموات والأرض بألفي عام «ج ٣، ص ٣٢٩»...

وإسناده عن علي عليه السلام: قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ الْجَنَّةَ خَلَقَهَا مِنْ لِنَبْتَيْنِ لِنَبَةٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلِنَبَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَجَعَلَ حَيْطَانَهَا الْيَاقُوتَ وَسَقْفَهَا الزَّبْرَجْدَ وَحَصْبَائِهَا اللُّؤْلُوءَ وَتَرَابُهَا الزَّعْفَرَانَ وَالْمَسِيكَ الْأَزْفَرَ فَقَالَ لَهَا تَكَلَّمِي فَقَالَتْ: لا اله الا انت الحي القيوم قد سعدت من يدخلكني، فقال عز وجل بعزتي وعظمتي وجلالي وارتفاعي لا يدخلها مُدْمِنٌ خَمِرٍ وَلَا سِكِّيرٌ وَلَا قَتَاتٌ وَهُوَ النَّمَامُ وَلَا دَيْوُوثٌ وَهُوَ الْقَلْطَبَانُ وَلَا قَلَاعٌ وَهُوَ الشُّرْطَى وَلَا خُيُوفٌ وَهُوَ النَّبَاشُ وَلَا عَشَّارٌ وَلَا قَاطِعٌ رَحِمٍ وَلَا قَدِيرِي، انتهى «ج ٣، ص ٣٢٩»...

وإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال أبو بصير قلت له يا ابن رسول الله خوّفني فإن قلبي قد قسا، فقال يا أبا محمد استعد للحياة الطويلة فإن جبرئيل جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجيء وهو مُتَبَسِّمٌ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا جبرئيل جئتني اليوم قاطباً فقال: يا محمد قد

وُضِعَتْ مَنَافِخُ النَّارِ فَقَالَ وَمَا مَنَافِخُ النَّارِ يَا جِبْرَائِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَمَرَ بِالنَّارِ فَنَفِخَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى أَبْيَضَتْ ثُمَّ نَفِخَ عَلَيْهَا حَتَّى أَحْمَرَتْ، ثُمَّ نَفِخَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى أَسْوَدَّتْ فَهِيَ سُودَاءٌ مُظْلَمَةٌ لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الضَّرِيحِ قَطَرَتْ فِي شَرَابِ أَهْلِ الدُّنْيَا لَمَاتَ أَهْلُهَا مِنْ نَتْنِهَا وَلَوْ أَنَّ حَلَقَةً وَاحِدَةً مِنَ السَّلْسَلَةِ الَّتِي طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً وَضُغْتُ عَلَى الدُّنْيَا لَذَابَتْ الدُّنْيَا مِنْ حَرِّهَا وَلَوْ أَنَّ سِرْبَالاً مِنْ سِرَابِيلِ أَهْلِ النَّارِ عُلِقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَمَاتَ أَهْلُ الدُّنْيَا مِنْ رِيحِهِ، قَالَ فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبَكَى جِبْرَائِيلُ فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمَا مَلَكاً فَقَالَ لِهَئَانٍ رَبِّكُمْ يَقْرَءُ كَمَا السَّلَامُ وَيَقُولُ قَدْ آمَنْتُكُمْ إِنْ تَذَنَّبَا ذَنْباً أُعَذِّبُكُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَمَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرَائِيلَ مُتَبَسِّمًا بَعْدَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ ﷺ إِنَّ أَهْلَ النَّارِ يُعْظَمُونَ النَّارَ وَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُعْظَمُونَ الْجَنَّةَ وَالنَّعِيمَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ إِذَا دَخَلُوهَا هِيَ وَفِيهَا مَسِيرَةٌ سَبْعِينَ عَاماً فَإِذَا بَلَغُوا أَعْلَاهَا قَمَعُوا بِمَقَامِعِ الْحَدِيدِ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّمَا ارَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ثُمَّ تُبَدَّلُ جُلُودُهُمْ غَيْرَ الْجُلُودِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ حَسْبُكَ قَلْتُ حَسْبِي حَسْبِي أَنْتَهَى وَإِنَّا أَقُولُ لَكَ حَسْبُكَ أَيُّهَا الْقَارِي فَقُلْ حَسْبِي حَسْبِي «ج ٣، ص ٣٧٢»...

وحيث أن الآيات والأخبار في الجنة والنار وأحوالهما من النعيم والعذاب أكثر من أن تُحصى فإلحاحنا إلى إطالة الكلام بها وما ذكرناه تيمناً وتبركاً لنلأ يخلوا البحث عن الآيات والآثار والآلام موضع أظهر وأبين مما تصوّرنا وزعمناه.

المقام الثالث: في موجبات الدخول في الجنة والفرار من النار فيقع الكلام

في أصليين:

الأصل الأول في الأمور التي توجب الدخول في الجنة والقرار فيها وهي كثيرة بحيث لا يمكن إحصائها تفصيلاً إلا أن الجامع لها هو العمل الصالح تقرباً إليه تعالى والأجتناب عن المعاصي والأصل فيها هو الطاعة والعصيان فالطاعة توجب الجنة والعصيان يوجب النار وإن شئت قلت:

الايمان بالله ورسوله وجميع ما جاء به مع العمل بالأركان على مقتضى ايمانه يوجب الجنة كما ان عدمه يوجب النار والخلود فيها وقد ذكرنا شرطاً من الآيات الواردة فى المقام الدالات على انه لا يمكن الدخول الى الجنة الا بالايمان والعمل الصالح ولذلك ترى الآيات الواردة فى المقام كلها او جلها مُصَدَّر بالايمان والعمل الصالح.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(١). وما يفيد هذا المعنى:

و: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٢)

و: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣)

و: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٤)

و: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٥)

و: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾^(٦)

و: ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٧)

و: ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٨)

و كثير من الآيات التى اذا لاحظتها وشاهدتها تراها تدور مدار العمل الصالح المنبعث من الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر فعلم من ذلك كله ان الملاك كل الملاك فى الاعمال الصالحة التى توجب التقرب اليه تعالى والدخول للجنة التى وعد المتقون بها انما هو الايمان لاغير وقد ثبت فى مذهبنا اعنى مذهب الامامية ان الايمان، لا يتحقق بدون العمل بل الايمان ليس الا العمل بالأركان وهذا هو المراد بقولنا ان الموجب للدخول فيها ليس الا العمل بالأركان وهذا هو المراد بقولنا الموجب للدخول فيها ليس الا العمل الصالح المنبعث عن

١. البقرة- ٢٧٧.

٢. البقرة- ٢٥.

٣. آل عمران- ١٣٣.

٤. المائدة- ٢٧.

٥. المائدة- ١١٩.

٦. الاعراف- ٩٦.

٧. ابراهيم- ٢٣.

٨. المائدة- ٨٥.

الايمان الا ان هذا العمل الصالح له مصاديق في الخارج كسائر الكليات الطبيعية فتارة ينطبق على الصلوة مثلاً وتارة على الصوم وتارة على الحج وتارة على الزكوة وهكذا ولاشكال في كون هذه المصاديق ايضاً كليات بالنسبة الى افرادها فان الصلوة مثلاً من الكليات الصادقة على مصاديقها صلوة المسافر والحاضر والخوف والالتستقاء والعيد والزلزلة وامثالها وكذا الصوم وسائر الاحكام الشرعية باعتبار وجودها الخارجى وهذا كالجسم مثلاً فانه كلى له مصاديق من جسم الحيوان وجسم الانسان وجسم الشجر وجسم الحجر وغيرها.

مع ان كل واحد منها ايضاً من الكليات بالقياس الى الافراد المندرجة تحته والجوهر مثلاً هكذا والوجود هكذا ولاجل هذا قالوا بالكلية الحقيقية والكلية الاضافى والجزئى الحقيقى والاضافى وتحقيق الكلام فى هذه الموضوعات من وظائف علم الميزان.

ثم ان صدق الكلى اعنى العمل الصالح على مصاديقه هل هو بالتواطؤا اوبالتشكيك الحق هو الثانى خلافا لما ذهب اليه بعض من لاخبرة له بانه من قبيل الاول وذلك لان صدقه على الصلوة مثلاً أشد او اكمل من صدقه على غيرها مما هو دونها مرتبة لقوله ﷺ فيها الصلوة عمود الدين، ان قبلت قبل ما سواها وان ردت ردت ما سواها.

وقوله: الصلوة معراج المؤمن، وقوله: من ترك الصلوة عمداً فقد كفر، ولم يقل من ترك الصوم عمداً فقد كفر، وكالولاية حيث انها افضل وأشرف من كلها لقوله ﷺ وما تؤدى بشيء فيها كما تؤدى بالولاية، فصدق العمل الصالح عليها أقدم وأشد من صدقه على غيرها ثم بعدها تصل التوبة الى الصلوة مثلاً فى الفضل وهكذا على ترتيب الأشرف فالأشرف وهكذا الأمر فى المستحبات وان كان الكل من الواجبات والمندوبات داخل تحت العمل الصالح.

فثبت وتحقق ان العمل الصالح الصادق على افراده ومصاديقه من قبيل

الوجود فكان الوجود مقول على افراده ومصاديقه بالتشكيك فكذلك العمل الصالح بلافات فيهما من هذه الجهة ولنشر الى بعض مصاديقه مما يثبت به المدعى فنقول:

روى في البحار باسناده عن ابي بصير عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ ان في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها يسكنها من امتي، من اطاب الكلام واقشى السلام، وصلّى بالليل والناس نيام، الخبر «بحار الانوار، ج ٣، ص ٣٢٥، ط كمياني»... وباسناده عن علي عليه السلام قال قال علي عليه السلام ان في الجنة لشجرة يخرج من اعلاها الحُلُّ ومن أسفلها خيلٌ بلقُ مسرّجة ملجّمة ذوات اجنحة لاتروث ولا تبول فيركبها اولياء الله فينظروا بهم في الجنة حيث شاؤوا فيقول الذين أسفل منهم يا ربنا ما بلغ بعبادك هذا الكرامة فيقول الله جلّ وجلاله انهم كانوا يقومون الليل ولا ينامون ويصومون النهار ولا يأكلون ويجاهدن العدو ولا يجبنون ويتصدقون ولا يبخلون انتهى «ص ٣٢٥»...

وايضا باسناده عن ابي عبدالله عن جده عن علي عليه السلام قال ان للجنة ثمانية ابواب يدخل منه النبيون والصدّيقون وباب يدخل منه الشهداء والصالحون وخمسة ابواب يدخل فيها شيعتنا ومحبتونا فلا زال واقفاً على الصراط ادعوا واقول ربّ سلّم شيعتي ومحبّي وانصاري ومن تولاني في دار الدنيا فاذا النداء من بطنان العرش قد اجيب دعوته وشفعت في شيعتك ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني وحارب من حاربتني بفعل او قول في سبعين الف من جيرانه واقربائه، وباب يدخل فيه سائر المسلمين ممن يشهد ان لا اله الا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا اهل البيت انتهى «ص ٣٢٦»...

وايضا باسناده عن ابي عبدالله قال قال رسول الله ﷺ لما أسرى بي الى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة وربما أمسكوا فقلت لهم ما بالكم ربّما بنيتم وربّما أمسكتم فقالوا حتى

تجييننا النَّفَقَةَ فقلت له وما نَفَقَتكم فقالوا قول المؤمن سُبحان الله والحمدالله
ولاله الآله والله اكبر واذا قال بنينا واذا أمسك أمسكنا انتهى «ص ٣٢٦»...
وايضاً باسناده عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ ان الله تبارك
وتعالى خَلَقَ فِي الْجَنَّةِ عَمُوداً مِنْ ياقوتة حَمراء عليه سَبْعُونَ الفَ قَصْرَ فِي
كُلِّ قَصْرِ سَبْعُونَ الفَ عُرْفَةَ خَلَقَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُتَحَابِّينَ، وَالْمُقْتَضَوْرِينَ فِي
اللهِ الْخَبْرَ «ص ٣٢٩»...

وايضاً باسناده عن علي عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ ان الله عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا
خَلَقَ الْجَنَّةَ خَلَقَهَا مِنْ لَبَنَةٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبَنَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَجَعَلَ حَيْطَانَهَا
الْيَاقُوتَ وَسَقْفَهَا الزَّبْرَجِدَ وَحَصْبَائِهَا اللُّؤْلُؤَ تَرَابِهَا الزَّعْفَرَانُ وَالْمِسْكَ
الْأَزْفَرُ فَقَالَ لَهَا تَكَلَّمِي فَقَالَتْ لِإِلَهِي الْآنَ الْحَيِّ الْقَيُّومِ قَدْ سَعِدَ مَنْ يَدْخُلُنِي،
فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعَزَّتِي وَعَظَمْتِي وَجَلَالِي وَارْتَفَاعِي لَا يَدْخُلُهَا مُدْمِنٌ خَمْرٍ،
وَلَا سِكِّيرٍ، وَلَا فَتَاتٍ وَهُوَ النَّمَامُ، وَلَا دِيُوثٌ وَهُوَ الْقَلْطَبَانُ وَلَا قِلَاعٌ وَهُوَ
الشَّرْطِيُّ وَلَا زَنُوقٌ، وَلَا خِيُوفٌ وَهُوَ النَّبَاشُ وَلَا عَشَّارٌ وَلَا قَاطِعٌ رَحِمٍ وَلَا
قَدْرِي أَنْتَهَى «ص ٣٢٩»...

وايضاً باسناده عن علي ابن الحسين عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ ان الله
خَلَقَ الْجَنَّةَ بِيَدِهِ لَبَنَةً مِنْ ذَهَبٍ وَلَبَنَةً مِنْ فِضَّةٍ، وَجَعَلَ مَلَاطَهَا الْمِسْكَ وَتَرَابَهَا
الزَّعْفَرَانُ وَحَصْبَائِهَا اللُّؤْلُؤُ عَلَى قَدْرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ فَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ قَالَ لَهُ
إِقْرَأْ وَارِقْ وَمَنْ دَخَلَ مِنْهُمْ الْجَنَّةَ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنْهُ مَا خَلَا
النَّبِيُّونَ وَالصُّدِّيْقُونَ أَنْتَهَى «ص ٣٢٩»...

وباسناده عن علي ابن ابيطالب قال قال رسول الله ﷺ لَمَّا أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ
رَأَيْتُ الشَّجَرَةَ تَحْمِلُ الْحُلَى وَالْحُلَّ أَسْفَلَهَا خَيْلٌ بُلُقٌ، وَأَوْسَطُهَا حُورٌ الْعَيْنِ
وَفِي أَعْلَاهَا الرِّضْوَانُ قُلْتُ يَا جَبْرَائِيلُ لِمَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةُ قَالَ لِابْنِ عَمِّكَ عَلِيِّ
ابْنِ أَبِيطَالِبٍ إِذَا أَمَرَ اللهُ الْخَلِيقَةَ بِالْدَّخُولِ إِلَى الْجَنَّةِ يُؤْتِي بِشَيْعَةِ عَلِيِّ حَتَّى
يَنْتَهَى بِهِمْ إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَيَلْبَسُونَ الْحُلَى وَالْحُلَّ وَيُرْكَبُونَ الْخَيْلَ الْبُلُقَ

وينادى منادٍ هؤلاء شيعة على صبروا في الدنيا على الأذى فحببوا هذا اليوم
انتهى «ص ٣٣٠»...

وباسناده عن امير المؤمنين عليه السلام قال عليه السلام ان ليلجنة احدى وسبعين باباً
يدخل من سبعين منها شيعتى واهل بيتى ومن باب واحد سائر الناس انتهى
«ص ٣٣١»...

وعن الكافى باسناده عن ابي جميله قال قال ابو عبدالله ان الله تبارك
وتعالى قال يا عبادى الصديقين تنعموا بعبادتى فى الدنيا فانكم تتنعمون بها
فى الآخرة انتهى «ص ٣٢٥»...

وباسناده قال رسول الله فى حديث طويل ان الله عز وجل كان اول يوم من
شعبان امر بابواب الجنة فتفتح ويأمر شجرة طوبى، فتطلع اغصانها على هذه
الدنيا، ثم ينادى منادى ربنا عز وجل يا عباد الله هذه اغصان شجرة طوبى
فتعلقو بها تؤذيكم الى الجنان وهذه اغصان شجرة الزقوم فاياكم واياها
لا تؤذيكم الى الجحيم، ثم قال فوالذى بعثنى بالحق نبياً ان من تعاطى باباً من
الخير فى هذا اليوم فقد تعلق بغصن من اغصان شجرة طوبى فهو مؤذيه الى
الجنان.

ثم قال رسول الله عليه السلام فمن تطوع لله بصلوة فى هذا اليوم فقد تعلق منه
بغصن ومن تصدق فى هذا اليوم فقد تعلق منه بغصن ومن عفا عن مظلمة فقد
تعلق منه بغصن ومن أصلح بين المرء وزوجه والوالد وولده والقريب وقريبه
والجار وجاره والأجنبى والأجنبية فقد تعلق منه بغصن ومن خفف عن معسر
عن دينه او حط عنه فقد تعلق منه بغصن ومن نظر فى حسابه فرأى ديناً عتيقاً
قد يس منه صاحبه فأداه فقد تعلق منه بغصن ومن كفل يتيماً فقد تعلق منه
بغصن ومن كف سفيهاً عن عرض مؤمن فقد تعلق منه بغصن ومن قعد لذكر
الله ولنعمايه يشكره فقد تعلق منه بغصن.

ومن عاد مريضاً ومن شيع جنازة ومن عزى فيه مصاباً فقد تعلق منه

بغضن، ومن برّ فيه والديه او احدهما في هذا اليوم فقد تعلق منه بغضن ومن كان أسخطهما قبل هذا اليوم فأرضاهما في هذا اليوم فقد تعلق منه بغضن وكذلك من فعل شيئاً من سائر ابواب الخير في هذا اليوم فقد تعلق منه بغضن. ثم قال رسول الله ﷺ والذي بعثني بالحق نبياً ان من تعاطى باباً من الشر والعصيان في هذا اليوم فقد تعلق بغضن من اغصان الزقوم فهو مؤديه الى النار. ثم قال رسول الله ﷺ والذي بعثني بالحق نبياً فمن قصر في صلوته المفروضة وضيعتها فقد تعلق منه بغضن.

ومن جائه في هذا اليوم فقيرٌ ضعيف يشكو اليه سوء حاله وهو يقدر على تغيير حاله من غير ضرر يلحقه وليس هناك من ينوب عنه يقوم مقامه فتركه يضيع ويعطب ولم يأخذ بيده فقد تعلق بغضن منه. ومن أفسد بين المرء وزوجه ووالده وولده والأخ وأخيه والقريب وقريبه وبين جارين او خليطين او اجنبيين فقد تعلق بغضن منه.

ومن شدّد على مُعسرٍ وهو يعلم إعساره فزاد غيظاً وبلاءً فقد تعلق بغضن منه ومن كان عليه دين فكّره على صاحبه وتعدى عليه حتى أبطل دينه فقد تعلق بغضن منه. ومن اعتذر اليه مُسييء فلم يعذره ثم يقتصر به على قدر عقوبة اسائه بل أربى عليه فقد تعلق منه بغضن ومن جفى يتيماً وتهضم ماله فقد تعلق بغضن منه. ومن قعد يُعدّد قبائح افعاله في الحروب وانواع ظلمه لعباد الله فافتخر بها فقد تعلق بغضن منه.

ومن وقع على عرض اخيه المؤمن وحمل الناس على ذلك فقد تعلق بغضن منه ومن كان جاره مريضاً فترك عيادته استخفافاً بحقه فقد تعلق بغضن منه ومن مات جاره فترك تشييع جنازته تهاوناً به فقد تعلق بغضن منه ومن أعرض عن مُصابٍ وجفاه إزرأً عليه واستصفاً له فقد تعلق بغضن منه ومن عتق والديه او احدهما فقد تعلق بغضن منه ومن كان قبل ذلك عاقاً لهما فلم يرضهما في هذا اليوم وهو يقدر على ذلك فقد تعلق بغضن منه.

وكذا من فعل شيئاً من سائر ابواب الشَّرِّ فقد تعلقَ بغَضْنِ منه، وساق الحديث والحديث طويل انتهى موضع الحاجة منه وفيه فوائد كثيرة كما لا يخفى على من تدبَّر فيه.

وباسناده قال رسول الله ﷺ مَنْ رَعَى قَرَابَاتِ آبَوِيهِ أُعْطِيَ فِي الْجَنَّةِ الْفِ دَرَجَةً مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ حِصْنُ الْفَرَسِ الْجَوَادِ الْمَضْمَرِ مِائَةَ سَنَةٍ أَحَدِي الدَّرَجَاتِ مِنْ فِضَّةٍ وَالْأُخْرَى مِنْ ذَهَبٍ وَأُخْرَى مِنْ لُؤْلُؤٍ وَأُخْرَى مِنْ زُمْرِدٍ وَأُخْرَى مِنْ زَبَرْجَدٍ وَأُخْرَى مِنْ مِسْكِ وَأُخْرَى مِنْ عَنَبٍ، وَأُخْرَى مِنْ كَافُورٍ فَتِلْكَ الدَّرَجَاتُ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ وَمَنْ رَعَى حَقَّ قُرْبِي مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ أَوْ تَى مِنْ فَضَائِلِ الدَّرَجَاتِ وَزِيَادَةِ الْمَثُوبَاتِ عَلَى قَدْرِ زِيَادَةِ فَضْلِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ عَلَى آبَوِي نَسَبِهِ، الْحَدِيثُ «ص ٣٤٢»...

وعن الصادق عليه السلام: على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشرٍ والقرض بثمانية عشرٍ انتهى «ص ٤٤٣»...

وباسناده عن ابن عباس وغيره عن النبي ﷺ في خطبة طويلة قال ﷺ مَنْ عَمِلَ فِي تَرْوِيحٍ بَيْنَ مُؤْمِنِينَ حَتَّى يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا زَوْجَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْفِ إِمْرَةٌ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ كُلِّ امْرَأَةٍ فِي قَصْرِ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ وَمَنْ بَنَى مَسْجِدًا فِي الدُّنْيَا بَنَى اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ شِبْرٍ مِنْهُ أَوْ بِكُلِّ ذِرَاعٍ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ مَدِينَةٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَدُرٍّ وَيَاقُوتٍ وَزُمْرِدٍ وَزَبَرْجَدٍ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ أَرْبَعُونَ أَلْفَ أَهْلٍ وَضَيْعَةٌ فِي كُلِّ بَيْتٍ أَلْفَ مَائِدَةٍ عَلَى كُلِّ مَائِدَةٍ أَرْبَعُونَ أَلْفَ أَهْلٍ قِصْعَةٌ فِي كُلِّ قِصْعَةٍ أَرْبَعُونَ أَلْفَ لَوْنٍ مِنَ الطَّعَامِ وَيُعْطَى اللَّهُ وَلِيَّهُ مِنَ الْقُوَّةِ مَا يَأْتِي عَلَى تِلْكَ الْأَزْوَاجِ وَالطَّعَامِ وَذَلِكَ الشَّرَابُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ.

وَمَنْ تَوَلَّى إِذَانَ مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ اللَّهِ فَادَّنَ فِيهِ وَهُوَ يُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ اعطاه الله ثواب أربعين ألفاً صديقٍ وأربعين ألفاً شهيدٍ وأدخل في شفاعته أربعين ألفاً أمةٍ أربعون ألفاً رجلٍ وكان له الجنة من الجنات في كلِّ جنةٍ أربعون ألفاً مدينةٍ في كلِّ مدينةٍ أربعون ألفاً ألفاً قصرٍ، في كلِّ

قصرٍ اربعون ألف دارٍ في كلِّ دارٍ اربعون ألف بيتٍ في كلِّ بيتٍ اربعون ألف سريرٍ على كلِّ سريرٍ زوجة من حور العين سعة بيتٍ منها مثل الدنيا اربعون ألف مرة لكلِّ زوجة اربعون ألف ألف وصيفٍ واربعون ألف ألف وصيفة في كلِّ بيت اربعون ألف ألف مائدة على كلِّ مائدة اربعون ألف ألف قصعة في كلِّ قصعة اربعون ألف ألف نوعٍ من الطعام لو نزل به الثقلان لكان لهم في أدنى بيتٍ في بيوتهم ما شاؤوا من الطعام والشراب والطيب واللباس والثمار والتحف والطرائف والحلى والحلل كلِّ بيتٍ يكتفى بما فيه من هذه الأشياء عما في البيت الآخر انتهى «ص ٢٤٤»...

وعن انس ابن مالك قال قال رسول الله ﷺ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَاباً يُدْعَى الرَّيَّانَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ انتهى «ص ٤٦٥»...

وعن اسحاق ابن عمار عن ابي عبد الله عليه السلام قال انَّ لِجَنَّةٍ بَاباً يُقَالُ لَهُ الْمَعْرُوفُ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ انتهى «ص ٢٤٧»...

وعن ابي جعفر عليه السلام قال انَّ أَوَّلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً إِلَى الْجَنَّةِ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ وَانَّ أَوَّلَ أَهْلِ النَّارِ دُخُولاً أَهْلُ الْمُنْكَرِ انتهى «ص ٢٤٧»...

وايضاً باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال انَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لِيَذْهَبَ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَمَّهْدُ لِصَاحِبِهِ كَمَا يَبْعَثُ الرَّجُلُ غُلَاماً فَيَفْرَشُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلأنفُسهم يُمَّهَدُونَ انتهى «ص ٢٤٧»...

اقول: لا يخفى على المتبحر الخبير ان الآيات والآثار المروية عن الرسول والأئمة الأطهار في هذا المضمرة كثيرة بحيث لا يمكن استيفائها واستقصائها إلا ان هذه الأخبار وان كانت بكثرتها تدلُّ على ان السبب الموجب للدخول الى الجنة ظاهراً يتفاوت بالنسبة الى الأشخاص، والأوقات في كلِّ عصرٍ وزمانٍ لكنها مشيرة بان المقصد واحد والطرق الموصل اليه متعددة ولا اشكال فيه كما هو ظاهر على المتأمل فلا يمكن لنا ولا لغيرنا انحصار الطريق بموردٍ معينٍ وعملي خاص.

نعم يمكن لنا الإشارة الى القدر الجامع من هذه الأعمال المذكورة وغيرها

مما لم نذكرها وهو العمل الصالح والحمد لله رب العالمين.

واما الاصل الثاني اعنى به الأمور التي توجب الاتيان بها الدخول فى النار فلاحاجة لنا الى بسط الكلام فيه وذلك لان الجنة والنار تتقابلان تقابل التضاد فاذا جاء احدهما ذهب الآخر لامحالة، والاعمال الموجبة للدخول فيها ايضاً كذلك فالعمل الذى يقرب العبد الى الجنة يبعده من النار وبالعكس بالعكس فان تقابل المعلولات باى نحو كان من اقسامه يوجب تقابل العجل وحيث ان المعلول فى المقام اعنى الجنة والنار بينهما تقابل التضاد فليكن بين علتيهما ايضاً كذلك فاذا فرضنا كون الأمر بالمعروف او صلة الرحم او الصلوة او الصوم وغيرها من الأعمال الصالحة توجب المصير الى الجنة فلامحالة عدمها يوجب المصير الى غيرها وليس هو الا النار لعدم ثبوت الواسطة بين المنزلتين. وبعبارة اخرى لا بد للانسان من جهة اعماله وافعاله من المصير الى الجنة او النار والطريق اليهما كل واحد منهما بعكس الآخر فما هو الطريق الى الجنة فعكسه طريق الى النار وبالعكس ومع ذلك كله لا بأس بالأشارة الى بعض الاخبار الواردة فى الباب تمييزاً للبحث.

منها - ماروى فى البحار باسناده عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون اهل النار على ما لهم من الأذى يسقون من الحميم فى الجحيم ينادون بالويل والثبور ويقول اهل النار بعضهم لبعض ما بال هؤلاء الأربعة قد آذونا على ما بنا من الأذى.

فرجلٌ مُعلّقٍ فى تابوت من جمرٍ ورجلٌ يجزّ امعائه ورجلٌ يسيل فؤهُ قيحاً ودماً - ورجلٌ يأكل لحمه فليل لصاحب التابوت ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول انّ الأبعد قد مات وفى عنقه اموال الناس لم يجد لها فى نفسه اداءً ولا وفاءً.

ثم يقال للذى يجزّ امعائه ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول انّ الأبعد كان لايبالى اين اصاب البول من جسده.

ثم يقال للذي يسيل فوه دماً ما بال الأبعد قد أذانا على ما بنامن الأذى؟
 فيقول انّ الأبعد كان يُحاكى فينظرُ الى كل كلمة خبيثة فيسندُها ويحاكى بها.
 ثم يقال للذي كان يأكل لحمه، ما بال الأبعد قد أذانا على ما بنامن الأذى
 فيقول انّ الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشى بالنميمة انتهى «ج ٣،
 ص ٣٧٢»...

ومنها - ما عن عبدالعظيم الحسنى عن محمد ابن علي عليه السلام عن ابيه الرضا
 عن آباءه عن امير المؤمنين عليه السلام قال دخلتُ انا وفاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله
 فوجدته يبكي بكاءً شديداً فقلت فداك ابي وامى يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما الذى
 أبكك فقال يا على ليلة أسرى بي الى السماء رأيت نساءً من امتى فى عذاب
 شديدٍ فانكرتُ شأتهنّ فبكيت لِمَا رأيت من شِدَّةِ عذابهنّ، ورأيت امرئةً معلقةً
 ليشعرها يغلى دماغُ رأسها ورأيت امرئةً معلقةً بلسانها، والحميم يُصبُّ من
 حلقها ورأيت امرئةً معلقةً بئديها ورأيت امرئةً تأكل لحم جسدِها والنار
 تؤقَد من تحتها ورأيت امرئةً قد شدَّ رجلاها الى يديها وقد سلط عليها الحيات
 والعقارب ورأيت امرئةً صمّاء عمياء خرساء فى تابوت من نارٍ يخرج من
 دماغ رأسها من منخرها ومن بدنِها مُتقطع من الجذام والبرص. ورأيت
 امرئةً معلقةً برجليها فى تنورٍ من نارٍ، ورأيت امرئةً تقطع لحم جسدِها من
 مقدمها ومن مؤخرها بمقاريض من نارٍ ورأيت امرئةً يحرق وجهها وبدائها
 وهى تأكل امعائها ورأيت امرئةً رأسها رأس خنزير وبدنها بدن الحمار
 وعليها ألف ألف لونٍ من العذاب ورأيت امرئةً على صورة الكلب والنار تدخل
 فى دبرها وتخرج من فيها والملائكة يضربون رأسها وبدنها بمقامع من نارٍ
 فقالت فاطمة عليها السلام حبيبي وقرّة عيني أخبرنى ما كان عملهنّ وسيرتهنّ حتّى
 وضع الله عليهنّ هذا العذاب.

فقال صلى الله عليه وآله يا بنتى اما المعلقة بشعرها فانها كانت لاتغطى شعرها من
 الرجال، واما المعلقة بلسانها فانها كانت تؤذى زوجها.

وَأَمَّا الْمُعَلَّقَةُ بِثَدْيَيْهَا فَانَّهَا كَانَتْ تَمْنَعُ مِنْ فِرَاشِ زَوْجِهَا.
 وَأَمَّا الْمُعَلَّقَةُ بِرِجْلَيْهَا فَانَّهَا كَانَتْ تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا بِغَيْرِ اِذْنِ زَوْجِهَا.
 وَأَمَّا الَّتِي كَانَتْ تَأْكُلُ لَحْمَ جَسَدِهَا فَانَّهَا كَانَتْ تُزَيِّنُ بَدَنَهَا لِلنَّاسِ.
 وَأَمَّا الَّتِي شُدَّتْ يَدَاهَا إِلَى رِجْلَيْهَا وَسُلِّطَ عَلَيْهَا الْحَيَّاتُ وَالْعَقَارِبُ فَانَّهَا
 كَانَتْ قَدْرَةَ الْوَضُوءِ قَدْرَةَ الثِّيَابِ وَكَانَتْ لَا تَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ وَالْحَيْضِ وَلَا
 تَتَنَظَّفُ وَكَانَتْ تَسْتَهِينُ بِالصَّلَاةِ.
 وَأَمَّا الْعَمِيَاءُ الصَّمَاءُ الْخَرَسَاءُ فَانَّهَا كَانَتْ تَلِدُ مِنَ الزَّانَاءِ فَتُعَلِّقُهُ مِنْ عُنُقِ
 زَوْجِهَا.

وَأَمَّا الَّتِي تُقَرِّضُ لَحْمَهَا بِالْمَقَارِيضِ فَانَّهَا تَعْرِضُ نَفْسَهَا عَلَى الرِّجَالِ
 وَأَمَّا الَّتِي كَانَتْ تَحْرُقُ وَجْهَهَا وَبَدَنَهَا وَهِيَ تَأْكُلُ أَمْعَانَهَا فَانَّهَا كَانَتْ قَوَادَةَ.
 وَأَمَّا الَّتِي كَانَتْ رَأْسُهَا رَأْسَ خِنْزِيرٍ وَبَدَنُهَا بَدَنَ الْحِمَارِ فَانَّهَا كَانَتْ نَمَامَةَ
 كَذَّابَةٍ.

وَأَمَّا الَّتِي كَانَتْ عَلَى صُورَةِ الْكَلْبِ وَالنَّارِ تَدْخُلُ فِي دُبُرِهَا وَتَخْرُجُ مِنْ فِيهَا
 فَانَّهَا كَانَتْ قَنِيَّةً نَوَاحَةَ حَاسِدَةٍ.
 ثُمَّ قَالَ ﷺ: وَيَلُّ لَأَمْرِيَّةٍ غَضِبَتْ زَوْجَهَا وَطُوبَى لَأَمْرِيَّةٍ رَضِيَ عَنْهَا زَوْجُهَا
 انتهى «ص ٣٨٠»...

ومنها - مارواه عن الصادق ﷺ عن آبائه عن علي ﷺ قال ﷺ ان في جهنم
 رحى تطحن خمسا افلا تسئلوني ما طحنها ف قيل له وما طحنها يا
 امير المؤمنين؟ قال ﷺ: العلماء الفجرة والقراء الفسقة والجبابرة الظلمة
 والوزراء الخونة والعرفاء الكذبة وان في النار لمدينة يقال لها الحفية افلا
 تسئلوني ما فيها ف قيل وما فيها يا امير المؤمنين؟ فقال: فيها ايدي الناكثين
 انتهى «ص ٣٨١»...

اقول: والاحاديث الواردة في الباب كثيرة سنورد بعضها فيما يأتي انشاء الله
 تعالى ولنختم الكلام في الجنة والنار. والحمد لله رب العالمين.

□ قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِيمْ بِهِ الْهُدَى يَجُرُّ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى...

اشار ﷺ الى اصلين: احدهما ان من لا ينفعه الحق اي لا يستفيد منه فلامحالة يضره الباطل. والثاني ان من لا يستقيم به الهدى اي لا يتبعه ولا يجعله اماماً هادياً لنفسه فلاجرم يقع في الضلال والهلاك وكلا الاصلين لاكلام فيه ولاخلاف.

اما الاصل الاوّل فاجمال القول فيه هو ان المحدثات في عالم الوجود لا تخلو من حق وباطل سواء كانت فعلاً او قولاً او فكراً والانسان لا بد له من اتصافه بأحد الامرين في أفعاله وأقواله وأفكاره وذلك لان كل فعل من افعاله لا يخلو حاله اما ان يكون مطابقاً للواقع موافقاً لما حكم به العقل والشرع أم لم يكن كذلك فالاول يسمى حقاً والثاني باطلاً والحق ان الباطل ليس من الأمور الوجودية حتى نقول بأنهما من قبيل الضدين بل الباطل ليس الا عدم الحق وان شئت قلت رفع الحق باطل ورفع الباطل حق فهما من المتناقضين وقد تكلمنا فيهما فيما مضى من الكتاب فلا نعيده.

وإذا كان الامر على هذا المنوال فمن لم يكن في فعله وقوله وفكره على الحق فلامحالة يكون على الباطل لعدم خلوّه منهما هذا.

ثم انه لاشك في ان الحق ينفع والباطل يضر والسرف فيه هو ان الحق من الأمور الوجودية الثابتة بذاتها كما هو شأن حقيقة الوجود، والوجود خير محض لا شر فيه كما ثبت في محله وهذا بخلاف الباطل فانه لمكان كونه عديمياً حيث انه عدم الحق فهو شر والضرر والاضرار من شئون الشرور والأعدام لان عدم النفع ضرر فمن لا ينفعه الحق اي من لا يليق بالاتباع فيه والاستئذان بنوره فهو على الباطل والباطل شأنه الأضرار والخسران فلامحالة يضره الباطل اذ لا يتوقع منه الا الضرر كما لا يتوقع عن الحق الا النفع ضرورة وجود المعلول عند وجود العلة وعدم امكان انفكاك المعلول عن العلة فقوله ﷺ: إِنَّهُ مَنْ

لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ فِي الْحَقِيقَةِ اِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ
يَلْزَمُ ارْتِفَاعَ النَّقِیْضِیْنِ الَّذِی ثَبَتَتْ اسْتِحَالَتُهُ إِذْ كَيْفَ یَعْقِلُ عَدَمَ الْاِنتِفَاعِ بِالْحَقِّ
وَعَدَمَ الْأَسْتِضْرَارِ بِالْبَاطِلِ بَلْ وَجُودَ أَحَدِهِمَا یَسْتَلْزِمُ عَدَمَ الْآخَرِ.

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ فِي قَوْلِهِ ﷺ: هَذَا اشْعَارٌ بَانَ وَقُوعُ النَّاسِ فِي الْبَاطِلِ
وَاسْتِضْرَارُهُمْ بِهِ أَمَّا هُوَ لِأَجْلِ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ.

فَفِي الْحَقِيقَةِ اسْتِضْرَارُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ أَمَّا هُوَ بِسُوءِ سَرِيرَتِهِمْ، وَخَبْثِ
طَبِئَتِهِمْ وَتَرْكِهِمُ الْحَقَّ وَإِقْبَالِهِمْ عَلَى الْبَاطِلِ وَلاَزِمِ الْبَاطِلِ هُوَ الظُّلْمُ وَالتَّعْدِي
وَإِمَاتَةُ الْمَعْرُوفِ وَأَحْيَاءُ الْمُنْكَرِ لِأَنَّهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا زَعَمَ كَثِيرٌ مِنْ أَفْرَادِ
النَّاسِ فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ.

وَحَيْثُ أَنَّ أَصْحَابَهُ خَالَفُوهُ فِي أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ عَلَى مَا مَرَّ تَفْصِيلاً مَعَ أَنَّهُ ﷺ
كَانَ عَلَى الْحَقِّ قَوْلًا وَفِعْلًا وَكَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِمْ اتِّبَاعُهُ وَالْأَنْقِيَادُ لَهُ عَقْلًا وَشَرْعًا
فَخَاطَبَهُمْ بِهَذَا الْخَطَابِ تَلْوِيحًا فَإِنَّ الْكِنَايَةَ أَبْلَغُ مِنَ التَّصْرِيحِ وَأَعْلَمُهُمْ بِهَذَا
الْكَلَامِ مِمَّا سَيَرِدُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ وَالْعَذَابِ وَالْجُورِ وَالْعَدْوَانِ مِنْ
أَصْحَابِ الْبَاطِلِ اعْنَى مَعَاوِيَةَ وَمَنْ كَانَ بَعْدَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَمُتُونِ التَّوَارِيخِ تَشْهَدُ
بِمَا قَالَهُ ﷺ مَفْصَلًا.

وَأَمَّا الْأَصْلُ الثَّانِي: وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِيمْ بِهِ الْهُدَى الْخ

فَهُوَ إِضْطِرَارٌ إِلَى أَمْرَيْنِ: يَلْزَمُ مِنْ وَجُودِ أَحَدِهِمَا عَدَمُ الْآخَرِ وَمِنْ عَدَمِهِ
وَجُودُهُ وَهُمَا الْهُدَايَةُ وَالضَّلَالَةُ فَاتَّهَمَا لِإِجْتِمَاعِ مَعَا أِبْدَأً.

وَالْهُدَايَةُ عِبَارَةٌ عَنِ مِتَابَعَةِ الْحَقِّ كَمَا أَنَّ الضَّلَالَةَ مِتَابَعَةُ الْبَاطِلِ وَالْفَرْقُ بَيْنَ
الْهُدَايَةِ وَالْحَقِّ وَالضَّلَالَةِ وَالْبَاطِلِ هُوَ أَنَّ الْحَقَّ عِبَارَةٌ عَنِ الْأَمْرِ الْمِطَابِقِ لِلْوَاقِعِ أَوْ
الْوُجُودِ الثَّابِتِ الدَّائِمِ أَوْ الَّذِي لِأَسْبَابِ الْبَطْلَانِ إِلَيْهِ، وَالْهُدَايَةُ عِبَارَةٌ عَنِ ارْتِئَاءِ
الطَّرِيقِ إِلَيْهِ أَوْ الْأَيْصَالِ إِلَى الْمَطْلُوبِ عَلَى اخْتِلَافِ الْقَوْلِينَ فِيهَا، فَالْهُدَايَةُ
لَيْسَتْ نَفْسُ الْحَقِّ بَلْ الطَّرِيقُ الْمَوْصِلُ إِلَيْهِ وَهَكَذَا الْكَلَامُ فِي الْبَاطِلِ وَالضَّلَالَةُ
فَإِنَّ الضَّلَالَةَ هِيَ الطَّرِيقُ إِلَى الْبَاطِلِ، وَبِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا ظَهَرَ لَكَ أَنَّ

فى العبارة لىس تكرار لافى اللفظ كما هو ظاهر ولا من حىث المعنى لآن معنى الجملة السابقة غير اللاحقة وما اراد منها لعدم التلازم بينهما حتى يلزم من ذكر احديهما عدم الاحتىاج الى ذكر الاخرى وذلك لانه ﷺ افاد فى الجملة السابقة لزوم متابعة الحق والاعراض عن الباطل تلويحاً وفى الثانية لزوم الاستقامة على الهدى وعدم متابعة الضلالة والردي.

ووجه عدم اللزوم هو ان كون الانسان طالباً للحق لا يوجب كونه على طريق الهدى اذ يمكن كونه طالباً له مشتاقاً اليه ومع ذلك لا يعلم الطريق او اشتبه عليه الامر كما هو شأن كثير من الناس فى كل عهد وزمان فليس كل من سلك مسلكاً باطلاً طالباً له كما انه ليس كل من سلك مسلك الحق طالباً له مشتاقاً اليه اذ كثيراً ما يكون المشى على كل من الطريقين من قبيل الخطاء فى التطبيق فان كون الحق او الباطل مطلوباً محبوباً شىء وتشخيص الطريق الموصل الى كل واحد منهما شىء آخر.

فقوله ﷺ: **أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ**، اشارة الى انه ينبغى للعاقل ان يقصد الحق ويتبعه ويترك الباطل ويعرض عنه بمعنى اتخاذ الحق مقصداً وغايةً فى افعاله واقواله وافكاره وعدم اتخاذ الباطل كذلك.

وقوله فى الجملة المبحوثة عنها اشارة الى تشخيص الطريق الموصل الى كل واحد منهما والسلوك على طريق الحق وعدم السلوك على طريق الباطل فعن طريق الحق عبر ﷺ بالهدى وعن طريق الباطل بالضلالة والردي فمن أعرض عن الحق والسلوك على سبيله بعد تشخيصه ومعرفته فلامحالة يقع فى مقابله ونقيضه وهو الباطل وكما ان الاول يوجب الهدى فالثانى يوجب الضلالة والردي وكل ذلك من قبل نفسه قال الله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرًا واما كفورًا.

□ قوله ﷺ: **أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظُّعْنِ وَدَلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ...**

ثم بعد ما بين وظيفة العبد من حيث الاعمال والاقوال وانه ينبغى له متابعة

الحقّ والأعراض عن الباطل أعلمهم بعاقبة الحياة في هذه الدنيا الدنية والسفر الى الله تعالى بالموت وانه لا بدّ له من الزاد في هذا السفر فإشار الى الاوّل بقوله **أَمِرْتُمْ بِالظُّعْنِ** والى الثّانى بقوله **وَدُلِّتُمْ عَلَى الزَّادِ** ولا يخفى أنّ فى قوله **لِيَذَكِّرَ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ**.

ثمّ إنّ ما ذكرناه فى شرح العبارة الاولى فى معنى الظعن على ظاهر اللفظ لأن معنى الظعن السير والرحيل يقال ظعن ظعنًا ظعنًا ظعنًا ومظعنًا سار ورحل وهو على الظاهر كناية عن الموت الذى لا بدّ منه لكلّ واحدٍ منّا وعليه الشّراح بأجمعهم والى هذا المعنى اشار سيبويه حيث قال:

الظّاعنون ولما يظعنوا احداً والقائلون لمن دار نُخْلِيهَا

وعلى هذا المعنى حمّل قوله تعالى: فى سورة النحل: **«تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ»** ^(١). قال فى المجمع اى يوم مسيركم وارتحالكم وهو كناية عن الموت وعليه فالمعنى انكم قد أمرتم بالسير والرحيل الى الله بالموت، كما قال **لِيَذَكِّرَ** فى بعض كلماته فقد تؤدى فيكم بالرحيل وقد ذكرنا معنى الموت وانه اى شىء هو فى الأبحاث السالفة مفصلاً.

والذى نقول به فى المقام هو أنّ قوله **لِيَذَكِّرَ** قل **أَمِرْتُمْ بِالظُّعْنِ** يستفاد منه امور لا بأس بالاشارة الى بعضها اجمالاً.

منها انه قال **قَدْ أَمِرْتُمْ بِالظُّعْنِ**، ولم يقل **قَدْ أَمِرْتُمْ بِالْمَوْتِ** مع أنّ المقصود الاصلى منه هو الموت لا غير للدلالة على أنّ الموت امرٌ عَدَمِيٌّ كما أوّمانا اليه سابقاً لانه عدم الحياة، والأمر العدمي لا يصلح لان يكون متعلّقاً للأمر والنهى فلا يصحّ ان يقال أمرتم بالموت بل لا بدّ من ان يكون متعلّق الأوامر والنواهي من الطبائع الكلية الوجودية الموجودة بوجود افرادها فى الخارج ولهذا قال **لِيَذَكِّرَ** **قَدْ أَمِرْتُمْ بِالظُّعْنِ**، الذى هو السير الى الآخرة فإنّ السير ليس بعدمي

كما هو واضح.

ومنها أنه لا يبعدان يراد بقوله ﷺ هذا السير الى الله بقدم المعرفة في طريق السلوك اليه والبلوغ الى اقصى الكمالات الذي لا بد لكل عارف وسالك من الأخذ به بل هو الغاية لوجوده وايجاده في هذا العالم لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) اي ليعرفون ومن المعلوم ان المعرفة لا تحصل بدون الرياضة وتذكية الباطن والسفر من الخلق الى الحق والرحيل من عالم المادة أسير الشهوات وأنيس الهوسات لا يمكن له الوصول الى مدارج الكمالات والبلوغ الى اقصى الغايات.

ومحصل الكلام ان الانسان مأمور بالقيام الى وظائف العبودية والأعراض عن اتباع الشهوات النفسانية والغرائز الحيوانية و هذه المراحل لا يمكن بدون السير المعنوي والرحيل من المادة الى المعنى وهذا هو المعبر عنه لسان الشارع بالجهاد الأكبر قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٢). ومنها ان الانسان مأمور بالسير والحركة في هذه الدنيا لأمرار معاشه وادامة حياته والرحيل من موطن الى موطن ومحل الى محل آخر ولولا ذلك لما أمكن له التعيش بلامنة من غيره وذلك لان الانسان مادام كونه في دار الدنيا يحتاج الى الأكل والشرب واللباس والمسكن وغيرها من الاشياء التي لا يمكن ادامة الحياة بدونها ولا شك في عدم امكان الوصول اليها من غير حركة في الصناعات والحرف من تجارة او زراعة او صنعة وغيرها وكل هذه الامور لا يمكن الوصول اليها والاستفادة منها بدون الحركة والسير من محل الى محل بل كثيراً ما مستلزم للأسفار البعيدة، والمشقات والتكلفت العويصة فلو نام في بيته وأغلق الباب على نفسه ولم يتحمل هذه الأمور فكيف يبلغ الى مقصده واذا لم يبلغ اليه فمن اين يحصل له الدرهم والدينار والعزة والشخصية الاجتماعية فلامحالة يصير كلاً على الناس ومن كان كذلك فهو ملعون على

لسان رسول الله ﷺ ومع ذلك كله لا يحصل له الخضوع في العبادة بل لا يقدر عليها فإن من لامعاش له لامعاد له.

ونتيجة ذلك خسران الدين والدنيا وهلاك الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين، وعليه فالمراد بقوله ﷺ انكم قد أمرتم بالكسب والأشتغال بالحرف والصنایع لا بالعودة في زوايا البيوت من غير عذر ولا علة فإنه مذموم شرعاً.

واما قوله ﷺ: **وَدَلُّتُمْ عَلَي الزَّادِ.**

فمعناه قد ظهر مما ذكرناه لأن الظعن لو كان المراد به هو السير الى الآخرة اعنى الموت مثلاً فالزاد يُحْمَل على الزاد في الآخرة وهو لا يكون الا التقوى كما قال ﷺ في مقام آخر تَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى اخذاً من قوله تعالى في كتابه: **«وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ»** (١) و **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ»** (٢).

ولا شك انه لازاد في الآخرة أعلى وأشرف وأفضل من التقوى كما مر منا الأحاديث فيه وسيأتي انشاء الله.

وعليه فالمقصود بالزاد التقوى واما بناء على ما ذكرناه من المعاني والأحتمالات فالمراد بقوله ﷺ: **وَدَلُّتُمْ عَلَي الزَّادِ** ايضاً معلوم فإن السير والحركة باي معنى أخذ لا بد له من الزاد والنفقة ان خيراً فخييراً وان شراً فشرراً، وتفصيل الكلام موكول الى محله ان شاء الله تعالى.

□ قوله ﷺ: **وَأَنَّ مَا أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ إِتِّبَاعُ الْهَوَى وَطَوْلُ الْأَمَلِ...**

اشار ﷺ في كلامه هذا الى اصليين مهلكين وقد خوفنا منهما أحدهما اتباع الهوى - وثانيهما طول الأمل.

اقول: وسيأتي منه ﷺ في بعض كلامه في المستقبل هذه الكلمات حيث

قال: الا انْ أَخَوْفَ ما اخاف عليكم خصلتان اتّباع الهوى وطول الامل اما اتّباع الهوى فيصُد عن الحقّ واما طول الأمل فيُنسي الآخرة الى آخر ما قال عليه السلام في تلك الخطبة كما سيأتي انشاء الله.

وعلى اى حال فقوله عليه السلام: هذا وفيما بعد مُقتبس من قول رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال مخاطباً لاصحابه على مارواه عنه جابر ابن عبد الله الانصارى وغيره انْ أَخَوْفَ ما اخاف على أمتى اتّباع الهوى وطول الأمل اما اتّباع الهوى فيصُد عن الحقّ واما طول الامل فيُنسي الآخرة انتهى.

وقوله عليه السلام يهرم ابن آدم ويُسب فيه خصلتان الحرص وطول الامل والأحاديث فى هذا الباب كثيرة والبحث يقع فى مقامين: المقام الاول فى اتّباع الهوى. والمقام الثانى فى طول الأمل، ولنشر اولا الى بعض الآيات والاحبار الواردة فى ذمهما.

اما المقام الاول فمن الآيات الواردة فيه:

- و: «وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا»^(١)
- و: «وَلَا تُطِغْ مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ دِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ امْرَأً قُرْطًا»^(٢)
- و: «فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَأِيُومِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى»^(٣)
- و: «أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا»^(٤)
- و: «فَأَنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَإِيْهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»^(٥)
- و: «بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ»^(٦)

و : « وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » (١)

و : « أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ » (٢)

و : « أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ » (٣)

و : « وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ » (٤)

و : « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى » (٥) ومن الأخبار الواردة فيه مارواه في البحار باسناده عن الصادق عليه السلام عن آيائه قال قال رسول الله ﷺ طُوبَى لِمَنْ تَرَكَ شَهْوَةً حَاضِرَةً لِمَوْعُودٍ لَمْ يَرَهُ انْتَهَى. وروى في الكتاب الأمانة والتبصرة مثله «كتاب الايمان والكفر ج ١٥ ص ٤٢ من الجزء الثاني منه».

ومنها - مارواه باسناده عن ابي جعفر عليه السلام: قال عليه السلام ان الله عز وجل يقول بجلالى وجمالى وبهائى وعلاى وارترافى لا يؤثر عبد هوى على هواه الا جعلت غناه فى نفسه وهمة فى آخرته وكففت عنه ضيعته وضمنت السموات والأرض رزقه وكننت له من وراء تجارة كل تاجر، انتهى «ص ٤٢»...

وروى باسناده عن الثمالى عنه عليه السلام مثله.

ومنها - مارواه باسناده عن جابر ابن عبدالله قال قال رسول الله ان أخوف ما أخاف على أمتى الهوى وطول الأمل اما الهوى فانه يصد عن الحق واما طول الأمل فينسى الآخرة انتهى «ص ٤٣»...

ومنها - مارواه عن الصادق عليه السلام: انه قال لأرجو النجاة لهذه الأمة لمن عرف حقا منهم إلا لأجل ثلاثة: صاحب سلطان جائر وصاحب هوى والفسيق الملعن انتهى «ص ٤٣»...

ومنها - ما عن الصادق عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام أشجع الناس من غلب على هواه «ص ٤٣»...

ومنها ما في خبر الشافى قال زيد بن صوحان يا امير المؤمنين ائى سلطان أغلب وأقوى قال عليه السلام الهوى «ص ٤٣»...

ومنها - ما عن الدرّة الباهرة قال الجواد عليه السلام من اطاع هواه أعطى عدوه مئناه وقال عليه السلام راكب الشهوات لا تستقال له عثرة انتهى «ص ٤٣»...

ومنها - مارواه عن ابى محمد الواشى قال سمعت ابا عبدالله يقول إحذروا أهوائكم كما تحذرون أعدائكم فليس شىء أعدى للرجال من اتباع أهوائهم وخصائد ألسنتهم انتهى «ص ٤٣»...

ومنها - مارواه باسناده عن عبدالرحمن ابن الحجاج قال قال لى ابو الحسن اتق المرقى السهل اذا كان منحيره وغراً وقال عليه السلام كان ابو عبدالله يقول لا تدع النفس وهواها فإن هواها فى رداها وترك النفس وما تهوى اذها (ردائها) وكف النفس عما تهوى دواها انتهى «ص ٤٣»...

اما المقام الثانى وهو الجرص وطول الامل فالاخبار فيه ايضا كثيرة:

منها - مارواه فى البحار عن قتاده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهلك او يهزم ابن آدم ويبقى منه اثنتان الجرص والامل «ج ١٥، ص ١٠٦» وفى رواية اخرى يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان، الجرص وطول الامل، انتهى...

ومنها - مارواه فيه ايضا باسناده عن يونس رفعه عن ابي عبدالله عليه السلام قال كان فيما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً، يا على انهاك عن ثلاث خصال: عظام الخسد والجرص والكذب انتهى «ص ١٠٦»...

ومنها - مارواه عنه عليه السلام: عن ابيه قال لا يؤمن رجل فيه الشح، والخسد والجبن ولا يكون المؤمن جباناً ولا حريصاً ولا شحيحاً «ص ١٠٦»...

ومنها - ما عن ابن ابى يعفور قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول من تعلق قلبه

بالدنيا تعلق منها بثلاث خصال: هم لا يقنى وأمل لا يدرك ورجاء لا ينال انتهى
«ص ١٤٦»...

ومنها - ما عن السكوني عنه عليه السلام قال قال عليه السلام من اطال أمله ساء عمله
انتهى «ص ١٠٦»...

ومنها - مارواه باسناده عن فاطمة بنت الحسين عليها السلام عن ابيها قال قال
رسول الله ان صلاح اول هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك آخرها بالشح
والأمل انتهى «ص ١٠٦»...

ومنها - ما أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى عليه السلام، يا عليه السلام اربع خصال من
الشقاوة جمود العين وقساوة القلب وبُعد الأمل وحبّ البقاء «ص ١٠٦»...

ومنها - مارواه باسناده عن الرضا عليه السلام: عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام:
قال لو رأى العبد أجله وسرعته اليه لأبغض الأمل وتترك طلب الدنيا، انتهى.

ومنها - ما أوصى به امير المؤمنين عليه السلام: عند وفاته قصر الأمل، واذكر
الموت وأزهد في الدنيا فانك رهن موتٍ وغرض بلاءٍ وصريعٍ سقيم، انتهى

«ص ١٠٦»...والاحاديث في ذمّ اتباع الهوى وطول الأمل كثيرة وفيما
ذكرناه عن البحار ج ١٥ جزؤ الثالث من ابواب كتاب الايمان والكفر كفاية
لأولى الالباب ولا شك لأحد في قبهما وذمهما عقلاً وشرعاً ولو لم يكن في
قدحهما إلا أنهما يسدّان توجّه العبد الى ربه والعالم الآخرة لكفى فإن مطيع
الهوى وصاحب طول الأمل لا يعرف رباً إلا هواه وطول أمله اعادنا الله منهما
بحقّ محمدٍ وآله الأطهار.

وقال بعض الحكماء إياكم وطول الأمل فإن من الهاء أمله أخزاه عمله وفيه
قال الشاعر:

ولى أمل قطعتُ به اللبالي أرانى قد فنيْتُ به ودأما

وقال قسّ ابن ساعدة:

وما قد تولى فهو لاشك فائتُ فهل ينفعنى ليتنى ولعلنى

وقال آخر:

ولا تَتَعَلَّلْ بِالْأَمَانِي فَيَأْتِيهَا عَطَايَا أَحَادِيثِ الثُّفُوسِ الْكَوَاذِبِ

وقال آخر:

اللَّهُ صَدَقَ الْأَمَالَ كَأَذْبُهُ

وَجُلَّ هَذَا الْمُنَى فِي الصُّدُورِ وَسَوَاسِ

وقال آخر:

شَطَّ الْمَزَارِ بِسَعْدِي وَأَنْتَهَى الْأَمَلَ

فَلَا خِيَالَ وَلَا رَسْمَ وَلَا طَلَّلَ

أَلَّا رَجَاءَ فَمَا نَدْرِي أَنْدْرَكَ

أَمْ يَسْتَمِرُّ فَيَأْتِي دُونَهُ الْأَحْلَ

ثم بعد ذكر الآيات والاحبار الواردة في ذم اتباع الهوى وطول الأمل نردف الكلام بذكر بعض ما يناسب المقام في تحقيق ماهية طول الأمل وأنه أي شيء هو واختلاف الناس فيه وكيفية علاجه وسائر ما يناسبه فنقول:

قال بعض العرفاء في معناه هو أن يُقَدَّرَ ويُعْتَقَدَ بقاءه إلى مدة مُتَمَادِيَةٍ مع رَغْبته في جميع توابع البقاء من المال والاهل والدار وغير ذلك. وهو من رذائل قُوَّتِي العاقلة والشهوة إذا الاعتقاد المذكور راجع إلى الجهل المُتَعَلِّقُ بالعاقلة وحبّه لجميع توابع البقاء وميله إليه من شُعب حُبِّ الدُّنْيَا وجهله راجع إلى تحويله (تعويله) أما على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب أو على صحته وقوته ويستبعد مجيء الموت فجاءةً ولا يتأمل في أن ذلك غير بعيد ولو سلّم بعده فالمرض فجاءةً غير بعيدٍ إلى أن قال ولو تَفَكَّرَ هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له وقتٌ مخصوصٌ من شبابٍ وشيبٍ وكهولةٍ ومن شتاءٍ وخريفٍ وصيفٍ وربيعٍ وليلٍ ونهارٍ وحضرٍ وسفرٍ لكان دائماً مُسْتَشْعِراً غير غافلٍ عنه وعَظُمَ اشتغاله بالاستعداد له لكن الجهل بهذه الأمور وحبُّ الدُّنْيَا بَعَثَاهُ عَلَى الْغَفْلَةِ وَطَوَّلَ الْأَمَلَ وَهُوَ أَبَدًا يَظُنُّ أَنَّ الْمَوْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ لَا يَقْدَرُ نَزْوِلُهُ

ووقوعه فيه ويشيع الجنائز ولا يقدر ان تشيع جنازته لأن هذا قد تكرر عليه
 وآلفه بتكرّر مشاهدة موت غيره وأما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصوّر ان يألفه
 لأنه لم يقع واذا وقع لا يقع دفعة اخرى بعده فهو الاول والاخر ثم قال (قدّه).
 وأما حُبّه لتوابع البقاء من المال والدار والمراكب والضّيع والعقار فراجع
 الى الأنس بها والألتذاذ بها في مدّة مديدة فينتقل على قلبه مفارقتها فيمنع قلبه
 عن التّفكر في الموت الموت الذي هو سبب مفارقتها اذ كلّ مَنْ كره شيئاً
 يدفعه عن نفسه والأنسان لما كان مشغولاً بالأمانى الباطلة وبالذُّنيا وشهواتها
 ولذاتها وعلائقها فتتمنى نفسه أبداً ما يوافق مراده ومراده البقاء في الدُّنيا
 فلا يزال يتوّهمه ويُقرّره في نفسه ويقدر توابع البقاء من اسباب الدُّنيا فيصير
 قلبه عاكفاً على هذا الفكر موقوفاً عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه
 فان خطر له في بعض الأحيان امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف
 ووعد نفسه الى ان يكبر فيتوب واذا كبر اخر التّوبة الى ان يصير شيخاً واذا صار
 شيخاً يؤخرها الى ان يفرغ من عمارة هذه الضّيعه او يرجع من سفر كذا او
 يفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له ولا يزال يسوف ويؤخر الى
 ان يخطفه الموت في وقت لا يحتسبه فتعظم عند ذلك بليته وتطول حسرته
 وقد ورد أنّ اكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون وأحزنانه عن سوف
 والمُسوف المسكين لا يدري أنّ الذي يدعوه الى التّسويق اليوم هو معه غداً
 وأنما يزداد بطول المدة قوّة ورسوخاً اذ الخائض في الدُّنيا لا يتصوّر له الفراغ
 منها قطّ اذ ما مضى من اخذ منها لبانته وأنما فرغ منها من أطرحها انتهى.

ثم اعلم أنّ الناس في طول الأمل وقصره مختلفون.

فمنهم من يأمل البقاء ويشتهيهِ ابداً كما قال سبحانه: أَيَوَدَّ أَحدهم لو يُعمر
 الف سنة الآية وهو الذي أنغمر في الدُّنيا وخاض في لذاتها وليس له من
 الآخرة نصيب.

ومنهم من يأمل البقاء الى اقصى مدّة العُمر الذي يتصوّر لاهل عصره وهو

الذی یُحِبُّ الدُّنْیَا حُبًّا شَدِيدًا وَیَسْتَعْمَلُ بِجَمِیعِ مَا یُمْکِنُهُ فِی هَذِهِ الْمُدَّةِ وَرُبَّمَا
یَجْتَهِدُ بِجَمِیعِ الْأَزِیدِ مِنْهُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ یَأْمَلُ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ یَنْتَهِیَ إِلَى مَنْ لَا یَأْمَلُ أَزِیدَ مِنْ سَنَةِ
فَلَا یَسْتَعْمَلُ بِتَدْبِیرِ مَا وَرَائِهَا وَلَا یَقْدِرُ لِنَفْسِهِ وَجُودَهُ فِی عَامٍ قَابِلٍ فَإِنْ بَلَغَهُ حَمْدُ
اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ وَمِثْلِهِ یَسْتَعِدُّ فِی الصَّیْفِ لِلشَّتَاءِ وَفِی الشَّتَاءِ لِلصَّیْفِ وَإِذَا جَمَعَ
مَا یُكْفِيهِ السَّنَةَ اسْتَعْمَلَ بِالْعِبَادَةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ یَأْمَلُ أَقَلَّ مِنَ السَّنَةِ إِلَى أَنْ یَنْتَهِیَ إِلَى مَنْ لَا یَأْمَلُ أَزِیدَ مِنْ یَوْمٍ وَ
لِیْلَةٍ فَلَا یَسْتَعِدُّ إِلَّا لِنَهَارِهِ دُونَ غَدِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ یَكُونُ الْمَوْتُ نَصَبَ عَیْنِهِ كَأَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِ وَهُوَ یَنْتَظِرُهُ وَمِثْلُهُ یُصَلِّی
دَائِمًا صَلَاةَ الْمُؤَدِّعِینَ وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ بَعْضَ الصَّحَابَةِ عَنْ حَقِيقَةِ
إِیْمَانِهِ قَالَ مَا خَطَوْتُ خَطْوَةَ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي لَا تَبِيعُهَا أُخْرَى وَكَانَ بَعْضُهُمْ إِذَا
یُصَلِّی یَلْتَفَتَ یَمِینًا وَشِمَالًا وَلَمَّا قِيلَ لَهُ مَا هَذَا الْأَلْتِفَاتُ قَالَ انْتَظَرْتُ مَلَكَ الْمَوْتِ
فِی أَى جِهَةٍ یَأْتِینِی.

ثُمَّ قَالَ (قَدَّه) ثُمَّ أَكْثَرَ الْخَلْقِ لِأَسِیْمَا فِی امْتِثَالِ زَمَانِنَا قَدْ غَلِبَهُمْ طَوْلُ الْأَمَلِ
بِحِیْثُ لَا یَأْمَلُ أَقَلَّ مِنْ أَقْصَى مَدَّةِ السَّنِّ وَقَلَّ فِیهِمْ مَنْ قَصَرَ أَمَلُهُ وَالْعَجَبُ أَنَّهُ
كَلَّمَا یَزْدَادُ السَّنُّ یَزْدَادُ طَوْلُ الْأَمَلِ وَفِی عَصْرِنَا أَكْثَرَ الْمَشَائِخِ وَالْمُعَمَّرِینَ
حِرْصُهُمْ وَطَوْلُ أَمَلِهِمْ أَكْثَرَ مِنَ الشَّبَابِ وَمَنْ هُنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: یَشِیبُ ابْنَ
آدَمَ وَتَشِیبُ فِیهِ خَصَلَتَانِ الْحِرْصُ وَطَوْلُ الْأَمَلِ.

وَقَالَ ﷺ: حُبُّ الشَّیْخِ شَابٌ فِی طَلَبِ الدُّنْیَا وَإِنْ أَلْتَفْتُ تُرْقُوتَاهُ مِنَ الْكِبَرِ إِلَّا
الَّذِینَ اتَّقَوْا وَقَلِیلٌ مَا هُمْ أَنْتَهِیَ مَا أَفَادَهُ (قَدَّه) فِی الْمَقَامِ بِالْفَاظَةِ وَعِبَارَاتِهِ زَیْدٌ فِی
دَرَجَاتِهِ.

وَإِنَّا أَقُولُ: مَا ذَكَرَهُ (قَدَّه) حَقٌّ لِأَمْرِيَّةٍ فِيهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ: فِی آخِرِ كَلَامِهِ ثُمَّ أَكْثَرَ
الْخَلْقِ لِأَسِیْمَا فِی امْتِثَالِ زَمَانِنَا الْخُفْلَانَةُ (قَدَّه) لَمْ یُدْرِكْ زَمَانِنَا هَذَا وَهُوَ سَنَةٌ
أَرْبَعٌ وَتِسْعِینَ وَثَلَاثِمِائَةَ بَعْدَ الْأَلْفِ مِنَ الْهَجْرَةِ وَالْأَلْفُ لَمْ یَقْلُ مَا قَالَ وَذَلِكَ لِأَنَّ

زماننا عينُ الحرص وطولُ الأمل بالنسبة الى كلِّ الافراد وجميع الطبقات لا يخرج من هذا العموم أحدٌ إلا من لانعرفه من اولياء الله وكفى في اثبات المدعى ما نشاهده في جميع الشئون الاجتماعية من القصور الشامخة الرفيعة والمعاملات الطويلة من جهة المدة وغفلة الناس في أيامهم ولياليهم عن الموت الذي لا بد منه لكلِّ احدٍ وانغمارهم في الشهوات بل وتركهم الواجبات وركوبهم على المناهى والمحظورات من غير خوف منهم عن القيامة ويوم العرصات.

والعجب ان المنكر هذا الزمان صار معروفًا والمعروف مُنكرًا فلا مُنكر إلا وهو معروفٌ عندهم ولا معروفٌ إلا وهو مُنكرٌ لديهم فكانتهم خلقوا للبقاء والخلود في الدنيا وكان الموت قد كتب على غيرهم والمؤمن في هذا الزمان مع انه أعزُّ وأقلُّ من كبريت الأحمر بل ربما يكون وجوده من قبيل وجود العنقاء ومع ذلك كله حيث ان الايمان مقولٌ بالتشكيك فلو وجد مصداق له واقعاً فهو يذوب في هذا الاجتماع كما يذوب الملح في الماء نعوذُ بالله من شرور الآفات وتراكم المصيبات والأحزان في هذا الزمان.

اللهم انا نشكو اليك فقد نبينا وغيبة ولينا وكثرة عدونا وشدة الفتن بنا بحق محمد وآله الطاهرين آمين رب العالمين.

ولنعم ما قيل.

وَحَسْبُ الْمَرْءِ مِنْ دُنْيَاهُ قُوَّةُ	حَقِيقٌ بِالتَّوَّاضِعِ مِنْ يَمُوتُ
وَشُغْلٌ لَا يَقُومُ لَهُ التُّعُوتُ	فَمَا لِلْمَرْءِ يُصْبِحُ ذَا اهْتِمَامِ
وَمَا ارْزَاقُنَا مِمَّا تَفُوتُ	صَنِيعَ مَلِيكِنَا حَسَنٌ جَمِيلُ
الى قومٍ كلامهم السكوت	فيا هذا سترحل عن قريبٍ

ثم ان ذكر الموت يقصر الأمل ويدفع طوله فطول الأمل داء ودوائه ذكر الموت والتجافى عن دار الغرور والاستعداد لدار الخلود.

قال رسول الله ﷺ أكثرُ ذكرها يم اللذات، قيل وما هو يا رسول الله؟

قال ﷺ: المَوْتُ فما ذَكَرَهُ عَبْدٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ فِي مَنَعَةٍ إِلَّا ضَاقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَلَا فِي شِدَّةٍ إِلَّا اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ...

وقال ﷺ: تُحَفِّةُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْمَوْتِ...

وقال ﷺ: الْمَوْتُ كَفَّارَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَقِيلَ لَهُ ﷺ هَلْ يَحْشُرُ مَعَ الشَّهَدَاءِ أَحَدٌ؟ قَالَ ﷺ: نَعَمْ، مَنْ يَذْكُرُ الْمَوْتَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عَشْرِينَ مَرَّةً...
وقال ﷺ: اكثروا من ذكر الموت فإنه يُمَحِّصُ الذَّنُوبَ وَيُزْهِدُ فِي الدُّنْيَا...

وقال ﷺ: كَفَى بِالْمَوْتِ وَاِعْظَاءً...

وقال ﷺ: الْمَوْتُ الْمَوْتُ وَلَا بَدَّ مِنَ الْمَوْتِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الرُّوحُ وَالرَّاحَةُ وَالكَرَّةُ الْمُبَارَكَةُ إِلَى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لِأَهْلِ دَارِ الْخُلُودِ، الَّذِينَ كَانَ لِهَما سَعِيْهُمُ وَفِيهَا رَغْبَتُهُمْ...

وقال ﷺ: إِذَا اسْتَحَقَّتْ وَايَةُ اللَّهِ وَالسَّعَادَةُ جَاءَ الْأَجَلَ بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ وَذَهَبَ الْأَمَلُ وَرَاءَ الظَّهْرِ وَإِذَا اسْتَحَقَّتْ وَايَةُ الشَّيْطَانِ وَالشَّقَاوَةَ جَاءَ الْأَمَلُ بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ وَذَهَبَ الْأَجَلَ وَرَاءَ الظَّهْرِ، انْتَهَى...

وقال الصَّادِقُ (ع): ذَكَرَ الْمَوْتَ يُمِيتُ الشَّهْوَةَ (الشَّهَوَاتِ) فِي النَّفْسِ وَيُقَلِّعُ مَنَابِتَ الْغَفْلَةِ وَيُقَوِّى الْقَلْبَ بِمَوَاعِدِ اللَّهِ وَيَرِّقُ الطَّبْعَ وَيَكْسِرُ أَعْلَامَ الْهَوَى، وَيُطْفِئُ نَارَ الْحِرْصِ، وَيُحَقِّرُ الدُّنْيَا وَهُوَ مَعْنَى مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَكَّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ، وَذَلِكَ عِنْدَ مَا يَحِلُّ أَطْنَابُ خِيَامِ الدُّنْيَا وَيَشُدُّهَا فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُنْكَرُ نُزُولُ الرَّحْمَةِ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَمَنْ لَا يَعْتَبِرُ بِالْمَوْتِ وَقَلَّةِ حِيلَتِهِ وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ وَطَوْلِ مَقَامِهِ فِي الْقَبْرِ، وَتَحْيِيرِهِ فِي الْقِيَامَةِ فَلَاخِيرٍ فِيهِ. انْتَهَى...

اقول: الاحاديث في الباب كثيرة ولا شك ان دواء طول الأمل هو الموت وذكره لاغير فان الانسان اذا ذكر الموت فهو يقصر من أمله، لان منشاء طول الأمل انما هو الغفلة عن الموت ومفارقة الأحباب فلو توجه في كل ساعة من ساعات ليله ونهاره الى الموت الذي ليس الا الفراق ليعلم ان الدنيا لا بقاء لها

وما لابقاء له لا ينبغي للعاقل التوجه اليه بالاصالة وهذا ظاهر.
□ قوله ﷺ: تَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مَا تَحْزُرُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا...

ثم امر ﷺ، بالتزود في الدنيا بما يتتفع به غداً اعنى في القيامة وهذا اصل
أصيل وركن وثيق فان العاقل لا ينبغي ان يعمل بعمل لا نفع فيه ولا ثمرة له لافى
الدنيا ولا فى الآخرة وتخصيص الكلام بالآخرة من غير تعرض له ﷺ بالنفع
الدنياوى مع انه ايضاً مَطمَح نظر للعقلاء لوجهين:

احدهما: ان المنافع الدنيوية لابقاء لها ولا دوام فيها فانها مع ما فيه اعنى
الدنيا تمرّ مرّ السحاب بل وجودها فى تصرّمها وتجددها، وحدوثها فى
وجودها، وما كان كذلك لا ينبغي التوجه اليه من العقلاء بالاصالة والاستقلال.
وثانيهما: ان الانسان لا بد له من الموت والورود على القيامة فكما ان الدنيا
محل حياته العاربية فالآخرة محل حياته الباقية وكما انه فى الدنيا يحتاج الى
ما به اعاشته وادامة حياته فكذلك الآخرة يحتاج فيها الى الزاد المناسب لها
وهو ليس من سنخ زاد الدنيا فالعاقل لا بد له من التوجه اليهما معا.

فكلامه ﷺ هذا اشاره الى هذا المعنى لالى التوجه بالآخرة دون الدنيا
وبالعكس فان اثبات الشئ لا ينفى ماعداه والعاقل اللبيب من كان جامعاً بين
المقامين وحائزاً لكِلْتَا المَرْتَبَتَيْنِ.

وبعد ما ثبت اصل الزاد ولزومه فى الآخرة لا بد لنا من الكلام فيه وانه اى
شئ هو وائى الزاد أفضل فنقول فيه جهات من البحث:
الجهة الأولى:

انه عبّر فى المقام بكلمة (تُحْرزُونَ) التى من الأحراز وهو الحفظ والصيانة
للإشعار بان الزاد الأخرى الذى عبارة عن التقوى والعمل الصالح فى الدنيا
موجب لحفظ النفس وصيانتها عن التكدرات والأرجاس فى الدارين وهو
كذلك لان النفس فى بدن الانسان بمنزلة المرآت الصافية فى اول الأمر تقبل
كل ماورد عليها من المملكات والخبائث فاذا اتصفت بالصفات الجيدة الحسنة

والمَلَكَاتِ الْفَاضِلَةِ الشَّرِيفَةِ تُصِيرُ مَصُونًا وَمَحْفُوظًا عَنِ الْآفَاتِ الْمُهْلِكَةِ وَإِنْ
 اتَّصَفَتْ بِالرَّذَائِلِ وَالْخَبَائِثِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْبُخْلِ، وَالْحَسَدِ وَالْكِبَرِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنْ
 الْأَرْجَاسِ تُصِيرُ كَثِيفَةً مُنْكَدِرَةً وَمُلَوَّنَةً بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ انْعِكَاسُ الْعَوَاطِفِ
 وَالْحَقَائِقِ الْمَلَكُوتِيَّةِ فِيهَا وَالِي هَذِينَ الْمَقَامِينَ اشِيرُ فِي الْكِتَابِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:
 ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا، فَأَلْهَمْنَاهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(١).

فَقَوْلُهُ ﷺ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَنْ أَرَادَ تَذَكِّيَتَهُ نَفْسَهُ عَنِ الْخَبَائِثِ وَالْأَرْجَاسِ الْكَثِيفَةِ
 فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْمَوَاطَبَةِ عَلَيْهَا مِنَ الْإِتْيَانِ بِالْحَسَنَاتِ وَاتِّصَافِهَا بِفَضَائِلِ الْأَخْلَاقِ
 حَتَّى يَصُونَهَا الْخَطَاءَ وَالزَّلَّلَ.
 الْجَهَّةُ الثَّانِيَّةُ:

إِنَّ مَا ذَكَرَهُ يَدُلُّ عَلَى تَجَرُّدِ النَّفْسِ وَبِقَائِهَا بَعْدَ ذُثُورِ الْبَدَنِ كَمَا هُوَ مُؤَيَّدٌ
 بِالْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ عَلَى مَا هُوَ مَسْطُورٌ فِي الْكُتُبِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ﷺ قَالَ مَا
 تُحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ، وَلَمْ يَقُلْ مَا تُحْرُزُونَ بِهِ أَبْدَانَكُمْ، وَأَجْسَامَكُمْ مَثَلًا.
 فَيَسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي الْحَقِيقَةِ عِبَارَةٌ عَنِ نَفْسِهِ النَّاطِقَةِ
 الْمُجَرَّدَةِ وَلَا دَخَلَ لِلْأَبْدَانِ فِي حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَهُوَ كَذَلِكَ لِأَنَّ شَيْئِيَّةَ الشَّيْءِ،
 بِصُورَتِهِ لِابْمَادَتِهِ وَالنَّفْسِ فِي الْإِنْسَانِ بِمَنْزِلَةِ الصُّورَةِ وَالْبَدَنِ بِمَنْزِلَةِ الْمَادَّةِ،
 فَكَمَا أَنَّ وُجُودَ الْمَادَّةِ فِي الْخَارِجِ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِوُجُودِ الصُّورَةِ وَمَعَ قَطْعِ النَّظَرِ
 عَنِ الصُّورَةِ لِأَوْجُودِهَا فَكَذَلِكَ وَجُودُ الْبَدَنِ فِي الْخَارِجِ مَنْوُطٌ بِوُجُودِ النَّفْسِ
 وَمَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْهَا فَهُوَ مَيِّتٌ لِأَحْيَاةِ لَهُ فَجَرَّيٌّ بَانَ يَقَالُ أَنْفُسَكُمْ
 دُونَ أَجْسَادِكُمْ.

وَلِذَا تَرَى فِي الْقُرْآنِ أَيْضًا كَلَامَهُ تَعَالَى: يَدُورُ مَدَارَ النَّفْسِ، وَلَا خَطَابَ
 لِلْأَبْدَانِ بِالْأَسْتِقْلَالِ أِبْدَاءً. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى
 رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً الْآيَاتِ.

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَعَقُولُهُ

ساجدين» (١)

و : «عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ» (٢)

و : «قُو أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ» (٣) . وامثال ذلك من الآيات.

ولذلك قال ﷺ في آخر كلامه غَدًا فَأَقُولُهُ غَدًا إشارة الى الآخرة ومن المعلوم أَنَّ الصِّيَانَةَ وَالتَّحْفُظَ فِي الغَدِ دَلِيلٌ عَلَى تَجَرُّدِهَا بَعْدَ مَفَارَقَتِهَا عَنِ البَدَنِ وَوُجُودِهَا فِي الآخِرَةِ وَلَا نَعْنَى بِالتَّجَرُّدِ إِلَّا هَذَا فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ غَيْرَ مَجْرَدَةٍ فَلَا مَحَالَةَ تُفْنَى بِفَنَاءِ البَدَنِ وَعَلَيْهِ فَلَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ ﷺ تَحْرُزُونَ بِهِ غَدًا، إِذِ المَعْدُومُ لَا يَصْلَحُ لِلحُكْمِ عَلَيْهِ فَحُكْمُهُ بِالأَحْرَازِ وَالصِّيَانَةِ عَلَيْهَا فِي القِيَامَةِ دَلِيلٌ عَلَى تَجَرُّدِهَا بَعْدَ البَدَنِ وَهُوَ المَطْلُوبُ وَقَبْلَ المَفَارِقَةِ أَيضًا لِأَنَّهُ ﷺ قَالَ تَحْرُزُونَ، وَالأَحْرَازُ فِي نَشْأَةِ الدُّنْيَا فَلَوْ لَمْ تَكُنْ مُجْرَدَةً فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَيْفَ تُحْرَزُ. وَالحَاصِلُ أَنَّ فِي قَوْلِهِ اشْعَارٌ وَدَلَالَةٌ عَلَى تَجَرُّدِهَا عَنِ البَدَنِ حَيْثُ أَنَّ الأَحْرَازَ وَالصِّيَانَةَ نُسِبَ إِلَيْهَا وَلَوْلَا لِيَاقَتِهَا وَاسْتِعْدَادِهَا لِهَذِهِ المَنْزِلَةِ الرِّفِيعَةِ لَمَا قِيلَ فِيهَا مَا قِيلَ.

الجهة الثالثة:

أَنَّهُ لَمْ يُبَيَّنْ فِي هَذِهِ الفَقْرَةِ مِنَ الخُطْبَةِ الزَّادِ المَبْحُوثِ عَنْهُ فَقَالَ تَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مَا تُحْرَزُونَ الخِ وَلَمْ يَقُلْ تَزَوَّدُوا بِأَيِّ شَيْءٍ مِثْلًا وَفِيهِ اشْعَارٌ بِأَنَّ تَعْيِينَ الزَّادِ المُثْمَرِ فِي الآخِرَةِ مَوْكُوفٌ بِمَشِيئَةِ المَكْلَفِ وَاسْتِخَابِهِ فَكَانَهُ ﷺ قَالَ أَنَا لَأَقُولُ لَكُمْ وَلَا اتَّخِبْ لَكُمْ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ وَالأَفْعَالِ بَلِ أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا العُقَلَاءُ تَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مَا تُحْرَزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا فَكُلُّ شَيْءٍ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُوجِبٌ لِصِيَانَتِهَا وَحِفْظِهَا فَافْعَلُوهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ غَيْرَ التَّقْوَى.

الجهة الرابعة:

تَخْصِيصُهُ ﷺ الأَحْرَازَ بِالغَدِ وَقَالَ غَدًا اعْنَى يَوْمَ القِيَامَةِ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ مِنَ أَهْلِ الآخِرَةِ وَالسَّالِكِينَ فِي طَرِيقِهَا كَفَاهُ اللهُ مَوْئَةَ دُنْيَاهُ وَإِذَا

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

كان من اهل الدنيا والطلبين لها لا يكفي مؤنة آخرته فانّ الأرزاق في الدنيا
مقومة مقدرة يصل صاحبها اليها لامحالة واما الآخرة فليست بمقسومة
مضمونة بل تحصيلها يتوقف على العمل الصالح فلاجل هذه الدقيقة يقال انّ
المكلف يجب عليه العمل للآخرة لتحصيل مقاماتها بخلاف الدنيا والآيات
والأخبار قد حثتنا عليها دون الدنيا ضرورة انّ الفاني لا يصلح لا يكون غاية
ومقصوداً للعاقل بالأصالة والباقي يصلح وهذا ظاهر
الجهة الخامسة:

الأشارة الى انّ النفس تكمل في هذه الدنيا ولا سبيل الى تكميلها في الآخرة
وهو كذلك لأنّ الدنيا مزرعة الآخرة فكلّ ما يزرعه في الدنيا يحصده في
الآخرة بل العلة الغائية لهبوط النفس من عالم الملكوت الى عالم الملك
وتعلقها بالبدن ليست الآ وصولها الى كمالها المترقب بسبب الآلات البدنية ولا
شك انّ استفادتها في ارتقائها الى المدارج العالية بالآلات انما هي في الدنيا
لاغير ولذلك قال عليه السلام: تزودوا في الدنيا ولم يقل تزودوا من غير تقييده بها،
فانّ محلّ التزود هذه الدنيا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ
سبيلاً. وغير ذلك من الجهات التي لم نذكرها مخافة الاطناب هذا ما خطر
ببالنا في شرح كلامه عليه السلام في هذه الخطبة واما ما قاله الرضى (قدّه) في ذيل
الخطبة في حلّ مشكلاتها فلايحتاج الى شرح عليها بعد ما شرحنا الخطبة
مفضلاً فلانطول الكلام بذكره والحمد لله ربّ العالمين.

﴿وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (٢٩)﴾

□ قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَائُهُمْ، كَلَامُكُمْ يُوْهِى الصُّمُّ الصَّلَابَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمَعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءُ! تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ، حِيْدِي حِيَادٍ، مَا غَرَّتْ دَعْوَةٌ مِّنْ دَعَاكُمْ، وَلَا اسْتِرَاحَ قَلْبٌ مِّنْ فَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ، دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ الْمَطْوُلِ، لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الدَّلِيلُ، وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ. أَيُّ ذَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ؟ وَمَعَ أَيُّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟ الْمَغْرُورُ وَاللَّهُ مَنْ غَرَّرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخِيْبِ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِكُمْ بِأَفْوَقَ نَاصِلِ، أَضْحَبْتُ وَاللَّهُ لِأَصْدَقُ قَوْلِكُمْ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلَا أُوْعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ، مَا بَالُكُمْ مَا دَوَاتِكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟ الْقَوْمَ رِجَالٌ أَمْثَالِكُمْ، أَقْوَالًا بِغَيْرِ عِلْمٍ؟ وَغَفْلَةً مِّنْ غَيْرِ وَرَعٍ؟ وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ أَنْتَهَى مِنْ.

◁ اللُّغَةُ

(أَيُّهَا) منادى وحذف حرف النداء من لفظة (أَيُّ) كقوله تعالى: ﴿أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾.

(أَهْوَائُهُمْ) الأهواء جمع هوى وهوى النفس ارادتها. (يُوْهِى) بضم الياء وسكون الواو أى يضعف. (الصُّمُّ) بضم الصاد جمع الصَّماء وهى الصخرة الصلبة. (كَيْتٍ كَيْتٍ) بكسر آخرهما كناية عن قصة مهمة بمعنى كذا وكذا (حِيْدِي حِيَادٍ) أيضا كناية أى تقولون للحرب جانبى منا من حايدته محايدة

جانبه والخياد بفتح الحاء وكسر الدال الغارة. (أغليل) جمع أعلال. (أضاليل) جمع اضلال وهما جمع علة وضلة اسم لما يتعلق به من مريض وغيره. (المطول) كصبور كثير المسوف. (الضيم) بفتح الصاد وسكون الياء الظلم. (الجد) الاجتهاد. (فاز) الفوز، الفلاح. (السهم الأخبب) هو على ما قيل السهام الميسر الذي لا غنم به. (أفوق) مكسور الفوق وهو موضع الوتر منه. (ناصل) نصل السهم اذا أخرج منه النصل وهو حديدة السهم. (وباقى اللغات واضح).

المعنى <

خاطبهم بالنفاق وقال ﷺ (أيها الناس المجمعَةُ أبدانُهُم) واجسادهم (المختلفة أهوائُهُم) وآرائهم وهو دليل على تشتهم ونفاقهم. (كلامكم يوهي الصم الصلاب:) ويضعفه وهو استعارة وكناية عن أنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم. (وفعلكم يطعم فيكم الأعداء): وهو كناية عن عدم المطابقة، بين أفعالهم وأقوالهم والمعنى أن قولكم وكلامكم متين قوي وفعلكم ضعيف ردي. (تقولون في المجالس: كيت وكيت:) أي تقولون في المجالس نفل كذا وكذا مع أعدائنا. (فإذا جاء القتال قتلتم، حيدى حياذ): أي إذا جاء وقت الحرب تعرضون منها وتعتزلون في بيوتكم وتقولون بلسان الحال أيتها الحرب جانبي وياعدى منا. (ما غرت دعوة من دعاكم): أي من دعاكم إلى الحرب لم يعز بدعوته من ذلته. (ولأ استراح قلب من قاساكم): أي من قاساكم لم يسترح قلبه من تعبته. (أغليل بأضاليل): أي إذا دعوتكم إلى الجهاد تعلتُم بأمور هي أغليل باطلة بأضاليل لا جدوى لها ولا طائل تحتها والمقصود أن أعذاركم في ترك الجهاد غير موجهة للفرار عن الحرب والقتال. (دفاع ذي الدين المطول): والمراد أن ما سألتموني من التأخير والتطويل ليس إلا ذباً عنكم ودفاعاً عن أنفسكم كدفاع ذي الدين المطول، عن نفسه المماطل عن ديبه اللازم له. (لا يمنع الضيم الذليل): الحقير. (ولا يدرك الحق إلا بالجد): أي الاجتهاد والتشمير. (أي ذار بعد داركم تمنعون): والمقصود أنكم في أي

دار بعد داركم هذه التي انتم عليها وهو العراق تمنعون عدوكم اذا اخرجوكم عن دياركم ومساكنكم. (وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟): مع اعدائكم. ليس (الْمَغْرُورُ وَاللَّهُ مَنْ غَرَزْتُمُوهُ):، حيث اغتربكم مع مشاهدته الخلاف منكم غير مرة. (وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ):، وهو كناية عن عدم الفوز بهم الا كمن فاز بالسهم الاخيب وهو بعيد. (وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِكُمْ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ):، وهو كناية عن عدم الانتفاع بهم في الحروب وعدم الظفر بهم الى المقصود. (أَصْحَبْتُ وَاللَّهِ لِأَصْدَقِ قَوْلِكُمْ):، لكثرة ما شاهدت منكم من العِدَاتِ الباطلة والاقوال الكاذبة. (وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ):، لتشاقلكم عن الجهاد وتقاعدكم عن القتال. (وَلَا أُوْعِدُ الْعَدُوَّ):، لعدم الوثوق بكم مع طول تخلفكم وعلم العدو بذلك. (مَا بِأَلُكُمُ):، اي ما شأنكم، و(مَا دَوَاتِكُمْ؟) لهذا المرض اعنى النفاق وتشتت الآراء. وما طيبكم (مَا طِيبُكُمْ؟): اي عادتكم وجبلتكم، كي اداوايكم به واعالجكم عليه. (الْقَوْمَ رِجَالٌ أَمْثَالِكُمْ):، فما أخوفكم منهم، او كيف وهم متحدون وانتم مختلفون. (أَقُولُ بِغَيْرِ عِلْمٍ؟): تقولون ما لاتفعلون. (وَعَقْلَةٌ مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ؟): اي من غير ورع يحجزكم عن المحارم. (وَوَطْمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ): قيل في معناه أي تطمعون ان توفرو عطياتكم من غير حق لكم فيه كما فعله غيره من الخلفاء هكذا وسنوضحه في الشرح ان شاء الله تعالى.

◀ الشرح

اعلم: ان هذه الخطبة على ما رواه الشارح المعتزلى وغيره مما خطب بها امير المؤمنين عليه السلام في غارة الضحاك ابن قيس الفهرى بأمر من معاوية ابن ابي سفيان وقوله له سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغبر عليه وان وجدت له مسلحة او خيلاً فأغبر عليها واذا اصحبت في بلدة فامس في اخر ولا تقيمن لخييل بلغك انها قد سرحت اليك لتلقاها فتقاتلها فسرحه فيما بين ثلاثة او اربعة آلاف فاقبل

الضحاك فنهب الأموال وقتل من لقي من الأعراب حتى مرّ بالثعلبية فاغار على الحاج فأخذ امتعتهم ثم اقبل فلقي عمرو ابن عميس ابن مسعود الدهلي صاحب رسول الله فقتله في طريق الحاج عند القطقطانة وقتل معه ناسامن اصحابه الى آخر ما ذكره الشارح المعتزلى فى شرحه لهذه الخطبة ونحن لانطول الكلام بذكره فان غرضنا من هذا الشرح غير غرضه فمن اراد الاطلاع على ما ذكره مفصلاً فعليه بالرجوع الى شرحه فانه يجده كنزاً واسعاً فى التواريخ والأنساب، واللغات.

□ قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَيْدَانُهُمُ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاءُهُمْ...

حذفت النداء من لفظة ائى والاصل يا ايها الناس، وذلك لانها اذا وصفت بذى اللام يجوز حذف الياء منها، كقوله تعالى: «أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ» ثم انه خاطبهم وآتبت لهم اصلين رذيين: احدهما اجتماع أبدانهم. وثانيهما اختلاف أهوائهم، بسراية قبج الثانى الى الاول وذلك لان اجتماع الأبدان فى حدّ نفسه لاينبغى ان يُذمّ عليه، نعم الاجتماع فى الأبدان مع اختلاف الآراء والأهواء ليس بمطلوب وذلك لكونه علامة النفاق والشقاق فان المنافق من كان ظاهره مخالفاً لباطنه فالاتفاق الظاهرى هو عبارة من قرب الأبدان مع الاختلاف فى الواقع الذى هو عبارة عن اختلاف الأهواء والآراء عين النفاق المذموم عقلاً وشرعاً ولذلك ذمهم عليه تلويحاً.

وبعبارة اخرى اجتماع الناس فى ظاهر الأمر واختلافهم فى الباطن أمرٌ باطلٌ عاطلٌ وذلك لان كل اجتماع ليس بمطلوب، بل المطلوب منه هو الاجتماع اذا كان حقاً قال الله تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا»^(١).

ثم اسناد الاختلاف فى المقام الى الاهواء دون الآراء وامثالها ممّا يفيد هذا المعنى للأشارة الى انهم كانوا تابعين لنفوسهم الأمارّة ومن كان كذلك فلا رأى

له بل الرأى فى الحقيقة لهواه وهو دليل على انحطاطه وتنزله عن مقام
الإنسانية.

والدليل على ما ذكره عليه السلام فى كلامه واضح لمن مارس التواريخ وكتب السير
فإن اصحابه من اهل الكوفة وغيرهم لكونهم من عبدة الأهواء لم يكن لهم
رأى ثابت وايمان راسخ فى اتباع الحق والأعراض عن الباطل بل كثيراً منهم
كانوا همج رعاء اتباع كل ناهق يميلون مع كل ربح ولا يستضيئون بنور الهدى
ولذلك تقاعدوا عن الجهاد حيث امرهم به الى ان سلط عليهم معاوية ففعل
بهم ما فعل فلا جرم صاروا مصداقين لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ
مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ (١).

□ قوله عليه السلام: كَلَامُكُمْ يُوْهِى الصَّمُّ الصَّلَابَ وَفِعْلُكُمْ يُطْمَعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءُ...
ثم استدلل عليه السلام على قوله: أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمُ الْخ. بأمور كلها تدل
على نفاقهم وتشتت آرائهم فقال عليه السلام كلامكم كذا وفعلكم كذا أى تقولون ما
لا تفعلون فإن كلامكم يشبه كلام الرجال من حيث المتانة والقوة وفعلكم ليس
كذلك لأنه يطمع فيكم الأعداء بضعفكم وقعودكم عن القيام فى مقابل الأعداء.
وبعبارة اخرى: اذا سمع العدو كلامكم يخاف منكم واذا رأى فعلكم
وجبنكم وتسامحككم فى الجهاد والدفاع يطمع فيكم ويعلم علماً قطعياً بانكم
اشباه الرجال ولارجال فلامحالة يقتلكم وينتهب اموالكم ويسلط عليكم
وليس هذا إلا من حيث الفصل بين القول والفعل وكون الفعل على خلاف
القول.

والسر فيه هو ان العمل ثم القول فكما ان الشجرة مثلاً قيمتها بقيمة الثمرة
المترتبة منها وكل شجرة ثمرتها اعلى و أنفع فهي ايضاً أنفع و أقوم بين
الأشجار وبالعكس بالعكس فكذا لك ثمرة القول والعلم هى العمل فقول بلا
فعل و عمل كشجرة بلا ثمرة، فينبغى للعاقل ولا سيما العاقل المدعى للإيمان

ان يعمل بمقتضى قوله حتى يطابق قوله فعله والا لا يكون عاقلاً فضلاً عن ان يكون مؤمناً والآيات والأخبار فى ذمّ تخلف الفعل عن القول كثيرة ولذلك قال عليه السلام:

□ قوله عليه السلام: تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ حَيِّ حَيَادٍ...

وهذا بمنزلة التفسير والتبيين للجملة السابقة وهى قوله: كَلَامُكُمْ يُوْهِى الصُّمُّ الصَّلَابَ الخ فكأنه قال قائل له عليه السلام باي دليل نكون كذلك، فقال عليه السلام لأنكم تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ الى آخر ما ذكره.

ومعنى العبارة انكم اذا تجلسون فى المجالس تقولون نفعل كذا وكذا مثلاً فى الحرب مع الأعداء فاذا جاء وقت الجهاد والحرب قلتم حيدى حياى. وهو كناية عن فرارهم عن الجهاد لأنهم كانوا يقولون فى فصل الشتاء ليس هذا وقت الحرب بل الوقت له الصيف وفى فصل الصيف كانوا يقولون فصل الشتاء أحسن كل ذلك لفرارهم عن الجهاد وخوفهم من الموت وقد مرّ الكلام فى هذا الموضوع مفصلاً.

□ قوله عليه السلام: مَا عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِّنْ دَعَاكُمْ وَلَا اسْتَرَاخَ قَلْبٌ مِّنْ قَاسَاكُمْ...

قرأ كلامه عليه السلام ما عزت بفتح الزاء من العزه وهى ضد الذلة، قال الخوئى فى شرحه لهذا الكلام ما هذا لفظه:

يعنى: من دعاكم لم يعز بدعوته من ذلته ومن قاساكم لم يسترح قلبه من تبعه انتهى.

وقال المحقق البحرانى (قدّه) قوله مَا عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِّنْ دَعَاكُمْ المستلزم للحكم بذلة داعيهم ولا استراح قلب من قاساكم المستلزم للحكم بتبعه انتهى. اقول: وهذا هو المأخذ لما ذهب اليه الخوئى كما لا يخفى وأما الشارح المعتزلى فلم يتكلم فيه كما هو دابه وشأنه فى امثال هذه المشكلات، والدقائق.

اقول: ماذكروه فى شرح العبارة موافق لما عليه ظاهر اللفظ من غير تأملٍ منهم فى هذا الاسناد وأنه لا يوافق شأنه ﷺ.

وتوضيح ذلك هو أنّ معنى العبارة على ما ذكره يصير هكذا من دعاكم الى الجهاد او غيره مثلاً لم يعزّ بدعوته من ذلته، اى فهو اى الداعى باقى على ذلته ولا شكّ أنه ﷺ كان ممن دعاهم الى الجهاد وغيره مرّات وهؤلاء لم يُجيبوه فلازم ذلك على ما ذهبوا اليه هو أنه ﷺ كان باقياً على ذلته نعوذُ بالله منه.

ان قلت - أنه ﷺ لم يرد نفسه فى هذا الكلام بل اراد غيره من الداعين.

نقول: لك ليس الأمر كما زعمت لأن هذه الخطبة وامثالها لم تصدر منه ﷺ

الآ بسبب مخالفتهم آياه وعدم طاعتهم له ﷺ الا ترى أنه وبخهم واوعدهم على أقوالهم وافعالهم ونفاقهم وهذا ظاهر والذي يقوى فى نفسى فى حلّ الاشكال هو أنّ العبارة، ما غرت، بالغين المعجزة والراء المهملة من الأغرار و يؤيده قوله ﷺ فيما بعد، المَعْرُورُ وَاللّهِ مَنْ غَرَّرْتُمُوهُ، وعليه فالمعنى ليس من دعاكم الى الجهاد مَعْرُوراً بدعوته اياكم لعلمه بعدم اجابتكم له وكونكم منافقين وهو اشارة بكونه ﷺ عالماً بنفاقهم وشقاقهم وعصيانهم ومع ذلك دعاهم الى الجهاد إتماماً للحُجّة فكانه ﷺ قال لهم لا تظنّوا بى انى لأعرفكم من انفسكم ولكنى اقول لكم ما اقول لئلا يكون للناس على الله من حُجّة فى الآخرة بل الحُجّة له عليهم كما هو شأن الانبياء عليهم السلام فى كلّ عهدٍ وزمان فانهم كانوا يأمرّون الناس، وينهونهم مع علمهم بأنهم او اكثرهم على ضلالتهم كما قال تعالى: فى كتابه: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (١)

و: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٢).

فوَظيفه الامام ﷺ بعد النبى ايضاً الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتبليغ لما جاء به النبى ﷺ من الأحكام قبلو منهام لا والله اعلم.

وامّا قوله ﷺ: وَلَا اسْتِزَاحَ قَلْبٍ مِّنْ قَاسَاكُم، فقالوا فيه اى ومن قاساكم لم

يَسْتَرَح قَلْبَهُ مِنْ تَعْبِهِ.

والمقصود من هذا الكلام منه عليه السلام الإشارة الى ان اصحابه كانوا ممن لم يمكن له عليه السلام مكابدتهم والضيق عليهم يقال قاسى مقاساة، اى كابدته وعالج شدته والمقاساة المكابدة، فيصير المعنى انكم من حيث النفاق، والعصيان بمرحلة لا يمكن لأحد الاعتماد عليكم والاعتزاز بقولكم ولا يمكن له ايضاً مقاساتكم لان المنافق والمعاند لا شكر له على الرخاء ولا صبر له على الشدة وهذا من أسوء الحالات.

□ قوله عليه السلام: أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ وَسَأَلْتُمُونِي التَّطْوِيلَ دِفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطْوُولِ...

قال الشارح البحراني (قدّه) فى معنى (أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ) جمع أَعْلَالٍ وَأَضْلَالٍ وهما جَمْعُ عِلَّةٍ اسم لما يَتَعَلَّلُ به من مَرَضٍ وغيره وضلّة اسم من الضلال ومعنى الباطل انتهى ما ذكره (قدّه) بعين الفاظه:

وانا اقول: انى بعد ما تصفحت كتب اللغة لم أجد ما يوافق هذا المعنى ولا ادري من اى كتاب منها أخذه، نعم قال فى المُنْجِدِ الأَضْلُوءَةَ ضِدَّ الْهُدَى جمع أَضَالِيلٍ وهو لا يناسب ما ذكره فانه قال بان اضاليل جمع اضلال وهو كما ترى غير ما فى المُنْجِدِ.

واما كلمة (أَعَالِيلُ) فلم نجد فى اللغة فيما بايدنا منها مأخذا لها وانها جمع لائى شىءٍ ولعله (قدّه) وجد ما لم نجده واطلع على ما لم نطلع عليه وهذا ممّا ليس ببعيد.

فعلى ما ذكره (قدّه) ويوافقه ظاهر الكلام ايضا يصير معنى العبارة واذا دعوتكم الى القتال والجهاد تعلّتم وهى اعاليل باطلة ضلالاً عن سبيل الله وسألتموني التأخير وتطويل المدة كما ذكره الشارح البحراني، ثم قال (قدّه).

فاعاد قوله ذى الدين المَطْوُولِ، يحتمل ان يكون تشبيهاً لدفاعهم له بدفاع ذى الدين فيكون منصوباً محذوف الجارّ ويحتمل ان يكون، قد استعار دفاع

ذی الدین المَطْوُول لدفاعهم فيكون مرفوعاً ووجه الاستعارة انّ الدّين المَطْوُول
أبداً مُشْتَهَى لعدم المطالبة وتودّ نفسه ان لا يراه عَزِيمَةً فكذلك فهِمَ ﷺ أنّهم
كانوا يُحِبُّون ان لا يعرض لهم بذكر القتال ولا يطالبهم به فاستعار لدفاعهم
الدِّفاع المذكور لمكان المشابهة انتهى ما اردنا ذكره.

اقوله: ما ذكره (قدّه) في حدّ نفسه صحيح لا كلام فيه الاّ أنّه لا يوافق العبارة اذ
ليس في العبارة شيء مما ذكره (قدّه) وذلك لانّ التّشبيه يستدعي اركاناً
أربعة المُشَبَّه المُشَبِّه به وَجَه الشَّبه اداة التّشبيه فاذا فرضنا حذف الأداة فيه
فلامنصر له من وجود الثلاثة فيه وأين في الكلام مُشَبَّه حتّى يقال بانّ قوله ﷺ
دفاع ذی الدّين المَطْوُول، شُبَّه بدفائهم او دفاعهم شُبَّه به.

فلو قلنا بانّ قوله ﷺ سألتموني التّطويل هو المشبّه به او المُشَبَّه كما هو
الظاهر من كلامه (قدّه) فهو لا يستقيم لانّ المَطْوُول معناه كثير المطال على
ما ذكره في شرحه وهو اعنى كثير المطال لا يشبّه بالتّطويل اذ هو عينه بلافرق
بينهما والمُشَبَّه لا يكون عين المُشَبِّه به بل لابدّ من ان يكون وجه الشَّبه في
المُشَبَّه به أقوى منه فانّ المَطْوُول وسائل التّطويل واحداً والمُطاطلة في وسائل
التّطويل ليس بأقوى منها في المَطْوُول.

وان كان الأمر بالعكس بكون ذی الدّين المَطْوُول هو المُشَبَّه به وقوله ﷺ
سألتموني التّطويل هو المُشَبَّه كما هو أحد الاحتمالين في كلامه فهو ايضاً
لا يرجع الى محضّل لانّ الكلام فيه كالکلام في الاوّل بلاتفاوت بينهما.
ثمّ أنّه ايّ دفاع تحقّق منهم حتّى يقال لهم كدِّفاع ذی الدّين المَطْوُول
والعبارة ايضاً لا تدلّ على ثبوته ضرورة انّ السّؤال منهم بالتّطويل ليس من
الدِّفاع بشيءٍ وهذا ايضاً ظاهر.

فالحقّ في المقام ان يقال: اما قوله أعاليلُ بأضاليلُ معناه انكم تُعلّلون عن
الجهاد بعِللٍ ليست الاّ ضلالاً ونفاقاً كقولكم هذا اوان الصّيف وهذا اوان الشّفاء
وامثال ذلك من الاستدلالات الواهية التي ليس منشأها الاّ تمرداً وعصياناً

وفاراراً عن الحرب ولأجل هذا الضعف والوهن سألتهمونى التّطويل، فإنّ المؤمن المجاهد فى سبيل الله لما علم بوجوب الجهاد لا يسئل التّطويل والتّأخير لأنّ فى التّأخير آفات فالسؤال منهم دليل على ضعفهم وفرارهم عن الجهاد اذا الجهاد لا يجوز تأخيره عن وقته من غير عذرٍ وكذا سائر الواجبات. واما قوله عليه السلام: **دِفَاعُ ذِي الدِّينِ المَطْوُولِ**، فالحقّ ان يقال ان كلمة (دفاع) فى هذه العبارة وقعت مفعولاً للدفاع المُقدَّر المُستنبط عن الجملة السابقة وذلك لأنّ قوله عليه السلام وسألتمونى التّطويل يدلّ على انه كان هناك منهم سؤال وسؤالهم التّطويل لا يعقل الا بعد امرهم بالجهاد فانه لو لم يأمرهم فكيف سألوا التّطويل فثبت ان الامر بالدفاع كان مُتحققاً منه عليه السلام بالنسبة اليهم وبهذا التقرير فالجملة تدلّ على الامر بالدفاع فكانه عليه السلام وقال سألتمونى عدم الدفاع فعلاً وتأخيره عن هذا الوقت وهذا لا يسمّى فى الواقع بدفاع فانّ الدفاع الحقيقى لا يقبل التّأخير لوجود شرائطه ومع عدم الشرائط فلا يجوز الأمر به والأقدام عليه.

ثمّ قال عليه السلام: **دِفَاعُ ذِي الدِّينِ المَطْوُولِ**، اى هذا الدفاع الذى أمرتكم به وسألتمونى التّأخير والتّطويل فيه كدفاع ذى الدّين المَطْوُولِ اى دفاعكم من نوع ذى الدّين المَطْوُولِ وعليه فقوله **دِفَاعُ الخ**.

مفعول مطلق لفعلٍ مقدّر، ولهذا قرء بالنصب والتقدير انما تدفعون عن اعدائكم بنوع دفاع ذى الدّين المَطْوُولِ، وهذا لا ينبغى ان يسمّى دفاعاً بل هو مسامحةٌ ومماثلة للفرار عن الجهاد والدفاع.

وانما عبّر عليه السلام بالدفاع دون الجهاد لما ذكره المورخون من ان اصحاب معاوية هجموا على العراق بالقتل والنهب والغارة وذّبّهم عنها يسمّى دفاعاً لاجهاداً هذا.

□ قوله عليه السلام: **لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الدَّلِيلُ وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ...**

اشار عليه السلام: فى هذا الكلام الى اصلين لازمين لمن ترك الجهاد والدفاع عن

دينه ونفسه وماله وعرضه.

الاصل الاول قوله لا يُمنعُ الضَّيْمَ الدَّلِيلُ .
والاصل الثاني ولا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ .

اما الاول: فلان الدليل اى الحقير يكون مظلوماً لامحالة ولا يمنعه عنه مانع لانه صار مستوجبا للظلم مُحَقَّقاً له وانما قال عليه السلام الدليل ولم يقل الضعيف لان الضعيف وهو الذى لا يقدر على دفع الظلم عن نفسه يُمنع عنه الظلم شرعاً وعقلاً وانما الدليل وهو الذى يقدر على دفع الظلم عن نفسه ولا يقدم عليه فكأنه اعان الظالم على نفسه بل هو الظالم على نفسه فى الواقع بسوء سريرته واختياره ومن يظلم على نفسه باختياره فمن يمنعه منه الا ترى ان انساناً لو ضرب نفسه لا يمنعه منه ولا ضرب غيره ممن لا يقدر على الدفاع منع منه وهذا المعنى لا يدل على جواز الظلم فى هذه الصورة وعدم عقوبة الظالم فى الآخرة بل المقصود ان المظلوم اذا كان كذلك فلاحق له على الظالم لانه اعان الظالم على ظلمه بل لا يبعد ان يكون مُعاقباً فى الآخرة ايضا كما يستفاد من الروايات من ان المظلوم اذا كان قادراً على دفع الظلم عن نفسه ولا يدفعه عنها فهو والظالم سواء من حيث العذاب فى اليوم الآخر كما قال رسول الله ﷺ:

الظالم والمظلوم كلاهما فى النار، فقليل له ﷺ فما بال المظلوم؟
قال: لانه كان قادراً على دفع الظلم ولم يفعل.

والسرفيه ان هذه الروية على انها توجب كون الشخص مظلوماً مقهوراً توجب تقوية الظالم فى ظلمه وازدياد شوكته وجبروته فيصير قوياً قاهراً غالباً على القتل والنهب بل اماتة المعروف واحياء المنكر ولا شك ان منشاء هذه الأباطيل والمنكرات فى اكثر الموارد هو سكوت الناس وعدم تعرضهم له ولم يعلموا ان هذا المسلك هو الذى سلكه الظالم بعينه فان مسلك الظالم وضع الشىء فى غير محله ومسلك هؤلاء ايضا وضع الشىء فى غير محله فان المحل المفروض ليس محلاً للسكوت وقد تكلمنا فى هذا البحث فى سالف

القول ونتكلم فيه انشاء الله في موضع أليق من هذا الموضع.
واما الاصل الثاني: وهو قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: **وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ**، فهو ايضا اصل
متين والدليل عليه من وجوه.

احدها ان الحق غريز الوجود في كل عصر وزمان وكل ما كان كذلك فهو
وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ، فالحق لا يدرك بالجد.
اما الصغرى: فمسلم بالحق والعيان فيما نشاهده الآن وفي الأزمنة السالفة
بشهادة التاريخ والوجدان.

اما الكبرى: فمسلم ايضا لان الوجود كلما يكون وجوده أقل وأندر يكون
الوصول اليه أحمز وأعسر ولذلك قال رسول الله **ﷺ** افضل الأعمال أحمزها،
الا ترى ان الوصول الى الجواهر الموجودة في اعماق الأرض أشد وأحمز من
الوصول الى الاحجار الموجودة على سطح الأرض مع اشتراكها في الحجرية
لقلة وجود الاول وكثرة الثاني وهذا هو الملاك في كون القسم الاول اعلى قيمة
من الثاني وهكذا الامر في الأنسان فان المؤمن أقل وجوداً من غيره والوصول
اليه ايضا أصعب والأنسان الكامل منحصر في شخص واحد في كل عصر
وزمان ولا ثاني له والوصول اليه ايضا لا يمكن الا بمشقةٍ والعاذل أقل وجوداً
من الظالم، وهكذا الامر في جميع الشئون ولذلك قيل او يقال شرافة
المطلوب وعظمته تعلم من مقدماته المؤصلة اليه واذا كان كذلك فالنتيجة
قطعية.

وثانيها: ان للحق مظهرية للواجب تعالى كما ان للباطل مظهرية للشيطان
فكما ان الوصول الى مقام قربه تعالى أشد وأصعب للسالك في سلوكه من
الوصول الى الشيطان والنفس الامارة فكذلك الوصول الى مظاهر الواجب
ايضا أصعب من الوصول الى مظاهر الشيطان.

والدليل على ما ذكرناه ان الاول يحتاج الى الرياضات الشديدة بخلاف
الثاني ولذلك ترى الصنف الاول في كل زمان قليلا والثاني كثيراً قال الله

تعالى: وقليلٌ من عبادى الشكور.

وثالثها: أنه قد ثبت عقلاً أن كل ما يصل اليه الإنسان بعُسرةٍ ومَشَقَّةٍ فهو أحسن وأشرف مما يصل اليه من غير كُلفةٍ ومَشَقَّةٍ والحق من قبيل الأول والباطل من الثانى وهذا ايضا واضح.

ورابعها: أن الحق عبارة عن طريق المستقيم والضراط السوى الذى ليس فيه انحراف واعوجاج وهذا لا يمكن لأحدٍ إلا بالاستقامة وعدم التزلزل والأضطراب ولا شك أن الوصول الى هذا المقام من اشكل المشكلات ولذلك قال رسول الله ﷺ: شَيْبَتْنِي سُوْرَةُ هُوْدٍ لِمَكَانِ هَذِهِ الْآيَةِ (فَأَسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتُ) وهذا بخلاف الباطل ولذلك نقول الباطل يطلبنا ونحن نطلب الحق. فقد ظهر ممّا ذكرناه أن الحق لا يُدْرِكُ إلا بِالْجِدِّ واذ ثبت هذا فى الحق بالمعنى الاعمّ فقد ثبت فى الحق بالمعنى الاخصّ ايضا اعنى كل حق من الحقوق فَمَنْ ظَنَّ او يَظُنُّ أنه يصل اليه من دون طلب وتحملٍ للمَشَقَّةِ فقد ظنَّ ظَنُّ السَّوِّءِ.

□ قوله ﷺ: أَيِّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ، وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ...

كلمة ائى للاستفهام التوبيخى أضيفت الى دار، والجُملة اعنى المضاف والمضاف اليه وقعت مفعولا لقوله تمنعون والفاعل مستتر فى الفعل وتقدير الكلام تَمْنَعُونَ، ائى دارٍ بعد داركم.

والمقصود بالدار ليس معناها الحقيقى بل المراد بها اما دار الهجرة وهى الكوفة وتوابعها او عَبَّرَ عنها بالدار توسعاً وعلى ائى حال معنى الجملة بصير هكذا ائى دارٍ وبَلَدٍ من البلاد تَمْنَعُونَ العَدُوَّ منها بعد ما لا تَمْنَعُونَهُ من داركم هذه اى اذا لم تقدر و على دفع الأعداء عن داركم فكيف تقدرُونَ على دفعهم عن سائر البلاد وكذلك الحال فى الجملة التالّية اى اذا لم تقاتلو معى فَمَعَ ائى امام بعدى تقاتلون والجواب فى كلتا الجملتين منفى.

□ قوله ﷺ: أَلْمَغْرُورُ وَاللَّهُ مَن غَرَّرَ تُمُوهُ...

الغرور، الخداع الذي لاحقيقه له وهو المتاع الردي الذي يدلس به على طالب حتى يشتريه ثم يتبين له رداثته والشيطان هو المدلس.
قال الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(١).

وفي الحديث: المؤمن غرٌّ كريمٌ، اي ليس بذي مكر فهو ينخدع لأنقياده ولينه وهو ضد الخب والغرة بالكسر الغفلة كما ورد في الحديث لا يكون السفة والغرة في قلب العالم.

والغرة بالضم عبد أوامة ومنه قضى رسول الله في الجنين بغرة، والتغريب حمل النفس على الغرر وهوان يعرض الرجل لنفسه المهلكة ومنه الحديث لا يغرر الرجل بنفسه ولا بدينه وفي الحديث الدنيا قد تزينت بغرورها وغرت بزيتها.

يقال غرته الدنيا غروراً من باب قعد خدعته بزيتها فيه غرورٌ مثل رسول اسم فاعل مبالغة ولنرجع الى المتن.

□ قوله ﷺ: المغرور على مفعول اسم مفعول من غرّ يغرّ نحو ضرب يضرب واسم الفاعل منه غار، والغار هو الغافل.

والمقصود من هذه الجملة ان المغرور الواقعي من غفل عن مكرم وحيلتكم ونفاقكم فتصوّر بل تيقن ان ماتقولونه صدق وحق ولا يكون متوجّها الى انكم تقولون ما لاتعلمون ثم اعتمد على قولكم ووعدهم حتى ان يعرض نفسه للتهلكة وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٢)، وذلك لان المنافق ليس بمُعتمد.

وفي قوله ﷺ: (والله) المفيد للقسم اشارة الى نكتة اخرى وهي ان اصحابه من اهل الكوفة وغيرهم كانوا من اشدّ المنافقين الكاذبين الذين لا بد للعاقل من الاحتراز والاجتناب عن آرائهم واقوالهم ووعدهم ووعيدهم وذلك لانه ﷺ افاد في المقام ان من اعتمد عليهم وعلى امثالهم فهو المغرور والله اي لاشك

فى مَغْرورِيته وهو يدلّ على ذمّهم وقدحهم كما لا يخفى هذا.
ثمّ انّ ما ذكره يدلّ بالفحوى على انّ المؤمن ينبغي ان يكون فِطْنًا، كَيْسًا،
لا يَغْتَرَّ بغيره وهو كذلك وحيث انجزّ الكلام الى هنا فلا بأس بالأشارة الى
تحقيق الغرور وبعض ما قيل فيه فنقول قال بعض العرفاء:

الغرور على ما عرّفوه فى علم الاخلاق هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى
ويميل اليه الطبع عن شبهة فاسدة وخذعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير
فى الدنيا والآخرة عن شبهة فاسدة فهو مغرور ولما كان اكثر الناس ظانين
بانفسهم خيراً ومعتقدين بصحة ما عليه من الأعمال، والأفعال وخيريته مع
انهم مخطئون فيه فهم مغرورون.

مثلاً من يأخذ المال الحرام ويُنْفِقُها فى مصارف الخير كبناء المساجد
والمدارس والقناطر والرّباطات وغيرها ويظنّ انّ هذا خيرٌ له وسعادةٌ مع انه
مَحْضُ الغرور حيث خدعه الشيطان وأراه ما هو شرٌّ له خيراً وكذا الواعظ الذى
غرضه الجاه والقبول من موعظته يظنّ انه فى طاعة الله مع انه فى المعصية
بغرور الشيطان وخذعته.

ثمّ لا ريب فى انّ سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل الطبع اليه عن
شبهة ومخيلة مُرْكَبٌ من امرين.

احدهما اعتقاد النفس بانّ هذا خيرٌ له مع كونه خلاف الواقع.

وثانيهما حُبّها وطَلَبُها باطناً لمقتضيات الشهوات او الغضب فانّ الواعظ اذا
قصد بوعظه طلب الجاه والمنزلة مُعتقداً انه يجلب به الثواب تكون له رغبة
الى الجاه واعتقاد بكونه خيراً له ومعلوم انّ الاعتقاد المذكور راجع الى نوع
معين من الجهل المركب وهو الجهل الذى يكون المجهول المعتقد فيه شيئاً
يوافق الهوى فيكون من رذائل القوّة العاقلة، والحبّ والطلب للجاه والمال من
رذائل قوّة الغضب والشهوة فالغرور يكون من رذائل القوى الثلاث او من
رذائل العاقلة مع احدهما، وعلى اى تقدير فقد ورد فى ذمّه ما لا يخفى على

اهله من الآيات والاحبار كيف لا وهو مَنَعَ كُلَّ هَلَكَةٍ وَأَمَّ شَقَاوَةَ. قال الله سبحانه: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(١)

و: ﴿وَلِكِنِّكُمْ فِتْنَتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَإِن تَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمْ الْأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٢) وقال رسول الله ﷺ: جَبَدَ أَنْوَمَ الْأَكْيَاسِ وَفِطْرَهُمْ كَيْفَ يَغْتَبُونَ سَهْرَ الْحَمَقِيِّ وَاجْتِهَادَهُمْ وَلِمُتَقَالِ ذَرَّةٍ مِّنْ صَاحِبِ تَقْوَى وَيَقِينِ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ الْأَرْضِ مِنَ الْمُغْتَرِّينَ مَصْبَاحُ الشَّرِيعَةِ الْبَابُ ٣٦ وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام الْمَغْرُورُ فِي الدُّنْيَا مَسْكِينٌ وَفِي الْآخِرَةِ مَغْبُورٌ لِأَنَّهُ بَاعَ الْأَفْضَلَ بِالْأَدْنَى وَلَا تَعْجَبْ مِنْ نَفْسِكَ فَرَبَّمَا اغْتَرَّرْتَ بِمَالِكَ وَصَحَّةِ جَسَدِكَ إِنْ لَعَلَّكَ تَبْقَى الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ «مَصْبَاحُ الشَّرِيعَةِ الْبَابُ ٣٦» وَأَمَّا اصْنَافُ الْمُغْتَرِّينَ فَكَثِيرَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْوَعَاظِ وَالزُّهَادِ وَالرُّؤُوسَاءِ وَالْمُتَّصِفَةِ وَأَرْبَابِ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِهِمْ وَحَيْثُ لَسْنَا الْآنَ بِصَدَدِ اسْتِقْصَائِهَا وَتَفْصِيلِهَا فَلَمْ نَتَعَرَّضْ لَهَا وَنُحِيلُهَا إِلَى مَقَامِ الْيَقِينِ بِهَا وَلَا شَكَّ أَنَّ الْغُرُورَ مُرَكَّبٌ مِنَ الْجَهْلِ وَحُبِّ مَقْتَضِيَاتِ الشَّهْوَةِ وَالغَضَبِ وَضَدِّهِ الْفِطَانَةِ وَالْعِلْمِ وَالزُّهْدِ فَمَنْ كَانَ فِطْنًا كَيْسًا عَارِفًا بِرَبِّهِ وَنَفْسِهِ وَبِالْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا وَعَالِمًا بِكَيْفِيَّةِ السُّلُوكِ إِلَى اللَّهِ وَبِمَا يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ وَبِمَا يُبْعِدُهُ عَنْهُ وَعَالِمًا بِأَفَاتِ الطَّرِيقِ وَعَقَبَاتِهِ وَغَوَائِلِهِ لِاجْتِنَابِ عَنِ الْغُرُورِ وَلَمْ يَغْتَرَّهُ الشَّيْطَانُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ إِذْ مِنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالذُّلِّ وَالْعُبُودِيَّةِ وَبِكَوْنِهِ غَرِيبًا فِي هَذَا الْعَالَمِ أَجْنَبِيًّا مِنْ هَذِهِ الشَّهْوَاتِ الْبَهِيمِيَّةِ عَرَفَ كَوْنَ هَذِهِ الشَّهْوَاتِ مُضِرَّةً لَهُ وَإِنْ الْمُوَافِقُ لَهُ طَبَعًا هُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ فَلَا يَسْكُنُ نَفْسَهُ إِلَى شَهْوَاتِ الدُّنْيَا وَمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ وَعَرَفَ الْآخِرَةَ وَالدُّنْيَا وَلذَاتَهُمَا وَعَدَمَ النَّسْبَةَ بَيْنَهُمَا تَارَ فِي قَلْبِهِ حُبَّ اللَّهِ وَالرَّغْبَةَ إِلَى دَارِ الْآخِرَةِ وَالْأَنْزِجَارَ عَنِ الدُّنْيَا وَلذَاتِهَا وَإِذَا اغْلَبَتْ هَذِهِ الْأُرَادَةُ عَلَى قَلْبِهِ صَحَّتْ نِيَّتُهُ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا.

فالاصل في علاج الغرور ان يفرغ القلب من حُبِّ الدُّنْيَا وَيُغْلِبَ عَلَيْهِ حُبَّ اللَّهِ حَتَّى تَتَّقَى بِهِ الْأُرَادَةَ وَتَصَحَّ بِهَ النِّيَّةُ وَيَنْدَفِعَ عَنْهُ الْغُرُورُ إِذَا عَرَفْتَ مَا

٢. الحديد-١٤.

١. لقمان-٣٣، فاطر-٥.

تلوناه عليك وايقنت به فقد علمت ان المؤمن الحقيقي لا يتصف بالغرور لان
 منشاء الغرور حب الدنيا ومشتهاياتها وهو بمعزل عن ذلك فضلا عن الامام
 المعصوم المبرى والمُنزه عن كل ذنب وخطيئة قولاً وفعلاً ونيةً وائى ذنبٍ
 اعظم من حب الدنيا وقد قال رسول الله ﷺ فيه حُب الدنيا رأس كل خطيئةٍ
 والمفروض انه هو السبب والعلة للغرور لاغير.

فالامام لا يكون مغروراً ابداً ولذلك نفى ﷺ عن نفسه المغرورية في هذا
 الكلام وقال المغرور من غررتموه اى انى لست كذا.

فان قلت - ظاهر كلامه ﷺ من جهة المنطوق يدل على انه ﷺ لم يغرر
 باصحابه من اهل الكوفة لوضوح نفاقهم وعنادهم وهو لا ينافى كونه مغروراً
 بغيرهم كما قد دل عليه المفهوم فان عدم المغرورية بالنسبة الى قوم لا يدل
 على عدمها مطلقاً فان نفى الخاص لا يدل على نفى العام وهذا واضح، فاذا
 صح اتصافه بالمغرورية في غير هذا المورد وهذا ينافى ما ذكرتم من ذم الغرور
 فى حد نفسه وانه لا يناسب المؤمن فضلاً عن الامام.

وبعبارة اخرى العبارة قد دلت على عدم كونه ﷺ مغروراً بهم لاعلى عدم
 كونه متصفاً به مطلقاً.

قلت - قد ذكرنا فى صدر البحث ان الغرور ليس الا الاباطيل والطمع فى
 الامر الموهوم فما ليس كذلك فهو ليس بغرور اصطلاحاً ولغةً.

قال فى المنجد: غرّه غرّاً وغرّه غروراً خدعه اطمعه بالباطل والمغرور
 مفعول المطمع بالباطل المخدوع، انتهى.

وعليه فالمعنى انى لا اطمع فيكم لعلمى بكذبكم ونفاقكم ومن طمع فيمن
 يعرف نفاقه وكذبه فهو المغرور وانا لست كذلك وهذا المعنى يدل على عدم
 طعمه ﷺ بالنسبة الى كل من كان متصفاً به سواء كان من اهل الكوفة ام من
 غيرهم فان المؤمن ينظر بنور الله.

□ قوله ﷺ: وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللَّهِ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ

رَمَى بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ...

هذا اخبار منه عليه السلام عن سوء حال من يُقاتل معه عليه السلام مع علمه بنفاقهم وشقاقهم وإنما عبّر عن الفوز بهم بالسهم الأخبب التي لأغنى لها في الميسر على ألتهم وكذا الجملة التالية وهي قول عليه السلام: وَمَنْ رَمَى بِكُمْ الْخِ وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَذَا الْفَوْزَ لَا يَقَعُ أَبَدًا كَمَا أَنَّ الْفَوْزَ بِالسَّهْمِ الْأَخْبِيبِ وَالرَّمَى بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ لَا يَقَعُ عَادَةً إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْإِتِّفَاقِ فَيَرْجِعُ الْكَلَامُ إِلَى أَنَّ الْفَوْزَ وَالْغَلْبَةَ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِمَعَاوَنَةِ هَذِهِ الْمُنَافِقِينَ مِنْ قَبِيلِ الْقَضِيَّةِ الْإِتِّفَاقِيَّةِ الَّتِي لَا تَقَعُ إِلَّا بِحَسَبِ الْإِتِّفَاقِ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْأَعْتِمَادَ عَلَى الْأُمُورِ الْإِتِّفَاقِيَّةِ الَّتِي لَا تَقَعُ إِلَّا بِحَسَبِ الْإِتِّفَاقِ وَالْأَعْتِمَادَ عَلَى الْأُمُورِ الْإِتِّفَاقِيَّةِ الْحَيْنِيَّةِ لَيْسَ مِنْ دَابِ الْعُقْلَاءِ فَضْلًا عَنِ الْأَمَامِ الْمَعْصُومِ الْعَالَمِ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَمُحْضَلُ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْمَقَامِ هُوَ أَنِّي أَعْرَفُكُمْ مِنْكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ فَيَكْفِ أَعْتَرِبُكُمْ وَاجْعَلْكُمْ مِنْ أَنْصَارِي وَاعْتَمِدْ عَلَيْكُمْ فِي دَفْعِ أَعْدَائِي.

□ قوله عليه السلام: اصْبَحْتُ وَاللَّهِ لَا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ وَلَا أَوْعُدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ...

رَبُّ عليه السلام عَلَى نَفَاقِهِمْ وَكُذِبِهِمْ وَتَفَرُّقِ آرَائِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ أُمُورًا ثَلَاثَةً:
إِحْدَاهَا عَدَمُ تَصَدِيقِهِ عليه السلام لِقَوْلِهِمْ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْكَاذِبَ لَا يُصَدِّقُ قَوْلَهُ وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ.

أَمَّا الْعَقْلُ فَلِأَنَّ الْعَقْلَ يَحْكُمُ بَأَنَّ الْأَعْتِمَادَ عَلَى الْكَاذِبِ بَاطِلٌ إِلَّا تَرَى أَنَّ الْعُقْلَاءَ فِي كُلِّ زَمَانٍ لَا يَتَعَمَدُونَ عَلَيْهِ وَيَقُولُونَ أَنَّ الْكَذِبَ يَوْجِبُ سَلْبَ الْأَعْتِمَادِ عَنْهُ وَلَا جِلَّ هَذَا الْأَعْتِمَادِ يَجِبُ كَوْنُ النَّبِيِّ عليه السلام وَالْأَمَامِ مَعْصُومًا عَنِ الْكَذِبِ وَهُوَ مِمَّا لَا كَلَامَ فِيهِ لِأَحَدٍ مِنَ الْعُقْلَاءِ فَضْلًا عَنِ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ. وَأَمَّا النَّقْلُ فَالْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ فِي ذَمِّ الْكَذِبِ وَحَسَنِ الصُّدُقِ كَثِيرَةٌ وَالْأَمْرُ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يَخْفَى شَرَعًا فَلِأَنْطِيلُ الْكَلَامَ بِهِ.

فقوله عليه السلام: اصْبَحْتُ وَاللَّهِ لَا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، إشارة إلى القسم الأول، من

الاقسام الثلاثة المذكورة في المتن المترتبة على نفاقهم وشقاقهم ولذلك قال ﷺ لأصديق قولكم وأكدّه بالقسم مع ذكر اسم الجلاله للدلالة على ان ماقول حق لا ريب فيه وذكر القسم في عدم تصديقه لقولهم أدل دليل على شدة نفاقهم وجحودهم وإحادهم وكيف صدق قول من يعبد هواه ولا يعرف رباً غير نفسه الامارة ولا يفرق بين الحق والباطل وقد ثبت هذا له ﷺ بالتجربة مرّات عديدة كحرب صفين والجمل والنهر وان، والشاهد على ما ذكره ﷺ هو التاريخ وهذه الخطبة المبحوثة عنها وسائر الخطب التي ستتمر عليك في هذا الكتاب مع ماضى منها.

وثانيها قوله ﷺ: ولا أطمع في نصركم، ووجهه قد ظهر ممّا ذكرناه وذلك لأنه كيف يطمع في نصر المنافق الفاسق المطيع لهواه مخالفاً لأمر مولاه فإنه ﷺ قد شاهد منهم في صفين وغيره من الموارد ما يوجب اليأس ولذلك قال ﷺ ما قال:

وثالثها قوله ولا أوعد العدو بكم. الوعد يستعمل في الخير والوعيد في الشر والمعنى ائى لأهدد العدو بكم بالنصر والغلبة عليه لعلمى بانكم أشباه الرجال ولا رجال وقد مضى ما يدل عليه ويوضحه حقّ التوضيح في الأبواب السالفة.

□ قوله ﷺ: ما بالكم ما ذوائكم ما طيبكم...

اي ما بالكم لا تطيعون أمرى ولا تجاهدون عدوكم مع انّ الجهاد ممّا افترضه الله عليكم ولا سيما في قبال القاسطين الذين بغوا عليكم ونهبوا اموالكم وقتلوا اخوانكم، وما ذوائكم، لمرضكم هذا وهو قعودكم عن القيام بالحق، وذلك لانّ الإنسان لو لم يكن مريضاً بحسب الأيمان والاعتقاد لا خالف الامام في اوامره ونواهيه ولا يترك الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر ومع الغصّ عن ذلك كله فلا أقلّ من ان يدافع عدوه لنفسه وماله وعرضه ومن لا يكون ذلك فلامحالة يكون مريضاً بحسب الروح دون الجسم والجسد فانّ

المريض مريضان: مريض الرُّوح ومريض الجسم والاول أشدُّ وأعظم من الثاني فإنَّ الاول يضرُّ بالجسم الفانى والثانى بالرُّوح الباقى او نقول بأنَّ الاول مُضر بالدنيا ولذاتها وشهواتها والثانى بالآخرة ولذاتها واين هذا من ذاك ولا شك انَّ الأمراض الجسماني لها أدوية مُعيَّنة فى عِلْم الطبِّ عِلْم الطَّيِّب بها ام لم يَعْلَم.

واما الامراض الرُّوحانية حيث انَّ منشأها الجَهْل والحُمق فلادواء لها ظاهراً الا رفع الحُمق والجَهْل منه وهو مُشكَل وبالنسبة الى بعض الأشخاص محال، كما نقل عيسى ابن مريم عليه السلام انه قال انى عالجت الجُدَام والبرص والعمى وغيرها من الامراض الصَّعبة حتَّى احياء المَوتى ولم أقدر على معالجة الأحمق الجاهل، وهو كذلك فإنَّ مرض الجَهْل ممَّا يصعب علاجه على الانبياء فضلاً من غيرهم.

فقوله عليه السلام: مَا دَوَائِكُمْ، اشارة الى انه ليس لكم دواء لانَّ مرضكم الحمق والجَهْل وهو ممَّا ليس له دَواء.

واما قوله عليه السلام: فَمَا طِبُّكُمْ، فهو ايضا اشارة الى عدم لياقتهم واستعدادهم من حيث الذات والطَّيِّنة، وذلك لانَّ الطِّبَّ ليس المراد به فى المقام هو الطَّبِّ الاصطلاحى اعنى المعالجة للمريض لانَّ هذا ممَّا يوجب التكرار بحسب المعنى فإنَّ قوله عليه السلام: مَا دَوَائِكُمْ قد دلَّ على كونهم مَرَضِي وانه لاعلاج لهم، بل المراد بالطَّبِّ فى العبارة هو الجبلة والطَّيِّعة كما قال الشاعر:

فَمَا ان طِبَّنَا جُبْنٌ وَلَكِنْ مَنَايَانَا وَدَوْلَةٌ آخِرِينَا

اي ليست طبيعتنا وجبَلتنا جُبْنٌ، فقوله عليه السلام هذا اشارة الى هذا المعنى واستفهام عن هذا الامر على سبيل الاستفهام الأنكارى اي ما طينتكم وجبَلتكم ءانتم مُسلمون مؤمنون، ام كافرون منافقون مُلحدون، فان كنتم من الثانى فلا كلام لنا معكم وان كنتم من الاول كما تدَّعون فليم لاتقومون ولا تُطيعون ولا تعملون بما أوجبَّ الله عليكم من الأمر بالجهاد فى قبال الاعداء ويمكن ان

يكون المراد أنهم ليسوا بمؤمنين ولا غيرهم أما الأول فمعلوم وأما الثاني فلأن غير المؤمن أيضاً لا يكون كذلك بل هو يُدْفَع عن نفسه وماله وعرضه ومن ليس كذلك فهو بالحقيقة ليس بانسان.

وبعبارة أخرى كأنه ﷺ قال ان كنتم مؤمنين فجاهدوهم بأمرٍ من الله ورسوله ووصيّه وان لم تكونوا مؤمنين فجاهدوهم وقاتلوهم صوناً لأنفسكم وأعراضكم كما عليه القوم وحيث انكم لالى هؤلاء ولا الى هؤلاء مُذْبَذَبِينَ بين ذلك فصَحَّ ان يقال طِبِّكُمْ، ففي الحقيقة نفى ﷺ عنهم الانسانية والحمية والغيرة فضلا عن الايمان بالله ورسوله.

□ قوله ﷺ: الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ...

والمراد بالقوم معاوية واصحابه بقرينة السياق والالف واللام فيه للعهد الذهنى او الذكري والمقصود ان اصحاب معاوية امثالكم من حيث الرجولية مع ان الفرق بينكم وبينهم كثير.

منها اجتماعهم على باطلهم واختلافكم على حَقِّكم مع ان العقل، والشرع يحكمان بخلافه.

ومنها اطاعتهم لِأَمَامِهِم الخيالى الشيطانى وَمَعْصِيَتِكُمْ لِأَمَامِكُمْ الواقعى الالهى والعقل والشرع يحكمان بالعصيان للاول والاطاعة للثانى.

ومنها خوفكم من الحرب والجهاد صوناً لأنفسكم واستقبالهم للحرب مع ان القاتل والمقتول منكم فى الجنة ومنهم فى النار.

ومنها نفاقكم فى الحق وتشتت آرائكم وعقائدكم فى الهدى وعدم نفاقهم وتشتتهم فى الباطل.

ومنها حفظهم وحراستهم عن بلادهم وعدم حراستكم عن بلادكم حتى صارت مطمئناً لأنظارهم ومحللاً لنتهتهم وغارتهم.

فبهذه الوجوه وغيرها حصل الفرق بينكم وبينهم والافمن حيث الماهية ولوازمها لافرق بينهم وبينكم وأما الفرق من حيث الوجود ولوازمه

وتوضيح المقال، هوان المثلين في الأصلاح هما المتشاركان في الماهية ولوازمها كما يقال هذا السواد مثل هذا السواد ولهذا لا يجتمعان وإنما عبّر عليه السلام في المقام بالأمثال وقال القوم رجال امثالكم، للأشارة الى ان الانسان من حيث الماهية ولوازمها لا يختلف شامياً كان او مصرياً او كوفياً او غير ذلك وإنما الاختلاف في افراده بحسب مراتب الوجود ولوازمه اعنى من حيث وجوداتها الخاصة فان كل موجود يوجد بوجوده الخاص كما ثبت في العقليات وعلى هذا فصدق الانسان على افراده انما هو على سبيل التواطوء ولا شك ان هذا التواطوء والتوافق ناظر الى ماهيته لالى وجوده فان الوجودات في افراد الانسان ليست على نمط واحد وكذا في سائر الموجودات لا اقول ان الوجود بالمعنى المصدري والمفهوم العام البديهي في الأفراد يتفاوت بل اقول وجوداتها الخاصة التي بها تحصل الآثار وتكون منشاء لها متفاوتة والآلم تتفاوت الآثار.

فقوله عليه السلام: اشارة الى هذه الدقيقة اعنى عدم التفاوت في افراد الأنسان من حيث الماهية ولوازمها الثابتة لها التي لا يمكن انفكاكها عنها ويعبر عنه بالمثل. وإنما عبّر معاوية واصحابه بالقوم ولم يصرح باسمهم تحقيراً لهم بانهم لا يليقون بان يصرح بهم ولان الكناية ابلغ من التصريح.

□ قوله عليه السلام: أقولاً بغير علم وغفلة من غير ورع، وطمعاً في غير حق... وفي بعض النسخ (وعفة من غير ورع) مكان غفلة، وهو أوفق بسياق العبارة ولا سيما مناسبتها للورع وعدم مناسبة الغفلة له بل تنافيه فان المتصف بالورع لا يكون غافلاً ثم ان الغرة في قوله، أقولاً، للاستفهام الإنكارى و الوا وللعطف و تقدير الكلام، أغفلة من غير ورع أطمعاً في غير حق افاد في المقام ان القول بغير العلم والغفلة بغير الورع والطمع في غير الحق محال لان المشروط لا يتحقق بدون الشرط وتوضيح ذلك ان القول يتوقف على العلم فمن لا يكون عالماً بما يقول ولا يدري ما يقول وما قال فلا يُعبأ بقوله.

والعِفَّةُ تَتَوَقَّفُ عَلَى الْوَرَعِ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهُوَ لَيْسَ بِعَفِيفٍ.

وَالطَّمَعُ فِيمَا بَأْيَدِي النَّاسِ يَتَوَقَّفُ حُصُولَهُ عَلَى ثُبُوتِ حَقِّ مِنَ الطَّمَعِ فِيهِ وَالْأَفْهُوَ أَحْمَقُ بِطَمَعِهِ فِيمَا لَيْسَ لَهُ فِيهِ حَقٌّ وَلَا نَصِيبٌ، فَفِي هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ لَا بَدَّ لَهَا أَوْلَىٰ مِنْ حُصُولِ الْمَتَوَقَّفِ عَلَيْهِ وَبِدُونِهِ لَا يُمْكِنُ وَجُودُهَا كَمَا سَيَتَّضِحُ لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَىٰ.

أَمَّا الْمَقَامُ الْأَوَّلُ اعْنَى قَوْلُهُ ﷺ: «أَقُولُ لَا يَغْيِرُ عِلْمٌ، فَقَدْ دَلَّ عَلَى امْتِنَاعِهِ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ.

أَمَّا الْعَقْلُ فَلِأَنَّ الْقَوْلَ اعْنَى مَا يَتَكَلَّمُ وَيَتَلَفَّظُ بِهِ الْإِنْسَانُ وَيُعْبَرُ عَنْهُ أَحْيَانًا بِالنُّطْقِ وَتَارَةً بِالْقَوْلِ وَتَارَةً بِالْكَلَامِ وَتَارَةً بِاللَّفْظِ بِسَبَبِ اللِّسَانِ أَمَّا هُوَ لِأَجْلِ إِظْهَارِهِ وَإِبْرَازِهِ لِمَا فِي قَلْبِهِ وَضَمِيرِهِ بِحَيْثُ لَوْلَاهُ لَمْ يُمْكِنُ لَهُ تَفْهِيمُ مَقَاصِدِهِ وَمَطَالِبِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ وَلِذَلِكَ يُقَالُ أَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ مَفْطُورًا عَلَى النُّطْقِ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: «الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» (١).

ثُمَّ إِنَّ الْمُظْهِرَ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا مُطَابِقًا لِلْمُظْهَرِ وَالْأَلَا يَكُونُ مُظْهِرًا لَهُ فَإِذَا فَضُنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْهُ فَهُوَ لَمْ يُظْهِرْ شَيْئًا وَلِهَذَا يُعَدُّ كَلَامُهُ هَذَا مِنَ الْهَفَوَاتِ وَالْأَبَاطِيلِ وَلَا يَعْتَنُونَ الْعُقَلَاءُ بِهَذَا الْكَلَامِ مَعَ أَنَّهُ كَلَامٌ ظَاهِرٌ.

فَكُلُّ كَلَامٍ مِنْ أَيْ مُتَكَلَّمَ صَدَرَ لَا بَدَّ لَهُ مِنَ الْقَصْدِ أَوْلَىٰ وَالتَّكَلُّمُ بِمَا قَصَدَهُ ثَانِيًا وَالْقَصْدُ لَيْسَ إِلَّا تَصَوُّرُهُ لِمَا أَرَادَ إِظْهَارَهُ بِاللَّفْظِ فَالْقَصْدُ هُوَ التَّصَوُّورُ وَالتَّصَوُّورُ هُوَ الْعِلْمُ فَإِنَّ الْعِلْمَ إِنْ كَانَ إِذْ عَانَا لِلنَّسْبَةِ فَتَصْدِيقٌ وَالْأَفْتَصَوُّورُ، أَيْ مَا قَصَدَهُ الْمُتَكَلِّمُ إِنْ كَانَ فِيهِ نِسْبَةٌ يَرِيدُ إِظْهَارَهَا فَهُوَ تَصْدِيقٌ نَحْوَ الْإِنْسَانِ حَيَوَانَ نَاطِقٍ أَوْ زَيْدٌ عَالِمٌ مِثْلًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَا قَصَدَ إِظْهَارَهُ نِسْبَةٌ فَهُوَ تَصَوُّورٌ وَعَلَىٰ كَلَا التَّقْدِيرَيْنِ فَتُعْبَرُ عَنْهُ بِالْعِلْمِ لِأَنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى تَصَوُّورٍ وَتَصْدِيقٍ.

ثمّ التّصوّر أو التّصديق ليس إلا وجود صورة المعلوم لدى العالم والمَعقُول
لدى جَوْهر العاقل مع النّسبة أو بدونها ولهذا قيل في تعريف العلم الحُصُولِي
بأنه الصُّورة الحاصلة من الشّيء عند العقل وفي الحضورى حَضور المدرك
لدى المُدرك.

فالعلم حُضورياً كان أو حُصولياً لا يتحقّق بدون وجود المعلوم لدى النّفس
سواء كان وجود المعلوم على نحو الحُضور أو الحُصول واللفظ مُظهِراً له
كاشف عنه فاذا لم يطابق اللفظ المعنى الذي اراد اظهاره في الواقع يُسمّى
بالكذب لأنّ صدق الخبر مطابقتة للواقع وكذبه عدمها له فاذا فرضنا انّ متكلّماً
تكلم بكلامٍ ولم يُرد في تكلمه إلا مجرد التّلفظ من دون انطباق ومطابقة فهو
غير صادق في قوله ولذلك قال ﷺ: **أَقُولُ بِغَيْرِ عِلْمٍ**، أي كيف يصدر اللفظ
والقول من عاقلٍ مع عدم علمه به أي من دون تصوّره لمعناه وهل هذا
لا تهافت.

وحاصل الكلام أنّ القول بدون العلم بمفاده من قبيل اللفظ بلامعنى
والجسد بلارأس كيف والأصل في القول هو العلم بمفاده ومعناه فاذا فرضنا
التلفظ من دون تصوّر لمعناه فهو خلاف بناء العقلاء ولهذا يستحقّ فاعله الذّم
به وأما دليل النّقل على قبّحه فمعلوم بالضرورة.

وأما المقام الثّاني وهو قوله ﷺ: **وَعَفْلَةٌ** أو **عِفَّةٌ** مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ...

فهو ايضاً ثابت عقلاً ونقلاً، أما النّقل فمعلوم، وأما العقل فلأنّ العِفَّة لا توجد
إلا بالورع عن محارم الله والأتیان بما امر الله به فالورع من مقومات ماهيتها
ولوازم ذاتها ولازم الذات لا ينفك عن ملزومه لانه بيّن الثّبوت له.

وتوضيحه هو أنّ العِفَّة عبارة بحسب حقيقتها وماهيتها عن الورع أي ترك
المُحرّمات قربةً الى الله وبداعي نهيهِ فمن ترك المحرّمات لا يقصد القربة بل
بداعٍ آخر فهو ليس بورع في الاصطلاح الشرعي فترك المحرّمات بمنزلة
الجنس لها وقصد القربة بمنزلة الفصل، فمفهوم العِفَّة مركّب من الجنس

والفصل ومعلوم أنّ الجنس من مقومات الماهية بمعنى أنّ تحقق الماهية بدونه محال، كما أنّ الحيوان في قولنا الإنسان حيوان ناطق جنس له ومقوم لماهيته بمعنى أنّ تحقق ماهية الانسان بدون محال ولهذا قال عليه السلام وعفة من غير ورع فالعفة من غير ورع كالانسان بدون الحيوان وهو كما ترى.

ثمّ إنّ فائدة الفصل في المعرف هو المقسمية ولهذا يقال إنّ الجنس مقومٌ للنوع والفصل مقسمٌ له اي للجنس وشأن الجنس الأبهام وشأن النوع التّحصّل بالفصل وحيث أنّ شبيئة الشيء بالصورة لا بالمادة فشيئة النوع بالفصل الذي هو بمنزلة الصورة له لا بالجنس الذي بمنزلة المادة بالنسبة الى النوع فالعفة التي بمنزلة النوع لا تحصّل لها ولا وجود لها الا بفصلها اعنى القرية وعليه فتارك المحرّم لا بداعى النهى والتّقرّب اليه تعالى لا يسمّى عفيفاً في الاصطلاح بل العفة لم تتحقّق لعدم امكان تحقق الشيء بدون الصورة واليه يشير قوله عليه السلام وعفة من غير ورع على سبيل الاستفهام الأنكاري كما قلنا في صدر البحث.

واما المقام الثالث وهو قوله عليه السلام: **وَطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ...**

فهو ايضا مؤيدٌ بالعقل والنقل ولا نتعرض للنقل لوضوحه ولما سيأتى في التّنبهات الآتية.

واما العقل: فلأنّه يحكم حكماً قاطعاً بأنّ الطّمع فيما ليس للإنسان فيه حقٌّ قبيحٌ وهذا ممّا لا يحتاج الى الدليل انما الكلام في أنّ الحقّ في المقام اى شىء هو.

قالوا في شروحه لهذا الكلام ما ملّخصه أنّه اراد به طمعهم في ان يؤفّر عطياتهم ويمنّحهم زيادة على ما كان يؤءتيهم كما فعل معاوية والخلفاء قبله فردّعهم عن ذلك بأنّه طمّع من غير استحقاقٍ وللنظر فيما ذكره مجال واسع من جهات.

الأولى: أنّه ليس في هذه الخطبة بحث في العطيات ولا اشارة اليها منه عليه السلام ولا من اصحابه فحمل كلامه على هذا الموضوع يحتاج الى دليلٍ خاصٍ ولم

يَدُلُّ دَلِيلٌ مِنَ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ حَمْلِ الْكَلَامِ عَلَى مَا لَا يَرْضَى بِهِ صَاحِبَهُ.

الثانية: انَّ الْأَمْوَالَ الْمَوْجُودَةَ فِي بَيْتِ الْمَالِ كَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ الْمَوْجُودِينَ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ قَلًّا أَوْ كَثْرًا فَلَا رِبْطَ لِأَطَاعَتِهِمْ وَعَدَمِ اطَاعَتِهِمْ لَهُ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي صَدْرِ الْأَسْلَامِ كَانَ يُقَسِّمُ الْأَمْوَالَ بَيْنَهُمْ مَعَ أَنَّ الْأَخْذِينَ مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ كَثِيرًا مِنْهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَكَانَ ﷺ لَا يَفْرُقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَغَيْرِهِ وَالْمُطِيعِ وَالْعَاصِي وَلَا شَكَّ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ كَانَ تَابِعًا لَهُ ﷺ فِي التَّقْسِيمِ فَكَيْفَ يَجُوزُ لَهُ مَنَعُهُمْ عَنِ أَمْوَالِ الْمُسْلِمَةِ فِي بَيْتِ الْمَالِ بِجُرْمِ عَدَمِ جِهَادِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ مِثْلًا هَذَا إِذَا فَرَضْنَا أَنَّ فِي الْأَمْوَالَ حَقًّا لَهُمْ وَالْأَفْلا مَعْنَى لِهَذَا الْكَلَامِ.

الثالثة: أَنَّهُ عَلَى فَرَضِ التَّسْلِيمِ لَيْسَ هَذَا مِنَ الطَّمَعِ فِي غَيْرِ حَقِّ بَلْ هُوَ مِنَ الطَّمَعِ فِي حَقِّ كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَيُّ شَيْءٍ صَارَ مَانِعًا عَنْ كَوْنِهِ حَقًّا وَالْمَفْرُوضِ أَنَّ الْحَقُوقَ الْمَالِيَّةَ لَيْسَتْ دَائِرَةُ مَدَارِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَلَوْ فَرَضْنَا لِلْمُنَافِقِ دَيْنًا عَلَى الْمُؤْمِنِ فَهَلْ يَجُوزُ لَهُ مَنَعُهُ مِنْهُ بِجُرْمِ نِفَاقِهِ وَمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ فَإِنَّ الْأَمَامَ أَمِينًا عَلَى الْأَمْوَالَ الْمَوْجُودَةِ فِي بَيْتِ الْمَالِ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَأْذِيَةِ الْأَمْوَالَ إِلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهَا فَالْقَوْلُ بِمَنَعِهِ مِنْ حَقِّهِ لَا مُحْصَلَّ لَهُ وَعَلَى الْمُدَّعِيِ إِقَامَةَ الدَّلِيلِ وَإِذْ لَيْسَ فَلَيسَ.

فَمِنْ هَذِهِ الدَّلَائِلِ الْمَذْكُورَةِ وَغَيْرِهَا مِمَّا لَمْ نَذْكُرْهُ نَبَّهْتُ وَتَحَقَّقَ أَنَّ حَمْلَ كَلَامِهِ ﷺ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى مِمَّا لَا مَعْنَى لَهُ بَلْ الْحَقُّ هُوَ الْكَلَامُ لَيْسَ نَاطِرًا إِلَى الْأَمْوَالَ وَالْعَطَايَا مُطْلَقًا كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ لِمَنْ تَأَمَّلَ فِي الْخُطْبَةِ حَقَّ التَّأَمُّلِ.

وَالَّذِي يَخْتَلِجُ بِالْبَالِ فِي حَلِّ الْأَشْكَالِ هُوَ الْمُرَادُ بِالْحَقِّ فِي كَلَامِهِ ﷺ لَا يَخْلُو مِنْ أُمُورٍ.

أحدها: انَّ يَكُونُ الْمُرَادُ بِهِ الْحُكُومَةُ وَالْخِلَافَةُ الْأَسْلَامِيَّةُ كَانَتْ عَقْلًا وَشَرْعًا حَقَّهُ ﷺ وَبِأَيْعُوه بَعْدَ قَتْلِ عَثْمَانَ عَلَيْهَا بِأَرَادَتِهِمْ، وَاخْتِيَارِهِمْ ثُمَّ نَكَّثَتْ طَائِفَةٌ وَقَسَطَتْ أُخْرَى وَمَرَّقَتْ أُخْرَى فَهَذِهِ هِيَ الْحَقُّ الَّذِي كَانَ لَهُ وَأَصْحَابُهُ وَمَتَابِعِيهِ

الآن معاوية وحزبه خالفوا المسلمين في هذا الامر وكان حقاً عليهم ان يُقاتلوه ويلزموه على البيعة والجرى على ماجرى عليه المسلمون وحيث سأمحوا فيه وقعدوا في بيوتهم عن الجهاد في سبيل الله وفعل معاوية ما فعل من القتل والنهب والغارة عليهم ولم يدفعوه ومع هذا التعلل عن القيام والتسامح عن الجهاد كانوا ينتظرون هلاكه ومقهوريته فكان هذا من قبيل الطمع في غير حق فان الحق القيام بالسيف والسنان لا غير وهؤلاء لم يقدموا عليه.

وثانيها: ان يكون المراد بالحق هو الأحكام الشرعية الالهية واجرائها و عليه فالمعنى ان القيام بالأحكام واجرائها على ما هي عليه لا يتسير إلا بالجد والأجتهد لا بالعصيان والأستكبار ومخالفة الامام والأعراض عن الجهاد فمن رام العمل بالأحكام لا يبد له من المواظبة عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجراء الحدود والقصاص والديات في مواردنا وكل ذلك لا يمكن الوصول اليه إلا بسبب العمل بما قرره الشارع له فمن يطمع ويتوقع الحق من دون قيام منه بوظائف المحولة فهو من الطمع في غير حق اعنى الطمع في الباطل الموهوم ضرورة ان طالب حق من الحقوق يطلب من مظانه.

وثالثها: ان يكون المراد بالحق الأمانة الحقة وبغيره الأمانة الباطلة والأول له عليه السلام والثاني لمعاوية وامثاله.

فقوله عليه السلام: في هذا المقام لعله اشارة الى انهم كانوا مطيعين لحكومة معاوية وامثاله وذلك لانهم كانوا معتادين بامثال هذه الحكومات مانوسين بخلفاء الجور والعدوان فان الظالم لا يحب إلا الظالم وكل حزب بما لديهم فرحون، ولا شك في ان هذا الطمع ليس بحق بل هو الطمع في غير حق ولا ينبغي لمن يدعى الاسلام والايمان ان يطمع في الظلم والجور ولذلك ذمهم عليه السلام عليه والوجوه المحتملة كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لمن تدبر في العبارة حق التدبر، وعلى اى تقدير من التقادير فالحق لا يؤخذ إلا بالجد والأجتهد فلا بد لمن اراده عدم القعود عنه.

هذا تمام الكلام فى شرح هذه الخطبة الشريفة حسب ما تيسر لنا من الفهم والأستعداد مع رعاية الاختصار وحيث ان فى هذه الخطبة من الأمور الجليلة والرؤوس الخفية ما لا يخفى على من كان له قلب فأردنا ان نشير الى بعضها على سبيل الاجمال.

منها ان هذه الخطبة تدعو المسلمين الى اجابة الدعوة الالهية واعتصامهم بحبل الله المتين اعنى وحدة الكلمة التى هى آحد من السيف والسنان على المخالفين كما امرنا الله **تعبه، فقال عز من قائل ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾** (١).

وظنى بل يقينى انه لاحتاج فى اثبات الموضوع الى الآيات والآثار بعد ما نرى فى الاتفاق من حسن الثمرة ووجود الألفة بين المسلمين وتجديد شوكتهم وقدرتهم وسطوتهم التى كانت لهم فى صدر الاسلام كما رأيناها فى السنة الماضية بالحس والعيان من غلبة المسلمين على اليهود ورأينا مغلوبية المسلمين ومقهوريتهم ايضا من اليهود اعنى بهم الأسرائيل، فى السنين الماضية فأنهم قد أخذوا من المسلمين بلادهم وارضيتهم بالقهر والغلبة وشتتوهم وفرقتوهم فى أقصى البلاد ولم يرحموا على صغيرهم وكبيرهم فى القتل والنهب على تفصيل منه بحيث يعجز القلم من تحريره واللسان من بيانه. فلم تكن المقهورية والمظلومية للمسلمين هناك إلا لاجل تفرقتهم وعنادهم وتشتت آرائهم وعقائدهم وكونهم مصداقين لقوله: كل يجر النار الى فرصته فاصبحوا وبلادهم ارضيتهم فى أيدي اليهود كما انه لم تكن غلبتهم على اليهود فى السنة الماضية لأستنفاد حقوقهم إلا لاجل الاتفاق من بعض الدول الإسلامية لاكلها تحت لواء التوحيد وكلمة لاله الا الله محمد رسول الله وهذه الكلمة كانت شعارهم فى الحرب فنالوا مانالوا ببركة هذه الكلمة الطيبة فلما كانت الدول الإسلامية كلها متفقين متجددين لم يبق من اليهود أثر وكانوا

مُخَذُولِينَ مِنْكُمْ بَيْنَ إِلَى الْأَبَدِ وَنَحْنُ نَتَأَسَفُ مِنْ هَذَا الْاِخْتِلَافِ الصَّوْرِي بَيْنَ
فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ أَنَّ دِينَهُمْ وَكُتَابَهُمْ وَنَبِيِّهِمْ وَاحِدٌ، وَأَمَّا الْاِخْتِلَافُ فِي
الشُّبُهَاتِ وَالِي هَذَا الْمَعْنَى اِشَارَةُ ﷺ بِقَوْلِهِ فِي صَدْرِ الْخُطْبَةِ:

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمُ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاءُهُمْ، وَهَذَا الْمَعْنَى يَنْطَبِقُ عَلَيْنَا
فِي هَذَا الزَّمَانِ طَابِقِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ وَخُصُوصِ الْمَوْرِدِ لَا يَنْفِي عَمُومِ الدَّلَالَةِ.

وَمِنْهَا أَنَّ الْمُسْلِمَ يَنْبَغِي أَنْ يَطَابِقَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ وَبِالْعَكْسِ حَتَّى لَا يَطْمَعُ فِيهِ
الْعَدُوُّ، وَالِيهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ كَلَامُكُمْ يُوْهِي الصَّمَّ الصَّلَابِ إِلَى قَوْلِهِ الْأَعْدَاءُ.
وَمِنْهَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَغْتَرَّ بِأَقْوَالِ الْمُنَافِقِينَ كَمَا قَالَ ﷺ: مَا غَرَّتْ
دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ إِلَى قَوْلِهِ بِأَضَالِيلٍ.

وَمِنْهَا أَنَّ التَّطْوِيلَ وَالتَّأْخِيرَ فِي الْأُمُورِ مِنْ غَيْرِ مَرَجِحٍ شَرْعِيٍّ أَوْ عَقْلِيٍّ
لَا يَجُوزُ لِأَنَّ فِي التَّأْخِيرِ آفَاتٌ كَمَا قَالَ ﷺ سَأَلْتُمُونِي التَّطْوِيلَ إِلَى قَوْلِهِ الْمَطْوُولُ.
وَمِنْهَا أَنَّ الذَّلِيلَ الْحَقِيرَ بِسُوءِ سَرِيرَتِهِ إِذَا صَارَ مَظْلُومًا لِغَيْرِهِ فَلَا يَلُومَنَّ الْآ
نَفْسَ لِأَنَّهُ كَانَ قَادِرًا عَلَى دَفْعِهِ وَلَمْ يَفْعَلْ كَمَا قَالَ لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ.
وَمِنْهَا أَنَّ الْحَقَّ لَا يَبْدُ لِلْأَنْسَانِ فِي الْوَصُولِ إِلَيْهِ مِنْ جَدِّ وَاجْتِهَادٍ بِخِلَافِ
الْبَاطِلِ، كَمَا قَالَ ﷺ لَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ وَالْبَاقِي وَاضِحٌ.

﴿ وَمِنْ كَلَامِ لَهُ ﴾ (٣٠)

□ لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا، غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ وَمَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرُهُ: إِسْتَأْثَرَ فَالْسَاءَ الْآثَرَةَ، وَجَزَعْتُمْ فَالْسَاءُ الْجَزَعَ، وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَقَعُ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَارِعِ انْتَهَى مَتْنٌ.

◀ اللّغة

(خَذَلَهُ) اى تَرَكَ نُصْرَتَهُ وَأَعَانَتَهُ. (اسْتَأْثَرَ) الأَسْتِثَارُ، الأَنْفِرَادُ وَالْأَسْمُ (الْآثَرُ) بِالتَّحْرِيكِ). (الْجَزَعَ) الأَضْطْرَابُ.

◀ المعنى

(لَوْ أَمَرْتُ بِهِ): اى الى قتل عثمان. (لَكُنْتُ قَاتِلًا): لعثمان فَإِنَّ الأَمِيرَ بِالقِتْلِ هُوَ القَاتِلُ بِالحَقِيقَةِ. (أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ): اى لو نَهَيْتُ عَنْ قِتْلِهِ. (لَكُنْتُ نَاصِرًا لَهُ): اى لعثمان، فَإِنَّ النَّاهِيَ عَنِ القِتْلِ كَالنَّاصِرِ لَهُ. (غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ): اى عُثْمَانُ (لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ خَذَلَهُ): اى خَذَلَ عُثْمَانَ غَيْرِي. (وَأَنَا خَيْرٌ مِنْ خَاذِلِهِ): اى لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ النَّاصِرُ أَنَا خَيْرٌ مِنْ خَاذِلِهِ (وَمَنْ خَذَلَهُ): اى مَنْ خَذَلَ عُثْمَانَ. (لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ نَصَرَهُ): اى عُثْمَانَ. (مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي): اى مَنْ خَذَلَ عُثْمَانَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ أَنَّ النَّاصِرَ لَهُ خَيْرٌ مِنْ خَاذِلِهِ. (وَأَنَا): ارَادَ بِهِ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ. (جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرُهُ): اى امر عثمان وَأَبَيَّنَ لَكُمْ سَبَبَ قِتْلِهِ. (إِسْتَأْثَرَ): اى

انفرد بالأمر من غير مشورة منه مع غيره. (فَأَسَاءَ الْآثَرَةَ: وَجَزَعْتُمْ) على قتله،
 (فَأَسَاءَ تُمْ الْجَزَعُ) لكونه في غير محله. (وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَأَقِمْ فِي الْمُسْتَأْثَرِ
 وَالْجَازِعِ): في اللوح المحفوظ ولامرّد لحكمه.

◀ الشرح

اعلم: ان هذه الخطبة قد وردت في قتل عثمان وتبرئة نفسه الشريفة عن
 قتله وانه ﷺ لم يأمرهم بقتله وإنما قتلوه من غير مشورة منه والسبب في
 ايرادها هو ان معاوية واصحابه وكذا الزبير وطلحة ومتابعيهم إتهموه بكونه
 أمراً بقتله راضياً به مع علمهم بكذب ما قالوه وإنما قالوا ما قالو ليشتبه الأمر
 على العوام وامكن لهم تجهيز الجيوش ونيلهم الى مقاصدهم وآمالهم
 فقال ﷺ: في جوابهم ما قال.

وقد ذكرنا في شرح الخطبة الشَّقَشَقِيَّة كيفية قتل عثمان واعماله وسوء
 سريره وسائر ما أوجب قتله مفصلاً فلا نُعيد الكلام بذكرها وليعلم ان هذه
 الخطبة التي نحنُ بصدد شرحها إنما صدرت منه ﷺ لبيان شيءٍ آخر غير قتله
 وهو ان امير المؤمنين هل كان أمراً بقتله راضياً كما يقول به المخالف تبعاً
 لمعاوية والزبير وطلحة وامثالهم من الكذابين المنافقين ام لم يكن أمراً به
 ولنشرح أولاً فقرات الخطبة ثم نستنتج منها ما هو الحق الحقيق بالمقام مُعرضاً
 عن التعصب الذي هو من هفوات الكلام وزلات العقائد في المقال وعلى الله
 التوكّل وبه الاعتصام.

□ قوله ﷺ: لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً...

كلمة (لو) للشرط والمعنى اني لو أمرت بقتل عثمان لكنت قاتلاً له لامحالة
 لان من أمر بقتل غيره فهو القاتل واقعاً والسبب والعلة لوقوع القتل خارجاً وان
 لم يكن بنفسه مباشراً له وذلك لان المباشرة في القتل اذا كانت بأمر الأمير فهي
 في الحقيقة من قبيل الوساطة والآلة نظير السيف والسنان الاترى انه لا يقال
 للسيف مثلاً هو القاتل مع انه قتل بحيث لولاه لم يكن للقاتل الى قتله من

سبيلٍ قطعاً ومع ذلك يقال بان القاتل هو زيد لاغير فكذا فيما نحن فيه فان
 الامر بمنزلة الشخص والمباشر للقتل بامرہ بمنزلة الآلة من دون تفاوتٍ فيهما
 كما يقال ان يزيد ابن معاوية او عبیدالله ابن زياد لعنة الله عليهما قتلا حسيناً مع
 انهما لم يكونا في المعركة ولم يباشرا قتله او نهيتُ عنه لَكُنْتُ ناصراً، اي لو
 نهيتُ عن قتل عثمان لكنتُ ناصراً له، وهذا ايضا واضح فان الناهي عن القتل
 ناصرٌ له في الحقيقة لعدم رضايته بقتله ومنعهم وردعهم عنه فان الناصر اعم
 من الناصر بفعله او بقوله.

ثم ان هاتين القضيتين من القضايا الشرطية المتصلة التي وجود التالي فيها
 موقوف على وجود المقدم وعدمه على عدمه.

اما كونهما من الشرطيات المتصلة فواضح اذ قوله ﷺ، لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ
 قاتلاً فالجملة الأولى اعنى قوله لَوْ أَمَرْتُ بِهِ، شرطية مُصدرة بكلمة لَوْ التي هي
 حرف شرط والجملة الثانية وهي قوله: لَكُنْتُ قاتلاً، تُسمى بالمشروط ان عبرنا
 من الأولى بالشرط وبالتالى ان عبرنا عنها بالمقدم والمآل واحد.

واما قوله ﷺ: أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ ناصراً: فكذلك ايضا فانه معطوف على
 الجملة الأولى والمعطوف في حكم المعطوف عليه فكأنه قال ﷺ أَوْ نَهَيْتُ
 عَنْهُ لَكُنْتُ ناصراً وترتيب الشرط والمشروط او المقدم والتالى فيها كما قلنا
 في الجملة الأولى بلاتفاوتٍ بينهما.

وقد ثبت في الشرطيات المتصلة ان وجود التالي بوجود المقدم، ورفع
 برفعه لأستحالة انفكاك اللازم عن الملزوم والعلة عن المعلول.

فاذا قلنا اذا كانت الشمس طالعة لكان النهار موجوداً، يستفاد من هذه
 القضية ان طلوع الشمس علة لوجود النهار وعدمه لعدمه فلا يعقل طلوع
 الشمس والنهار غير موجودٍ وبالعكس اذا عرفت هذا فنقول:

□ قوله ﷺ: لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قاتلاً أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ ناصراً، معناه لو
 أمرتُ بقتل عثمان كما يقول به المخالف، لكنت قاتلاً له لان الامر بالقتل سبب

وعلة لثبوت القتل، بمعنى ان عنوان القاتل يتفرع عليه ولا يعقل انفكاك احدهما عن الآخر، ولكني لم اكن قاتلاً له لعدم ثبوت ذلك في حقي ولم يشهد بذلك احد من اهل المدينة وممن حاصروا عثمان ضرورة اني لو كنت قاتلاً له معهم لراؤ ذلك، ثم لم ينكروه وحيث ثبت عدم شهادتهم به فهو دليل على خلاف ما قال به المخالف عناداً ولجأً واذا ثبت اني لم اقتله فقد ثبت اني لم امرهم بقتله ايضاً وذلك لما قدمناه من ان عدم المقدم مسبب عن عدم تحقق التالي، فالقائل بان علياً وان لم يكن قاتلاً له الا انه امرهم بقتله يقول قولاً شططاً لان عدم القتل دليل على عدم الامر بالبرهان الانى وهكذا الامر في قوله عليه السلام: **أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً فَإِنَّ النَّهْيَ عَنِ الْقَتْلِ سَبَبٌ وَعِلَّةٌ لِتَحَقُّقِ النَّصْرِ** فعدم تحقق النصر معلول عن عدم النهي هذا كله بحسب ظاهر اللفظ واقتضاء القوانين الميزانية من حيث الشرط والمشروط والمقدم والتالي.

واما ان كلامه عليه السلام هذا دليل على عدم كونه اميراً بقتله ولانهاياً عنه كما ذهب اليه بعض شارحي كلامه فلم يدل عليه دليل ولا انه يستفاد من اللفظ، وذلك لان هذا الكلام له جهتان:

جهة الاثبات وجهة النفي فعلى الاول يثبت كونه عليه السلام امراً به وعلى الثاني فلا. فتارة نقول في الجملة الاولى، لو امرت به لكنت قاتلاً، لكني امرت به فكنت قاتلاً، او يقال لكني ما امرت فلم اكن قاتلاً، هذا اذا رتبنا القياس بطريق اللّم وهو العلم من العلة بالمعلول.

واما ان رتبناه بطريق الاين وهو العلم من المعلول بالعلة فنقول فيه لكني لم اكن قاتلاً فلم اكن اميراً به، ولكني كنت قاتلاً له فكنت امراً به، وهذا كما نقول في الشرطية المتصلة اعني قولنا ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود، لكن الشمس طالعة فالنهار موجود، او غير طالعة فالنهار ليس بموجود، هذا على طريق اللّم.

ثم نقول: لكن النهار موجود فالشمس طالعة، او النهار غير موجود

فالشَّمْسُ لَيْسَتْ بِطالعة.

ثمّ نقول: فى الجملة الثانية وهى قوله أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ ناصِراً.
أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ ناصِراً، لكنى نهيتُ عنه فكنتُ ناصراً، او ما نهيتُ عنه
فما كنتُ ناصراً هذا بطريق اللّم.
او نقول لكنى ما كنتُ ناصراً فما نهيتُ عنه، او كنتُ ناصراً فنهيتُ عنه، هذا
بطريق الإلّ.

وبعد اللّتى واللّتى لادلالة لهذا الكلام مع قطع النّظر عن القرائن الخارجيّة
على كونه للإلّ أمراً بقتله أم لا ولاعلى كونه ناهياً عنه ام لابل الكلام ساكت
بالنسبة الى الاحتمالين لتعليق النّصر والقّتل على الشّروط، ولا ندرى بتحقيق
الشّروط وعدمه فقولهم فى شرحهم لهذا الكلام انه يدلّ على كونه للإلّ غير أمر به
ولا ناهياً عنه كلامٌ بلامحصل لو خلينا وهذا الكلام.

□ قوله للإلّ: غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ...

اى مَنْ نَصَرَ عثمان بقوله وفعله لا يستطيع ولا يقدر ان يقول خذّل عثمان
مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، اى مِنْ خاذله، وذلك لآن من المحتمل، ان يكون الخاذل على
بصيرة فى دينه قوياً فى اعتقاده وايمانه فلا يبعُد ان يكون خذلانه اياه بمقتضى
دينه وايمانه مُراعياً فيه الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر وعليه فالناصر له
بفعله قد تَرَكَ الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر واعان ظالماً فاسقاً فكيف
يمكن له القول بانى خيرٌ ممّن خذّله مع انّ المفروض كون الخاذل على الحقّ
والناصر على الباطل.

□ قوله للإلّ: وَمَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي...

وذلك لما ذكرناه فانّ من خذّل عثمان بتركه نصرته لا يقدر ان يقول نصر
عثمان مَنْ هُوَ اى الناصر خيرٌ مِنِّي، لاحتمال كون الناصر على الباطل كما مرّ
والخاذل على الحقّ.

بل تقدير الكلام فى الصّورة المفروضة من حيث المفهوم انّ للخاذل ان

يقول نَصْرَهُ من أنا خَيْرٌ منه او مساوٍ له وذلك لأنَّ النَّاصِرَ له لو لم يكن خيراً من الخاذل فلا يَخْلُوا أَمَا ان يكون الخاذل مساوياً له او خيراً منه فإنَّ الشَّقُوقَ ثلاثة كون النَّاصِرَ له والخاذل له متساويان في الرُّتَبَةِ، وكون النَّاصِرَ خيراً من الخاذل، وكون الخاذل خيراً من النَّاصِرِ.

فاذا لم يقدر الخاذل ان يقول بأنَّ النَّاصِرَ خَيْرٌ مِنِّي فلامحالة أَمَا ان يكونا متساويين او يكون الخاذل خيراً من النَّاصِرِ وهكذا الكلام من حيث الشَّقُوقِ الْمُحْتَمَلَةِ بالنسبة الى الجملة الأولى بـلاتفاوت بينهما من هذه الجَهَّةِ اعنى قوله غير انَّ مَن نَصْرَهُ لا يَسْتَطِيعُ الخ.

وبما ذكرناه قد ظهر لك انَّ مفاد كلامه ﷺ في الجملتين هو انَّ خاذل عثمان كان خيراً من ناصره، فإنَّ قوله ﷺ في الجملة الاولى وهى غَيْرَ انَّ مَن نَصْرَهُ الى قوله خَيْرٌ مِّنْهُ، يَدُلُّ على انَّ النَّاصِرَ لا يقدر على ان يقول انا خَيْرٌ من خاذله واذا لم يكن النَّاصِرَ خيراً من خاذله، فلامحالة يكون الخاذل خيراً منه، لأنَّ فرض التساوى من جميع الوجوه بعيدٌ ولو سَلَّمْنَا فلا اقل من التساوى بينهما.

واما قوله فى الثانية: وهو مَن خَذَلَهُ لا يَسْتَطِيعُ الى قوله مِنِّي، فى قُوَّةِ قولنا و مَن خَذَلَهُ يَسْتَطِيعُ ان يقول نَصْرَهُ من انا خَيْرٌ منه لعدم الفرق بينهما من حيث المعنى وهو صريحٌ فى انَّ الخاذل خَيْرٌ من النَّاصِرِ وهو المطلوب.

واما كون النَّاصِرَ خيراً من الخاذل فلايستفاد من كلامه فثبت انَّ الخاذل له خَيْرٌ من ناصره فتأمل فى المقام.

اذا علمت ذلك وأمعنت النظر فيه فقد دريت انَّ كلامه ﷺ هذا يَدُلُّ على انَّ مَن خَذَلَهُ اعنى عثمان، أفضل وأشرف ممَّن نَصْرَهُ فاذا فرضنا انَّ ناصرى عثمان كَمروان ابن الحكم ومعاوية وامثالهما وخاذليه كعمار ابن ياسر ومحمد ابن ابى بكر ومالك الاشر وغيرهم كان الفضل والشرف لخاذليه دون ناصريه، ففى المَفْرُوضِ لا يَخْلُوا الامر أَمَا ان يكون امير المؤمنين ﷺ مع خاذليه او يكون مع ناصريه.

وبعبارة اخرى اما ان يكون مع الأفضل والأشرف وهو خاذليه او مع غير
الأفضل وهو ناصرية.

فان قلنا بالتانى وهو كونه مع غير الأفضل يلزم ترجيح الغير اعنى خاذليه
عليه ولم يقل أحد بان محمد ابن ابى بكر ومالك الاشرى وامثالهما من شيعته
أفضل منه لان المأموم لا يكون افضل من الأمام، فلامحالة نختر الشق الاول
وهو كونه فى طبقة الأفضل وبهذا أثبت كونه فى زمرة خاذليه واذا ضمنا هذه
المقدمة المستفادة من كلامه الى قوله عليه السلام فى صدر الخطبة، لو أمرت به لكنت
قاتلاً او نهيت عنه لكنت ناصراً نعلم ونقطع بانه عليه السلام كان راضياً بقتله وما فعلوه
به وان لم يكن أمراً به صريحاً الا انه عليه السلام لم يكن ناهياً عنه ايضاً فمادى اليه
بعض من، لاخبرة له بدقائق الكلام من الشراح وغيرهم من ان هذه الخطبة
تدل على كونه عليه السلام غير أمر بقتله ولا ناهياً عنه ان اراد به كونه غير أمر بقتله
صريحاً ولا ناهياً عنه كذلك فهو مما لا كلام لنا فيه اذ لم يدل لنا دليل على
ذلك صريحاً وان اراد تبرئته عليه السلام عنه واقعاً وانه كان لايرضى بقتله بل ينهاهم
عنه فهو مخالف لكلامه هذا كما عرفت هذا كله بالنسبة الى ظاهر الكلام
ويؤيده امور.

احدها: ان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على كل مسلم
بالكتاب والسنة والأجماع والعقل، ولا شك ان عثمان ابن عفان جعل المنكر
معروفاً والمعروف منكراً فضلاً عن الأتيان بالمنكرات وترك المعروف ومن
كان كذلك يجب على المسلمين رده ومانعه وخلعه عن الحكومة والأمانة
فان لم يقبل فيجب قتله وعثمان كان كذلك وحيث انه لم يخلع نفسه عن
الخلافة ولم يترك رويته الخبيثة الشنيعة فلا جرم هجموا عليه وقتلوه بمقتضى
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

اما الصغرى: اعنى كونه ممن تنطبق عليه هذه الامور فقد مر الكلام فيه فى
شرح الخطبة الشفشقية عند ذكر مثالبه ومطاعنه وقد ذكر الشارح المعتزلى

ايضا كثيراً من مثالبه في شرحه ومُتون التواريخ ايضاً بها مشحونة
واما الكبرى: اعنى من كان كذلك يجب ردعه ومنعه وقتله فلان تارك
المعروف وفاعل المنكر اذا لم يترك رويته فلا بُد له من ان يقتل صوناً لبيضة
الاسلام وحفظاً لعقائد المسلمين حتى لا تشيع المنكرات بين المسلمين فان
المنكر وفاعله بمنزلة المادة للأمراض المُسرية فكما ان مادة السرطان او السل
او غيرها من الأمراض الصعبة اذا وجدت في بدن الانسان ولم تدفع عنه في
اول الامر تسرى في البدن بحيث يصعب على الانسان علاجه ومن أحب
حياته يجب عليه المواظبة بدفع الفساد او رفعه في بداية الامر فكذلك
المنكرات وفاعلها في بدن الاجتماع كالمواد السرطانية المهلكة المُسرية
فيجب على المسلمين علاجه حتى لا يسرى الفساد الى باقى الأفراد واذا كان
الأمر في عثمان وفعالها واعماله واقواله وبدعه على هذا المنوال فكان واجباً
على المسلمين دفعه ورفعها فان في التأخير آفات واذا كان كل مسلم من
المسلمين موظفاً من الله ورسوله بدفع مادة الفساد وقمعها أمراً بالمعروف
ونهيها عن المنكر فما ظنك بامير المؤمنين عليه السلام الذي هو خليفة الله وخليفة رسول
فكيف يجوز عليه السكوت في قبال اعمال عثمان وامثاله وردعه ومنعه الناس
عن اجراء المعروف وامانة المنكر والمفروض ان هذه الفريضة اعنى الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتحقق بل لا يوجد بدون قتل عثمان لعدم
قبوله النصيحة بوجه من الوجوه كما اعترف به الشارح المعتزلى وغيره من
علماء العامة كيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضى ب قوم فهو منهم.
وقوله: من اعان ظالماً سلطه الله عليه وامثال ذلك من الروايات الدالة على
حرمة الظلم واعانة الظالم.

وثانيها: ان علياً عليه السلام لا يخلوا اما ان كان موافقاً لعثمان واعماله او مخالفاً له
والاول لاسبيل اليه لما تقدم والثاني هو الحق لان الأمر دائر بين النفي والاثبات
ولا واسطة بينهما بحسب الاعتقاد والواقع وهو المطلوب.

وثالثها: ان قتله عثمان لو كانوا ظالمين في قتلهم اياه لوجب عليه عليه السلام وعلى كل مؤمنٍ قد آمن بالله ورسوله ردعهم ومنعهم وفي صورة عدم القدرة على الردع والمنع الأعراض عنهم والآنكار عليهم قولاً وعملاً حتى لا يدخل في زمرتهم ولا يحشر معهم ولا يكون مصداقاً لمن أعان ظالماً، ولم نسمع بل ولم يتقل أحدٌ من المورخين وارباب السير اعراضه عنهم والآنكار عليهم بل كانوا من اصحابه وشيعته واقرب الناس اليه وهذا دليل على رضايته بذلك في الواقع وهو المطلوب.

نعم لم يأمر بقتله ظاهراً وهو لا ينافي رضايته به واقعا اذا السكوت الظاهري لو لم يكن دليل على الرضا كما هو المشهور، فلا أقل من كونه أعم من الرضا الواقعي وعدمه فلعله لم يتظاهر بذلك لاجل المصلحة التي قد علم بها كما هو كذلك.

وبعد ما ذكرناه فقد دريت ان قول البعض بان هذه الخطبة تدل على كونه بريئاً من قتله لا أمراً به ولا ناهياً لامعنى له الا بحسب الظاهر واما في الواقع فالأمر بالعكس لعدم الوساطة بين الرضا بقتله وعدمه واقعا لاستحالة اجتماع التقيضين.

□ قوله عليه السلام: وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرُهُ، إِسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْآثَرَهُ...

وهذا الكلام منه عليه السلام ايضاً يدل على ما ذكرناه ويؤيد ما سلكناه وهو انه كان مستحقاً للقتل والهلك لسوء سريرته وخبث طينته وذلك لان قوله عليه السلام: وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرُهُ، إِسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْآثَرَهُ، يدل على انه كان متفرداً بالرأى في أمور المسلمين متفرداً به في حكومته وامارته من غير توجه له الى الكتاب والسنة وان ما يفعله هل هو موافق لهما ام لا وهل الله ورسوله راضيان به ام لا، بل كان يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد هو نفسه ووزيره مروان ومعاوية وامثالهما ومن المعلوم ان من كان كذلك ويحكم على نفوس المسلمين وأموالهم وأعراضهم بما تشتهي نفسه وندمائه من غير ان يتوجه الى المصالح في أمور المسلمين

بِحَسَبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَا جَرَمَ يُتَضَرَّرُ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ وَيُتَنَدَّمُ عَلَيْهِ وَلَا فَائِدَةَ فِي النَّدَامَةِ بَعْدَ وَقُوعِ الْفِعْلِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ.

ثُمَّ إِنَّ كَلَامَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا وَتَعْبِيرَهُ بِالْأَسْتِثْنَاءِ تُسْتَنْبِطُ مِنْهُ أُمُورٌ:

الأمر الأول: إِنَّ التَّعْبِيرَ بِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُتَفَرِّدًا فِي أَعْمَالِهِ بَيْنَ الْخُلَفَاءِ الْمَاضِينَ مَفْرَدًا فِي زَوَيْتِهِ وَقَدْ أَشْرْنَا إِلَيْهِ آنِفًا.

الأمر الثاني: الأَشَارَةُ إِلَى أَنَّهُ صَارَ مُتَفَرِّدًا طَبَعًا بِسَبَبِ أَعْمَالِهِ وَذَلِكَ مِنْ جِهَةِ أَنَّ أَعْمَالَهُ لَمَّا كَانَتْ مُخَالَفَةً لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَلَا جَرَمَ تَرَكُوهُ وَرَفَضُوهُ فَبَقِيَ وَحِيدًا فَرِيدًا مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا عَدَّةٌ مِنَ الْفَسَقَةِ الظُّلْمَةِ كَمُرْوَانَ وَمَعَاوِيَةَ وَآمِثَالَهُمَا ضَرُورَةٌ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَجَالِسُ الْفَاسِقَ اخْتِيَارًا، وَلَا سِيَّمَا فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ وَأَمَّا فِي زَمَانِنَا هَذَا فَلَا يَكُونُ الظَّالِمُ وَالْفَاسِقُ وَحِيدًا بَلْ هُوَ أَشْرَفُ وَأَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ فِي نَظَرِ كَثِيرٍ مِنْ أِبْنَاءِ الزَّمَانِ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لَغَلْبَةِ الْفَسَاقِ وَالْأَرَاذِلِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ لِكثْرَةِ الْفَسَاقِ وَقَلَّةِ الْأَخْيَارِ بَلِ الْأَخْيَارُ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْفَسَاقِ لَيْسُوا إِلَّا كَشَعْرَاتٍ بِيضٍ عَلَى ظَهْرِ الْبَقَرِ الْأَسْوَدِ أَوْ كَقَطْرَاتٍ عَدِيدَةٍ فِي قِبَالِ مَاءِ الْبَحْرِ فِي هَذَا الزَّمَانِ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ غَرِيبًا وَفِي ذَلِكَ الزَّمَانِ كَانَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ وَالْأَفْضَى الْوَاقِعُ فَالْأَمْرُ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (١).

الأمر الثالث: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِاسْتِثْنَائِهِ اسْتِبْدَادَهُ وَتَفَرُّدَهُ بِالرَّأْيِ بِمَعْنَى عَدَمِ قَبُولِهِ النَّصِيحَةَ مِنَ النَّاصِحِينَ وَعَدَمِ رَجُوعِهِ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ وَتَقْسِيمِ الْأَمْوَالِ فِي غَيْرِ مَوَارِدِهَا وَالْحُكْمَ عَلَى خِلَافِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الشَّنِيعَةِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْاسْتِبْدَادَ بِالرَّأْيِ وَعَدَمَ التَّوَجُّهِ إِلَى مَصَالِحِ الْعَامَّةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَاكِمِ فِي كُلِّ عَصْرٍِ وَزَمَانٍ مِنَ السُّمُومِ الْمُهْلِكَةِ الضَّارَّةِ عَلِيمٍ بِهَا أَمْ لَمْ يَعْلَمْ فَإِنَّ عَدَمَ الْعِلْمِ بِالشَّيْءِ أَوْ عَدَمَ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ بِالْأَنْغَمَارِ فِي الْمُشْتَهَاتِ

النفسانية لا يُغيّر الواقع عمّا هو عليه فإنّ الواقع محفوظٌ فمن زعم أو يزعم أنّ
الاستبداد في الحكومة الذي يتبعه الظلم والجور لامحالة يدوم ويوجب بقاء
ملكه فقد ظنّ ظنّ السوء كما هو واضح.

وحيث أنّ الحكومة في عصر عثمان صارت ملعبة للجهال والفساق وهو
ايضاً كان يمضى قبائح اعمالهم وسيئات افعالهم وكلّما كانت الصحابة رجعوا
اليه لم يعباء بقولهم ونصحهم فلاجرم وقع به ماوقع وفعلوا به ما فعلوا وما
ربك بظلامٍ للعبيد ولكنهم كانوا انفسهم يظلمون، فثبت وتحقق أنّه كان بنفسه
قاتلاً لنفسه بحسب الواقع بسبب اعماله وافعاله الا ان اعماله وسيئاته تجسّمت
بصورة الاسنة والسيوف وهذا هو نتيجة الاستيثار والانفراد بالرأى في مصالح
العامة فاعتبروا يا أولى الابصار.

وقوله ﷺ: **وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمْ الْجَزِعَ...**

وفيه اشارة الى ان جزع الجازعين على عثمان وقتله لم يكن في محله كما
اشار اليه بقوله فأسأتم الجزع، وذلك لما ذكرناه من انه لم يرجع عمّا كان عليه
ولم يقبل النصح من أحدٍ ومع ذلك أبدع في الدين بدعاً كثيرةً كذلك فيحكم
العقل والشرع بقتله ومحوه عن صفحة الأرض وجامعة المسلمين حفظاً
لحدود الدين وصوناً لتغيير احكام سيد المرسلين ومن المعلوم ان الجزع على
مثل هذه الاشخاص من سيئات الأعمال لامن حسناتها فإنّ الجزع على انعدام
القبائح قبيح قطعاً.

ويمكن ان يكون المراد من قوله ﷺ: **فَأَسَأْتُمْ الْجَزِعَ**. فأسأتم الجزع، ان
الجزع بعد وقوع الفعل ممّا لافائدة فيه فكأنه قال لهم ان كنتم تحبونه واقعا فلم
لم تدفعوا عنه في ايام حياته ومحاصرتة حتى قتل والآن تجزعون عليه.
□ قوله ﷺ: **وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَقَعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ...**

اي والله حكم واقعي في اللوح المحفوظ في المستأثر والجازع وهو ممّا
لامردّ له فإن كان المستأثر والجازع استيثاره وجزعه بحق فهو مثاب عند الله والآ

فلا وان كان الأمر عند الناس على خلاف الواقع وَسَيَعْلَمُ الْمُسْتَأْثِرُ وَالْجَازِعُ
نَتِيْجَةَ اسْتِثْنَائِهِ وَجَزَعَهُ فِي يَوْمِ الْقِيَمَةِ فَإِنَّ كُلَّ جَزَعٍ لَا يُثَابِعُ عَلَيْهِ بَلْ يُعَاقِبُ عَلَى
بَعْضِ اِقْسَامِهِ وَكَذَا الْحَالُ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ.

﴿وَمِنْ كَلَامِ لَهُ﴾ (٣١)

□ قوله ﷺ: لَا تَلْقَيْنَ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَحُ تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ! وَلَكِنْ أَلِقِ الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلَيْنُ عَرِيكَةً، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ، عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ.

◀ اللغة

(عَاقِصاً) العَقَصُ بالفتح القَرْن وهو مُتَعَدٌّ وبالكسر لازم يقال عَقَصَ الثَّورُ. (قَرْنَهُ) الصَّعْبُ، نَقِيضُ الذَّلُولِ وهى من الدَّوَابِ المُنْقَادَةِ مِنْهَا وَالصَّعْبُ غَيْرُ مُنْقَادَةٍ مِنْهَا. (العَرِيكَةُ) الطَّبِيعَةُ، عَدَاهُ مِنَ الْأَمْرِ صَرَفَهُ وَشَغَلَهُ. (بَدَأَ) ظَهَرَ.

◀ المعنى

اعلم: أن هذه الخطبة أوردتها حين بعثَ عبدالله ابن العباس الى الزبير يستفيئه الى طاعته قبل حرب الجمل.

(لَا تَلْقَيْنَ طَلْحَةَ): والخطاب لابن عباس والنون للتأكيد. (فَأَنَّكَ): يابن عباس: (إِنْ تَلْقَحُ): أى طَلْحَةَ، (تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ)؛ وهو كناية عن حماقته وجهله. (يَرْكَبُ الصَّعْبَ): أى يركب أموراً صعبةً من دون أن يقدر على إتمامها (وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ!): أى يقول طَلْحَةَ بَأَنَّ الصَّعْبَ ذَلُولٌ وهو لا يعلم الفرق بينهما. (وَلَكِنْ أَلِقِ الزُّبَيْرَ): وهو الزبير ابن العوام. فإنه أَلَيْنُ عَرِيكَةً وطبيعةً من طَلْحَةَ. (فَقُلْ لَهُ): أى للزبير. (يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ): لأن أم الزبير

صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهِيَ كَانَتْ اخْتًا لِأَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ فَالزَّبِيرُ كَانَ ابْنَ
 عَمَّةٍ لَهُ ﷺ وَلِرَسُولِ اللَّهِ وَهُمَا ابْنَا خَالِهِ لِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ وَابْنَ طَالِبٍ مِنْ اخْوَالِهِ وَكَذَا
 عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْعَبَّاسِ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ أَيْضًا ابْنُ خَالِ لِلزَّبِيرِ وَابْنُ عَمِّ لِرَسُولِ
 اللَّهِ وَامِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. (عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ): مِنْ جَهَةِ الْقَرَابَةِ أَوْ الشَّجَاعَةِ.
 (وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ): وَجِئْتَنِي لِتَقَاتِلَنِي فَمَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الشَّنِيعِ وَ مَا
 الَّذِي ظَهَرَ لَكَ.

◀ الشرح

◻ قوله ﷺ: لَا تَلْقَيْنَ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقَّحْتَ تَجِدَهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ يَرْكَبُ
 الصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ الذَّنُورُ...

خاطب ﷺ ابن عمه عبدالله ابن العباس لما أنفذه الى الزبير قبل وقعة الجمل
 يستفيئه الى طاعته وقال له لا تلقيين طلحة وهو طلحة ابن عبيدالله وقد ذكرنا
 نسبه ونسب الزبير فيما مضى مفصلاً، نهى ﷺ عبدالله عن ملاقاته طلحة
 والتكلم معه في في الأستيفاء والأسترجاع وقال له في علة النهي عن ملاقاته
 مع طلحة فانك ان تلقى طلحة تجده كالثور عاقصاً قرنه شبهه ﷺ طلحة بالثور
 وهو الذكر من البقر والتشبيهه بالبقر في عقص قرنه وكفى عن شجاعته بلفظ
 القرن وهو آلة القوة للثور، فكما ان الثور معجب بقرنه هو ايضاً معجب
 بشجاعته وفي هذه الاستعارة وجوه من الملاحه والحسن لا بأس بالإشارة اليها
 اجمالاً.

احدها انه شبهه بالثور الذي له القرن ولم يشبهه بالأسد مع انه أشجع من
 الثور للدلالة على ان طلحة من حيث الطبيعة بالثور أشبه وأقرب منه الى الأسد
 لأن صفات الأسد لم تكن موجودة فيه فان الأسد من طبيعة السخاوة ولهذا
 اشتهر انه لم يأكل صيده وطعامه بتمامه قط بل من فطرته ترك بعض طعامه وان
 كان يشتيه وايضاً من طبعه الشجاعة وهو معلوم ومن طبعه الفراسة وهو ايضاً

معلوم وأما طلحة فكان بخيلاً ثميماً ومع ذلك لم يكن بشجاع بل كان مُتهوراً وهو غير الشجاعة وايضاً لم يكن ذا فراسةٍ والآ لم يُقدم على أمثال هذه الأمور التي صارت مُوجبة لفساد دينه ودنياه وحيث لم يكن فيه آثار الأسد وخصائصه لم يُشبهه به وأما أوصاف الثور فكانت فيه موجودة.

منها ان الثور لافراسة له اصلاً بل هو من أحق الحيوانات ولذا يقال فلان في عدم العقل يشبه البقر ولا يقال يشبه الأسد او الفرس، وامثال ذلك، نعم، الحمار ايضاً كذلك إلا أنه ﷺ لم يقل كالحمار لعدم وجود القرن له وهذا القرن للثور وهو الذي صار موجبا لتشبيهه ﷺ طلحة به وإلا فمن حيث الحماقة لافرق بين الحمار والثور.

ومنها ان الثور لاشجاعة له إلا أنه مُعجبٌ بقرنه ظاناً منه ان هذا يفيد في المهالك فكذا طلحة مُعجبٌ بنفسه وظنّ أنه شجاع ولا يعلم ان الامر بخلاف ما زعمه فلا جرم يقع في المهالك والشدائد.

ومنها ان الثور سمينٌ جسيم لا يقدر على الفرار عن المهالك وطلحة ايضاً كان سميماً جسيماً فمن هذه الجهة ايضاً كان شبيهاً به.

ومنها ان الثور لاوفاء له حتى بالنسبة الى صاحبه وهو ايضاً كان كذلك لنكته بيعته ﷺ وتحريضه الناس على قتل عثمان والطلب بدمه بعد قتله كما نقله غير واحدٍ من ارباب السير فبهذه الوجوه وامثالها شَبَّهَهُ ﷺ بالثور وأثبت له القرن استعارةً وهذه الاستعارة من احسن الاستعارات.

□ قوله ﷺ: يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ...

وهذا دليل على حماقته وجهله فان من ركب الصَّعْبَ وقال بانه ذلُولُ فهو أَحْمَقُ، لان الصَّعْبَ والذلُولَ من الضدين فكيف يمكن ان يكون احدهما عين الآخر كما ان السواد والبياض لايجتمعان هذا ذاقلنا بكونهما أمرين وجوديين وأما اذا قلنا بان الذلُولَ ليس إلا عدم الصَّعْبَ وهو ليس إلا عدم الذلُولَ حتى

صارا من قبيل المتناقضين كما هو المعتمد فى النظر فالأمر أيضا واضح
لاستحالة اجتماع النقيضين أيضا وعلى كلا التقديرين فاجتماعهما من
المحالات العقلية.

فقوله عليه السلام: أَنَّهُ أَي طَلْحَةٌ يَرَكَّبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ، أَنَّمَا مَثَلَهُ كَمَثَلِ
مَنْ يَقُولُ فِي الْبَيَاضِ أَنَّهُ سَوَادٌ وَبِالْعَكْسِ وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ مَنْ لَمْ يَفْرَقْ بَيْنَ
الضَّادِينَ أَوْ الْمُتَنَاقِضِينَ كَالْإِنْسَانِ وَاللَّأِنْسَانِ فَهُوَ جَاهِلٌ لَا يَلِيقُ بِالْخَطَابِ إِلَيْهِ
وَالْكَلَامُ مَعَهُ فَكَانَهُ عليه السلام قَالَ لِاتْلِقَيْنِ طَلْحَةً لِأَنَّهُ مِنَ الْحِمَاقَةِ بِمِثَابَةِ مَنْ لَا يَفْرُقُ
بَيْنَ الضَّادِينَ وَالنَّقِيضَيْنِ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ الْعُقُلَاءِ
□ قَوْلُهُ عليه السلام: وَلَكِنَّ الْقَالَ الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلَيْنُ عَرِيكَةٌ...

امرئ عليه السلام ابن عمه عبدالله ابن العباس بملاقاته للزبير واستدل عليه السلام على هذا
الامر بكون الزبير أئين عريكة من طلحة كما استدال على نهى ملاقاته لطلحة
بأنه كالثور عاقصاً قرنه الخ.

والعريكة على ماذهب إليه الشراح هي الطبيعة يقال فلان لئين العريكة اذا
كان سلساً وعليه فالمعنى ان القى الزبير لكونه أئين طبيعةً وجبلهً من طلحة
فالكلام معه أنفع وأثبت منه مع طلحة وفيه اشارة الى ان الكلام مع اللجوج
والعنود لافائدة فيه وهو كذلك لأنه لا يقبل الحق لعناده وتعضبه وان كان عالماً
بكون الكلام حقاً كما نرى فى كثير من ابناء الزمان.

قال فى القاموس: رجل أئين العريكة سلس الخلق منكسر النخوة انتهى.
وقال فى لسان العرب العريكة الطبيعة يقال لانت عريكته اذا انكسرت
نخوته وفى صفته عليه السلام أصدق الناس لهجةً والينهم عريكةٌ ثم قال والعريكة
النفس يقال إنه لصعب العريكة وسهل العريكة أى النفس قال الأخطل:

مِنَ اللَّوَاتِي إِذَا لَانَتْ عَرِيكَتُهَا كَأَنَّ لَهَا بَعْدَهَا أَلٌ وَمَجْلُودٌ قِيلَ فِي تَفْسِيرِهَا
عَرِيكَتُهَا قَوَّتُهَا وَشَدَّتْهَا انْتَهَى وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَلَيْنٌ نَفْساً مِنْ طَلْحَةٍ وَطَلْحَةٍ

أَخْبَثَ نَفْسًا وَأَشَدَّ بِأَسَا مِنْهُ وَالْمَالِ وَاحِدًا.

□ قوله عليه السلام: فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأ...

لم يقل قُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ امير المؤمنين او علي ابن ابيطالب مثلا وقال لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ والمقصود منه ليس الا هو نفسه لِلاشعار بان قيامه عليه عليه السلام ليس في محله لأمرٍ تستفاد من هذه الجملة.

احدها: انه اي الزبير كان ابن عمّة له عليه السلام وهو ابن خالٍ له لانّ امّ الزبير صفية بنت عبدالمطلب اخت ابي طالب وعبدالله ولازم هذه القرابة القريبة هو معاونته ونصرته له عليه السلام كما هو المُتَرَقَّب من الاقرباء ولا سيما الاقرباء بالنسب والزبير لقرابته منه عليه السلام كان ينبغي ان يَنْصُرَهُ وَيَعْضُدَهُ على الأعداء لان يَنْصُرَ الأعداء عَلَيْهِ ولأجل هذا قال عليه السلام ما قال حتى صار متذكراً لها وَعَلِمَهُ بِأَنَّهُ أَخْطَاءٌ فِي رَوِيَّتِهِ وَقِيَامِهِ.

وثانيها: ان هذه العبارة أدل على التوجه بماهيّة الموضوع من غيرها فان كلمة (خالك) محرّكة لِحَمِيَّةِ النُّبُويَّةِ وتوجب له السقوط عن مرتبة الغفلة والنخوة وهذا من أحسن السياسات في المحاورات واكمل الاحتجاجات على الخُصُوم اذا كانوا من الاقرباء.

وثالثها: انه قال لعبدالله قل له يقول لك ابن خالك مع ان عبدالله ابن العباس المرسل اليه ايضا كان ابن خاله فان عباس ابن المطلب ايضا كان اخو صفية كابي طالب وعبدالله فلو قال عليه السلام له قل له الخ كان المعنى واحداً الا انه عليه السلام أمره بذلك لانّ الزبير لم يكن مُحَارِباً لعبدالله بل كان مُحَارِباً لَهُ وهذا ظاهر.

واما قوله عليه السلام: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ فإشارته الى امور.

احدها: ان يكون المراد بمعرفة الزبير ايّاه في الحجاز معرفته بالقرابة والنسب كما مرّ فكانه قال عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ بِأَنَّ ابْنَ خَالِكَ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ

وجئتني فيه مُحارِباً مَقَاتِلاً وهذا من العجائب.

وثانيها: ان يكون المراد بها معرفته آياه بالسوابق الحسنة والمودة التي كانت بينهما في الحجاز في الإسلام ولا سيما في عهد رسول الله وبعده في أيام الخلفاء وقد ذكرنا فيما مضى في شرح قصة الجمل شطراً من حالاته معه عليه السلام وأنه كان من أشد الناصرين والمعاونين له عليه السلام كفاك شاهداً عليه استقامته يوم هجوم الأشرار على بيت فاطمة بضعة رسول لأخذ البيعة من علي عليه السلام لأبي بكر ومنعهم وردعهم فاطمة عن حقها ودفاع الزبير عن علي وفاطمة حتى أمر عمر ابن الخطاب بكسر سيف الزبير وأخذه، ثم فعلوا ما فعلوا وهذا من المسلمات على ما نقله المؤرخون وكذلك تفويض حقه في الشورى التي رتبها عمر الى علي عليه السلام واخراج نفسه منها وامثال ذلك من القضايا الثابتة في متون التواريخ التي تشهد بصدقه وصفائه ومحبته له عليه السلام قبل هذه الحوادث فقله عليه السلام: عرقتني بالحجاز وانكرتني بالعراق لعله كان اشارة الى هذه الصداقة التي كانت بينهما في الحجاز، فكانه قال عليه السلام أنسيت ما كان بيننا بالحجاز وانكرتني بالعراق حتى نقلوا ان الزبير لم يبائع ابى بكر حتى بايعه علي عليه السلام، ثم بعده بايعه.

وثالثها: ان يكون المعرفة اشارة الى معرفته آياه بالشجاعة فان الزبير لكونه من فرسان العرب وشجاعانه كان أعرف الناس به عليه السلام من جهة الشجاعة لأنه كان معه في أكثر الحروب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى ما رأى من قتله عمرو ابن عبدود ومرحّب وعُتبه وشيبة ووليد وغيرهم من شجعان العرب بحيث لولاه لم يكن أحد من المسلمين لازبير ولا غيره قادراً على مبارزتهم فضلاً عن قتلهم وهو مع ذلك كان عارفاً بقنون الحرب وكان من اهل بيته ايضاً ومن المشهور ان اهل البيت أدري بما في البيت وبالجملة زبير كان أعرف الناس به من جميع الجهات ولم يكن ممن خفيت عليه هذه الأمور فقيامه في العراق بمنزلة الإنكار له عليه السلام.

ورابعها: ان تكون المعرفة اشارة الى بيعته له ﷺ في الحِجَاز بعد قتل عثمان فإنه أعنى الزبير وطلحة كانا من المُصْرين على قبوله ﷺ الخلافة والحكومة وقد روى ان أول من بايعه ﷺ هو طلحة ثم بعده الزبير فكانه قال له عرفتني بالحجاز بالبيعة وأتى أولى الناس بالخلافة ثم انكرتني بالعراق وحاربتني بها ظلماً وهذا لا يليق بالعاقل المسلم.

وخامسها: ان تكون المعرفة في المقام اشارة الى معرفته اياه بالأنسانية وأنه من اهل الآخرة لا من اهل الدنيا فكانه ﷺ قال عَرَفْتَنِي بِأَلْحِجَازِ وَعَلِمْتَ كِرَاهَتِي تَوَلِيَةَ أُمُورِكُمْ وَالتَّصَدِي لِحُكُومَتِكُمْ وَخِلَافَتِكُمْ وَعَدَمَ اعْتِنَائِي بِدُنْيَاكُمْ فَكَيْفَ نَسِيتَ مَا مَضَى أَوْ صَرْتَ مَلْعَبَةً لِهَوِيِّ نَفْسِكَ وَظَنَنْتَ أَنِّي أَوْمَرْتُكُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ حَاشَا وَكَأَلًا.

وسادسها: ان يكون المراد بها المعرفة بأنه لم يكن بقاتل عثمان ظاهراً بل هو اى الزبير وطلحة كانا قتلاه في الحقيقة لتحريضهما الناس على قتله كما هو مسطور في التواريخ ثم انكر الزبير وطلحة هذا المعنى وقالوا في العراق ان علياً كان قاتلاً لعثمان لا غيره فكانه قال ﷺ عَرَفْتَنِي بِأَلْحِجَازِ بِبِرَائَةِ سَاحَتِي عَنْ هَذِهِ الْأَتِّهَامَاتِ ثُمَّ أَنْكَرْتَ فِي الْعِرَاقِ هَذَا الْمَعْنَى وَقُلْتَ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُ قَتَلَ عُثْمَانَ وَبِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

غَيْرِي جَنَى وَأَنَا الْمُعَاقِبُ فِيكُمْ فَكَأَنِّي سَبَّابَةُ الْمُتَنَدِّمِ
وَالْوَجُوهُ كَثِيرٌ وَلَعَلَّكَ تَسْتَنْبِطُ مِنْ كَلَامِهِ ﷺ غَيْرَ مَا اسْتَنْبَطْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ، فَهُوَ مِنْ أَعْجَازِ الْكَلَامِ كَمَا اعْتَرَفَ بِهِ السَّيِّدُ (قَدَّه) وَالْمَقْصُودُ فِيهِ مَا صَرَفَكَ وَشَغَلَكَ عَمَّا ظَهَرَ لَكَ، أَيْ بَعْدَ مَا ظَهَرَ لَكَ بِالْوَجُوهِ الْمُتَقَدِّمَةِ مَا ظَهَرَ بِأَنِّي عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتَ عَلَى الْبَاطِلِ، فَكَيْفَ عَدَلْتَ وَشَغَلْتَ عَنْ مَقْتَضِي عِلْمِكَ وَقَطْعِكَ وَحَارِبَتْنِي وَقَاتَلْتَنِي عَلَى هَوِيِّ نَفْسِكَ مَعَ أَنَّ هَذِهِ الرَّوْيَةَ لَا تَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ فَضْلاً عَنْ أَنْتَ، وَأَنْتَ أَنْتَ.

وبعبارة اخرى اى شىء ظهر لك بعد ان لم يكن قُل ولا تُقُل هُجراً ومعلوم ان
الجواب منفي والحمد لله رب العالمين.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٣٢)

□ قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ شَدِيدٍ (كَنُودٍ خ ل)، يُعَدُّ الْمُحْسِنُ فِيهِ مُسِيئًا، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُنُودًا، لِأَنَّتَفَعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَا نَسْتَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَجِلَّ بِنَا: فَالْنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لَا يُمْنَعُهُ الفَسَادُ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَهَانَةً نَفْسِهِ، وَكَلَالَةً حَدِّهِ، وَنَضِيضٌ وَفَرِهِ. وَمِنْهُمْ الْمُصَلِّتُ بِسَيْفِهِ، وَالْمُغْلِنُ بِشَرِّهِ، وَالْمُجَلِّبُ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ، لِحُطَامِ يَنْتَهِزُهُ، أَوْ مَقْنَبِ يَنْقُودُهُ، أَوْ مِنبَرٍ يَفْرَعُهُ، وَلِبَيْسِ الْمُتَبَحِّرِ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا، وَمِمَّا لِكَ عِنْدَ اللَّهِ عَوَضًا. وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، وَلَا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا، قَدْ طَأَمَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَزَحْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى المَعْصِيَةِ. وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَن طَلَبِ المُلْكِ ضُؤْلَةَ نَفْسِهِ، وَانْقِطَاعَ سَبَبِهِ، فَقَصَّرَتْهُ الحَالُ عَلَى خَالِهِ، فَتَحَلَّى بِأَسْمِ القِنَاعَةِ، وَتَزَيَّنَ بِلبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مِنْ مَرَاحٍ وَلَا مَعْدَى. وَبَقِيَ رِجَالٌ عَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ المَرْجِعِ، وَأَرَاقَ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ المَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ، وَتَكَالَانَ مُوجِعٍ، قَدْ أَحْمَلَتْهُمُ النُّقْيَةُ، وَشَمَلَتْهُمُ الذَّلَّةُ، فِي بَحْرِ أَجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِيحَةٌ، قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مُلُّوا، وَقَهَرُوا حَتَّى ذَلُّوا وَقَتَلُوا حَتَّى قَلُّوا. فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُمَالَةِ القَرَّظِ، وَقَرَاضَةَ

الْجَلْمِ، وَاتَّعَظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا قَدْ رَفِضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ أَنْتَهَى.

قال السيد (قده) أقول هذه الخطبة ربنا نسبها من لأعلم له إلى معاوية وهي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يشك فيه، وأين الذهب من الرغام؟ والعذب من الأجاج؟ وقد دل على ذلك الدليل الخريث، ونقده الناقد البصير عمرو ابن بحر الجاحظ، فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين، وذكر من نسبها إلى معاوية، ثم قال: هي بكلام أمير المؤمنين أشبهه، وبمذهبه في تصنيف الناس وفي الأخبار عما هم عليه من القهر والأدلال ومن التقيّة والخوف اليق: قال: ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد ومذهب العباد انتهى،

◀ اللغة

(عَنُودٌ) كغَيُور الجائر عن القصد الباغي الذي يرد الحق مع العلم به. (كَنُودٌ): كَعَنُودٌ كافر النعمة. (عُتُوًّا) عتا الرجل عتوا إذا استكبر وجاوزوا الحد. (قَارِعَةٌ) البلية التي تفرع القلب بشدة المخافة. (مَهَانَةٌ) بفتح الميم الذل والضعف. (كَلَالَةٌ حَدِّهِ) كلاله حد السيف وغيره إذا لم يقطع وهو كناية عن عدم صراحته في الأمور وضعفه عنها. (نَغِيضٌ وَفَرِيهِ) قلة غنائه. (المُصَلِّتُ) اسم فاعل من أصلت السيف إصلا تارة وإصلا تارة تجريده من غمده. (المُعَلِّنُ) اسم فاعل من أعلن أي أظهر أي المظهر. (المُجَلِّبُ) أيضا فاعل من أجلب بمعنى استعان أي المستعين على الأمر بالجمع. (رَجْلِيهِ) الرجل خلاف الفارس والجمع رجل مثل صاحب وصاحب. (أَشْرَطَ) أي أعلم. (أَوْبَقَ) أي أهلك. (لِحْطَامٌ) بالضم متاع الدنيا. (يَنْتَهِزُهُ) الانتهاز الأعتنام. (مِقْنَبٌ) كمنبر مابين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل والفرسان وقيل هو دون المائة. (يَفْرَعُهُ) فرع الميز إذا صعد إليه. (المَتَجَرُّ) مصدر بمعنى التجارة. (طَأْمَنَ) سكن، وقيل خفض. (شَمَّرَ) شمّر الثوب إذا رفعه. (زَخْرَفَ) أي زين. (ضُوؤَلَةٌ) الحفارة. (مَرَّاحٌ) بالفتح الموضوع.

(مَغْدِيٌّ) من الغداة وهو كناية عن كونه ليس من الزاهدين. (شَرِيدٍ) الطَّريد.
 (نَادٍ) نَدَّ البعير اذ نَفَر وذهَب على وَجْهه شاردًا. (مَقْمُوع) المَغْلُوب والمَقْهُور.
 (مَكْعُوم) كَعَم البعير اذ أَشَدَّنَاه لئلا يَعْضَّ او يَأْكُل والمراد منه الَّذي لا يمكنه
 الكلام. (تَكْلَان) التُّكْل فقدان الحَبِيب من ولدٍ وغيره ورجل تَكْلَان اى ذو تكل.
 (الدِّلَّة) بالكسر الحِقارة. (أُجَاج) بَضَمَّ الهمزة مِلْحَ مَرَّ. (ضَامِرَةٌ) الساكنة، ومن
 رَوَى بالراء المهملة فاراد أنها ذابِلة. (حُثَالَةٌ) بِالضَّم الرَّدِي من كلِّ شَيْءٍ.
 (الْقَرَضِ) بفتحَتَيْن وِرَق السَّلَم. (قُرَاضَةٌ) ما سَقَط بالقرض. (الْجَلَم) بالتَّحريك
 الَّذي يُجَزِّيه الشُّعر والصُّوف كالمِقراض. (ارْقُضُوهَا) الرِّفْض التَّرك. (أَشْغَفَ)
 شَغَفَنِي حُبَّهُ اى غَشِيَ حُبَّهُ قَلْبِي من فوقه انتهى.

◁ المعنى

انا قد أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ شَدِيدٍ (كَنُودِ خ ل): اِشَارَةُ عَلَيْهِ
 فِيهِ اِلَى ذَمِّ زَمَانِهِ بِاعْتِبَارِ ابْنَانِهِ بِالْجُورِ وَالْعُدْوَانِ مِنْ حَيْثُ غَلَبَةُ الْبَاطِلِ عَلَى
 الْحَقِّ وَرَجُوعِ النَّاسِ اِلَى اَعْقَابِهِمْ ثُمَّ وَصَفَ عَلَيْهِ الزَّمَانَ بِأُمُورٍ: اِحْدَاهَا كَوْنُ
 (الْمُحْسِنِ فِيهِ مُسِيئًا)، وَاليه اِشَارَ بِقَوْلِهِ (يُعَدُّ الْمُحْسِنُ فِيهِ مُسِيئًا)، لكَثْرَةِ
 الْمُسِيئِينَ وَقِلَّةِ الْمُحْسِنِينَ. وَثَانِيهَا اَنَّ مَقْتَضَى الظُّلْمِ فِي الزَّمَانِ لَهُ مَوْجُودٌ
 وَالْمَانِعُ مَفْقُودٌ، وَاِشَارَ اِلَيْهِ بِقَوْلِهِ (وَيَزِدُّ دَادُ الظَّالِمِ فِيهِ عُنُودًا)، وَثَالِثُهَا عَدَمُ
 الْاِنتِفَاعِ بِالْعِلْمِ مَعَ اَنَّ الْعِلْمَ لِلْاِنتِفَاعِ وَاِشَارَ اِلَيْهِ بِقَوْلِهِ (لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا)، فَايُّ
 فَائِدَةٍ فِيهِ. وَرَابِعُهَا عَدَمُ مَسْئُولِ الْجَهَالِ عَمَّا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ مَعَ اَنَّهُ وَظِيْفَتُهُمْ
 السُّئُولُ وَاليه اِشَارَ بِقَوْلِهِ: (وَلَا نَسْئَلُ عَمَّا جَهِلْنَا)، وَخَامِسُهَا عَدَمُ خَوْفِ اَهْلِ
 الزَّمَانِ مِنَ الْبَلِيَّاتِ وَالدَّوَاهِي النَّازِلَةِ وَاليه اِشَارَ بِقَوْلِهِ وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى
 تَحِلَّ بِنَا: ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِ (قَالَ النَّاسُ عَلَى اَرْبَعَةِ اصْنَافٍ): الصَّنْفُ الْاَوَّلُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ
 (مَنْ لَا يُمْنَعُهُ الْفَسَادُ فِي الْاَرْضِ) اِلَى قَوْلِهِ (وَ نَضِيضُ وَفْرِهِ)، ففى هَذَا
 الصَّنْفِ اِشَارَةُ عَلَيْهِ اِلَى اَنَّ بَعْضَ النَّاسِ الَّذِي لَا يَفْسُدُ فِي الْاَرْضِ لَيْسَ عَدَمُ فِسَادِهِ
 فِيهَا لِأَجْلِ اِيْمَانِهِ وَخَوْفِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بَلْ اِنَّمَا هُوَ لِكَوْنِهِ ذَلِيلًا فِي النَّاسِ اَوْ

لكونه دليل النفس لا يتقدر على العمل فعدم قدرته على الفساد مُسَبَّبٌ عن
احدى الثلاثة: احدها ذلّة نفسه وَضعفها بالهَرَمِ والمَرَضِ وامثالهما وثانيها عدم
تَمَكُّنِهِ من الفساد لعدم قدرته عليه، وثالثها عدم ماله وثروته فيما اذا كان الفساد
مَشْرُوطاً به فاشار الى الاول بقوله: (مِنْهُمْ مَنْ لَا يُمْنَعُهُ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا
مَهَانَةً نَفْسِيهِ)، والى الثانى بقوله (وَكَلَالَةٌ حَذَّهِ)، والى الثالث بقوله (وَ نَضِيضٌ
وَفَرِهِ). الصنف الثانى من يتقدر على الظلم والجور والعصيان فهو لا يتقصر فى
عصيانه وتجاوزه عن حذّه، وهم على اقسام: (وَمِنْهُمْ الْمُصَلِّتُ بِسَيْفِهِ،
وَالْمُغْلِنُ بِشَرِّهِ)، من غير ملاحظته حدود الشرع وحرّيمه فيفعل ما يشاء
ويحكم بما يريد، (وَالْمُجَلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ)، اى هو جمع جميع امكاناته فى
هذه الروية الرذية من ماله وقدرته وعشيرته ونفوذه (قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ)،
وأعدّها للفساد فى الأرض، (وَأَوْبَقَ دِينَهُ)، اى أهلك دينه باتّباعه الشهوات
وتركه الواجبات، (لُحْطَامٌ) اى متاع الدنيا، (يَسْتَهْزُهُ)، اى يَغْتَمَهُ (أَوْ مَقْنَبٌ
يَقْوُذُهُ، أَوْ مِنْبَرٌ يَفْرَعُهُ)، وَيَصْعَدُ عَلَيْهِ، والمقصود ان هذه الافعال المذمومة فى
الواقع انما هى لأجل وصوله الى هذه الغايات الموهومة فى هذه الدنيا،
ولذلك قال ﷺ (وَلَيْسَ الْمَتَّبِعُ) الى قوله (عَوْضاً)، اى بثست التجارة هذه
التي ثمرتها الأخذ بحطام الدنيا الفانية وترك الآخرة الباقية. الصنف الثالث مَنْ
يَطْلُبُ الدُّنْيَا وَحُطَامَهَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ وَالِى هَذَا الْقِسْمِ اِشَارَةُ ﷺ
بقوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ)، (وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ
الدُّنْيَا، قَدْ طَأَمَنَ مِنْ شَخْصِهِ)، فهو للوصول الى مقصده سَلَكَ مَسَلَكِ
التَّوَاضِعِ وَمَشَى مَشَى الْمُوقِرِينَ، واليه اشار بقوله (وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ)، (وَشَمَّرَ
مِنْ تَوْبِيهِ)، ثُمَّ جَعَلَ نَفْسَهُ فِي مَعْرَضِ الْقَبُولِ لِلدُّوَابِعِ وَالْأَسْرَارِ وَالْأَمَانَاتِ وَالِيهِ
اِشَارَةُ ﷺ بقوله (وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ)، وَجَعَلَ سِتْرَ اللَّهِ آيَاهُ وَامْهَالَ الْحَقَّ
لَهُ وَسِيلَةً وَزَرِيعَةً إِلَى الْمَعَاصِي كَمَا قَالَ (وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ).
الصنف الرابع من لا يطلب الدنيا لعدم امكان الوصول اليها بالنسبة اليه لحقارة

نفسه وذلتها، وأشار اليه بقوله (وَمِنْهُمْ مَنْ أَعَدَّهُ عَن طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤْلَةً نَفْسِيهِ، وَأَنْتِطَاعُ سَبَبِيهِ)، فلامحالة بقى على حاله من دون نيته الى أماله، كما قال عليه السلام (فَقَصَّرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ)، فيتمسك بالحيلة والمكر باظهاره القناعة والتلبس بلباس المتقين الزاهدين وهو لا يكون اهلاً لهذه الاوصاف، والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله: (فَتَحَلَّى بِأَسْمِ الْقِنَاعَةِ)، الى قوله (وَلَا مَعْدَى).. ثم بعد هذه الأصناف الأربعة المذكورة بقى صنف آخر ليس منهم بل هو من اهل الحق واقعا ولهذا الصنف علامات. احداها قوله عليه السلام: (عَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ)، اى أهوال القيامة. وثانيها قوله (وَأَرَأَقَ دُمُوعُهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ)، فان لازم الخوف منه هو اراقة الدموع. وثالثها (فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ تَادٍ، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ، وَثَكْلَانٍ مُوَجِعٍ)، اى من غَضَّ بَصْرَهُ ذِكْرَ الْمَرْجِعِ وَاَرَأَقَ دُمُوعَهُ خَوْفَ الْمَحْشَرِ فهو دائماً يتردد أمره اما ان يكون مُنفرداً او مغلوباً، او ممنوعاً من حقه او داعٍ مخلص او ثكلانٍ مؤجع: لتألمه وتأثره وندامته. ورابعها قوله عليه السلام (قَدْ أَخْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةُ)، فان مقتضى الطبيعة فى التقية حفظ الدين والنفس، (وَشَمَلَتْهُمْ الذُّلَّةُ)، لعدم امكان اجتماعهم فى محل واحد فى عصر التقية، فهم (فِي بَحْرِ أُجَاجٍ)، اى فهذه الافراد المراعون للتقية كأنهم فى دار الدنيا وقَعُوا فى بَحْرِ أُجَاجٍ مُرًّا، (أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ)، اى ساكنة عن النطق لعدم المُقتضى ووجود المانع، (وَقُلُوبُهُمْ قَرِيحَةٌ)، جريحة لامتلائها من الغصص واحتوائها على الهموم والغموم، (قَدْ وَعَظُوا النَّاسَ (حَتَّى مُلُّوا)، لعدم استفادتهم عن مواضعهم، (وَقَهَرُوا حَتَّى ذَلُّوا)، اى صاروا مقهورين مغلوبين بأيدى الأشرار، (وَقَتَلُوا حَتَّى قَلُّوا)، ضرورة ان قتلهم بأيدى الظلمة يوجب قتلهم، (فَلْتَكُنْ الدُّنْيَا فى أَعْيُنِكُمْ (أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرْظِ)، الفاء للتفريع اى بناء على ما ذكرناه فلتكن الدنيا، وزخارفها وحطامها فى أعينكم وأبصاركم أصغر من أردى كل شىءٍ لحقارتها ودنائتها، (وَقَرَأْضَةُ الْجَلْمِ)، وهو معطوف على قلبه بتقدير الفاء وهو ايضاً كناية عن دنائتها، (وَأَتَّعَطُوا بِمَنْ

كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَن بَعْدَكُمْ)، اى اَتَعِظُوا بِهَا قَبْلَ مَوْتِكُمْ وَاَعْتَبِرُوا بِهَا وَاَنْظُرُوا اِلَى الْاَثَارِ الْمَاضِيَةِ، (وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً)، اى اِرْفُضُوا الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ مَذْمُومَةٌ (فَاِنَّهَا قَدْ رَفُضَتْ مَن كَانَ اَسْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ)، اى الدُّنْيَا قَدْ رَفُضَتْ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْاَفْرَادِ الَّتِي كَانُوا اَسْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ اَنْتَهَى.

◀ الشرح

□ قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي ذَهْرٍ عَنُودٍ وَزَمَنٍ كَنُودٍ (شديد)...

اعلم: انَّ البَحْثَ فى شَرْحِ هَذِهِ الْفَقْرَةِ مِنَ الْخُطْبَةِ يَقَعُ فى مَقَامَيْنِ.

المَقَامِ الْاَوَّلِ: فى الْفَرْقِ بَيْنِ الدَّهْرِ وَالزَّمَانِ وَبَيَانِ حَقِيقَتِهِمَا وَمَاهِيَّتِهِمَا.

المَقَامِ الثَّانِي: فى عِلَّةِ اتِّصَافِ الدَّهْرِ بِالْعَنُودِ وَالزَّمَانِ بِالْكَنُودِ اَوْ الشَّدِيدِ

عَلَى اخْتِلَافِ النُّسخِ.

أَمَّا الْبَحْثُ فى الْمَقَامِ الْاَوَّلِ: اعْنَى مَاهِيَّةَ الزَّمَانِ وَالذَّهْرِ وَحَقِيقَتَهُمَا وَالْفَرْقِ

بَيْنَهُمَا.

إِعْلَمْ: انَّ الزَّمَانَ عَلَى قَوْلِ الْفَلَسَفَةِ عِبَارَةٌ عَنِ مَقْدَارِ الْحَرَكَةِ الْقَطْعِيَّةِ لَكِنْ فى

الْمَشْهُورِ هُوَ مَقْدَارُ تَجَدُّدِ الْوَضْعِ الْفَلَائِكِيِّ وَفِي التَّحْقِيقِ مَقْدَارُ تَجَدُّدِ الطَّبِيعَةِ

الْفَلَائِكِيَّةِ بِنَاءً عَلَى الْحَرَكَةِ الْجَوْهَرِيَّةِ.

وَلَمَّا أُورِدَ، عَلَيْهِمْ بَأَنَّ الزَّمَانَ مَوْجُودٌ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ وَالْحَرَكَةَ الْقَطْعِيَّةَ

لَا وَجُودَ لَهَا لِأَنَّهَا عِبَارَةٌ عَنِ الْأَمْتِدَادِ السِّيَالِ فَإِذَا لَوْحِظَتْ مُطْلَقَةً فَلَا قَدْرَ وَلَا كَمِّيَّةَ

(ح) وَإِذَا لَوْحِظَتْ مُتَعَيِّنَةً مُتَقَدَّرَةً بِقَدْرِ خَاصٍّ جَاءَ الزَّمَانُ مِنْ ثَانِيَّةٍ أَوْ سَاعَةٍ أَوْ

غَيْرِهَا مِنَ الشَّهْرِ وَالسَّنَةِ وَالقَّرْنِ فَالْعَارِضُ مِنْ قَبِيلِ عَوَارِضِ الْمَهِيَّةِ لِأَنَّ قَبِيلَ

عَوَارِضِ الْوُجُودِ وَعَلَيْهِ فَالْحَرَكَةُ الْقَطْعِيَّةُ الْمُطْلَقَةُ لَا تَتَّصِفُ بِشَيْءٍ وَالْمُتَعَيِّنَةُ

الْمُتَقَدَّرَةُ بِقَدْرِ خَاصٍّ هِيَ الزَّمَانُ بَعَيْنِهَا فَلَا وَجُودَ لَهَا بِالْاِسْتِقْلَالِ اِجَابُوا عَنْهُ

بِمَا حَاصِلُهُ انَّ الزَّمَانَ كَالْحَرَكَةِ لَهُ مَعْنِيَانِ:

أَحَدُهُمَا أَمْرٌ مُتَوَهَّمٌ لَأَوْجُودَ لَهُ فى الْخَارِجِ يَعْنَى الْمَطَابِقَ لِلْحَرَكَةِ بِمَعْنَى

الْقَطْعِ هَذَا عَلَى مَسَلِكِ الْقَائِلِينَ بِوُجُودِ الزَّمَانِ فى الْخَارِجِ.

ومن الفلاسفة من أنكّر الزّمان مطلقاً بدليل أنّ الماضي والمستقبل معدومان
والآن لا تتحقّق له مع أنّه ظرف الزّمان المخالف له نوعاً والحقّ أنّ الزّمان موجودٌ
مُتحقّق كسائر الموجودات الخارجيّة وكون الماضي والمستقبل معدومين في
الحال لا يستلزم عدمهما مطلقاً إذ لا يلزم من نفي الأخصّ نفي الاعمّ وكما أنّ
المكان إذا كان موجوداً لا يلزم أن يكون موجوداً في المكان أو في ظرفٍ منه
كذلك الزّمان إذا قلنا بوجوده لا يلزم منه وجوده في الزّمان.

وذهب بعض آخر إلى أنّ الزّمان هو التّحرك أي الحركّة نفسها وليس المراد
بالتّحرك نسبة الحركة إلى القابل واستدلّ على مدّعه بأنّ الحركّة مُتفضّية
مُتجدّدة وكلّ مُتفضّ مُتجدّد فهو زمان.

والجواب أنّ الوَسَط لم يتكرّر في القياس لأنّ الحركّة تجددّها، وتفضّيها
بالعرض والزّمان تجددّه بالذّات كما هو رأي جمهور الحكماء.

وقيل: الزّمان هو الواجب تعالى الله عن ذلك واستدلّاه عليه بأنّ لا يجوز
عليه العدم كما في الواجب، في غير محلّه فإنّ الواجب يمتنع عليه جميع أنحاء
العدم لذاته سواء كان عدماً مُجامعاً أو مُقابلاً والزّمان ليس كذلك لجواز أن
لا يوجد رأساً وإن أبى عن عدم السّابق واللاحق الزّمانيين.

وقيل: الزّمان هو العصر وإسمٌ لقليل الوقت وكثيره.

وقيل: الزّمان هو الفلّك، واحتجّ عليه بأنّ كلّ جسم في الزّمان وكلّ جسم في
الفلّك، والجواب ظاهر فأنّه لو تمّ هذا القياس فالزّمان هو المكان بوضع المكان
مكان الفلّك، والحقّ في الجواب أنّ النتيجة أنّ بعض ما في الزّمان في الفلّك
وهو غير المطلوب وهذه هي الأقوال الموجودة في الزّمان فيما نعلم.

ثمّ إنّ المشهور من الحكماء قالوا بوجوده وتحقّقه وأنّه موجود كسائر
الموجودات مخلوق كسائر المخلوقات وإن قلنا بأنّه يوجد من حركة الأفلاك
كما عليه القدماء لأنّ الفلّك لا شكّ في مخلوقيّته فكذا ما يوجد بسببه وما
ذكره الله في المبحوث عنه دليل على صحّة قول المشهور وأنّه موجود متحقّق

هذا كله في الزمان وحقيقته.

واما الدهر قال فريدو جدى فى دائرة المعارف الدهر الزمان الطويل وعمر العالم يقال لأفعله دهر الداهرين بمعنى أبداً انتهى.

وقالت الفلاسفة نسبة المتغير الى المتغير زمان، ونسبة المتغير الى الثابت دهر، ونسبة الثابت الى الثابت سَرْمَدٌ.

وذهب بعض آخر منهم الى ان الدهر عبارة عن وعاء الثابتات والمجردات وهو على قسمين: الدهر الأيمن، والدهر الأسفل وكل منهما ايضا ينقسم الى الأعلى والأسفل.

فالدهر الأيمن الأعلى وعاء العقول الكلية من الطولية والطبقة المتكافئة العرضية.

والدهر الأيمن الأسفل وعاء النفوس الكلية.

والدهر الأيسر الأعلى وعاء المثل المتعلقة التورية.

والدهر الأيسر الأسفل وعاء الطبائع الكلية من حيث انتسابها الى المبادئ العالية التى بتلك الجهة تكون ثابتات، وكان القائل الاول اراد هذا المعنى الأخير حيث قال الدهر هو نسبة المتغير الى الثابت كما مر.

ثم الفرق بين الدهر والزمان هو الفرق بين الروح والجسد ولذلك قيل ان نسبة الدهر الى الزمان نسبة الروح الى الجسد وذلك لان ما فى الدهر من الموجودات مبادئ وجودى الزمان وما فيه الزمانيات بانواعها، والعلّة مرتبة كمال المعلول كما ان المعلول مرتبة ضعف العلة فتكون نسبة الدهر الى الزمان كنسبة الروح الى الجسد فى كون الروح علة والجسد معلولاً.

واما السَرْمَدُ فهو عبارة عن مجموع معنى الأزل وهو عبارة عن عالم الحق وصفاته لأنه لا بداية ولا نهاية لوجوده.

المقام الثانى: فى عله انصاف الدهر بالعنود والزمان بالكنود، او الشديد،

وتكميل البحث فيه يستدعى اموراً.

الامر الاول: ان العنود على ما ذكره اهل اللغة هو العُدول عن المقصد او عن الطريق او عن الحق وهو عالم به، والكنود عبارة عن الكفور اعني كفران النعمة كما ورد ان الكنود الذي يأكل وحده ويمنع رفقده ويضرب عبده في تفسير **﴿انّ الإنسان لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾** (١)

الامر الثاني: ان اوصاف الدهر بكونه عنوداً والزمان بكونه كنوداً أو شديداً انما هو على سبيل المجاز دون الحقيقة وذلك لان الدهر على ما مر شرحه عبارة عن وعاء الثابتات والمجردات وهو في حد نفسه لا يتصف بكونه مائلاً عن الحق او المقصد فان الظرف لا يتصف بشيء والمتصف انما هو المظروف وكذا الزمان حيث انه ظرف ايضاً للزمانيات والأوصاف انما هي لهالاله نعم الدهر او الزمان يتصفان بالتجدد والحدوث فقط واما العُدول عن الحق او كفران النعمة فمن لوازم الزمانيات والواقعات في الدهر فالمقصود ان اهل الدهر متصف بكونهم عنوداً واهل الزمان بكونهم كنوداً كفوراً.

الامر الثالث: في وجه اوصاف الدهر بكونه عنوداً والزمان كنوداً يمكن ان يقال ان الدهر حيث انه بالنسبة الى الزمان بمنزلة الروح من الجسد فالدهر هو الأصل والزمان هو الفرع او هو المدبر والزمان هو المدبر او الدهر هو الأمير والزمان هو المأمور فعلى هذا الأعراض عن الحق والعُدول عن الطريق انما هو من اوصاف الدهر وما ينتسب اليه لان الزمان تابع له فاذا كان الدهر الذي وعاء الثابتات والمجردات مائلاً عن الحق معرضاً عنه فالذي يقع في الزمان الذي هو في الدهر يكفر بالحق ويحجده للمتابعة.

وبعبارة اخرى: الدهر عبارة عن نسبة المتغير الى الثابت فمن كان متغيراً أعماله متلوناً في أفعاله كما هو شأن الحادث فمن جهة انتساب التغير الى الأمر الثابت يستند الى الدهر ويقال دهر كذا ومن جهة استناد المتغير اعني الموجود الحادث الى المتغير يقال زمان كذا فالفرق بين المقامين بالأعتبار فقط والله

اعلم بحقائق الامور.

ثم علل ما ذكره اعنى كون الدهر عنود او الزمان كنوداً بامور كلها استدلالية برهانية.

احدها قوله عليه السلام: يُعَدُّ الْمُحْسِنُ فِيهِ مُسِيئاً، فكأنه قال قائل له عليه السلام باي دليل قلت انا اصبحنا في دهر عنود الخ.

فقال عليه السلام: في جوابه بامور: أحدها، انه يُعَدُّ الْمُحْسِنُ فِيهِ مُسِيئاً اى يُعَدُّ الْمُحْسِنُ فِي الزَّمانِ مُسِيئاً، مع انه ينبغي ان يكون الأمر بالعكس وذلك لان المُحْسِنِ اعنى من يفعل الأعمال الحسنة ويجتنب عن القبائح والأعمال السيئة على خلافه فاذا فرضنا كون المُحْسِنِ مُسِيئاً يلزم اجتماع التقيضين او الخلف اما الاول لانه ان كان مُحْسِناً ومع ذلك مُسِيئاً يلزم الاول وان كان مُسِيئاً ولم يكن بِمُحْسِنٍ فهو خُلف لانا فرضنا كونه مُحْسِناً وعلى كلا التقديرين يستلزم المحال.

والحل ان المُحْسِنِ لا يكون مُسِيئاً وبالعكس حقيقة لما ذكرتم ولم يقل عليه السلام يكون المُحْسِنُ فِيهِ مُسِيئاً حتى يرد الاشكال على العبارة بل قال يُعَدُّ الْمُحْسِنُ فِيهِ مُسِيئاً اى يُعَدُّونه ابناء الزمان مُسِيئاً مع انه ليس بمُسِيئٍ حَقِيقَةً وبهذا يظهر ذم ابناء الزمان فلو قال عليه السلام يكون المُحْسِنُ فِيهِ مُسِيئاً، لم يكن فيه ذمٌ للزمان باعتبار ابناءه وهو من لطائف كلامه عليه السلام فتبصر فليس من قبيل اجتماع التقيضين او الخلف والغرض من هذا الكلام هو ان ابناء الزمان لكونهم مائلين عن الحق والصدق معرضين عن الايمان بالله ورسله داعين الى الباطل قولاً وعملاً مُطِيعِينَ لِلْهَوَى وَالنَّفْسِ الْاِمَّارَةِ فلا جرم بمقتضى قانون السنخية لا يرون الا امثالهم واشباههم في الأعمال السيئة واما من كان مُحْسِناً فلكونه مخالفاً لهم فيما هم عليه اعنى الضلالة والغواية فكأنهم لا يرونه مُحْسِناً مُطِيعاً بل يرونه مُسِيئاً مُخْطِئاً.

والسرف فيه هو ان كل حزب بما لديهم فرحون، فهؤلاء لا يرون القبائح الا

حَسَنًا وَلَا الْحُسْنَ إِلَّا قَبِيحًا وَهَذَا مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُسْرِئَةِ فِي كُلِّ عَهْدٍ وَزَمَانٍ وَلَا
 اخْتِصَاصَ لَهُ بِزَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي زَمَانِهِ ﷺ عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ مَعَ
 أَنَّهُ كَانَ فِي صَدْرِ الْأَسْلَامِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ كَانُوا مِنْ
 أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا ظَنُّكَ بِزَمَانِنَا هَذَا الَّذِي لَا يُعْرَفُ الْحَقُّ وَاهْلُهُ فِيهِ
 أَصْلًا إِلَّا تَرَى أَنَّهُ مَنْ صَلَّى وَصَامَ وَحَجَّ وَوَوَّ لَأَوْقَعَ لَهُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بَلْ
 يَكُونُ مَوْرَدًا لِأَسْتَهْزَائِهِمْ وَاهَانَتِهِمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَبِالْعَكْسِ بِالْعَكْسِ
 وَلَيْسَ هَذَا إِلَّا لِكُونَ الْمُحْسِنِ فِي نَظَرِهِمْ مُسِيئًا وَالْمُسِيءِ مُحْسِنًا كَمَا سَنَشِيرُ
 إِلَيْهِ فِي التَّنْبِيهَاتِ.

وِثَانِيهَا قَوْلُهُ ﷺ وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُورًا.

وَهَذَا هُوَ الدَّلِيلُ الثَّانِي عَلَى اثْبَاتِ الْمَدْعَى وَذَلِكَ لِأَنَّ الزَّمَانَ لَوْ كَانَ مُسَاعِدًا
 وَابْنَانَهُ الصَّالِحِينَ لَيَنْبَغِي أَنْ يَرْتَدِعَ الظَّالِمُ عَنْ ظُلْمِهِ بِمَنْعِهِمْ آيَاهُ وَرَدْعِهِمْ عَنْ
 تَجَاوُزِهِ فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى كُلِّ
 وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ وَجُودِ الشَّرَائِطِ وَلَا شَكَّ أَنَّ الظَّالِمَ إِذَا وَقَعَ فِي زَمَانٍ
 لَا يَجِدُ عَلَى ظُلْمِهِ وَعِنَادَهُ نَاصِرًا وَمُعِينًا لَا يُصِرُّ عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا يُدِيمُ عَلَى
 تَجَاوُزِهِ وَقَهْرِهِ فَالظَّالِمُ فِي ظُلْمِهِ كَالْعِلَّةِ الْمُحْدَثَةِ وَالنَّاصِرِينَ عَلَيْهِ كَالْعِلَّةِ الْمُبْقِيَّةِ
 فَكَمَا أَنَّ الْعِلَّةَ الْمُبْقِيَّةَ تَوْجِبُ بَقَاءَ الْمَعْلُولِ وَدَوَامَهُ كَذَلِكَ مِنْ نَصَرِ الظَّالِمِ بِيَدِهِ
 وَلِسَانِهِ وَعَمَلِهِ يُوجِبُ بَقَاءَ الظُّلْمِ وَالظَّالِمِ وَالِي هَذَا الْمَعْنَى إِشَارَةُ ﷺ بِأَنَّ الظَّالِمَ
 فِيهِ يَزْدَادُ عُتُورًا وَاسْتِكْبَارًا لَوْ جُودِ الْمُقْتَضَى وَعَدَمِ الْمَانِعِ وَهَذَا حَقٌّ لَامْرِيَّةٌ فِيهِ.
 وَثَالِثُهَا قَوْلُهُ ﷺ: لَا تَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا وَلَا نَسْئَلُ عَمَّا جَهِلْنَا.

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِينَ الْأَصْلِينَ كَالْعِلَّةِ التَّامَّةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَمِيعِ مَا ذَكَرَهُ ﷺ فِي هَذِهِ
 الْخُطْبَةِ مِنْ مَعَايِبِ النَّاسِ وَمِثَالِهِمْ وَبِالْجُمْلَةِ مَنَشَأَ فُسَادِ الزَّمَانِ بِفُسَادِ ابْنَانِهِ
 لَا يَكُونُ إِلَّا لِأَجْلِ عَدَمِ التَّفَاتِهِمْ بِهِمَا وَعَدَمِ مَرَاعَاتِهِمْ لِهَمَّا، وَتَوْضِيحُ ذَلِكَ
 يَسْتَدْعِي رِسْمَ مُقَدِّمَةٍ وَهِيَ أَنَّ النَّاسَ لَا يَخْلُو حَالَهُمْ، مِنْ قَسْمِينَ: أَحَدُهُمَا،
 الْعُلَمَاءُ وَثَانِيَهُمَا، الْجُهَالُ، وَثَالِثُ، لِأَنَّ الْجَهْلَ كَمَا مَرَّ مَرَارًا هُوَ عَدَمُ الْعِلْمِ

عَمَّا يَكُونُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِهِ وَلِذَلِكَ لَا يُقَالُ لِلْحَجَرِ وَالشَّجَرِ وَالْحِمَارِ
وَأَمْثَالِ ذَلِكَ جُهَالًا لِعَدَمِ لِيَاقَتِهِمْ وَصَلَاحِيَّتِهِمْ لِلاتِّصَافِ بِهِ فَكَمَا أَنَّ الْعَالِمَ
لَا يَكُونُ فِي عَالَمِ الْأَجْسَامِ إِلَّا الْإِنْسَانُ كَذَلِكَ الْجَاهِلُ لَا يَكُونُ إِلَّا الْإِنْسَانُ فَهُوَ
مُصَدِّقُ الْأَتَمِّ الْأَكْمَلِ لِهَمَا لِأُغْيَرِهِ مِنَ الْجَمَادَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ.

وَبِعِبَارَةِ أُخْرَى الْجَاهِلُ لَا يَصْدُقُ إِلَّا عَلَى مَنْ صَدَقَ عَلَيْهِ الْعَالِمُ وَبِالْعَكْسِ أَيْ
لَا يَصْدُقُ الْجَاهِلُ عَلَى مَنْ لَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ الْعَالِمُ فَمُورِدُ صَدَقَهُمَا وَاحِدٌ عَلَى
سَبِيلِ التَّعَاقُبِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْمُتَقَابِلِينَ بِتَقَابُلِ الْعَدَمِ وَالْمَلَكَةِ.

ثُمَّ أَنَّهُ لِأَخْلَافٍ فِي أَنَّ الْجَهْلَ لَيْسَ مِنَ الْأُمُورِ الوجودِيَّةِ بَلْ هُوَ أَمْرٌ عَدَمِيٌّ
نُعْبَرُ عَنْهُ بِعَدَمِ الْعِلْمِ أَوْ الْجَهْلِ فَالْجَهْلُ هُوَ عَدَمُ الْعِلْمِ لِأُغْيَرٍ وَحَيْثُ أَنَّ الْعِلْمَ
وَالْجَهْلَ مِنَ الْمُتَنَاقِضِينَ الَّذِينَ يَسْتَحِيلُ اجْتِمَاعُهُمَا وَارْتِفَاعُهُمَا كَمَا هُوَ الْمُتَّفَقُ
عَلَيْهِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ مِنَ الْفَلَسَفَةِ فَفِي كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْبَشَرِ لَابَدٌ مِنْ صَدَقَ
أَحَدُهُمَا إِمَّا الْعِلْمُ أَوْ الْجَهْلُ فَكَوْنُهُ عَارِيًّا مِنْهُمَا يَسْتَلْزِمُ ارْتِفَاعَ النَّقِيضِينَ وَهُوَ
مَحَالٌ وَكَوْنُهُ وَاجِدًا لَهُمَا عَلَى الْإِطْلَاقِ يَسْتَلْزِمُ اجْتِمَاعَهُمَا وَهُوَ أَيْضًا مَحَالٌ
وَأَمَّا قَلْنَا عَلَى الْإِطْلَاقِ لِأَنَّهُ لِأَشْكَالٍ فِي كَوْنِ الْإِنْسَانِ عَالِمًا وَجَاهِلًا بِمَعْنَى
كَوْنِهِ عَالِمًا بِشَيْءٍ وَجَاهِلًا بِشَيْءٍ آخَرَ كَمَا إِذَا عَلِمَ بِقِيَامِ زَيْدٍ وَجَهْلَ بِقِيَامِ عَمْرٍ
وَهَذَا وَاضِحٌ وَلَا أَشْكَالَ فِيهِ لِتَعَدُّدِ الْمَوْضُوعِ فَإِنَّ الْمَوْضُوعَ لِعِلْمِهِ هُوَ قِيَامُ زَيْدٍ
وَالْمَوْضُوعَ لِعَدَمِ عِلْمِهِ هُوَ قِيَامُ عَمْرٍ وَهَذَا لَيْسَ مِنْ بَابِ الْاجْتِمَاعِ فَإِنَّ الْاجْتِمَاعَ
فِي مَوْضُوعٍ وَاحِدٍ مَحَالٌ فَفِي الْمِثَالِ الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ عَالِمٌ بِقِيَامِ زَيْدٍ غَيْرِ
الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ جَاهِلٌ بِقِيَامِ عَمْرٍو فَالْمُعْنُونَ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا بِالذَّاتِ إِلَّا أَنَّهُ
غَيْرُ وَاحِدٍ بِالْإِعْتِبَارِ وَالْأَفْالِ الْإِنْسَانِ جِسْمٌ وَغَيْرُ جِسْمٍ مُتَحَيِّزٌ وَغَيْرُ مُتَحَيِّزٍ زَمَانِيٌّ
وَغَيْرُ زَمَانِيٍّ وَهَكَذَا أَكَلٌ وَغَيْرُ أَكَلٍ نَائِمٌ وَغَيْرُ نَائِمٍ وَهَلَمَّ جَرًّا مَعَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ
مِنَ الْمُتَنَاقِضَاتِ لِأَنَّ نَقِيضَ كُلِّ شَيْءٍ رَفَعَهُ فَالْجِسْمُ وَغَيْرُ الْجِسْمِ وَالتَّحْيِيزُ
وَاللَّاتَحْيِيزُ مِنَ الْمُتَنَاقِضِينَ، فَنَقُولُ جِسْمٌ مِنْ حَيْثُ عُضْرُهُ وَلَا جِسْمٌ مِنْ حَيْثُ
رُوحُهُ مُتَحَيِّزٌ مِنْ جِهَةِ جَسَدِهِ غَيْرُ مُتَحَيِّزٍ بِإِعْتِبَارِ رُوحِهِ أَكَلٌ فِي وَقْتٍ غَيْرِ أَكَلٍ

فى وقتٍ آخر وهكذا.

فتحصّل ممّا ذكرناه أنّ العلم والجهل لا يجتمعان فى موردٍ واحدٍ كما أنّهما لا يرتفعان ايضاً فالإنسان لا يخلو من ان يكون مُتصفاً بالعلم وعدمه والواسطة غير معقول فلا يُوجد من لا يكون عالماً ولا جاهلاً.

اذا عرفت هذه المقدّمة النّافعة فلا بدّ لك من ان تعلم أنّ العلم ثمرته العمل به كما قيل العالم بلا عمَل كالشّجر بلا ثمر وهذا اى العمل يُعدّ نفعاً له فإنّ الثّمرة فى الشّجرة هى ايضاً نفعها فإنّ النّفع فى كلّ شىءٍ بحسبه وهذا اى وجود النّفع المترتّب على العلم اعنى العمَل لا اختصاص له به فإنّ الموجودات كلّها فى عالم الوجود داخلة تحت هذه القاعدة لعدم امكان وجود الشىء اذا لم يكن نافعاً فإنّ الشّر المحض لم يخلق ولن يُخلق ابداً كما ثبت فى محله الا انّ الآثار المترتبة على الموجودات التى تُعبّر عنها بمنافعها الوجودية تختلف بحسب مراتب الوجود فكّلما كان الوجود أشدّ وأقوى ومن ظلّمة العدم أبعد فنّفعه اكثر وكّلما كان أضعف فنّفعه أقلّ.

فانفع الموجودات فى عالم الوجود هو الواجب تعالى فانه وجود كله لا ظلّمة فيه ولا وجود أشدّ وأقوى من وجوده فلا جرم لم يوجد ولن يوجد فى عالم الوجود موجودٌ يكون نفعه كنفعه فضلاً عن كونه اكثر نفعاً منه.

ثمّ بعده الصّادر الأوّل اعنى الرّوح المقدّسة الكليّة الجامعة وهو روح نبيّننا ﷺ الذى قال أوّل ما خلق الله رُوحى، وهكذا الأشرف فالأشرف حتّى يصل الامر الى الهيولى التى هى واقعة فى احسّ المراتب فى سلسلة الوجود بحيث قيل فيها أنّها بالعدم اشبه منها بالوجود ولذلك يقال أنّها صرف القوّة.

وحيث أنّ العلم فى عالم الوجود من أشرف الموجودات واعظمها واكملها وأرفعها رتبةً كيف وبه قامت السموات والأرضين ولذلك أرجعوا الصّفات الثّبوتية كلّها الى كونه تعالى عالماً بذاته وهو الذى قيل فيه ظاهر بذاته مُظهِرٌ لغيره كما سيأتى فى موضعه انشاء الله مُفضلاً فلا بدّ من ان يكون العلم من أنفع

الاشياء في عالم الوجود وحيث انا قد قلنا ان العلة الغائية لكل موجود هو الأثر الكمال الذي يترتب على وجوده والأ يلزم كونه عبثاً وهو لا يُلِيق على الحكيم ففي البحث نقول:

ثمرة العلم ليست إلا العمل بمقتضاه فمن لم يعمل بعلمه لم ينتفع به ومن لم يعمل به لامحالة يعمل بغير مقتضاه وقد قلنا ان نقيض العلم هو عدم العلم المُعبر عنه بالجهل فكذا نقيض أثره ونفعه هو اثر عدم العلم وهو لا يكون إلا العمل بمقتضى الجهل لعدم الوساطة فينتج ان من لا ينتفع بعلمه يعمل بمقتضى الجهل وهو كما ترى.

ثم ان قوله ﷺ: وَلَا تَسْئَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، اشارة الى الأصل الثاني وهو كون الانسان جاهلاً ومن المعلوم ان من كان كذلك يجب عليه السئوال عن العالم حتى يخرج من غي الجهل والغواية ويدخل في وادي العلم والدراية ولا يبقى على جهله وضلالته.

فاذا كان العالم تاركاً لعلمه الذي يجب عليه بمقتضى علمه وصار بذلك في زمرة الجهال عملاً وان لم يكن منهم عالماً، وكان الجاهل تاركاً للسئوال مصراً على جهله مكباً على غيّه فلامحالة يصير الأجماع من حيث الأفعال والأعمال مزيلة للجهال ومحلاً للأشرار والأوباش وقد دريت ان منشاء ذلك كله هو عدم انتفاع العلماء بعلومهم وعدم سئوال الجهال من العلماء ففي مثل ذلك الزمان تشيع الفواحش ماظهر منها ومابطن ويكثر الظلم والجور والكذب والخيانة وامثال ذلك ومع ذلك كله ماذكرناه مؤيد بالآيات والاخبار ولا بأس بالاشارة الى بعض منها تيه نأ وتبركاً بها فنقول:

اما الآيات الواردة في المقامين فكثيرة وقد ذكرنا شطراً منها فيها مضي ويكفي في المقام «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التُّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً»^(١) وهو اشارة الى المقام الاول اعنى قوله ﷺ: وَلَا تَسْئَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، و

: «فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لِتَعْلَمُونَ»^(١) أَمَرْنَا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالسُّؤَالِ عَنْ
أَهْلِ الذِّكْرِ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي صُورَةِ الْجَهْلِ وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الثَّانِي وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ
وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا.

أَمَّا الْإِخْبَارُ فَمَنْ الْأَوَّلُ يَعْنِي الْإِخْبَارَ الدَّالَّةَ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ لِلْعَمَلِ وَمَنْ لَمْ
يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا فَقَدْ ذَكَرْنَا فِيهِ مَا يُغْنِيكَ فِي مَا مَضَى وَنَقُولُ
مُضَافًا عَلَيْهِ:

مِنْهَا مَا رَوَاهُ فِي الْبَحَارِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ
فِي كَلَامٍ لَهُ الْعُلَمَاءُ رَجُلَانِ: رَجُلٌ عَالِمٌ آخِذٌ بِعِلْمِهِ فَهَذَا نَاجٍ وَعَالِمٌ تَارِكٌ لِعِلْمِهِ
فَهَذَا هَالِكٌ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَتَأَذُّونَ بِرِيحِ الْعَالِمِ التَّارِكِ لِعِلْمِهِ وَإِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ
(أَهْلَ النَّارِ) نِدَامَةً وَحَسْرَةً رَجُلٌ دَعَا عَبْدًا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَجَابَ لَهُ وَقَبِلَ
مِنْهُ وَاطَاعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَادْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَأَدْخَلَ الدَّاعِيَ النَّارَ بِتَرْكِهِ عِلْمَهُ
وَإِتْبَاعِهِ الْهَوَى، الْحَدِيثُ...

وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ فِيهِ أَيْضًا بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ مِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ
يُحِبُّ أَنْ يَخْزَنَ عِلْمَهُ وَلَا يُؤَخِّذُ عَنْهُ فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الْأَوَّلِ مِنَ النَّارِ.
وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ إِذَا وَعِظَ عَنَّفَ فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الثَّانِي مِنَ النَّارِ.
وَمِنْ الْعُلَمَاءِ: مَنْ يَرَى أَنْ يَضَعَ الْعِلْمَ عِنْدَ ذَوِي الثَّرْوَةِ وَالشُّرَفِ وَلَا يَرَى
لَهُ فِي الْمَسَاكِينِ وَضَعًا فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الثَّلَاثِ مِنَ النَّارِ.
وَمِنْ الْعُلَمَاءِ: مَنْ يَذْهَبُ فِي عِلْمِهِ مَذْهَبَ الْجَبَابِرَةِ وَالسَّلَاطِينِ فَإِنْ رُدُّوا عَلَيْهِ
شَيْئًا مِنْ قَوْلِهِ أَوْ قُصِّرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ غَضِبَ فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الرَّابِعِ مِنَ
النَّارِ.

وَمِنْ الْعُلَمَاءِ: مَنْ يَطْلُبُ أَحَادِيثَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِيَغْفِرَ بِهِ عِلْمَهُ وَيَكْتُرُ
بِهِ حَدِيثَهُ فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الْخَامِسِ مِنَ النَّارِ.
وَمِنْ الْعُلَمَاءِ: مَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ لِلْفِتْيَا وَيَقُولُ سَلُونِي وَلَعَلَّهُ لَا يُصِيبُ حَرْفًا

واحداً والله لا يُحِبُّ الْمُتَكَلِّفِينَ فذاك في الدَّرِكِ السَّادِسِ مِنَ النَّارِ.
ومن العلماء: مَنْ يَتَّخِذْ عِلْمَهُ مُرُوءَةً وَعَقْلاً فذاك في الدَّرِكِ السَّابِعِ مِنَ النَّارِ
انتهى «بحار الانوار» ج ١، ص ٩٨، ط كمياني»...

ومنها ما باسناده عن الصادق عن آباءه قال قال رسول الله ﷺ ان أظهر
العِلْمَ وَأَحْتَرَزَ الْعَمَلَ وَائْتَلَفَتِ الْأَنْسُ وَاخْتَلَفَتِ الْقُلُوبُ وَتَقَاطَعَتِ الْأَرْحَامُ
هناك لعَنهم الله فَأَصَمَّهم وَأَعَمَّى ابصارهم انتهى «بحار الانوار» ج ١، ص
٩٨»...

ومنها مارواه عن امير المؤمنين عليه السلام قال ربِّ عالمٍ قد قَتَلَهُ جَهْلُهُ وَعِلْمُهُ مَعَهُ
لَا يَنْفَعُهُ انْتَهَى وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ.

ومن الثاني مارواه في البحار ايضاً باسناده عن ابي عبد الله قال: قال رسول
الله ﷺ أَعْدُ عَالِماً أَوْ مُتَعَلِّقاً أَوْ أَحَبَّ الْعُلَمَاءِ وَلَا تَكُنْ رَابِعاً فَتُهْلِكَ بِبَغْضِهِمْ
انتهى «ص ٦٤»...

ومنها مارواه باسناده عن جعفر ابن محمد عليه السلام وقد سئل عن «قُلْ فَلِلَّهِ
الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ»^(١)، فقال ان الله تعالى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَكُنْتَ عَالِماً فَان
قال نعم قال أفلا عملت بما علمت وان قال كنت جاهلاً قال له افلا تعلمت حتى
تعمل فيخصمه فذلك الحجة البالغة انتهى.^(٢)

ومنها ما عن امير المؤمنين عليه السلام يا جابر قوام الدنيا بأربعة عالمٍ يستعمل
علمه وجاهلٍ لا يستنكف ان يتعلم وغميٍّ بمعرُوفه وفقيرٍ لا يبيع آخرته بدنيا
غيره انتهى «ص ٥٧»...

ومنها ما عن النبي ﷺ قال ﷺ من أحب ان ينظر الى عتقاء الله من النار
فليُنْظِرْ الى المُتَعَلِّمِينَ فوالذي نفسي بيده ما من مُتَعَلِّمٍ يَخْتَلِفُ الى بابِ الْعَالَمِ
إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ عِبَادَةَ سَنَةٍ وَبَنَى اللهُ بِكُلِّ قَدَمٍ مَدِينَةً فِي الْجَنَّةِ وَيَمْشِي
على الأرض الحديث «ص ٥٨»...

ومنها ما عنه عليه السلام قال من طلب العلم فهو كالصائم نهاره القائم ليله وان باباً من العلم يتعلمه الرجل خيراً له من ان يكون له ابوقبيس ذهباً فأنفقة في سبيل الله الحديث «ص ٥٨»...

ومنها ما عنه عليه السلام من غدا الى المسجد لا يريد الا ليتعلم خيراً او ليعلمه كان له اجر مُعتمراً تامّ العُمره الحديث «ص ٥٩»...

ومنها ما رواه باسناده عن ابي عبد الله قال عليه السلام الناس يغدؤون على ثلثة عالمٍ ومتعلمٍ وغثاءٍ فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء انتهى. (١)

اقول: وقد ذكرنا احاديث كثيرة في هذا الباب فيما مضى وسيأتي بعض آخر في الأبحاث الآتية انشاء الله تعالى.

ورابعها قوله عليه السلام: وَلَا تَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحِلَّ بِنَا مِتْنٍ...

وهذا هو الاصل الرابع او الخامس الدال على الفساد في الزمانيات ولا سيما الانسان الذي هو أشرف الموجودات وحاصله انا لانتخوف من الدواهي والبليات كالموت والمرض والفقر وغيرها حتى تحل القارعة بنا وهذا دليل على الغفلة وعدم التوجه الى اسرار الخلق والغاية التي لأجلها خلق الانسان وهي المعرفة بالله ورسوله مع ان الانسان العاقل ينبغي له التوجه بهذه الأمور ومن المعلوم ان الخوف عن القارعة بعد ما حلت لافائدة فيه وانما النفع في الخوف قبلها يتنبه ويتوب الى الله تعالى والتعبير بالقارعة دون البلية مثلاً للإقتباس من القرآن الكريم حيث قال عز من قائل، القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة الخ.

وحاصل الكلام ان الانسان العاقل ينبغي له التنبه والاعتبار في الدنيا قبل يوم الحساب.

ثم انه سلام الله عليه بعد ما ذكر الأمور المذكورة الدالة على فساد الاجتماع وانحراف افراده غالباً عن الطريق السوي قسم اي قسم الناس على اربعة

اصناف وقال ﷺ ومنهم من لا يمتنع الفساد في الارض الخ.
 □ قوله ﷺ: مِنْهُمْ مَنْ لَا يُمْنَعُهُ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةٌ نَفْسِهِ وَكَالِائَةُ
 حَدِّهِ وَنَضِيضٍ وَفَرِهِ...

كلمه (من) في قوله ﷺ ومنهم، للتبعيض واللاء للنفي اي وبعض الأفراد من
 الناس لا يمتنع الفساد في الأرض الا مهانة نفسه الخ اي لولا مهانة نفسه وكلاله
 حدّه ونضيض وفره، لكان من المفسدين فعدم فساده فيها لأجل وجود المانع
 لالفقد المقتضى ففي الحقيقة انه من المفسدين لولا المانع فهو يترصد
 ويترقب رفعه حتى يتصف به بالفعل فالكلام خرج مخرج الذم بالنسبة الى
 المفسد وانه يعد منه واقعا فالذم يتوجه اليه والموانع عن فعليه الفساد له على
 ما ذكره ﷺ ثلاثة.

احدها قوله ﷺ: مَهَانَةٌ نَفْسِهِ، والمهانة عبارة عن الذل في النفس وهي كناية
 عن انحطاط رتبته في الاجتماع بحيث لا يعتنى به فلا يقدر على الفساد او كناية
 عن كونه مريضاً قليلاً وامثال ذلك والجامع هو عدم قدرة نفسه على الفساد
 باي وجه اتفق.

وثانيها قوله ﷺ: وَكَالِائَةُ حَدِّهِ، وهي كناية عن عدم نفوذه وتسلطه على
 الناس حتى يجتمعوا حوله او عدم استماع الناس لكلماته لكونه غير موجه
 عندهم مثلاً والجامع فيه هو عدم قدرته على انفاذ امره.

وثالثها قوله ﷺ: وَنَضِيضٍ وَفَرِهِ، وهو كناية عن قلة ماله وثروته فان كثيراً
 من المعاصي يتوقف على وجود المال.

اعلم: ان الفساد في الأرض من المنهيات الشرعية والعقلية وهو لا ينحصر
 في شيء دون شيء فان المحرمات والمنهيات كلها من المفاسد نعم هو مما
 يتفاوت بحسب الأشخاص والأزمنة فرتب قول او فعل بالنسبة الى بعض
 الأشخاص يكون فساداً وبالنسبة الى غيره ليس بفساد وفي بعض الأزمنة فساد
 وفي زمان آخر ليس بفساد وكذلك الفساد مما يتفاوت بحسب افراده

ومصاديقه شِدَّةٌ وضعفاً وكمالاً ونقصاً وهذا ظاهر.

ثم إنَّ الفساد يُمكن تقسيمه الى قسمين: الفساد فى الدُّنيا والفساد فى الدِّين
وان شئت قلت الفساد فى امور دنياهم، والفساد فى عقائدهم

اما الاول: اعنى الفساد فى الدُّنيا، فكما اذ اخلَّ الانسان فى نظم الاجتماع
بسرقية اموالهم وسلب امنيتهم وهتك عرضهم وقتل نفوسهم وهتك نوااميسهم
وسبى ذراريتهم وبالجملة كل ما يرتبط بدنياهم وهذا كثير جداً فانَّ السارقين
لأموال الناس والقاتلين نفوسهم بغير حق والظالمين لهم سواء كانوا من
السلاطين او من دُونهم كلهم من المُفسدين فى الأرض بلا كلام.

واما الثانى: اعنى المُفسد فى الدِّين والعقائد فهو ايضا كثير واكثر افراده ممن
يتزيّن بلباس الزُّهد والعلم كما ترى فى زماننا هذا وفى كل عهد وزمان والدليل
عليه وجود الفرق المختلفة فى العالم من حيث العقائد والآراء الدينية واذا
فتشت الامر تجد هؤلاء القوم اعنى اتباع المذاهب كلها اسارى لعدة من اشباح
الرجال ولا رجال حيث انهم اصطادوهم لانفسهم واتخذوهم عبيداً فسرقوا
عقائدهم ودينهم وشرفهم وابعدوهم عن طريق الحق وقربوهم طريق الباطل
وسلكوا بهم مسلك الشيطان وادخلوهم فى طريق جهنم وهم لا يعلمون.

الا ترى انَّ الاسلام واحد والكتاب واحد والرَّسول واحد والرَّب واحد
والفرق الموجودة فى الاسلام مختلفه فمنهم حنفى ومنهم شافعى ومنهم
مالكى ومنهم حنبلى ومنهم جعفرى ومنهم زيدى ومنهم كيسانى وهلمَّ جراً
ولاشك انَّ هذه الفرق كلها فى النار الا فرقه واحدة كما روى عن رسول
الله ﷺ وقد رواه المحدثون من العامة والخاصة فكل الفرق غير الفرقة
الواحدة الموعودة مع ائمتهم من المُفسدين فى الارض بالنظر الى الاعتقادات.
اذا عرفت هذا فحمل كلامه ﷺ فى الفساد فى الأرض على المعنى الأعم
الشامل للقسمين المذكورين اولى من حملة على الفساد بأحد المعنيين فانَّ
الجمع متهما امكن اولى من الطرح وعليه فالمُحصّل من كلامه ﷺ هو انَّ المُفسد

فى الأرض بائى المعنئىن لابدُّ له من تحقّق امور ثلاثة فى الأثبات وهى عدم مهانة نفسه وعدم كلاله حدّه وعدم نضىض وفره.
او نقول بحتاج فى عدم افساده فى الأرض الى مهانة نفسه وكلاله حدّه، ونضىض وفره.

وبعبارة اخرى المانع لِتحقّق الفساد فى الارض بالنسبة الى بعض الافراد لىس خوفهم من الله تعالى ولا شىءٌ آخر بل المانع لهم ثلاثة اشياء مهانة نفوسهم ووو. وترك الفساد لأجل وجود المانع لىس فىه كثر مدح بل لامدح فىه اصلاً وأما المدح على من تركه قربةً الى الله فكأنه قال **لَا تَغْتَرُوا** بظواهرهم من جهة كونهم فى لباس المصلحين فان ملكة الفساد والنفاق موجودة فىهم وترك الفساد لأجل المانع لا قدر له.

وذلك لان اصول الفساد ثلاثة: عدم مهانة نفسه وعدم كلاله حدّه وعدم نضىض وفره.

فوجود الفساد يتوقّف على عدم وجود هذه الثلاثة وعدمه يتوقّف على وجودها ولا بد لنا من التكلم فى الموضوع زيادةً على ما مرّ حتى يتضح المقام فنقول: المُفسد فى الأرض بالمعنى الاعمّ او الأخصّ لا يخلو أمان ان يكون عدم فساده لمهانة نفسه اعنى حِقارتها وذُلّها سواء كانت بسبب عدم وصولها الى مراتب الكمال وبلوغها الى الغايات المترتبة عليها التى خلقت لأجلها او لغير ذلك من الجهات الموجبة لحقارتها فانّ المفسدين والعاصين فى هذه المرحلة لاشكّ فى كثرتهم فى كلّ عهدٍ وزمان كما هو المشاهد المحسوس فى زماننا هذا ايضا ومفهوم العبارة أنّه لولا مهانة نفسه لما كان كذلك فعدم فساده مُستند الى عدم قدرته عليه.

واما ان يكون لكلاله حدّه وعدم نفوده والقدرة فىه على اجرائه وهو ايضا كثر مشاهد.

واما ان يكون العلة لعدم فساده قلة بضاعته وعدم تمكّنه من حيث المال

والثروة ولوضوح الموضوع لاحتاج الى اطالة الكلام فانّ الأفساد تارة يتوقّف على القدرة الجسمانية والروحانية كالكثير المعاصي التي لا يمكن ايجادها مباشرة إلا بقدرة الجسم والروح كالزنا والقتل والسرقه في بعض الموارد هذا اذا حملنا الفساد على معناه الأعمّ حتى يشمل المعصية والآي ان لم نحمله عليه وقلنا بارادة الأخصّ منه اعنى الأفساد بين المسلمين فهو ايضا مشروط بقدرة الجسم والبدن فانّ المريض والمجنون والأعمى وامثال ذلك من الامراض كيف يمكن لهم القدره عليه وعلى اى تقديرٍ لاشك انّ مهانة النفس وذلّها تمنع عن كثير من المعاصي قهراً.

واليه اشار بقوله عليه السلام: مَهَانَةٌ نَفْسِيهِ...

وتارة يتوقّف على القدرة المعنوية وهي السُلطة والحكومة على الناس وذلك ايضا واضح فانّ اجراء البدع لا يمكن الا بالقهر والغلبة كاجراء الخلفاء من الامويين والعباسيين وغيرهم المناهى في حكوماتهم كسب عليّ في عهد معاوية ومن تبعه من الامويين وكقتل اولاد الرسول في عهد العباسيين واجراء البدع في الدين في عهد الخلفاء الثلاثة في صدر الاسلام واحياء المنكرات وامامة المعروف في زماننا هذا كل ذلك بقدرة الحكومة والسُلطة على الناس بالقهر والغلبة عليهم.

الا ترى انّ اكثر الناس قبل وصولهم وبلوغهم الى القدرة والسُلطة يجلسون مع الفقراء ويأنسون بهم ولا يظلمون احداً بل يتعجبون من الظالمين ويلعنون عليهم كما نقل عن عبدالملك ابن مروان لعنه الله عليه حين سمع انّ يزيد ابن معاوية أمر عبیدالله ابن زياد لعنه الله بقتل الحسين واصحابه تعجب منه تعجباً شديداً فلما قتل الحسين عليه السلام صرخ ونادى وقال كيف لاتحطّ السموات على الأرضين وقد قتل ابن بنت رسول الله وأمر بكفر يزيد ومن تابعه فلما وصلت الخلافة اليه وهو في المسجد يقرأ القرآن قال مخاطباً اياه هذا فراق بني وبينك، وفعل افعالاً شنيعةً وقتل نفوساً كثيرةً وهدم الكعبة في قصة ابن الزبير وبالجملة بلغ في الظلم والجور والكفر والألحاد مقاماً لم يبلغ اليه أحد ممن

كان قبله وبعده من الخلفاء وكفى في اثبات المُدْعَى كون الحجاج ابن يوسف الثَّقَفِي والياً له على العراقيين وعدم اعتنائه بشكايات الناس واعتراضاتهم حتى نقلوا في تواريخهم ان عدد المَحْبُوسِينَ في مَحْبَس الكوفة بعد موت حجاج بلغ تسعين الفاً من الرِّجال والنِّساء في محلٍّ واحدٍ وبعد الفحص عن احوالهم عَلِمُوا بان لاذنَبَ لَهُم اصلاً بعد ان صار عدد المقتولين بامرهِ خَمسمائة الف انساناً وهذا أَحَدُ عُمَالِهِ في صَفْحَةِ الأَسْلام والمسلمين وقس عليه فَعَلَل وَتَفَعَلَل وَحُكْم الأمثال واحد.

وهكذا الحال في كثير من الخلفاء والسلاطين في طول التاريخ في الأسلام وغير فقوله عليه السلام: **وَكَالِئَةُ حَدِّهِ** اشارة الى هذا.

واما ان يَتَوَقَّفَ الفساد على المال والثروة وهذا ايضا ممَّا لا كلام فيه فان احياء مراكز الفساد وطَبَعُ كُتِبُ الضلال، وترويح الباطل بالمال والثروة وهذا ايضا ممَّا لا كلام فيه فان الفقير لا يقدر على هذه الامور لعدم قدرته، واستطاعته المائية ونحن قدرأينا كثيراً من ابناء الزمان في ايام فقرهم كانوا من الصُّلحاء والأخيار ظاهراً باقامتهم الواجبات وحُضُورهم في المساجد، والمجالس لِدَرْكِ فَضِيلَةِ الجماعة والمَوْعِظَةِ وقراءة القرآن وامثالها ولَمَّا أَقْبَلَت الدُّنْيَا إِلَيْهِمْ وصاروا من المُتَمَوِّلِينَ المُتَتَمِّعِينَ نَسُوا ما كانوا عليه من مُواظبتهم على اتيان الواجبات وتُرك المحرّمات وحُضُورهم مجالس الفقراء والمساكين وزيارة قبور الأئمة المَعصُومِينَ وغيرها من بقاع المتبركة فَبَعْدَ الوصول الى آمالهم وامانيّهم من الدُّنْيَا وزخارفها تركوا هذه الرُّويَةَ بِالْمَرَّةِ بحيث كان الصَّلُوة والصُّوم وغيرهما من الواجبات على غيرهم قد وَجِبَت والمُحَرَّمات على غيرهم حُرِّمَت والفقراء والمساكين من المسلمين وغيرهم في غيرهم ليس من افراد البَشَرِ ليس لَهُم رَحْمٌ ولا شَفَقَةٌ ولا عَدْلٌ ولا رَحْمَةٌ ومُلَخَّصُ الكلام هوأنهم خَرَجُوا عن حُدُودِ الانسانيَّةِ والبشريَّةِ من حيث لا يَعْلَمُونَ واتَّخَذُوا مسالك الحيوانات في حياتهم من حيث لا يَشْعُرُونَ فذَرَهُم في خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ وسيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا اَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ فهذا الطَّرِيقُ الَّذِي اسْتَحَسَنُوهُ

وَتَلْقَوهُ بِالْقَبُولِ بَاطِلٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ واطالة الكلام فيه يخرجنا عن طور الكتاب.

واما القسم الثاني من الاقسام الاربعة.

□ قوله ﷺ: وَمِنْهُمْ الْمُضْلِتُ بِسَيْفِهِ وَالْمُغْلِنُ بِشَرِّهِ، وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَامِ يَنْتَهِزُهُ أَوْ مَقْنَبِ يَقْوُدُهُ أَوْ مِنْبَرٍ يَقْرَعُهُ وَلَيْسَ الْمَتَجَرُّ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا وَمِمَّا لِكَ عِنْدَ اللَّهِ عَوْضًا...

بعد ما بيّن ﷺ القسم الاول من الاقسام الاربعة وهم الذين لا يعملون السيئات ولا يفسدون في الأرض لالخوف منهم من الآخرة ولا الأيمان ثبت في قلوبهم بل لعدم وجود الامكانيات لهم على ما مر بيانه شرع في بيان القسم الثاني وهم الذين يفسدون في الأرض ويعصون الله بالمعاصي ويطيعون الشيطان لوجود الامكانيات لهم فهذا القسم بخلاف القسم الاول وأوضح لنا الوجوه التي صارت باعثه على تعديهم وفسادهم لاعلى سبيل الحصر بل على سبيل التقريب كما هو ظاهر.

فقال ﷺ: وَمِنْهُمْ الْمُضْلِتُ بِسَيْفِهِ وَالْمُغْلِنُ بِشَرِّهِ، وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ...

كلمة (من) في قوله ﷺ للتبويض وذلك لأن هذا القسم احد الاقسام الاربعة وليس كل الناس كذلك. وكلمة السيف في المقام لم يستعمل في معناه اللغوي اعنى الحديد القاطع بل هو كناية عن كل وسيلة تفتق منه في الوصول الى المقصود وذلك لأن الأسباب والوسائل الموجبة لنيل المرام تختلف بحسب الاشخاص والزمان والمكان فكما ان السيف آلة ووسيلة للغلبة على الأعداء والفوز بالأمال اعنى التسلط على غيره في الغزوات والحروب للرجل الشجاع. فكذلك المال والثروة والمقام والعلم والترهد والقدرة وغيرها من الامور آلات وسيوف للغلبة والتسلط والنيل الى المقاصد بل كثيراً ماتكون هذه الامور احد من السيف وأقطع منه وأسرع اجابة لسائلها كما هو لا يخفى على من تأمل فيها.

فقوله ﷺ: **المُصْلِتُ بِسَيْفِهِ**، ليس المقصود منه السيف المحسوس فقط والباء في قوله ﷺ: **بسيفه**، للسببية اى بسبب سيفه والغرض من هذا الكلام هو ان بعضاً من الناس بل كثيراً منهم يستمدون من جميع امكاناتهم للوصول الى آمالهم وأمانيتهم والبلوغ الى مقاصدهم واهوائهم من ذون خوفٍ ووحشةٍ من الله ورسوله واليوم الآخر من اشاعة المنكر وتضييع حقوق الناس والظلم عليهم وهم على اقسام واصناف.

فمنهم من يكون سيفه مقامه وتسلطه على الناس والحكومة عليهم فهو بهذا السيف يحكم فيهم بخلاف ما أنزل الله ومن خالفه يقتل.

ومنهم من يكون سيفه ماله وثروته فهو يشيع الفواحش والقبايح بسبب ماله ومعلوم ان الفقير من جهة احتياجه يصير مطيعاً له.

ومنهم من يكون سيفه علمه وكماله فهو بعلمه يغوى الناس ويضلهم عن الصراط السوى والطريق المستقيم وذلك مثل ائمة الضلال فى تمام الأديان والفرق والمذاهب ونظائره فى الإسلام كثيرة كالزيدية والقطعية والمرجئة وغير هؤلاء من اصحاب الآراء والمقائيس الذينهم عن الحق معرضون والى الباطل راغبون.

ومنهم من يكون سيفه تزهده فى الدنيا اعنى تلبسه بلباس الزاهدين مع انه فى الواقع ليس كذلك وسيأتى شرحه انشاء الله تعالى.

ومنهم من يكون سيفه قلمه فيكتب كتب الضلال ويسرق عقائد الناس وايمانهم وامثال ذلك من السارقين والقطاع الطريق للعباد عن دينهم وشرفهم وغيرتهم وحميتهم وغير ذلك من الأمور فقوله ﷺ: **المُصْلِتُ بِسَيْفِهِ** يشمل هذا كله.

وحيث ان هذا العمل يتصور على قسمين فمنهم من يفعل هذه الامور فى الخفاء ومنهم من يفعلها فى العيان والثانى اقبح من الاول فقال ﷺ: **المُعْلِنُ بِشَرِّهِ**، لان الاعلان الاظهار فان الفسق والعصيان شىء، والاظهار به شىء آخر. واما قوله ﷺ: **والمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ**:

والخيل والرجل كناية عن الأماكن والوسائل مآلية كانت او غيرها
والمعنى ان بعضاً من الناس يستمد من جميع قواه البدنية والخارجية لأظهار
فسقه والأظهار بشره وبعبارة أخرى هم في الدنيا الفساد والعصيان فيصرف
عمره وماله ومقامه وسائر عناوينه في تحصيله.

□ قوله ﷺ: **قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ دِينَهُ.**

اي قد أعرض هذا الشخص نفسه في معرض الفساد والهلاك وأهلك دينه
بارتكابه المعاصي وركوبه الشهوات النفسانية.

فان قلت - ما الفرق بين الجملتين من حيث المعنى فان معنى قوله ﷺ: **قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ دِينَهُ** واحد ضرورة ان من أفسد دينه وأهلكه فقد أشراط نفسه وبالعكس.

قلت - الفرق بينهما واضح فان الجملة الاولى اعنى قوله ﷺ: **قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ** اشارة الى هلاكها بمعنى انه يعوقها عن الوصول الى غاياته وبلوغها الى أقصى مراتب السلوك وفيه خطر عظيم.

واما الجملة الثانية، فهي اشارة الى اضمحلال دينه وانعدامه وهو وان كان مساوفاً لسقوط نفسه الا انه شيء آخر.

وتوضيح ذلك هو ان الفساد والعصيان له لازمان، احدهما سقوط النفس وعدم بلوغه الى الكمال المترتب في الدنيا، وثانيهما عدم الدين والأيمان لها وبذلك يستحق الإنسان العذاب في الآخرة وان شئت قلت ان الجملة الأولى ناظرة الى السقوط في الدنيا والثانية الى السقوط في الآخرة فقد خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

□ قوله ﷺ: **لِحُطَامٍ يَنْتَهِرُهُ، أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ...**

وهذه الجملات بمنزلة التعليقات لسابقتها فكأنه قيل له ﷺ باي شيء أشراط نفسه وأوبق دينه فقال ﷺ في الجواب **لِحُطَامٍ يَنْتَهِرُهُ الخ.**

وفيما ذكره ﷺ: اشارة الى ان منشاء هلاك الدنيا والدين ليس الأحطام الدنيا وزينتها مما يتخيل انه من الموجودات الأصلية وقد ذكر ﷺ منها ثلاثة اشياء

التي هي بمنزلة الأساس والاصل لما سواها، احدها حطام ينتهزه وثنائها مقنَّب يقوده، وثالثها منبرٌ يفرعه، وذلك لأن اصول الدنيا وأساسها ثلاثة النعم الدنياوية، والأعوان والأنصار والمقام والشخصية العلمية، فالأول بالنسبة الى الأغنياء والثاني الى السلاطين والثالث الى العلماء وان شئت قلت الأول في طالب المال والثاني في طالب الحكومة والسلطنة والثالث في طالب النفوذ المعنوية فالأول اشارة الى الأول والثاني الى الثالث الى الثالث، ولا رابع في المقام فإن العناوين كلها داخلة تحت هذه الثلاثة.

أما الأول اعنى قوله ﷺ: **لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ**، فوجهه ظاهر لأن كثيراً من الافراد في كل عصر وزمان يطلبون المال والثروة ويبيعون آخرتهم به كما نقل ان عمرو بن العاص باع آخرته بكون مصر له طعمة ونظائره كثيرة كما روى ان سمرة ابن جندب لعنه الله اخذ من معاوية ابن ابي سفيان اربعمائة الف دينار، ثم قال: سمعت عن رسول الله ﷺ يقول في **«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ»** ^(١) الذي ورد في فضيلة علي ليلة المبيت باتفاق جميع المفسرين من العامة والخاصة، إلا الشاذ منهم، قال سمعت ﷺ انه قال وردت هذه الآية في فضيلة عبد الرحمن ابن ملجم المرادي لعنه الله قاتل علي، فإنه ممن يشري نفسه ابتغاء، مرضات الله في قتله علياً.

وكما ان شريح القاضي اخذ من عبيد الله ابن زياد لعنه الله اموالاً كثيرة حتى أفتى في الكوفة بوجوب قتل الحسين ﷺ واصحابه وانصاره وكما ان كثيراً من افراد زماننا هذا في تمام الطبقات والأصناف يبيعون آخرتهم ودينهم للوصول الى الدرهم والدينار بل لادين لهم إلا الدنانير ففي مقابل الحطام الدنياوية قلما يتفق انسان يحفظ على دينه وأعرض عنها لأن الناس عبيد الدنيا فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون اعادنا الله منه.

وأما قوله ﷺ: **أَوْ مِقْنَبٌ يَقُودُهُ**، فهو ايضا صحيح متين لأن المِقْنَب ما بين الثلاثين والأربعين من الخيل، وهو كناية عن جمع الأفراد من الأعوان والانصار

والجُيُوش والعساكر للركُوب على مراكب الآمال والبلوغ الى المُستَهيات
النفسانية ولازمه الحكومة والسُلطنة على الناس بغير حقّ فانّ الحكومة الحقّة
لا تحتاج الى ما ذكرناه كما هو واضح.

وامّا قوله ﷺ: **أَوْ مِنْبِرٍ يَفْرَعُهُ**، فهو اشارة الى علماء السوء الذين يطلبون
العلم لأجل الدنيا من المحراب والمنبر والوعظ والقضاء وامثال ذلك من
العناوين وليس قصد القربة فيها بل المقصود التّقرب الى الدنيا والشيطان
وسياتى منا تفصيل الكلام فى هذا الموضوع فى محله انشاء الله تعالى.
□ قوله ﷺ: **وَلَبَسَ الْمَتَجِرَ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ تَمَنَّا وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ
عَوْضًا...**

وهذا الكلام منه ﷺ بمنزلة النتيجة لما تقدّم وتوضيحه هو أنّ الدنيا بمنزلة
السوق للتاجر وعمر الإنسان بمنزلة رأس ماله والنفع فيها عبارة عن الفوز
بمقام القرب والدخول فى الجنة وخسرانه وضرره فيها البعد عن الحقّ
والدخول فى النار وعبارة اخرى للتجارة اركان اربعة:
التاجر، والمحلّ، ورأس المال، والغاية فالاول علة فاعليّة، والثانى علة
صوريّة والثالث علة ماديّة والرابع علة غائية.

ففيما نحن فيه التاجر هو الإنسان المكلف البالغ العاقل المختار، والمحلّ
للتجارة هو الدنيا فى طول حياته، ورأس المال عبارة عن عمره، وبقائه، والغاية
عبارة عن المنافع المترتبة عليها اعنى التّقرب الى الله والدخول فى الجنة فكما
انّ التاجر الظاهرى فى سوق الدنيا لا بدّ له من ذكوة وفطنة وتجربة فى الأمور
المربوطة بالتجارة والا لا ينفّع فى كسبه بل يضرّ فكذلك التاجر المعنوى لا بدّ له
من التوجّه فى طول حياته حتى لا يفنى عمره فى غير مورده فمن لم يتوجّه الى
ذلك فقد خسر خسراً مبيناً وابناء الدنيا من هذا القبيل فانّ من يطلب الدنيا
وزخارفها ومقامها وشهواتها كيف يمكن له التوجّه الى ما خُلق لأجله لأنّ
القلب لا بدّ من ان يكون فيه امّا حُبّ الدنيا واما حُبّ الآخرة ولا يمكن
اجتماعها فيه للزومه اجتماع الضدين وعليه فينبغى للعاقل ان يختار اَدومها

وابقاهما وأحسنهما، وأشرفهما ومعلوم أن الآخرة باقية والدنيا فانية فإذا افترضنا أن إنسانا اختار حُبَّ الدنيا على الآخرة وصار قلبه مشعُوفاً بحبها وزخارفها فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً ولذلك قال عليه السلام: وَلِبْسُ الْمَتَجَرِّخِ مَا قَالَ، ثم إن في قوله هذا إشارة إلى نكات ودقائق لا بأس بالتنبيه عليها بحسب الأجمال.

أحديها أنه عليه السلام قال إن أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً، ولم يقل إن تكون الدنيا لنفسك ثمناً، ووجهه أن الدنيا لا تكون في الحقيقة ثمناً عن النفس الإنسانية.

أما أولاً: فلأن الدنيا دنيةٌ خسيصةٌ رذيلةٌ بحسب طبعها الأولية والنفس عريضة شريفةٌ قدسيةٌ لكونها منسوبة إليه تعالى حيث قال فإذا سويته ونفخت فيه من رُوحى فقعوا له ساجدين، والياء في قوله تعالى (روحي) للنسبة ولا شك في عظمتها وجلالته تعالى فكذلك المنسوب إليها لو لم تكن عظيماً جليلاً لم تنسب إليه وكيف يمكن كون هذا الجوهر القدسي ثمناً لهذا الشيء الرديء اعنى الدنيا وحطامها وعناوينها وبالعكس.

وثانياً: إن النفس مجردٌ عقلاً ونقلاً والدنيا غير مجرد لأنها ليست إلا المادة والشيء المجرد مقابل للمادى فكيف يكون المادى ثمناً للمجرد فالدنيا لا تكون ثمناً لها.

وثالثها: إن النفس لمكان تجرُّدها تكون باقية والدنيا لمكان ماديتها تكون فانية كما هو شأن المادى والفانى لا يكون ثمناً للباقي فالدنيا لا تكون ثمناً للنفس.

فقوله عليه السلام: أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً، إشارة إلى أنك ترى الدنيا لنفسك ثمناً بزعمك الباطل وظنك الفاسد ولست تعلم أن نفسك لا يمكن لك بيعها لبالدنيا ولا بغيرها بل لا بد لها من الرجوع إلى الله تعالى ولا بد يوماً أن تُردَّ الودائع. قال الله تعالى أنا لله وأنا إليه راجعون فمن زعم أنه باع نفسه واستراح فقد أخطأ.

وثانيتها قوله عليه السلام: وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عِوَضاً، والواو للعطف أي ولبس المتجر أن ترى الدنيا ممَّا لك عند الله عوضاً، وفيه إشارة إلى أن ما عند الله خيرٌ

لك ممّا عندك من الدنيا.

أما أولاً: فلأنّ ما عند الله أبقي ممّا عندك ولا شك أنّ الباقي أحسن من الفانى والعاقل لا يطلب الفانى بترك الباقي.

وثانياً: أنّ ما عند الله موجودٌ بوجوده وما فى الدنيا ايضاً موجود بوجودها وحيث أنّ وجود الحق لا يتطرق اليه الدثور والأفول فكذلك ما عند الله فهو أحقّ بالطلب من غيره.

وثالثاً: أنّ الدنيا وما فيها موجود بوجودٍ ظليّ تبعيّ فإنّ الممكنات لا وجود لها واقعاً إلا بوجود بارئها وخالقها كما هو شأن المعلول بالنسبة الى العلة وهذا بخلاف الواجب وما عنده فانه موجودٌ بالوجود الحقيقى الاستقلالى ولا شك أنّ الوجود الاصيل الاستقلالى خير من التبعي الظلى فلا بدّ للعاقل أن يطلبه دون غيره، ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب.

□ قوله ﷺ: وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ وَلَا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا قَدْ طَأَمَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ وَزَخَّرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ...

وفى هذا القسم اشار ﷺ الى أنّ من الناس من يطلب الدنيا بعمل الآخرة من غير عكس كمن تلبس بلباس الزهد والتقوى وتظاهر فى العرف بالصدّاقة والأمانة والأيمان حتى تميل قلوب الناس اليه وليس من اهله لأن الظاهر غير الباطن والصورة غير المعنى ومن كان هذا شأنه فهو منافق وقد قال الله تعالى أنّ المنافقين فى الدرك الأسفل من النار.

ثمّ إنّ أتباع هذه الروية الخبيثة كثيرٌ جداً والمقصود من عمل الآخرة الذى يطلب به الدنيا أنّها هو اعمال الصّادرة من العباد والزهاد والاولياء بحسب الظاهر كالصلوة التامة الأجزاء والشرائط والصوم والواجب والمندوب والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والأتيان بالأذكار والأوراد والأدعية المستحبة وغيرها من الأمور الشرعية فان أتى بها فى ظاهر الأمر ولم يعتقد بشىء منها فى قلبه او يعتقد لكن الاتيان بها بقصد تأليف القلوب لا بقصد القربة ففاعلها بمنّ

يطلب الدنيا بعمل الآخرة ويُعبر عنه في علم الاخلاق بالمُرَائِي وعن فعله بالرِّيَاء وقد تكلمنا في الرِّيَاء واقسامه سابقاً وعلى اى حال فله علامات وامارات تجمعها خمسة امور.

احديها قوله **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**: قَدْ طَأْمَنَ مِنْ شَخْصِيهِ، اى يتواضع فى الناس يقال طأمنَ ظهره اى حنَّاه وحقَّضه، وانما يفعل ذلك ليقال انه من المتواضعين والتواضع علامة الرُّهد وتترك الدنيا مع انه فى الحقيقة من المتكبرين الا انه فعل ما فعل لأصطياد الناس وجلب محبتهم والناس غافلون عن هذه الحيلة.

وثانيها قوله **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**: وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وهو الثانى من اسباب الحيلة وآلاتها لان فى المشى والحرَكة بين العوام تأثير خاص فى قلوبهم فكل من كان بطيء الحرَكة متقاربة الخطوة فى المعابر فهو أوقع فى النفوس من غيره. وثالثتها **وَشَمَّرَ مِنْ تَوْبِهِ** وهذا ثالثها لان تشمير الثوب اى تقصيره وترفيعه من اسباب الحيل.

ورابعتها قوله **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**: وَزَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ، اى زينها وهيئها للأمانة ليأخذوه آميناً لأسرارهم وأموالهم.

وخامستها قوله **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**: وَأَتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ، لكونه على غير طريق الهدى فاتخذ هذه الامور التى هى من أستار الله سبباً ووسيلة الى الوصول الى المعاصى والبلوغ الى الامانى ومن كان هذا شأنه فليس من الانسان بشىء.

وحاصل الكلام ان هذه الافراد ليس فيهم ايمان بالله وملائكته ورسله ولا خوف من يوم المحشر فان المؤمن الخائف لا يكون كذلك لان الدين الذى هو مجموع القوانين الالهية ليس بمَلْعَبَةٍ ولا سبباً ووسيلة للوصول الى حطام الدنيا ومن كان كذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين.

أليس هذا العمل منه مؤجبا لتضليل العوام وخروجهم عن الطريق المُستقيم وائى ذنب اعظم منه اعادنا الله من هذه السيئات.

واما القسم الرابع من الأقسام الأربعة:

□ قوله ﷺ: وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنِ طَلْبِ الْمُلْكِ ضُؤْلَةٌ نَفْسِهِ وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ فَقَصَّرَتْهُ الْحَالُ عَلَى خَالِهِ فَتَحَلَّى بِأَسْمِ الْقِنَاعَةِ وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ وَأَيْسَ فِي ذَلِكَ مِنْ مَرَاكِحٍ وَلَا مَغْدِيٍّ...

وهذا هو القسم الرابع منهم وحاصله ان بعضاً من الناس لضئولة نفسه وحقارتها وعدم قدرته على ايجاد المقدمات اللازمة لا يطلب الملك ويقول انا لأطلبه ولا أشهتيه وليس الأمر كذلك بل له علاقة تامة به في حد نفسه، فالموجب لعوده أمور:

احدها قوله ﷺ: ضُؤْلَةٌ نَفْسِهِ، فإن من كان نفسه ضئيلاً حقيراً كيف يمكن له تحصيل الملك والغرض من حقارة نفسه عدم وصولها الى مراتب الكمال المترقب فإن الحاكم على الناس والسلطان عليهم اذا لم يكن في حد نفسه قوياً الأرادة كامل النفس لا يمكن له اصلاح الناس في امور دينهم ودنياهم لان المعطى للشئ لا يكون فاقداً له بل هو أحق بالتباع قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي﴾^(١) هذا اذا حملنا الضئولة والحقارة على ضعف النفس في مقابل الكمال واما اذا حملناها على الحقارة العرفية فالأمر اوضح.

وثانيهما قوله ﷺ: وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ، والضمير في سببه راجع الى الملك او الى كلمة من والاول أولى وأنسب بسياق العبارة، وحاصله ان الوصول الى الملك لا يتيسر لكل من اراد الوصول اليه بل لا بد له من اسباب، ومقدمات فمن لا يقدر على ايجادها كيف يصل الى المطلوب ومن المعلوم انها لا تحصل لكل فرد من الافراد كما انها لم تحصل للزبير وطلحة، مع اشتياقهما اليه، فاذا انقطع السبب انقطع المسبب لامحالة لتوقفه عليه في الخارج فاذا لم يتيسر له الوصول اليه يتخذ طريقاً آخر وهو قوله:

وثالثها قوله ﷺ: فَقَصَّرَتْهُ الْحَالُ عَلَى خَالِهِ:

والفاء للتفريع اي هذه الاوصاف متفرعة على يأسه وجرمانه عن البلوغ الى

مَقْصِدُهُ وَهَدَفُهُ ﷺ فَقَوْلُهُ ﷺ: فَقَصَّرْتُهُ الْخَالُ عَلَىٰ حَالِهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّهُ وَقَفَتْ بِهِ حَالُ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ حَالِهِ الَّتِي لَمْ يَبْلُغْ مَعَهَا مَا ارَادَ وَقَصَّرْتَهُ عَلَيْهَا فَلِذَلِكَ عَدَلَ إِلَىٰ الْحِيلَةِ الْجَادِبَةِ لِرَغْبَاتِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ فَتَحَلَّىٰ بِأَسْمِ الْقِنَاعَةِ وَتَزَيَّنَ بِبِلْبَاسِ أَهْلِ الرَّهَادَةِ، فَقَامَ بِالطَّاعَاتِ وَوَاطَبَ عَلَى الْعِبَادَاتِ وَالْحَالِ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْقِنَاعَةِ وَالزَّهْدِ فِي مَرَاحٍ وَلَا مَغْدَىٰ، أَي لَيْسَ مِنْهُمَا فِي شَيْءٍ.

وَلَمَّا فَرَّغَ ﷺ مِنْ ذِكْرِ الْأَصْنَافِ الْأَرْبَعَةِ وَأَوْصَافِهَا وَأَحْوَالِهَا شَرَعَ إِلَىٰ بَيَانِ أَوْصَافِ أَهْلِ الْآخِرَةِ وَعَدَّ مِنْهَا أُمُورًا.

أَحَدُهَا قَوْلُهُ ﷺ: وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضُّ أَبْصَارِهِمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ مَتْنٍ.

وَهَذَا وَصْفُهُمُ الْأَوَّلِ، غَضُّ الْبَصَرِ خَفْضُهُ وَكَسْرُهُ يُقَالُ غَضَّ بَصْرَهُ أَي مَنَعَهُ مِمَّا لَا يَحِلُّ رُؤْيَتَهُ وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ لَا يَدَّ لَهُ مِنْ غَضِّ بَصْرِهِ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ كَالنَّظَرِ إِلَىٰ مَحَارِمِ اللَّهِ مِثْلًا أَوْ عَنِ الْأَلْتِفَاتِ إِلَىٰ مَطْلُوقِ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى قَالُوا لِأَنَّ الْقَلْبَ إِذَا كَانَ مَشْغُولًا بِذِكْرِ اللَّهِ مُسْتَغْرَقًا فِي شُهُودِ جَمَالِ الْحَقِّ وَمُلَاحِظَةِ جَلَالِهِ عَارِفًا بِأَنَّ الْمَسِيرَ وَالْمُنْقَلِبَ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ يَكُونُ الْحِسُّ تَابِعًا لَهُ لِامْحَالَةِ لِكُونِهِ رَئِيسَ الْأَعْضَاءِ وَالْحَوَاسِّ فَلَا يَكُونُ لَهُ حِجَابٌ تَفَاتًا إِلَىٰ غَيْرِهِ وَتَوَجُّهًا مِنْ طَرِيقِهِ إِلَىٰ أَمْرٍ آخَرَ انْتَهَى.

وَتَانِيهَا قَوْلُهُ ﷺ: وَأَرَاقَ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ:

وَذَلِكَ لِأَنَّ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ عَقَبَةٌ لَا يَجُوزُهَا إِلَّا الْبَكَائُونَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى. رَوَى عَنِ الصَّادِقِ ﷺ: أَنَّهُ قَالَ كُلُّ عَيْنٍ بَاكِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا ثَلَاثَ عُيُونٍ: عَيْنُ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ سَهَرَتْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَكَتْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ انْتَهَى رَوَاهُ الشَّارِحُ الْخَوَثِيُّ فِي شَرْحِهِ.

وَإيضاً رَوَى عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَصَبَ فِي قَلْبِهِ نَائِحَةً مِنَ الْحُزَنِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَعُودَ اللَّبَنُ إِلَى الضَّرْعِ وَأَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ غِبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِخَانٌ جَهَنَّمَ فِي مَنْخَرِي مُؤْمِنٍ أَبَدًا وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا جَعَلَ قَلْبَهُ مِزْمَارًا (مِزَارًا) مِنَ الضُّحْكِ وَإِنَّ الضُّحْكَ يُمِيتُ الْقُلُوبَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ انْتَهَى...

وبالجُملة الخوف من اوصاف المؤمن كما ان الرجاء ايضاً من اوصافه
فالمؤمن دائماً يكون بين الخوف والرجاء ولا بأس بالتكلم فيه إجمالاً.

اعلم: ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في
الاستقبال مشكوك الوقوع فلو عَلِمَ او ظَنَّ حصوله سُمِيَ تَوَقُّعُهُ اُنْتِظَارَ مَكْرُوهٍ
وكان تألمه أشد من الخوف وهو غير الجبن لان الجبن سكون النفس عما
يُستحسن شرعاً وعقلاً من الحركة الى الانتقام او شيء آخر وهذا السكون قد
يتحقق من غير حدوث التألم الذي هو الخوف.

فمن لا يجترىء على الدخول في السفينة او النوم في البيت وحده يمكن
اتصافه بالسكون المذكور مع عدم تألم له بالفعل فمثله جبان وليس بخائف،
ومن كان له ملكة الحركة الى الانتقام وغيره من الافعال التي يُجوزها الشرع
والعقل ربُّما حصل له التألم المذكور من توقع حدوث بعض المكاره كما اذا
امر السلطان بقتله فمثله خائف وليس بجبان هكذا قالوا في تعريفه ثم انهم
قَسَمُوا الخوف على قسمين مذموم، وممدوح.

فالمذموم منه ما لم يكن من الله ولا من صفاته المُقتضية للهيبة، والرعب ولا
من معاصي العبد وجنایاته وهذا النوع من رذائل قوّة الغضب من طرف
التفريط ومن نتائج الجبن.

والمحمود منه هو الذي يكون من الله ومن عظمته ومن خطاء العبد،
وجنایته وهو من فضائل القوّة الغضبيّة اذ العاقلة تأمر به وتُحسِنه فهو حاصل
من انقيادها لها.

والخوف المذموم لا كلام لنا وله لا فيه كالخوف عن الموت، بسبب الأمور
التي ظن ان الموت عبارة عنها والآل والخوف عنه في حد نفسه ممدوح مرغوب
فيه باعتبار عقباته وتبعاته فان الباعث للخوف منه يحتمل ان يكون أموراً.

احدها: تصوّر فناءه بالكليّة وصيرورته عدماً محضاً بالموت ولا ريب انه
ينشأ عن محض الجهل اذ الموت ليس الا قطع العلاقة اي علاقة النفس الى
بدنه وهي باقية أبداً كما قرّر في محلّه.

وثانيها: تصوّر ايجابه ألماً جسمانياً عظيماً لا يتحمل مثله ولم يدرك فى الحياة شبهه وهذا ايضا من الخيالات الفاسدة فانّ أألم فرغ الحياة وبعد زوال الحياة الجسمانى لامعنى لوجوده اذ كلّ جسمانى ادراكه بواسطة الحياة وبعد انقطاعها لا ادراك ولا ألم.

وثالثها: تصوّر غروض نقصان لأجله وهو ايضا غفلة عن حقيقة الموت اذ من علم حقيقة الموت والأنسان، يعلم انّ الموت مُتمم الانسانية وآثارها والماتت جزءاً لحدّ الانسان كما نُقل عن اوائل الحكماء القول بانّ الانسان حى ناطق مائتٌ ومن المعلوم انّ حدّ الشئىء يؤجّب كماله لأنقصانه

الرابع: ضعوبة قطع علاقته من الأولاد والأموال والمناصب ومعلوم انّ هذا ليس خوفاً من الموت بل هو حُزُنٌ على مفارقة بعض الزخارف الفانية وهو ايضا دليل على الجهل، فانّ العاقل لا يتبغى ان يرتبط قلبه بها.

الخامس: تصوّر سرور الأعداء وشماتهم بموته وهذه وسوسة شيطانية صادرة عن محض التوهم.

السادس: تصوّر تضييع الأولاد والعيال وهلاك الأعوان والأنصار وهذا ايضا من الوسوس الباطلة.

فظَهَرَ وَتَحَقَّقَ انّ الخوف عن الموت اذا كان لأجل الأمور المذكورة فهو مذموم مقدوح.

وامّا الخوف الممدوح فهو ايضا على اقسام:

منها ان يكون الخوف من الله سبحانه ومن عظمته وكبرياته وهذا هو المُسمّى بالخشيّة والرّهبة فى عُرف ارباب القلوب.

ومنها ان يكون من جنابة العبد باقترانه المعاصى.

ومنها ان يكون منهما جميعا ولا شكّ انه كلما ازدادت المعرفة بجلال الله وعظمته وتعالیه وعيوب نفسه وجنایاته اذداد الخوف اذ ادراك القدرة القاهرة والعظمة الباهرة والعزة الشديدة يؤجّب الاضطراب و الدهشة.

اذا عرفت اقسام الخوف فقد علمت انّ الخوف عن المحشر الذى نحن

بصدده يرجع الى الخوف من الأعمال نفسها فمن لم يعمل السيئات لا يخاف المحشر أبداً إلا ان هذا لا يمكن في غير المعصوم وأما غيره فلا، فكل مؤمن غير المعصومين من الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم سلام الله عليهم اجمعين لا مخلص له من الخوف عن المحشر وسائر العقبات بعد الموت ولذلك وصف عليه السلام المؤمنين بذلك وقال أراق دموعهم خوف المحشر.

ولا يخفى عليك ان الخوف منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين وهو افضل الفضائل النفسانية والآيات والأخبار الدالة عليه اكثر من ان تحصى وقد جمع الله للخائفين العلم والهدى والرحمة والرضوان وهي مجامع مقامات اهل الجنان.

فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (١)

و: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (٢)

و: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (٣)

و: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (٤)

وكثير من الآيات مصرية بكون الخوف من لوازم الايمان، كقوله تعالى:

و: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (٥)

ومدح الخائفين بالتذكر في قوله: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ (٦) ووعدهم الجنة

والجنتين بقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٧)

و: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ (٨)

وأما الأخبار فكثيرة.

منها ما في الخبر القدسي وعزتي لا أجمع على عبدي خوقين ولا أجمع له

٢. الاعراف - ١٥٣.

٤. آل عمران - ١٧٥.

٦. الأعلى - ١١.

٨. الرحمن - ٤٦.

١. الفاطر - ٢٨.

٣. البينة - ٨.

٥. الانفال - ٢.

٧. التازعات - ٤٠ و ٤١.

أَمْنَيْنِ فَإِذَا أَمَنْتَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفَّتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَإِنْ أَخَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَنْتَهُ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ...

ومنها قوله عليه السلام رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ، وَقَالَ عليه السلام مَنْ خَافَ اللَّهَ أَخَافَ
اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ أَخَافَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَهَى...

ومنها قال عليه السلام مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْهِ دَمْعَةٌ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ رَأْسِ
الذُّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ثُمَّ يُصِيبُ شَيْئاً مِنْ حَرِّ وَجْهِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ...
والروايات الواردة في الباب كثيرة وسيأتي تفصيل الكلام في الخوف إن شاء الله
تعالى.

ثالثها قوله عليه السلام: فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدِ نَارٍ وَخَائِفِ مَقْمُوعٍ وَسَاكِتِ مَكْعُومٍ وَدَاعِ
مُخْلِصٍ وَثُكْلَانٍ مُوجِعٍ...

أى فهؤلاء أمرهم يدور بين أن يكونوا من شريد نادٍ، أى نافرٍ عن الخلق
مُفْرِداً عَنْهُمْ وَمَتَوَحِّشاً مِنْهُمْ لِكثْرَةِ إِذَى الظَّالِمِينَ فِي الأوطانِ لِأَنْكَارِهِ الْمُنْكَرِ أَوْ
لِقَلَّةِ صَبْرِهِ عَلَى مَشَاهِدَةِ الْمُنْكَرَاتِ وَأَنْ يَكُونُوا خَائِفِينَ مَقْمُوعِينَ وَسَاكِتِينَ
مَكْعُومِينَ كَأَنَّ التَّقِيَّةَ سَدَّتْ فَاهُ مِنَ الْكَلَامِ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ لِلَّهِ فِي دَعَائِهِ، وَثُكْلَانٍ
مُوجِعٍ، أَمَّا لِمَصَابِهِ فِي الدِّينِ أَوْ مِنْ كَثْرَةِ إِذَى الظَّالِمِينَ هَكَذَا قَالُوا فِي شَرْحِهِ.
أقول: الغرض من هذا الكلام بيان كيفية حال المؤمن الخائف في دار الدنيا
مع الناس فهو لامحالة يدور أمره مدار هذه الأمور السبعة المذكورة في
كلامه عليه السلام.

وتوضيح الكلام هو أن المؤمن لعدم وجود السُّنْخِيَّةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِبْنَاءِ نَوْعِهِ
لَا يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَعَاشِرَهُمْ وَيَخَالَطَهُمْ وَيَأْتَسَهُمْ ضَرُورَةً أَنْ شَرَطَ الْمَعَاشِرَةَ هُوَ
وَجُودَ السُّنْخِيَّةِ وَإِنَّ سُنْخِيَّةَ بَيْنِ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ وَالْإِيمَانَ وَعَدَمَهُ وَالْخَوْفَ
وَعَدَمَهُ وَإِذَا لَمْ يُمْكِنْ لَهُ الْحَشْرُ مَعَهُمْ فَلَا جَرْمَ يَنْفَرِدُ وَيَنْعَزِلُ عَنْهُمْ وَيَجْلِسُ فِي
بَيْتِهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

ثم أنه يكون خائفاً منهم لكونهم اعداء له فإن الكافر أو المنافق لا يحب
المؤمن فلا جرم يبغضه لعدم الوساطة وحيث أنه أي المؤمن بالنسبة إلى غيره

قليل كما قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور، فهو خائف من أعدائه ومخالفه فيصير مغلوباً لهم مقهوراً فيهم ولازم ذلك اى المغلوبية والمقهورية هو السكوت وعدم القدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واذا كان الأمر على هذا المنوال فهو يتوجه الى ربه ويُنيب اليه ليأسه وجرمانه عمّن سواه فإن العبد اذا قطع رجائه عن غير الله تعالى يتوسل به ويتضرع اليه، الا بذكر الله تطمئن القلوب فيكون دعائه لله تعالى ناشئاً عن إخلاصه وتقربه اليه فهو كالشكران الموجع وهذا ظاهر.

فما ذكره فى المقام اشارة الى ان المؤمن لامحالة يكون فى دار الدنيا محفوفاً بالأبتلاء والمحن والحزن والغم ولا يكون مسروراً ابداً فان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وهى دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة كل ذلك بالنسبة اليه دون غيره.

ورابعها قوله ﷺ: اخملتهم التقيّة، وشملتهم الذلّة...

والمعنى ان التقيّة جعلتّهم فى زوايا بيوتهم بحيث لا يقدرّون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علناً ولا يصلح لهم لوجوب التقيّة عليهم واذا كان كذلك فلا جرم شملتهم الذلّة والحقارة لان العزّة والشوكة فى الاجتماع الفاسد لا تحصل الا لمن سلك مسلك افراده واعانهم على ظلمهم وبغيهم وحيث ان المؤمن لا يكون كذلك فشمّلته الذلّة وعلى اى حال فقد اشار ﷺ بلزوم التقيّة مع ان ظاهر كلامه لا يصرّح به لان التقيّة لو لم تكن واجبة مشروعة لما عدّها من اوصاف المؤمنين الموحّدين بل ينبغى ذمّ الموصوف بها لامدحّه وجعله فى زمرة المتّقين والاولياء الصالحين ولا شك عندنا فى وجوب التقيّة ولتوضيح الكلام نتكلّم فيها اجمالاً فنقول:

قال العلامة الانصارى (قدّه) فى رسالة التقيّة:

التقيّة اسم لا يتقى يتقى والتاء بدل عن الواو كما فى التهمة والمراد هنا التحفظ عن ضرر الغير بموافقته فى قولٍ او فعلٍ مخالفٍ للحق والكلام فيها تارة فى حكمها التكليفى وتارة فى حكمها الوضعى.

أما الكلام في حكمها التكليفي فهو أن التقية تنقسم إلى الأحكام الخمسة الواجب، والمستحب، والمباح، والمكروه، والمحرم.

١. فالواجب منها ما كان ليدفع الواجب فعلاً وهو ظاهر وامثلته كثيرة.

٢. والمستحب منها ما كان فيه التحرز عن معارض الضرر بان يكون تركه مفضياً تدرجاً إلى حصول الضرر كترك المداراة مع المخالفين وهجرهم في المعاشرة في بلادهم فإنه ينجر غالباً إلى حصول المبانية الموجبة لتضرره منهم.

٣. والمباح ما كان التحرز عن الضرر وفعله مساوياً في نظر الشارع كالتيقن في اظهار كلمة الكفر على ما ذكره جمع من الاصحاب.

٤. والمكروه، ما كان تركه أولى من فعله كما ذكر ذلك بعضهم في اظهار كلمة الكفر وإن الأولى تركها ممن يقتدى به الناس اعلاءً لكلمة الإسلام والمراد بالمكروه ح ما يكون ضده أفضل منه.

٥. والمحرّم، منها ما كان في الدماء وذكر الشهيد في قواعده: إن المستحب إذا كان لا يخاف ضرراً عاجلاً ويتوهم ضرراً آجلاً أو ضرراً سهلاً أو كان تقيّة في المستحب كالترتيب في تسبيح الزهر عليه السلام وترك بعض الفصول في الأذان، والمكروه التقيّة في المستحب حيث لا ضرر عاجلاً ولا آجلاً ويخاف منه الألتباس على عوام المذهب، والحرام التقيّة حيث يؤمن الضرر عاجلاً وآجلاً أو في قتل مسلم، والمباح التقيّة في بعض المباحات التي ترجحها العامة ولا يصل بتركها ضرر انتهى.

قال (قده): ثم الواجب منها يُبيح كل محظور من فعل الواجب أو ترك المحرم والاصل في ذلك أدلة نفي الضرر وحديث رُفِعَ عن امتي تسعة اشياء ومنها ما اضطرّوا اليه مضافاً إلى عمومات التقيّة مثل في قوله عليه السلام في الخبر إن التقيّة واسعة ليس شيء من التقيّة إلا وصاحبها مأجور وغير ذلك من الاخبار الواردة وجميع هذه الأدلة حاكمة على أدلة الواجبات والمحرّمات فلا يعارضها شيء منها حتى يلتمسوا الترجيح إلى الأصول بعد فقده كما زعمه بعض في

بعض موارد هذه المسئلة.

واما المستحب من التقية فالظاهر وجوب الأقتصار فيه على مورد النص وقد ورد النص بالحث على المعاشرة مع المخالف في المذهب كالعمامة وعبادة مرضاهم وتشجيع جنائزهم والصلوة في مساجدهم والأذان فلا يجوز التعدي عن ذلك الى ما لم يرد النص من الأفعال المخالفة كذم بعض الرؤساء الشيعة للتحبب إليهم وكذلك المحرم والمباح والمكروه فان هذه الأحكام على خلاف عمومات التقية فيحتاج الى الدليل الخاص، انتهى ثم أردف الكلام بذكر حكمها الوضعي ونحن لانحتاج الى البحث فيه لخروجه عن طور الكتاب فعلاً بل اللازم لنا التعرض بذكر الأخبار الواردة فيها الدالة على اصل ثبوتها ووجوبها في الموارد المخصوصة وأنها من علائم الايمان فان من لا تقيّة له لا دين له، قال (قده):

منها ما عن الأحتجاج بسنده عن امير المؤمنين في احتجاجه على بعض اصحابه من الشيعة ومنه: وأمرُك أن تستعمل التقيّة في دينك فإن الله عزّ وجلّ يقول لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا ان تتقوا منهم تقيّة، وقد آذنت لك في تفضيل أعدائنا ان الجأك الخوف اليه وفي إظهار البرائة ان حمك الوجل عليه وفي ترك الصلوة المكتوبات ان خشيت على حشاشة نفسك الآفات والكاهات وإن تفضيلك أعدائنا عند خوفك لا ينفعهم ولا يضرنا وإن إظهار برائتك عند تقيتك لا يقدر فينا ولا ينقصنا تبرؤك منا ساعة بلسانك وأنت موال لنا بجانك ليتقى على نفسك رؤها التي بها قوامها الى ان قال (عليه السلام):

واياك ثم اياك ان تترك التقيّة التي أمرتُك بها فانك شائط بدمك ودم إخوانك متعرض لنفسك ولنفسهم للزوال فذل لهم في ايدي اعداء الذين وقد أمرك الله بأعزازهم فانك ان خالفت وصيتي كان ضررك على إخوانك ونفسك أشد من ضرر الناصب لنا الكافر بنا انتهى...

ومنها ما في رواية ابي الصباح من قوله (عليه السلام) ما صنعتم من شيء او حلفتم

عليه من يمين في تقيّة فأنتم منه في سعة انتهى...

ومنها مارواه في الكافي بسنده عن ابي جعفر عليه السلام انه قال التقيّة في كل شىء إلا شرب المُسكر والمَسح على الخفّين انتهى...

والروايات في اثبات التقيّة كثيرة ولا يهمنّا البحث فيها واستقصائها بعد كونها ثابتاً بالضرورة من المذهب فقوله عليه السلام: قَدْ أَحْمَلْتَهُمُ التَّقِيَّةُ يَدُلُّ عَلَى لُزُومِ مِرَاعَاتِهَا لِلْمُؤْمِنِ الْبَتَّةَ.

وأما قوله عليه السلام: وَشَمَلْتَهُمُ الذَّلَّةُ، فهو إشارة الى ما يترتب على التقيّة الواجبة وهو أنها تشتمل على الذلّة والحقارة في نظر المخالفين لأنها مُشتملةٌ عليها في الواقع ونفس الامر عند الله ورسوله وذلك لأنّ الانسان الذي لا بد له من التقيّة لا محالة يكون مظلوماً مقهوراً مغلوباً بحسب الظاهر في الأجماع المخالف له في المذهب والعقيدة والألا يجوز له التقيّة وعليه فالحقارة والذلّة في ظاهر الامر له قهريّ اذ لا يعنى بالحقارة الا هذا مع انّ الامر في الواقع ليس كذلك فقوله عليه السلام راجع الى ظاهر الامر دون الواقع.

وخامسها قوله عليه السلام: فَهُمُ فِي بَحْرِ أُجَاجٍ.

يعنى انّ حالهم في الدنيا كحال العطشان في البحر الأجاج يريد عدم انتفاعهم بها وعدم استمتاعهم فيها كما لا يستغنى ذو العطاش بالماء المالح هكذا قيل والمقصود انه شبه الدنيا بالنسبة اليهم بالبحر الأجاج الذي لا يمكن الاستفادة منه وهؤلاء بمن يريد الانتفاع به وهو لا يقدر عليه لأنّ المؤمن يريد المعروف وجريانه ويُبغض المنكر فاذا وقع في زمان لا يقدر على الأتيان بالمعروف فضلاً عن اجرائه ولا على ترك المنكر فضلاً عن اماتته فهو واقعا لا يتنفع حقّ الانتفاع بالتشبيه في محلّه ثم رتب عليه السلام عليه اموراً احدها قوله عليه السلام: أَقْوَاهُمُ ضَامِرَةٌ، اى ساكنة:

وذلك لأنّ التقيّة منعتهم عن الكلام الحقّ والأظهار بما فيه رضى لله ولرسوله واذا لم يقدر على التكلّم بالحقائق فلامحالة تكون ساكنة صامته فإنّ الانسان اما ناطق واما ساكيت فاذا فرضنا عدم كونه ناطقاً بما اراد لعدم قدرته

عليه للتقية فلاجرم يكون صامتاً غير ناطقٍ به لاستحالة ارتفاع التقيضين.
 ومنه يظهر ان كل ساكت لا يكون سكوته للجهل وعدم الاطلاع على
 الحقائق كما هو ظن كثير من الناس كما ان كل كلام لا يكون منشائه العلم
 والأيمان اذ من المحتمل كون الاول لأجل التقية والثاني لعدم مراعاتها او
 الجهل بها فان تشخيص الموارد من اهم الامور وأعظمها فالمؤمن العاقل
 المُجرب للأمر يعلم بفراسته وحسن كياسته انه اذا لم يترتب على كلامه أثر
 مفيد بل ربما يترتب عليه ضرر فتركه أولى له وللمسلمين في الدنيا والآخرة
 وهذا معنى قوله عليه السلام: **أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ.**

وثانيهما قوله عليه السلام: **وَقُلُوبُهُمْ قَرِيحَةٌ.**

وهو الأثر الثاني المترتب على التقية في الدين فان المؤمن اذ رأى
 المعروف منكراً والمُنكر معروفاً وهو لا يقدر على اصلاح الأمور كما هو
 المفروض فلامحالة يتأذى ويتألم به فيصير مجروح القلب بل هو من أشد
 الجراحات على قلبه فان قلبه يذوب من مشاهدة المنكرات كما يذوب الملح
 في الماء.

وثالثها قوله عليه السلام: **قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا.**

وهذا هو الاثر الثالث ومُلخصه ان هؤلاء نفر من المؤمنين، لا يتفَعَوْنَ
 بمواعظهم لعدم تأثيرها في قلوب المُفسدين المتجاوزين للنقص فيهم بل
 لوجود النقص في المتعظين وعدم لياقتهم واستعدادهم للأستفاضة وكيف
 يمكن لهم الاتعاظ بمواعظهم مع انغمارهم في الشهوات واقتحامهم في
 الهلكات والنكبات وهو يوجب قربهم الى الشيطان وبعدهم من الله تعالى ولا
 شك ان المُستمع اذا كان كذلك يصير الواعظ ملولاً وبالعكس بالعكس.

ورابعها قوله عليه السلام: **وَقَهَرُوا حَتَّى ذَلُّوا.**

والمعنى انهم صاروا مَظْلُومِينَ مَقَهُورِينَ تحت سلطة الاعداء لكون
 المخالفين مُسَلِّطِينَ عَلَيْهِمْ ظالمين لهم بالقهر والغلبة فلاجرم صاروا بحسب
 الظاهر أدلة لِقَلْبَتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ وَعَدَمَ قَدْرَتِهِمْ عَلَى الدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِمْ وَعِرْضِهِمْ

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

ومالهم ولا معنى للذليل في العرف العامي إلا هذا فليس المقصود من الذلة والحقارة الذلة عند الله تعالى لأن المؤمن عزيز عنده فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين بل المراد بها الحقارة في انظار الناس المخالفين للحق فإن للشئ باعتبار نفسه حكم وباعتبار مقياسه الى غيره حكم آخر والأصل هو الاول دون الثاني فإن الحق واتباعه دائما يكون مقهوراً مغلوباً والباطل غالباً قاهراً وهو لا ينافي اصالة الحق وعدم اصالة الباطل.

وخامسها قوله ﷺ: وَقْتِلُوا حَتَّى قَلُّوا:

اي وقتلوا اعني المؤمنين حتى قتلوا، وذلك لأن قتلهم يوجب قلة عددهم والموجب لقتلهم انما هو إيمانهم وعدم موافقتهم لمخالفهم في الأتيان بالمنكرات والمنهيات والركوب على الشهوات والهواجس النفسانية لأنهم لو فعلوا ذلك لما قتلوا كما هو ظاهر. الا ترى ان الايمان والاعتقاد بالحق والعمل على مقتضاه من أعظم الجرائم والخطايا عند اهل الباطل بل هو عندهم من الذنوب التي لا يغفر وهذا من الواضحات، ولا سيما في زماننا هذه فهذه هي الأمور التي لا بد للمؤمن الأبتلاء بها في هذه الدنيا واذا كان الأمر على هذا المنوال فينبغي للعاقل ان لا يركن على الدنيا وزخارفها فأنها دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة ولذلك اردف ﷺ كلامه بقوله:

□ قوله ﷺ: قُلْتِكُنُ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرْظِ وَقَرَاةِ الْجَلْمِ...

اي فعلى ما ذكرناه من اوصاف الخائنين في الدنيا ومساعدتها بهم وعدم مساعدتها للمؤمنين وان المؤمن في الدنيا كالطير في القفس والمنافق فيها كالسمك في الماء وكون المؤمن مبتلى بها والمنافق مُتَنَعِّمٌ فيها، ينبغى للمؤمن العاقل العارف بها والعالم بمضارها ان لا يعتنى بها ولا يرغب فيها بل تكون الدنيا في نظره أصغر وأحقر من حثالة القرظ وقراءة الجلم وهو امر ارشادي منه ﷺ بالنسبة الى السامعين لكلامه الى يوم القيمة باستصغار الدنيا واستحقارها الى حد لا يكون في نظرهم شئ احقر منها والغرض من ذلك

تركهم لهما واعراضهم عنها.

والسر فيه هو ان الدنيا وما فيها جواهرها واعراضها وافلاكها وانجمها
وسائر ما يتعلق بها فانية غير باقية لان وجودها ووجود ما يتعلق بها ليس الا
تعلقاً محضاً وربطاً خالصاً وذلك لانها ممكنة والأماكن، والأماكنيات لا وجود
لها استقلالاً بل الموجودات المكانية في الحقيقة بقائها وفنائها في بقائها
ولذلك نُعبر عنها بالتعلقات المحضة والتدلّيات الصّرفة فالتوجّه اليها والركون
بها بعيد عن العاقل العارف بها كما قيل

الآكل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل

□ قوله ﷺ: وَأَتَعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ...

أمرهم وأمرنا بالأتعاض بمن كان قبلهم وقبلنا من الأمم السالفة قبل ان يتعظ
بنا من يكون بعدنا وفيه حثٌ منه ﷺ على الاتعاض بالماضين بالنسبة الى كل
أحد في كل عهد وزمان فان فيه عبرة لأولى الابصار فان الدنيا والحوادث
الواقعة فيها بالنسبة الى ابنائها والموجودات الواقعة فيها من أحسن الوعاض
لانها وعظ محسوس والمحسوس مقدّم على المعقول من حيث القبول للنفس
وقد وردت الآيات والروايات في هذا الموضوع اكثر من ان تحصى وقد مرّ منا
شظراً منها فيما مضى وسيأتى شظراً آخر في موضع آخر.

□ قوله ﷺ: وَأَرْفُضُوهَا ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا قَدْ رَفُضَتْ مَنْ كَانَ أَشْعَفَ بِهَا مِنْكُمْ...

ضمير الهاء ترجع الى الدنيا والمعنى اتركوا الدنيا وفارقوا عنها حال كونها
مذمومة عند العقلاء العارفين بها وبأوصافها من انها باقية على حالها لزوال
نعيمها وفناء سرورها ونفاد صحبتها وانقطاع لذتها، فانها اي الدنيا قد رُفِضَتْ
وتركت واعرضت عمّن كان أشعف وأقبل بالدنيا منكم في القرون الماضية
والأزمنة السالفة من الأمراء والحكام والسلاطين وغيرهم من ابناء الدنيا
واتباعها وحكم الامثال واحد قيل:

كَمْ لَكَ بِالْأَشْرَاقِ وَالْأَصِيلِ
وَالدَّهْرِ لَا يَقْنَعُ بِالْبَدِيلِ

يَا دَهْرُ أَفْ لَكَ مِنْ خَلِيلِ
بِصَاحِبِ وَطَالِبِ قَتِيلِ

وَأَمَّا الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيلِ سُبْحَانَ رَبِّيَ مَا لَهُ مِثِيلٌ
وَسَيَأْتِي مِنْهُ الْآيَاتُ: فِي الْخُطْبِ الْآتِيَةِ مَا هُوَ أَبْسَطُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، فَاَنْتَظِرْ أَنَا
مَعَكَ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
هَذَا تَمَامُ الْكَلَامِ فِي شَرْحِ هَذِهِ الْخُطْبَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُشْتَمَلَةِ عَلَى الْأَسْرَارِ
الْخَفِيَّةِ وَالْأُمُورِ الْجَلِيَّةِ مِمَّا اعْرَضْنَا عَنْ ذِكْرِهَا حَذْرًا عَنِ الْأَطْنَابِ الْمُجِلِّ عَلَى أَنْ
عَرَّضْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ لَيْسَ عَلَى الْأَطَالَةِ بَلِ الْمَقْصُودُ هُوَ الْإِشَارَةُ لِكُونِهَا كَافِيَةً
لِلْعُقُلَاءِ.

﴿وَمِنَ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (٣٣)﴾

□ عِنْدَ خُرُوجِهِ لِقِتَالِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَفِيهَا حِكْمَةٌ مَبْعَثَ الرَّسُلِ ثُمَّ يَذُكُرُ فَضْلَهُ
وَ يَذُمُّ الْخَارِجِينَ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ بِبَدْيِ
قَارٍ وَ هُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، فَقَالَ لِي: مَا قِيَمَةُ هَذَا النَّعْلِ؟ فَقُلْتُ: لَا قِيَمَةَ لَهَا،
فَقَالَ ﷺ: وَاللَّهِ لَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا، ثُمَّ
خَرَجَ فَخَطَبَ، فَقَالَ ﷺ:

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا، وَ
لَا يَدْعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، وَ بَلَّغَهُمْ مَنَاجَاتَهُمْ،
فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَ اطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ، أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا، حَتَّى
تَوَلَّيْتُ بِحَدَافِيرِهَا، مَا ضَعُفْتُ (عَجَزْتُ) وَ لَا جَبُنْتُ، وَ أَنْ مَسِيرِي هَذَا لَمِثْلَهَا،
فَلَا نَقَبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنَبِهِ. مَالِي وَ لِقْرَيْشٍ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ
قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ، وَ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ، وَ إِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا
صَاحِبُهُمْ الْيَوْمَ.

◁ اللُّغَةُ

(أَمْرَتِكُمْ) بكسر الهمزة إسمٌ من الأمانة. (بَوَّأَهُمْ) بَوَّأَ الْمَكَانَ إِذَا أَحْلَاهُ وَ

أَقَامَ بِهِ.

(مَحَلَّتَهُمْ) مَحَلَّةُ الْقَوْمِ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَ الْحَاءِ مَنَزَلُهُمْ. (مَنَاجَاتُهُمْ) الْمَنَاجَاةُ

موضع النجاة.

(فَنَاتُهُمْ) القناة بالفتح الرَّمْح. (سَاقَتِهَا) السَّاقَة جمع سَائِق يقال فلان فى سَاقَة الجيش اى فى مُوَحَّرَهُمْ. (وَلَّتْ) اذْبَرَتْ وَاَعْرَضَتْ. (بِحَذَائِفِهَا) اى بتمامها. (فَلَا نَقَبْنَ) النَّقْب النَّقْب و فى بعض النسخ لِأَبْقَرَنَّ بَدَل لِأَنْقَبْنَ و الْبَقْر هو الشَّق.

المعنى

(وَ اللَّهِ)، الواو لِلْقَسَمِ و الله اسم الجلالة.

(أَلَيْهِ)، اى النَّعْل (أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَمْرَتِكُمْ)، اى من خلافتكم و امارتكم (إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا) فيها (ثُمَّ خَرَجَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ ٧: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ) بَعَثَ و ارْسَل (مُحَمَّدًا ﷺ) لِلنَّبُوَّةِ و الرِّسَالَةِ اى كَافَّةَ الْخَلْقِ. (وَ لَيْسَ) فى ذَالِكَ الزَّمَانِ (أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا) فَانَّهُمْ كَانُوا أُمِّيِّينَ. (وَ لَا يَدْعَى نُبُوَّةً) و لارِسَالَةَ لِعَدَمِ لِيَاقَتِهِمْ بِهَا و فِقْدَانِ شَرَايِطِهَا فِيهِمْ و اِنْ الرِّسَالَةَ و النَّبُوَّةَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. التَّوْبَةُ ٣٣ (فَسَاقٍ) اى الرَّسُولَ ﷺ (النَّاسَ) مِنَ الْعَرَبِ وَ غَيْرِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ (حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ) اى حَتَّى أَحَلَّهُمُ الرَّسُولَ ﷺ و أَقَامَ بِهِمْ مَكَانَهُمْ (وَ بَلَّغَهُمْ مَنَاجَاتَهُمْ) بِتَبْلِيغِهِ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ وَ انْقَاذِهِمْ مِنَ الضَّلَالَةِ، (فَأَسْتَقَامَتَ فَنَاتُهُمْ)، وَ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ انْتِظَامِ أُمُورِهِمْ بِوَجُودِهِ ﷺ (وَ أَطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ) اى اخْلَاقَهُمْ وَ آدَابَهُمْ (أَمَّا وَ اللَّهُ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا) اى سَاقَةِ الْعَرَبِ شَبَّهَ ﷺ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ بِكُتَيْبَةٍ مُقْبِلَةٍ لِلْحَرْبِ (حَتَّى وَلَّتْ) هَارِبَةً، بِحَذَائِفِهَا) وَ تَمَامُهَا وَ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ. (مَا ضَعُفْتُ وَ لَا جَبِئْتُ) اى مَا عَجَزْتُ مِنْ سَوْقِهَا وَ لَا جَبِئْتُ مِنْ طَرْدِهَا (وَ إِنْ مَسِيرِي هَذَا لَمِثْلُهَا) لِمِثْلِ تِلْكَ الْحَالِ الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا فى زَمَنِ الرَّسُولِ (فَلَا نَقَبْنَ الْبَاطِلَ) اى لِأَشَقَّنَ الْبَاطِلَ (حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنِبِهِ) اى مِنْ جَنْبِ الْبَاطِلِ (مَا لِي وَ لِقْرِيشٍ) حَيْثُ أَنَّهُمْ يَجْحَدُونَ فَضِيلَتِي، وَ يَسْتَحْلُونَ

مُحَارِبَتِي وَ يَنْقُضُونَ بَيْعَتِي (وَ اللَّهُ لَقَدْ قَاتَلْتَهُمْ كَافِرِينَ) بِالْكَفْرِ الْجُحُودِ (وَ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ)، الْآنَ (مَقْتُونِينَ) بِالْأَفْتَانِ وَ الْبَغْيِ حَتَّى يَرْجِعُوا مِنَ الْبَاطِلِ إِلَى الْحَقِّ (وَ إِنِّي لَصَاحِبُهُمْ) بِالْأَمْرِ أَي فِي زَمَنِ الرَّسُولِ (كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمْ الْيَوْمَ) وَ الْمَقْصُودُ أَنَا أَبُو الْحَسَنِ وَ سَيْفِي مَعِي وَ الْعَدْلُ رِدَائِي وَ سَجِيَّتِي.

◀ الشرح

اعلم: انّ هذا الخطبة على ما ذكره صدرت منه عليه السلام بذي قار في مسيره الى البصرة ليحرب الجمل و هو موضع بقرب البصرة نُقِلَ عن ابن عباس انه قال دخلت على امير المؤمنين عليه السلام بذي قار و هو يخصف نعله فقال عليه السلام لي ما قيمة هذا النعل؟ فقلت لاقيمة لها، فقال عليه السلام و الله لهي احب الي الى آخر ما قال عليه السلام.
 □ قوله عليه السلام: وَ اللَّهُ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا...

صُدِّرَ عليه السلام كلامه بواو القسم و اسم الجلالة للدلالة على انّ المقول حق لا مبرية فيه، ثمّ انه عليه السلام لم يقنع به بل أكد كلامه بعد القسم بلام التأكيد و هي الداخلة على قوله: (هي) و المعنى اني أقسم بالله قسماً صادقاً لهي احب الي الخ و في كلامه هذا اشارة الى انّ الأمانة و الحكومة لا بد من ان تكون لأحد الأمرين المذكورين في كلامه احدهما اقامة الحق و ثانيهما اذفاء الباطل هذا في الحكومة الحقّة و اما في غيرها فليس الامر كذلك كما هو واضح و ان اردت توضيح ذلك فنقول الحكومة من جهة العلة الغائية على اقسام.

احدها: ان تكون العلة الغائية والغرض الأصلي منها اقامة الحق و امانة الباطل كما هو مذكور في كلامه في المقام.

وثانيها: ان يكون الغرض منها الوصول الى الآمال و المشتهيات النفسانية و البلوغ الى تسكين الغرائز الحيوانية من شهوة الفرج و البطن و امثال ذلك مما هو مربوط بالغريزة الحيوانية و لا ربط له بشئون الانسانية و مراحلها فان الانسان الحقيقي بمعزل عن هذه الأمور:

وثالثها: ان يكون الغرض من تحصيلها كسب المقام و الشخصية
الأجتماعية و الحكومة على الناس و بعبارة اخرى طلب الحكومة للحكومة و
اذا فتننا حالات الحكام و الأمراء في كل عهد و زمان نرى عدم خلّوهم عن
هذه الأمور الثلاثة كائناً من كان.

أما القسم الاوّل منها: فهو مُختَصُّ بالأولياء و الأتقياء من العباد من الأنبياء
و الأوصياء و من يحدّو حدّوهم ان كان كما في داود النبي و سليمان النبي و
يوسف النبي و خاتم الأنبياء و امير المؤمنين و اوصيائه و هذه هي الحكومة
الحقّة المرضية لله تعالى كما قال عزّ من قائل مخاطباً لنبيّه داود: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ
خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(١) و لاشكّ انه لا غرض و لا مقصد
لهم إلا احياء المعروف و ابقائه و امانة المنكر و امحائه و أما سائر الجهات
المُحتملة المذكورة في التقسيم فلا تُحتمل فيهم لعصمتهم عن الذنوب و
الأجارس الظاهرية و الباطنية و إعراضهم عن الدنيا و زخارفها و ما يتعلّق بها
من الشهوات باقسامها و الأميال النفسانية بانواعها و حيث ان حكومته ﷺ
كانت من هذا القبيل فقال ﷺ ما قال:

و أما القسم الثاني: فهو ايضاً ممّا لا ريب فيه لوقوعه و وجوده في طول
التاريخ كثيراً بل أكثر الأمراء و الحكام من هذا القبيل في كل عهد و زمان و نحن
نرى مضافاً الى ما نشاهده في هذا الزمان غير واحدٍ من السلاطين و الخلفاء
الماضين كانوا من اتباع هذا المذهب فهذا يريد ابن معاوية لم يكن له همّ إلا
بطنه و فرجه فانه كان دائماً يشرب الخُمور و يلعب بالطنبور و الدفوف، و
الكلاب و النساء الفواحش و اعماله و سيرته مسطورة في التواريخ و لاجابة
لنا بالتعرض لها لكونها اظهر من الشمس.

هذا سليمان ابن عبد الملك و يزيد بن عبد الملك و وليد بن عبد الملك و
يزيد بن الوليد بن عبد الملك و هلمّ جرّاً و في الخلفاء العباسيين ايضاً اكثرهم

من هذا القبيل فهذا المَهْدِي ابن المنصور و ابنه الهادي و ابنه الآخر هارون
الرَشِيد و اولاده من المأمون و الأمين و المعتصم و امثاله ممّن لم يكن له سُغْل
في خلافته إلا اللّهُو و اللّعب كما هو واضح.

و اما القسم الثالث: فهو ايضاً كثيرٌ و لا يبعد ان يكون ابوبكر و عُمر و عثمان
و معاوية و عبدالملك و هشام ابن عبدالملك و في اولاد العباس عبد الله
السّفاح و المأمون و المنصور و امثالهم ممّن لم يكن له همٌّ بيطنه، و فرجه
فحسب بل الغرض الأصليّ لهم هو الحكومة على الناس و مُلخّص الكلام انهم
و امثالهم كانوا يطلبون الحكومة لنفس الحكومة لا غير.

اذا عرفت هذا فقد علمت ان القسم الاول منها هو الحقّ الحقيق بالاتباع
دون القسمين الأخيرين و ذلك لانّ الحكومة على الناس انما هي من شئون
الحقّ جَلَّتْ عظمته اذ هو الحاكم على الأطلاق على كلّ من سواه و كلّ ما سواه
لأنه هو الخالق و ما سواه هو المعلوم و هو المفيض و غيره المُستفاض و هو
الأمير و غيره المأمور فالحكم على العبيد أولاً و بالذات شأنٌ من شئونه و طوره
من أطواره و في غيره لا يتصور الاً ثانياً و بالعرض كما ان الوجود له أولاً، و
بالذات و لغيره ثانياً و بسببه و كذا لعلم و القدرة و الإرادة و غيرها من الصفات
التابعة للذات كما حَقَّق في محله و هذا اصلُ الكلام فيه.

و عليه فالحكومة على الناس انما هي مشروعة لِمَنْ كان مأموراً من قبله
تعالى مأذوناً من عنده و الدليل على ما ذكرناه من العقل و النقل:

اما العقل: فلما ذكرناه من ان غير الخالق ليست له حكومة على غيره لعدم
مزية له على غيره تُوجب هذه فانهم من حيث المخلوقيّة على حدّ سواء
فترجيح احدهم على الآخر من غير مُرَجِّحٍ قبيحٍ عقلاً و المُرَجِّح انما هو امره
تعالى و المفروض عدمه و رضاية الناس و موافقتهم بالنسبة الى شخصٍ معيّن
في الحكومة و الأمانة لا تُوجب جوازها له عقلاً فضلاً عن موافقة البعض
فالقول بالأجماع و الأنفاق و امثال ذلك في تعيين الخليفة و الحاكم قولٌ عليلٌ

و لفظ بلامعنى كيف لا، و لم يثبت لأحدٍ على أحدٍ حقُّ الأ من طريق الشرع فبائى دليلٍ من العقل نُثبت حكومة انسانٍ على انسانٍ آخر اذا لم تكن فيه مُرَجَّحات عَقَلِيَّة من أُبُوَّة و بُنُوَّة او عالم و مُتَعَلِّم و امثال ذلك ممَّا يحكم العقل و الوجدان بصحَّته و الأمانة ليست من هذا القبيل.

و اما النقل: فقولہ (تعالى): ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(١)

دلَّت الآية على ان الحكومة جَعَلَهَا اللهُ تعالى لداود فى زمانه دون غيره و هذا دليل على عدم لياقة غيره بها و انها بيد الله تبارك و تعالى و الألامعنى لقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(٢)، فان كلمة (ان) للتأكيد و التعبير بالجعل مُشعرٌ بان الخلافة من الأمور المَجعولة كسائر مجعولاته و لادخل فيها لأحدٍ غيره تعالى و اذا ثبت هذا فى هذا المورد فنحكم به فى كل الموارد لأن حكم الأمثال واحد و خُصُوصِيَّتُهُ المَورد لادخل لها فى اختصاص الحكم به كما قرَّر فى الاصول و قال عزَّ من قائل حكايةً عن ابنه سليمان، رَبِّ هَبْ لِي مَلِكًا لا يَنْبَغِي لأحدٍ بعدى، و هو ايضا يشعر بل يُصرِّح بان المُلِك و السُلطنة على المخلوقات لا بدُّ له من اين يكون مُفَوَّضاً من عنده تعالى و لادخل لأوهام الناس فيه.

فقد ثبَّت و تَحَقَّقَ ان الحكومة الحَقَّة ائما هى من شئون الرب اولا و بالذات و من شئون خلفائه ثانياً و بالعرض فالحكومة اذا كانت من غير هذا الطريق فهى باطلة فاسدة مردودة عقلاً و نقلاً فالحكومات كلها غير حكومات الأنبياء باطلة الا اذا كانت باجازه النبى و الوصى و لا يجب على الناس الأتقياد لهم بل يَحْرُمُ لانه من الإعانة على الاثم. اللهم الأ فى بعض الموارد المُستثنية كالتقية و امثالها فتمسك العامة فى اثبات الأطاعة بقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣) ليس فى محللة لأن المراد بأولى الأمر فى الآية

ليس

كُلِّ حَاكِمٍ عَلَى الْأَطْلَاقِ بَلِ الْمُرَادُ بِهِ هُوَ الْحَاكِمُ الْمَأْذُونُ فِي حُكُومَتِهِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِقَرِينَةِ الْعَطْفِ عَلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ وَشَهَادَةِ السِّيَاقِ. وَإِذَا ثَبِتَ أَنَّ الْعَقْلَ وَالنَّقْلَ يَحْكُمَانِ بِصِحَّةِ الْحُكُومَةِ فِيمَا إِذَا كَانَتْ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ يَثْبُتُ أَنَّ هَذِهِ الْحُكُومَةَ لَا تُوجَدُ وَلَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا لِأَقَامَةِ الْحَقِّ وَإِدْفَاعِ الْبَاطِلِ وَحَيْثُ أَنَّ حُكُومَتَهُ ﷺ كَانَتْ كَذَلِكَ فَقَالَ ﷺ مَا قَالَ، وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْحُكَمَاءِ حَيْثُ أَنَّ حُكُومَاتِهِمْ لَيْسَتْ كَذَلِكَ فَلَا جَرَمَ لَا يَقُولُونَ مَا قَالَ وَهَذَا وَاضِحٌ.

رَوَى أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ دَخَلَ الْكُوفَةَ فِي عَامِ الْجَمَاعَةِ بَعْدَ صَلَاحِ الْحَسَنِ ﷺ وَصَعِدَ الْمَنْبَرَ وَخَاطَبَ النَّاسَ بِمَا حَاصِلُهُ أَنِّي لَمْ أَرِدْ مِنَ الْمُحَارِبَاتِ وَالْمَنَازَعَاتِ مِنْ بَدْوِ الْأَمْرِ إِلَى يَوْمِي هَذَا إِلَّا الْحُكُومَةَ وَالْأَمَارَةَ عَلَيْكُمْ وَقَدْ بَلَغْتُ إِلَى مَا كُنْتُ بِصَدَدِهِ وَأَنِّي أَعْلَمُكُمْ وَأُهْدِدُكُمْ عَلَى النِّفَاقِ وَالْخِلَافِ فِي طَاعَتِي وَلَا أُهْدِدُكُمْ عَلَى عَصْيَانِكُمْ اللَّهُ مِنْ تَرْكِ وَاجِبَاتِهِ وَالْأَتْيَانِ بِمَحْرَمَاتِهِ فَأَنِّي بِمَعزِلٍ عَنْهُ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَطِيعُونِي وَلَا تَعْصُونِي إِلَى آخِرِ مَا قَالَ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَعَاوِيَةَ صَرَخَ بِهَدَفِهِ وَمَقْصَدِهِ مِنَ الْحُكُومَةِ وَعَدَمِ تَصْرِيحِ غَيْرِهِ بِهِ لَا يَدُلُّ عَلَى الْأَخْتِلَافِ فِي الْمَقْصَدِ فَإِنَّ الْحُكُومَةَ إِذَا لَمْ تَكُنْ مَشْرُوعَةً فَهِيَ تَكُونُ هَكَذَا سِوَاءَ كَانَ الْحَاكِمُ مَعَاوِيَةَ أَمْ غَيْرُهُ إِلَّا أَنَّهُ أَعْلَنَ وَأَظْهَرَ مَقْصَدَهُ مِنْهَا بِلِسَانِهِ وَغَيْرِهِ بِغَيْرِهِ.

وَأَمَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ مَوَالِيهِ وَشِيعَتِهِ فَلَا يَشَاؤُنَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَا يَعْمَلُونَ إِلَّا أَمْرَهُمُ اللَّهُ كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ مِنْ سِيرَتِهِ ﷺ فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ وَمَتُونِ التَّوَارِيخِ تَشْهَدُ بِهِ وَسَيَأْتِي تَفْصِيلُ الْكَلَامِ فِيهِ فِي شَرْحِ خُطْبَتِهِ ﷺ لِأَمَلِكِ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ وَغَيْرَهَا لِغَيْرِهِ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ شُبْحَانُهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا يُدْعِي نُبُوَّةً...

اشاره عليه في اهلين: احدهما بعثة النبي ﷺ و ثانيهما كون العرب أمياً
لا تقرأ و لا تكتب في ذلك الزمان و كلاهما ثابتان.

اما الاول منهما: و هو كونه ﷺ مبعوثاً الى الخلايق فقد تكلمنا فيه مفصلاً
في اوائل الكتاب و حققنا النبوة العامة و الخاصة و أقمنا البراهين القاطعة و
الأدلة الواضحة من الكتاب و السنة و العقل على اثبات نبوته و رسالته ﷺ فما
ذكره ﷺ في المقام اشارة الى قوله تعالى حيث قال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ
رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ
قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١)

و فيما ذكره ﷺ: تبعاً للآية الشريفة اشارة الى ان الرسول ﷺ كان مبعوثاً
الى كافة الخلق من قبل الله تعالى لامين قبل نفسه و بذلك تثبت نبوته و رسالته
شراً من ناحية النص كما مر.

و اما الاصل الثاني: و هو كون العرب لا تقرأ و لا تكتب فهو مما لا كلام فيه
اجملاً على ما تشهد به التواريخ و هكذا الأمر في عدم إدعائهم النبوة قبل
إدعائه ﷺ فإنه لم يسمع من أحد أنه قال بهذه المقالة اعنى صرح بان فلاناً
إدعى النبوة في ذلك الزمان.

ثم ان النكرة في سياق النفي تفيد العموم فقوله ﷺ: و ليس أحد يفيد
الاستغراق و الشمول لكل فرد من الأفراد و هكذا القول في قوله ﷺ (كتاباً)
فظاهر القضية يشعر بان العرب في ذلك العصر كانت لم تقرأ و لم تكتب على
سبيل الاستغراق الأفراد بحيث لا يخرج منه أحد و هذا ظاهر لمن كان له
أنس بسياق العبارة من حيث القواعد و هو كذلك.

و يؤيده ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا﴾ (٢) فان الامي لا يقرأ و لا يكتب
فالآية قد دلت على ان العرب كانوا أميين لم يكن لهم علم بالقراءة و الكتابة إما
رأساً و إما كاملاً على اختلاف فيه و هذا لا ينافي علم بعضهم بالأحكام المدونة

في التّوراة و الأنجيل فإنّ العلم بالحكم غير العلم بالقراءة و الكتابة على سبيل
 الفعلية لأمكان حصول العلم بدونهما كما نرى في كثير من العوام و لعلّه لهذه
 الدّقيقة لم يقل ﷺ (يعلم كتاباً) بدل قوله (يقرء كتاباً) و بعبارة اخرى: نَفَى
 القراءة في الكتاب. دون العلم به و ذلك لأنّ وَرَقَةَ ابن نوفل و غيره كانوا
 عالمين بالأنجيل على ما تشهد به التّواريخ و هكذا اجداد النّبي ﷺ و على
 فرض كون بعض الافراد ممّن كان يقرء او يكتُب فهو لا يضرّ بعموم الحكم
 على سبيل التّغليب، فإنّ النادر كالمعدوم.

و اما قوله ﷺ: (وَ لَا يَدْعَى نُبُوَّةً) فهو ايضا كذلك لأنه معطوف على الجُملة
 السّابقة و التّقدير ليس أحدٌ من العرب يدعى نُبُوَّةً و هذا ايضا ممّا لا كلام فيه اذ
 لم يُنقل فيما نعلم القول بادعاء النّبوة من المورّخين و ارباب السّير لأحدٍ من
 الأفراد و عدم الوجوان و ان لم يكن دليلاً على عدم الوجود عقلاً الاّ أنّه يدلّ
 عليه نقلاً اذ لا سبيل الى اثبات ذلك الاّ من طريق النقل و اذ ليس فليس و تنكير
 النّبوة في كلامه ﷺ يدلّ على العموم ايضا و قد تكلمنا في معنى النّبوة مفصّلاً
 في اوائل الكتاب.

و اما ما ذهب اليه الشّارح الخوئي في شرح هذه الجُملة تَبَعاً للمحقّق
 البحراني في شرحه فلا يرجع الى مُحصّل و لا يناسب هذه الفقرة من الخطبة و
 نحن نذكر اوّلاً ما ذكره البحراني (قده) ثمّ تُردفه بما ذكره الخوئي بعين الفاظها.
 قال البحراني: فان قلت كيف يجوز ان يقال انه لم يكن أحدٌ من العرب في
 ذلك الوقت يقرء كتاباً و كانت اليهود يقرؤون التّوراة و النّصارى الأنجيل.

قلت: انّ الكتاب الذي تدعيه اليهود و تُسميه في ذلك الوقت التّوارية ليس
 هو كتاب الذي أنزل على موسى فانهم كانوا حَرَفُوهُ و بدّلوه فصار كتاباً آخر
 بدليل «قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَ هُدًى لِلنَّاسِ لِتَجْعَلُونَهُ
 قُرْآنًا يَتَّبِعُونَهَا وَ تَخْفُونَ كَثِيرًا»^(١)، و ظاهره أنّه من حيث هو مُبدّلٌ و مُحرّفٌ

ليس هو المُنزَل على موسى، واما الكتاب الذي تدعى النصارى بقائه فى ايديهم فغير مُعتمد على نقلهم فيه لكونهم كفاراً بسبب القول بالتثليث، واما النافون للتثليث فهم فى غاية القلة فلا يفيد قولهم ان ما فى ايديهم هو انجيل عيسى علماً فاذا لا يكون المنقرو لهم حال بعث محمد كتاباً هو من عند الله سلمناه لكن يحتمل ان يريد بالعرب جمهورهم فان اكثرهم لم يكن له دين و لا كتاب و اما كان بعضهم يتمسك باثار من شريعة اسمعيل و بعضهم برشوم لهم انتهى.

و قال الخوئى (قده) يحتمل ان يكون المراد بالعرب اقلهم فان اكثرهم لم يكن لهم يومئذ دين و لا كتاب كما مر مفصلاً ثم قال (قده):

و اما على ارادة العموم كما هو ظاهر العبارة فيمكن الجواب بان الكتاب الذى كان بايدي اليهود و النصارى حين بعثه لم يكن بالتورية، و الانجيل المنزل من السماء لمكان التحريف و التغيير الذى وقع فيهما كما يشهد به ﴿و ان منهم لفرقاً يلون السنتهم بالكتاب ليتخسبوه من الكتاب و ما هو من الكتاب﴾ الى ﴿وهم يعلمون﴾^(١) ثم ايد ما ذكره بقول الطبرسى فى مجمع البيان فى شأن نزول الآية الى آخر ما نقله عنه.

و انا اقول: لا يخفى عليك ان ما ذكره الخوئى بعينه ما ذكر ما لبحرانى بأدنى تغيير فى بعض الفاظه و اما قوله يحتمل ان يكون المراد بالعرب اقلهم، فالظاهر انه من سهو القلم او الكاتب فان عبارة البحرانى (جمهورهم بدل) اقلهم، و هو الحق اذ لا معنى لقول الخوئى خصوصاً مع تعليله بان اكثرهم لم يكن الخ و هو غير خفى على المتأمل البصير.

و كيف كان ففى كلامهما مواضع من الأنظار:

اما اولاً: فلان التكررة فى سياق النفى تفيد العموم بالاتفاق فكلمة (أخذ) و كذا كلمة (كتاب) لكونهما تكررتين فى سياق النفى و هو (ليس) تُفيد ان

الأستغراق و الشُّمول و عليه فالمعنى أنه لم يكن فى العَرَبِ أَحَدٌ يَقْرَأُ كِتَاباً إِى كِتَابٍ كَانَ قِضَاءً لِحَقِّ الْعِبَارَةِ، فَقَوْلُهُ إِنَّ الْمَرَادَ بِالْعَرَبِ جَمَاهُورَهُمْ لَامَعْنَى لَهُ الْآ عَلَى سَبِيلِ التَّغْلِيْبِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فَحَمَلَ الْكَلَامَ عَلَيْهِ يَكُونُ مَجَازاً وَ قَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ فِى دَوْرَانِ الْأَمْرِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَ الْمَجَازِ فَالْحَقِيقَةُ أَوْلَى مُضَافاً إِلَى أَنَّ الْمَجَازَ لَا يَتَطَّرَقُ إِلَيْهِ إِلَّا مَعَ وَجُودِ الْقَرِينَةِ وَ لاقرينة فى المقام فيرجع المعنى الى نفى القراءة لكل كتابٍ سواء كان الأنجيل او التوراية او غيرهما.

و ثانياً: أَنَّ الْبَحْثَ لَيْسَ فِى ثُبُوتِ التَّحْرِيفِ فِى التَّوْرَايَةِ وَ الْأَنْجِيلِ وَ عَدَمِهِ وَ لَوْ كَانَ الْمَرَادُ بِالْكِتَابِ مَا ذَكَرَهُ لِيَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ (الكتاب) بِدَلِّ قَوْلِهِ (كِتَاباً) حَتَّى تَكُونَ الْأَلْفُ وَ اللَّامُ لِلْعَهْدِ وَ حَيْثُ لَمْ يَأْتِ بِالْكِتَابِ مُعْرِفَافً وَ أَتَى بِهِ نَكْرَةً فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ كَوْنِ الْمَرَادِ مِنْهُ الْكِتَابِ الْمَعْهُودِ اعْنَى التَّوْرَايَةَ وَ الْأَنْجِيلَ.

و ثالثاً: أَنَّهُ عَلَى فَرْضِ التَّسْلِيمِ لَا يَدُلُّ عَلَى مَدْعَاهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَدُلُّ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْرَؤُنَ الْكِتَابَ بَلِ الَّذِى تَشْهَدُ بِهِ التَّوَارِيخُ هُوَ كَوْنُهُمْ عَالِمِينَ بِهِ وَ هُوَ أَعَمُّ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَ يُؤَيِّدُهُ «وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ السَّنْتَهُمْ بِالْكِتَابِ»^(١) وَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ هُوَ احْتِسَابُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ مَا لَيْسَ مِنْهُ وَ هُوَ كَمَا تَرَى أَعَمُّ مِنَ الْقِرَاءَةِ فَالْآيَةُ تُوَيِّدُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ لِأَمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْخَصْمُ.

و رابعاً: قَوْلُهُ ﷺ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ كَوْنِ الْعَرَبِ بِقَارِئِينَ كِتَاباً عَلَى مَسَلَكِنَا وَ غَيْرِ قَارِئِينَ لِلتَّوْرَايَةِ وَ الْأَنْجِيلِ الْمُنْزَلِينَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى مَسَلَكِهِ، وَ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى هُوَ ﷺ بِصَدَدِ اثْبَاتِ كَوْنِ الْعَرَبِ أُمِّيًّا لَا تَقْرَأُ وَ لَا تَكْتُبُ، وَ الْبَحْرَانِىُّ يَثْبُتُ كَوْنَ التَّوْرَايَةِ وَ الْأَنْجِيلِ مُحْرَفِينَ وَ بَيْنَهُمَا بَوُّنٌ بَعِيدٌ وَ لَيْسَ مَا ذَكَرَهُ (قَدَّهُ) شَرْحاً لِكَلَامِهِ بَلِ هُوَ مَطْلَبٌ أُخْرٍ لِأَرْبَطَ لَهُ بِالْمَقَامِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامَ الْأَمْتِنَانِ حَيْثُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى: «قَدْ بَعَثْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً»^(٢) وَ انْقَدَّ هُمْ بِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ وَ الضَّلَالَةِ وَ قَدْ قَالُوا أَنَّ الْأُمِّيَّ مِنْ لَا يَقْرَأُ وَ لَا يَكْتُبُ وَ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بَأَنَّ الْأُمِّيَّ مِنْ لَا يَقْرَأُ الْكِتَابَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فَقَوْلُهُ ﷺ لَيْسَ يَقْرَأُ كِتَاباً بِعِبَارَةٍ أُخْرَى عَنْ كَوْنِهِ

أمياً بل هو بعينه معناه. و أما قرائه الكتاب كما هو حقّه و على ما هو عليه فأمر آخر غير كونه أمياً لا يقرء اصلاً.

و يُؤيد ما ذكرناه قوله ﷺ: بعد الجملة المبحوثة عنها و (لَا يَدْعِي نُبُوَّةً) حيث أنه نكّر النبوة و لم يقل (و لَا يَدْعِي التُّبُوَّةَ) و ذلك لأن تنكير التُّبُوَّة يفيد العموم لكونها نكرة في سياق النفي فالمعنى انّ أحداً من العرب لم يدع اي نوع من انواع التُّبُوَّة فلو اتى بها معرفة كان المعنى انّ احداً من العرب لم يدع التُّبُوَّة المَعهودة و هو لا ينافي ادعائه التُّبُوَّة الغير المعهودة مع انّ المفروض نفي ادعائه التُّبُوَّة مطلقاً معهودة كانت ام غير معهودة و هذا المعنى جارٍ في قوله ﷺ كتاباً طابق النعل بالنعل و بعد اللتيا و التي المقصود من هذا الكلام هو انّ الله تعالى بعث محمداً ﷺ في زمان ليس أحد من العرب يقرء كتاباً و لا يدعى نبوة و فيه اشعار بانّ الله تعالى قد منّ عليهم في هذه البعثة لانهم كانوا في ضلالة و غواية و من كان كذلك فهو محتاج الى من يُنقذهم من الهلكات و لاشك انّ هذه من اعظم النعم الالهية على العباد كما قال في كتابه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ﴾ (١) قوله ﷺ: فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وَ بَلَّغَهُمْ مَنَاجَاتَهُمْ...

السوق الحثّ على السير من خلف عكس قادها، يقال ساق اليه المال أرسله قدمه بين يديه، و المقصود انّ الرسول ﷺ بعد ما بعثه الله تعالى اليهم ساقهم و حثهم على السير في باب السلوك الى الله تعالى و الفوز الى قربانه و في هذه الجملة امور ثلاثة:

الأمر الاول قوله ﷺ: فَسَاقَ النَّاسَ و فيه اشارة الى انه لو لا انّ الله تعالى بعثه رحمة للعالمين لكانوا في الضلالة و الهلاكة مُنغمرين و في وادي الخيرة و الدهشة منهمكين اذ لا يمكن للانسان الخروج عن الضلالة، و الدخول في الهداية الا بتوفيق منه تعالى و ارائة الطريق من قبله بسبب خلفائه في ارضه قال

الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (١)

و توضيح ذلك بحسب الاجمال هو ان الانسان مَفْطُورٌ على التوحيد
مَجْبُورٌ على معرفة بارئه و خالقه لولا العوائق و الموانع و الحُجُب الجِسمانيّة
الماديّة كما قال تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (٢) و قد قالوا في
تفسيرها ان المراد بها فطرة التوحيد الّتي ثبتت في حَقِّهم في عالم الذر حيث
قالوا بلى، في جواب ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ (٣)

الآن الانسان في هذه النشأة لكونه اسيراً في قالب البدن مُطِيعاً لقواه
الجسمانيّة منقاداً لغرائزه الشهوانيّة لا يكون له التوجه الى عُهوده، و موثيقه
الأزليّة لغلبة نوم الغفلة على حواسّه و مشاعره فلا جرم يحتاج الى من يُرشده و
يهديه الى الطّريق المُستقيم و يسوقه الى خالقه العزيز الرّحيم و هذا السائق
نُعبر عنه بالرّسول و كلّ من يقوم مقامه الى يوم القيمة فإنّ العبد في سيره و
سلوكه الى مقام القرب و نيّله و بلوغه الى مراتب الكمال لا بدّ له من التّشبّث الى
ذيلِ عناية مظهره الأتم و خليفته الأعظم اعنى رسوله المكرّم و وصيّه المعظم
واحداً بعد واحد الى يوم القيمة، فالسائق في المرتبة الأولى هو الرّسول و في
الثانية هو الوصيّ و في الثالثة هو الوليّ المرشد الذي يقوم مقام الوصيّ باذنه و
اجازته كما قال سيّدنا و مولانا خاتم الاوصياء حجّة ابن الحسن العسكريّ عليه السلام
صاحب الزّمان ارواحنا و ارواح العالمين له الفداء في هذا المقام من كان من
الفقهاء حافظاً لدينه صائناً لنفسه مخالفاً لهواه مُطِيعاً لأمر مولاه فللعوام ان
يقلّدوه و لامعنى للتقليد الا المتابعة في الأحكام و الأخذ بالفتيا في الشريعة
فالمجتهد الجامع للشرائط هو السائق للعوام في زمان الغيبة بأمر من الله و
رسوله و وصيّه.

فقوله عليه السلام: فسائق الناس المقصود منه هو حتّمهم على الطّريق و ردّهم و

مَنَعَهُمْ مِنَ الْأَنْحِرَافِ وَ هَذَا مِنْ شَأْنِ النَّبِيِّ أَوَّلًا حَيْثُ أَنَّهُ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالْعَدْلِ وَ
الْأَحْسَانِ وَ نَهَاَهُمْ عَنِ الْجُورِ وَ الْعِتْسَافِ وَ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ وَ الْغَوَايَةِ وَ
الشَّرْكِ وَ النِّفَاقِ وَ مِنْ شَأْنِ الْوَصِيِّ ثَانِيًا وَ هُوَ ظَاهِرٌ.

الامر الثاني قوله ﷺ: حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، وَ ذَلِكَ لِأَنَّ لَازِمَ سَوْقِهِمْ إِلَى
الهُدَايَةِ وَ السَّعَادَةِ وَ رَدِّعِهِمْ عَنِ الْغَوَايَةِ وَ الضَّلَالَةِ هُوَ إِعْطَاءُ كُلِّ إِنْسَانٍ حَقَّهُ وَ
جَعْلُهُ فِي مَحَلٍّ يَلِيقُ بِهِ كَمَا قَالَ ﷺ رَحِمَ اللَّهُ أُمَّةً عَرِفَ قَدْرَهُ وَ لَا يَتَعَدَّ طُورَهُ.
وَ السَّرُّ فِيهِ هُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ حُلِّيَ وَ طَبِعَهُ لَا يَعْرِفُ لِنَفْسِهِ مَحَلًّا وَ لِأَشْيَاءَ
يُنَاسِبُهُ بَلْ لَا يَرَى لِغَيْرِهِ مِنَ الْأَفْرَادِ قَدْرًا وَ لَا مَنَزَلَةً كَمَا نَشَاهِدُ فِي قَاطِبَةِ النَّاسِ لَوْ
لَا كُلَّهُمْ فَالنَّبِيُّ ﷺ بِسَبَبِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ جَعَلَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَدًّا مُعَيَّنًا
لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَجَاوَزَهُ فَلِلْعَالَمِ وَظِيْفَةٌ وَ لِلْجَاهِلِ وَظِيْفَةٌ أُخْرَى وَ لِلسُّلْطَانِ
وَظِيْفَةٌ وَ لِلرَّعِيَّةِ وَظِيْفَةٌ وَ كَذَا لِلْأَبِ وَ الْأَبْنِ وَ الْمُعَلِّمِ وَ الْمُتَعَلِّمِ وَ الْأَمْرِ وَ الْمَأْمُورِ
وَ الْأَمَامِ وَ الْمَأْمُومِ وَ هَكَذَا.

فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ عَارِفًا بِحَقِّهِ عَالِمًا بِشَأْنِهِ وَ مَا عَيَّنَهُ الشَّارِعُ لَهُ وَ التَّزَمَ بِهِ
لَا مَحَالَةَ يَكُونُ كَامِلًا مُوَافِقًا لِمَا تَقْتَضِيهِ الْإِنْسَانِيَّةُ وَ هَذَا هُوَ الَّذِي حَكَمَ بِهِ الْعَقْلُ
وَ الشَّرْعُ بَلْ هُوَ الْعِلْمُ الْغَائِيَةُ لَوْجُودِهِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يُخْلَقْ لِلْأَضْرَارِ وَ الْإِفْسَادِ
كََمَا قَالَ ﷺ:

المُؤْمِنُ مِنَ سَلِيمِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ يَدِهِ وَ لِسَانِهِ. وَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ
بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ.

فقوله ﷺ المُؤْمِنُ الخ معناه أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُفْسِدًا مُؤْذِيًا،
مُضَّرًّا لِسَائِرِ الْأَفْرَادِ بِيَدِهِ أَوْ لِسَانِهِ وَ هَذَا الْمَعْنَى لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ مَحَلِّهِ
الَّذِي عَيَّنَهُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ لَهُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى سَائِرِ الْأَفْرَادِ بَلْ بِالنَّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ
أَوْصِيَّائِهِ وَ كَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي قَوْلِهِ ﷺ بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، لِأَنَّ مَعْنَى
تَتَمِيمِ الْأَخْلَاقِ لَيْسَ إِلَّا جَعْلُ الْإِنْسَانِ فِي جَمِيعِ شُؤْنِهِ فِي مَحَلٍّ يَلِيقُ بِهِ وَ هَذَا
ظَاهِرٌ.

بل لو قلنا بأن جميع المفاسد و المضار و المعاصي و الطغيان و الانحرافات

الاخلاقية و غيرها مُترتبة على هذا الاصل اعنى التجاوز عن الحدّ و التجافى عن ميزان التوسط و الاعتدال لكان حقاً كما لا يخفى فانّ من لا يقدر على ادارة الامور الاجتماعية او الشرعية مثلاً اذا تلبّس بها و تصدّى للحكومة العرفية او الشرعية فلا يترتب على عمله الا خسراً الا ترى الى الحكام و العلماء الشوء فى طول التاريخ كيف ساقوا الناس الى الظلم و الانحراف و افسدوا و اعليهم دينهم و دنياهم و ليس هذا الا لعدم كونهم لا يقين بهذا المنصب فلو عرفوا قدرهم و منزلتهم و انهم ليسوا فى هذه المرتبة ثم عملوا بهذه المعرفة و لم يُطيعوا اهوانهم و فوضوا الامر الى من يليق به كما وقع ما وقع و هكذا الامر بالنسبة الى الاغنياء و الفقراء و سائر الطبقات و الحاصل ان المفاسد و المضار فى الاجتماع من حيث الدين و الدنيا لا تترتب الا على التجاوز عن الحدود و سياى تفصيله انشاء الله تعالى.

الامر الثالث قوله ﷺ: **وَ بَلَّغَهُمْ مُنْجَاتَهُمْ: منجاة اسم مكان للنجاة و المقصود منها هو موضع النجاة و معنى العبارة ان النبي ﷺ بعد ما بواهم محلّتهم بلّغهم المواضع التى تقع النجاة من الهلكات و الدركات فى الامور الدنيوية و الاخروية فيها فانّ شأن النبي صلى الله على و آله و سلم ارشاد الخلائق الى الهداية و السعادة و انقاذهم من الضلالة و الغواية و هذا المعنى لا يتيسر الا بعد معرفتهم مواضع الحق و الباطل و هى لا تحصل الا بسببه ﷺ اذ ربّما يتخيّل و يظنّ ان النجاة فى شىء مثلاً و الحال انها ليست فيه فتشخيص موضع النجاة و تمييزه عن غيره امر لا يمكن تحصيله الا منه ﷺ.**

قال الله تعالى: **﴿قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ﴾** (١)

و: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّٰهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾** (٢)

و: **﴿وَ مَا اتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾** (٣) و غير ذلك من

الآيات.

١. آل عمران - ٣١.

٢. الاحزاب - ٢١.

٣. الحشر - ٧.

□ قوله ﷺ: فَاسْتَقَامَتْ فَنَاتُهُمْ وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ...

الفاء للتفريع اى بعد سوجه ﷺ اياهم حتى بواهم محلثهم وبلغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم واطمأنت صفاتهم و القناة بمعنى الرمح و استقامتها عبارة عن عدم اعوجاجها ففى الكلام استعارة و ذلك لتشبيهه ﷺ امور دينهم و دنياهم بالقناة فكما ان الرمح اذا كان معوجاً لا يستفاد منه فى الحروب و لا يمكن به الغلبة على العدو فكذلك الأخلاق الذميمة و الصفات الرذيلة فى الإنسان كالرُمح المعوج حيث ان الإنسان لا يقدر على غلبة الهواء و النفس الامارة و الشيطان اللعين الأبعد اصلاحتها و استقامتها و الاصلاح لا يمكن الا بمتابعة الدين و افتقاء آثار شريعة المرسلين و هذا هو المراد بالاستقامة كما قال تعالى مخاطباً لرسوله: ﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ مَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ (١) و اما قوله ﷺ: وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ، فهو اشارة الى ان اطمينان الصفات ايضاً مسبب عن متابعتة ﷺ قولاً و عملاً و ذلك لان الأطمينان ضد التزلزل فالمراد باطمينانها هو عدم تزلزلها.

توضيح ذلك ان الإنسان لا يخلو فى جميع شتونه و اطواره من صفات سيئة كانت او حسنة الا انها تشبه من جهة الحسن و القبح فلا يدرى انه صفة حسنة حتى يصح له الاتصاف بها او قبيحة حتى لا يصح و الحاكم به انما هو الشرع لا غير فى غير المستقلات العقلية كما ثبت فى محله و عليه فكل صفة من الصفات التى عينها الشارع و امضاها فهو توجب الأطمينان و كل ما ليس كذلك فلا.

فالصفات المُطمئنة عبارة عن الصفات التى حَكَمَ الشارع بصحتها و المدح لها و الأجر عليها كالرضا و اليقين و الصبر و الخوف و الرجاء و الأمانة، و الصدق و امثال ذلك.

و ملخص الكلام هو ان الانسان فى اتصافه بالصفات المختلفة المتغايرة

من جهة حسن الاتصال بها او ببعضها يكون متزلزلاً غير مطمئن بها قبل امضاء الشارع لها واما بعد الأمضاء و التّقرير فلا قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَذَّكَّرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١) و لاشك في ان الذكر الواقعي الشامل للذكر القولي و الفعلي، و الحالى لا يتحقق الأ بعد التّخلُّق باخلاق الله و الاثّصاف بصفاته و هذا المعنى لا يوجد الأ بعد الامضاء و التّقرير الّذى من شأن النّبي ﷺ دون غيره و هذا هو المراد بقوله ﷺ: وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ و لتفصيل الكلام فيه مقام آخر هذا.

و يمكن ان يكون المراد بالأطمينان فى الصّفات رُسوخها و ثبوتها فى النّفوس فإنّ الوصف ما دام كونه غير راسخ فى النّفوس يكون متزلزلاً مضطرباً، و بعد صيرورته ملكة راسخة فيها يصير ثابتاً مطمئناً به و من المعلوم انّ الرّسوخ بالمعنى الّذى ذكرناه موقوف على اتّباع النّبي قولاً و عملاً و اتّباع سنّته بالأدامة على الطّاعات و العبادات و ترك المحرّمات على موازين الشريعة و عليه فالصّفات المُطمئنة هى الصّفات الّتى تؤخذ من الشّرع بسبب امر الشارع بها و النهى عن خلافها ثمّ الاستمرار بها طبقاً لموازين العقل و الشّرع حتّى صارت راسخة فى النّفوس و فى هذه المرتبة نُعبّر عنه بالصّفات المُطمئنة و الله اعلم بحقائق الأمور.

□ قوله ﷺ: أَمَا وَ اللَّهُ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحِذَائِهَا مَا عَجَزْتُ وَ جَبَنْتُ ...

شبهه ﷺ: امر الجاهليّة إمّا بعجاجةٍ نائرة مهيجّة او بكتيبةٍ مُقبلة للحرب فقال ﷺ: أَنَّى طَرَدْتَهَا وَ مَنَعْتَهَا فَوَلَّتْ بَيْنَ يَدَيَّ وَ لَمْ أَزَلْ سَاقَتِهَا أَنَا أَطْرَدُهَا وَ هِيَ تَنفِرُ أَمَامِي حَتَّى تَوَلَّتْ هَارِبَةً بِحِذَائِهَا وَ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ مَا عَجَزْتُ مِنْ سُوقِهَا وَ لَا جَبَنْتُ مِنْ طَرَدِهَا هَكَذَا قِيلَ فِي مَعْنَى الْعِبَارَةِ.

اقول: ما ذكروه فى شرح كلامه ﷺ لا يُسمن و لا يغنى و ذلك لانه ﷺ لم يَكُنْ بعد النّبي ﷺ فى سَاقَتِهَا ظاهراً حتّى صَحَّ ما ذكروه بل الحقّ فى المقام

على ما يقتضيه سياق الكلام هو ان المراد من هذه العبارة الأيماء و الإشارة الى ما وقع بعد النبي ﷺ من الأمة في موضوع الخلافة و ما جرى في السقيفة الملعونة.

و توضيح ذلك على طريق الاجمال هو انه ﷺ ذكر في صدر الخطبة ان الله سبحانه بعث محمداً ﷺ الى الخلائق كافة لأرشادهم و هدايتهم الى الطريق المستقيم و ان كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبينٍ و هذا ممّا لا كلام فيه ثم ان النبي ﷺ بيّن لهم طريق الهدى و عيّن لهم سبيل السعادة في دينهم و دنياهم و بلّغ الاحكام الشرعية و النواميس الالهية من العبادات و المعاملات و السياسات و غيرها ممّا يحتاج اليه البشر الى يوم القيمة الا ان اللب في هذه الاحكام الذي تدور الاحكام و الأعمال مداره هو الأمامة، و الوصاية بعده ﷺ لعلي و اولاده الى هذه الدقيقة اشار الله تبارك، و تعالى في كتابه حيث قال مخاطباً لنبيه ﷺ في يوم الغدير: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» (١)

فانظر كيف وعد الله نبيه ﷺ و هدده حيث قال: «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ» (٢) ، و من المعلوم ان المراد بقوله: ما انزل إليك من ربك هو الولاية لعلي ﷺ و اولاده المعصومين بعد النبي لا غيرها من الاحكام كما تشهد به الروايات من العامة و الخاصة و قد فرغنا عن البحث فيه و قد صنّفوا في حديث الغدير كتباً مفصلةً من الطرفين و كفاك في اثباته بعد التواتر كتاب العبقات و الغدير و غيرهما من تصانيف الشيعة ضاعف الله اجرهم رضوان الله عليهم اجمعين.

والذي يُسهّل الختم هو ان النبوة لا تكمل الا بالولاية و الوصاية فالنبوة هي القشر و الأمامة هي اللب فلافائدة في الأقرار بها دونها و قد خاب من افترى. اذا عرفت هذا و احطت خبراً بما تلوناه عليك فقد دريت ان المقصود من

العبرة هو غير ما ذكروه بل المراد شييء آخر وهو غصب الخلافة على التفصيل المذكور في محلة.

فكانه عليه السلام قال لو كنت بعد النبي ﷺ متصدياً لامر الخلافة الظاهرة و كنت انا السائق ليرعى الأمة و القائد لجند الشريعة كان الأمر على غير هذا المنوال الذى تزونه الآن فانى لست بعاجز و لا جبان فى صراط الحق فهو عليه السلام شبه الناس فى زمان الجاهلية بالعسكر و الرسول صلى الله عليه وآله بأمرها و قائدها و الصفات الموجودة فى الأفراد بالرماح و صلاح الصفات باستقامتها التى توجب الغلبة على الخصم.

ثم ان الرسول ﷺ حيث مات كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (١) فلامحالة لا بد للعسكر من قائد و أمر و هذا القائد ينبغى ان يكون متصفا بصفات الرسول و هو لا يكون الا نفسه الشريفة فانه الذى لاتأخذه فى الله لومة لائم و لم يقدر على ارجاع الأمة عن الضلالة الى الهدى أحد بعد النبي ﷺ الا هو عليه السلام كما اعترف به عمر ابن الخطاب حين موته على ما نقله الشارح المعتزلى و غيره من المؤرخين و على هذا المعنى الذى ذهبنا اليه فقد يرجع كلامه عليه السلام الى التأسف و التّحزن على ما وقع بعد النبي ﷺ منهم بشوء سريرتهم واختيارهم و ما ربك بظلام للعبيد و لكن كانوا أنفسهم يظلمون.

و عليه فالضمير فى قوله عليه السلام (لفى ساقتهما، يرجع الى العرب وكذا لقول فى قوله عليه السلام: ﴿بِحَذَافِيرِهَا﴾ و يؤيد ما ذكرناه من المعنى قوله عليه السلام: ﴿فَسَاقَ النَّاسِ﴾، فى صفة النبي، ثم اثباته لنفسه بعده المشعر بكونه نفس النبي قوله عليه السلام انت أخى و وصيى الحديث، و ﴿وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ﴾ (٢)، و لذلك عقب قوله هذا بقوله عليه السلام: ﴿مَا عَجَزْتُ وَ جَبَنْتُ اى كما ان الرسول لم يكن عاجزا عن ارشادهم و هدايتهم فى بعثته او خائفاً فى وحدته و غربته فكذلك ائى ما كنت عاجزاً و لاجباناً فى الهداية و الارشاد حتى لو تولت العرب بحذافيرها لم يوجب فى

عزى وهناً و لافى ارادتى و تصمىمى فشلاً و حيث انه ﷺ لم يدع ما ادعاه جزافاً و لاعبثاً بل كان مدعاه مقروناً بالحق و القطع صدر كلامه بواو القسم و اسم الجلالة مُشعراً بكون ما ادعاه ممّا لا ريب فيه عنده و هو كذلك فتأمل.

□ قوله ﷺ: وَ اَنَّ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا وَ لا تُقْبَنُ الباطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ خَاصِرَتِهِ (جنبه)...

ثم انه ﷺ بعد قوله: أَمَا وَاللَّهِ الْخ. اردف الكلام بقوله ﷺ: وَ اَنَّ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا الى آخر ما قال و حاصل ما افاد فى المقام هو ان مسيرى هذا الذى ترونه و تنكرونه على لمخالفتى طريق الخلفاء الثلاثة فى تقسيم بيت المال و انكار البدع الحادثة فى الدين لمثلها اى لمثل النبوة فى هذا الأمور فانه لافرق بين مسيرى هذا و مسير صاحب الدعوة و عليه فالضمير فى قوله (لمثلها يعود الى النبوة او صاحب الدعوة).

و اما على مسلك غيرنا من شارحى كلامه فانه يعود الى الحال التى كان ﷺ عليها فى زمن الرسول من سوق كتابهم و طردها من غير ضعف و لاجبن، فما ذكره فى شرح الجملة و مرجع الضمير و ان كان ممّا لا بأس به الا ان ما ذكرناه و ذهبنا اليه اليق و اوفق بسياق العبارة لوجوه:

احدها: ان مرجع الضمير لا بد من ذكره مقدماً عليه اما لفظاً او معنى او حكماً ثبت ذلك فى علم النحو بالاتفاق و كلمة الحال التى ارجعو الضمير اليها لم تتقدم لالفظاً و لامعنى و لاحكاماً كما هو واضح.

وثانيها: ان ما ذكره فى مرجعه من سوق كتابهم و طردها من غير ضعف و لاجبن و ان كان حقاً ثابتاً فى شأنه فى حياة النبى الا ان البحث ليس فيه فانه من وظائف الرسول ما دام حياً لانه ﷺ كان سائقاً راعياً للأمة فى حياته فلامعنى لاثباته هذا المعنى لنفسه فى ذلك الزمان اذ هو خروج عن طور البحث.

وثالثها: ان المقصود من هذا الكلام هو اثبات سيرة النبى صلى الله عليه و آله لنفسه الشريفة بعده اداءً لحق المؤاخاة و قضاء لوظيفة الوصاية و الامامة و

هذا المعنى لا يثبت بما ذكروه كما هو واضح اذ المخالف لسيرته ﷺ بعد النبي يُنكر سيرته ﷺ في حياته ايضاً فلافايدة في هذا الكلام و هذا واضح على المتأمل فلانحتاج الى تفصيل الكلام فيه.

و اما قوله ﷺ: «و لا تُقَبِّن الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته...»

و في بعض النسخ (وَ لا يُقَرِّن) و المأل واحد، فانَّ البقر في اللغة هو الخرق و النقب ايضاً جاء بهذا المعنى و على اى التقديرين المقصود من هذا الكلام هو التحقيق و التفتيش في الأمور الباطلة حتى يخرج الحق من خاصرته و انه ﷺ لم يتبع الباطل قط و فيه اشعار بوجود الباطل في زمانه و هو كذلك لان قاطبة الناس بعد النبي ﷺ رَجَعُوا في دينهم الى الجاهلية عملاً و تركوا ما أمرُوا به كقوله تعالى: «وَمَنْ يُعْقِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنُيَضِرَّ اللَّهَ شَيْئًا، وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» (١)

□ قوله ﷺ: «مَا لِي وَ لِقُرَيْشٍ وَ اللَّهُ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ وَ اِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا اَنَا صَاحِبُهُمْ الْيَوْمَ...»

كلمة (ماء) استفهامية و المقصود ان قريشاً لاى شىء يجحدون فضيلتى و يستحلون محاربتى و يتقضون بيعتى، و الله، لقد قاتلتهم اى قريشاً في حياة النبي ﷺ حالكونهم كافرين بالله و رسوله كُفِر الجُحود فقاتلتهم بأمر من الله و رسوله حتى قالوا لا اله الا الله مُحَمَّد رسول الله، و الآن بعد النبي ايضاً اقاتلهم بالأفتنان و البغى ليرجعوا من الباطل الى الحق ويستنبط من كلامه هذا امور لا بأس بالاشارة اليها اجمالاً.

احدها قوله ﷺ: «مَا لِي وَ لِقُرَيْشٍ...»

ففيه ايماء الى ان قبيلة قريش مع انه كان منسوباً بها بل كان في صدرها لم ينصفوا له حق الانصاف بل رفضوه و تركوه و أجهزوا عليه و هذا خلاف المترقب منهم فان المترقب منهم مساعدتهم اياه و نصرتهم له كما هو شأن

الاقارب و المنتسبين الا انهم حسدوا عليه لمكانته ﷺ في الاسلام و تقربه الى الله و رسوله و جامعته للصفات الكمالية و بلوغه الى اقصى مراتب الانسانية فكأنهم نسوا ما قال الله تعالى في كتابه الكريم حيث قال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾ (١)

و ثانيها قوله ﷺ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ...

و فيه اشعار بان هؤلاء القوم لم يدخلوا في الاسلام بالطوع و الرغبة بل دخلوا فيه بالجبر و الكراهة و الدليل عليه هو الغزوات و الحروب الواقعة في زمن النبي ﷺ و هجرته ﷺ الى المدينة و حيث انهم لم يقدروا على اطفاء نور الله فلامحالة تفوهوا بالشهادتين صوناً لديمائهم و اموالهم و اعراضهم فلما وجدوا على اجراء مقاصدهم و احياء سننهم من الشرك و الظلم و الكفر و الفساد اعواناً و انصاراً رجعوا عما كانوا عليه من الاسلام الظاهري عملاً و حاربوا اتباع الحق و قد غفلوا عن ان الله تبارك و تعالى: ﴿مَتِّمْ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٢) ، و يؤيّد ما ذكرناه قوله ﷺ: وَ لَأَقَاتِلَنَّاهُمْ مَفْتُونِينَ.

و ذلك لانهم لو كانوا اسلموا واقعاً عن خلوص و عقيدة فلامعنى لمخالفتهم اياه بعد النبي ﷺ فان الاسلام هو التسليم لله و لرسوله في جميع الشئون و المراتب قال الله (تعالى): ﴿وَ مَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ اَقَابِنُ مَاتَ اَوْ قُتِلَ اِنْقَلَبْتُمْ عَلَى اَعْقَابِكُمْ﴾ (٣)

و حيث انهم انقلبوا بعد النبي ﷺ على اعقابهم فلا مُحالة قد خرجوا من حقيقة الاسلام فلا بد للأمام من ارجاعهم الى الحق ليفيئوا الى امر الله و لذلك قاتلهم بعد النبي ﷺ كما قاتلهم في حياته الا ان قتاله ﷺ اياهم في صدر الاسلام على تنزيل الكتاب و بعد النبي ﷺ على تأويله و كلاهما حق لامرية

٢. الصف - ٨.

١. نساء - ٥٢.

٣. آل عمران - ١٤٤.

فيه و قد اخبر به النبي ﷺ في موارد كثيرة نشير الى جُملة منها.
 روى في البحار باسناده عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال رسول الله ﷺ لام سلمة اشهدى على ان علياً يُقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين.
 و روى ايضا باسناده عن ابن عباس قال لما نزلت يا ايها النبي جاهد الكفار و المنافقين قال النبي ﷺ لأجاهدُ العمالقة يعنى الكفار و المنافقين فاتاه جبرئيل فقال انت او علي عليه السلام انتهى...

و روى ايضا باسناده عن ابي عبدالله عليه السلام عن ابيه قال عليه السلام بعث الله محمداً بخمسة أسياف ثلاثة منها شاهرة و سيفٌ منها مكفوفٌ و سيفٌ منها سلّة الى غيرنا و حكمه اليه، ثم قال اما السيف المكفوف فسيفٌ على اهل البغى و التأويل...

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدِيهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ (١) فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ان منكم من يقاتل بعدى على التأويل كما قاتلت على التنزيل فسئل النبي من هو فقال خاصف النعل يعنى امير المؤمنين. فقال عمار ابن ياسر قاتلت بهذه الآية مع النبي ﷺ ثلاثاً و هذه الرابعة و الله لو ضربونا حتى بلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا انا على الحق و انهم على الباطل الخبر.

و روى ايضا باسناده عن الرضا آبائه عليهم السلام قال قال عليٌ امرت بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين انتهى...

و روى ايضا باسناده عن ابن عباس (ره) ان علياً كان يقول فى حياة رسول الله ﷺ ان الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (٢)

قال عليه السلام: و الله لانقلب على اعقابنا بعد اذ هدينا الله و الله لئن مات او قتل لاقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت و الله انى لأخوه و ابن عمه و وارثه فمن

مفتاح السعادة فى شرح نهج البلاغة

أَحَقُّ بِهِ مِنِّي أَنْتَهَى.

وأيضا بإسناده عن أبي ذر الغفاري قال كنتُ مع رسول الله ﷺ وهو في بقيع الغرقد فقال و الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ فِيكُمْ رَجُلًا يُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى تَنْزِيلِهِ وَ هُمْ فِي ذَلِكَ يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ فَيَكْبِرُ قَتْلَهُمْ عَلَى النَّاسِ يَطْعَنُوا وَلِيَّ اللَّهِ وَ يَسْخَطُوا عَمَلَهُ كَمَا سَخِطَ مُوسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَمْرَانُ خَرَقَ السَّفِينَةَ وَ قَتَلَ الْغُلَامَ وَ أَقَامَةَ الْجِدَارِ وَ كَانَ خَرَقَ السَّفِينَةَ وَ قَتَلَ الْغُلَامَ وَ أَقَامَةَ الْجِدَارِ اللَّهُ رَضِيَ وَ يَسْخَطُ ذَلِكَ مُوسَى أَنْتَهَى...

و بإسناده أيضا عن أبي سعيد الخدري قال خرج إلينا رسول الله ﷺ و قد انقطع شسع نعله فدفعها إلى عليّ يصلاحها، ثمّ جلس و جلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير فقال إن منكم لمن يُقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ الناس على تنزيله فقال أبو بكر أنا هو يا رسول الله قال لا فقال عمر أنا هو يا رسول الله فقال لا و لكنّه خاصف النعل فأتينا علياً بنشره بذلك فكان لم يرفع به رأساً فكانه قد سمعه قبل الخبر و الأحاديث كلّها مروية في البحار «ج ٨، ص ٤٥٤ و ٤٥٥»...

و المقصود من ذكر هذه الروايات مع أنّها بالنسبة إلى ما لم نذكر كالقطرة في جنب البحر هو أنّ قوله ﷺ: وَ اللَّهُ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَ لَأَقَاتَلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ أمرٌ لا مريّة في صحته و قد جرى به القلم و نطق به الرسول المكرم بقى الكلام في تعبيره ﷺ عنهم بكونهم مفتونين و أنّه ما المراد به.

قال الشارح المعتزلي في شرحه في هذا المقام لأنّ الباغي على الامام مفتون فاسق و هذا الكلام يؤكد قول اصحابنا أنّ اصحاب صفين و الجمل ليسوا بكفار خلافاً للأمامية فإنهم يزعمون أنّهم كفار انتهى موضع الحاجة من كلامه. اقول: و قد اجاب عنه الشارح الخوئي (قدّه) بما حاصله: أنّ الأمر ليس على ما ظنّه المعتزلي و نسبه إلى الامامية فإنّ الامامية لم يحكموا بكفرهم بمعنى أنّهم كسائر الكفار من المشركين و منكري الرسالة و سائر ما ثبت ضرورة من دين

الاسلام و الأَ لَحَكْمُوا بجواز سبى ذراريهم و تملك نساءهم و اموالهم الغير المنقولة كسائر الكفار من اهل الحرب مع أنهم قد اجمعوا على عدم جواز شىء من ذلك.

ثم نقل (قده) من اصحابنا الامامية القول بالتفصيل فى البغاة بين ذوى الفتنة كاصحاب الجمل و معاوية و بين غيرهم كالخوارج حيث قالوا فى الاولين باجهاز جريحهم و اتباع مدبرهم و قتل اسيرهم و فى الآخرين بوجوب الاكتفاء بتفريقهم من غير ان يتبع لهم مدبراً و يقتل لهم اسيراً او يجهز على جريح و لم يختلفوا ايضا فى قسمة اموالهم التى حواها العسكر بل حكّموا فى كل ذلك بحكم الكافر الحربى ثم قال (قده):

و مما ذكرنا ظهر ما فى كلام المورد ايضا مضافاً الى ما فيه من انه لو كان المراد بالمفتون فى كلامه عليه السلام هو المرتد عن دين الاسلام على ما فهمه المورد لزم الحكم بعدم قبول توبة اكثر البغاة لو تابوا على الفطرة مع انه لم يحكم أحد بذلك ثم ذكر (قده) بض الروايات الدالة على اثبات ما ذكره.

و انا اقول: كلامنا فى المقام يقع فى فصلين:

الفصل الاول: فى معنى المفتون و المقصود به.

و الفصل الثانى: فى حكمه.

اما الفصل الاول فنقول: اعلم ان كلمة مفتونين جمع مفتون و هو اسم مفعول من فتن الرجل اذا وقع فى الفتنة قال فى المنجد فتن فتنةً و مفتوناً فلاناً أضله و قال الفتنة مصدر الخيرة الضلال و الكفر النصيحة المحنة الجنون العذاب المرض المال و الأولاد اختلاف الناس فى الآراء و ما يقع بينهم من القتال ج فتن انتهى.

و قال فى المجمع الفتنة فى كلام العرب الأبتلاء و الامتحان و الاختيار و اصله من فتنت الفضة اذا دخلتها فى النار لتتميز، و قال الفتنة اسم يقع على كل شرّ و فساد انتهى و قال ابن الأثير و قد كثر استعمالها فيما اخرجها الاختبار للمكروه ثم كثر حتى استعمل بمعنى الأثم و الكفر القتال و الأحراق و الأزالة و

الصَّرف عن الشَّيء انتهى.

و قال في لسان العرب ج ١٣ مادة فتن قال ابن الأعرابي الفتنة الاختبار و الفتنة المحنة و الفتنة المال و الفتنة الأولاد و الفتنة الكفر و الفتنة اختلاف النَّاس بالأراء الأحرار بالنار و قيل الفتنة في التأويل الظلم انتهى موضع الحاجة منه. و بما ذكرناه من اقوال ارباب اللُّغة فقد ظَهَرَ لك ظاهراً أنَّ كلمة فتنة محتملة لهذه المعانى كلها فقولهُ ﷺ: مَفْتُونِينَ يحتمل كل واحد من المعانى و من جملتها الكُفر فان ثبت لنا أنه ﷺ اراد منها الكفر فهو دليل على كون البغاة من اصحاب صفين و اصحاب الجمل و النهروان و كل من كان مقاتلاً له محارباً اياه من الكفار و الأ فلا و حيث أنَّ اللفظ محتمل للمعانى المذكورة كلها على حد سواء و حملهُ على الكفر فقط يحتاج الى دليل و حيث ليس فليس فلا يمكن لنا حملهُ عليه دون غيره فاثبات كفرهم من هذا الكلام مُستبعد جداً اللهم إلا ان يراد من الكفر كُفر الجُحود لا الكُفر فى مقابل الاسلام و هو و ان كان صحيحاً إلا أنه لا يثبت المدعى فلا بد لنا من اثبات كفرهم بدليل آخر و عليه فالظاهر أنَّ المراد بقوله ﷺ: مَفْتُونِينَ الضالين المضلين المُختلفين بالأراء المُعرضين عن الحقِّ الباغين عليه ﷺ.

الفصل الثَّانى: فى حكم المَفْتونين و ذكر الاقوال فيه و قد علمت أنَّ المراد

بهم البُغاة و قد اختلفوا فى حكمهم على اقوال:

احدها: ما ذهب اليه المحقق الطوسى (قدّه) فى التجريد حيث قال: فيه

مُحاربوا على كُفرة و مخالفوه فسَّقة انتهى.

و ثانيها: ما ذهب اليه الشافعى من أنَّ الباغى ليس باسم ذمُّ بل هو اسم من

اجتهد فأخطأ بمنزلة من خالف الفقهاء فى بعض المسائل.

و ثالثها: ما ذهب اليه شارح المقاصد حيث قال و الخالفون لعلى بُغاة

لخروجهم على امام الحقِّ بشبهة من ترك القصاص من قَتلة عثمان و لقوله ﷺ

لِعَمَّار تَقْتُلُكَ الفئة الباغية و قد قُتل يوم صفين على يد اهل الشَّام و ليسوا كفاراً

و لافسَّقة و ظلَّمة لِمألهم من التأويل و ان كان باطلاً فغاية الأمر أنَّهم أخطأوا فى

الأجتهاد و ذلك لا يوجب التفسيق فضلاً عن التكفير.

ورابعها: ما ذهب اليه المعتزلة من انه اسم ذمٌ و يُسمّونهم فساقاً.

وخامسها: ما ذهب اليه الزيدية و النظام من المعتزلة و ابوحنيفة و ابويوسف و بشر المريشى من المرجئة بقولهم انه عليه السلام كان مُصيباً في حروبه بعد النبى و ان من قاتله كان على خطأ إنتهى.

اذا عرفت الاقوال الواردة في البغاة فاعلم ان الحق في المقام مع اصحابنا الأمامية رضوان الله عليهم اجمعين و قد اتفقوا على كُفر البغاة اعنى المحاربين له عليه السلام و الأخبار الواردة الدالة على المدعى متظافرة لو لم تكن متواترة و قبل الخوض في الأدلة لا بد لنا من اثبات فساد ما ذهب اليه المخالف فنقول:

اما ما ذهب اليه الشافعى من ان الباغى ليس باسم ذم بل هو اسم من اجتهد فإخفاً ففيه ان ما ذهب اليه مخالف لصريح اللغة فان ارباب اللغة قد صرحوا بكون الباغى هو الظالم المتعدى و اى ذم اقبح من الظلم و الغنى قال فى المنجد بغى بغو تعدى و جنى و قال بغى بغاء و بغيا و بغية و بغية، الرجل عدل عن الحق عصى عليه استطال عليه و ظلّمه فهو باغ ج بغاة و بغيان.

و قال ايضا باغت الأمة بغاءً و مباغاةً، زنت و قال ايضا البغى الظلم و الجناة العصيان الفساد، و قال البغى المرثة الزانية الفاجرة، انتهى.

و اصرح مما ذكره فى المنجد ما ذهب اليه ابن الأثير و هو امام اللغويين و من اعظم العامة فى نهايته قال و فى حديث عمّار تقتله الفئة الباغية هى الظالمة الخارجة عن طاعة الامام و اصل البغى مُجاوزة الحد ثم قال يقال بغت المرثة تبغى بغاء بالكسر اذا زنت فهى بَغى جعلوا لبغاء على زنة العيوب كالحران و الشر او لان الزنا عيب انتهى.

انظر كيف صرح بان الباغية هى الظالمة الخارجة عن طاعة الامام و كذا قوله لان الزنا عيب.

و قال فى لسان العرب مادة بغاء ج ١٤ يقال فلان يبغى على الناس اذا ظلّمهم و طلب اذا هم و الفئة الباغية هى الظالمة الخارجة عن طاعة الامام

العادل و قال ايضا: البغى التّعدى. و قال: بَغَتِ المرثة تبغى بغاء اذا فَجَرَتْ انتهى.

و لست ادري من اين أخذ الشافعى هذا القول و كيف خالف اللغويين فيه مع انه من فُصحاء العرب فلو قال بهذه المقالة ابو حنيفة و اشباهه لما تَعَجَّبَت منهم لعلمى بقلّة احاطتهم و قصور اطلاعهم على لغة العرب و اما الشافعى فهذا القول منه عجيب اللّهمّ الا ان يقال ان الرّنا ليس فيه ذمّ على مسلكه و مذهبه و هو ليس منه و من امثاله بيعيد.

و اعجب من انكاره الباغى اسم ذمّ قوله بانه اسم من اجتهد فاخطأ مع انه لم يتقل هذا المعنى أحد من العرب غيره كما تشهد به كتب اللّغة فعلى مسلك الشافعى يحمل ﴿وَلَا تَكْرَهُوا فِتْيَانِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ اِنْ اَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾^(١) على الأجتهد اذا كانت مخطئة و هل عاقل يتفوّه بهذه الاباطيل و الموهومات و لنعم ما قيل:

اذا كان الغراب دليل قوم سيهديهم سبيل الهالكين
و اما قول شارح المقاصد فهو ايضا لا طائل تحته بل هو ايضا من الاباطيل و
دليلة او هن من بيت العنكبوت و ذلك لانه لو كانت الشبهة او وجود التأويل و
ان كان باطلا مانعة عن الكفر و الأرتداد لامكن مثل ذلك فى التوحيد و النبوة
ايضا و عليه لو اشتبّهت النبوة او التوحيد على شخص و تخيل ان الرسول كان
كاذباً فى نبوته و الله تعالى فى الوهيته و فردانيته فحارب النبى ﷺ لاجل
الشبهة و انكر التوحيد كذلك فهو بزعم المقاصد ليس بفاسق و لا ظالم فضلا
عن الكفر لماله من التأويل فهل يترنم بهذه الأوهام الشيطانية الأ شارح
المقاصد و اشباهه ممن لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم آذان لا يسمعون بها و
لهم أعين لا يبصرون بها اولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلاً و من يضل الله
فماله من هاد.

و اما قول المعتزلة فلم يذكروا دليلاً على مدعاهم و انه ما المانع من كفرهم

و كونهم فساقا و حيث لادليل لهم عليه فهو مردودٌ عليهم بعد مُساعدة اللّغة
على أنّ الباغي يقال على الظالم الخارج عن طاعة الأمام العادل و الخارج عن
طاعة الرّسول ﷺ فقوله: لعليّ حربك حربى و سلّمك سلّمى و لاشكّ أنّ
محارب الرّسول كافر فكذا محارب الأمام بعده فالقول بالفسق فقط لادليل
عليه اللّهمّ الآ ان يقال أنّه من قبيل الأجتهد فى مقابل النصّ و هو كما ترى.

و اما قول الزيدية و ابو حنيفة و امثالهم فهو ايضا لا يرجع الى محصل فانهم
لم يُصرّحو بأنّ المحارب له ﷺ فاسقٌ او كافرٌ مُجرّد الحكم بكونه على خطأ
لا يكفى فى اثبات الحكم لانه محتمل بكلا المعنيين هذا.

فاذا بطل الاقوال كلّها فما ذهب اليه علماءنا رضوان الله عليهم اجمعين هو
الحقّ الحقيق بالاتباع و هو أنّ البغاة كانوا كفّار او لتقدّم اليك بعض الاقوال
الواردة منهم فنقول منهم من صرّح بكفرهم و منهم من قال بفسقهم. فممن
صرّح بكفر البغاة هو المحقق الطوسى (قدّه) فى التجريد كما عرفت حيث قال
محاربوا عليّ كفرة و مخالفوه فسقة.

قال القوشجى و هو من اعظم العاقمة فى شرحه لهد الكلام اعنى قوله
محاربوا عليّ كفرة ما هذ الفظه لقوله ﷺ حربك حربى يا على و لاشكّ أنّ
محارب رسول الله ﷺ كافر انتهى.

و قال فى شرح قوله و مخالفوه فسقة لأنّ حقيقة امامته واضحة فمتابعه
واجبة فمن خالفه يكون مخالفا لسبيل المؤمنين و من يتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولّى و تُصله جهنّم و سائت مصيراً، ثمّ قال و الحقّ أنّ محارب عليّ
يكون مُخطئاً ظاهراً فيكون من الفئة الباغية ان كانت محاربتة عن شبهة و كذا
محارب كلّ واحدٍ من الخلفاء الراشدين و اما مخالفته فلا يكون خارجاً عن
قسمين: اما ان يكون عن اجتهاد او لا يكون فان كان الاوّل فالظاهر أنّ خطائه
لا ينتهى الى التّفسيق لانه مُجتهد و المُخطىء فى الاجتهاد لا يكون فاسقاً و ان
كان الثّانى فلاشكّ فى فسقه و كذا مخالفة ساير الخلفاء الراشدين انتهى.

و انت خبير بما فيه فان الاجتهاد فى الاحكام الفرعية المُستنبطة عن ادلتها

التفصيلية لافى الاصول المسلمة التى لا بد لكل مسلم الاعتقاد بها و الامامة من
 الاصول على التحقيق و لو تنزلنا فى كونها من الاصول ايضا لامحل للاجتهاد
 فيها لان النص من النبى ﷺ فيها موجود كما اعترف به الخصم فى قوله
 حربك حربى و سلمك سلمى و لاشك ان الاجتهاد فى مقابل النص باطل و ان
 كان فى الفروع فما ذهب اليه القوشجى و سماء تحقيقاً خلاف التحقيق و
 الانصاف، ثم ضم الخلفاء الراشدين على زعمه الى امير المؤمنين عليه السلام الذى
 نص الرسول على امامته من قبيل الاجتهاد الذى ادعاه و الا فلما معنى لقوله هذا
 مع اتفاقهم على عدم كون الخلفاء منصوصين بالامامة من قبل النبى ﷺ و
 لاشك ان الباغى لا يصدق على كل خارج على السلطان و الحاكم الجائر فى
 الناس او غير الجائر فان البحث فى المحارب و الخارج على الامام المنصوص
 لامطلق من يدعى الامامة.

و منهم الشيخ الطوسى (قده) و هو ايضا من اعظم اصحابنا الامامية
 قال (قده) فى كتابه المسمى بتخليص الشافى ما هذا لفظه عندنا ان من حارب
 امير المؤمنين عليه السلام و ضرب وجهه و وجه اصحابه بالسيف كافر و الدليل المعتمد
 فى ذلك اجماع الفرقة المحقة من الامامية على ذلك فانهم لا يختلفون فى
 هذه المسئلة على كل حال من الأحوال و قد دللنا على ان اجماعهم حجة فيما
 تقدم و ايضا فنحن نعلم ان من حاربه كان منكراً لاماته و دافعاً لها و دفع الامامة
 كفر كما ان دفع النبوة كفر لان الجهل بها على حد واحد و قد روى عن
 النبى ﷺ انه قال من مات و لم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية و ميتة
 الجاهلية لا يكون الا على كفر.

و ايضا روى عنه عليه السلام انه قال حربك حربى يا على و سلمك سلمى و
 معلوم انه عليه السلام انما اراد ان احكام حربك يماثل احكام حربى و لم يرد عليه السلام ان
 احدى الحربين هى الأخرى، لان المعلوم ضرورة خلاف ذلك و اذا كان
 حرب النبى كفراً و جب مثل ذلك فى حرب امير المؤمنين عليه السلام لانه جعله مثل

حَرَبه، و يدلُّ عل ذلك ايضاً قوله عليه السلام: اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و نحنُ نعلم انه لا يجب عداوة احد بالأطلاق الأعداوة الكفار و ايضاً ان كان يقاتله يستحل دمه و يُتقرب الى الله بذلك، و استحلال دم امرئ مسلم كُفر بالأجماع و هو اعظم من استحلال حُرمة الخمر الذي هو كفر بالاتفاق ثم قال (قدّه):

فان قيل لو كانوا كفار الوجِب ان يسير فيهم بسيرة الكفار، فيتبع موليتهم و يُجهز على جريحهم و تُسبى ذراريهم فلما لم يفعل ذلك دلّ على انهم لم يكونوا كفاراً.

فلنا لا يجب بالتساوى فى الكفر التساوى فى جميع احكامه، لان احكام الكفر مُختلفة فحكم الحربى خلاف حكم الذمى و حكم اهل الكتاب خلاف حكم من لا كتاب له من عبده الاصنام فان اهل الكتاب يؤخذ منهم الجزية و يُقرّون على اديانهم و لا يفعل ذلك بعُباد الأصنام و عند من خالفنا من الفقهاء يجوز التزوج الى اهل الذمة و ان لم يجز ذلك الى غيرهم و حكم المُرتد بخلاف حكم الجميع و اذا كان احكام الكفر مختلفاً مع الاتفاق فى كونه كُفراً لا يمتنع ان يكون من حاربه عليه السلام كافراً و ان سار فيهم بخلاف احكام الكفار و فعله عليه السلام حُجّة فى الشرع بما ثبت من امامته و عصمته فيجب ان يكون سيرته فيهم هو الذى يجب العمل به و الاعتقاد لصحّته و قد استوفينا الكلام فى هذه المسئلة فيما تقدّم انتهى.

اقول: و قد تبع المحقق الطوسى و الشيخ (قدّهما) كثير من اصحابنا الامامية ممن يطول الكلام بذكرهم و من اراد الاطلاع عليها فليرجع الى مظانها فى الكتب المفصلة.

و مع ذلك كلّه، فقد قال كثير من الفقهاء بفسقهم و انهم ليسوا بكافرين و هو المشهور بينهم و لاسيما المتأخرين منهم.

قال العلامة الحلى (قدّد) فى شرحه لتجريد الاعتقاد عند قول

المصنّف (قدّه) و مُحاربوا على كفره، ما هذا الفظه: فقد اختلف قول علمائنا فيهم فمنهم من حكم بكفرهم لانهم رَفَعُوا ما عَلِم ثبوته من الدين ضرورةً و هو النصّ الجليّ الدال على امامته مع تواتره، و ذهب آخرون الى انهم فسقة و هو الاقوى ثم اختلف هؤلاء على اقوال ثلاثة:

احدها انهم مُخلّدون في النار لعدم استحقاقهم الجنّة، الثّاني قال بعضهم انهم يخرجون من النار الى الجنّة، الثّالث ما ارتضاه ابن تويخت و جماعة من علمائنا انهم يخرجون من النار لعلام الكفر الموجب للحلود ولا يدخلون الجنّة لعدم الايمان المقتضى لاستحقاق الثواب التحقيق في المقام هو القول بالتفصيل فان قلنا بان الا ما قد من ضروريات الدين كالصوم والصلاة غيرهما لمنكر لهما كافر بلا كلام لان منكر الضروري كافر يا صماع الفقهاء وان قلنا بانها من اصول المذهب فلا والحقّ عندي هو الثّاني تبعاً للمشهور من علمائنا الامامية فانّ الاسلام هو الأقرار بالشهادتين اعنى لا اله الا الله محمد رسول الله، و بذلك يحكم بطهارة قائلها و عصمة دمه و ماله و عرضه و يقابله الكفر و هو انكار الشهادتين باللسان و اما الاعتقاد بواقع الشهادتين و الالتزام بلوازمهما فهو امر خارج عن حقيقة الاسلام بل هو داخل في الايمان قال الله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا سلّمنا، نفى الله تبارك و تعالى عنهم الايمان و أثبت لهم الاسلام لكونهم مقرّين بالشهادتين لفظاً غير مقرّين بهما و لوازمهما قلباً و بهذا يُفترق بين الايمان و الاسلام و سيأتي منا تفصيل الكلام فيهما انشاء الله تعالى.

و عليه فنقول: لاشك في كون البُغاة و المحاربين لله ﷻ مقرّين بالشهادتين لساناً فيحكم باسلامهم و حيث انهم كانوا غير معتقدين بلوازمهما و منها الامامة فتحكم بكونهم خارجين من الايمان فيثبت الفسق في حقهم دون الكفر كما عليه المشهور و اما خلودهم في النار و عدم خلودهم فيها فهو امر آخر لا بحث لنا فيه فعلاً و يؤيد ما ذكرناه من عدم كفرهم تعبيره ﷻ عنهم

بكافرين تارةً و بمفتونين اخرى حيث انه ﷺ أثبت لهم الكفر في قتاله معهم في حياة النبي وقال لقد قاتلتهم كافرين ولم يثبت لهم في قتالهم اوقات امامته الكفر بل عبّر عنهم بالمفتونين كما قال وَلَا قَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ و المفتون ليس صريحاً في الكفر كما هو واضح فتأمل في المقام و الله عالم بحقائق الامور. و لنختم الكلام بذكر حديث رواه كثير من المحدثين في هذ المقام توضيحاً للمرام و هو مع ذلك يؤيد ما ذهبنا اليه بل صريح فيه و نحن نقله من كتاب بحار الانوار ج ٨ ص ٤٥٧ ط كمياني و هو هذا.

روى كثير من المحدثين عن عليّ ﷺ ان رسول الله ﷺ قال له ان الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب عليّ جهاد المشركين قال فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي كتب عليّ فيها الجهاد، قال قوم يشهدون ان لا اله الا الله و اني رسول الله و هم مخالفون للسنة، فقلت يا رسول الله فعلام آمالهم و هم يشهدون كما أشهد؟ قال ﷺ على الأحداث في الدين و مخالفة الأمر فقلت يا رسول الله انك كنت وعدتني الشهادة فأسئَل الله ان يُعجلها بين يديك قال فمن يُقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين أما اني و عدتك بالشهادة و تستشهد يُضرب على هذه فتخضب هذه فكيف صبرك اذاً فقلت يا رسول الله ليس ذابموطن صبر هذا موطن شكرٍ قال أجل اصبت فاعد للخصومة فانك مُخاصمٌ فقلت يا رسول الله لو بينت لي قليلاً فقال ان امتي مُستفتين من بعدى فتأول القرآن و تعمل بالرائى و تستحل الخمر بالنبيذ و السحت بالهدية و الربوا بالبيع و تحرف الكتاب عن مواضعه و تغلب كلمة الضلال فكن حلس بيتك حتى تقلدها فاذا قلدها جاشت عليك الصدور و قلبت لك الامور و تُقاتل ح على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى فقلت يا رسول الله فبأى المنازل أنزل هؤلاء المفتونين من بعدك اَبمنزلة فتنة ام بمنزلة ردةٍ فقال بمنزلة فتنةٍ يعمهون فيها الى ان يدركهم العدل فقلت يا رسول الله أيدركهم العدل منّا ام من غيرنا؟ فقال ﷺ بل منّا بنا

فَتَحَّ اللهُ وَبَنَّا يَخْتَمُ وَبَنَّا أَلْفَ اللهِ بَيْنَ الْقُلُوبِ بَعْدَ الشُّرْكِ وَبَنَّا يُؤَلَّفُ بَيْنَ الْقُلُوبِ
بَعْدَ الْفِتْنَةِ. فَقُلْتُ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا وَهَبَ لَنَا مِنْ فَضْلِهِ. انْتَهَى...

و فِي هَذَا الْحَدِيثِ نَكَاتٌ وَ دَقَائِقُ:

مِنْهَا أَنَّ جِهَادَهُ ﷺ بَعْدَ النَّبِيِّ مَعَ النَّاكِثِينَ وَ الْقَاسِطِينَ وَ الْمَارِقِينَ كَانَ بِأَمْرِ مِنْ
اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فَهُوَ مِثْلُ جِهَادِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ أَنَّ
الْجِهَادَيْنِ كَانَا بِأَمْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى.

و مِنْهَا أَنَّ كَلِمَةَ الْمَفْتُونِ وَ إِطْلَاقَهَا عَلَيْهِمْ كَانَتْ جَارِيَةً عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَبْلَ وَقُوعِ الْفِتْنَةِ فَتَعْبِيرُهُ ﷺ عَنْهُمْ بِالْمَفْتُونِينَ كَانَ تَأْسِيًّا
بِالنَّبِيِّ ﷺ إِقْتِبَاسًا مِنْ مِشْكُوهِ أَنْوَارِهِ.

و مِنْهَا أَنَّ الْمَفْتُونِينَ لَيْسَ بِمَعْنَى الْكُفَّارِ بِالْمَعْنَى الْمِصْطَلَحِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ
بَعْضُهُمْ بَلْ بِمَعْنَى الْفَسَاقِ كَمَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﷺ حَيْثُ سَأَلَهُ أَيْمَنْزَلَةٌ
فِتْنَةٍ أَمْ بِمَنْزَلَةِ رَدَّةٍ قَالَ ﷺ بِمَنْزَلَةِ فِتْنَةٍ يَعْمَهُونَ فِيهَا وَ مِنْ الْمُسْلِمِ لَوْ كَانُوا
كُفَّارًا لَوَجِبَ أَنْ يُقَالَ فِي الْجَوَابِ (بَلْ بِمَنْزَلَةِ رَدَّةٍ) لِأَنَّ الرَّدَّةَ هِيَ الَّتِي تَسَاوَقَ
الْكُفْرَ الْمِصْطَلَحَ وَ حَيْثُ أَنَّهُ ﷺ نَفَى عَنْهُمْ الرَّدَّةَ الَّتِي تَلْزِمُ الْكُفْرَ فَتَعْلَمُ بِأَنَّهَا
لَمْ يَكُونُوا بِكَافِرِينَ وَ هُوَ الْمَطْلُوبُ وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ.
□ قَوْلُهُ ﷺ: وَ إِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمْ الْيَوْمَ...

صَاحِبٌ عَلَى وَزْنِ فَاعِلٍ يُجْمَعُ عَلَى صَحَابَةِ بَفَتْحِ الصَّادِ وَ لَمْ يَجْمَعْ فَاعِلٌ
عَلَى فِعَالَةٍ الْآ هَذَا وَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: (لِصَاحِبِهِمْ) وَ كَذَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: أَنَا
صَاحِبُهُمْ، رَاجِعٌ إِلَى قَرِيشٍ وَ الْمَعْنَى أَنِّي كُنْتُ صَاحِبًا لَهُمْ أَيْ لِلْقَرِيشِ بِالْأَمْسِ
أَيْ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمْ الْيَوْمَ وَ هُوَ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَوْ الْمَعْنَى أَنِّي كُنْتُ
صَاحِبَهُمْ فِي الْحُرُوبِ مَعَ النَّبِيِّ وَ قَاتَلْتُهُمْ كَمَا أَنَا أَقَاتَلْتُهُمْ الْيَوْمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ وَ
عَلَى أَيْ التَّقَادِيرِ فَتُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ أُمُورٌ:

مِنْهَا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالصَّاحِبِ الْمَلَاذِمِ الْمَعَاشِرِ وَ عَلَيْهِ فَالْمَعْنَى أَنِّي كُنْتُ
مُلَازِمًا وَ مَعَاشِرًا لَهُمْ بِالْأَمْسِ أَيْ الْمَاضِي كَمَا أَنَا مُلَازِمٌ لَهُمْ الْيَوْمَ فَكَانَهُ ﷺ

تأسف على هذه الملازمة و المعاشرة و هو في محله.

منها ان يكون الصّاحب بمعنى المالك كما هو احد معانيه قال في المنجد صاحب الشئ مالكة، و عليه فالمعنى انى كنت مالكهم فى حياة الرسول كما انا مالكهم اليوم كما قال ﷺ انا و على ابواه هذه الأمة و قوله ﷺ على ما ببالى نحن عبيد لله تعالى و الناس عبيد لنا و قوله ﷺ الست اولى بكم من انفسكم قالوا بلنى يا رسول الله قال من كنت مولاه فهذا على مولاه، و من المعلوم ان المراد بالمولى هو الاولى بالتصرف فى الامور كلها و لانعنى بالمالك الأ هذا.

و منها الحكومة يقال صاحب حمة مثلاً بمعنى حاكمها، فالمراد انى كنت بالأمس حاكماً عليهم و اليوم كذلك و فيه ايماء الى ان حكومته ﷺ عليهم كانت من قبل الله تعالى و رسوله لاسبب البيعة بعد قتل عثمان كما فى سائر الخلفاء.

و منها ان يكون المراد انى كما كنت صاحبهم فى صدر الاسلام و قاتلتهم حتى قالوا لا اله الا الله فكذلك الحال. اقول: و فى نسخة الشارح المعتزلى بعد قوله ﷺ اليوم، هذه الجملات.

و الله ما تنقم منا قريش الا ان الله اختارنا عليهم فادخلناهم فى خيرنا فكانوا كما قال الاول:

أَدَمْتُ لِعَمْرَى شُرَيْكَ الْمَحْضِ صَابِحاً

وَ أَكَلْتُ بِالزَّيْدِ الْمُقَشَّرَةَ الْيَجْرَا

وَ نَحْنُ وَهَبْنَاكَ الْعِلَاءَ وَ لَمْ تَكُنْ

عَلِيّاً وَ حُطْنَا حَوْلَكَ الْجَرْدَ وَ السَّرَا

و فى نسخة البحرانى هذه الفقرات لتضح قريش ضجيجاً ان تكن فينا النبوة

و الخلافة و الله ما اتينا اليهم الا انا اجترأنا عليهم انتهى قال الشارح

البحراني (قده) فى شرح هذه العبارة ما هذا الفظه:

اقول: وفيه اشارة الى السَّبَبِ الأصلي لخروج طَلْحَةَ و الزَّيْبِر و غيرهما من قريش عليه و هو الحَسَدُ و المنافسة ان تكون الخلافة و النِّبوة في بنى هاشم دونهم و الضَّجيج، الصَّراخ القوي و هو كناية عن أَشَدَّ مخاصماتهم و منافساتهم على هذا الأمر، و قوله ﷺ و الله ما اتينا الى آخره تأكيد لما نسبهم اليهم من قسم الباري في سبب الخروج على انه لم يكن الباعث لهم على قتاله او على حَسَدِهِ و البغى عليه امراً من قبله سوى الأجتراء عليهم اى الشَّجاعة و الأقدام عليهم في منعهم عما يريدون من قولٍ و فعلٍ لا تُسَوِّغُهُ الشَّرِيعَةُ فانه لم يكن ذلك في الحقيقة اسائة في حَقِّهِم يستحقُّ بها المكافاة منهم بل احسان و ردُّع عن سلوك طرق الضلال تَعَيَّنَ انَّ السَّبَبِ في الخروج عليه و نكث بيعته هو الحَسَدُ و المنافسة و بالله التوفيق انتهى كلامه رفع مقامه.

﴿ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (٣٤) ﴾

فِي إِسْتِنْفَارِ النَّاسِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ

□ أَفْ لَكُمْ لَقَدْ سَمِمْتُ عِتَابَكُمْ، أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عَوْضًا؟ وَ بِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا؟ إِذَا دَعَوْتَكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ، وَ مِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ، يُرْتَجُّ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَعُونَ، فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ، فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ، مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسِ اللَّيَالِي، وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنِ يُمَالٍ بِكُمْ، وَلَا زَوَافِرٍ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَأَبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكَلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرٍ، لِبِئْسَ لَعْمُرُ اللَّهِ سَعَرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ، تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ، وَتُنْتَقِصُ أَطْرَافَكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ، لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي عَقْلَةٍ سَاهُونَ، غَلِبَ وَاللَّهِ الْمُتَخَاذِلُونَ وَآيَمَ اللَّهُ إِنِّي لَاظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَعْيَى، وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِيطَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ، وَاللَّهِ إِنْ أَمْرًا يُمْكِنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَغْرُقُ لَحْمَهُ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَيَقْرِي جِلْدَهُ، لِعَظِيمِ عَجْزِهِ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ، أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ، فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ بِالْمَشْرِفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ الْهَامِ، وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَ الْأَقْدَامُ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَ لَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ؛ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيَّكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ

كَيْمًا تُعَلِّمُوا، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَأَلْفَوْا بِالْبَيْعَةِ، وَالنَّصِيحَةَ فِي الْمَشْهَدِ
وَالْمَغِيبِ، وَالْإِجَابَةَ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةَ حِينَ أَمُرُكُمْ.

◀ اللُّغَةُ

(أَفٍ) بِالضَّمِّ وَالتَّشْدِيدِ وَالتَّنْيُوبِ كَلِمَةٌ تَكَرَّرَتْ وَتَضَجَّرُ يُقَالُ لِمَا يَتَضَجَّرُ فِيهِ
وَلِغَاتِهَا أَرْبَعُونَ هَكَذَا قَبِيلٌ (سَنَّمْتُ) السَّمُّ بِالسَّيْنِ وَالهَمْزَةُ الْمَلَالَةُ. (فِي غَمْرَةٍ)
الْغَمْرَةُ الشَّدَّةُ. (الذُّهُولُ) التَّرْكَ يُقَالُ ذَهَلَ وَذَهَلَ عَنْهُ إِذَا تَرَكَهُ عَلَى عَمْدٍ وَنَسِيَهُ
لِشْغَلٍ (يُرْتَجُ) رَتْجٌ كَفْرَحٍ اسْتَغْلَقَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى اتِّمَامِهِ.
(فَتَعْمَهُونَ) عِمَةُ الرَّجُلِ كَعِلْمٍ إِذَا تَحَيَّرَ فِي الضَّلَالِ وَتَرَدَّدَ فِي الْمَنَازَعَةِ.
(مَأْلُوسَةٌ) أَلْسٌ بِسُكُونِ اللَّامِ الْجُنُونُ وَاخْتِلَاطُ الْعَقْلِ. (حَوَارِي) الْجَوَارِ
بِالْكَسْرِ الْخِطَابُ وَالْجَوَابُ وَالْيَاءُ فِي الْجَوَارِي يَاءُ الْمُتَكَلِّمِ. (سَجِيسَ اللَّيَالِي)
كَلِمَةٌ تَقَالُ لِللَّأْبَدِ يُقَالُ لَا أَفْعَلُهُ سَجِيسَ اللَّيَالِي أَي أَبَدًا. (زَوَافِرُ) جَمْعُ زَافِرَةٍ
وَهِيَ الْعَشِيرَةُ أَوْ أَنْصَارُ الرَّجُلِ وَقِيلَ هُوَ سَبَبُ التَّقْوِيَةِ عَشِيرَةٌ كَانَتْ أَوْ غَيْرَهَا.
(سَعَرُ) جَمْعُ سَاعِرٍ وَاسْعَارٍ وَسَعَرُهَا إِيقَادُهَا وَسَعَرَ الْحَرْبَ أَشْغَلَهَا.
(تَمْتَعِضُونَ) الْأَمْتِعَاضُ افْتِعَالٌ مِنْ مَعْضَ الرَّجُلِ مِنَ الْأَمْرِ إِذَا غَضِبَ وَشَقَّ عَلَيْهِ.
(أَيْمُ اللَّهِ) أَيْمُنُ اسْمٌ وَضِعَ لِلْقَسَمِ وَقَدْ يَحْذَفُ مِنْهُ النَّونُ وَيُقَالُ أَيْمٌ وَفِيهِ لُغَاتٌ
كَثِيرَةٌ وَالتَّقْدِيرُ أَيْمُنُ اللَّهِ قِسْمِي. (حَمِسَ الْوُغَا) حَمِسَ الرَّجُلُ إِذَا اشْتَدَّ وَصَلَبَ
فِي الدِّينِ أَوْ الْقِتَالِ وَالْوُغَا، الصَّوْتُ. (اسْتَحَرَّ الْمَوْتَ) أَي اشْتَدَّ. (يَعْرِقُ لَحْمَهُ)
عَرَقَ الْحَمَّ كَنَصَرَ كَلَّهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ عَلَى الْعِظْمِ شَيْئًا. (يَهْشِمُ) هَشَمَ الْعِظْمَ
كَضَرَبَ كَسَرَهُ. (يَفْرِي) يُقَالُ فَرَى جِلْدَهُ إِذَا شَقَّهُ. (الْجَوَانِحُ) الْإِضْلَاعُ الَّتِي
تَحْتَ التَّرَائِبِ وَهِيَ الَّتِي مَمَائِلِي الصَّدْرِ كَالضَّلُوعِ مَمَائِلِي الظَّهْرِ. (مَا ضُمَّتْ
عَلَيْهِ) هُوَ الْقَلْبُ. (الْمَشْرِفِيَّةُ) بَفَتْحِ الْمِيمِ وَالرَّاءِ وَكَسْرِ الْفَاءِ سُيُوفٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى
مِشَارِفٍ وَهِيَ فِي أَرْضِ الْيَمَنِ. (فَرَأَشُ الْهَامِ) بَفَتْحِ الْفَاءِ عِظَامٌ رَقِيقَةٌ تَلِي تَحْفَ
الرَّأْسِ وَكُلُّ عِظْمٍ رَقِيقٍ فَرَأَشِهِ. (تَطِيحُ السَّوَاعِدُ) طَاحَ يَطِيحُ إِذَا هَلَكَ وَسَقَطَ
وَالْبَاقِي وَاضِحٌ.

خاطب ﷺ أصحابه وقال لَهُمْ (أَفْ لَكُمْ لَقَدْ سَمَّتُمْ) وَمَلَلْتُمْ، من (عِتَابِكُمْ)،
 بما لا ارتضيه من افعالكم واعمالكم واهمالكم فى قتال عدوكم. (أَرْضَيْتُمْ
 بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عَوْضًا؟) حيث تركتم القتال، و الجهاد حُبًّا لِلْبِقَاءِ
 وَرَغْبَةً فى الْحَيَاةِ. (وَوَّ بِالذُّلِّ)، الَّذِي فى ترك الجهاد (مِنَ الْعِزِّ)، الْمُسَبَّبُ عن
 الْقِتَالِ (خَلْفًا)، اى تركتم الْعِزَّ وَاخَذْتُمْ بِالذُّلِّ عَوْضًا له (إِذَا دَعَوْتَكُمْ إِلَى جِهَادِ
 عَدُوِّكُمْ)، وهم اهل الشَّام. (دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ، مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْجَزَعِ وَالْوَحْشَةِ
 كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فى غَمْرَةٍ)، وَشِدَّةٍ (وَمِنَ الذُّهُولِ فى سَكْرَةٍ)، اى ومن
 الْغَفْلَةِ فى سَكْرَةٍ قَرِيبَةٍ من الْمَوْتِ. (يُرْتَجِّحُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي) اى يُغَلِّقُ عَلَيْكُمْ
 خِطَابِي وَجَوَابِي (فَتَعَمَّعُونَ)، فى الضَّلَالِ (فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ)، مَجْنُونَةٌ.
 (فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ)، مَا أَقُولُ لَكُمْ (مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَّةٍ، اعْتَمَدُوا عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا بِكُمْ
 عَلَى الْأَعْدَاءِ. (سَجِيسَ اللَّيَالِي)، اى أَبَدًا لِكثْرَةِ مَا شَاهَدْتُمْ فِيكُمْ مِنَ الْكُذْبِ،
 وَالنَّفَاقِ (وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ)، وَيَسْتَدُّ عَلَيْكُمْ (وَلَا زَوَافِرُ عِزٍّ) وَاسْبَابِ
 عِزَّةٍ يَعْتَصِمُ بِكُمْ. (يُفْتَقِرُ إِلَيْكُمْ)، لِمَا فِيكُمْ مِنَ الْعِزِّ وَالْفِشْلِ (مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَأَبِلٍ
 ضَلَّ رُغَايَاهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ)، وَذَلِكَ لِمَا فِيكُمْ
 مِنْ اخْتِلَافِ الْأَرَآءِ وَتَشْتَّتِ الْأَهْوَاءِ وَالْعَقَائِدِ الْمَانِعِ مِنْ اجْتِمَاعِكُمْ عَلَى مَا فِيهِ
 صَلَاحٌ (لَيْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ سَعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ، تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ)، مع
 مَا فِيكُمْ مِنْ سُوءِ الرَّأْيِ وَضَعْفِ التَّدْبِيرِ فَيَمَكِّنُ بِكُمْ عَدُوَّكُمْ وَلَا تَمَكِّرُونَ.
 (وَتُنْتَقِصُ أَطْرَافَكُمْ) وَبِلَادِكُمْ لِأَسْتِيْلَاءِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهَا. (فَلَا تَمْتَعُضُونَ)، اى فَلَا
 تَغْضَبُونَ (لَا يُنَامُ عَنْكُمْ) الْعَيُونَ (وَأَنْتُمْ فى غَفْلَةٍ سَاهُونَ، (غَلِبَ)، وَقَهَرَ (وَاللَّهُ
 الْمُتَخَاذِلُونَ)، الْمُتَخَاذِلُونَ. (وَأَيْمَ اللَّهِ) وَإِنِّي لِأَقْسَمُ بِاللَّهِ (إِنِّي لِأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ
 لَوْ حَمِسَ الْوَعْيُ وَاشْتَدَّ نَارُ الْحَرْبِ (وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ
 أَبِيطَالِبٍ)، وَتَفَرَّقْتُمْ عَنْهُ (انْفِرَاجَ الرَّأْسِ)، اى مِثْلَ انْفِرَاجِ الرَّأْسِ عَنِ الْجَسَدِ
 (وَاللَّهُ إِنَّ امْرَأً أَيْمَكُنْ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ)، بِسَبَبِ الْقُعُودِ عَنِ الْقِتَالِ. (يَعْرِقُ)،

العدو (لَحْمَهُ)، ويأكله (وَيَهْشِمُ)، العدو (عَظْمَهُ)، ويكسره (وَيَقْرِي) اى العدو (جَلْدَهُ) ويقطعه (لِعَظِيمٍ عَجْزُهُ، ضَعِيفٌ مَا) اى قلبه الذى (ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ)، ثم خاطبهم بقوله: (أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ) الضعيف (إِنْ شِئْتَ، فَأَمَّا أَنَا فَأَوْا لِلَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ لِأَتَحْمَلَ ذَلِكَ التَّخَاذُلَ وَلَا أَرْضَى أَنْ يُسَلِّطَ الْعَدُوَّ عَلَيَّ) ذَلِكَ ضَرَبَ بِالمَشْرِفِيَّةِ الَّذِي تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ الْهَامِ، اى قوله مَا يَشَاءُ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، يَجِبُ عَلَيْكُمُ الْقِيَامُ بِهِ. (وَأَنَّ لَكُمْ عَلَيَّ حَقًّا:) مثله (فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، فِي السَّرِّ، وَالْعَلَانِيَةِ (وَتَوْفِيرُ فَيِّكُمْ) وتكثيره (عَلَيْكُمْ)، وتفريقه فيكم بالعدل (وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا، صَلَاحُكُمْ، بِمَصَالِحِكُمْ (وَتَأْدِيبُكُمْ) بِالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ (كَيْمَا تُعَلِّمُوا)، وَتَعْمَلُوا. (وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ)، فَانَّهُ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ.

(وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ،) اى فى الحُضُورِ وَالْغِيَابِ.

(وَالْإِجَابَةُ) لَمَّا أَمَرْتُمْ بِهِ (حِينَ أَدْعُوكُمْ)، مِنْ غَيْرِ تَنَاقُلٍ فِيهِ (وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمَرْتُمْ).

◀ الشرح

□ قوله ﷺ: اعلم ان امير المؤمنين ﷺ قد خطب بهذه الخطبة على ما ذهب اليه المحقق البحرانى (قده) بعد فراغه من امر الخوارج وقد كان قام بالنهر وان فحمد الله واثنى عليه ثم قال ﷺ:

اما بعد: فان الله قد احسن نصرتكم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم من اهل الشام فقالوا له قد نفذت نبالنا وكلت سيوفنا ارجع بنا الى مصرنا- لنصلح عدتنا ولعل امير المؤمنين يزيد فى عددنا مثل من هلك منا لنستعين به فاجابهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم، فتلكوا عليه وقالوا ان البرد شديد فقال ﷺ انهم يجدون البرد كما تجدون

أَفْ لَكُمْ ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ (تعالى): ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾^(١) فقام منهم ناس.

واعْتَدُوا بِكَثْرَةِ الْجِرَاحِ فِي النَّاسِ وَطَلَبُوا أَنْ يَرْجِعَ بِهِمْ إِلَى الْكَوْفَةِ أَيَّامًا ثُمَّ يَخْرُجَ بِهِمْ فَرَجَعَ بِهِمْ غَيْرَ رَاضٍ وَأَنْزَلَهُمْ نَخِيلَةً وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُزْمَلُوا مَعَسَكَرَهُمْ وَيُوطِنُوا عَلَى الْجِهَادِ أَنْفُسَهُمْ وَيُقَلُّوا زِيَارَةَ أَهْلِهِمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا وَجَعَلُوا يَتَسَلَّلُونَ وَيَدْخُلُونَ الْكَوْفَةَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْهُمْ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ دَخَلَ الْكَوْفَةَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِدُّوا لِقِتَالِ عَدُوِّ فِي جِهَادِهِمُ الْقَرَبَةَ إِلَى اللَّهِ وَدِرْكَ الْوَسِيلَةَ عِنْدَهُ قَوْمٌ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا يَنْصُرُونَهُ مَوْزَعِينَ بِالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ لَا يَعْدِلُونَ بِهِ وَحِفَاةٌ عَنِ الْكِتَابِ بِكَبِّ عَنِ الدِّينِ يَعْمَهُونَ فِي طَغْيَانِهِمْ وَيَتَّبِعُونَ فِي غَمْرَةِ الضَّلَالَةِ فَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

قال فلم ينفروا فتركهم أياماً ثم خطبهم هذه الخطبة فقال أف لكم الفصل انتهى ما ذكره (قدّه) في علة صدورها.

□ قوله ﷺ: أف لكم لقد سئمت عتابكم أرصيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً وبالذل من العز خلفاً...

كلمة أف بضم الألف وتشديد الفاء تَضَجُّرٌ مِنَ الشَّيْءِ، وقال ابن الأثير في النهاية أف معناه الاستيغثار لما شُمّ وقيل معناه الاحتقار وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه منضجرة منكورة وقيل أصل الأف من وسخ الأصبع إذا قُتِلَ وقد أفقت لفلان تأفيفاً وأفقت به إذا قلت له أف لك وفيها لغات هذه أفصحتها وأكثرها استعمالاً وقد تكررت في الحديث وفي حديث أبي الدرداء نعم الفارس عويمر غير أنه جاء في تفسيره في الحديث غير جبانٍ أو غير ثقيلٍ، قال الخطابي أرى الأصل فيه الأفف وهو الضجر وقال بعض أهل اللغة معنى الأفه المُعَدِمُ الْمُقَلُّ وهو الشيء القليل انتهى.

وقال الراغب في مفرداته، أصل الأف كل مُستقذر من وسخ وقلامة ظفري وما
يجرى مجراها ويقال ذلك لكل مُستخف استقذر انتهى.

قال الله تعالى: في حق الوالدين: ﴿وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ﴾ وقوله تعالى في موضع
آخر: ﴿أَفْ لَكُمْ وَإِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾^(١). وقوله ﷺ سَيِّمَتْ بفتح السين
وكسر الهمزة من سَامَ يَسَامُ نحو عَلِمَ يَعْلَمُ من السَّامة وهي الملاة مما يكثر
لبثه فعلاً كان او انفعلاً قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾^(٢)، اي لا يَمَلُونَ
و﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾^(٣) اي لا تَمَلُوا يقال: سَأَمْتُ من
الشئ من باب تَعَبَ أَسَامَ سَامًا وسامة اذا مَلَّتَه ورجل سَثُوم اي مَلُول والسامة
كالملاة لفظاً ومعنى، قال الشاعر:

سَيِّمَتْ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشِ

ثَمَانِينَ حَوْلًا لِأَبَاكَ يَسَامُ

وفي الحديث على مارواه في النهاية ان الله لا يسأم حتى تساموا، اي لا يَمَلُ
حتى تَمَلُوا انتهى.

فقوله ﷺ: أَفٌ لَكُمْ لَقَدْ سَيِّمْتُ مَنْ عَتَابَكُمْ، يدل على كونه ﷺ مَلُولاً
مُنْضَجِراً من اصحابه لما فيهم من التَّفَاقِ والشَّقَاقِ وعدم كونهم مُطِيعِينَ له ﷺ
في اوامره ونواهيهِ ولذلك خاطبهم بكلمة (أف)، الدالة على الأنضجار ثم
اردفها بقوله ﷺ: لَقَدْ سَيِّمْتُ مَنْ عَتَابَكُمْ قالوا في معناه لقد مَلَّتُ من عتابكم
بملا ارتضيه من أفعالكم وأقوالكم وكثرة تثاقلكم عن قتال خصومكم كما عليه
المحقق البحراني والخوئي وغيرهما.

قال في النهاية عَتَبَهُ يَعْتَبُهُ عَتَبًا وَعَتَبَ عَلَيْهِ يَعْتَبُ عَلَيْهِ وَمَعْتَبًا وَالْأَسْمُ الْمَعْتَبَةُ
بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ مِنَ الْمُوجِدَةِ وَالْغَضَبِ وَالْعِتَابِ مَخَاطَبَةُ الْأَدْلَالِ وَمَذَاكِرَةُ
الْمُوجِدَةِ وَاعْتَبَنِي فَلَانَ إِذَا عَادَ إِلَى مَسَرَّتِي وَاسْتَعْتَبَ طَلِبَ أَنْ يَرْضَى عَنْهُ وَمِنْهُ

الحديث لا يَتَمَيَّنُ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ أَمَّا مَحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزِدَادُ وَأَمَّا مَسِيئًا فَلَعَلَّهُ
يَسْتَعْتَبُ أَي يَرْجِعُ عَنِ الْأَسَاءَةِ وَيَطْلُبُ الرِّضَا.

ومنه الحديث ولا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ أَي لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ
اسْتِرْضَاءٍ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ بَطَلَتْ وَانْقَضَى زَمَانُهَا وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ دَارُ جَزَاءٍ لَا دَارَ
عَمَلٍ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ لَا يُعَاتِبُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ يَعْنِي لِعَظْمِ ذُنُوبِهِمْ، وَاصِرَارِهِمْ
عَلَيْهَا وَأَمَّا يُعَاتَبُ مِنْ يُرْجَى عِنْدَهُ الْعَتَبَى أَي الرَّجُوعُ عَنِ الذَّنْبِ وَالْأَسَاءَةِ.
وَفِيهِ، عَاتَبُوا الْخَيْلَ فَأَنَّهُ تَعْتَبُ، أَي أَدَبُوهَا وَرَوَّضُوهَا لِلْحَرْبِ وَالرُّكُوبِ فَأَنَّهُ
تَتَأَدَّبُ وَتَقْبَلُ الْعِتَابَ أَنْتَهَى.

وَأَنَا أَقُولُ: عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فَمَعْنَى الْجُمْلَةِ هَوَانِي قَدْ مَلَلْتُ وَسَمِئْتُ
عِتَابِكُمْ، أَي مَلَلْتُ عَنْ رَجُوعِكُمْ إِلَى الْحَقِّ أَوْ مَلَلْتُ عَنْ تَأْدِيبِكُمْ بِالْآدَابِ
الشَّرْعِيَّةِ وَهَذَا الْمَعْنَى أَوْلَى وَأَوْفَقُ بِسِيَاقِ الْعِبَارَةِ كَمَا لَا يَخْفَى.

ثُمَّ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: هَذَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ كَوْنِهِمْ مُسْتَعِدِّينَ لِلرَّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ
وَقَبُولِ الْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ وَذَلِكَ لِكَوْنِهِمْ مُصْرِّينَ عَلَى الْعِصْيَانِ، وَالْمُخَالَفَةِ
وَالْأَصْرَارِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ يَوْجِبُ هَذَا.

□ قَوْلُهُ ﷺ: أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عَوْضًا...

وَالْأَسْتَفْهَامُ انْكَارِيٌّ أَي لَا يَلِيقُ بِمَنْ يَدْعَى الْأِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ أَنْ يَكُونَ
كَذَلِكَ وَلَا يَبْعُدُ كَوْنُهُ لِلتَّوْبِيخِ فَكَأَنَّهُمْ صَارُوا بِذَلِكَ مُسْتَحَقِّينَ لَهُ فَإِنَّ مِنْ رِضَى
بِالدُّنْيَا الْفَانِيَةِ عَوْضًا عَنِ الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ يَسْتَحَقُّ الدَّمَ بِأَكْلَامِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي
كِتَابِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِثًّا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (١)
وَقَالَ تَعَالَى: أَيْضًا فِيهَا: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ
الْخَالِفِينَ﴾ (٢)

وَكَيْفَ كَانَ فَهَذَا لِمَسَلِّكَ اعْنَى تَرْجِيحِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ أَمْرٌ

مذمومٌ شرعاً وعقلاً ولذلك وَرَدَ الْقُرْآنُ وَالْآثَارُ فِي ذَمِّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ أَمَّا
الآيات: منها

قال الله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ
مِنْ خَلْقٍ﴾ (١)

و: ﴿زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٢)

و: ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (٣)

و: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاِبِ﴾ (٤)

و: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٥)

و: ﴿مَتَاعٌ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ (٦)

و: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (٧)

و: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (٨)

و: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعْوًا وَلَعِبًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (٩)

و: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (١٠)

و: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَانَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (١١)

و: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ (١٢)

و: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ (١٣)

والآيات الواردة في ذم الدنيا وحبها ومدح الآخرة كثيرة كما لا يخفى على

المتأمل المتتبع أما الأخبار فأيضا كثيرة:

٢. البقرة - ٢١٢.

٤. آل عمران - ١٤.

٦. النساء - ٧٧.

٨. الانعام - ٧٠.

١٠. التوبة - ٣٨.

١٢. ابراهيم - ٢.

١. البقرة - ٢٠٠.

٣. البقرة - ٢١٧.

٥. الحديد - ٢٠.

٧. انعام - ٣٢.

٩. الأعراف - ٥١.

١١. يونس - ٧.

١٣. النحل - ١٠٧.

منها قوله ﷺ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا مِنْهَا إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ مِنْهَا وَقَالَ ﷺ
الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ.

ومنهما قال رسول الله ﷺ لو كانت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جُنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا
سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ...

ومنهما قوله ﷺ من اصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ وَالزَّمَّ
اللَّهُ قَلْبَهُ أَرْبَعَ خِصَالٍ، هَمًّا لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ أَبَدًا وَشُغْلًا لَا يَتَفَرَّغُ أَبَدًا، وَفَقْرًا لَا يَنْالُ
غِنَاهُ أَبَدًا، وَأَمَلًا لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ أَبَدًا انتهى.

ومنهما قوله ﷺ يَا عَجَبًا كُلُّ الْعُجْبِ لِلْمُصَدِّقِ بَدَارِ الْخُلُودِ وَهُوَ يَسْعَى لِإِدَارِ
الْغُرُورِ انتهى... وسيأتى منّا تفصيل الكلام في حقيقتها، وذمّها والفرق بين
المذموم منها والممدوح منها في شرح الخطب الآتية انشاء الله تعالى وقد مرّ
الكلام فيها اجمالاً.

وأما حكم العقل بحقارتها وخسستها فهو ايضا ممّا لا بحث فيه عند العقلاء
ولا حاجة لنا في تفصيل الكلام فيه ومع ذلك نشير الى علة ذمّها عقلاً على
طريق الاجمال فإنّ الميسور لا يترك بالمعسور وهي من وجوه.

منها أنّ الدُّنْيَا وما فيها فانية دائرة والآخرة وما فيها باقية دائمة وقد ذلّ العقل
والنقل على المُدْعَى ومن المعلوم أنّ الباقي أولى وأحسن من الفاني فينبغي
للعاقل ترك الفاني لأجل الوصول الى الباقي وهو المطلوب
ومنهما أنّ الدُّنْيَا عَدُوَّةٌ لِلَّهِ وَأَوْلِيَاةٌ وَلَا عِدَائِهِ وَأَمَّا عِدَاوَتُهَا لِلَّهِ فَانْهَاطُهَا
الطَّرِيقَ عَلَى عِبَادِهِ.

وأما عداوتها لأوليائه فإنّها تَزَيَّنَتْ لَهُمْ بِزِينَتِهَا وَعَمَّتْهُمْ بِزَهْرَتِهَا، وَنِضَارَتِهَا
حَتَّى تَجْرَعُوا مَرَارَةَ الصَّبْرِ فِي مَقَاطِعِهَا. وَأَمَّا عِدَاوَتُهَا لِأَعْدَائِهِ فَانْهَاطُهَا
بِمَكْرَهَا وَمَكِيدَتِهَا وَاقْتِضَتُّهُمْ بِشِبَاكِهَا وَحَبَائِلِهَا حَتَّى وَثَقُوا بِهَا وَعَوَّلُوا عَلَيْهَا ثُمَّ
حَرَمَتْهُمْ عَنِ السَّعَادَةِ أَبَدًا الْآبَادِ فَهَمَّ عَلَى فِرَاقِهَا يَتَحَسَّرُونَ وَمَنْ مَكَائِدُهَا
يَسْتَعِيثُونَ وَلَا يُغَاثُونَ بَلْ يُقَالُ لَهُمْ، احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ

الأحتراز عن العَدُوِّ و الفرار منه ممَّا يحكم به العقل السليم ولا معنى لترك الدنيا وعدم الركون عليها الأ هذا وهذا بخلاف الآخرة فالاعتماد عليها احسن واليق. ومنها ان الدنيا وعلاقتها ممَّا يُوجب الأعراض عن الحق وكل ما كان كذلك يجب تركها بخلاف الآخرة والحُب لها لكونها من موجبات القرب اليه تعالى فيجب الأخذ بها وحيث ان الدنيا والآخرة متقابلان فالأخذ بأحدهما يستلزم ترك الآخر ولا شك ان العاقل يختار أقربهما الى المعبود وهو الآخرة. فظهر ممَّا ذكرنا ان العاقل لا يختار الدنيا على الآخرة والحياة الفانية على الحياة الباقية بل الأمر عنده بالعكس ولذلك قال الله تعالى في ذمها ما قال وكذلك انبيائه واوليائه سلام الله عليهم اجمعين.

وحيث ان اصحاب علي زعموا ان القعود عن الجهاد يستلزم في الأغلب السّلامة في الدنيا والبقاء فيها كما ان الجهاد يستلزم احيانا القتل و المّوت فلا جرم اختار و الحَيوة على المّمات والبقاء على الفناء فكانهم عوّضوا الآخرة بالدنيا و المّوت بالحياة الدنيا ولذلك قال ﷺ في آخر كلامه (عَوْضاً) تشبيهاً لهم بمن عوّض شيئاً بشيء إلا أنهم لم يعلموا ان هذه المعايضة فيها خسران الابد لما فيها من الحقارة والذلة فلذلك اردفه بقوله: قوله ﷺ: وبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا...

وذلك لان القعود عن الجهاد وان كان فيه ظاهراً البقاء والسّلامة إلا ان هذا البقاء ممَّا لا يعتنى به لكونه محفوفاً بالذلة والتكبة كما ان هذا الموت لو كان لا ذمّ فيه لأنه يُوجب الحياة الأبدية والخروج من الذلة الى العِزة ومن الخِسة والدنائة الى العِزة والشرافة وتوضيح ذلك يستدعى التكلم فيه اجمالاً فنقول: اعلم ان قوله ﷺ: وبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا يحتمل معنيين:

احدهما: ان يكون قوله هذا عبارة اخرى لقوله في الجملة السابقة أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عَوْضاً، وهو الذي يُترأء منه في بادى النظر وذلك لان قوله ﷺ: أَرْضِيْتُمْ الخ اشارة الى ان الحياة الدنيوية لِحسّتها وعدم بقائها

وملاستها للهموم والغموم والآفات والدركات تكون مذمومة مردودة عند العقل والشرع والحياة الآخرة لكونها بالعكس تتصف بالمدح والعز و عليه فالمعنى فى الجملة المبحوثة عنها ان هذه الحياة الفانية التى تختارونها على الحياة الباقية الدائمة ليست الا كترجيح الذل على العز والفقر على الغنى وهو مما لاينبغى للعاقل وهذا المعنى الذى ذكرناه هو الذى اختاره المحقق البحرانى والخوئى وغيرهما من الشراح و عليه فقوله هذا بمنزلة التفصيل لسابقه او التوضيح له فكأنه لما قال عليه السلام: **أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْخَ عَلَى سَبِيلِ الْأَسْتِفْهَامِ الْأَنْكَارِ.**

فكأنه قيل له وائى عيب فى هذا الانتخاب وما الأشكال فى ترجيح الحياة الدنيا على الآخرة؟ فقال عليه السلام: فى جوابه، ان لازم ذلك ترجيح الذل على العز والحقارة على الشرافة وهذا واضح.

وثانيهما: وهو الذى يقوى فى نفسى ان يكون قوله عليه السلام هذا اعنى (وَبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا) جملة مستقلة فكأنه عليه السلام قال ترك الجهاد يوجب امرين مذمومين بمعنى ان منشأه وعلته لا يخلوا منهما لاعلى سبيل البدلية بل على طريق الجمع والمعية.

احدهما ترجيح الدنيا على الآخرة فان من لم يرجحها عليها ولم يرتضى بالحياة الفانية عوضاً عن الحياة الباقية فكيف يترك الجهاد.

وثانيهما ترجيح الذل على العز وذلك لان الانسان لو ادرك حلاوة العزة والشفرة ونكبة الذل والحقارة فلا محالة يختار العز على الذل من غير عكس وحيث انهم عكسوا فيه فنكشف عدم دركهم لهذه المزية واما كون كل واحد من الأمرين مذموماً عقلاً وشرعاً فلا مجال للانكار فيه وعلى اى تقدير من التقادير لاشك ان هذا الأهمال والمسامحة فى دفع الأعداء يوجب الذل كما ان عكسه يوجب العز واليه الاشارة بقوله عليه السلام: **وَبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا.**

توضيحه على وجه الاختصار ان ترك الجهاد مع الأعداء والمسامحة

لدفعتهم يوجب تسلط الأعداء ولا شك في ان غلبتهم تستلزم ذلة المغلوبين
لمكان العداوة بينهم فالعدو لا يرحم الصغير والكبير وذلك يُوجب ذلة
المقهور لأنه لا يقدر على الدفاع من نفسه وماله وعرضه مع المقهورية
والمغلوبية وهذا هو الحياة مع الذلة.

واما اذا فرضنا قيام الأفراد لأستيفاء حقوقهم الحقّة ومنع تجاوز الأعداء الى
نفوسهم واموالهم وأعراضهم فلا جرم يعيشون عيشاً عزيزاً كما هو الشأن
بالنسبة الى الأحرار والى هذا المقام اشار الحسين ابن على عليهما السلام فى
وقعة الطّف مخاطباً به لاصحاب عمر ابن سعد لعنة الله عليه حيث قال ان لم
يكن لكم دين فكونوا أحراراً فى دُنياكم.

فامير المؤمنين عليه السلام اشار فى هذه الجملة الى هذا المعنى لعلمه عليه السلام بان
معاوية ابن ابى سفيان او اصحاب الجمل والنهروان لو سلطوا على المسلمين
لايرحموهم أبداً كما ان معاوية كان كذلك بعد الغلبة فمسامحة الناس فى
الجهاد ومخالفتهم لما أمر به كانت فى الحقيقة اقدماً ما على التهلكة بأيديهم
وسوء سريرتهم لانيها حفظ للحياة والبقاء كما ظنوه ومن ينقلب على عقبيه
فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين.

□ قوله عليه السلام: إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنْ
الْمُوتِ فِي غَمْرَةٍ...

ثم بعد ما ادعى عليه السلام عليهم انهم رضوا بالحياة الدنيا عوضاً عن الآخرة
وبالذلل من العز شرع فى الاستدلال على ما ذكره بالنسبة اليهم حتى لا يخلوا
كلامه عليه السلام من دليل يعتمد عليه ولا يظن ظاناً انه عليه السلام قال ما قال بلا بينة وبرهان
فقد أكمل عليه السلام كلامه فى صدر الخطبة بوجوه من الدلائل المثبتة للمدعى.

فمنها قوله عليه السلام: إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى قَوْلِهِ عليه السلام: أَعْيُنُكُمْ، وحاصله انه لولا ما قلت
من ترجيح الدنيا على الآخرة والذل على العز فيكم حقاً فلم تتقاعدون عن
الجهاد مع اعدائكم مع ان فى الجهاد صلاح دنياكم وأخرتكم وبلوغكم الى

مقام العِزِّ والشَّرَفِ وحيث لا تُطيعون ما أمركم به بل تَتَحَيَّرُونَ وتترددون بين النهوض الى العَدُوِّ والقعود عنه جُبناً وخوفاً وتَدِيرُ عَيْنِكُمْ من شِدَّةِ الخَوْفِ فهو الدَّلِيلُ على ما قلته فيكم حقاً فانَّ العَمْرَةَ الشَّدَّةَ.

ومنها قوله ﷺ: وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ يُزْتَجُّ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَيَعْمَهُونَ... وهذا هو الوجه الثاني لأثبات ما ذكر وذلك لأنَّ الذُّهُولَ والغَفْلَةَ عن الشَّيْءِ دليل على عدم الأعتناء به قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ﴾ (١)

فان قلت - قوله ﷺ هذا يدلُّ على كونهم ذاهلين عن الجهاد ومنافعه ومن كان كذلك لا يتوجَّه اليه ذمُّ أصلاً لأنَّ الغافل عن الشَّيْءِ بمنزلة النَّاسِي والسَّاهِي هُوَ الَّذِي رُفِعَ عنه القلم كما في حديث الرَّفْعِ.

قلت - ليس الذُّهُولُ بمعنى الغَفْلَةَ والنَّسيانِ وعدم التَّوجُّهِ مطلقاً كما زعمت عامة النَّاسِ بل الذُّهُولُ عبارته عن النَّسيانِ الَّذِي كان مُسَبِّباً عن شُغْلِ كما قال الرَّاعِبُ في مفرداته قال الذُّهُولُ شُغْلٌ يورث حزنًا ونسيانًا يقال ذَهَلَ عن كذا واذهَلَه كذا انتهى وعليه فقد يستعمل لازماً وقد يستعمل مُتَعَدِّياً فان كان من الثَّلَاثِي المُجَرَّدِ فهو لازم وان كان من المزيدي فيه فمُتَعَدِّياً.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرُؤُنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ (٢)

فعلى ما ذكره الرَّاعِبُ وغيره من ارباب التحقيق الفرق بين الذُّهُولِ والنَّسيانِ انما هو من جهة المنشأ فان كان الباعث على عدم التَّوجُّهِ هو الشُّغْلُ فَنَعْبَرُ عنه بالذُّهُولِ والآ فَهُوَ النَّسيانِ وان شئت قلت الذُّهُولُ يُوجِبُ النَّسيانِ ويورثه. ومُلَخَّصُ الكلام هو انَّ الذُّهُولَ ليس بمعنى النَّسيانِ الآ على طريق المجاز اعنى ذكر السَّبَبِ واردة المُسَبَّبِ.

اذا عرفت هذا فاعلم انه ﷺ انما عبَّرَ عن الغَفْلَةَ بالذُّهُولِ لانهم كانوا قد اشتغَلُوا بأمور الدُّنْيَا من الأكل والشُّرب وجمع المال وغيرها بحيث قد غفلوا

عَمَّا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الْمَهَالِكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلِذَلِكَ ارْتَدَفَ كَلَامَهُ ﷺ بِقَوْلِهِ فِي سَكْرَةٍ، وَفِيهِ اسْتِعَارَةٌ عَجِيبَةٌ وَذَلِكَ لِأَنَّ السُّكْرَانَ لَا يَتَوَجَّهُ حِينَ سَكَرَهُ بِمَا وَقَعَ فِيهِ مِنَ الْعَصِيَانِ وَالْفُسُوقِ وَالسَّقُوطِ عَنْ مَقَامِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَبَعْدَ الْأَفَاقَةِ بِصِيرِ عَالَمًا بِالْمَضَارِّ وَالْمَفَاسِدِ الْمُتْرَتِّبَةِ عَلَيْهِ وَلَا فَائِدَةَ فِي النَّدَامَةِ وَالتَّحَسُّرِ بَعْدَ وَقُوعِ الْأَمْرِ وَإِنَّمَا وَقَعَ مَا وَقَعَ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ بِسُوءِ سَرِيرَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ لَمْ يَشْرَبِ الْخَمْرَ وَلَمْ يَصْرَبْ بَاعْتِثًا عَلَى ذَهَابِ عَقْلِهِ فَلَا يَقَعُ فِي السَّقُوطِ وَالتَّهْلُكَةِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ.

فَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ إِذَا اشْتَغَلَ بِأُمُورِ الدُّنْيَا وَانْغَمَرَ فِيهَا وَالتَّفَتَّ إِلَى حُلُومِهَا وَحَامِضِهَا وَسَوَادِهَا وَبِيَاضِهَا حَقَّ الْإِلْتِفَاتِ بِحَيْثُ لَا يَتَوَجَّهُ إِلَى خَالِقِهِ وَتَكَالِيفِهِ الشَّرْعِيَّةِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ السُّكْرَانَ إِلَّا أَنَّ أَحَدَهُمَا صَارَ سَكْرَانًا بِالْخَمْرِ وَالْآخَرَ بِالدُّنْيَا وَحُبِّهَا وَلِعَمْرِي إِنَّ هَذَا السُّكْرَانَ أَضْرَّ وَأَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ بِمَرَاتِبٍ كَمَا تَرَى وَنَشَاهِدُ الْآنَ وَلَا جِلَّ هَذِهِ الْمَشَابِهَةِ وَالْمَجَانِسَةَ قَالَ ﷺ: وَمِنَ الدُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ، أَيِ أَنَّ اشْتَغَالَهُمْ بِالدُّنْيَا وَزَخَارِفِهَا أَنْسَاهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ بِحَيْثُ صَارَ دُهُولُهُمْ بِمَنْزِلَةِ السُّكْرَةِ الَّتِي هِيَ قَرِيبٌ مِنْ حَالِ الْمَوْتِ وَغَشِيَّتِهِ أَسْبَابُهُ فَيَذْهَبُ عَقْلُهُ وَيَشْخَصُ بَصَرُهُ فَلَا يَطْرَفُ فَكَذَلِكَ هُوَ لِأَنَّ تَشْخِصَ أَبْصَارِهِمْ وَتُحَارًا عَيْنِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ.

وَلَمَّا كَانَ الدُّهُولُ الَّذِي هُوَ مُسَبَّبٌ عَنِ الشُّغْلِ الَّذِي يُوجِبُ حُزْنَاً وَنَسِيَاناً كَالسُّكْرِ الَّذِي هُوَ مُسَبَّبٌ عَنِ شُرْبِ الْخَمْرِ فِي تَرْتِّبِ الْمَفَاسِدِ عَلَيْهِ فَكَانَهُ لِأَعْقَلِ لَهُ ارْتَدَفَهُ بِقَوْلِهِ ﷺ: فِي سَكْرَةٍ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فِي وَصْفِ الْقِيَامَةِ وَالْخَوْفِ مِنْهَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى الدَّاهِلِينَ عَنْ دَرَكَاتِهَا وَعَقِبَاتِهَا فِي الدُّنْيَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿يَوْمَ تَرُؤُنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ. وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(١)

وحيث أنه كانت هنا مظنة سؤال وهو أنه لِمَ لم يُوقظهم عن هذا النوم المُعبّر عنه بالذهول فإن وظيفة الامام هي الأيقاظ والأعلام بعواقب الامور قال ﷺ يُرتج عليكم جِواري، اى ويغلق عليكم خطابى فتعمهون فى الضلال وتترددون الى القتال والغرض ائى لم آل جهداً فى نصيحتكم ووعظكم ووعدكم ووعيدكم الا انكم لم تسمعوا كلامى ولم تقبلوا نصيحتى وما على الرسول الا البلاغ فذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلعبوا فسوف يلهمهم الأمل. ومنها قوله ﷺ: فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مِأْلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ متن:

وهذا بمنزلة النتيجة لما تقدم فإن الفاء فى قوله فكأن، للتفريع او الجزاء للشروط اعنى اذا دعوتكم الى آخره فعلى الاول يصير معنى العبارة انكم بتقاعدكم عن الجهاد مع ما فيه من صلاح النشأتين تتشبهون بالمجانين الذينهم عن الإدراك لمعزولون وذلك لأن العاقل لا يكون كذلك وفيه اشارة الى ما قاله تبارك وتعالى فى وصف المنافقين: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يُسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١)

واما على الثانى اعنى الجزاء فالمعنى ان لازم هذا الروية الردية وجزائها هو عدم البصيرة فى امر الدين والدنيا قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٢)

و: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٣)

وعلى اى التقديرين فالكلام مسوق لبيان التوبيخ والتوعيد لعدم اطاعتهم لأوامر ﷺ ونواهييه وهو واضح هذا كله بناء على ما ذهب اليه المشهور من ان الألس فى اللغة هو اختلاط العقل كما اختاروه فى شروحيهم. ويمكن ان يكون المراد بالألس هو الخيانة كما ذهب اليه القتيبى من قولهم

لا يُدالِس ولا يوالِس. وعليه فالمعنى انْ عدم انقيادكم واطاعتكم لى انما هو لاجل خيانتكم ونفاقكم والخائن لا يؤتمن ولا يوثق به ويؤيد هذا المعنى قوله ﷺ فى الجملة التى بعد هذه الجملة ما أنتم لى بثقة فتأمل جدا.

□ قوله ﷺ: ما أنتم لى بثقة...

ثم بعد ما اثبت ﷺ لهم ما اثبت من الغدر والخيانة والتساهل والمناظلة فى امر الجهاد وبالجملة مخالفتهم لأوامره ونواهيته نفى عنهم اوصاف الحميدة الثابتة لكل مؤمن ونسبهم الى ما لا يليق بالمؤمن ان ينسب اليه فقال ما أنتم لى بثقة، أثق بكم واعتمد عليكم واتقوى بكم على اعدائى واعدائكم وهو دليل على نفاقهم وشقاقهم والوجه فيه هو ان اجراء العدل والاحسان وافشاء المعروف وامانة المنكر فى الناس يتوقف على وجود الأعوان والأنصار بشرط كونهم موثقين معتمدين للحاكم والامام واما اذا فرضنا عدم وجودهم او وجودهم وهم فاقدون للشروط المذكور فكيف يمكن للامام اجراء مقاصده فان من لا يكون مورداً للأطمينان والاعتماد فلا محالة يكون خائناً فاسقاً وهو كما ترى.

□ قوله ﷺ: سَجِيسَ اللَّيَالِي... □

بعد ما ذكر ﷺ فى الجملة السابقة عدم كونهم موثقين معتمدين قيده بقوله هذا اعنى سَجِيسَ اللَّيَالِي المفيد للأبدية يقال لا آتيك سَجِيسَ اللَّيَالِي والأيام اى ابدأ او آخر الدهر والمقصود انكم لستم لى بثقة الى آخر الدهر وفيه ايماء الى عدم امكان اصلاحهم وردعهم عما كانوا فيه لكونهم من المنحرفين من الله ورسوله ووصيه والله لا يهدى القوم الفاسقين.

□ قوله ﷺ: وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ وَلَا زَوَافِرٌ عَزٌّ يُقْتَرُّ إِلَيْكُمْ... □

ثم انه بعد ما نفى عنهم التوثيق سَجِيسَ اللَّيَالِي نفى عنهم كونهم من الأركان التى يُمال اليها والانصار الذين يُنتصر بهم فقوله ﷺ: وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ، اشارة الى وهنهم فى الأمور ولا سيما فى الجهاد الذى فيه احتمال القتل

ففى الكلام استعارة حيث شَبَّهَهُم بِالرُّكْنِ فكما انَّ السَّقْفَ لا يمكن اقامته من غير ركنٍ يعتمدُ عليه فكذلك امر الجهاد مع الاعداء لا يمكن تحقُّقه بدون الافراد الذينهم بمنزلة الأركان للسَّقْف اعنى المؤمنين المجاهدين فى سبيل الله كما قال الله تعالى فى كتابه حكايةً عن لوط عليه السلام حيث قال: ﴿قَالَ لَوْ اَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ اَوْ اَوْىِٔ اِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (١)

و: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا اِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (٢)

وركن الشئء جانبه الذى يسكن اليه ويستعار للقوة ولذلك يقال اركان العبادات جوانبها التى عليها مبناها وبتركها بطلانها فالرُّكن كناية عن القوة اى ما انتم لى بقوة يُمال بكم.

واما قوله عليه السلام: وَلَا زَوَافِرٌ عِزٌّ يُفْتَقَرُ اِلَيْكُمْ: فالمعنى ائى لاحتاج اليكم لانكم لستم اعواناً للعِزَّة والشوكة وذلك لانَّ الأنصار والعشيرة فى صورة النفاق وعدم الأطاعة والآنقياد فعدمهم اولى من وجودهم ومن كان كذلك فكيف يفتقر اليه وذلك لانَّ العزيز يُعطى العِزَّة والدليل يعطى الذلَّة والمُعطى للشئء لا يكون فاقداً له.

□ قوله عليه السلام: مَا اَنْتُمْ اِلَّا كَابِلٌ ضَلَّ رُغَاتُهَا فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ اَنْتَشَرَتْ مِنْ اٰخَرَ...

الأبل بكسرتين لا واحد لها من لفظها وربما قالوا بل بسكون الباء للتخفيف ويقال للذُّكْرُ وَالْاُنْثَى منها بغيرانِ اجدع وهى مؤنثته لانَّ اسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير الأدميين فالتأنيث لها لازم (رُغَاتُهَا)، بضمِّ الرَاء جمع راعى الغنم وقد يجمع على رِعاء بكسر الرَاء والمد كذا قال فى النهاية ثم انَّ فى الكلام استعارة حسنة حيث انه عليه السلام شَبَّهَ اصحابه بالأبل المنتشرة فى الأرض فانَّ الراعى لا يقدر على جمعها لانها كلما جُمعت من جانبٍ اَنْتَشَرَتْ من اخرى وفى هذه الاستعارة اشارة الى قول النبى صلى الله عليه وسلم حيث

قال النَّاسُ بَعْدِي كَأَبْلِ مِائَةٍ لَيْسَ فِيهَا رَاحِلَةٌ أَيْ إِنَّ الْكَامِلَ فِي الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالرَّغْبَةَ فِي الْآخِرَةِ قَلِيلٌ كَقِلَّةِ الرَّاحِلَةِ فِي الْأَبْلِ وَالرَّاحِلَةُ هِيَ الْبَعِيرُ الْقَوِيُّ عَلَى الْأَسْفَارِ وَالْأَحْمَالِ النَّجِيبِ الشَّاةُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ الْمَنْظَرِ وَيُقَالُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالْهَاءِ فِيهَا لِلْمِبَالِغَةِ إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّهُ ﷺ شَبَّهَهُمْ بِهَا لِاخْتِلَافِ آرَائِهِمْ وَتَشْتُّتِ أَهْوَائِهِمُ الْمَانِعِ مِنْ اجْتِمَاعِهِمْ عَلَى مَا فِيهِ نَظْمُ مَعَاشِهِمْ وَصَلَاحِ مَعَادِهِمْ وَإِذَا كَانَتِ الْقَضِيَّةُ عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ فَمَا يَفْعَلُ الرَّاعِي وَالْأَمِيرُ بِهِمُ الْيَسْرَ عَلَى الرَّعِيَّةِ الْأَنْقِيَادِ وَالطَّاعَةِ لِأَمَامِهِمُ الَّذِي أَوْجَبَ اللَّهُ طَاعَتَهُ عَلَيْهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.

□ قوله ﷺ: لِبَيْسٍ لَعَمْرُؤِ لِلَّهِ سَعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ...
اللام في قوله ﷺ (لبئس) للتأكيد وبئس من أفعال الدَّم وقوله ﷺ لَعَمْرُؤِ لِلَّهِ مرفوعٌ على الأبتداء والخبر محذوف وتقديره لعمرؤا لله قسمى او ما أقسيم به واللام للتوكيد فان لم تأت باللام نصبتَه نَصَبِ الْمَصَادِرِ فَقَلتِ عَمْرُ اللّٰه وَعَمْرُكِ اللّٰه اى باقرارك لله وتعميرك له بالبقاء، وسُعر بفتح السين وسكون العين جمع ساعر وسُعر نار الحرب ايقادها، وقوله تُكَادُونَ، بضم التاء مجهول المضارع من كاد يكيدو قوله تَكِيدُونَ معلوم منه.

والغرض من هذه الجملة الإشارة الى ما فى اصحابه من الفشل، والخوف من الحرب مضافا الى سوء الرأى وضعف التدبير وقد أكد ﷺ هذا الوهن الموجود فيهم بالقسم مع غيرها من المؤكّدات اشعاراً بان المدعى لاشك فيه وانهم على هذه الحالة ولذلك قال ﷺ: أَنْتُمْ تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ اى انتم مع هذه الحالة المذمومة لاتقدرون على غلبة الأعداء بالمكروا لخدعة والكيد بل الأمر بالعكس وانما قال ﷺ ذلك لجواز لخدعة فى الحرب شرعاً وعقلاً كما قيل الحرب خدعة، ومُلخَصُ الْكَلَامِ هُوَ أَنَّهُ أَنْتُمْ تَخَافُونَ مِنْ إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ.

□ قوله ﷺ: وَتُنْتَقِصُ أَطْرَافَكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ لِأَيْنَامِ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ غَلِبَ وَاللَّهِ الْمُتَخَاذِلُونَ...

فَرَّغَ ﷺ عَلَى خَوْفِهِمْ مِنَ الْحَرْبِ أَمْوَرًا ثَلَاثَةً:
أَحَدُهَا قَوْلُهُ ﷺ: وَتَنْتَقِصُ أَطْرَافَكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ...

أَي تَنْتَقِصُ نَوَاحِي بِلَادِكُمْ بِإِغَارَةِ الْعَدُوِّ وَعَلَيْهَا وَقْتَلُ خِيَارِ أَهْلِهَا وَاحْدَاثِ
الْفِتَنِ فِيهَا فَلَا تَمْتَعِضُونَ وَذَلِكَ لِقِلَّةِ حَيَاتِكُمْ وَشِدَّةِ نِفَاقِكُمْ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ
لَا يَكُونُ كَذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَصْبَحَ وَلَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْوَارِ الْمُسْلِمِينَ
فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ وَفِيمَا ذَكَرَهُ ﷺ إِشَارَةٌ إِلَى غَارَاتِ أَصْحَابِ مَعَاوِيَةَ لَعَنَهُ اللَّهُ بِأَمْرِهِ
فِي نَوَاحِي الْبِلَادِ مِنْ قَتْلِ النَّفُوسِ وَنَهْبِ الْأَمْوَالِ وَهَتِكِ الْأَعْرَاضِ وَقَدْ سَبَقَ مِنَّا
الْقَوْلُ فِيهَا حَسَبَ مَا اقْتَضَاهُ الْمَقَامُ وَسَيَأْتِي تَفْصِيلُهُ فِي الْأَبْوَابِ الْآتِيَةِ.

وِثَانِيهَا قَوْلُهُ ﷺ: لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ...

وَذَلِكَ لِأَنَّ عَيْنَ الْعَدُوِّ لَا تَنَامُ فِي الْحَقِيقَةِ لِأَنْتِهَازَةِ الْفُرْصَةِ لِلْغَلْبَةِ وَالْأَسْتِيْلَاءِ
فِيَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَكُونَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ مَكْرِهِ وَكَيْدِهِ فَقَوْلُهُ ﷺ: لَا يُنَامُ
عَنْكُمْ الْعَيُونَ أَرَادَ بِهِ عَيُونَ الْأَعْدَاءِ أَي مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ وَقَوْلُهُ ﷺ: وَأَنْتُمْ فِي
غَفْلَةٍ سَاهُونَ خَطَابٌ مِنْهُ ﷺ إِلَيْهِمْ أَي إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَلَوْا وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: وَأَنْتُمْ
لِلْحَالِ وَالتَّقْدِيرِ وَأَنْتُمْ سَاهُونَ فِي غَفْلَةٍ فَانْتُمْ مَبْتَدَاءُ وَقَوْلُهُ ﷺ: سَاهُونَ خَبْرُهُ وَ
قَوْلُهُ ﷺ: فِي غَفْلَةٍ جَارٍ وَمَجْرُورٍ فَصُلَّ بَيْنَ الْمَبْتَدَاءِ وَالْخَبْرِ وَلَيْسَ قَوْلُهُ ﷺ:
سَاهُونَ وَصِفًا لِقَوْلِهِ ﷺ: فِي غَفْلَةٍ كَمَا رَبَّمَا يَتَوَهَّمُ إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَوَجَبَ أَنْ
يُقَالَ سَاهِينَ كَمَا لَا يَخْفَى.

ثُمَّ أَنَّ شَارِحِي كَلَامِهِ ﷺ زَعَمُوا قَوْلَهُ ﷺ: سَاهُونَ جَمَعَ سَاهَى وَهُوَ مُشْتَقٌّ
مِنَ السَّهْوِ يُقَالُ سَهَا سَهْوًا وَسَهْوًا، فِي الْأَمْرِ وَعَنِ الْأَمْرِ، غَفْلٌ عَنْهُ وَنَسِيَةٌ
وَذَهَبَ قَلْبُهُ إِلَى غَيْرِهِ قَالَهُ فِي الْمَنْجَدِ وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى فِيهَا وَاحِدٌ إِلَّا أَنَّهُ ﷺ أَتَى
بِكَلِمَةِ (سَاهُونَ) بَعْدَ قَوْلِهِ ﷺ: فِي غَفْلَةٍ، حَذْرًا لِلتَّكْرَارِ الْمُسْتَهْجَنِ فِي اللَّفْظِ
وَمُرَاعِيًا لِقَانُونِ الْفِصَاحَةِ كَمَا هُوَ الشَّانُ فِي كَثِيرٍ مِنْ عِبَارَاتِ الْبُلْغَاءِ وَالْحَقُّ أَنَّ
الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا ظَنُّوه بَلِ السَّهْوُ فِي الْمَقَامِ لَيْسَ بِمَعْنَى الْغَفْلَةِ أَصْلًا وَأَمَّا هُوَ
بِمَعْنَى السَّكُونِ وَاللَّيْنِ كَمَا هُوَ أَحَدُ مَعَانِيهِ، قَالَ فِي الْمَنْجَدِ، السَّهْوُ مُصَدَّرٌ

السُّكُونِ وَاللِّينِ يُقَالُ امْرَأَةٌ سَهْوَةٌ، أَيْ سَهْلٌ، رِيحٌ سَهْوَةٌ أَيْ لَيِّنَةٌ، يُقَالُ بَعِيرٌ سَاهٍ أَيْ لَيِّنٌ السَّيْرِ، انْتَهَى.

وقال ابن الأثير في النهاية، السَّهْوُ اللَّيْنَةُ السَّيْرِ لِاتِّعَابِ رَاكِبِهَا وَمِنْهُ الْحَدِيثُ أَتَيْكَ بِهِ غَدًا سَهْوًا رَهْوًا أَيْ لَيِّنًا سَاكِنًا، وَفِي الْحَدِيثِ أَنْ عَمَلَ أَهْلُ النَّارِ سَهْلَةً بِسَهْوَةٍ قَالَ السَّهْوَةُ الْأَرْضُ اللَّيْنَةُ التُّرْبَةُ شَبَّهَ الْمَعْصِيَةَ فِي سَهْوَلَتِهَا عَلَى مُرْتَكِبِهَا بِالْأَرْضِ السَّهْلَةِ الَّتِي لِأَخْرُوفَةٍ فِيهَا انْتَهَى.

وعليه فمعنى العبارة انتم لَيِّنَةُ السَّيْرِ فِي الْحَرَكَةِ نَحْوَ عَدْوِكُمْ وَالْحَرْبِ مَعَهُ وَهَذِهِ اللَّيْنَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لَيْسَ بِجَيِّدٍ لِكُونِهَا مُوجِبَةً لَجُرْنَةِ الْأَعْدَاءِ، وَاسْتِيْلَانِهِمْ عَلَى النَّوَاحِي وَالْبِلَادِ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ فِي الْحُرُوبِ مَعَ الْمُخَالَفِينَ لَا يَدُّ لَهُ مِنَ النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ لَيِّنًا لِلْمُؤَافِقِينَ شَدِيدًا عَلَى الْمُخَالَفِينَ مُمَثِّلًا لِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾^(١) هَذَا مُضَافًا إِلَى حُكْمِ الْعَقْلِ بِعَدَمِ جَوَازِ الرَّأْفَةِ عَلَى مُخَالَفِ الْحَقِّ كَيْفَ وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى الْأَعَانَةِ عَلَى الْأَثْمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا لِنَبِيِّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ: ﴿فَإِذَا انشَلَخْتُمُ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(٢)

وقال تعالى في حدِّ الزَّانِي وَالزَّانِيَةِ: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٣)

وامثال ذلك من الآيات الدالات على عدم جواز الرأفة واللينة في إقامة الحق وكلامنا وان لم يكن في هذا الموضوع إلا أن المناط في هذه الأمور واحد وهو التجاوز والبغى والانحراف عن سبيل الحق فيجب على كل مسلم متمكن ردع الظالم والباغى بائى نحوٍ كان فإن الأوامر الواردة في دفع الظلم وغيره من

القبايح العقلية ارشادية تعمّ وتسرى الى كل الافراد كما قرّر في الاصول ولا شك ان اللينة في هذه الموارد على الاطلاق ليست في محلّها ولا سيّما بالنسبة الى المخالف المُحارب كما فيما نحن فيه.

وبعد اللّيتيا والتي انى لأظنّ ظناً قوياً قريباً من القطع بانّ مراده ﷺ من قوله ﷺ هذا هو ذمّهم على المماطلة والتسويف والمسامحة والأهمال في امر الحرب مع القاسطين ولم يعلموا ان هذه الرؤية الرديّة قد نشئت من غفلتهم وعدم توجّهم بعواقب الامور وانّ هذه اللينة ليست في محلّها ولأجل ذلك قال في غفلة، وقد قلنا انّ التقدير وانتم ساهون في غفلة، اي انتم مُماطلون في امر الحرب ومنشاء هذه المماطلة هو الغفلة لا غير ولكن لاتعلمون.

وثالثها قوله ﷺ: غَلِبَ وَاللّٰهُ الْمُتَخَاذِلُونَ...

غَلِبَ بضمّ الغين وكسر اللّام مَجْهُولٌ غَلِبَ بفتحها اي صار مُغلوباً مَقْهُوراً للاعداء من كان من المتخاذلين والمتخاذل هو الذي تَرَكَ وَخَذَلَ صاحبه ورفيقه يقال تخاذل القوم اي ترك بعضهم بعضاً والخِذْلان هو ترك التّصرة والاعانة.

وانما قال ﷺ: الْمُتَخَاذِلُونَ وَلَمْ يَقُلِ الْمُخَاذِلُونَ، للدلالة على انهم تَرَكَوا بعضهم بعضاً كما هو شأن المنافق وهذا المعنى قد اوجِبَ عليهم الخِذْلان لامحالة ولا شك انّ هذا العمل منهم قد جعلهم في الهلكات والسقطات في الدارين فشناعته وقباحته قد رجَع عليهم لانّ هذا فيهم كان بسوء سريرتهم وخبث طينتهم حيث اختار والحياة الفانية على الآخرة والذّلة على العِزّة وما ربك بظلام للعبيد.

□ قوله ﷺ: وَأَيُّمُ اللّٰهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنَّ لَوْ حَمِسَ الْوَعَا وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِيطَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّاسِ...

قد ذكرنا الأقوال في كلمة (أَيْم) وانّ التقدير ايمنُ الله قسّمى وقوله ﷺ حَمِسَ الْوَعَا كناية عن شدّة الحرب فانّ الحَمِسَ الأشتداد والوَعَا الصّوت

والجلبة وذلك لما في الحرب من الأصوات والجلبة واستخرت الموت اى
استعر القتل فصدر عليه السلام كلامه بالقسم مع اسم الجلالة وحروف التأكيد بعدها من
اللام وان، للدلالة على ما قاله فيهم حق لا مربة فيه حيث انه عليه السلام لمكان عصمته
فقد تنزه عن الكذب والافتراء وحاصل المعنى انه عليه السلام قد خاطبهم وقال انى
لأقسم بالله جل جلاله انه لو اشتدت الحرب وعابثتم الموت والقتل قد
انفرتم اى تفرقتم عن ابن ابيطالب تفرقاً لارجوع بعده ابداً كتفرق الرأس عن
البدن وهو اشعار بنفاقهم وانه لا يعتمد عليهم فى الحروب مع الاعداء لانهم إما
أن يفرون من الجهاد واما أن يتركوه ولا يطيعوه كما فعلوا به فى صفين وغيرها.
ثم ان الشارحين لكلامه عليه السلام قد ذكروا وجوهاً تبلغ ثمانية فى معنى انفراج
الرأس لا طائل تحتها فان الأمر اوضح من ان يخفى وذلك لانه عليه السلام قد شبه
نفسه الشريفة واصحابه المنافقين بالجسد والرأس فكما ان الجسد اذا لم يكن
فيه رأس لا أثر له فلذلك السلطان والأمير والحاكم او ما شئت فسمه اذا لم
يكن له افراد مطيعين لا أثر له كما قال عليه السلام فى موضع آخر لا امر لمن لا يطاع.
وحيث ان اصحابه كانوا فى جملة المنافقين المعاندين وكان مظنونه على ما
قال قبل هذا الكلام، تفرقتهم عنه ولازم ذلك مغلوبيته ومقهوريته بحسب
الظاهر والصولة المنكسرة لا ترجع الى حالتها الأولى ابداً فقال عليه السلام ما قال كما ان
الرأس المنفرج عن البدن لا يرجع اليه ابداً.

وبعبارة اخرى: المقصود من هذا الكلام هو تفرقتهم عنه فى الهيجاء ظاهراً
وواقعاً تفرقاً لارجعة لهم فيه ابداً ومن كان كذلك فعدم اقدامه للحرب
والوقوع فيها اولى له من الوقوع فيها.

□ قوله عليه السلام: وَاللَّهِ إِنَّ أَمْرًا يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَغْرُقُ لَحْمَهُ وَيَهْشِمُ
عَظْمَهُ وَيَقْرِى جِلْدَهُ لِعَظِيمِ عَجْزِهِ ضَعِيفٌ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ...

ثم اقسام بالله ثانياً وقال ان الانسان اذا مكّن عدوه من نفسه بتركه القتال
والجدال وانغماره فى نوم الغفلة ولازم ذلك هو تسليط العدو على دمه وماله

وعرضه فيترتب على هذه السجية أمور:

احدها قوله ﷺ: **يَعْرِقُ لَحْمَهُ...**

اي يعرق العدو لحمه وهو كناية عن تسلطه عليه بالقهر والغلبة وتعذيبه بانواع العذاب وزجره ومنعه عن حقوقه الحققة فيستغيث ولا يغاث ويستعين ولا يُعان ويسترحم ولا يُرحم، وقوله ﷺ هذا مأخوذ من قولهم عرق اللحم، كَنَصْر، أَكَلَهُ ولم يبق منه على العظم شيئا.

وثانيها قوله ﷺ: **وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ.** والهشم الكسر، اي يكسر العدو عظمه وهو كناية عن اعدامه وقتله بالمرّة فكأنه لا تنفع بأكل لحمه فقط بل بعد ذلك يكسر عظمه حتى لا يبقى منه عيّن ولا أثر ولا يقدر بعد ذلك على القيام ابداً. وثالثها قوله ﷺ: **ويقرى جلده.** القرى القطع اي يقطع جلده عن جسده وهو كناية عن قطع العدو علائقة بان أخذ ماله وهتك ستره وعرضه ووجه الشبه هو ان الجلد حافظ للبدن كما ان هذه الأمور تحفظ الشئون -

الاجتماعية والغرض عدم ترحمه عليه بوجه من الوجوه.

□ قوله ﷺ: **يعظم عجزه ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره...**

اي هذه الامور المذكورة المترتبة على تسليط العدو لامحالة واقعة لكون المَقهور عاجزاً ذليلاً لا غيرة له ولا دين له كيف وهو مُتَّصِفٌ بضعف القلب فان ما ضمت عليه جوانح صدره اي اضلاعه انما هو القلب لا غير وهو مشعرٌ بان المتَّصِفُ بهذه الأوصاف من اشباه الرجال ولا رجال، فان الرجل الواقعي لا يكون ضعيفاً عاجزاً ذليلاً لا يدافع عن نفسه وماله وعرضه وهذا ظاهر. وفي هذه القضايا قد اخبر ﷺ عما وقع بعد شهادته ﷺ من بنى امية على المسلمين حيث انهم لم يرحموا على صغيرهم وكبيرهم وصحيحهم ومريضهم وغنيهم وفقيرهم ورجالهم ونسائهم فكانهم اكلوا لحومهم وهشموا عظامهم وفرو جلودهم كما تشهد به التواريخ كل ذلك بسبب مُماطلتهم اعنى اصحابه ﷺ وتناقلهم وتساهلهم في دفع الأعداء وعدم اطاعتهم لامامهم الذي اوجب الله

طاعته عليهم ومن كان كذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نفسه.

□ قوله عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ...

ثم خاطبهم عليه السلام بقوله عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، كما أن لكل إمام على المأموم حقٌّ ولكم على حقٌّ وذلك لأن الرعية أيضاً لها حقٌّ على الامام فإن الحق ثابت لهما من الطرفين وقد عدَّ لكل من الطرفين حقوقاً أربعة.

□ قوله عليه السلام: فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ...

وهذه أول الحقوق الأربعة الثابتة للرعية على الامام فيجب على الامام النصيحة لها في السر والعلانية وحثهم على محاسن الاخلاق ومكارم الآداب وترغيبهم الى ما فيه حسن الثواب في المعاش والمآب وتحريضهم على ما فيه صلاحهم في امر الدين والدنيا وزجرهم وردعهم عن الاقتحام في المعاصي والهلكات.

□ قوله عليه السلام: وَتَوْفِيرٌ فَيُنْكَمُ عَلَيْكُمْ...

وهذا هو الثاني منها والمقصود من توفير الفيء تفريقه وتقسيمه فيهم بالسوية على طبق الشريعة.

□ قوله عليه السلام: وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا...

وهذا هو الثالث والرابع منها والمقصود أنه يجب على الامام تعليم الرعية امور دينهم ودنياهم كما أنه يجب عليه تأديبهم كيما يعملوا ويعلموا فإن العمل بعد العلم ومُتَفَرِّعٌ عليه كما أن الثمر بعد الشجر وأما حق الامام عليها فأربعة ايضاً:

□ قوله عليه السلام: وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَأَلْوَافُ بِالْبَيْعَةِ...

وهو الاول من الحقوق الأربعة الثابتة للإمام على الرعية وأما قدم الوفاء بالبيعة على الثلاثة الباقية لأن الوفاء بالبيعة هو الاصل فإن من لا يفي بالبيعة

لا يترقّب منه الأُطاعة والإجابة وغيرهما.

□ قوله ﷺ: وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ...

وهذا هو الثاني من الأربعة والمقصود هو وجوب نصيحة الرعية للإمام في الغيبة والحضور والذّب عنه في كلّ الموارد والأعانة له بنفسه وماله ولسانه من غير خيانة ولا نفاق.

□ قوله ﷺ: وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ...

وهذه هي الثالثة من الحقوق والغرض اجابة الرعية لدعوة الأمام حين يدعّوهم وبعبارة اخرى اطاعة الناس وانقيادهم بالنسبة الى اوامره ونواهيه وعدم تمرّدهم ومخالفتهم له في جميع الشئون.

□ قوله ﷺ: وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ...

وهي الرابعة منها والفرق بين الثالث والرابع هو أنّ الاجابة حين الدّعوة اعمّ من الطّاعة حين الأمر وذلك لكون الدّعوة اعمّ من الأمر حيث أنّ الأمر لا يصدر إلا من العالی بخلاف الدّعوة فالرابع اخصّ من الثالث.

تذنيب: اعلم أنّ ما ذكره ﷺ في هذه الخطبة من الحقوق الأربعة او الثمانية

أثما هو في الأمام العادل المنصوب من قبل الله ورسوله على الرعيّة ولأجل

هذه الدّقيقة قال ﷺ أنّ لي عليكم حقاً، ولم يقل أنّ للأمام او السّلطان على

الرعيّة حقاً وذلك لأنّ كلمة الأمام تطلق على كلّ من يؤمّ الناس بزراً كان او

فاجراً ومن المعلوم أنّ الامام الفاجر الغاصب والسّلطان الغالب القاهر بالسيف

لاحقّ له على الرعيّة أبداً لا عقلاً ولا نقلاً ولا تجب اطاعته على الناس إلا من

خوفٍ وتقيةٍ فان يقدر احدٌ على ردّعه ومنعه وعدم طاعته بل قتله من غير

مفسدةٍ فيه يجب عليه ان يفعل فأنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قولاً وفعلاً ولذلك خصّ ﷺ هذه الأمور بنفسه الشريفة وقال ﷺ أنّ لي عليكم:

لكونه ﷺ اماماً مفترض الطّاعة بنصّ من الله ورسوله، فليس لأحدٍ من حكام

الْجَوْر مَمَّنْ كَانَ قَبْلَهُ اَوْ بَعْدَهُ اِلَى يَوْمِ ظَهْوْرِ الْحُجَّةِ ﷻ التَّمَسُّكُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ
مِنَ الْحُقُوقِ عَلَى الرِّعِيَةِ كَائِنًا مَن كَانَ وَهَذَا مِمَّا لَا يَخْفَى عَلَى مَن لَهٗ اَدْنَى فَضْلٍ
وَ قَدْ مَرَّ الْكَلَامُ مَنَافِيهِ سَابِقًا وَسِيَّاتِي تَفْصِيْلُهُ اِنْشَاءَ اللّٰهِ تَعَالَى.

﴿ وَمَنْ خُطِبَ لَهُ ﴾ (٣٥)

بعد التحكيم

□ قال ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ، وَالْحَدِيثُ الْجَلِيلِ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.
أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرَّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ
وَتُعَقِّبُ النَّدَامَةَ، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ
مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقْصِيرِ أَمْرِي، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالَفِينَ الْجُفَاءِ،
وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ، وَضَنَّ الزَّئِدُ بِقَدَمِهِ، فَكُنْتُ
أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ:
أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرِجِ اللَّوِيِّ فَلَمْ تَسْتَسِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ.

◀ اللغة

(الْخَطْبُ) بِالْفَتْحِ فَالسُّكُونِ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَكْثُرُ تَخَاطَبُ النَّاسِ فِيهِ أَوْ
مَطْلَقُ الْأَمْرِ. (الْفَادِحُ) فَدَحَهُ الدَّيْنُ أَنْثَقَلَهُ وَالْأَمْرُ الْفَادِحُ الَّذِي يَثْقُلُ وَيَهْبِطُ.
(نَخَلْتُ لَكُمْ) نَخَلَ الشَّيْءُ إِذَا صَفَّاهُ وَاخْتَارَهُ. (الْجُفَاءُ) جَمْعُ الْجَافِي وَهُوَ الَّذِي
خَشَنَ طَبْعَهُ. (وَضَنَّ) بَخَلَ (وَالزَّئِدُ) الْعُودُ الَّذِي يَقْدَحُ بِهِ النَّارُ. (هَوَازِنُ) اسْمُ
قَبِيلَةٍ (مُنْعَرِجِ) اسْمُ الْفَاعِلِ مِنْ إِنْعَرَجَ الشَّيْءُ إِنْعَطَفَ (اللَّوِيُّ) كَالِئِي مَا التَّوَى مِنْ
الرَّمْلِ.

قال عليه السلام بعد الحمد والثناء عليه. فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجْرَبِ تُوْرِثُ الْحَسْرَةَ وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ اراد عليه السلام بهذا الناصح الموصوف بالأوصاف المذكورة نفسه الشريفة حيث ان اصحابه لما عَصَوْه فى قضية التحكيم فلا محالة لَزَمَتْهُمُ الْحَسْرَةُ وَالنَّدَامَةُ اثبت عليه السلام فى هذا الكلام لنفسه اوصافا اربعة، الاول كونه ناصحاً، والثانى كونه شفيقاً عليهم، والثالث كونه مُجْرَباً فى الامور، والرابع كونه عالماً بعواقب الامور وما ذكره عليه السلام حق كما سيأتى، ثم فرع عليه السلام على مخالفة من كان موصوفاً بها بالحسرة، والندامة كما ستعلم.

□ قوله عليه السلام: وَقَدْ كُنْتُ أَمْرْتُكُمْ فِى هَذِهِ الْحُكُومَةِ التى وَقَعَتْ فِى دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، امرى فى صفتين، وَنَخَلْتُ، اى اخترت لكم (مَخْزُونٌ رَائِي)، وقلت لكم ان هذه خُدعة (لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ) لما حَصَلَتِ الْحَسْرَةُ وَالنَّدَامَةُ وهو مثل فى العرب وقصير هو قصير ابن سعد مولى جزيمة الأبرش من ملوك العرب على ما قيل (فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ) بعدم قبولكم قولى (إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاءَ وَالْمُنَابِذِينَ الْعُضَاءَ)، هذا مَحْمُولٌ عَلَى الْمَبَالِغَةِ لِعَدَمِ جَوَازِ الشُّكِّ فِيمَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِالْعِلْمِ اللَّدْنِيِّ وَوَاجِدًا لِمَقَامِ الْعِصْمَةِ (حَتَّىٰ اِزْتَابَ النَّاصِحُ إِلَىٰ آخِرِ الْخُطْبَةِ، اشارة الى شدة اتفاقهم على الخلاف فان الناصح اذا كثر مخالفيه لامحالة يشك فى ان نصحه هل هو صواب ام لا:

◀ الشرح

□ قوله عليه السلام: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرَ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ وَالْحَدِيثِ الْجَلِيلِ... قد تقدم منا الكلام فى معنى الحمد مفصلاً فى الخطبة الاولى وكذا فى اسم الجلالة فلا نعيده واما قوله عليه السلام: وَإِنْ أَتَى الدَّهْرَ الخ كلمة إن: للشرط والوصل أُجْرِتْ عن الجزاء وتقديره وَإِنْ أَتَى الدَّهْرَ الخ فنقول الحمد لله كما تقول

تُعطيك وان كان كذا والمقصود من خطب الفادح هو امر التحكيم الذي جرى بينه وبين معاوية على التفصيل الآتى وإنما عبّر عليه السلام عنه بالخطب لعظمته وأهميته ولذلك لم يقنع به ووصفه بالفادح وهو الثقيل لثقله على المؤمنين حيث أنه صار موجبا لتسليط معاوية واصحابه على الأسلام والمسلمين وائى امر اعظم واثقل مما هو امات المعروف واحيي المنكر ولما كان الموضوع اعنى التحكيم بالمعنى الذى ذكره المورخون وستعلم كيفيته لم تكن له سابقة فى الاسلام ولا فى غيره لعدم رضايته عليه السلام به من اول الامر وإنما اكرهوه واجبروه عليه اصحابه ومن المعلوم ان التحكيم الصحيح متوقف على موافقة الطرفين فلا محالة لم يكن على ما ينبغى ولذلك عبّر عليه السلام عنه بالحدّث لكونه مسبوفاً بالعدم وهو كذلك.

ومُلخَص الكلام ان التحكيم بالمعنى المذكور كان من الحوادث الواقعة فى العالم وإنما نسبه عليه السلام بالدّهر دون الخالق لان تفويض الحكم فى الدين او نصب الامام الى المخلوق امرٌ قبيحٌ عقلاً اذ هو من شئون الله تبارك وتعالى ووظائفه الخاصّة به فلا يمكن استناد هذه القبائح اليه ولا جل هذه الدّقيقة لم يرض به عليه السلام من اوله الى آخره وإنما هو من الحوادث الواقعة فى طول الأزمنة بسوء سريرة المخلوق وخبث ذاته ولذلك قال عليه السلام: أتى الدّهر ولم يقل اتى الزّمان.

وبعبارة اخرى: اسندّه الى الدّهر دون الزّمان لان الدّهر هو بمنزلة الوعاء للزّمان والظرف له وهو متن الواقع لا يتغيّر ولا يتبدّل وهذا بخلاف الزّمان لانه من الكميات المتصلة الغير القارة التى وجودها فى نصرّمها وهو ليس بشىء ثابت فلا يعقل استناد الأفعال اليه، نعم ما هو ثابت فى الدّهر يقع لامحالة فى زمانٍ مُعيّن فالزّمان ظرف للحوادث كما ان الدّهر للزّمان وللتحقيق فيهما مقام آخر.

وحاصل كلامه عليه السلام هو انه قال: وإن أتى الدّهر بهذا الخطب الفادح الحادث

الآ أنا نقول فيه الحمد لله على كل حال من الأحوال كما هو مقتضى التسليم
لامر الله والرضاء برضائه.

□ قوله ﷺ: وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ...

بعد الحمد والثناء له تعالى اردف كلامه بذكر الشهادتين اللتين لا بد منهما
لكل مسلم فالجملة الأولى تُفيد التوحيد الذي هو بمنزلة الأصل في كل
الأعمال والاعتقادات والثانية دالة على ان مُحَمَّدًا ﷺ عبده ورسوله جاء
بالحق من عنده وهي الفرع على التوحيد فان من عرف الله وَوَحَّدَهُ فَقَدْ عَرَفَ
نَبِيَّهَ كَمَا أَنَّ مَنْ عَرَفَ نَبِيَّهَ فَقَدْ عَرَفَ الْأَمَامَ وَالْوَصِيَّ مِنْ بَعْدِهِ كَمَا وَرَدَ فِي
الدَّعَاءِ: اللَّهُمَّ عَرَفْنِي نَبِيَّكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَبِيَّكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ اللَّهُمَّ
عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي.

وَأَمَّا قَالَ ﷺ: لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ، لِأَنَّ الْمَعِيَةَ تُفِيدُ التَّسَاوِيَّ فِي الرَّتَبَةِ أَوْ
الْوَصْفِ فَالْمَقْصُودُ مِنْهُ هُوَ نَفْيُ الْمَعِيَةِ لِأَنِّي إِلهٌ مُطْلَقاً فَإِنَّ لِلنَّاسِ إِلَهَةً كَثِيرَةً
مِنَ الصَّنَمِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالْهَوَىِّ وَلَفْظُ الْإلهِ يُطْلَقُ عَلَيْهَا كَمَا يُطْلَقُ
عَلَى الْوَاجِبِ الْآلِ إِنَّ هَذِهِ الْإلهَةَ الْمَوْهُومَةَ لَيْسَتْ مِنْ جِهَةِ الذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ فِي
رُتَبَتِهِ لِأَنَّهَا مَعْلُوباتٌ مَخْلُوقاتٌ لَهُ تَعَالَى وَالْمَعْلُولُ مُتَأَخَّرٌ عَنِ الْعِلَّةِ فِي جَمِيعِ
الشُّيُونِ بَلِ الْحَقُّ أَنَّهُ لَا وُجُودَ لَهُ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ وُجُودِ الْعِلَّةِ وَلِذَلِكَ نَقُولُ أَنَّ
المَعْلُولَاتِ فِي عَالَمِ الْوُجُودِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى عِلَّتِهِ لَيْسَتْ إِلَّا التَّعَلُّقاتِ وَالرَّوَابِطِ
الْمَحْضَةِ فَكَيْفَ يَعْقِلُ تَصَوِيرَ وُجُودِ الْمَعْلُولِ مَعَ الْعِلَّةِ كَأَنَّ اللَّهَ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ
شَيْءٌ وَنَحْنُ نَقُولُ الْآنَ كَمَا كَانَ.

ثم انه لا بد لنا اولاً من ذكر قضية التحكيم وكيفيتها على ما نقلها المؤرخون
وبعد ذلك نشرح الفقرات لكون العبارات مما اشار ﷺ بها اليها تعييناً للمراد
وتوضيحاً للمقال فنقول:

اعلم: ان هذه الخطبة على ما مرّت الاشارة اليه انما صدرت عنه بعد قضية

التحكيم ومخالفة اصحابه له عليه السلام فيها ووقوع الحوادث والفتن من معاوية واصحابه فيها وقد ذكرها الشارح المعتزلى فى شرحه مفصلاً ونقلها عن نصر ابن مزاحم وابراهيم ابن ويزيل وغيرهما ثم نقلها الخوئى (قده) فى شرحه وقد اخذها منه كما اعترف به وقال بتلخيص منا وحيث ان التحكيم انما وقع بعد الفراغ عن محاربة الطرفين بصفيين وما وقع فى هذا الحرب فلا بد لنا من بيان قضية صفيين من البدو الى الختم حتى تكون على بصيرة فيها ونحن نذكرها نقلاً عن الكامل تكثيراً للفائدة فنقول:

قال ابن الأثير فى كامله انه لما عاد على عليه السلام من البصرة بعد فراغه من الجمل قصد الكوفة وأرسل الى جرير ابن عبد الله البجلي وكان عاملاً على همدان استعمله عثمان والى الأشعث ابن قيس وكان على آذربايجان استعمله عثمان ايضاً يأمرهما بأخذ البيعة والحضور عنده فلما حضرا عنده اراد على عليه السلام ان يرسل رسولا الى معاوية قال جرير ارسلنى اليه فانه لى وذا فقال الأشتر لا تفعل فإن هواه مع معاوية فقال على دعه حتى ننظر ما الذى يرجع الينا به فبعثه وكتب معه كتابا الى معاوية يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وخربه اياهما ويدعوه الى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته.

فسار جرير الى معاوية فلما قدم عليه ما طله واستنظره واستشار عمرواً فاشار عليه ان يجمع اهل الشام ويلزم علياً دم عثمان ويقاتله بهم ففعل معاوية ذلك وكان اهل الشام لما قدم عليهم النعمان ابن بشير بقميص عثمان الذى قتل فيه مخضوباً بالدم باصابع زوجته نائلة اصبعان منها وشىء من الكف واصبعان مقطوعتان من اصولهما ونصف الأبهام، وضع معاوية القميص على المنبر وجمع الأجناد اليه فبكوا على القميص مدة وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه واقسم رجال من اهل الشام ان لا يمسهم الماء ألا للغسل من الجنابة وان لا يناموا على الفراش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن قام دونهم قتلوه فلما

عاد جُرير الى امير المؤمنين عليه السلام وأخبره خبر معاوية واجتماع اهل الشام معه على قتاله وأنهم يبيكون على عثمان ويقولون إن علياً قتله وأوى قتلته وأنهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم او يقتلوه قال الأشر لعلي قد كنت نهيئتك ان تُرسل جُريراً واخبرتك بعداوته وغشيه ولو كنت ارسلتني لكان خيراً من هذا الذي اقام عنده حتى لم يدع باباً نرجوا فتحه الا فتحه ولا باباً بانخاف منه الا اغلقه.

فقال جُرير لو كنت ثم لقتلوك لقد ذكروا انك من قتلة عثمان، فقال الأشر والله لو اتيتهم لم يعينى جوابهم ولحملت معاوية على خطئه أعجله فيها عن الفكر ولو اطاعنى امير المؤمنين لحبستك وأشباهك حتى يستقيم هذا الامر. فخرج جُرير الى قرقيسا وكتب الى معاوية فكتب اليه معاوية يأمره بالقدوم عليه وقيل كان الذي حمل معاوية على رد جُرير البجلي غير مقضى الحاجة شرحبيل ابن السمط الكندي وكان سبب ذلك ان شرحبيل كان قد سيّره عمر ابن الخطاب الى العراق الى سعد ابن ابى وقاص وكان معه فقدمه سعد وقربته فحسده الأشعث ابن قيس الكندي لمنافسة بينهما فوقف جُرير البجلي على عمر فقال له الأشعث ان قدرت ان تنال من شرحبيل عند عمر فافعل فلما قدم على عمر سئله عن الناس فأحسن الثناء على سعد قال وقد قال شعراً:

ألا ليثنى والمرء سعد ابن مالك

وزيراً وابن السمط فى لجة البحر

فيغرق اصحابي واخرج سالماً

على ظهر قرقورى أنادى ابابكر

فكتب عمر الى سعد يأمره بارساله زبراً وشرحبيلاً اليه فارسلهما فأمسك زبراً بالمدينة وسير شرحبيلاً الى الشام فشرف وتقدم وكان ابو السمط من غزه الشام فلما قدم جُرير بكتاب علي الى معاوية فى البيعة انتظر معاوية قدوم شرحبيل فلما قدم عليه اخبره معاوية بما قدم فيه جُرير فقال كان امير المؤمنين عثمان خليفتنا فان قويت على الطلب بدمه والا فأعتزلنا فانصرف جُرير

فقال النجاشي.

شُرحبيل ماللدين فارقت امرنا

ولكن لبغضى المالكي جُريير

وقولك ما قد قلت عن امر أشعث

فاصبحت كالحادي بغير بغير

وخرج عليٌّ فعسكر بالنخيلة وتخلّف عنه نفرٌ من اهل الكوفة منهم مرّة
الهمداني ومسروق أخذوا اعطياتهما وقصدا قزوين فاما مسروق فانه كان
يستغفر الله من تخلّفه عن عليّ بصيفين وقدم عليه عبد الله ابن عباس فيمن
معه من اهل البصرة وبلغ ذلك معاوية فاستشار عمرواً فقال اما اذ سار عليّ
فسير اليه بنفسك ولا تغب عنه برأيك (قد فرّقوا جمعهم) ومكيدتك فتجهز
معاوية وتجهز الناس وحضهم عمرو وضعف علياً واصحابه وقال ان اهل
العراق قد فرّقوا جمعهم وهنو شوكتهم واهل البصرة مخالّفون لعليّ بمن قتل
منهم وقد تفاقمت صنابيرهم وصناديد اهل الكوفة يوم الجمل واما سار عليّ
في شردمة قليلة وقد قتل خليفتم والله الله في حَقكم ان تُضيعوه وفي دمكم
ان تُبطلوه وكتب معاوية الى اهل الشام وعقد لواءً لعمرو ولواءً لابنيه عبد الله
ومحمّد ولواءً لعلامة وردان وعقد عليّ لواءً لعلامة قنبر فقال عمرو.

هل يُغنين وردان عنّي قنبراً

او تغني السكون عنّي حميراً

فبلغ ذلك علياً فقال:

لاصبّحن العاصي ابن العاصي

سبعين الفاً عاقد التواصي

مُجنّبين الخيل بالقلاص

مُستحقّبين حلق الدلاصي

فلما سمع معاوية ذلك قال ما اري علياً الا وقد وفي لك وسار معاوية وتأنّ

في مسيره فلما رأى ذلك الوليد ابن عُقبة بعث اليه يقول:

الا ابلغ معاوية ابن حرب

فانك من اخي ثقة مليم

قطعت الدهر كالسدم المعنى

تهدّر في دمشق فما تُريم

وَأَنْتَ وَالْكِتَابُ إِلَى عَلِيٍّ
يُمْنِيكَ الْإِمَارَةَ كُلَّ رَكْبٍ
وَلَيْسَ أَخُو التُّرَابِ بِمَنْ تَوَلَّى
وَلَوْ كُنْتَ الْقَتِيلَ وَكَانَ حَيًّا
وَلَا نَكَلَ عَنِ الْأُوتَارِ حَتَّى
وَقَوْمِكَ بِالْمَدِينَةِ قَدْ أَبِيرُو
فَكُتِبَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةَ:

وَمُسْتَعْجَبٌ مِمَّا يَرَى مِنْ إِنْاتِنَا
وَلَوْ زَيَّنْتَهُ الْحَرْبَ لَمْ يَتْرَمِرْ

وَبَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زِيَادَ ابْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيَّ طَلِيْعَةً فِي ثَمَانِيَةِ أَلْفٍ وَبَعَثَ مَعَ
شَرِيْحَ ابْنِ هَانِيٍّ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ وَسَارَ عَلِيُّ مِنَ النَّخِيْلَةِ وَأَخَذَ مَعَهُ مِنْ بِالْمَدَائِنِ مِنْ
الْمُقَاتِلَةِ وَوَلَّى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْمَدَائِنَ سَعْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ عَمَّ الْمُخْتَارَ ابْنَ أَبِي عَسِيدٍ
الثَّقَفِيَّ وَلَمَّا سَارَ عَلِيُّ كَانَ مَعَهُ نَابِغَةُ ابْنِ جُعْدَةَ فَحَدَا بِهِ يَوْمًا فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَ الْمِصْرَانِ وَالْعِرَاقُ
أَبِيضَ حَجَّاجٍ لَهُ رَوَاقُ
لَكُمْ سَبَاقٌ وَلَهُمْ سَبَاقُ
قَدْ عَلِمْتَ ذَالِكُمْ الرَّفَاقُ
أَنَّ عَلِيًّا فَحَلَّهَا الْعِتَاقُ
أَنَّ الْأَوْلَى جَارُوكَ لَا فِاقُوا

وَوَجَّهَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الْمَدَائِنِ مَعْقِلَ ابْنِ قَيْسٍ فِي ثَلَاثَةِ أَلْفٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ
عَلَى الْمُؤَصِّلِ حَتَّى يُوَافِيَهُ عَلَى الرَّقَّةِ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الرَّقَّةِ قَالَ لِأَهْلِهَا لِيَعْمَلُوا لَهُ
جِسْرًا يَعْبُرُ عَلَيْهِ إِلَى الشَّامِ فَاتَّبَعُوا وَكَانُوا قَدْ ضَمَّنُوا سَفُنَهُمُ إِلَيْهِمْ فَنَهَضَ مِنْ
عِنْدِهِمْ لِيَعْبُرَ عَلَيْهِ جِسْرَ مَنْبِجٍ وَخَلَفَ عَلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ فَنَادَاهُمْ الْأَشْتَرُ وَقَالَ اقْسِمُ
بِاللَّهِ لَنْ تَعْمَلُوا جِسْرًا تُعْبَرُ عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَجْرَدَنْ فِيكُمْ السَّيْفَ وَلَا قَتْلَنَ
الرِّجَالَ وَلَا أَخْذَنَ الْأَمْوَالَ فَلَقِيَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَقَالُوا إِنَّهُ الْأَشْتَرُ وَأَنَّهُ قَمِنَ أَنْ يَفِيَّ
لَكُمْ بِمَا خَلَفَ عَلَيْهِ أَوْ يَأْتِيَ بِأَكْثَرِ مِنْهُ فَتَصْبُوا لَهُ جِسْرًا وَعَبَّرَ عَلَيْهِ عَلِيُّ
وَاصْحَابُهُ وَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ فَسَقَطَتْ قَلَنْسُوءُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي الْحَصِينِ الْأَزْدِيِّ
فَنَزَلَ وَأَخَذَهَا ثُمَّ رَكِبَ وَسَقَطَتْ قَلَنْسُوءُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْحَجَّاجِ الْأَزْدِيِّ فَتَزَلَ

وَأَخَذَهَا ثُمَّ قَالَ لِصَاحِبِهِ:

فَان يَكُ ظَنَّ الزَّاجِرَ الطَّيْرَ صَادِقًا كَمَا زَعَمُوا اقْتُلْ وَشِيكًا وَيُقْتَلْ
فَقَالَ ابْنُ أَبِي الْحَصِينِ مَا شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا ذَكَرْتَ فَقُتِلَا جَمِيعًا بِصَفِينِ
وَلَمَّا بَلَغَ عَلِيُّ الْفَرَاتَ دَعَا زِيَادَ ابْنَ النَّضْرِ الْحَارِثِيَّ وَشَرِيحَ ابْنَ هَانِي فَسَرَّحَهُمَا
أَمَامَهُ فِي اثْنَيْ عَشَرَ الْفَأَ نَحْوَ مَعَاوِيَةَ عَلَى حَالِهِمَا الَّتِي خَرَجَا عَلَيْهَا مِنَ الْكُوفَةِ
وَكَانَ سَبَبَ عُودِ هُمَا إِلَيْهِ أَنَّهُمَا حَيْثُ سَيَّرَهُمَا عَلِيُّ مِنَ الْكُوفَةِ أَخَذَا عَلَى
شَاطِئِ الْفَرَاتِ مِمَّا يَلِي الْبَرَّ فَلَمَّا بَلَغَا عَانَاتَ بَلَغَهُمَا أَنَّ مَعَاوِيَةَ قَدْ أَقْبَلَ فِي جُنُودِ
الشَّامِ فَقَالَا لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَنَا بِرَأْيِ نَسِيرٍ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَامِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
هَذَا الْبَحْرُ وَمَا لَنَا خَيْرٌ فِي أَنْ نَلْقَى جُنُودَ الشَّامِ لِقَلَّةِ مَنْ مَعَنَا فَذَهَبُوا لِيَعْبُرُوا مِنْ
عَانَاتٍ فَمَنْعَهُمْ أَهْلُهَا فَرَجَعُوا وَعَبَرُوا مِنْ هَيْتٍ فَلَحَقُوا عَلِيًّا دُونَ قَرْقِيسَا فَلَمَّا
لَحِقَ عَلِيًّا قَالَ مُقَدَّمَتِي تَأْتِينِي مِنْ وَرَائِي فَاخْبِرْهُ شَرِيحَ وَزِيَادَ بِمَا كَانَ فَقَالَ
سَدَدْتُمَا فَلَمَّا عَبَرَ الْفَرَاتَ سَيَّرَهُمَا أَمَامَهُ فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى سُورِ الرُّومِ لَقِيَهُمَا أَبُو
الْأَعْوَرِ السَّلْمِيُّ فِي جُنْدٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَارْسَلَا إِلَى عَلِيٍّ فَأَعْلَمَاهُ فَارْسَلَ عَلِيٌّ
الْإِشْتِرَ وَأَمَرَهُ بِالسُّرْعَةِ وَقَالَ لَهُ إِذَا قَدِمْتَ فَانْتَ عَلَيْهِمْ وَأَيَّاكَ أَنْ تَبْدَأَ الْقَوْمَ بِقِتَالِ
الْأَنْ يَبْدُوكَ تَلْقَاهُمْ فَتَدْعُوهُمْ وَتَسْمَعُ مِنْهُمْ وَلَا يَحْمِلُكَ بِغَضِهِمْ عَلَى قِتَالِهِمْ
قَبْلَ دَعَائِهِمْ وَالْأَعْذَارِ إِلَيْهِمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَاجْعَلْ عَلَى مِيْمَتِكَ زِيَادَ وَعَلَى
مِيْسِرَتِكَ شُرَيْحَا وَلَا تَدُنْ مِنْهُمْ دُنُوً مِنْ يُرِيدَانِ يَنْشَبُ الْحَرْبُ وَلَا تُبَاعِدْ مِنْهُمْ
تُبَاعُدُ مِنْ يُهَابِ الْبَأْسِ حَتَّى أَقْدِمَ عَلَيْكَ فَأَنْتِ حَشِيَّتُ الْمَسِيرِ فِي أَثْرِكَ انْشَاءً
اللَّهُ تَعَالَى.

وَكُتِبَ إِلَى زِيَادَ وَشَرِيحَ بِذَلِكَ وَأَمَرَهُمَا بِطَاعَةِ الْأَشْتَرِ فَسَارَ الْأَشْتَرُ حَتَّى قَدِمَ
عَلَيْهِمْ وَاتَّبَعَ مَا أَمَرَهُ وَكَفَّ عَنِ الْقِتَالِ وَلَمْ يَزَالُوا مُتَوَافِقِينَ حَتَّى كَانَ عِنْدَ الْمَاءِ
حَمَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو الْأَعْوَرِ السَّلْمِيُّ فَثَبَّتْهُ وَاضْطَرَبُوا سَاعَةً ثُمَّ انْصَرَفَ أَهْلُ الشَّامِ
وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْغَدِ هَاشِمُ بْنُ عَتَبَةَ الْمِرْقَالِ وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو الْأَعْوَرِ فَاقْتَتَلُوا
يَوْمَهُمْ وَصَبَرَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ وَقَالَ أَرُونِي

أَبَا أَعُورٍ وَتَرَا جَعُوا وَوَقَفَ أَبُو الْأَعُورِ الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَجَاءَ الْأَشْتَرُ ،
وَصَفَّ أَصْحَابَهُ بِمَكَانِ أَبِي الْأَعُورِ بِالْأَمْسِ فَقَالَ الْأَشْتَرُ لِسِنَانِ بْنِ مَالِكِ النَّخَعِيِّ
انْطَلِقْ إِلَى أَبِي الْأَعُورِ فَادْعُهُ إِلَى الْبَرَازِ فَقَالَ إِلَى مَبَارِزَتِي أَوْ مَبَارِزَتِكَ فَقَالَ
الْأَشْتَرُ لَوْ أَمَرْتُكَ بِمَبَارِزَتِهِ لَفَعَلْتُ قَالَ نَعَمْ وَاللَّهِ لَوْ أَمَرْتَنِي أَنْ اعْتَرِضَ صَفَّهُمْ
بِسَيْفِي لَفَعَلْتُ فَدَعَا لَهُ وَقَالَ إِنَّمَا تَدْعُوهُ لِمَبَارِزَتِي فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ أَمْنُونِي
فَأَنَّى رَسُولٌ فَأَمْنُوهُ فَانْتَهَى إِلَى أَبِي الْأَعُورِ وَقَالَ لَهُ إِنَّ الْأَشْتَرَ يَدْعُوكَ أَنْ تُبَارِزَهُ
فَسَكَتَ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ إِنَّ خُفَةَ الْأَشْتَرِ وَسُوءَ رَأْيِهِ حَمَلَاهُ عَلَيَّ إِجْلَاءَ عُمَالِ
عُثْمَانَ عَلَى الْعِرَاقِ وَتَقْبِيحَ مُحَاسِنِهِ وَعَلَى أَنْ سَارَ إِلَيْهِ فِي دَارِهِ حَتَّى قَتَلَهُ فَأَصْبَحَ
مُتَبِعًا بَدَمَهُ لِاحْتِاجَةِ لِي فِي مَبَارِزَتِهِ قَالَ لَهُ الرَّسُولُ قَدْ قُلْتَ فَأَسْمِعْ مِنِّي أَجْبِكَ
قَالَ لِاحْتِاجَةِ لِي فِي جَوَابِكَ إِذْ هَبْ عَنِّي فَصَاحَ بِهِ أَصْحَابُهُ فَانصَرَفَ عَنْهُ وَرَجَعَ
إِلَى الْأَشْتَرِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لِنَفْسِهِ نَظَرَ فَوَقَفُوا حَتَّى حَجَزَ اللَّيْلَ بَيْنَهُمْ وَعَادَ
الشَّامِيُّونَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَصْبَحَ عَلِيُّ غَدُوَّةً عِنْدَ الْأَشْتَرِ وَتَقَدَّمَ الْأَشْتَرُ وَمَنْ مَعَهُ
فَانْتَهَى إِلَى مَعَاوِيَةَ فَوَاقَفَهُ وَلَحِقَ بِهِمْ عَلِيُّ فَتَوَاقَفُوا طَوِيلًا ثُمَّ أَنْ عَلِيًّا طَلَبَ
لِعَسْكَرِهِ مَوْضِعًا يَنْزِلُ فِيهِ وَكَانَ مَعَاوِيَةَ قَدْ سَبَقَ فَنَزَلَ مِنْزِلًا اخْتَارَهُ بَسِيطًا وَاسِعًا
أَقْبَحَ وَأَخَذَ شَرِيعَةَ الْفِرَاتِ وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ الصَّقْعِ شَرِيعَةٌ غَيْرُهَا وَجَعَلَهَا فِي
حَيْزِهِ وَبَعَثَ عَلَيْهَا أَبَا الْأَعُورِ السَّلْمِيَّ يَحِيمُهَا، وَيَمْنَعُهَا فَطَلَبَ أَصْحَابُ عَلِيٍّ
شَرِيعَةَ غَيْرُهَا فَلَمْ يَجِدُوا فَاتُوا عَلِيًّا فَأَخْبَرُوهُ بِفَعْلِهِمْ وَبِعَطَشِ النَّاسِ فَدَعَا
صَعْصَعَةَ ابْنَ صُوحَانَ فَارْسَلَهُ إِلَى مَعَاوِيَةَ أَنَا سَرْنَا مَسِيرَنَا هَذَا وَنَحْنُ نَكْرَهُ
قِتَالَكُمْ قَبْلَ الْأَعْذَارِ إِلَيْكُمْ فَقَدِمَتْ إِلَيْنَا خَيْلُكَ وَرَجَالُكَ فَقَاتَلْتَنَا قَبْلَ أَنْ نَقَاتَلَكَ
وَنَحْنُ مِنْ رَأْيِنَا الْكَفِّ حَتَّى نَدْعُوكَ وَنَحْتَجِّ عَلَيْكَ وَهَذِهِ أُخْرَى قَدْ فَعَلْتُمُوهَا
مَنْعَتُمُ النَّاسِ عَلَى الْمَاءِ وَالنَّاسِ غَيْرِ مَنْتَهِيْنَ فَابْعَثْ إِلَى أَصْحَابِكَ فَلْيَخْلُوا بَيْنَ
النَّاسِ وَبَيْنَ الْمَاءِ وَلْيَكْفُوا لِنَنْظُرْ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ وَفِيمَا قَدَّمْنَا لَهُ فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ
نَتْرَكَ مَا جِئْنَا لَهُ وَنَقْتُلَ عَلَى الْمَاءِ حَتَّى يَكُونَ الْغَالِبُ هُوَ الشَّارِبُ فَعَلِمْنَا.

الماء كما منعه ابن عفان أقتلهم عطشاً قتلهم الله فقال عمرو بن العاص خل بين القوم وبين الماء وأنهم لن يعطشوا وانت ريان ولكن بغير الماء فانظر فيما بينك وبين الله فاعاد الوليد وعبد الله ابن سعد والصحيح ابن ابي السرح مقالتهما وقالوا امنعهم الماء الى الليل فانهم ان لم يقدرؤا عليه رجعوا وكان رجوعهم هزيمة امنعهم الله اياه يوم القيمة قال صعصعة انما يمنعه الله الفجرة وشربة الخمر لعنك الله ولعن هذا الفاسق يعنى الوليد ابن عقبه فشتموه وتهددوه وقد قيل ان الوليد وابن ابي سرح لم يشهدا صفين.

فرجع صعصعة فاخبره عليه السلام بما كان وان معاوية قال سيأتيكم رائي فسرب الخيل الى ابي الأعور ليمنعهم الماء فلما سمع عليه السلام ذلك قال قاتلوهم على الماء فقال الأشعث ابن قيس الكندى انا اسير اليهم فسار اليهم فلما دنى منهم ثاروا فى وجوههم ورموهم بالنبل فترامو ساعة ثم تطاعنوا بالرماح ثم ساروا الى السيوف فاقتتلوا ساعة وارسل معاوية يزيد بن اسد البجلي جد خالد ابن عبد الله القسرى فى الخيل الى ابي الأعور فاقبلوا فارسل عليه السلام شيبث ابن الربعى الرياحى فازداد القتال فارسل معاوية عمرو بن العاص فى جند كثير فأخذ يمد ابالاعور ويزيد بن اسد وارسل عليه السلام الأشر فى جمع عظيم وجعل يمد الأشعث وشبثاً فاشتد القتال فقال عبد الله ابن عوف الأزدي الأحمرى:

خَلَوْنَا مَاءَ الْفَرَاتِ الْجَارِي أَوْ اثْبَتُوا الْخُجْفَلَّ الْجَرَارِ

لِكُلِّ قَوْمٍ مَسْتَمِيتٌ ثَارِي مَطَاعِنٌ بِرْمَحِهِ كَرَارِ

خَرَّابٌ هَامَاتِ الْعَدَى مِغْوَارِ لَمْ يَخْشَ غَيْرَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

وقاتلوهم حتى خلوا بينهم وبين الماء وصار فى أيدي اصحاب علي فقالوا والله لا نسقيه اهل الشام فارسل عليه السلام الى اصحابه ان خذوا من الماء حاجتكم وخلوا عنهم فان الله نصركم بغيرهم وظلمهم ومكث عليه السلام يومين لا يرسل اليهم احداً ولا ياتيه احد.

ثم ان علياً عليه السلام دعا ابا عمرو بشير ابن عمرو ابن موحسن الانصارى، وسعيد

ابن قيس الهمداني وشيبت ابن ربيعي التميمي فقال لهم ائتو هذا الرجل وادعوه الى الله والى الطاعة والجماعة فقال له شيبت يا امير المؤمنين لا تطمعه في سلطان توليه اياه او منزلة تكون له بها اثره عندك ان هو بايعك قال ﷺ انطلقوا اليه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه وهذا في اول ذى الحجة فاتوة فدخلوا عليه فابتدء بشير ابن عمر الانصارى فحمد الله واثنى عليه وقال:

يا معاوية: ان الدنيا عنك زائلة وانك راجع الى الآخرة وان الله مُحاسبك بعملك ومجازيك عليه وانى انشدك الله ان تُفرق جماعة هذه الامة وان تسفك دمائهم بينها فقطع عليه معاوية الكلام وقال هلاً اوصيت بذلك صاحبك فقال له ابو عمرو ان صاحبى ليس مثلك ان صاحبى اَحَقَّ البرية كلها بهذا الأمر فى الفضل والدين والسابقة فى الاسلام والقراة بالرسول ﷺ قال فماذا يقول قال يأمرك بتقوى الله وان تجيب ابن عمك الى ما يدعوك اليه من الحق فانه اسلم فى دنياك وخير لك فى عاقبه امرك قال معاوية وتترك دم ابن عفان لا والله لافعل ذلك ابداً.

قال فذهب سعيد ابن قيس يتكلم فبادره شيبت ابن ربيعي فحمد الله واثنى عليه وقال:

يا معاوية قد فهمت ما رددت على ابن مُحصن انه والله لا يخفى علينا ما تطلب انك لم تجد شيئاً تستغوى به الناس وتستميل به اهوائهم، وتستخلص به طاعتهم الا قولك قتل امامكم مظلوماً فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام وقد علمنا انك ابطأت عنه بالنصر واحببت له القتل لهذه المنزلة التى اصبححت تطلب ورب متمنى امر وطالبه يحول الله دونه وربما اوتى المتمنى أمنيته وفوق أمنيته والله مالك فى واحدةٍ منهما خير والله ان اخطأك ما ترجو انك لشر العرب حالاً ولئن أصبت ما تتمناه لاتصيبه حتى تستحق من ربك صلى النار فاتق الله يا معاوية ودع ما انت عليه ولا تنازع الأمر اهله.

قال معاوية اما بعد فان اول ما عرفت به سفهك وخفة جلمك ان قطعت

على هذا الحسيب الشريف سيّد قومه منطقته ثمّ اعترضت بعد فيما لا علم لك به فقد كذبت ولؤمّت ايّها الأعرابي الجلف الجاني في كلّ ما ذكرت ووصفت انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلا السيف وغضب وخرج القوم فقال له شبت ابن ربيع أتَهوّل بالسيف أقسم بالله لنعجلها اليك فأتوا عليّاً وأخبروه بذلك.

فأخذ عليّ يأمر الرّجل ذالشرف فيخرج ومعه جماعة من اصحابه، ويخرج اليه آخر من اصحاب معاوية ومعه جماعة من اصحابه فكان عليّ عليه السلام يخرج مرّة الأشتر ومرّة حجر ابن عدى الكندى ومرّة شبت ابن ربيع ومرّة خالد ابن المعمّر ومرّة زياد ابن النصر الحارثي ومرّة زياد ابن حفصة التميمي ومرّة سعيد ابن قيس الهمداني ومرّة معقل ابن قيس الرياحي ومرّة قيس ابن سعد الانصاري وكان الأشتر اكثرهم خروجا.

وكان معاوية يخرج اليهم عبد الرحمن ابن خالد الوليد وابا الأعور السلمي وحبیب ابن مسلمة الفهري وابن ذى الكلاع الحميري وعبيد الله ابن عمر ابن الخطاب وشرحبيل ابن السمط الكندي وحمزة ابن مالك الهمداني فاقتتلوا ايام ذى الحجة كلها وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرّتين ثمّ قال: وفي هذه السنة في المحرمّ منها جرت موادعة بين عليّ، ومعاوية توادعا على ترك الحرب بينهما حتى ينقضى المحرمّ طمعاً في الصلح واختلفت بينهما الرسل فبعث عليّ عدى ابن حاتم ويزيد ابن قيس الأرجي وشبت ابن ربيع وزياد ابن حصفة فتكلّم عدى ابن حاتم فحمد الله واثنى عليه ثمّ قال:

أما بعد فانّا اتيناك فدعوك الى امرٍ يجمع الله به كلمتنا وامتنا ونحققن به الدماء ونصلح ذات البين انّ ابن عمك سيّد المسلمين افضلها سابقاً واحسنها في الاسلام اثراً وقد استجمع له الناس ولم يبق احد غيرك ومن معك فاحذريا معاوية لا يصيبك واصحابك مثل يوم الجمل فقال له معاوية كأنك انما جئت متهدداً ولم تأت مصلحاً هيهات يا عدى كلاً والله انى لابن حرب لا يقع له

بالشنان وأنتك والله من المُجلبين على عثمان وأنتك من قتلته وأنى لأرجوا ان تكون ممن يقتله الله به فقال له شَيْثُ وزياد ابن خَضعة جوابا واحدا أتيناك فيما يصلحنا وإياك فاقبلت تُضرب لنا الأمثال دع مالا ينفع واحببنا فيما يعم نفعه.

وقال يزيد ابن قيس أنا لم نأتِ إلا لنبُلِّغك ما ارسلنا به اليك وتودى عنك واسمعنا منك وان ندع ان ننصح لك وان تذكر ما يكون به الحجة عليك ويرجع الى الألفة والجماعة وأن صاحبنا من قد عرف المسلمون فضله ولا يخفى عليك فاتى الله يا معاوية ولا تخالفه فاننا والله ما رأينا فى الناس رجلا قط اعمل بالتقوى ولا أزهد فى الدنيا ولا اجمع لخصال الخير كلها منه.

فقال معاوية اما بعد فائكم دعوتهم الى الطاعة والجماعة فاما الجماعة التى دعوتهم اليها فمَعنا هي، واما الطاعة لصاحبكم فاننا لانراها لان صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وآواى تارنا وصاحبكم يزعم انه لم يقتله فنحن لانرد عليه ذلك فليدفع الينا قتلة عثمان لنقتلهم ونحن نُجيبكم الى الطاعة والجماعة فقال شَيْثُ ابن ربيعى أيسرك يا معاوية ان تقتل عمّاراً فقال: وما يمنعنى من ذلك لو تمكنت من ابن سُميَّة لقتلته بمولى عثمان فقال شَيْثُ والذى لا اله الا هو لاتصل الى ذلك حتى تذر الهام عن الكواهل، وتضييق الأرض والفضاء عليك فقال معاوية لو كان ذلك لكانت عليك أضيقت وتفرقت القوم عن معاوية. وبعث معاوية الى زياد ابن خضعة فخلابه وقال له يا اخا ربيعة ان علياً قطع ارحامنا وقتل امامنا وآواى قتلة صاحبنا انى أسئلك النصر عليه بعشيرتك ثم لك عهد الله وميثاقه انى اوليك اذا ظهرت اى المصرين احببت فقال زياد اما بعد فانى على بيّنة من ربى وما انعم الله على فلن أكون ظهيراً للمجرمين وقام. فقال معاوية لعمر وبن العاص ليس نكلم رجلاً منهم فيجيب الى خير ما فى قلوبهم الا كقلب واحد وبعث معاوية الى على حبيب مسلمة الفهرى وشرحيل ابن السمط ومعن ابن يزيد الأحنس فدخلوا عليه.

فقال حبيب اما بعد فان عثمان كان خليفة مهدياً يعمل بكتاب الله ويُنيب الى امره فاستثقلتم حياته واستكأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع الينا قتلة عثمان ان زعمت انك لم تقتله ثم اعترلي امر الناس فيكون امرهم شورى بينهم يولونه من اجمعوا عليه.

فقال له عليؑ ما انت لام لك والعزل وهذا الامر اسكت لست هناك ولا بأهل له فقال والله لتريني بحيث تكره فقال له عليؑ وما انت لأبقي الله عليك ان ابقيت علينا اذهب فصوب وصعد ما بذلك وقال شرحبيل ما كلامي الا مثل كلام صاحبي فهل عندك جواب غير هذا؟ فقال عليؑ ليس عندي جواب غيره.

ثم حمد الله واثني عليه وقال عليؑ على ما ذكره في الكامل:

اما بعد: فان الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق فانقذ به من الضلال والهلكة وجمع من الفرقه ثم قبضه الله تعالى اليه فاستخلف الناس ابابكر ثم استخلف ابوبكر عمر فأحسننا السيرة وعدلا وقد وجدنا عليهما ان توليا الأمور ونحن آل رسول الله ﷺ فغفرنا ذلك لهما وولي الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس فساروا اليه فقتلوه، ثم اتاني الناس فقالوا لي تباع فأبيت فقالوا تباع فان الأمة لا ترضى إلا بك وأنا نخاف ان لم تفعل ان يتفرق الناس فبايعتهم فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية الذي لم يجعل له سابقه في الاسلام (في الدين) ولا سلف صدق في الاسلام طليق ابن طليق حزب من الأحزاب لم يزل حرباً لله ولرسوله هو وابوه حتى دخلا في الاسلام كارهين ولا عجب إلا من اختلافكم معه، وانقيادكم له وتكون آل بيت نبيكم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم الا اني ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه وامامة الباطل واحياء الحق ومعالم الدين اقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين.

فقالا تشهد ان عثمان قتل مظلوماً فقال عليؑ لهما لا اقول انه قتل مظلوماً ولا ظالماً قالا فمن لم يزعم انه قتل مظلوماً فنحن منه براء وانصرفا فقال عليؑ انك

لا تسمع الموتى الى قوله فهم مسلمون.

ثم قال ﷺ لاصحابه لا يكن هؤلاء في الجد في ضلالهم أجد منكم في الجد في حقكم وطاعة ربكم، ثم نقل في التاريخ قصة تنازع عامر ابن قيس الحضري ثم الطائي وعدى ابن حاتم في الراية بصفين بطولها ولا حاجة لنا في ذكرها مؤلف.

ثم قال فلما انسلخ الأشهر الحرام (المحرم) أمر على ﷺ منادياً فنادى يا اهل الشام يقول لكم امير المؤمنين قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنبوا اليه فلم تنتهوا عن طغيانكم ولم توجبوا الى الحق وانى قد نبذت عليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين، فاجتمع اهل الشام الى امرائهم وروء سائهم وخرج معاوية وعمرو يكتبان الكتائب ويعبيان الناس وكذلك فعل امير المؤمنين وقال للناس لا تقاتلوهم حتى يقاتلونكم فانتم بحمد الله على حجة وترككم قتالهم حجة اخرى فاذا هزمتوهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتكم الى رجال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا دارا ولا تأخذوا شيئاً من اموالهم ولا تهيجوا مرثة وان شتمت اعراضكم وسببن امراءكم وصلحواؤكم فانهن ضعاف القوى والانسف وكان يقول بهذا المعنى لاصحابه في كل موطن وحرص اصحابه فقال ﷺ عباد الله اتقوا الله وغضوا الأبصار واخفضوا الأصوات وأقلوا الكلام ووطنوا انفسكم على المنازلة والمحاولة والمزادلة والمناضلة والمعانقة والمكادفة والملازمة فاثبتوا واذكر والله كثيرا لعلكم تفلحون ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وأصبروا ان الله مع الصابرين اللهم الهمهم الصبر وأنزل عليهم النصر واعظم لهم الأجر انتهى ثم قال صاحب التاريخ.

واصبح على فجعل على خيل الكوفة الأشتر وعلى جنود البصرة سهل ابن حنيف وعلى رجال الكوفة عمارة ابن ياسر وعلى رجال البصرة قيس ابن سعد واعطى الراية هاشم ابن عتبة المرقال وجعل مسعر ابن فدكي على قراء الكوفة

واهل البصرة وبعث معاوية على ميمته ابن ذى الكلاع وعلى ميسرته حبيب ابن مسلمة الفهرى وعلى مقدمته ابا لأعورا لسلمى وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص وعلى رجالة دمشق مسلم ابن عتبة المرى وعلى الناس كلهم الضحاك ابن قيس وبايع رجال من اهل الشام على الموت فعقلوا أنفسهم بالعمائم وكانوا خمسة صفوف وخرجوا اول يوم من صفر فاقتتلوا وكان على الذين خرجوا من اهل الكوفة الاشرى وعلى من خرج من اهل الشام حبيب ابن مسلمة فاقتتلوا يومهم قتالاً شديداً معظم النهار ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض.

ثم خرج اليوم الثانى هاشم ابن عتبة فى خيل ورجال وخرج من اهل الشام ابوالاعور السلمى فاقتتلوا يومهم ذلك ثم انصرفوا وخرج اليوم الثالث عمّار ابن ياسر وخرج اليه من اهل الشام عمرو ابن العاص فاقتتلوا أشد قتال وقال عمّار يا اهل العراق اتريدون ان تنظروا الى من عاد الله، ورسوله وجاهد هما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين فلما رأى الله يُعزّ دينه ويُظهر رسوله اتى النبى ﷺ وهو فيما نرى راهب غير راغب. ثم قبض النبى ﷺ فوالله ان زال بعده معروفاً بعبادة المسلم واتباع المُجرم فاثبتوا له وقاتلوه وقال عمّار لزياد ابن النضر وهو على الخيل إحمل على اهل الشام فحمل وقاتله الناس وضبروله وحمل عمّار وازال عمرو ابن العاص عن موضعه وبارز يومئذ زياد ابن النضر اخاه لامه واسمه عمرو ابن معاوية من بنى المنتفق فلما التقيا تعارفا فانصرف كل واحد منها عن صاحبه وتراجع الناس.

وخرج من الغد محمد ابن على وهو ابن الحنفية وخرج اليه عبيد الله عمر ابن الخطاب فى جمعين عظيمين فاقتتلوا اشد القتال وارسل عبيد الله الى ابن الحنفية يدعوه الى المبارزة فخرج اليه فحرك على دابته وردّ ابنه وبرز على الى عبيد الله فرجع عبيد الله وقال محمد لابي له لو تركتني لرجوت قتله وقال يا امير المؤمنين وكيف تبرز الى هذا الفاسق والله انى لارغب بك عن ابيه فقال على

يا بُنَيَّ لا تَقْل فِي ابِيهِ الْآخِرَ وَتَرَا جِعَ النَّاسِ .

وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَبَّاسٍ الْيَوْمَ الْخَامِسَ وَخَرَجَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ ابْنُ عَقْبَةَ فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً فَسَبَّ الْوَلِيدُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَطَلَبَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ لِيَبَارِزَهُ فَابَى وَقَاتَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ قِتَالاً شَدِيداً .

وَخَرَجَ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ قَيْسُ ابْنُ سَعْدِ الْإِنصَارِيِّ وَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ ذَالِ الْكَلَّاعِ الْجَمِيمِيُّ فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً ثُمَّ انصَرَفُوا ثُمَّ عَادَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَخَرَجَ الْأَشْتَرُ وَخَرَجَ إِلَيْهِ حَبِيبٌ فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً وَانصَرَفُوا عِنْدَ الظُّهْرِ .

ثُمَّ إِنَّ عَلِيّاً عليه السلام قَالَ مَتَى لَأَنَا هُضِبُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ بِأَجْمَعِنَا فِقَامَ فِي النَّاسِ عَشِيَّةَ الثَّلَاثَاءِ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ خَطِيباً فَحَمِدَ اللَّهَ وَاتَّئِنَى عَلَيْهِ وَقَالَ عَلِيٌّ مَا نَقَلَهُ فِي التَّارِيخِ .
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُبْرِمُ مَا نَقَضَ وَمَا أَبْرَمَ لَمْ يَنْقُضْهُ النَّاقِضُونَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اخْتَلَفَ اثْنَانِ مِنْ خَلْقِهِ وَلَا اخْتَلَفَتِ الْأُمَّةُ فِي شَيْءٍ وَلَا يَجْحَدُ الْمَفْضُولُ ذَا الْفَضْلِ فَضْلَهُ وَقَدْ سَاقْنَا وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْأَقْدَارُ فَنَحْنُ بِمَرَأَى مِنْ رَبَّنَا وَمَسْمَعُ فُلُو شَاءَ عَجَلِ النِّقْمَةِ وَكَانَ مِنْهُ التَّغْيِيرُ حَتَّى يَكْذِبَ الظَّالِمُ وَيَعْلَمَ الْحَقُّ ابْنَ مَصِيرِهِ وَلَكِنَّهُ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ الْأَعْمَالِ وَجَعَلَ الْآخِرَةَ دَارَ الْقَرَارِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى أَلَا وَإِنَّكُمْ لَأَقْوَامٌ لِقَوْمٍ غَدًّا أَفْطِيلُوا اللَّيْلَةَ الْقِيَامِ وَكَثَرُوا تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ وَاسْتَلُّوا لِلَّهِ النَّصْرَ وَالصَّبْرَ وَالْقُوَّةَ بِالْجِدِّ وَالْجَزْمِ وَكَوْنُوا صَادِقِينَ فِقَامَ الْقَوْمِ يُصْلِحُونَ سِلَاحَهُمْ فَمُرِّبَهُمْ كَعَبِ ابْنِ جَعِيلٍ فَقَالَ:

اصْبَحَتِ الْأُمَّةُ فِي أَمْرِ عَجَبٍ وَالْمُلْكُ مَجْمُوعٌ غَدًّا لِمَنْ غَلَبَ
فَقُلْتُ قَوْلًا صَادِقًا غَيْرَ كَذِبٍ إِنَّ غَدًّا تُهْلِكُ أَعْلَامَ الْعَرَبِ

وَعَبِي عَلَى النَّاسِ لَيْلَتِهِ حَتَّى الصُّبْحِ وَزَحَفَ بِالنَّاسِ وَخَرَجَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةَ فِي أَهْلِ الشَّامِ فَسَأَلَ عَلِيٌّ عَنِ الْقَبَائِلِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَعَرَفَ مُوَافِقَهُمْ فَقَالَ لِأَزْدٍ أَكْفُونَا الْأَزْدَ وَقَالَ لِحِشْعَمٍ أَكْفُونَا حِشْعَمَ وَأَمَرَ كُلَّ قَبِيلَةٍ أَنْ تَكْفِيَهُ اخْتِهَا مِنَ الشَّامِ أَلَا إِنَّ تَكُونُ قَبِيلَةٌ لَيْسَ مِنْهَا بِالشَّامِ أَحَدٌ فَيَصْرِفُهَا إِلَى قَبِيلَةٍ أُخْرَى مِنَ الشَّامِ لَيْسَ

بالعراق منهم أحد مثل بجيلة لم يكن بالشام إلا القليل صرفهم الى الخم
فتناهض الناس يوم الأربعاء فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انصرفوا عند الماء وكل
غير غالب.

فلما كان يوم الخميس صلى عليّ بغلس وخرج بالناس الى اهل الشام
فزحف اليهم وزحفوا معه وكان على ميمنة عليّ عبد الله ابن بديل ابن ورقاء
الخرزاعي وعلى ميسرته عبد الله ابن عباس والقراء مع ثلاثة نفر عمار وقيس
ابن سعد وعبد الله ابن بديل والناس على راياتهم ومراكزهم وعليّ في القلب
في اهل المدينة بين اهل الكوفة والبصرة واكثر من معه من اهل المدينة
الأنصار ومعه عدد من خزاعة وكنانة وغيرهم من اهل المدينة، ورفع معاوية
قبة عظيمة فالقى عليها الثياب وبايعه اكثر اهل الشام على الموت واحاط بقبته
خيل دمشق وزحف عبد الله ابن بديل في الميمنة نحو حبيب ابن مسلم
(مسلمة) وهو في ميسرة معاوية فلم يزل يحوزه، ويكشف خيله حتى
اضطرهم الى قبة معاوية عند الظهر وعرض عبد الله ابن بديل اصحابه فقال ان
معاوية ادعى ما ليس له ونازع الحق اهلّه وعاند من ليس مثله وجادل بالباطل
ليدحض به الحق وصال عليكم بالأعراب والاحزاب الذين قد زين لهم
الضلالة وزرع في قلوبهم حب الفتنه ولبس عليهم الأمر وزادهم رجساً الى
رجسهم فقاتلوا الطغام الجفاة ولا تخشوهم قاتلوهم يُعذبهم الله بأيديكم
ويُخزيمهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وقدموا الدراع وأخروا
لحاسروا عضوا على الأضراس فانه ابني للسيوف عن الهام والتووا في
الأطراف فانه اصون للأسيئة وغضوا الابصار فانه اربط للجاش واسكن للقلب
وأमितوا الاصوات فانه أطرّد للفشل وأولى بالوقار راياتكم فلا تُميلوها ولا
تزيلوها ولا تجعلوها إلا بايدي شجعانكم واستعينوا بالصدق والصبر فان بعد
الصبر ينزل عليكم النصر انتهى.

وقام يزيد ابن قيس الارجعي يحرض الناس فقال ان المسلم من سليم في

دينه ورأيه وان هؤلاء القوم والله لا يقاتلوننا على اقامة دين ضيعناه واحياء حق
 امتناه ان يقاتلوننا الا على هذه الدنيا ليكونوا جبارين فيها ملوكاً فلو ظهروا
 عليكم لاراهم الله ظهوراً ولا سروراً الزموكم بمثل سعيد، والوليد وابن عامر
 السفية الضال يجيز احدهم بمثل ديته ودية ابيه وجدّه في جلسة، ثم يقول هذا
 لي ولا اثم علىّ كأنما اعطى ترائه عن ابيه وامه وانما هو مال الله افائه علينا بأر
 ما حنا وسيوفنا فقاتلوا عباد الله القوم الظالمين فانهم ان يظهروا عليكم يفسدوا
 عليكم دينكم ودنياكم وهو من قد عرفتم وخبرتم والله ما ازدادوا والى يومهم
 الا شراً.

وقاتلهم عبد الله ابن بديل في الميمية قتالاً شديداً حتى انتهى الى قبة
 معاوية واقبل الذين تبايعوا على الموت الى معاوية فأمرهم ان يصمدوا لأبن
 بديل في الميمية وبعث الى حبيب ابن مسلمة في الميسرة فحمل بهم وبمن
 كان معه على ميمية الناس فهزمهم وانكشف اهل العراق من قبل الميمية حتى
 لم يبق منهم الا ابن بديل في مأتين او ثلثمائة من القراء قد اسند بعضهم الى
 بعض وانحفل الناس واقر علىّ سهيل ابن حنيف فاستقدم فيمن كان معه من
 اهل المدينة فاستقبلتهم جموع لأهل الشام عظيمة فاحتملتهم حتى اوقفتهم
 في الميمية وكان فيما بين الميمية الى موقف علىّ في القلب اهل اليمن فلما
 انكشفوا انتهت الهزيمة الى علىّ فانصرف علىّ يمشى نحو الميسرة فانكشفت
 عنه مضر من الميسرة وثبتت ربيعة وكان الحسن والحسين ومحمد بنو علىّ
 معه حين قصد الميسرة والتبل يمر بين اعتقه ومنكبيه وما من بينه احد الا لقيه
 بنفسه فترده فتبصر به احمر مولى ابوسفيان او عثمان فاقبل نحوه فخرج اليه
 كيسان مولى علىّ فاختلفا بينهما ضربتان فقتله احمر فأخذ علىّ بجيب درع
 احمر فجذبه وحمله على عاتقه ثم ضرب به الأرض فكسر منكبيه وعضديه
 ودنأ منه اهل الشام فما زاده قربهم إلا اسراعاً فقال له ابنه الحسن عليه السلام ما ضرك لو
 سعيت حتى تنتهي الى هؤلاء القوم من اصحابك فقال عليه السلام يا بني ان لا يبك يوماً

لا يُعَدُّوه ولا يُبْطِئ به عنه السَّعى ولا يَعَجَل به اليه المَشى ان اباك والله لا يبالي
اوقع على الموت ام وقع الموت عليه.

فلما وصل الى ربيعة نادى بصوت عالٍ كغير المكترث لما فيه الناس لمن
هذه الرايات قالوا رايات ربيعة قال ﷺ بل رايات عصم الله اهلها فصبرهم
وثبت اقدمهم وقال للحصين ابن منذر يافتى الا تُدنى رأيتك هذه ذراعاً قال
بلى والله وعشرة اذرع فأدناها حتى قال ﷺ حسبك مكانك ولما انتهى على ﷺ
الى ربيعة تنادوا بينهم يا ربيعة ان أصيب فيكم امير المؤمنين وفيكم رجُلٌ حتى
افتضحتم في العرب فقاتلوا قتالاً شديداً ما قاتلوا مثله فلذلك قال على ﷺ:

لَمَنْ رَايَةً سَوْدَاءَ يَخْفِقُ ظِلُّهَا

اذا قيل قَدِّمِهَا حَاصِنٌ تَقَدِّمًا

ويقدِّمها في الموت حتى يُزيرها

حياض المَنايا تَقَطِّرُ الموت والدمًا

اذقنا ابن حربٍ طَعَننا وضرابنا

بأسيا فنا حتى تولَّى واحججنا

جَزَى اللهُ قوماً صابِرواً في لِقائِهِم

لَدَى الموت قوماً ما اعفُ وَاكرما

وأطيب اخبارٍ وَاكرم شيمَةٍ

اذا كان اصوات الرِّجال تَغْمَغَمًا

ربيعة اعنى انهم اهل نَجْدَةٍ

وبأسٍ اذا لا قوا خَميساً عُمرُماً

ومرَّبه الأشر وهو يقصد الميسرة والأشر يركض نحو الفزع قبل الميمنة

فقال له على ﷺ يا مالك قال لبيك يا امير المؤمنين ﷺ قال انت هؤلاء القوم

فقل لهم اين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه الى الحياة التي لا تبقى لكم

فمضى الأشر اليهم فاستقبل الناس مُنَهزمين فقال لهم ما قال على، ثم قال ايها

الناس ما اقبح ما قاتلتم مذ اليوم خلصولي مذحجا فاقبلت مذحج اليه فقال لهم ما ارضيتم ربكم ولا نصحتهم له في عدوكم، وكيف ذلك وانتم ابناء الخروب واصحاب الغارات وفتيان الصباع، وفرسان الطراد وحتوف الأقران ومذحج الطعان الذين لم يكونوا يسبقون بثارهم ولا تطل دمانهم وما تفعلون هذا اليوم فإنه مأثور بعده فانصحوا واصدقوا عدوكم اللقاء فإن الله مع الصادقين والذي نفسى بيده ما من هؤلاء وأشار الى اهل الشام رجل على مثل جناح بعوضة من دين اجلو اسواد وجهى يرجع فيه دمه عليكم بهذا السواد الأعظم فإن الله قد فضه تبعه من بجانبه قالوا تجدنا حيث احببت فعقد نحو عظيمهم ممايلي الميمنة يزحف اليهم ويرد هم واستقبله شباب من همدان وكانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ وكانوا صبروا فى الميمنة حتى أصيب منهم ثمانون ومائة رجل وقتل منهم احد عشر رئيساً كان اولهم ذؤيب ابن شريح، ثم شرحبيل، ثم مرثد، ثم سمير اولاد شريح ثم هبيرة ثم يريم فقُتِل، ثم اخذ الراية عميرة ثم الحرث ابنا بشير فقتلا جميعاً، ثم اخذ الراية سفيان وعبدالله وبكر وبنوزيد فقتلوا جميعاً، ثم اخذ الراية وهب ابن كريب فانصرف هو وقومه وهم يقولون ليت لنا عدتنا من العرب يحالفوننا على الموت ثم نرجع ولا ننصرف او نقتل او نظفر فسمعهم الأشتر يقولون هذا فقال لهم انا أحالفهم على ان لانرجع ابداً حتى نظفر او نهلك فوقفوا معه وفى هذا قال كعب ابن جعيل شعر وهمدان زرق تبغى من تحالف وزحف الاشتر نحو الميمنة وثاب اليه الناس وتراجعوا من اهل البصرة وغيرهم فلم يقصد كتيبة الا كشفها ولا جمعاً الا جازه ورده فإنه كذلك اذ مر به زياد ابن النضر الحارثى يحمل على العسكر، ثم اطال الكلام فى المقام بما لامزيد عليه الى ان قال:

وخرج عمار ابن ياسر على الناس فقال: اللهم انك تعلم انى لو اعلم ان رضاك فى ان اقدف بنفسى فى هذا البحر لفعلته اللهم انك تعلم انى لو اعلم ان رضاك فى ان اضع ظبة سيفى فى بطنى، ثم انحنى عليها حتى تخرج من ظهري

لَفَعَلْتَهُ وَاللَّهِ أَنِّي لَا أَرَى قَوْمًا لِيضْرِبَنَكُمْ ضَرْبًا يَرْتَابُ مِنْهُ الْمُبْطَلُونَ وَأَيُّمُ اللَّهُ لَوْ
ضَرَبُونَا حَتَّى يَبْلُغُوا بِنَا سَعَفَاتِ هَجْرٍ لَعَلِمْتُ إِنَّا عَلَى الْحَقِّ وَإِنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ.
ثُمَّ قَالَ مَنْ يَبْتَغِي رِضْوَانَ اللَّهِ وَلَا يَرْجِعَ إِلَى مَالٍ وَلَا وَلَدٍ فَاتَاهُ عُصَابَةٌ فَقَالَ
اقْصِدُوا بِنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ دَمَ عَثْمَانَ وَاللَّهِ مَا أَرَادُوا الطَّلْبَ بِدَمِهِ
وَلَكِنَّهُ ذَاقُوا الدُّنْيَا وَاسْتَحَبُّوْهَا وَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ إِذَا الرَّمِيمُ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا
يَتَمَرَّغُونَ فِيهِ مِنْهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ سَابِقَةٌ يَسْتَحَقُّونَ بِهَا طَاعَةَ النَّاسِ وَالْوِلَايَةَ
عَلَيْهِمْ فَخَدَعُوا اتِّبَاعَهُمْ وَقَالُوا مَا مِثْلُنَا قُتِلَ مَظْلُومًا لِيَكُونُوا بِذَلِكَ جَبَابِرَةً مَلُوكًا
فَبَلَّغُوا مَا تَرَوْنَ فَلَوْلَا هَذَا مَا تَبِعَهُمْ مِنَ النَّاسِ رِجْلَانِ اللَّهُمَّ إِنْ تَنْصَرْنَا فَطَالَمَا
نُصِرْتَ وَإِنْ تَجْعَلْ لَهُمُ الْأَمْرَ فَادْخِرْ لَهُمْ بِمَا أَحَدْتُوا فِي عِبَادِكَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.
ثُمَّ مَضَى وَمَعَهُ تِلْكَ الْعُصَابَةُ فَكَانَ لَا يَمُرُّ بُوَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ صِيفِينَ إِلَّا تَبِعَهُ مِنْ
كَانَ هُنَاكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ جَاءَ إِلَى هَاشِمِ بْنِ عَثْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ
وَهُوَ مَرَقَالٌ وَكَانَ صَاحِبَ رَايَةِ عَلِيٍّ وَكَانَ أَعْوَرَ فَقَالَ يَا هَاشِمُ أَعْوَرًا جُبْنًا لِأَخِيرٍ
فِي أَعْوَرَ لَا يَغْشَى الْبَاسَ أَرْكَبُ يَا هَاشِمُ فَرَكِبَ وَمَضَى مَعَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

أَعْوَرَ يَبْغِي أَهْلَهُ مَحَلًّا قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَأَ
لَا بَدَّ أَنْ يَفِئَّ أَوْ يَفْلَأَ تَسِيلَهُمْ بِذِي الْكَعُوبِ تَلَأَ

وَعَمَّارٌ يَقُولُ تَقَدَّمَ يَا هَاشِمُ الْجَنَّةَ تَحْتَ ضَلَالِ السُّيُوفِ الْمَوْتِ تَحْتَ
أَطْرَافِ الْأَسْلِ وَقَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتَزَيَّنَّتِ الْحُورُ الْعَيْنُ الْيَوْمَ أَلْقَى الْأُحِبَّةَ
مُحَمَّدًا وَجِزْبَهُ وَتَقَدَّمَ حَتَّى دَنَا مِنْ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ لَهُ يَا عَمْرٍو بَعَثَ
دِينَكَ بِمِصْرٍ تُبَأُّ لَكَ فَقَالَ لَهُ لَا وَلَكِنْ أَطْلُبُ بِدَمِ عَثْمَانَ قَالَ أَنَا أَشْهَدُ عَلَى عِلْمِي
فِيكَ أَنَّكَ لَا تَطْلُبُ بِشَيْءٍ مِنْ فَعْلِكَ وَجِهَ اللَّهُ وَأَنَّكَ إِنْ لَمْ تُقْتَلِ الْيَوْمَ تَمُوتَ غَدًا
فَانظُرْ إِذَا أَعْطَى النَّاسَ عَلَى قَدَرِ نِيَّاتِهِمْ مَا نَيْتُكَ لَقَدْ قَاتَلْتَ صَاحِبَ هَذِهِ الرَّايَةِ
ثَلَاثًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهَذِهِ الرَّابِعَةُ مَا هِيَ بِأَبْرَ وَأَنْقَى ثُمَّ قَاتَلَ عَمَّارٌ فَلَمْ
يَرْجِعْ وَقُتِلَ.

وَقَالَ حَبَّةُ بْنُ جَوْينَ الْعَرْنِيُّ قُلْتُ لِحَدِيثَةِ الْيَمَانِ حَدَّثْنَا فَأَنَا نَخَافُ الْفِتْنَ

فقال عليكم بالفئة التي فيها ابن سُمَيَّة فان رسول الله ﷺ قال تَقْتُلُه الفِئَةُ
النَّاكِبَةُ عن الطَّرِيقِ وانْ آخِرَ رِزْقِه ضِياعٌ من لَبَنٍ وهو المَمزُوجُ بالماء من اللَّبَنِ
فِي قَدَحٍ اروح له حلقة حمراء فما اخطاء حذيفة مقياس شعرة فقال اليوم القى
الأحبة محمداً وحزبه الخ.

ثم قُتِلَ قَتْلَهُ ابو الغارية واجتزأ رأسه ابن حوى السكسكى وقيل قتلته غيره
وقد كان ذوالكلاع سمع عمرو ابن العاص يقول قال رسول الله لعمار بن ياسر
تَقْتُلُكَ الفِئَةُ الباغِيةُ وآخِرُ شِربَةِ تَشْرِبُهَا ضِياعٌ من لَبَنٍ، فكان ذوالكلاع يقول
لعمرو ما هذا ويحك يا عمرو انه سيرجع الينا فقتل ذوالكلاع قبل عمار مع
معاوية وأصيب عمار بعده مع علي فقال: عمرو لمعاوية ما ادري بقتل ايهما انا
اشد فرحاً عمار بعده مع علي فقال: عمرو لمعاوية ما ادري بقتل ايهما انا اشد
فرحاً بقتل عمار او بقتل ذى الكلاع والله لو بقى ذوالكلاع بعد قتل عمار لمال
بعامة اهل الشام الى علي فاتي جماعة الى معاوية كلهم يقول انا قتلت عماراً
قال عمرو فما سمعته فيخلطون فاتاه ابن حوى وقال انا قتلته وسمعته يقول
اليوم القى الأحبة محمداً وحزبه فقال له عمرو انت صاحبه ثم قال له رويداً
والله ما ظفرت يداك اسخطت ربك.

قيل ان ابا الغارية قتل عماراً عاش الى زمن الحججاج ودخل عليه فاكرمه
الحججاج وقال له انت قتلت ابن سُمَيَّة يعنى عماراً قال نعم فقال الحججاج من
سرّه ان يَنْظُرُوا الى عظيم الباع يوم القيمة فليُنظر الى هذا الذى قتل ابن سُمَيَّة ثم
سأله ابو الغارية حاجته فلم يُحِبِّه اليها فقال نُوْطِىء لهم الدنيا، ولا يعطونا منها
ويزعم انى عظيم الباع يوم القيمة فقال الحججاج أجل والله من كان ضرسه مثل
أحدو فخذُه مثل جَبَلٍ ورُقَانٍ ومَجْلِسِه مثل المَدِينَةِ والرَّبْذَةِ انه يعظم الباع يوم
القيمة والله لو ان عماراً قتلته اهل الارض كلهم لدخلوا كلهم النار.

قال عبد الرحمن السلمى لما قتل عمار دخلت عسكر معاوية لأنظر هل بلغ
منهم قتل عمار ما بلغ منا وكنا اذا تركنا القتال تحدثوا الينا وتحدثنا اليهم فاذا

معاوية وعُمر و اباو الأعور وعبد الله ابن عمر يتسايرون فادخلت فرسى بينهم
 لثلاً يفوتنى ما يقولون فقال عبد الله لأبيه يا ابه قتلتم هذا الرجل فى يومكم هذا
 وقد قال رسول الله ﷺ فيه ما قال ألم يكن المسلمون ينقلون فى بناء
 مسجد النبى ﷺ لَبْنَةً لَبْنَةً وعمار لبنتين لبنتين فغشى عليه فاتاه الرسول وجعل
 يمسح التراب عن وجهه ويقول ويحك يا بن سُميَّة ينقلون لَبْنَةً لَبْنَةً وانت
 تَنَقِّلُ لَبْنَتَيْنِ لَبْنَتَيْنِ رَغْبَةً فى الأجر وانت مع ذلك تَقْتَلُك الفئءة الباغية فقال
 عمرو لمعاوية اما تسمع ما يقول عبد الله قال وما يقول فأخبره فقال معاوية
 انحن قتلناه وانما قتله من جاء به (اقول فعلى قول معاوية كان رسول الله صلى
 الله عليه وآله قاتل حمزة لا الوحشى لانه ﷺ قد جاء بعمه يوم الأحد للقتال
 مع المشركين مؤلف).

قال فخرج الناس من فساطيطهم واجنيتهم يقولون انما قتل عمارة من جاء
 به فلا ادري من كان اعجب اهوام هم فلما قتل عمارة قال على ﷺ لربيعه
 وهمدان انتم درعى ورمحى فانتدب له نحواً من اثنى عشر وتقدمهم على ﷺ
 على بغلة فحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لأهل الشام صف الا انتفض
 وقتلوا كل من انتهوا اليه حتى يلغوا معاوية وعلى ﷺ يقول:

اقْتَلَهُمْ وَلَا ارى معاوية الجاحظ العين العظيم الحاوية

ثم نادى، معاوية وقال علام يقتل الناس بيننا هلم احاكمك الى الله فاينا قتل
 صاحبه استقامت له الأمور فقال له عمرو انصفك فقال له معاوية ما انصفت
 انك لتعلم انه لم يبرز اليه احد الا قتله فقال له عمرو ما يحسن بك ترك مبارزته
 فقال له معاوية طمعت فيها بعدى وكان اصحاب على قد وكلوا به رجلين
 يحافظانه لثلاً يقاتل وكان يحمل اذا غفلا فلا يرجع حتى يخضب سيفه وانه
 حمل مرة فلم يرجع حتى انثنى سيفه فالفاه اليهم وقال لولا انه انثنى ما رجعت
 اليكم فقال الأعمش لابي عبد الرحمن هذا والله ضرب غير مرتاب فقال ابو
 عبد الرحمن سمع القوم شيئاً فادؤه ما كانوا بكاذبين.

وأَسْر معاوية جماعة من اصحاب عليُّ فقال له عَمرو أَقتلُهم فقال عمرو ابن أوس الأودي لا تَقْتُلني فأنت خالي قال من اين انا خالك؟ ولم يكن بيننا وبين اود مصاهرة، قال ان اخبرْتُك فهو امانى عندك قال نعم، قال اليست اختك أم حبيبة زوج النَّبِيِّ ﷺ قال بلى قال فأتى ابنها وانت اخوها وفانت خالي، فقال معاوية ماله لِلله ابوه اما كان فى هؤلاء من يفتن لها غيره وخلقى سبيله.

وكان قد اسر عليُّ أسارى كثيرةً فخلقى سبيلهم فجاءوا معاوية وان عمرو ليقول له وقد اسر ايضاً اسارى كثيرة اقتلتهم فلما وصل اصحابهم قال معاوية يا عمرو لو اطعنك فى هؤلاء الأسارى لوقعنا فى قبيح من الأمر وخلقى سبيل من عنده.

واما هاشم ابن عتبة فإنه دعا النَّاس عند الماء الآ من كان يريد الله، والدار الآخرة فألقى فأقبل اليه ناس كثير فحمل على اهل الشام مراراً ويصبرون له وقاتل قتالاً شديداً وقال لاصحابه لا يهولنكم ما ترونه من صبرهم فوالله ما هو الا حمية حرّض اصحابه وحمل فى عصابة من القرأ فقاتل قتالاً شديداً حتى رأو بعض ما يسرون به فيبيناهم كذا لك اذ خرج عليهم شاب وهو يقول:

انا ابن ارباب الملكوك غسان والدائن اليوم بدين عثمان
نَبأنا قُرأينا بما كان انّ عليّاً قتل ابن عفان

ثمّ يحمل فلا يرجع حتى يضرب بسيفه ويشتم ويلعن فقال له هاشم يا هذا الكلام بعده الخصام وانّ هذا القتال بعده حساب فأتق الله فإنه سائلك عن هذا الموقف وما اردت به قال فأتى اقاتلكم لانّ صاحبكم لا يصلى وانتم لا تصلون وانّ صاحبكم قتل خليفتنا وانتم ساعدتموه على قتله فقال له هاشم ما انت وعثمان قتله اصحاب رسول الله وابناء اصحابه وقرأء الناس وهم اهل الدين والعلم وما اهملوا امر هذا الدين طرفة عين.

واما قولك: انّ صاحبنا لا يصلى فإنه اول من صلى وافقه خلق الله فى دينه واولى بالرسول واما كل من ترى معي فكلهم قارىء لكتاب الله لاينام الليل

تَهَجَّداً فَلَا يُغْوِينِكَ هَوْلَاءُ الْأَشْقِيَاءِ فَقَالَ الْفَتَى فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ نَعَمْ تُبَّ إِلَى اللَّهِ يُتَّبُ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ فَارْجِعْ الْفَتَى فَقَالَ لَهُ أَهْلُ الشَّامِ خَدَعَكَ الْعِرَاقِيُّ فَقَالَ كَلًّا وَلَكِنْ نَصَحَ لِي، وَقَاتَلَ هَاشِمٌ وَأَصْحَابَهُ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى رَأَى الظُّفْرَ فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْمَغْرِبِ كَتِيبَةٌ لِنُوحٍ فَقَاتَلَهُمْ هَاشِمٌ وَهُوَ يَقُولُ:

أَعُورٌ يَبْغِي أَهْلَهُ مَحَلًّا لَا بَدَّ أَنْ يَفْلُ أَوْ يَفْلَا
 قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ مِنْهُ مَلًّا يَتْلَهُمْ بِذِي الْكُعُوبِ تَلًّا
 فَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةً أَوْ عَشْرَةَ وَحَمَلَ عَلَيْهِ الْحَرِثُ ابْنَ الْمُنْذِرِ التَّنُوخِيَّ فَطَعَنَهُ
 فَسَقَطَ فَارْسَلُ إِلَيْهِ عَلِيٌّ أَنْ قَدَّمَ لَوَاءَكَ فَقَالَ لِرَسُولِهِ انظُرْ إِلَى بَطْنِي فَإِذَا هُوَ انشَقَّ
 فَقَالَ الْحِجَّاجُ ابْنَ غَزِيَةَ الْإِنصَارِيِّ.

فَان تَفَخَّرُوا بِأَبْنِي بَدِيلٍ وَهَاشِمٌ فَنَحْنُ قَتَلْنَا ذَا الْكِلَاعِ وَحَوْشِبَا
 وَنَحْنُ تَرَكْنَا عِنْدَ فُعْتَرِكِ الْقَنَا أَخَاكَ عُبَيْدِ اللَّهِ لَحْمًا مُدْجِبًا
 وَنَحْنُ أَحَطْنَا بِالْبَعِيرِ وَأَهْلِهِ وَنَحْنُ سَقِينَاكُمْ سُمَاعًا مَقْشِبًا
 وَمَرَّ عَلِيٌّ عليه السلام بِكَتِيبَةٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَرَأَهُمْ لَا يَزُولُونَ وَهُمْ غُسَّانٌ فَقَالَ عليه السلام إِنَّ
 هَوْلَاءَ لَا يَزُولُونَ إِلَّا بِطَعْنٍ وَضَرْبٍ يَفْلُقُ الْهَامَ وَيُطِيحُ الطَّغَامَ (الْعِظَامَ) تَسْقُطُ مِنْهُ
 الْمَعَاصِمُ وَالْأَكْفُ حَتَّى يَقْرَعَ جِبَاهَهُمْ بِعَمْدِ الْحَدِيدِ ابْنِ أَهْلِ النَّصْرِ وَالصَّبْرِ
 طُلَّابُ الْأَجْرِ فَاتَاهُ عَصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَدَعَا ابْنَهُ مُحَمَّدًا وَقَالَ لَهُ تَقَدَّمَ نَحْوُ
 هَذِهِ الرَّأْيَةِ مَشِيَارًا وَيَدًّا عَلَى هَنِيئَتِكَ حَتَّى إِذَا شَرَعْتَ فِي صَدُورِهِمُ الرِّمَاحَ
 فَأَمْسِكْ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي فَفَعَلَ وَاعَدَّ لَهُمْ عَلَى مَثَلِهِمْ وَسَيَّرَهُمْ عَلَى (الْي) ابْنِهِ
 مُحَمَّدًا وَأَمَرَهُ بِقِتَالِهِمْ فَحَمَلُوا عَلَيْهِ (فَازَالُوهُمْ) عَنْ مَوَاقِفِهِمْ وَأَصَابُوا مِنْهُمْ رِجَالًا.
 وَمَرَّ الْأَسْوَدُ ابْنَ قَيْسِ الْمُرَادِيِّ بِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ كَعْبِ الْمُرَادِيِّ وَهُوَ صَرِيحٌ فَقَالَ
 عَبْدُ اللَّهِ يَا أَسْوَدُ قَالَ لَبَّيْكَ وَعَرَفَهُ وَقَالَ لَهُ عَزَّ عَلَيَّ لِمَصْرَعِكَ ثُمَّ نَزَلَ إِلَيْهِ وَقَالَ
 لَهُ إِنْ كَانَ جَارِكَ لِيَأْمَنَ بِوَالِقِكَ وَإِنْ كُنْتَ لِمَنْ الذَّاكِرِينَ لِلَّهِ كَثِيرًا أَوْصِنِي رَحِمَكَ
 اللَّهُ قَالَ أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِنْ تَنَاصَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ تَقَاتَلَ مَعَهُ الْمُحَلِّينَ

حَتَّى تَظْهَرَا وَتَلْحَقَ بِاللهِ وَابْلُغْهُ عَنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ قَاتِلْ عَلِيَّ الْمَعْرَكَةَ حَتَّى
 تَجْعَلَهَا خَلْفَ ظَهْرِكَ فَإِنَّهُ مِنْ أَصْبَحَ غَدًا وَالْمَعْرَكَةَ خَلْفَ ظَهْرِهِ كَانَ الْعَالِي ثُمَّ
 لَمْ يَلْبِثْ حَتَّى مَاتَ فَاقْبَلِ الْأَسْوَدَ إِلَى عَلِيٍّ فَاخْبِرْهُ فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ جَاهِدْ عَدُوَّنَا
 فِي الْحَيَاةِ وَنَصِّحْ لَنَا فِي الْوَفَاةِ وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي أَشَارَ عَلِيٌّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِهَذَا
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ الْحَنْبَلِ الْجَمْعِيُّ فَاقْتَتَلَ النَّاسَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ كُلَّهَا إِلَى الصَّبَاحِ
 وَهِيَ لَيْلَةُ الْهَرِيرِ فَتَطَاعَنُوا حَتَّى تَقْصَفَتِ الرَّمَاحُ وَتَرَامَوْا حَتَّى نَبَذَ النَّبِلَ وَاخَذُوا
 السُّيُوفَ وَعَلِيٌّ يَسِيرُ فِيمَا بَيْنَ الْمَيْمَنَةِ وَالْمَيْسَرَةِ وَيَأْمُرُ كُلَّ كَتِيبَةٍ أَنْ تَقْدَمَ عَلَيَّ
 الَّتِي يَلْتَمِسُهَا فَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحَ وَالْمَعْرَكَةَ خَلْفَ ظَهْرِهِ وَالْأَشْتَرُ فِي
 الْمَيْمَنَةِ وَعَبْدُ اللهِ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الْمَيْسَرَةِ وَعَلِيٌّ فِي الْقَلْبِ وَالنَّاسُ يَقْتَتِلُونَ مِنْ
 كُلِّ جَانِبٍ وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاخَذَ الْأَشْتَرُ يَرْحَفُ بِالْمَيْمَنَةِ وَيُقَاتِلُ فِيهَا وَكَانَ
 قَدْ تَوَلَّاهَا عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَى ارْتِفَاعِ الضُّحَى وَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ أَزْ
 حَفُو قَيْدِ هَذَا الرَّمْحِ وَنَرْحَفُ بِهِمْ نَحْوَ أَهْلِ الشَّامِ فَاذَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ قَالَ
 أَزْحَفُوا قَيْدَ هَذَا الْقَوْسِ فَاذَا فَعَلُوا سَلْتَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرَ النَّاسِ الْأَقْدَامَ
 فَلَمَّا رَأَى الْأَشْتَرُ ذَلِكَ قَالَ أَعِيدْكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَرْضَعُوا لَغْنَمِ سَائِرِ الْيَوْمِ ثُمَّ دَعَا
 بِضَرِيهِ وَرَكِبَهُ وَتَرَكَ رَايَتَهُ مَعَ حِيَانَ ابْنِ هُوذَةَ النَّخَعِيِّ، وَخَرَجَ يَسِيرُ فِي الْكُتَاتِ
 وَيَقُولُ مَنْ يَشْتَرِي نَفْسَهُ وَيُقَاتِلُ مَعَ الْأَشْتَرِ بِظَهْرٍ أَوْ يَلْحَقُ بِاللَّهِ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ
 نَاسٌ كَثِيرٌ فِيهِمْ حِيَانَ ابْنِ هُوذَةَ النَّخَعِيِّ وَغَيْرُهُ فَرَجَعَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ
 وَقَالَ لَهُمْ شُدُّوا شِدَّةً فَذَالِكُمْ خَالِي وَعَمِّي تَرْضَوْنَ بِهَا الرَّبَّ وَتَعَزَّوْنَ بِهَا الدِّينَ
 ثُمَّ نَزَلَ وَضَرَبَ وَجْهَ دَابَّتِهِ وَقَالَ لِصَاحِبِ رَايَتِهِ أَقْدِمْ بِهَا وَحَمَلْ عَلَيَّ الْقَوْمَ
 وَحَمَلُوا مَعَهُ فَضَرَبَ أَهْلَ الشَّامِ حَتَّى انْتَهَى بِهِمْ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، ثُمَّ قَاتَلُوهُ عِنْدَ
 الْعَسْكَرِ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَتَلَ صَاحِبَ رَايَتِهِ وَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ عليه السلام الظُّفْرَ مِنْ نَاحِيَتِهِ
 أَمَدَهُ بِالرِّجَالِ فَقَالَ عَمْرُو الْعَاصِ لِيُورِدَانَ مَوْلَاهُ أَتَدْرِي مَا مَثَلِي وَمِثْلُكَ وَمِثْلُ
 الْأَشْتَرِ قَالَ لَا قَالَ كَالْأَشْقَرَانِ تَقْدَمُ عُقْرَاوَانُ تَأْخُرُ عُقْرُ لَثْنٍ تَأْخُرُ لِثْنٌ لِأَضْرِبَنَّ
 عُقْرَكَ قَالَ أَمَّا وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ لِأُورِدَنَّكَ حِيَاضَ الْمَوْتِ صَنَعَ يَدُكَ عَلَيَّ

عاتقى ثم جعل يتقدم ويتقدم ويقول لأوردنك حياض الموت واشتد القتال فلما رأى عمر وإن اهل العراق قد اشتد وخاف الهلاك قال لمعاوية هل لك فى امرٍ اعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة قال نعم قال نرفع المصاحف ثم نقول هذا حَكَمَ بَيْننا وَبَيْنكم فان ابى بعضهم ان يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغي لنا ان نقبل فتكون فرقة بينهم وان قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا الى أَجَلٍ فرفعوا لمصاحف بالرّماح وقالوا هذا حَكَمَ كتاب الله عزّ وجلّ بَيْننا وَبَيْنكم مَنْ لثُغور الشّام بعد اهله فلما رأها النّاس قالوا نجيب الى كتاب الله.

فقال لهم علىّ عباد الله امضوا على حَقكم وصدقكم وقِتال عدوّكم فانّ معاوية وعمرو وابن ابى مُعيط وحبیباً وابن ابى سرح والضّحاک ليس باصحاب دين ولا قرآن انا اعرف بهم منكم قد صحبتهم اطفالاً ثم رجّالا فكانوا شرّ اطفالٍ وشرّ رجالٍ ويحكم والله ما رفعوها الا خديعةً ووهناً ومكيدةً فقالوا له لا يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنأبى ان تقبله فقال لهم علىّ فانى انما اقاتلهم ليدنوا ليحكم الكتاب فانهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونسوا عهده ونبذوا كتابه فقال له مسعر ابن فدكى التميمى وزيد ابن حصين الطائى فى عصابة من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك يا علىّ اجب الى كتاب الله اذ دُعيت اليه والأدفعناك برؤمتك الى القوم او نفعل بك ما فعلنا بابن عفان قال فاحفظوا عن نهى اياكم واحفظوا مقاتلكم لى فان تطيعونى فقاتلوا وان تعصونى فاصنعوا ما بدالكم قالوا بعث الى الاشر فليأتك فبعث علىّ عليه السلام يزيد ابن هانى الى الاشر يستدعيه فقال الاشر ليست هذه الساعة الساعة التى ينبغى لك ان تُزيلنى عن موقفى انى قد رجوت ان يفتح الله لى فرجع يزيد فاخبره فارتفعت الأصوات وارتفع الرّهج من ناحية الاشر فقالوا والله ما نراك إلا امرت ان يقاتل فقال هل رايتمونى ساررتّه اليس كلمته على رؤوسكم وانتم تسمعون قالوا فابعث اليه فليأتك والأوالله اعز لناك فقال له ويلك يا يزيد قل له الى فان الفتنة قد وقعت

فابْلَغَهُ ذَلِكَ فَقَالَ الْأَشْتَرُ الرِّفْعَ المصاحف قال نعم قال والله لقد ظننت أنها ستوقع اختلافاً وفرقة أنهما مشورة ابن العاهر الا ترى الى الفتح الا ترى ما يلقون الا ترى ما صنَع الله لنا لن يَنْبَغِي ان ادع هؤلاء وأنصرف عنهم فقال له يزيد أتُحِبُّ ان تَظْفَرُوا امير المؤمنين يُسَلِّمُ الى عَدُوِّهِ او يُقَتِّلُ قال لا والله سبحانه الله فأَعْلَمَهُ بقولهم فاقبل اليهم الأشر وقال يا اهل العراق يا اهل الدُّلِّ والوَهْنِ احين علوتم القوم وظنوا انكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعوكم الى ما فيها وهم والله قد تركوا ما امر الله به فيها وسنة من أنزلت عليه فأمهلونى فوافقاً فأتى قد احسست بالفتح قالوا الا قال امهلونى عدو الفرس قد طمعت فى النصر قالوا اذن ندخل معك فى خطيبتك قال فخبرونى عنكم متى كنتم محققين احين تقاتلون وخياركم يقتلون فانتم الآن اذا أمسكتكم عن القتال مبطلون ام انتم مُحَقَّقُونَ فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم وهم خير منكم فى النار قالوا دعنا منك يا اشتر قاتلناهم لله ونَدَعُ قتالهم لله قال خُذْ عَمَّ وَاخُذْ عَمَّ ودُعيتم الى وضع الحرب فأجبتهم يا اصحاب الجباه السُودِ كُنَّا نَظُنُّ صَلَوتَكُمْ زهادة فى الدُّنْيَا وشوقاً الى لقاء الله فلا ارى مرادكم الا الدُّنْيَا الا قُبْحاً يا أشباه النَّيْبِ الجلالة ما انتم برائين بعدها عزاً ابداً فابعد وكما بعد القوم الظالمين فَسَبَّوْهُ وَسَبَّوْهُمُ وَضَرَبُوا وَجْهَ دَابَّتِهِ بِسِيَّاطِهِمْ وَضَرَبَ وَجْهَهُ دَوَابَّهُمْ بِسَوَطِهِ فَصَاحَ بِهِ وَبِهِمْ عَلِيٌّ فَكَفَّوْا.

فقال النَّاسُ قد قبلنا ان نجعل القرآن بيننا وبينكم حَكَمًا فجاء الأشعث ابن قيس الى عليٍّ عليه السلام فقال ارى النَّاسَ قد رَضُوا بما دَعَوْهُمُ اليه من حكم القرآن فان شئت اتيت معاوية فسئلته ما يُريد قال ائته فقال لمعاوية لائى شئىء رفعتم المصاحف قال لنرجع نحن وانتم الى ما امر الله به فى كتابه تَبِعْتُمْ رَجُلًا تَرْضَوْنَ بِهِ وَتَبِعْتُمْ رَجُلًا نَرْضَى بِهِ نَأْخُذُ عَلَيْهَا ان يعملا بما فى كتاب الله لا يعُدُّوهُ انه ثم نَتَّبِعُ ما اتَّفَقَا عَلَيْهِ قال له الأشعث هذا الحق فعاد الى عليٍّ فاخبره فقال النَّاسُ قد رَضِينَا وَقَبَلْنَا فَقَالَ اهل الشَّامِ قد رَضِينَا عَمْرًا وَقَالَ الأشعث

واولئك القوم الذين صاروا خوارج انا قد رضينا ابا موسى الأشعري فقال عليٌّ
 قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوا الآن لأرى ان أولي ابا موسى فقال
 الأشعث وزيد ابن حصين وضعر ابن فدكي لا ترضى الآ به فإنه قد حذرنا ما
 وَقَعْنَا فِيهِ قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِثِقَةٍ قَدْ فَارَقَنِي وَخَذَلَ النَّاسَ عَنِّي ثُمَّ هَرَبَ
 مِنِّي حَتَّى امْتَنَتْهُ بَعْدَ أَشْهُرٍ وَلَكِنْ هَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ أَوْلِيَهُ ذَلِكَ قَالُوا وَاللَّهِ لَا بِنَالِي
 أَنْتَ كُنْتَ أُمَّ ابْنِ عَبَّاسٍ أَوْلِيَهُ ذَلِكَ قَالُوا وَاللَّهِ لَا بِنَالِي أَنْتَ كُنْتَ أُمَّ ابْنِ عَبَّاسٍ
 لَا نُرِيدُ إِلَّا رَجُلًا هُوَ مِنْكَ وَمِنْ مَعَاوِيَةَ سِوَاءِ قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنِّي أَجْعَلُ الْأَشْتَرُ قَالُوا
 وَهَلْ سَعَرَ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَشْتَرِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ ابْتِئِمَّ إِلَّا أبا موسى قالوا نعم قال
 فاصنعوا ما اردتم فَبَعَثُوا إِلَيْهِ وَقَدْ اعْتَزَلَ الْقِتَالِ وَهُوَ بَعْرُضِ فَاتَاهُ مَوْلَى لَهُ وَقَالَ
 إِنَّ النَّاسَ قَدْ اصْطَلَحُوا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ قَالَ قَدْ جَعَلُوكَ حَكَمًا قَالَ أَنَا اللَّهُ وَأَنَا
 إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وجاء ابو موسى حتى دخل العسكر وجاء الاشرع علياً فقال الزمي بعمر و
 بن العاص فوالله لئن ملأت عيني منه لاقتلته وجاء الأحنف ابن قيس وقال يا
 امير المؤمنين أنك قد رميت بحجر الارض واتي قد عجمت ابا موسى وحلبت
 اشطره فوجدته كليل الشفرة قليل القمر (قريب القمر) قريب القعر) فإنه
 لا يصلح لهؤلاء القوم الا رجل يدنوا منهم حتى يصير في الفهم ويبتعد حتى
 يصير بمنزلة النجم منهم فان ابيت ان تجعلني حكماً فاجعلي ثانياً او ثالثاً فإنه
 لم يعقد عقده الا حللتها ولا يحل عقدة اعقدها لك الا عقدت اخرى احكم
 منها فابي الناس الا ابا موسى والرضا بالكتاب فقال الأحنف ان ابيتم الا ابا
 موسى فادنثوا ظهره بالرجال.

وحضر عمرو بن العاص عند علي ليكتب القضية بحضوره فكتبوا بسم الله
 الرحمن الرحيم. هذا ما تقاضى عليه امير المؤمنين فقال عمرو هو اميركم واما
 اميرنا فلا فقال الأحنف لا تمح اسم امير المؤمنين فاتي اخاف ان محوتها ان
 لا ترجع اليك ابداً لا تمحها وان قتل الناس بعضهم بعضاً فابي ذلك علي ملكياً

من النهار ثم ان الأشعث ابن قيس قال امح هذا الاسم فَمَحَاهُ فقال عليُّ الله اكبر سنة بسنة والله اني لكاتب رسول الله يوم الحُدَيْبِيَّة فكتب محمد رسول الله وقالوا لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم ابك فامرني رسول الله ﷺ بمحوه فقلت لا استطيع فقال ارينه فاريته فَمَحَاهُ بيده وقال انك ستدعى الي مثلها فتجيب فقال عمرو سبحان الله أنشبه بالكفار ونحن مؤمنون فقال عليُّ يابن التابغة ومتى لم تكن للفاسقين ولياً وللمؤمنين عدواً فقال عمرو والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد هذا اليوم ابدأ فقال عليُّ ﷺ اني لارجوا ان يُظَهَّرَ الله مجلسي منك ومن اشباهك.

وكتب الكتاب هذا ما تقاضى عليه عليُّ ابن ابيطالب ومعاوية ابن ابي سفيان قاضى على اهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية على اهل الشام ومن معهم اننا نُنزل على حكم الله وكتابه وان لا يجمع بيننا غيره وان كتاب الله بيننا من فاتحته الى خاتمته نحى ما احياه ونميت ما امات فما وجدنا الحكماء في كتاب الله وهما ابو موسى عبد الله ابن قيس وعمرو ابن العاص عملا به وما لم يجداه في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المُفرقة واخذ الحكماء من عليٍّ ومعاوية ومن الجُنْدَيْن من العهود والمواثيق انهما امانان على انفسهما واهليهما والامة لهما انصار على الذي يتقاضيان عليه وعلي عبد الله ابن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ان يحكما بين هذه الامة لا يردانها في حرب ولا فرقة حتى يعصيا واجل القضاء الى رمضان وان احبا ان يؤخر ذلك اخراه وان مكان قضيتهما مكان عدل بين اهل الكوفة واهل الشام وشهد الأشعث ابن قيس، وسعيد ابن قيس الهمداني وورقاء ابن سمى البجلي وعبد الله ابن محلى العجلي وحجر ابن عدى الكندي وعبد الله ابن الطفيل العامري وعقبة ابن زياد الحضرمي ويزيد ابن مَحْجَبَة التميمي ومالك ابن كعب ومن اصحاب معاوية ابوالاعور السلمي وحبيب ابن مسلمة وزمل ابن عمرو العذري وحمزة ابن مالك الهمداني وعبد الرحمن ابن خالد المنزومي ومبيع

ابن يزيد الانصارى وعتبة ابن ابي سفيان ويزيد ابن الحر العبسى.

وقيل للاشتر ليكتب فيها فقال لاصحبتى يميني ولا نفعتنى بعدها شمالى ان خط لى فى هذه الصحيفة ولست على بينه من ربى من ضلال عدوى اولستم قد رأيتم الظفر فقال له الأشعث والله ما رأيت ظفراً هلمّ الينا لارغبة بك عنا فقال بلى والله الرغبة عنك فى الدنيا والآخرة (فى الدنيا للدنيا وفى الآخرة للآخرة) لقد سفك الله بسيفى دماء رجال ما انت خير منهم عندى ولا احرمّ دماً قال فكأنما قصع الله على انف الاشعث الجمم.

وخرج الاشعث بالكتاب يقرؤ على الناس حتى مرّ على طائفة من بنى تميم فيهم عروة ابن ادية اخو ابي بلال فقراه عليهم فقال عروة تحكمون فى امر الله الرجال لا حكم الا لله ثم شدّ بسيفه فضرب عجز دابة الاشعث ضربة خفيفة واندفعت الدابة وصاح به اصحاب الأشعث فرجع وغضب للأشعث قومه وناس كثير من اهل اليمن ومشى اليه الاحنف ابن قيس ومُسعر ابن فدكى وناس من تميم فاعتذروا فقبل وشكر.

وكتب الكتاب يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا على ان يوافى امير المؤمنين على موضع الحكمين بدومة الجندل او بازرج فى شهر رمضان وقيل لعلي ان الاشترا لا يقرّ بما فى الصحيفة ولا يرى الا القتال فقال على وانا والله ما رضيت ولا احببت ان ترضوا فاذا ابستم الا ان ترضوا فقد رضيت واذ رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الأقرار الآن يعصى الله ويتعدى كتابه فقاتلوا من ترك امر الله واما الذى ذكرتم من تركه امرى وما انا عليه فليس من اولئك فلست اخاف على ذلك يا ليت فيكم مثله اثنين، يا ليت فيكم مثله واحد يرى فى عدوى ما ارى اذا لحفت على مؤنتكم ورجوت ان يستقيم لى بعض اودكم وقد نهيتكم فعصيتموني فكنت انا وانتم كما قال اخو هوازن.

وهل انا الا من غزيت ان غوت غويث وان ترشد غزية ارشد.

والله لقد فعلتم فعلة ضعفت قُوَّةً واسقطت منَّةً واورثت وهناً وذلةً ولما
 كتتم الأعلين وخاف عدوكم الأجتياح واستحزب بهم القتل ووجد وألم الجراح
 رفعوا المصاحف فدعوكم الى ما فيها ليفتنوكم عنهم ويقطعوا الحرب
 ويتربصوا بكم المؤمنون خديعةً ومكيدةً فاعطيتموهم ما سألوا بئس ما
 تهنؤا وتجبرؤا وايم الله ما أظنكم بعدها توفقون الرشد ولا تصيبون باب الحزم.
 ثم رجع الناس عن صفين فلما رجع علي رضي الله عنه خالفت الحرورية وخرجت
 وكان ذلك أول ما ظهرت وانكرت تحكيم الرجال ورجعوا على غير الطريق
 الذي اقبلوا فيه أخذوا على طريق البر وهم اعداء متباغضون وقد فشا فيهم
 التحكيم يقطعون الطريق بالتشائم والتضارب بالسياط يقول الخوارج يا اعداء
 الله ادهتم في امر الله ويقول الآخرون فارقتم امامنا وفرقتم جماعتنا وساروا
 حتى جازوا النخيلة ورأوا بيوت الكوفة.

اقول: انتهى موضع الحاجة مما اردنا ذكره من وقعة صفين ونحن نقلناه
 بعين عبارات الكامل لابن الاثير وقد ذكر بعض المورخين هذه الوقعة ابسطاً
 مما ذكره في الكامل وحيث ان كتابنا هذا ليس موضوعاً لفن التاريخ فرأينا
 الأعراض عن الأقوال المختلفة فيها أولى من الأقتحام فيها ولنرجع الى قصة
 التحكيم وكيفيتها على ما ذكره ابن الاثير في الكامل قال فيه (ذكر
 اجتماع الحكمين).

ولما جاء وقت اجتماع الحكمين ارسل علي اربعمائة رجل عليهم شريح
 ابن هاني الحارثي واوصاه ان يقول لعمر بن العاص ان علياً يقول لك ان
 افضل الناس عند الله عز وجل من كان العمل بالحق أحب اليه وان نقصه من
 الباطل وان زاده يا عمرو انك لتعلم اين موضع الحق فلم تتجاهل ان اوتيت
 طعماً يسيراً كنت لله به ولاولياؤه عدواً وكان والله ما اوتيت قد زال عنك
 ويحك ولا تكن للخائنين خصيماً وللظالمين ظهيراً اما اني اعلم بيومك الذي
 انت فيه ناديم وهو يوم وفاتك تتمنى انك لم تظهر لمسلم عداوة ولم تأخذ على

حُكِمَ رَشْوَةً فَلَمَّا بَلَغَهُ تَغْيِيرُ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ مَتَى كُنْتَ أَقْبَلَ مَشُورَةَ عَلِيٍّ أَوْ انْتَهَى
إِلَى أَمْرِهِ أَوْ اعْتَدَّ بِرَأْيِهِ فَقَالَ لَهُ وَمَا يَمْنَعُكَ يَا بَنَ النَّابِغَةِ أَنْ تَقْبَلَ مِنْ مَوْلَاكَ سَيِّدَ
الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ مَشُورَتَهُ فَقَدْ كَانَ مِنْ هُوَ خَيْرَ مَنْكَ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ
يَسْتَشِيرَانِهِ وَيَعْمَلَانِ بِرَأْيِهِ فَقَالَ أَنْ مِثْلِي لَا يَكْلَمُ مِثْلَكَ قَالَ شَرِيحُ بَائِي أَبُو يَك
تَرَعَّبَ عَنِّي يَا بَنَ النَّابِغَةِ أَبَا يَكِ الْوَسْطِ أَمْ بِأَمْرِكَ النَّابِغَةُ فَقَامَ عَنْهُ

وَأَرْسَلَ عَلِيٌّ أَيْضًا مَعَهُمْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ عَبَّاسٍ لِيُصَلِّيَ بِهِمْ وَيُلِيَّ أُمُورَهُمْ
وَمَعَهُمْ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَأَرْسَلَ مَعَاوِيَةَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فِي أَرْبَعَةِ مِائَةٍ مِنْ
أَهْلِ الشَّامِ حَتَّى تَوَافَقُوا مِنْ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ بِأَذْرَحَ وَكَانَ عَمْرُو إِذَا تَأَنَّى كِتَابَ مِنْ
مَعَاوِيَةَ لَا يَدْرِي بِمَا جَاءَ فِيهِ وَلَا يَسْأَلُهُ أَهْلَ الشَّامِ عَنْ شَيْءٍ وَكَانَ أَهْلُ الْعِرَاقِ
يَسْأَلُونَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ كِتَابٍ يَصِلُهُ مِنْ عَلِيٍّ فَإِنْ كَتَمَهُمْ ظَنُّوا بِهِ الظَّنُونَ
وَقَالُوا تَرَاهُ كَتَبَ بِكَذَا وَكَذَا فَقَالَ لَهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ اتَّعْلِقُوا أَمَا تَرَوْنَ رَسُولَ مَعَاوِيَةَ
يَجْنِي لَا يَعْلَمُ أَحَدًا بِمَا جَاءَ بِهِ وَلَا يَسْمَعُ لَهُمْ صِيحًا وَأَنْتُمْ عِنْدِي كُلَّ يَوْمٍ تَظُنُّونَ
فِي الظَّنُونَ وَحَضَرَ مَعَهُمْ ابْنُ عَمْرُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَذِيفَةَ الْعَدْرِيِّ وَالْمَغِيرَةَ ابْنَ
شُعْبَةَ وَكَانَ سَعْدُ ابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ عَلَى مَاءِ لَبْنِي سَلِيمٍ بِالْبَادِيَةِ فَاتَاهُ ابْنُهُ عَمْرُو قَالَ
لَهُ إِنَّ أَبَا مُوسَى وَعَمْرُو قَدْ شَهِدَا نَفْرًا مِنْ قَرِيشٍ فَاحْضُرْ مَعَهُمْ فَإِنَّكَ صَاحِبُ
رَسُولِ اللَّهِ وَاحِدَ الشُّورَى وَلَمْ تَدْخُلْ فِي شَيْءٍ كَرِهْتَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ وَأَنْتَ أَحَقُّ
النَّاسِ بِالْخِلَافَةِ فَلَمْ يَفْعَلْ وَقِيلَ بَلْ حَضَرَهُمْ سَعْدٌ وَنَدِيمٌ عَلَى حُضُورِهِ فَاحْرَمَ
لِعِمْرَةٍ مِنْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ. وَقَالَ الْمَغِيرَةُ ابْنُ شُعْبَةَ لِرِجَالٍ مِنْ قَرِيشٍ اتُّرُونَ أَحَدًا
يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَ بِرَأْيٍ يَعْلَمُ بِهِ أَيْجْتَمِعُ الْحَكَمَانِ أَمْ لَأَفْقَالُوا لَأَفْقَالَ أَنْتَى أَعْلَمَهُ
مِنْهُمَا فَدَخَلَ عَلَى عَمْرُو ابْنِ الْعَاصِ وَقَالَ كَيْفَ تَرَانَا مَعَشْرًا مِنْ أَعْتَزَلِ الْحَرْبِ
فَاتَانَا قَدْ شَكَّكْنَا فِي الْأَمْرِ الَّذِي اسْتَبَانَ لَكُمْ فِيهَا فَقَالَ لَهُ عَمْرُو أَرَأَيْتَ خَلْفَ الْأَبْرَارِ
أِمَامَ الْفُجَارِ فَانصَرَفَ الْمُغِيرَةُ إِلَى أَبِي مُوسَى فَقَالَ لَهُ مِثْلُ قَوْلِهِ لَعَمْرُو فَقَالَ لَهُ أَبُو
مُوسَى أَرَأَيْتَ النَّاسَ رَأْيًا فِيكُمْ بِقِيَّةِ النَّاسِ.

فَعَادَ الْمَغِيرَةَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ لَهُمْ لَا يَجْتَمِعُ هَذَانِ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ فَلَمَّا

اجتمع الحكمان قال عمرو يا ابا موسى الست تعلم ان عثمان قتل مظلوماً قال
 أشهد قال الست تعلم ان معاوية وآله اوليائه قال بلى قال فما يمنعك منه وبيته
 في قريش كما قد علمت فان خفت ان يقول الناس ليست له سابقة فقل
 وجدته ولى عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن السياسة والتدبير
 وهو اخو ام حبيبة زوج رسول الله ﷺ و كاتبه وقد صحبه وعرض له بسلطان
 فقال ابو موسى يا عمرو اتق الله فاما ما ذكرت من شرف معاوية فان هذا ليس
 على الشرف تولاه اهله ولو كان على الشرف لكان لآل ابرهة ابن الصباح انما
 هو لاهل الدين الشرف والفضل مع اتى لو كنت تعطيه افضل قريش شرفاً
 اعطيته على ابن ابيطالب.

واما قولك ان معاوية ولى دم عثمان فوله هذا الأمر فلم أكن لاوليه هذا الأمر
 وأدع المهاجرين الاولين واما تعريضك لى بالسُلطان فوالله لو خرج معاوية لى
 من سلطانه كله لما وليته وما كنت لأرتش فى حكم الله ان شئت ان تحيى اسم
 عمر ابن الخطاب، قال له عمرو فما يمنعك من ابني وانت تعلم فضله
 وصلاحه فقال ان ابنك رجل صدق ولكنك غمستته فى هذه الفتنة فقال عمرو
 ان هذا الأمر لا يصلح الا لرجل يأكل ويطعم وكانت فى ابن عمر غفلة فقال له
 ابن الزبير افطن فانتبه فقال والله لا أرشو عليها شيئاً ابداً وقال يابن العاص ان
 العرب قد اسندت اليك امرها بعد ما تقارعوا بالسيف فلا تردنهم فى فتنة
 وكان عمرو قد عود ابا موسى ان يقدمه فى الكلام يقول له انت صاحب رسول
 الله وأسنى منى فتكلم وتعود ذلك ابو موسى واراد عمرو بذلك كله ان يخدعه
 ويقدمه فى خلع على فلما اراده عمرو على ابنه او على معاوية فابى واراد ابو
 موسى ابن عمر فابى عمرو وقال له عمرو خبرنى ما رأيك قال ارى ان نخلع
 هذين الأمرين ونجعل الامر شورى فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا فقال
 عمرو الرأى ما رأيت فاقبلا الى الناس وهم مجتمعون فقال عمرو يا ابا موسى
 أعلمهم الأمر وان رأينا قد اتفق فتكلم ابو موسى وقال ان رأينا قد اتفق على امر

تَرجوان يَصْلِح اللهُ به امر هذه الامّة فقال عمرو صَدَقَ وِبرٌ تَقَدَّمَ يا ابا موسى
وتكلم فتقدم ابو موسى فقال له ابن عباس وَيَحْكُ اللهُ انى لأظنه قد خَدَعَكَ
ان كُنْتُمَا اتَّفَقْتُمَا على امرٍ فَقَدْتُمَا فليتكلم به قبلك، ثم تكلم به بعده فانه رجلٌ
غادرٌ ولا آمينٌ ان يكونَ قد اعطاك الرضا بينكما فاذا قَمَت في الناس خالفك
وكان ابو موسى مُغْفَلاً فقال انا قد اتفقنا.

ثم قال ابو موسى ايها الناس انا قد نظرنا في هذا الامر (امر هذه الامّة) فلم نر
اصْلَحَ لأمرها ولا أَلَمَ لشعثها من امرٍ قد اجمَعَ رائى وراى عمرو عليه وهوان
نخلع علينا ومعاوية ويولى الناس امرهم من أحبوا وانى قد خلعت علينا
ومعاوية لعنه الله فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه اهلاً ثم تنحى.
واقبل عمرو لعنه الله فقام وقال ان هذا قد قال ما سمعتموه وخلع صاحبه
وانا اخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبي معاوية فانه ولي ابن عفان والطالب
بدمه واحق الناس بمقامه.

فقال سعد يا ابا موسى ما اضعفك عن عمرو ومكائده فقال ابو موسى ما
اصنع وافقنى على امرٍ ثم نزع عنه فقال ابن عباس لا ذنب لك يا ابا موسى
الذنب لمن قدمك في هذا المقام قال غدر فما اصنع فقال ابن عمر انظروا الى
ما صار امر هذه الامّة صار الى رجلٍ ما يبالي ما صنع والى آخر ضعيف وقال
عبد الرحمن ابن ابي بكر لو مات الأشعري قبل هذا اليوم لكان خيراً له.

وقال ابو موسى الأشعري لعمرو لا وفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك
كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث. قال عمرو ان مثلك مثل
الحمار يحمل اسفارا فحمل شريح ابن هانى على عمرو فضربه بالسوط
وحمل ابن لعمرو على شريح فضربه بالسوط ايضاً وحجز الناس من بينهم
وكان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شىء ندامتى على ضرب عمرو
بالسوط ولم اضربه بالسيف والتمسوا اهل الشام ابا موسى فهرب الى مكة ثم
انصرف عمرو الى الشام مع اصحابه وسلموا على معاوية بالخلافة ورجع ابن

عبّاس وشريح الي عليّ وكان عليّ اذا صلى الغداة يَتَقَنَّت فيقول اللهم العن معاوية وعمروا وابالأعور وحبيباً وعبد الرحمن ابن خالد والضحاك ابن قيس والوليد فبلغ ذلك معاوية فكان اذا اقنت سب علياً وابن عباس، والحسن والحسين والأشتر انتهى ثم قال صاحب التاريخ:

قيل ان معاوية حضر الحكمين وانه قام عشيّة في الناس فقال اما بعد من كان مُتلكمّا في هذا الامر فيطلع لنا قرنه قال ابن عمر فاطلقت حبوتي فادرت ان اقول يتكلم في رجل قاتلوك واباك عن الأسلام فخشيت ان اقول كلمة تفرق الجماعة ويسفك فيها دم وكان ما وعد الله فيه الجنان احب الي من ذلك فلما انصرفت الي المنزل جاءني حبيب ابن مسلمة فقال ما منعك ان تتكلم حين سمعت هذا الرجل يتكلم، قلت اردت ذلك ثم خشيت، فقال حبيب وفقّت وعصمت وهذا اصحّ لانه ورد في الصحيح انتهى بعبارته.

اقول: ما ذكره المورخ في تاريخه من حضور معاوية الحكمين وقيامه في الناس وتكلمه بما سمعت في هذا المقام لم يقل به احد من المورخين وارباب السير سواه ولم يتقل احد ان معاوية حضر الحكمين في دومة الجندل فضلا عن تكلمه وانما قال معاوية هذه المقالة بعد رجوع الأمر اليه في ايام خلافته حين رود المدينة بسنين وكأنه سهو منه والله اعلم.

وكيف كان فهذه هي قضية الحكمين علي ما نقلها ابن الاثير وهو من اكابر المورخين واعيان العامة وانت ترى كيف صارت الخلافة في صدر الأسلام ملعبة بأيدي الجهال والأوباش حتى حكما هذين المعلوتين اعنى عمرو ابن العاص وابا موسى الاشعري مع كفرهما وفسقهما في امر الأقامة والخلافة ولنعم ما قال عليّ عليه السلام الدهر انزلني انزلني حتى يقال عليّ ومعاوية:

اذا احطتُ خُبراً بما تلوناه عليك من وقعة صفين وقضية الحكمين فلنرجع الي شرح الخطبة ثم بعد شرحها نتكلم في الآثار والفوائد المترتبة عليها بحسب ما يقتضيه المقام فنقول:

□ قوله ﷺ: **أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجْرَبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ...**

اراد ﷺ بهذه الاوصاف الشريفة نفسه وذلك لانهم اى اصحابه قد عصوه فى صفتين فى تركهم القتال اولاً وتعيين ابى موسى الأشعري للحكومة فى هذا الامر ثانياً كما عرفت مفصلاً وحيث أنهم فعلوا ذلك فلا محالة وقَعُوا فى الحَسْرَةَ النَّدَامَةَ بعد التَّحْكِيمِ ولا سِيَّما خُدعة عمرو ابن العاص لأبى موسى فإنه اورثَ لهم التَّأْسُفَ على ما مضى والتَّنَدُّمَ على ما فَعَلُوهُ بسوء سَرِيرَتِهِمْ من عِصْيَانِهِمْ لأمره ﷺ مع كونه ناصحاً لهم شفيقاً عليهم عالماً بعواقب الامور مُجْرَبًا فى الحُرُوبِ وغيرها ومن كملت (كملت فيه هذه الاوصاف وقلما تنفق فى انسان بل لم تنفق الا فى الانبياء والأوصياء لا ينبغي للعاقل معصيته فإن من جَرَّبَ الْمُجْرَبَ حَلَّتْ به النَّدَامَةُ).

ثم اية فائدة فى هذه الندامة بعد وقوع الأمر الآ التَّحَسُّرُ والتَّأَلُّمُ الرَّوْحِي وفيما ذكره ايماء الى ان العاقل كائنا من كان ينبغي له فى اموره الدنيويّه والاخرويّه ان يكون مُطِيعاً منقاداً لمن جمعت هذه الاوصاف فيه الا انها كما ذكرنا لا توجد كما هو حَقُّه الا فيمن كان مُؤَيِّدًا من عند الله معصوماً عن الذنب والعصيان مأموناً عن متابعة الهوى ومخالفة المولى وهو لا يكون الا النبى والوصى لاكل من تصدى لأمر الامّة باى نحو كان وبهذا قلنا ان الامام لابد من ان يكون معصوماً عن الذنب عالماً بما كان وما يكون وما هو كائن الى يوم القيمة شفيقاً على الرعية مُجْرَبًا فى الامور لقبح تقديم المفضول على الفاضل فكانه ﷺ اثبت بذلك امامته ووصايته لوجود هذه الاوصاف فيه وعدمها فى حق غيره وكيف لا وهم صاروا بعده ﷺ مقهورين مظلومين باستيلاء بنى امية وبنى المروان عليهم فقتلوا خيارهم وهتكوا اعراضهم وسرقوا اموالهم، وبالجملة لم يرحموا على صغيرهم وكبيرهم وشيخهم وشابهم كما هو مذكور فى التواريخ كل ذلك لعصيانهم امامهم الذى اوجب الله طاعته عليهم بعد

تبيهم وهكذا كل امام بعد امام.

فلو اطاعوا علياً عليه السلام بعد الرسول ولم ينصبوا لهم خليفة من عند انفسهم لما صار الأمر الى صفين والجمل والنهروان ثم لو اطاعوه في صفين لما وقعت الخلافة بأيدي الجهال الفساق اعداء الله واعداء رسوله معاوية ابن ابى سفيان الملعون على لسان الرسول وبعده الى ابنه الفاسق يزيد ابن معاوية وهكذا الأمر من فاجر الى فاجر حتى انتهى الأمر الى زماننا هذا الذى لم يبق فيه من الإسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه.

□ قوله عليه السلام: وَقَدْ كُنْتُ أَمْرُتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْرُؤُنَ رَأَيْتِي...

اشارة عليه السلام: بقوله هذا الى ما قال لهم بعد رفع المصاحف فى وقعة صفين من ان هذا اى رفع المصاحف منهم غدرٌ ومكرٌ وانهم اى معاوية واصحابه لم يكونوا فى الاسلام من اهل القرآن والذين فلم يقبلوا ما قال، لهم ولم يطيعوه، ثم بعد ذلك نهاهم عن تعيينهم ابا موسى للحكومة فلم يقبلوه ايضا فوقع ما وقع من الخطب الفادخ.

□ قوله عليه السلام: لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ...

كلمة لو للشرط والمقصود بالقصير على ما قالوه هو قصير ابن سعد مولى جزيمة الأبرش من ملوك العرب قالوا فيه ان جزيمة قتل ابا الزبأ ملكة الجزيرة فبعث اليه عن حين ليتزوج بها خدعة وسئلته القدوم عليها فأجابها الى ذلك وخرج فى الف فارس وخلف باقى جنوده مع ابن اخته عمرو ابن عدى و اشار قصير الى جزيمة ان لا يتوجه اليها فلم يقبل رآيه فلما قرب جزيمة من الجزيرة استقبلته جنود الزبأ بالعدة ولم ير منهم اكراماً له ف اشار قصير اليه بالرجوع عنها وقال انها امرئة ومن شأن النساء الغدر فلم يقبل فلما دخل عليها غدرت به وقتلته فعند ذلك قال قصير لا يطاع لقصير امر فيضرب به المثل لكل ناصح عصى وهو مُصِيب فى رأيه.

وكيف كان فالمقصود أنه ﷺ قال لهم ما قال فلم يقبلوا وفعلوا ما شاؤوا
وارادوا وفالمعنى لو اطعتموني لكتتم غير هذا.

□ قوله ﷺ: فَأَيَّتُمْ عَلَىٰ آبَاءِ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاءِ وَالْمُنَابِذِينَ الْعَصَاةِ...

اي امتنعتم عن قبول نصحي مع ان فيه صلاحكم وسدادكم ورزدتكم على
قولي وقلتم لانقاتلهم الآن لانهم دعونا الى الكتاب وما فيه من الحكم ثم قلتم
لانرضى الا بابى موسى الأشعري فكانكم كتتم من المخالفين الجفاة
والمنابذين العصاة اذ لو لم تكونوا بهذه الصفة فلم لم تقبلوا قولي مع اني كنت
لكم من الناصحين.

□ قوله ﷺ: حَتَّىٰ آرْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ وَضَنَّ الزَّيْدُ بِقَدْحِهِ...

والمعنى ان اباءكم على بلغ الى حد غير مترقب لأصراركم على الخلاف
وكثرتم على النفاق بحيث صار موجبا لأرتياب الناصح فى نصحه فان
الناصح اذا كثر مخالفوه لاجرم يشك فى ان نصحه هل هو صواب ام لا، وفيه
دلالة على كثرة خلافهم ونفاقهم لا انه ﷺ ارتاب فى نصحة اياهم واقعا اذ
هو ﷺ متصف بالعلم اللدنى فلا يعقل شكهم فيما رآه صواباً فضلاً عن ان
يكون هو شاكاً فى نصحه ولذلك عقبه بقوله ﷺ: وَضَنَّ الزَّيْدُ بِقَدْحِهِ فَاِنَّ هَذَا
مثل يضرب به لمن يبخل بفوائده من اجل عدم وجدانه القابل لها والأهل
لأستفادتها قالوا والزند كناية عن القلب والقدرح كناية عن الآراء الصادرة منه
صدور النار من الزناد وهو ايضا جار على المبالغة.

□ قوله ﷺ: فَكُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرِجِ
اللَّوِيِّ فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْقَدَمِ...

شبهه ﷺ حاله معهم بما قاله الشاعر وهو وريد ابن الصمة (اخو هوازن قيل
ان اخاه عبد الله ابن صمة من بنى جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن غزابنى
بكر ابن هوازن فغنم منهم واستاق ابلهم فلما كان بمنعرج اللوى قال لا والله
لا ابرح حتى انحر النقيعة وهى ما ينحر من النهب قبل القسمة واجيل السهام

فقال له اخوه وريد لا تفعل فان القوم في طلبك فابى عليه ونحر النقيعة وبات
فلما اصبح هجم القوم عليهم وطعن عبد الله ابن الصمة فاستغاث باخيه وريد
فنهته عنه القوم حتى طعن هو ايضا وصرع وقتل عبد الله وحال الليل بين القوم
فنجى وريد بعد طعنات وجراح حصل له فقال القصيدة هذه.

نصحت لعارض واصحاب عارض

ورَهَط بنى السوراء والقوم تمهدى

فقلت لهم ظنوا بالفى مذحج

سراتهم فى الفارسى المُسرد

امرتهم امرى بمنعرج اللوى

فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد

فلما عصوتى كنت منهم وقد ارى

غوايتهم واننى غير مهتدي

وما انا الا من غزية ان غوت

غوت وان ترشد غزية ارشد

وانما تمثل عليه السلام بما قاله اخو هوازن لانه قد نصح اخاه فى عدم نحره النقيعة
فلم يقبل نصحه ونحرها وهذا العصيان منه صار موجبا وسببا لهجوم القوم
عليهم حتى قتل وريد وطعن اخو هوازن لكونه معه فكذلك كان اهل العراق
حيث انهم لعدم قبولهم النصيحة منه عليه السلام صاروا مقهورين مظلومين مقتولين
وهذه المقهورية والمظلومية قد سرت اليه عليه السلام ايضا الا انه لم يقتل ولم يهتك
كما قتلوا وهتكوا لعدم كونه عليه السلام مقصرا فى هذا التقاعد والتساهل بل يمكن ان
يقال انه عليه السلام ايضا قد قتل اذ لو لم يقع ما وقع منهم بصفين من الانكار والرد
عليه عليه السلام لما انجز الى قتله عليه السلام فان عبد الرحمن ابن ملجم المرادى لعنه الله ايضا
كان من بقايا اصحابه بصفين.

هذا تمام الكلام فى شرح عبارات الخطبة ولنختم الكلام فيها بذكر فوائد

لابأس بالاشارة اليها على سبيل الاجمال فنقول:

منها ان هذا التحكيم الملعون الذي اوجب للمسلمين الى يوم ظهور الحق والعدالة ذلاً ومسكنة انما وقع بعد ما كانت امارات القهر والغلبة للحق على الباطل لاثحة ودلائل النصر والظفر واضحة فعدل اهل الباطل عن القراع الى الجذاع برأى عمرو ابن العاص الملعون المطرود على لسان الله ورسوله ولذلك ذمهم في هذه الخطبة.

وثانيها ان هذا التحكيم الذي كان مسبباً عن اتباعهم الهوى وتركهم القتال في سبيل الله والجهاد الذي افترض الله تعالى الاتيان به مع الشرائط وكلها كانت موجودة ومن المعلوم ان الفرار من الجهاد يوجب الذل في الدارين ولاجل ذلك هو ﷺ لم يرض به حتى اجبروه عليه لعلمه ﷺ بان ترك القتال بهذه الثورة يوجب امامة المعروف واحياء المنكر فان معاوية واصحابه كانوا من اتباع الشيطان وكان واجبا على المسلمين ردعه ومنعه وقتله.

الم يقل رسول الله ﷺ بنقل العامة والخاصة اذا رأيتُم معاوية ابن ابي سفيان على منبري فاقتلوه الحديث.

الم يلعنه رسول الله ﷺ غير مرة ومن كان كذلك فلا معنى للصالح معه وتعيين الحكامين فان خروجه من هذا الدين خروج تخصصي لاتخصيصي وتعييني لاتعييني فلابئ شئ سامحوا في قتاله حتى وقع ما وقع.

واما امير المؤمنين ﷺ فهو غني عن التحديد والتوصيف من جميع الجهات وهو ﷺ مع ذلك كان بصدد اعلاء الحق واماته الباطل وكان هذا غرضه الاصلى من هذه الحروب من البدو الى الختم لالسلطنة والرياسة والحكومة وارضاء الغرائز كما هو شأن معاوية ومن تبعه ولاجل هذا كان ﷺ مُصراً على القتال حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين لانه ﷺ كان من الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر كما هو حقه ومن كان هذا شأنه فلا يسلم للباطل.

روى انه دعا معاوية يوماً من الايام عبد الله عمرو ابن العاص فامرته ان يكلم

اهل العراق ويستعلم له ما عندهم فاقبل حتى اذا كان بين صفين نادى يا اهل العراق انا عبد الله ابن عمرو ابن العاص انه قد كانت بيننا وبينكم امور للدين او الدنيا فقد والله اعذرنا واعذرتهم وان يكن للدنيا فقد والله اسرفنا واسرفتم وقد دعوناكم الى امر لو دعوتونا اليه لأجبناكم فان يجمعنا واياكم الرضا فذاك من الله فاعتنموا هذه الفرجة عسى ان يعيش فيها المتحرق وينسى فيها القتل فان بقاء المهلك بعد الهالك قليل.

فاجابه سعيد ابن القيس الهمداني بأمر من امير المؤمنين عليه السلام وقال اما بعد يا اهل الشام انه قد كانت بيننا وبينكم امور حamina فيها على الدين والدنيا وسميتموها عذراً وسرفاً وقد دعوتونا اليوم الى ما قتلناكم عليه امس ولم يكن ليرجع اهل العراق الى عراقهم ولا اهل الشام الى شامهم بامر اجمل من ان يحكم الله (ان يحكم بما انزل الله سبحانه) فقام الناس الى علي عليه السلام وقالوا له اجب القوم الى المحاكمة ونادى انسان من اهل الشام فى جوف الليل بشعر سمعه الناس وهو هذا:

رؤوس العراق اجيبوا الدعاء	فقد بلغت غاية الشدة
وقد اودت الحرب بالعالمين	واهل الحفايف والنجدة
فلسنا ولستم من المشركين	ولا المجمعين على الردة
ولكن اناس لقمو مثلهم	لنا عدة ولهم عدة
فقاتل كل على وجهه	تفحمة الجد والجدة
فان تقبلوها ففيها البقاء	وامن الفريقين والبلدة
وان تدفعوها ففيها الفناء	وكل بلاء الى مدة
وحتى متى محض هذا السقاء	ولا بد ان تخرج الزبدة
ثلاثة رهط هم اهلها	وان يسكتوا تخمد الوقدة
سعيد ابن قيس وكبش العراق	وذاك المسود من كندة

غرضه من كبش العراق هو مالك ابن الاشر النخعي والمسود من كندة هو

الأشعث ابن قيس الكندي أمّا مالك فهو كان مصرأً على القتال والأشعث على الصلح وسعيد ابن القيس كان من المتوسّطين وبالجملة قد ظهر ممّا ذكرناه أنّ هذا التّحكيم لم يكن إلا ناشئاً عن الأعراض عنه والأقبال الى الشيطان المجسّم وهو معاوية واتباعه ولذلك قال امير المؤمنين بعد اصرار اصحابه على ترك القتال، الا انى كنتُ امس امير المؤمنين فاصبحت اليوم مأمورا وكنتُ ناهياً فاصبحت منهياً وقد اجبتم البقاء وليس لى ان أحملكم على ما تكرهون.

ثالثها أنّ هذا التّحكيم هل كان مشروعاً شرعاً ام كان غير مشروع فان كان مشروعاً فلا كلام فيه ولا مجال لانكاره اياه وحيث انا نرى كونه رضي الله عنه منكراً له فكشف عدم جوازه شرعاً وهو الحقّ ويدلّ عليه امور:

الاول: أنّ التّحكيم المبحوث عنه عبارة عن حكم الحكّمين بأحقية على رضي الله عنه او معاوية بالخلافة وهو باطل لأنّ الخلافة كما قلنا سابقا لا بدّ من ان يكون بنصّ من الله ورسوله ولا مدخل لرأى الأفراد فيها فحكم الحكّمين بخلافة على او غيره باطل لأنّ علياً لو كان اماماً عقلاً وشرعاً فحكمهما من قبيل تحصيل الحاصل والآ فهو مردودٌ مطرود.

الثاني: أنّ الخلافة والأمامة من قبيل الصّلوة والصّوم وغيرهما من الواجبات فكما أنّ الحكم بوجوب شيء او حرمة من غير الرّسول حرامٌ مُحَرَّمٌ ويُسمّى بدعة فكذلك الحكم بأنّ فلانا خليفة الرّسول بدعة مُحَرَّمَةٌ بل الخلافة اصل الواجبات ولبّها فكيف يمكن القول بحكومة الناس فيها.

الثالث: أنّ التّحكيم لو كان جائزاً فخلافة ابي بكر وعمر وعثمان ايضاً حقٌّ وحيث أنّ اثبتنا بطلانها في شرح الخطبة الشّشقيّة فكذلك في المقام اذا لفرق بين المقامات لأنّ حكم الامثال فيما يجوز وفيما لايجوزوا حد فثبت كونه غير مشروع ولاجل هذه الوجوه وغير هالم يقل بصّحته ابداً.

فان قلت - ان كان التّحكيم غير مشروع فلمّ امضى رضي الله عنه الصّحيفة التي كتبوها وعينو فيها ابا موسى وعمرو ابن العاص لهذه الحكومة وهل هذا منه رضي الله عنه الآ

اقراراً عليه و تثبتاً له.

قلت - كلاً أنه ﷺ لم يُقرّ به أبداً واما امضائه له فانما هو لاجل التّقية والخوف من المنافقين المُعاندين كما علمت منهم حيث قالوا له اِجِب الی کتاب الله والّا دفعناك بُرمتك الی القوم وَنَفَعَلْ بِكَ مَا فَعَلْنَا بِابْنِ عَفّانِ وَاِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَي هَذَا الْمَنَوَالِ فَلَا مَجَالَ لِعَدَمِ اجَابَتِهِ لَهُمْ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ.

روى فى الكامل أنّ علياً بعد انصرافه من صفين مرّ على عبد الله ابن وديعة الانصارى فدنا منه وسلم عليه وسأيره وقال ﷺ له ما سمعت الناس يقولون فى امرنا قال منهم المُعجب به ومنهم الكاره له قال ﷺ فما قول ذى الرأى قال يقولون انّ علياً كان له جَمْعٌ عظيم ففرّقه وكان له حِصْنٌ حَصِينٌ فَهَدَمَهُ فَمَتَى يَبْنِي مَا هَدَمَ وَيَجْمَعُ مَا فَرَّقَ وَلَوْ كَانَ مَضَى بِمَنْ اطاعه اذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر او يهلك كان ذلك الحزم.

قال عليّ ﷺ انا هدمت أم هم هدموا انا فرقت ام هم فرقوا اما قولهم لو كان مضى بمن اطاعه فقاتل حتى يظفر او يهلك فوالله ما خفى هذا عنى وان كنت لسخياً بنفسى عن الدنيا طيب النفس بالموت ولقد هممت بالأقدام على القوم فنظرت الى هذين قد ابتدرانى يعنى الحسن والحسين ونظرت الى هذين قد استقدمانى يعنى عبد الله ابن جعفر ومحمد ابن عليّ فعلمت ان هذين ان هلكا انقطع نسل رسول الله ﷺ من هذه الامّة وكرهت ذلك واشفقت على هذين ان يهلكا وأيم الله لئن لقيتهم بعد يومى هذا لالقيتهم وليسوا معى فى عسكر ولا دارٍ ثم مضى ﷺ انتهى ما ذكره فى التاريخ.

اقول: ما ذكره اقوى دليل على انه ﷺ لم يكن راضياً بما فعله القوم وانما لم يُقدم على الحرب مع القليل من اصحابه لما ذكر وسيأتى لنا كلام فى قصته الخوارج ممّا يناسب المقام فانتظره والحمد لله ربّ العالمين.

﴿٣٦﴾ من خطبة له ﷺ

في تخويف أهل النهروان

□ قوله ﷺ: فَأَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ أَنْ تُصْبِحُوا صَرَعى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهْرِ، وَبِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ: قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمْ الدَّارُ، وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمُ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَاءِ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، وَلَمْ آتِ، لِأَبَائِكُمْ بُجْرًا، أَوْ لَا أَرَدْتُ بِكُمْ ضُرًّا، انتهى.

◁ اللّغة

(صَرَعى) جمع صَرِيع يقال باتَّ صَرِيع الكأس أى المَجْنُون، والمقصود هنا القتل. (أَثْنَاء) جمع ثِنَى الوادى بكسر الثاء المثناة. (اهْضَام) جمع هَضَم المَطِين من الارض. (الْغَائِطِ) ما سَفَلَ من الارض. (السُّلْطَانِ) الحجّة وأما سَمِيت الحجّة سُلْطَانًا لِأَنَّ بِهَا الْغَلْبَةَ، وَالتَّسَلُّطَ. (طَوَّحَتْ) طَاخَ يَطِيحُ هَلَاكَ وَسَقَطَ. (اِحْتَبَلَكُمُ) الأحتبال الأخذ بالحباله. (الْمِقْدَارُ) هو القدر والفضاء. (الْهَامَةُ) الرّاس والجمع الهام. (بُجْرًا) البُجر بضمّ الباء وسكون الجيم الداهية والشّر.

◀ المعنى

قال عليه السلام: (فَأَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ أَنْ تُصْبِحُوا صَرَعى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهْرِ) بان تكونوا مقتولين مطروحين على الأرض (وَبِأَ هَضَامِ هَذَا الْغَائِطِ)، وهو الأسفل منها (عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ)، اى من غير حُجَّةٍ شرعية. (وَلَا سُلْطَانِ)، ولا حُجَّةٍ عقلية (مَعَكُمْ) حتى تتمسكون بها فى خروجكم على (قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمْ الدَّارُ) وهلكتكم، (وَاحْتَبَلَكُمْ الْمِقْدَارُ)، اى اوقعكم القدر النازل بكم فى حباله كالصيد (وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ)، التى مرّت تفصيلها (فَأَيَّبْتُمْ عَلَى بَعْدَمِ قَبُولِكُمْ رَأَى). (اباء المُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ)، الجفاة العُصاة (حَتَّى صَرَفْتُ)، لامحالة (رَأَى إِلَى هَوَاكُمُ)، وصرت لكم تبعاً (وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخْفَاءِ الْهَامِ)، لعدم ثباتكم فى الرأى (سُفْهَاءُ الْأَخْلَامِ)، لعدم كما لكم فى الدرك والعقل. (وَلَمْ آتِ، لِأَبَائِكُمْ بُجْرًا، أَوْ لَا أَرَدْتُ بِكُمْ ضُرًّا)، اى ما نزلت هذه الداهية لكم الا من سوء تدبيركم وقلة عقلكم فأتى لم آت لكم داهية ولا اردت ان يقع بكم الضر.

◀ الشرح

اعلم: ان هذه الخطبة مما خطب عليه السلام بها يوم النهروان وبفتح النون وضمها وتثليث الراء وهو على ما نقل عن المصباح بلدة تقرب من بغداد اربعة فراسخ ونحن نذكر اولا قصة الخوارج وكيفيتها وعلّة خروجهم عن الدين ثم نشرح الخطبة على وثيرة ما سلكناه فى الخطبة السابقة والمُعتمد فى باب الخوارج هو ايضا الكامل لأبن الأثير فنقول:

قال صاحب التاريخ لما اراد على عليه السلام ان يبعث ابا موسى للحكومة اتاه رجلان من الخوارج رزعة ابن البرج الطائى وخرقوص ابن زهير السعدى فقالا لاحكم الا لله فقال على عليه السلام لاحكم الا لله فقال خرقوص ابن زهير تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا الى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا

فقال عليٌّ عليه السلام قد أردتكم على ذلك فعصيتُموني وقد كُتبتنا بيننا وبين القوم كتاباً وشرطنا شروطاً واعطينا عليها عهداً وقد قال الله وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم فقال حرقوص ذلك ذنبٌ ينبغي ان تتوب عنه فقال عليٌّ عليه السلام ما هو ذنب ولكنه عجزٌ عن الرأى وقد نهيتكم فقال ذرعة يا علي لئن لم تدع تحكُم الرجال لأقاتلنك اطلب وجه الله فقال عليٌّ بؤساً لك ما اشقاك كائى بك قتيلاً تسفى عليك الرياح قال وددت لو كان فخرجا من عنده يحكمان.

وخطب عليٌّ ذات يوم فحكمت المحكمة فى جانب المسجد فقال عليه السلام على الله اكبر كلمة حق يراد بها الباطل (اريد بها الباطل، ان سكتو غممناهم وان تكلموا جمعناهم وان خرجوا علينا قاتلناهم فوثب يزيد ابن عاصم المحاربى فقال الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغن عنه، اللهم انا نعوذ بك من اعطاء الدنيا فى ديننا فان اعطاء الدنيا فى الدين ادهان فى امر الله وذلل راجع بأمره الى سخط الله يا على ابا القتل تخوفنا اما والله انى لأرجو ان تضربكم بها عما قليل غير مصفحات ثم لتعلم ايها اولى بها صلوا ثم خرج هو واخوة له الثلاثة فأصيبوا مع الخوارج فى النهار وأصيب احدهم بعد ذلك بالنخيلة.

ثم خطب عليٌّ عليه السلام يوماً آخر فقام رجل فقال لا حكم الا لله ثم توالى عدة رجال يحكمون فقال عليٌّ عليه السلام الله اكبر كلمة حق اريد بها الباطل اما ان لكم عند ثلاثا ما صحبتمونا لا تمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسمه ولا يمنعكم الفىء ما دامت أيديكم مع ايدينا ولا تقاتلكم حتى تبدؤنا وانما فيكم امر الله ثم رجع الى مكانه من الخطبة قال صاحب التاريخ ثم ان الخوارج لقي بعضهم بعضاً واجتمعوا فى منزل عبد الله ابن وهب الراسبى فخطبهم وزهدهم فى الدنيا وامرهم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم قال اخرجو بنا من هذه القرية الظالم اهلها الى بعض كور الجبال اوالى بعض هذه المنازل (المدائن) منكرين لهذه البدع المضلة.

فقال له حرقوص ابن زهير ان المتاع بهذه الدنيا قليل وان الفراق لها وشيك

فلا تدعونكم زينتها وبهجتها الى المقام بها ولا تمنعكم عن طلب الحق وانكار الظلم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

فقال حمزة ابن سنان الأسدي يا قوم ان الرأى ما رأيتم قولوا امركم رجلاً منكم فانكم لابد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها وترجعون اليها فعرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى وعرضوها على حرقوص ابن زهير فابى وعلى حمزة ابن سنان وشريح ابن اوفى العبسى فأبىا فعرضوها على عبد الله ابن وهب فقال هاتوها، اما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا ادعها فرقا من الموت فبايعوه لعشر خلون من شوال وكان يقال له ذوالثفئات ثم اجتمعوا في منزل شريح ابن اوفى العبسى فقال ابن وهب اشخصو بنا الى بلدة نجتمع فيها لأنفاد حكم الله فانكم اهل الحق قال شريح نخرج الى المدائن نزل بها وناخذها بأبوابها ونخرج منها سكانها ونبعث الى اخواننا من اهل البصرة فيقدمون علينا.

فقال زيد ابن حصين انكم ان خرجتم مجتمعين اتبعتم ولكن اخرجوا وحدانا مستخفين فاما المدائن فاك بها من يمنعكم ولكن سيروا حتى نزل جسر النهروان وتكاتبوا اخوانكم من اهل البصرة قالوا هذا الرأى.

وكتب عبد الله ابن وهب الى من بالبصرة منهم يعلمونهم ما اجتمعوا عليه ويحثونهم على اللحاق بهم وسير الكتاب اليهم فاجابوه أنهم على اللحاق به فلما عزموا على المسير تعبدوا ليلتهم وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة وساروا يوم السبت فخرج شريح ابن اوفى العبسى وهو يتلو قول الله تعالى فخرج منها خائفاً يترقب الى سواء السبيل وخرج معهم طرفة ابن عدى ابن حاتم الطائي فاتبعه ابوه فلم يقدر عليه فانتهى الى المدائن ثم رجع فلما بلغ ساباط المدائن لقيه عبد الله ابن وهب الراسبي في نحو عشرين فارسا فاراد عبد الله قتله فمَنَعَهُ عمرو ابن مالك التيهانى وبشر ابن زيد البولانى وارسل عدى الى سعد ابن مسعود عامل عليّ على المدائن ما يحذرهم امرهم فاخذ

ابواب المدائن وخرج في الخيل واستخلف بها ابن اخيه المختار ابن ابي عبيد وسار في طلبهم، فاخبر عبد الله ابن وهب خبره فراباطريقه وسار على بغداد ولحقهم سعد ابن مسعود بالكرخ في خمسمائة فارس عند المساء فانصرف اليهم عبد الله في ثلاثين فارسا فاقتتلوا ساعة وامتنع القوم منهم وقال اصحاب سعد لسعد ما تريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم امرخلهم فليذهبوا واكتب الى امير المؤمنين عليه السلام فان امرك باتباعهم اتبعتهم وان كفاكهم غيرك كان في ذلك عافية لك فابى عليهم فلما جن عليهم الليل خرج عبد الله ابن وهب فعبر دجلة الى ارض جوفى وسار الى النهروان فوصل الى اصحابه وقد آيسوا منه وقالوا ان كان هلك ولينا الأمر زيد ابن حصين او حرقوص ابن زهير وسار جماعة من اهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم فردهم اهلوهم كرها منهم القعقاع ابن قيس عم الطرماح ابن حكيم عبد الله ابن حكيم ابن حكيم ابن عبد الرحمن البكائي وبلغ عليا ان سالم ابن ربيعة العبسي يريد الخروج فاحضره عنده ونهاه فانتهى.

ولما خرج الخوارج من الكوفة اتى عليا اصحابه وشيعته وبايعوه وقالوا نحن اولياء من واليت واعداء من عاديت فشرط لهم فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وآله ف جاء ربيعة ابن ابي شداد الخثعمي وكان شهد معه الجمل والصفين ومعه راية خثعم.

فقال عليه السلام: له بايع على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ربيعة على سنة ابي بكر وعمر قال له علي ويلك لو ان ابا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله لم يكونا على شيء من الحق فبايعه فنظر اليه علي وقال اما والله لكائي بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت وكائي بك وقد وطئت الخيل بخوافرها فقتل يوم النهروان مع خوارج البصرة.

فاما خوارج البصرة فانهم اجتمعوا في خمسمائة رجل وجعلوا عليهم مسعر ابن فدكي التميمي فعلم بهم ابن عباس فاتبعهم ابالاسود الدثلي فلحقهم

بالجسر الأكبر فتوافقوا حتى حَجَرَ بينهم الليل وأدْلَج مَسْعَرُ باصحابه واقبل
يعترض الناس وعلى مقدمته الأشرس ابن عوف الشيباني وسار حتى لحق
بعبد الله ابن وهب بالنهر.

فلما خرجت الخوارج وهرب ابو موسى الى مكة ورَدَّ عليٌّ عليه السلام ابن عباس
الى البصرة قام في الكوفة فخطبهم وقال الحمد لله وان اتى الدهر بالخطب
الفادح والحدثان الجليل واشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله (اقول قد
مر ذكر الخطبة مع شرحها، مؤلف).

ثم قال عليه السلام الا ان هذين الرجلين الذين اخترتموهما حكيمين قد نبذا حكم
القرآن وراء ظهورهما واحييا ما امانت القرآن واتبع كل واحد منها هواه بغير
هدى من الله فحكما بغير حجة بيّنة ولا سنة ماضية واختلفا في حكمهما وكلا
هما لم يرشد فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين استعدوا واثماً هبوا
للمسير الى الشام واصبحوا في معسكرهم ان شاء الله يوم الاثنين ثم نزل:

وكتب الى الخوارج: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي امير
المؤمنين عليه السلام الى زيد ابن حصين وعبد الله ابن وهب ومن معهما من الناس. اما
بعد: فان هذين الرجلين اللذين ارتضينا هُما حكَمين قد خالفا كتاب الله واتبعا
هواهما بغير هدى الله فلم يعملوا بالسنة ولم ينفذ القرآن حكماً فبرىء الله
منهما ورسوله والمؤمنون فاذا بلغكم كتابي هذا فاقبلوا الينا فاننا سائرُونَ الى
عدونا وعدوكم ونحن على الامر الاول الذي كنا عليه.

فكتبوا اليه عليه السلام اما بعد فانك لم تغضب لربك واثماً غضبت لنفسك فان
شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك والا فقد
نبذناك على سواء ان الله لا يحب الخائنين.

فلما قرء عليه السلام كتابهم آيس منهم ورأى ان يدعهم ويمضى بالناس حتى يلقي
اهل الشام فيناجزهم فقام في اهل الكوفة فحمد الله واثني عليه ثم قال اما بعد
فانه من ترك الجهاد في الله وادهن في امره كان على شفا هلك الا ان يتداركه

الله بنعمته فاتَّقوا الله وقَاتِلُوا من حَاد الله ورسوله وحاول ان يُطفئ نور الله فقاتلوا الخائنين الضالين القاسطين الذين ليسوا بقراء القرآن ولا فقهاء في الدين ولا علماء في التأويل ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الاسلام والله لو وُلِّوا عليكم لَعَمِلُوا فيكم باعمال كسرى وهرقل يتيسر وللميسر الى عدوكم من اهل المغرب وقد بعثنا الى اخوانكم من اهل البصرة ليُقدِّموا عليكم فاذا اجتمعتم شخصنا ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله.

وكتب عليه السلام الى ابن عباس، اما بعد، فانا خرجنا الى معسكرنا بالنخيلة وقد اجمعنا على الميسر الى عدونا من اهل المغرب فاشخص الى الناس حتى ياتيك رسولي واقم حتى ياتيك امرى والسلام عليك.

فقراء ابن عباس الكتاب على الناس وندبهم مع الأحنف ابن قيس فشخص الف وخمسة فخطبهم وقال يا اهل البصرة اتاني كتاب امير المؤمنين عليه السلام فأمرتكم بالتغير اليه فلم يشخص منكم اليه الا الف وخمسمائة وانتم ستون الف مقاتل سوى ابنائكم وعبيدكم ألا انفروا اليه مع جارية ابن قدامة السعدي ولا يجعلن رجل على نفسه سيلا فاني موقع بكل من وجدته متخلفاً عن دعوته عاصياً لأمامه فلا يلومن رجل الا نفسه فخرج جارية فاجتمع اليه الف وسبعمائه فوافو علياً وهم ثلاث آلاف ومائتان فجمع اليه رؤوس اهل الكوفة ورؤوس الأسباع ووجوه الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال:

يا اهل الكوفة انتم اخواني وانصاري وأعواني على الحق واصحابي الى جهاد المحلّين بكم اضرب المدبر وارجوا تمام طاعة المقبل وقد استنفرت اهل البصرة فاتاني منهم ثلاث آلاف ومائتان فيكتب لي رئيس كل قبيلة مافي عشيرته من المُقاتلة وابناء المُقاتلة الذين ادركوا القتال وعبد ان عشيرته ومواليهم ويرجع ذلك الينا فقام اليه سعد ابن قيس الهمداني وقال يا امير المؤمنين عليه السلام سَمِعاً وطاعةً انا اول الناس اجاب ما طلبت وقام معقل ابن قيس وعدى ابن حاتم وزياد ابن حفصة وحجر ابن عدى واشراف الناس والقبائل

فقالوا مثل ذلك وكتبوا اليه ما طلب وامروا بناتهم وعبيدهم، ان يخرجوا معهم ولا يتخلف منهم متخلف فرفعوا اليه اربعين الف مقاتل وسبعة عشر الفا من الأبناء وممن ادرك وثمانية الاف من مواليتهم وعبيدهم وكان جميع اهل الكوفة خمسة وستين الفاسوى اهل البصرة وهم ثلاثة الاف ومائتا رجل وكتب الى سعد ابن مسعود بالمدائن يأمره بارسال من عنده من المقاتلة وبلغ علياً ان الناس يقولون لو سار بنا الى الحرورية فاذا فرغنا منهم توجهنا الى قتال المحلّين فقال ﷺ لهم بلغنى انكم كيت وكيت وان غير هؤلاء الخارجين اهمم الينا فدعوا ذكرهم وسيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكاً ويتخذوا عباد الله خولاً فناداه الناس ان سير بنا يا امير المؤمنين ﷺ حيث احببت وقام اليه صيفى ابن قيل الشيبانى فقال يا امير المؤمنين نحن حزبك وانصارك نعدى من عاداك ونشايح من اناب الى طاعتك من كانوا واينما كانوا فانك انشاء الله لن تؤتى من قلة عددٍ وضعف نيّة اتباع. قال صاحب التاريخ: ذكر قتال الخوارج: قيل لما اقبلت الخارجه من البصرة حتى دنت من النهروان رأى عصابة منهم رجلان يسوق بامرئة على حمارٍ فدعوه فانتهروه فافزعوه وقالوا له من انت قال انا عبد الله ابن خباب صاحب رسول الله فقالوا له افزعناك قال: نعم قالوا لاروع عليك حدثنا عن ابيك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ تنفعنا به فقال حدثنى ابي عن رسول الله ﷺ انه قال تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه يمسي فيها مؤمناً ويصبح كافراً ويصبح كافراً ويُمسي مؤمناً، قالوا لهذا الحديث سألناك فما تقول فى ابي بكر وعمر فائنى عليهما خيراً قالوا ما تقول فى عثمان فى اول خلافته وفى آخرها؟ قال: انه كان مُحققاً فى اولها وفى آخرها، قالوا فما تقول فى علىّ قبل التحكيم وبعده قال انه اعلم بالله منكم واشدّ توقياً على دينه وانقذ بصيرةً فقالوا انك تتبع الهوى وتوالى الرجال على اسمائها لاعلى افعالها والله لنتقتلك قتلة ما قتلناها احداً فأخذوه وكنفوه ثم اقبلوا به وبأمرئته وهى حُبلى حتى نزلوا

تحت نخلٍ مواقير فسقطت منه رُطبة فأخذها أحدهم فتركها في فيه فقال آخر
أخذتها بغير حلِّها وبغير ثمنٍ فالقهاها، ثمَّ مرَّ بهم خنزير لاهل الذمة فضربه احد
بسيفه فقالوا هذا فساد في الأرض فلقي صاحب الخنزير فارضاه، فلمَّا رأى
ذلك منهم ابن خباب قال لئن كنتم صادقين فيما ارى فما علىَّ منكم من بأس
إنى مُسلم ما احدثت في الإسلام حدثاً ولقد امتثمتونى قلتُم لا ورعَ عليك
فأضجعوه وذبحوه فسأل دمه في الماء واقبلوا الى المرثه فقالت أنا امرئة ألا
تتقون فبقروا بطنها وقتلوا ثلاث نسوة من طيِّ وقاتلوا ام سنان الصيدواية.

فلمَّا بلغ علياً قتلهم عبد الله ابن خباب واعتراضهم الناس بعث اليهم
الحرث ابن مروة العبدي ليأتيهم وينظر ما بلغه عنهم ويكتب به اليهم (اليه) ولا
يكتبه فلما دنى منهم يسألهم لهم قتلوه واتى عليا الخبر والناس معه.

فقالوا يا امير المؤمنين علامَ ندع هؤلاء وأرائنا يخلفونا في عيالنا واموالنا
سربنا الى القوم فاذا فرغنا منهم سربنا الى عدونا من اهل الشام وقام اليه
الأشعث ابن قيس وكلمه بمثل ذلك وكان الناس يرون ان الأشعث يرى رأيهم
لانه كان يقول يوم صفين انصفنا قوم يدعون الى كتاب الله فلما قال هذه
المقالة علم الناس انه لم يكن يرى غير رأيهم، فاجمع علي عليه السلام على ذلك
وخرج فعبر الجسر وسار اليهم فلقيه منجم في مسيره فاشار اليه ان يسير وقتنا
من النهار فقال له ان انت سرت في غيره لقيت انت واصحابك ضرا شديداً
نخالفه علي وسار في الوقت الذي نهاه عنه.

فلما فرغ من اهل النهروان حمد الله واثنى عليه ثم قال لو سربنا في الساعة التي
امر بها المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون شيئا سار في الساعة التي امر بها
المنجم فظفروا كان المنجم عبد الله (سافر ابن عفيف الأزدي).

قال: فارسل علي الى اهل النهروان ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم اقتلهم بهم
ثم انا تارككم وكاف عنكم حتى القى اهل المغرب فلعل الله يقبل بقلوبكم
ويردكم الى خير مما اتمت عليه من امركم فقالوا كلنا قتلتمهم وكلنا مستحل

لِدِمَائِكُمْ وَدِمَائِهِمْ.

وخرج اليهم قيس ابن سعد ابن عبادة فقال لهم عباد الله اخرجوا إلينا طلبتنا منكم وادخلوا في هذا الامر الذي خرجتم منه وَعَوُدُوا بِنَا إِلَى قِتَالِ عَدُوِّنَا وَعَدُّوكُمْ فَاِنَّكُمْ رَكِبْتُمْ عَظِيمًا مِنَ الْأَمْرِ تَشْهَدُونَ عَلَيْنَا بِالشَّرْكِ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ.

فقال له عبد الله ابن شجرة السلمى ان الحق قد اضاء لنا فلنسنا متابعيكم او تأتونا بمثل عمر فقال ما نعلمه غير صاحبنا فهل تعلمونه فيكم قالوا لا قال نشدتكم الله في انفسكم ان تهلكوها فاني لا أرى الفتنة الا وقد غلبت عليكم. وخطبهم ابو ايوب الانصارى فقال عباد الله انا أو اياكم على الحلل الاولى التى كنا عليها ليست بيننا وبينكم فرقة فعلام تقاتلوننا فقالوا انا لو تابعناكم اليوم حكمتهم غداً قال أنشدكم الله ان تعجلوا فتنة العام مخافة ما تأتى فى القابل. وأتاهم على وقال ايها العصابة التى أخرجها عداوة المراء، واللحاجة وصدها عن الحق الهوى وطمع بها النزق وأصحبت فى الخطب العظيم انى نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الأمة غداً صرعى باثناء هذا الوادى وبأهضام هذه الغائط بغير بينة من ربكم ولا برهان مبين ألم تعلموا انى نهيتكم عن هذه الحكومة ونبأتكم انها مكيدة وان القوم ليسوا باصحاب دين فعصيتموني فلما فعلت شرطت واستوثقت على الحكامين ان تحيا ما أحيا القرآن واماتا (ويميتا) ما امات القرآن فاختلغا وخالفا حكم الكتاب والسنة فنبذنا امرهما ونحن على الأمر الاول فمن اين اتيتم فقالوا انا حكمنا فلما حكمنا اثمنا وكنا بذلك كافرين وقد تبنا فان ثبت فنحن معك ومنك وان ابيت فانا منابذك على سواء.

فقال على عليه السلام ما اصابكم حاصب ولا بقى منكم دابر بعد ايماني برسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتى معه وجهادى فى سبيل الله أشهد على نفسى بالكفر لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين ثم انصرف عنهم وقيل انه كان من كلامه

لهم يا هؤلاء ان انفسكم قد سؤلت لكم فراقى لهذه الحكومة التى انتم بدعتمو
 (بدأتموها) سألتموها وانا لهاكاره وانبأتكم ان القوم انما طلبوها مكيدة ووهناً
 فأبیتم على إباء المخالفين وعندتم عنود النكداء العاصين حتى صرفت رائي
 الى رأيكم رأى معاشرٍ والله أخفاء الهام سفهاء الأحلام فلم آت، لا ابالكم هجراً
 والله ما اختلتكم من اموركم ولا اخفيت شيئاً من هذا الامر عنكم، ولا اوطأتكم
 عشوة ولا ادنيت لكم الضراء وان كان امرنا لأمر المسلمين ظاهراً فاجمع رأى
 ملتكم ان اختاروا رجلين فاخذنا عليهما ان يحكما بما فى القرآن ولا يعداوه
 فتأها فتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هوأهما والثقة فى ايدينا حين
 خالفا سبيل الحق وأتيا بما لا يعرف فبينوا لنا بم تستحلون قتالنا والخروج من
 جمعائنا وتضعون اسيافكم على عواتقكم ثم تستعرضون الناس تضربون
 رقابهم ان هذا هو الخسران المبين والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله
 قتلها فكيف بالنفس التى قتلها عند الله حرام فتنادوا لاتحاطبوهم ولا تكلموهم
 وتهيئو للقاء الله الرواح الرواح الى الجنة فعاد على عنهم.

ثم ان الخواج قصدوا جسر النهر وكانوا قربة فقال لعل اصحابه انهم قد
 عبروا النهر فقال لن يعبروا فارسلوا طليعة فعادوا اخبرهم انهم عبروا النهر
 فقال على عليه السلام والله ما عبروه وان مصارعهم لدون الجسروا لله لا يقتل منكم
 عشرة ولا يسلم منهم عشرة فتقدم على عليه السلام اليهم فرأهم عند الجسر لم يعبروه
 وكان الناس قد شكوا فى قوله وارتاب به بعضهم فلما روا الخوارج لم يعبروا
 كبروا واخبروا علياً بحالهم فقال عليه السلام والله ما كذبت ولا كذبت.

ثم انه عليه السلام عبأ اصحابه فجعل على ميمنة حجر ابن عدى وعلى ميسرته
 شيبث ابن ربيعى او معقل ابن قيس الرياحى وعلى الخيل ابا ايوب الانصارى
 وعلى الرجال ابا قتادة الانصارى وعلى اهل المدينة وهم سبعمائة او ثمانمائة
 قيس ابن سعد ابن عبادة.

وعبت الخوارج فجعلوا على منمنتهم زيد ابن حصين الطائى وعلى

ميسرتهم شريح ابن اوفى العبسى وعلى خيلهم حمزة ابن سنان الأسدى
وعلى رجالتهم حرقوص ابن زهير السعدى.

واعطى على عليه السلام ابا ايوب الانصارى راية الأمان فناداهم ابو ايوب فقال من
جاء تحت هذه الراية فهو آمن ومن لم يقتل ولم يتعرض ومن انصرف منكم
الى الكوفة او الى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن لاحاجة لنا بعد ان
نصيب قتلة اخواننا منكم فى سفك دمائكم فقال فرقة ابن نوفل الأشجعى والله
ما ادرى على اى شىء نقاتل علياً ارى ان انصرف حتى تتضح لى بصيرتى فى
قتاله او اتابعه فانصرف فى خمسمائة فارس حتى نزل البندينجين والد سكرة
وخرجت طائفة اخرى متفرقين ونزلوا الكوفة وخرج الى على نحو مائة وكانوا
اربعة آلاف فبقى من عبد الله ابن وهب ألف وثمانمائة فزحفوا الى على وكان
على عليه السلام قد قال لاصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤكم فتنادوا الرواح الرواح الى
الجنة وحملوا على الناس فافتقت خيل على عليه السلام فرقتين: فرقة نحو الميمنة
وفرقة نحو الميسرة واستقبلت الرماء وجوههم بالنبل وعطفت عليهم الخيل
من الميمنة والميسرة ونهض اليهم الرجال بالرماح والسيوف فلما لبثوا ان
اتاهم (فما لبثوا ان اناموهم) فلما رأى حمزة ابن سنان الهلاك نادى اصحابه ان
انزلوا فذهبوا لينزلوا فلم يلبثوا حمل عليهم الأسود ابن قيس المرادى
وجاءتهم الخيل من نحو على فأهلكوا فى ساعة فكانما قيل لهم موتوا فماتوا!
وجاء ابو ايوب الانصارى الى على فقال يا امير المؤمنين عليه السلام طعنت زيد ابن
حصين الطائى طعنة فى صدره خرج السنان من ظهره وقلت له ابشر يا عدو الله
بالنار فقال ستعلم غداً اينا اولى بها صلياً فقال على عليه السلام هو اولى بها صلياً.

وجاء هانى ابن خطاب الأزدي وزيد ابن حفصة يحتجان فى قتل عبد الله
ابن وهب فقال كيف صنعتما قالا لما رايناه عرفناه فأبتدرناه وطعناه برمحنا
فقال كلا كما قاتل وحمل جيش ابن ربيعة الكنانى على حرقوص ابن زهير
فقتله وحمل عبد الله ابن زحر الخولانى على عبد الله ابن شجرة السلمى فقتله

وَوَقَعَ شَرِيحُ ابْنِ أَوْفَى إِلَى جَانِبِ فِقَاتِلٍ عَلَيْهِ وَكَانَ جَلًّا مِنْ يِقَاتِلِهِ هَمْدَانٌ.
قَدْ عَلِمْتَ جَارِيَهُ عَبِيَّةَ نَاعِمَةَ فِي أَهْلِهَا مَكْفِيَّةً أَنِّي سَأَحْمِي ثَلَمَتِي الْعَشِيَّةَ
فَحَمَلُ عَلَيْهِ قَيْسُ ابْنِ مَعَاوِيَةَ وَقَطَعَ رِجْلَهُ فَجَعَلَ يِقَاتِلُهُمْ وَهُوَ يَقُولُ
الْقَرْمُ يَحْمِي شَوْلَهُ مَعْقُولًا فَحَمَلَ عَلَيْهِ قَيْسٌ أَيْضًا وَقَتَلَهُ
فَقَالَ النَّاسُ.

اقتلت همدان يوماً ورجل اقتتلوا من غدوة حتى الأصل
ثم قال صاحب التاريخ في ذكر مقتل ذي النديّة ما هذا الفظه:
(ذكر مقتل ذي النديّة).

قد روى جماعة أنّ عليّاً كان يُحدّث أصحابه قبل ظهور الخوارج أنّ قوماً
يُخرجون يَمِرْقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمِرْقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ عَلَامَتُهُمْ رَجُلٌ مُنْخَدِعٌ
الْيَدُ سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ مَرَاراً فَلَمَّا خَرَجَ أَهْلُ النَّهْرَوَانَ سَارِبُهُمُ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ وَكَانَ
مِنْهُمْ مَعَهُمْ مَا كَانَ فَلَمَّا فَرَّغَ أَمْرُ أَصْحَابِهِ أَنْ يَلْتَمِسُوا الْمُنْخَدِعَ فَالْتَمَسُوهُ فَقَالَ
بَعْضُهُمْ مَا نَجَدَهُ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ مَا هُوَ فِيهِمْ وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ أَنَّهُ لَفِيهِمْ وَاللَّهِ
مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ ثُمَّ أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ فَبَشَّرَهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَجَدَنَاهُ
وَقِيلَ بَلْ خَرَجَ عَلِيٌّ فِي طَلْبِهِ قَبْلَ أَنْ يُبَشِّرَهُ الرَّجُلُ وَمَعَهُ سَلِيمُ ابْنُ ثَمَامَةَ الْحَنْفِيُّ
وَالرِّيَّانُ ابْنُ صَبْرَةَ فَوَجَدَهُ فِي حُفْرَةٍ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ فِي خَمْسِينَ قَتِيلًا فَلَمَّا
اسْتَخْرَجَهُ نَظَرَ إِلَى عَضُدِهِ فَإِذَا لَحْمٌ مُجْتَمِعٌ كَثْدَى الْمُرْتَةِ وَحُلْمَةٌ عَلَيْهَا شَعْرًا
سُودَ فَإِذَا مَدَّتْ أَمْتَدَّتْ حَتَّى يَحَاذِي يَدَهُ الطُّوْلَى ثُمَّ تَتْرَكَ فَتَعُودُ إِلَى فَكَيْهِ
فَلَمَّا رَأَى قَالَ ﷺ اللهُ أَكْبَرُ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ لَوْلَا أَنْ تَتَكَلَّمُوا عَنِ الْعَمَلِ
لَأَخْبَرْتُكُمْ بِمَا قَصَّ اللهُ عَلَيَّ لِسَانَ نَبِيِّهِ ﷺ لَمَنْ قَاتَلَهُمْ مُسْتَبْصِرًا فِي قِتَالِهِمْ
عَارِفًا لِلْحَقِّ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ وَقَالَ ﷺ حِينَ قَرَّبَهُمْ وَهُمْ صَرَخِي بُؤْسًا لَكُمْ لَقَدْ
ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ قَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ غَرَّهُمْ قَالَ الشَّيْطَانُ وَأَنْفُسُ أَمَارِهِ
بِالسُّوءِ غَرَّتَهُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَزَيَّنَتْ لَهُمُ الْمَعَاصِيَ وَنَبَّأَتْهُمْ أَنَّهُمْ ظَاهِرُونَ قِيلَ وَاحْذَرُوا
مَا فِي عَسْكَرِهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَاثِمًا السَّلَاحَ وَالذُّوَابَ وَمَا شَهَرَ عَلَيْهِ فَقَسَّمَهُ بَيْنَ

المُسلمين وأما المتاع والاماء والعبيد فإنه رده على اهله حين قدم وطاف عدى ابن حاتم في القتلى على ابنه طرفة فدّفنه ودفن رجال من المسلمين قتلاهم فقال على عليه السلام حين بلغه اتقتلونها ثم تدفونهم ارتحلوا فارتحل الناس فلم يقتل من اصحاب على الا سبعة وقيل كانت الواقعة سنة ثمان وثلاثين وكان فيمن قتل من اصحابه يزيد ابن نوبرة الأنصارى وله صحبة وسابقة وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة وكان اول من قتل انتهى ما ذكره في الكامل بعبارته.

اقول: وقد رواها غير واحد من ارباب السير والتواريخ بعبارات مختلفة ومضامين متفاوتة بين مفضلٍ منهم ومجملٍ ولكن اصل القضية من المتواترات ولا يهمننا البحث في جزئياتها والمُعتمد على ما نقلناه هو الكامل لأبن الأثير بعين الفاظه وعبارته من غير تغييرٍ منّا فيها والبحث في صحتها وسقمها وتعيين الحق فيها فهو خارج عن طور الكتاب مضافا الى ان التاريخ حاله معلوم، ونحن نشرح عبارات الخطبة مع انها لاتحتاج الى الشرح بعد ما ذكرناه ثم نذيل البحث بذكر بعض الاخبار الواردة عن الرسول ﷺ في كونه عليه السلام مأمورا بقتال الناكثين والقاسطين، والمارقين تميمياً للبحث حتى يكون القارى على بصيرة في دينه ان شاء الله تعالى.

□ قوله عليه السلام: قَانَا لَكُمْ نَذِيرٌ أَنْ تُصْبِحُوا صَرَعَى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهْرِ، وَبِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ...

خاطب عليه السلام في هذه الخطبة اهل النهروان وقال لهم انى أنذركم بالقتل باثناء هذا النهْر وبطون الأودية السفلى اخبر عليه السلام عما سيوقع بهم من القتل وهو دليل على كونه على الحق وانهم على الباطل فان كلامه عليه السلام هذا مُشعرٌ بكونه مأموراً من الله ورسوله بقتالهم وان هذا الاخبار منه عليه السلام انما كان بعد ما سمعه من النبي ﷺ والأخبار به كثيرة.

منها ما رواه المجلسى عن امير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ يا على ان الله تعالى امرنى ان اتخذك اخاً ووصياً فانْتَ اُخَى وَوَصِيِّى وَخَلِيْفَتِى

على أهلى فى حىواتى وبعء مواتى مَن اتبعك فقد تبعنى ومن تخلف عنك فقد تخلف عنى ومن كفر بك فقد كفر بى ومن ظلمك فقد ظلمنى يا على انت مىتى وانا منك يا على لولا انت لما قوتل اهل النهر قال فقلت يا رسول الله ﷺ ومن اهل النهر قال قوم يمرقون عن الاسلام كما يمرق السهم من الرمية انتهى... ومنها مارواه ايضا عن ابى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ انه صلى الله عليه وآله قسماً يوماً قسماً فقال رجل من تميم اعدل فقال ويحك ومن يعدل اذا لم اعدل قيل نضرب عنقه قال لا ان له اصحاباً يحقر احدكم صلوته وصيامه مع صلوتهم وصيامهم يمرقون من الدين فروق السهم من الرمية رئيسهم رجل ادعج احد ثدييه مثل ثدى الميرئة قال ابو سعيد انى كنت مع على ﷺ حين قتلهم والتمس فى القتل بالنهروان فاتى به على النعت الذى نعت رسول الله ﷺ انتهى...

اقول: قد تواتر عنه ﷺ الأحاديث فى الفرق الثلاثة وسيأتى تفصيلها فقوله ﷺ فانا لكم نذير الخ اشارة الى انه ﷺ قد علم من الله ورسوله قتاله معهم وهلاكهم بيديه.

وانما قال ﷺ: ان تُصبحوا صرعى، ولم يقل قتلى مع ان المراد من هذا الكلام هو قتلهم ايضا للأشارة الى كونهم حيارى فى دينهم حيث أنهم لم يعلموا لاي شىء بارزوا علماً ولاى الامور جوزوا على نفوسهم القتل فكانهم عملوا بعمَل المجانين فان الانسان العاقل لا بد له من تشخيص الموضوع فى جميع شئونه وافعاله حقاً كان او باطلاً.

واما الخوارج فلم يعلموا منهما شيئاً اذ لو كان خروجهم عليه لأجل التحكيم فقد قال ﷺ لهم انا على الأمر الذى كنا عليه أمس وان كان لأجل شىء آخر فكان يجب عليهم ان يُبينوه حين طُلبوا به.

واما قولهم له ﷺ انك كفرت بالله ورسوله فهو خروج عن طور العقل والشرع ولأجل ذلك عبّر عن قتلهم بالصرع الذى هو شبه جنون.

□ قوله ﷺ: عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانَ مُبِينٍ مَعَكُمْ...

وهو بمنزلة التفسير لقوله ﷺ: أَنْ تُصْبِحُوا صَرَعى، كما عرفت وذلك لأن لازم كون القتل بطريق الصرع هو عدم البيئة والسلطان فإن كان له في قتله سلطان وبيئة فهو ليس من الصرعى بل هو من المقتولين إلا أن البيئة ان كانت حقاً فهو من الشهداء الصالحين وان كانت باطلة فلا وعلى كلا التقدارين لا يعبر عنه بالصرعى كما علمت.

ثم ان في قوله ﷺ: هذا اشارة الى ان القتل بما هو هو ليس ممدوحاً بل يكون مذموماً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١) وشهادة العقل ايضاً بقبحه إلا ان يكون فيه نفع في الآخرة وهو لا يكون إلا فيما اذا كان الانسان على بصيرة في دينه ليكون من المجاهدين في سبيل الله ومصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢).

واما اذا كان القتل بمتابعة الهوى في سبيل الشيطان فاية فائدة فيه غير الخلود في النار ولما كانت الخوارج من هذا القبيل لعدم كونهم على بيئة من ربهم فلا جرم قال ﷺ فيهم ما قال:

□ قوله ﷺ: قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمْ الدَّارُ وَاخْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ...

قال في النهاية طاح الشيء يطوح ويطيح اذا سقط وهلك انتهى قالوا في شرح العبارة اي سقطت وهلكت بكم الدار اي الدنيا ووقعكم القضاء والقدر في هذه الحالة يقال احتبل الصيد اوقعه في الجبال.

والمقدار هو القدر والقضاء وعليه فالمعنى قد غرَّتكم الدنيا حتى اهلككم، واستطركم في حبال القدر والقضاء.

اقول: ولا يبعدان تكون الدار في المقام بمعنى القبيلة لان كل قبيلة اجتمعت في محللة سُميت تلك المحللة داراً وسمى ساكنوها مجازاً علي حذف المضاف اهل الدار ومنه الحديث ما بقيت داراً الا بنى بها مسجد اي قبيلة قاله في النهاية.

٢. آل عمران - ١٩٥.

١. البقرة - ١٩٥.

وعليه فالمعنى قد اهلكتكم واسقطتكم القبائل المُجتمعة اى اجتماعكم قد غرَّكم بمعنى انه لولا اجابة بعض السفهاء والجهال لكم لما وقعتم في هذه المهلكة وهذا ظاهر.

واما قوله **عَلَيْهِ**: **وَاحْتَبَلَكُمْ الْمِقْدَارُ** فقالوا فى معنى المقدار انه القدر والقضاء قال الشارح المحقق البحرانى (قده) فى شرحه لهذا الكلام ما لفظه استعارة حسنة لاحاطة القدر النازل عن قضاء الله بهم فهو كحباله الصائده التى لامخرج لطائر منها اذا نزلت به انتهى وتبعه على ذلك غير واحد من الشراح من دون تعمقٍ لهم فيما ذكره قده.

وليث شعري من اين اخذ (قده) هذا المعنى له مع انا بعد فحص الكامل فى كتب اللغة لم نجد ما يويد ذلك المعنى فضلا عن التصريح به واما متابعة الشارح الخوئى له فلا عجب منها فانه قده كان تابعا له فى كثيرٍ من الموارد كما لا يخفى على المتأمل وكيف كان فما ذكروه لا يساعده العقل والنقل.

اما النقل: فلعدم دليل من اللغة ولا من غيرها على كون المقدار بمعنى القضاء والقدر لاحقيقتاً ولا مجازاً ودعوى الاستعارة فى المقام ممنوعة لعدم مساعدة الدليل عليها اذ لا توجد علاقة مُصححة حتى يُحمل الكلام عليه.

واما العقل: فلان لازم ما ذكره (قده) هو الجبر اذ لو كانت هذه القضية بسبب احاطة القدر النازل عن قضاء الله بهم كحباله الصائده التى لامخرج للطائر منها فكيف امكن لهم اعنى الخوارج الخروج عنها اذ القدر النازل عن قضاء الله لامحالة واقع وائى ذنبٍ للطائر اذا وقع فى الحباله ولاى شىء امر امير المؤمنين اصحابه لينصحوهم حتى انه **عليه السلام** بنفسه الشريفه ايضا قام خطيباً فيهم وخطبهم وردعهم ومنعهم عما كانوا فيه وانذرهم عن تلك الداهية كما عرفته مفصلاً مع انه كان عالماً بكونهم فى حباله القضاء والقدر التى لامخرج لهم منها وهل هذا الا تهافتٌ فى الكلام وتناقضٌ فى المرام وحاصل الكلام انا لانكر القدر والقضاء الا انا نقول الانسان فاعل مختار واثبات الاختيار له لا ينافى وجودهما

كما ثبت في محله والمقام لا يقتضى للبحث في الجبر والأختيار ولعله سيأتى
منا الكلام في نفيهما، واثبات المنزلة بين المنزلتين والذي ندعى الآن هو ان
المقدار بمعنى القدر والقضاء مما لا يساعده العقل والنقل والذي ينبغي حمله
عليه امور:

احدها: ان يكون بمعنى الموت قال في لسان العرب مآده (قدرج ٥) المقدار
الموت قال الليث المقدار اسم القدر اذا بلغ العبد المقدار الموت اى مات ومنه
قول الشاعر:

لو كان خَلْفَكَ او امامَكَ هائِباً بشراً سِواكَ لها بَكَ المقدار
وثانيها: ان يكون بمعنى الهنداز ينزل المطر بمقدار اى بقدرٍ وقدرٍ قاله في
لسان العرب ايضاً.

وثالثها: بمعنى القوة نقله فيه ايضاً عن اللحياني.
ورابعها: بمعنى المقياس نقله فيه ايضاً. اقول وهذه المعانى كلها محتملة في
المقدار في المقام.

اما الاول: فعليه يصير المعنى ان الموت احتبلكم اى جعلكم في حُبالة
الصيد فكما انه لا يمكن الفرار للطائر من الحباله كذلك لا يمكن الفرار من
الموت قال الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا كُنْتُمْ يَدْرِكْكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾^(١)
ولا يخفى ان اطلاق الحباله ولو مجازاً على الموت ذائع شائع بخلاف اطلاقها
على القدر والقضاء ولو سلم فلا نسلم كون المقدار بمعناهما كما عرفت.
واما الثانى: فهو ايضاً مما لا اشكال فيه كما هو ظاهر.

واما الثالث: فهو ايضاً صحيح وعليه فالمعنى انه احتبلكم في هذه الداهية
مقداركم اى قوتكم وعددكم. وعلى الرابع احتبلكم فيها مقياسكم اى زعمكم
وظنكم بل قطعكم وعلمكم بالغلبة مع جهلكم بعدم صحة هذا المقياس
الفاسد، ولا يخفى ان الكلام حمله على المعانى اللغوية الوضعية المنطبقة على

افهام العُرف أولى من حملة على ما لايساعده العُرف واللُغة هذا.
 □ قوله ﷺ: وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ
 الْمُنَابِذِينَ حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمُ...

وقد مرَّ الكلام فى نهيهِ ﷺ إياهم عن هذه الحكومة وإبائهم، وامتناعهم عن
 قبوله تفصيلاً عند رفعهم المصاحف وأما قوله ﷺ: حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى
 هَوَاكُمُ فَيُستفاد منه امران:

احدهما: أنه ﷺ قد صرَّح بتصريف رأيه والتصريف فى اللُغة التَّغيير وهو
 مشعرٌ بكونه غيَّر رأيه عمَّا كان عليه وهو كذلك فإنَّ رأيه ﷺ كما عرفت كان
 مخالفاً للتَّحكيم وترك الحرب مع اهل الشَّام إلا أنَّهم اى اصحابه حيث لم
 يَقْبَلُوا قَوْلَهُ وَلَمْ يَنْتَهُوا عمَّا نهاهم الله عنه من الأستمرار على القتال بحيث
 هدَّدوه بالقتل فلا جرم غيَّر رأيه لا باختيار منه بل بالجبر والأضطرار.

وثانيهما: قوله إِلَى هَوَاكُمُ، وفيه ايماء بعدم الرأى بالنسبة الى اصحابه فإنَّ
 الرأى لا يكون كذلك بل هو اشبه شىءٍ بالهوى لأنَّ الأمر لو لم يكن على طبق
 موازين العقل لايسمى رأياً فإنَّ الرأى لا بدُّ منه ان يكون كذلك وما لا يكون
 كذلك فهو الهوى وحيث انَّ اصحابه اجابوا اهل الشَّام بما لا علم لهم بعاقبته
 من غير تَعَمُّقٍ وَتَدَبُّرٍ فيه فهو لم يكن برأى، وملخص الكلام انَّ امير
 المؤمنين ﷺ يقول ائى قد غيَّرت رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمُ، مع عِلْمِي بِأَنَّ هَذَا اشْتِبَاهٌ
 وَخَطَاءٌ خَوْفًا من ايجاد الفِتنة من قبيل دفع الأفسد بالفاسد.

□ قوله ﷺ: وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخْفَاءِ الْهَامِ سُفَهَاءِ الْأَخْلَامِ وَلَمْ آتِ لِأَبَالِكُمْ
 بُجْرًا وَلَا أَرَدْتُ بِكُمْ ضُرًّا...

ثمَّ خاطبهم ﷺ بقوله: وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخْفَاءِ الْهَامِ الى آخره وقد اثبت عليه
 السَّلام فى الكلام لهم امرين ونفى عنهم ايضا امرين:

فاثبت لهم اَوَّلًا: أَنَّهُمْ اخْفَاءُ الْهَامِ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ قَلَّةِ تَدَبُّرِهِمْ وَسُوءِ فَهْمِهِمْ
 وَدَرَكِهِمْ فَإِنَّ الْهَامَ جَمْعُ الْهَامَةِ وَهِيَ الرَّأْسُ وَالْأَخْفَاءُ جَمْعُ خَفِيفٍ كَالْأَطْبَاءِ

جمع طيب وخفيف الرأس كناية عن قلة العقل وذلك لأن مركز العقل هو الرأس فقوله ﷺ كناية عن كونهم غير عاقلين واقعا فإن الاقدام على امر خطير فيه هلاك الدارين وسقاوة الناشئين دليل على عدم العقل او كونه مقهوراً تحت الوهم والهوى فإن العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان.

واثبت ثانياً: كونهم سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ وهو عبارة اخرى للجملة الأولى ويمكن الفرق بينهما بأن الجملة الأولى تدل على مقهورية عقولهم للهوى والثانية تدل على كونهم من السفهاء الذين لا يعلمون الخير من الشر ولا يتميزون بينهما وذلك لوجود الفرق بين العلم بالشئ والمشي على خلافه بمتابعة الهوى والنفس الامارة وعدم العلم به رأساً. واما الامرين اللذين نفاهما عنهم.

فاحدهما قوله ﷺ: وَلَمْ آتِ لَأَبَاكُمْ بُجْرًا وَالْبُجْرُ الدَاهِيَةُ وَالشَّرُّ اى ائى لم آت لكم بالشر والآفة وانما آتى به سوء اعمالكم وتمردكم لأمرى حين أمرتم بالاستمرار على الجهاد فلم تقبلوا قولى هذا ان أريد بالبُجْر الذى هو الشر شَرُّ التَّحْكِيمِ وَالتَّدَامَةُ بعده وان اريد به الموت والقتل فالمعنى ان هذا القتل بأثناء هذا النهار انا لم آت به بل هو مُسَبَّبٌ عن سوء نيتكم واتيانكم القبائح من القتل الذى حَرَّمَهُ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَسَائِرُ مَا فَعَلْتُمُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ الْمُوجِبَةِ لِهَذِهِ الدَاهِيَةِ كما هو ظاهر.

وثانيهما قوله ﷺ: وَلَا أَرَدْتُ بِكُمْ ضُرًّا، وهو ايضا كسابقه يحتمل الامرين المذكورين من كون المراد بالضرر التحكيم او الموت فعلى الاول لا كلام فيه وعلى الثانى فلا بد من القول بأن المستقبل اذا كان مُحَقَّقُ الْوُقُوعِ فهو فى حكم الماضى قال الله تعالى فى كتابه: «إِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ»^(١)، قال اقتربت بلفظ الماضى مع ان الساعة لم تات بعد فكذا القول فى المقام.

هذا آخر الكلام فى شرح الخطبة ولنذكر بعض الاخبار الواردة فى المقام

في ذم القاسطين والمارقين والناكثين حسب ما وعدناه سابقاً فنقول
 منها ما رواه في البحار باسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه قال: قال
 رسول الله ﷺ لَأُمَّ سَلْمَةَ إِشْهَدِي عَلِيَّ أَنْ عَلِيًّا يَقَاتِلُ النَّكَثِينَ وَالْقَاسِطِينَ
 وَالْمَارِقِينَ، انتهى...

ومنها ما رواه باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال عليه السلام بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِخَمْسَةِ
 أَسْيَافٍ ثَلَاثَةٌ مِنْهَا شَاهِرَةٌ وَسَيْفٌ مِنْهَا مَكْفُوفٌ وَسَيْفٌ مِنْهَا سَلَّةٌ إِلَى غَيْرِنَا
 وَحُكْمُهُ لِنَا قَالَ ﷺ وَأَمَّا السَّيْفُ الْمَكْفُوفُ فَسَيْفٌ عَلَى أَهْلِ الْبَغْيِ وَالتَّأْوِيلُ
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ
 إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ (١)

فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ان منكم من يقاتل بعدي على التأويل
 كما قاتلت على التنزيل فسئل النبي ﷺ من هو فقال عليه السلام خَاصِمُ النُّعْلِ
 يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَمَّارُ ابْنُ يَاسِرٍ قَاتَلْتُ بِهَذِهِ الرَّايَةَ مَعَ
 النَّبِيِّ ﷺ وَآلِهِ ثَلَاثًا وَهَذِهِ الرَّابِعَةُ وَاللَّهُ لَوْ ضَرَبُونَا حَتَّى بَلَّغُوا بِنَا السَّعْفَاتِ
 مِنْ هَجْرٍ لَعَلِمْنَا إِنَّا الْحَقُّ وَأَنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ الْخَبِيرُ.

ومنها ما رواه باسناده عن الرضا عن آبائه عليه السلام قال علي أمرت بقتال
 الناكثين والمارقين والقاسطين انتهى...

ومنها مرواه باسناده عن المفضل ابن عمر قال قال ابو عبد الله عليه السلام في
 حديث طويل يقول في آخره ان رسول الله ﷺ قال لَأُمَّ سَلْمَةَ يَا أُمَّ سَلْمَةَ
 اسْمَعِي وَأَشْهَدِي هَذَا عَلِيٌّ ابْنُ أَبِيطَالِبٍ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَأَخِي فِي الْآخِرَةِ، يَا أُمَّ
 سَلْمَةَ اسْمَعِي وَأَشْهَدِي هَذَا عَلِيٌّ ابْنُ أَبِيطَالِبٍ وَزِيرِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَا أُمَّ
 سَلْمَةَ اسْمَعِي وَأَشْهَدِي هَذَا عَلِيٌّ ابْنُ أَبِيطَالِبٍ حَامِلُ لَوَائِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 (وَحَامِلُ لَوَاءِ الْحَمْدِ فِي الْقِيَامَةِ) يَا أُمَّ سَلْمَةَ اسْمَعِي وَأَشْهَدِي هَذَا عَلِيٌّ ابْنُ
 أَبِيطَالِبٍ وَصِيْبِي وَخَلِيْفَتِي مِنْ بَعْدِي وَقَاضِي عِدَاتِي وَالذَّائِدُ عَنْ حَوْضِي.

يا أم سلمة اسمعى وأشهدى هذا على ابن ابيطالب سيّد المسلمين وامام
 المُتَمِّين وقائد العزّ المُحجَّلين وقاتل الناكثين والقاسطين، والمارقين. قلت: يا
 رسول الله ومن الناكثون؟ قال ﷺ الذين يبايعونه بالمدينة وينكثونه بالبصرة،
 قلت ومن القاسطون قال ﷺ معاوية، واصحابه من اهل الشام، ثم قلت ومن
 المارقون قال ﷺ اصحاب النهروان، انتهى.

واما روايات العامة:

فمنها ما رواه ابو العلى الموصلى والخطيب التارىخى وابوبكر ابن
 مردويه بطرق كثيره عن علىّ انه قال امرت بقتال الناكثين والقاسطين
 والمارقين. انتهى...

ومنها ما رواه بطرق العامة عن ابن مسعود قال خرج رسول الله ﷺ
 فاتى منزل ام سلمة فجاءه علىّ عليه السلام فقال رسول الله ﷺ يا ام سلمة
 هذا والله قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدى، ثم قال وعن ذرّ انه
 سمع علىاً يقول انا فقأت عين الفتنة لولا انا ما قتل اهل النهروان واهل الجمل
 ولولا اننى اخشى ان تتزكوا لعمل لانبأتكم بالذى قضى الله على لسان
 نبيكم ﷺ واله لمن قاتلهم مُستبصراً صلاتهم عارفاً للهدى الذى نحن عليه
 انتهى والروايات نقلناها عن «البحار من ص ٤٥٤ الى ص ٦٥٤ ج ٨»...

اقول: وقد مرّ بعض الروايات الداله على كونه ﷺ مأمورا بقتال الثلاثة
 والابخار فيه كثيرة وفيما ذكرناه كفاية ولذلك قال الشارح المعتزلى قد
 تظاهرت الاخبار حتى بلغت حدّ التواتر بما وعدّ الله قاتلى الخوارج من الثواب
 على لسان نبيه، وقد ذكر الشارح الخوئى (قده) ايضا شطراً من طريق العامة
 والخاصة فان شئت راجعها، والحمد لله ربّ العالمين.

﴿وَمِنْ كَلَامِ لَهُ﴾ (٣٧)

وهي السابعة والثلاثون

□ فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَسَلُوا، وَتَطَلَّعْتُ، حِينَ تَقَبَّعُوا، وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا، وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتًا، وَأَعْلَاهُمْ قُوْتًا، فَطَرْتُ بِعِنَانِهَا، وَاسْتَبَدَّدْتُ بِرَهَانِهَا، كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ وَلَا تَزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَعْمَزٌ، الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخَذَ الْحَقُّ لَهٗ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخَذَ الْحَقُّ مِنْهُ، رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ، وَسَلَّمْنَا لِلَّهِ أَمْرَهُ، أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ؟ "صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ" وَاللَّهِ لَأَنَا أَوَّلَ مَنْ صَدَّقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ، فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا اطَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بِيَعْتِي، وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي.

◀ اللغة

(فَسَلُوا) فَسَلَ الرَّجُلُ إِذَا كَسَلَ وَضَعَفَ. (تَطَلَّعْتُ) يُقَالُ تَطَلَّعَهُ إِذَا عَلِمَهُ وَاشْرَفَ عَلَيْهِ. (تَقَبَّعُوا) يُقَالُ قَبَّعَ الْقَنْفَذَ إِذَا ادْخَلَ رَأْسَهُ فِي جِلْدِهِ. (تَعْتَعُوا) تَعَتَّعَ فِي الْكَلَامِ إِذَا تَرَدَّدَ. (قُوْتًا) الْقُوْتُ السَّبْقَةُ. (اسْتَبَدَّدْتُ) يُقَالُ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ أَيْ اسْتَقَلَّ بِهِ. (بِرَهَانِهَا) بِكسر الرَّاءِ جَمَعَ رَهْنٌ بِمَعْنَى مَرَهُونٌ وَالضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى الْفَصِيلَةِ. (الْقَوَاصِفُ) جَمَعَ قَاصِفٍ وَالْقَاصِفُ الْكَسْرُ يُقَالُ قَاصَفَتِ الرِّيحُ الْعُودَ كَسَرَتْهُ (الْعَوَاصِفُ) جَمَعَ عَاصِفٍ وَالْعَاصِفُ الشَّدَّةُ يُقَالُ عَاصَفَتِ الرِّيحُ عَصْفًا

اشْتَدَّتْ (مَهْمَزٌ) (وَالْمَعْمَزُ) الْمَطْعَنُ اسْمُ مَكَانٍ مِنَ الْهَمْزِ وَالْغَمَزِ هَكَذَا
قَالُوا فِيهَا.

◀ المعنى

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ، اى امرُ الدِّينِ، حِينَ فَشِلُوا، اى اصحابه عليه السلام. (وَتَطَلَّعْتُ)
اى عَلِمْتُ الْحَقَائِقَ وَاشْرَفْتُ عَلَيْهَا (حِينَ تَقْبَعُوا) اى حِينَ قَصَرَ عَنْهُ
الْأَصْحَابُ. (وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا)، اى وَنَطَقْتُ بِالْحَقِّ وَارْوَدْتُ الْكَلَامَ عَلَى مَا
تَقْتَضِيهِ الْبَلَاغَةُ وَالْفَصَاحَةُ حِينَ عَجَزُوا وَاضْطَرَبُوا عَنِ الْإِتْيَانِ بِهِ. (وَمَضَيْتُ
بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا)، اى كُنْتُ عَارِفًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ حِينَ
كَانُوا حَايِرِينَ مُضْطَرِبِينَ. (وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتًا)، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى الدَّعَاةِ
وَالْأَسْتِكَانَةِ فَكَانَهُ ارَادَ عليه السلام بِهِ التَّوَاضُّعَ فَكَلَامُهُ هَذَا اسْتِعَارَةٌ. (وَإِعْلَاهُمْ قُوْتًا) اى
كُنْتُ اسْبَقَهُمْ مِنْ جِهَةِ الْإِيمَانِ وَالسَّعَادَةِ. (فَطَرْتُ بِعِنَانِهَا، وَاسْتَبَدَّدْتُ
بِرَهَانِهَا)، وَالْمَقْصُودُ هُوَ الطَّيْرَانُ بِجَنَاحَيْ الْعَقْلِ إِلَى ذَرَكِ الْمَعْقُولَاتِ
وَالْكَمَالَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالْأَسْتِقْلَالِ بِهَا مِنْ غَيْرِ احْتِيَاجٍ إِلَى غَيْرِي وَالْكَلَامِ مِنْ
الاسْتِعَارَةِ. (كَأَلْجَبَلٍ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ وَلَا تَزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ)، كِنَايَتَانِ عَنِ
شِدَّةِ بَأْسِهِ عليه السلام فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَعَدَمِ تَزَلُّزِهِ وَاضْطِرَابِهِ فِيهَا. (لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ
فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَعْمَزٌ)، اى لَا يَسَعُ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْيبَ عَلَيَّ وَيَطْعَنَ فِيَّ فِي
الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ كَمَا عَابُوا عَلَيَّ مِنْ كَانَ قَبْلِي (الذَّلِيلُ
عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخَذَ الْحَقُّ لَهٗ)، اى مِمَّنْ ظَلَمَ فِي حَقِّهِ. (وَالْقَوِيُّ عِنْدِي
ضَعِيفٌ حَتَّى آخَذَ الْحَقُّ مِنْهُ)، بِالْإِنْتِصَافِ لِلْمَظْلُومِ.

◀ الشرح

□ قوله عليه السلام: فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا...

قال الشارح المعتزلى فى شرحه لهذا الكلام اى قُمْتُ بِأَنْكَارِ الْمُنْكَرِ حِينَ
فَشَلْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ عَنْهُ وَقَالَ قَبْلَ هَذَا الْكَلَامِ الْإِشَارَةُ بِذَلِكَ الْفَصْلِ إِلَى قِيَامِهِ

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيام أحداث عثمان وكون المهاجر كلهم لم ينكروا ولم يواجهوا عثمان بما كان يواجهه به وينهاه عنه فهذا معنى قوله عليه السلام: قَمَّتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا...

اقول: والذي يقتضيه الحق التحقيق في المقام هو ان كلامه عليه السلام مطلق لا تقييد فيه بزمان عثمان وغير زمانه واي خصوصية في زمان عثمان حتى ترجع الكلام اليه وتقيده به وما الفرق بين عثمان ومن كان قبله من الخلفاء فان كان الملاك فيه هو وجود الأحداث في أيام عثمان كما زعمه فكذلك الأمر في عهد ابي بكر وعمر ألم يحدثا في الإسلام شيئاً حتى يقال ما قال وظني ان الشارح المعتزلي اراد بهذا البيان تبرئة ابي بكر وعمر عن المحدثات والبدع واثبات موافقته لهما في خلافتهما دون عثمان مع انه لا كلام لنا في ان عثمان ابن عفان ومن بعده من الخلفاء الى يوم القيمة من تبعات خلافتهما بل وزر من اوزارهما وسيئة من سيئاتهما فكيف يقول عليه السلام بزعم الشارح المعتزلي قمت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أيام أحداث عثمان وعليه فهو عليه السلام لم يقم بهما قبل أيامه وهو يلزم عدم كونه أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر قبله مع وجود المنكرات ولازم ذلك هو ترك الواجب وهو كما ترى.

فالحق هو الاطلاق حتى ان اختصاص هذا الكلام بزمان بعد زمان النبي لادليل عليه فان اصالة الاطلاق مُحَكَّمَةٌ ما لم يدل دليل على التقييد وفي صورة الشك نرفع التقييد بالأصل المُجَمَّع عليه في امثال هذه المقامات فنقول:

معنى العبارة هو انه عليه السلام قام بالحق والصدق والأيمان بالله وبرسوله والجهاد مع الاعداء والمشركين وغيرهم طبقاً لما امره الله ورسوله من بدو رسالة الرسول عليه السلام الى حين تكلمه عليه السلام بهذا الكلام وتوضيح المقال بطريق الاجمال هو انه لاختلاف بين المؤرخين من العامة والخاصة في كونه عليه السلام اول من آمن بالله ورسوله من الرجال فان الرسول عليه السلام بعث يوم الاثنين وآمن عليه السلام به عليه السلام يوم الثلاثاء على ما هو المشهور المعروف بحسب الظاهر والآ فهو عليه السلام كان مع

الأنبياء سراً ومع النبي ﷺ جهرًا ولا شك أن الناس في بدو الأمر كان رأيهم فشيلاً في الإيمان به ﷺ فانهم بين من لم يؤمن إلا بعد شوكة الاسلام ومجده ومن لم يؤمن إلا لحطام ينتهزه فهذا احد الموارد الذي قام بالأمر وغيره كان فشيلاً.

ثم بعد ظهور الاسلام وهجرته ﷺ من مكة الى المدينة نام امير المؤمنين على فراشه مع انه لم يقدر أحد من الأصحاب على هذا الامر، ولذلك ورد في شأنه ﷺ: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ»^(١) وهذا هو المقام الثاني.

ثم انه ﷺ قتل الأبطال من الكفار في الحروب الواقعة في عهد الرسول ﷺ كعمرو ابن عبدود والمرحّب والوليد والعتبة وغيرهم ومن المعلوم ان سائر اصحاب الرسول قد فسلوا من هذا العمل وهذا هو المقام الثالث.

ثم انه كان من الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من اول عمره الى آخره ولم يشرك بالله طرفة عين ابداً عارفاً بالله وبرسوله عالماً بالاحكام بصيراً في امر الدين والدنيا لم يأخذه في الله لومة لائم وبالجملة لا يقاس به احد من افراد الأمة في جميع الكمالات والمقامات علماً وعملاً وهذا هو المقام الرابع وهكذا هذا كله فيما اذا حملنا كلمة الأمر في قوله ﷺ: فَقَمْتُ بِالْأَمْرِ عَلَى امْرِ الدِّينِ واما اذا قلنا بان المراد هو امر الخلافة الظاهرية كما هو المحتمل بل الأقوى في بادي النظر فالمعنى اتى قمتُ بامر الخلافة حين فسلوا وضعفوا عن إدارة الأمور ووقع الهرج والمرج في امر الحكومة وذلك لان الخلافة بعد الرسول ﷺ كانت له ﷺ فلما غصبوها وتلبسوا بها من غير حق صارت اركانها مضطربة متزلزلة حتى انهدمت في عهد عثمان بتمامها وذلك لان قتل عثمان كان مسبباً عن الانحرافات التي وقعت بعد النبي ببركة السقيفة الا انها اشتدت في عهد عثمان حتى انجرت الى قتله فلما قتل عثمان علموا وتيقنوا

بعدم صلاحيته غيره عليه السلام من الأصحاب للخلافة فلا محالة تشبثوا به عليه السلام والتمسوا منه القبول على التفصيل الذي مرّ شرحه في الخطبة الشَّقَشَقِيَّة ومن المعلوم أنهم لو قدرُوا على إدارة الأمر لم يلتجئوا إليه كما كانوا كذلك قبل عثمان فقوله عليه السلام: فَقَمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا، لا يبعد ان يكون اشارة الى ما ذكرناه اى لو لم يفشلوا عن الأمر لم يسلموها إلى.

□ قوله عليه السلام: وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا...

التَّطَلَّعُ الأشراف من عالٍ وكُنِيَ به عن الأهتمام العالى بما ينبغى تحصيله، والتَّقَبُّعُ، يقال قَبَعَ قَبْعَةَ القنفذ اذا ادخل رأسه فى جلده وعليه فالتَّقَبُّعُ الأستخفاء كُنِيَ به عن قُصور الاصحاب وقعودهم عن مقاماته وروى فى المجمع تَتَعَتَّعُوا بدل تَقَبَّعُوا قال ما لفظه وفى حديث وصف على مع الصَّحابة وتَطَلَّعْتُ حِينَ تَتَعَتَّعُوا ثم قال فى معناه تَتَعَتَّعُ القنفذ اذا ادخل رأسه فى جلده والظاهر أنه سهو منه اذ لا اثر له فى كتب اللُّغة بهذا المعنى الذى ذكره قال فى النِّهاية وفى حديث ابن الزبير قاتل الله فلاناً ضيحه الثعلب وقَبَعَ قَبْعَةَ القنفذ قَبَعَ اذا ادخل رأسه فى جلده وكانت قبعة سيف رسول الله من فِضَّة هى التى تكون على رأس قائم السيف وقيل هى ما تحت شارب السيف انتهى.

وعلى اى التقادير فقد كُنِيَ عليه السلام من الاول اعنى تَطَلَّعْتُ عن اهتمامه وجديته فى الأمور الدِّينية والكمالات النَّفسانيَّة والمراتب العَقَلِيَّة الأنسانيَّة وعن الثانى اعنى تَقَبَّعُوا عن قُصور افهام الأصحاب وقعودهم عن الوصول الى مقاماته العالِيَّة ومدارجه الرِّاقِيَّة وهو كذلك كما قال عليه السلام فى الخطبة الشَّقَشَقِيَّة يُنحدر عَنِ السَّبِيلِ وَلَا يَرْقَى إِلَى الطَّيْرِ، وبالجملة المقصود الأصلى من هذه الجُملة هو أنه لا ينبغى ان يقاس به احدٌ كائناً من كان بعد النَّبِيِّ عليه السلام فى العِلْمِ والعَمَلِ والأَنْصَافِ بالكمالات النَّفسانيَّة وهذا ممَّا لا شك فيه عند العقلاء.

□ قوله عليه السلام: وَنَطَقْتُ حِينَ تَعَتَّعُوا...

قال فى النِّهاية ومنه الحديث الذى يقرء القرآن ويتعَتَّعُ فيه، اى يتردّد فى

قرائته ويَتَبَلَّدُ لسانه فيها انتهى.

اشار عليه السلام بهذا الكلام الى كونه ناطقاً فصيحاً دون غيره من الاصحاب فانهم وان كان بعضهم من الفصحاء الا انه لم يبلغ في الفصاحة والبلاغة في الكلام في العرب بعد النبي صلى الله عليه وسلم أحد الى مقامه وكفانا فيه هذا الكتاب الذي نحن بصدد شرحه وتفسيره وهو الذي قال لأبي الأسود الدثلي الكلمة اسم وفعل وحرف ولم يزد على هذه الثلاثة بعده أحد هكذا قالوا في شروحاتهم فانهم ذهبوا الى ان كلامه صلى الله عليه وسلم هذا اشارة الى تكلمه في الأعضاء واداء المقصود مطابقاً لمقتضى الحال والمقام على ما كان يقتضيه ملكة الفصاحة والبلاغة التي كانت فيه واما غيره فقد عيَّوبه وعجزوا من ادائه واضطربوا فيه.

اقول: ما ذكروه لا بأس به بل لا مزيد عليه الا انه لا بد لنا من الاشارة الى بعض ماورد توضيحا للمقال فكلامنا يقع في فصلين:

الفصل الاول ان يكون المراد بنطقه صلى الله عليه وسلم حين تَعَتَّعُوا تكلمه في الأحكام المُشكلة والمسائل المُعضلة وعليه فيكون الكلام خارجاً مخرج الاستعارة لكونه كناية عن احاطته بالعلوم والحقائق الدينية والمعارف الالهية في جميع الشئون والاحكام وعجز غيره من الاصحاب عنه ونحن اذا نظرنا الى حالاته صلى الله عليه وسلم مع الخلفاء الثلاثة وغيرهم بعد النبي ورجوعهم اليه في حلّ المُعضلات علمنا بانه كان ناطقاً حين تَعَتَّعُوا كما قال عمر ابن الخطاب غير مرة لولا عليٌّ لَهلك عمر ونشير الى بعض الاخبار الواردة في المقام:

روى عبادة ابن الصّامت انه قال عُمَرُ كُنَّا أُمِرْنَا اذ اختلفنا في شيء، ان نُحْكَمَ عَلَيَّ ولهذا تابعه المذكورون بالعلم من الصحابة نحو سلمان وعمار وحذيفة وابي ذرّ وأبي ابن كعب وجابر الانصاري وابن عباس وابن مسعود وزيد ابن صوحان ولم يتأخر الا زيد ابن ثابت وابو موسى ومعاذ وعثمان مع انهم مُعترفون له بالعلم مُقرّون له بالفضل انتهى...

روى النّقاش في تفسيره قال ابن عباس عليٌّ عَلِمَ علماً علمه

رسول الله ﷺ ورسول الله عَلَّمَهُ اللهُ فَعَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِلْمِ اللهِ وَعِلْمِ عَلِيٍّ
مِنْ عِلْمِ النَّبِيِّ وَعِلْمِي مِنْ عِلْمِ عَلِيٍّ وَمَا عَلِمِي وَعِلْمِ اصْحَابِ مُحَمَّدٍ فِي عِلْمِ
عَلِيٍّ اِلَّا كَقَطْرَةٍ فِي سَبْعَةِ اَبْحُرٍ، انتهى...

وروى الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ اَنَّهُ قَالَ اَعْطَى عَلِيٌّ ابْنَ ابيطَالِبٍ تِسْعَةَ
اَعْشَارِ الْعِلْمِ وَاِنَّهُ لَأَعْلَمُهُمْ بِالْعَشْرِ الْبَاقِي اَنْتَهَى...

وروى يَحْيَى ابْنُ مُعِينٍ بِاسْنَادِهِ عَنْ عَطَا ابْنِ اَبِي رِيَّاحٍ اَنَّهُ سُئِلَ هَلْ تَعَلَّمَ
اَحَدًا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ اَعْلَمَ مِنْ عَلِيٍّ، فَقَالَ لَا وَاللهِ اَنْتَهَى...

وروى الخطيب في الأربعين قال عُمرُ العِلْمِ سِتَّةُ اَسْدَاسٍ لِعَلِيٍّ مِنْ ذَلِكَ
خَمْسَةُ اَسْدَاسٍ وَلِلنَّاسِ سُدُسٌ وَلَقَدْ شَارَكْنَا فِي السُّدُسِ حَتَّى لَهُو اَعْلَمَ مِنَّا
بِهِ، انتهى...

وروى عكرمة عن ابن عباس انَّ عُمرَ ابنِ الخطَّابِ قال لِعَلِيٍّ يَا ابا الحَسَنِ
اِنَّكَ لَتَعْجَلُ فِي الْحُكْمِ وَالْفَصْلِ لِلشَّيْءِ اِذَا سُئِلْتَ عَنْهُ قَالَ فَاَبْرَزَ عَلِيٌّ ﷺ كَفَّهُ
وَقَالَ لَهُ كَمْ هَذَا فَقَالَ عُمرُ خَمْسَةَ فَقَالَ عَجَلْتَ ابا حَفْصِ قَالَ عُمرُ لَمْ يَخَفْ
عَلِيٌّ فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ وَاَنَا اسْرَعُ فِيمَا لَا يَخْفَى عَلَيَّ وَقَالَ عُمرُ اَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ كُلِّ
مُعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا اَبُو حَسَنِ، انتهى...

روى البلاذري في تاريخه عن عُمرِ اَنَّهُ قَالَ لَا اَبْقَانِي اللهُ لِمُعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا
اَبُو حَسَنِ وَقَدْ ظَهَرَ رَجُوعُهُ اِلَى عَلِيٍّ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مَسْئَلَةً حَتَّى قَالَ لَوْلَا
عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمرُ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اَعْلَمُ اُمَّتِي مِنْ بَعْدِي عَلِيٌّ ابْنُ اَبِي
طَالِبٍ ﷺ، انتهى...

وعن حلية الأولياء سئل النبي ﷺ عن علي بن ابيطالب فقال:

قُسِمَتِ الْحِكْمَةُ عَشْرَةَ اِجْزَاءٍ فَاَعْطِيَ عَلِيٌّ تِسْعَةَ اِجْزَاءٍ وَالنَّاسُ جِزْءًا وَاَحَدًا
وَقَدْ صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ عَلِيٌّ اِقْضَاكُمْ (او اِقْضَاكُمْ عَلِيٌّ).

وقال ابو امامة قال رسول الله ﷺ اعلم بالسنة والقضاء بعدى علي ابن

ابي طالب، انتهى «بحار الانوار، ج ٩، ص ٤٦٠ و ٤٦١، ط كمياني»...

اقول: الروايات المذكورة رواها في البحار عن كتب العامة، ومسانيدهم وان

أردت الإطلاع على تفصيلها فعليك بالمجلد التاسع من البحار فانك تجده
بحراً لا ساحل له وأما الروايات الواردة بطرق الخاصة فأكثر من ان تُحصى
ولنعم ما قيل:

ومناقبُ شهد العَدُو بِفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء
وكيف لا يقول ﷺ ما قال وقد ثبت عند العامة والخاصة ان جميع فقهاء
الأمصار يرجعون اليه ويقتفون من بحره.

أما اهل الكوفة، ففقهائهم سُفيان الثوري والحسن ابن صالح بن حنبل
وشريك ابن عبد الله وابن ابي ليلى وهوى لاء يُفترعون المسائل ويقولون هذا
قياس قول عليّ ويترجمون الأبواب بذلك.

وأما اهل البصرة، ففقهائهم الحسن وابن سيرين وكلاهما كانا يأخذان عمّن
أخذ عن عليّ وابن سيرين يفصح بأنّه اخذ عن الكوفيين وعن عبدة ابن
السلماني وهو اخص الناس لعليّ.

وأما اهل مكة، فإنهم أخذوا عن ابن عباس وعن عليّ وقد أخذ عبد الله علمه
عنه بشهادته كما مرّ حيث قال وعلمي من علمه الخ.

وأما اهل المدينة، فعنه أخذوا قد صنف الشافعي كتاباً مفرداً في الدلالة على
اتباع اهل المدينة لعليّ وعبد الله ومن كان كذلك فحرى بان يقول ونطقت
حين تعتتوا.

الفصل الثاني ان يكون المراد بكلامه ﷺ انه افصح وابلغ من غيره وهو ايضا
مما لا شك فيه كيف ونهج البلاغة افصح كتاب بعد القرآن بشهادة الناس كلهم
فكما انه ﷺ بعد النبي كان اعلم الناس وازهد هم فكذلك كان افصحهم وهذا
مما لا يحتاج الى دليل كيف ويضرب به المثل في هذا المضمار والبحث فيه
يرجع في الحقيقة الى توضيح الواضحات فظهر مما ذكرنا كنه ان قوله ﷺ هذ
اباى من المعنيين أخذ كان في محله.

□ قوله ﷺ: وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا...

اشار عليه السلام بقوله هذا الى الحديث المشهور المؤمن ينظر بنور الله وفي حديث آخر اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ولا شك في كونه اول المؤمنين واكملهم ايمانا وارفعهم مقاما ومنزلة عند الله ورسوله وقد تواترت الآيات والأخبار به ومن المعلوم ان العبد اذا اتصل بالمعبود بعبوديته وفناء ذاته وصفاته وافعاله في ذاته وافعاله فلا يرى لنفسه شيئا اذ هو مُندك الوجود في وجود الحق وقد ثبت ان لا مؤثر في الوجود الا الله.

وانما قال عليه السلام بنور الله ولم يقل بتوفيقه وتأيدته وامثال ذلك للأشارة الى ان النور هو الظاهر بذاته والمُظهر لغيره وهذا بعينه خاصية الوجود فانه ايضا ظاهر بذاته ومُظهر لغيره وحيث ان الواجب تعالى ليس الا حقيقة الوجود ولُبّه واصل النور وخلصتها كما قال الله تعالى: ﴿أَنَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ﴾^(١) فظهوره تعالى بذاته وظهور الممكنات به وان شئت قلت هو الظاهر بذاته على ذاته والمُظهر للغير بأيجاده آياه ولا خفاء عند ذوى البصائر ان الصفات في الواجب ترجع الى الذات لكونها عينها فكأنه بتوفيقه وتأيدته، وامثال ذلك ولا يبعد ان يكون قوله عليه السلام هذا اشارة بمقام التوحيد الخاص او اخص الخواص الذي لا واسطة فيه بين العبد والرب كما هو شأن الفناء الحقيقي فان التوحيد اسقاط الأضافات كما قال عليه السلام معرفتى بالنورانية معرفة الله فافهم. ثم ان كلامه عليه السلام يمكن ان يحمل على احد الأمرين:

احدهما: ان يكون المراد بقوله مضيئ في الاحكام الشرعية والسياسية والاجتماعية وكل ما يحتاج اليه الناس في امور دينهم ودنياهم بنور الله وهدايته وعنايته على طريق الحق ولم يخطيء فيها حين وقف الاصحاب وعجزوا عن حلها وفصلها وعليه تكون الجملة كالمفسرة لما قبلها فكأنه قيل له عليه السلام كيف نطقت حين تعتصوا قال عليه السلام في جوابهم مضيئ بنور الله وارشاده اى لم اقل ما قلت الا بنور الله وتوفيقه.

واما غيرى من الأصحاب فلم يقدرُوا على ما قَدَرْتُ عليه لأنهم لم
يَسْتَضِيئُوا بنوره بمخالفتهم طريق الحقّ واتباع سُنّة الرّسول والأطاعة لنفس
الإمارة فَمَنْ يَتَوَكَّلْ على الله فهو حَسْبُهُ هذا.

وثانيهما: وهو الحقّ الحقيق ان يكون المراد بقوله هذا مشيه بنور الله فى
طريق العبوديّة والسُّلوك اليه فى جميع المراحل وذلك لأنّ السالك فى طريق
السُّلوك لو لم يؤيد من عنده تعالى فكيف يقدر على طيِّ المراحل وفيه ايماء
الى عصمته ﷺ عن الخطاء والزَّلَلْ فإنّ من يمضى فى اقواله وافعاله بنور الله
لا يخطأ ابداً وعليه ففى هذا التعبير وجوه من الدقّة والحسن.

الوجه الاوّل: عدم الواسطة بينه ﷺ وبين معبوده فى الاستفاضة والأفاضة الآ
كلمة الباء المُفيدة للسببية وهو يدلُّ على كمال اتّصاله بالحقّ وفنائه فيه وانه لم
يستمدّ فى اموره من غيره ولم يَسْتَضِيءْ الا من نوره كما قيل:

أزّمة الأمور طُوراً بيده والكلُّ مُستمدّة من مدّده
بنور وجهه استنار كلّ شيء وعند نور وجهه سواه فيئى

الوجه الثّانى: انه ﷺ بَلَغْ فى سلوكه اليه تعالى ما بَلَغْ من الكمالات التّفنسيّة
والمقامات المعنويّة والدّرجات الرّفيعة كلّ ذلك ببركة العبوديّة والأنقياد
لأوامره ونواهيه واما الاصحاب فقد وقفوا عن هذا السُّلوك وعجزوا عن هذا
العُروج ولا شكّ انّ العاجز لا يصلح لِإمامة والزّعامة لأنّ المُعطى للشىء
لا يكون فاقداً له وللزومه تقديم المفضول على الفاضل وهو قبيح فقوله عليه
السّلام هذا يدلُّ على كونه صالحاً لِإمامة بعد النّبى واما غيره فلا فإنّ الواقف
يحتاج الى غيره فى الخروج عن الوَقْفَة والمُخرج هو الأمام.

الوجه الثّالث انّ تعبيره فى المقام بالنور اشارة الى قوله تعالى الله: ﴿نُورُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ
كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا

يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ»^(١) وحيث انجز الكلام الى هذه الآية المباركة فلا بأس بصرف الكلام الى تفسيرها وتأويلها والتحقق فيها لانها من المشكلات التي لاتنالها ايدى الأفهام والأفكار ولذلك ترايهم يذكرون الآية في كلماتهم وابحاثهم ولا يمكن لهم حلّ مُعضلاتها ومشكلاتها فلا محالة يقنعون بترجمة الفاظها وتفسير ظواهر عبارتها من دون ان يقدروا على اخراج الزبد من المخض واللّب من القشر ونحن بعون الله وتوفيقه نشرع في المقصود ونقول:

قال بعض العرفاء اعلم ان الوجود ينقسم الى ما للشئ في ذاته والى ماله من غيره والوجود بالمعنى الثاني مُستعار لاقوام له بنفسه بل هو عدم محض باعتبار ذاته مع قطع النظر عن الغير كما هو موجود من حيث نسبه الى غيره ونعبر عن الأوّل اعنى الوجود القائم بالذات بالوجود الحقيقي وعن الثاني اعنى ما لا وجود له في حدّ نفسه بالوجود المستعار وان شئت قلت المجارى فالموجود الحقيقي هو الله تعالى المُسمى بالنور والوجود وله الوجود الحقيقي دون غيره لبقائه ازلاً وابدأً وزوال الأضافة في غيره كما قال: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»^(٢) اى كلّ مضافٍ اليه هالكٌ ازلاً وابدأً لمكان اضافته إلا ذاته وعلى هذا التقدير يكون معنى النور في الآية هو الوجود فالمعنى ان الله تعالى هو نفس وجود السموات والأرض وما بينهما حقيقة لاغير يعنى هو الموجود فيهما حقيقةً ووجوداً والأشياء المسماة بالسموات والأرض وما بينهما هي مظهره وليس الظاهر غير المظاهر فلا يكون الغير موجود اصلاً فيكون هو الظاهر والمظهر والنور والمشكاة وغير ذلك وعلى هذا المبنى فالمشكاة والمصباح والزُجاجة التي هي المظاهر معناها واضح.

لانّ المشكاة تكون عالم الاجسام والجسمانيات، والزُجاجة عالم الأرواح والروحانيات، والمصباح عالم العقول والمُجرّدات ووجه المناسبة انّ الأنوار

الالهية المشرقة من حُضرد الوجود المطلق على الموجودات كلها تُشرق أولاً على عالم العقول التي هي كالمصباح من نوريته ولطافته.

ثم تُشرق على عالم الأرواح التي هي كالزُجاجة من صفائها وقابليتها الأشراق والأضافة والأفاضة على الغير.

ثم تُشرق على الأجسام التي هي كالمشكاة من ظلمتها وكثافتها وقابليتها الأضافة لأنها قابلة للأرواح والانتقاش بها كالمشكاة القابلة للأنوار، والأشراق بها على الغير التي هي بمعنى الكوة في الحايط وغيره.

والشجرة التي يوجد فيها هذا المصباح او الزُجاجة تكون شجرة الوجود المطلق التي يستضيء منها كل الوجود وتكون نسبتها الى الزيت من كثرة اضائها بنور الوجود ومنافعها وبقائها فانه اى الزيت كذلك وشبيهه بشجرة الزيتون لكثرة اغصانه (اى اغصان النور الوجودى) من الموجودات الأضافية الصادرة عنه كالأغصان الصادرة عن الشجرة مع اوراقها وازهارها وثمارها وذلك لأن الحقائق والماهيات كلها هي شئونه الذاتية الكافية في ذاته المقدسة كالشجرة في النواة ووصفها بانها اى الأنوار الالهية، لاشرقية ولا عريية، لأن الشوق الحقيقى هو عالم الأرواح والروحانيات التي هي محل طلوع الأنوار الروحانية (عزبها) عالم الأجسام والجسمانيات التي هي موضع افولها والوجود المطلق نوره ليس من عالم الأرواح الصّرف ولا من عالم الاجسام المَحض فلا يوصف بها وتشبيه الزُجاجة بالكوكب الدرى يكون بسبب لطافته ونوريته واضائه وامثال ذلك انتهى ما حققه فى المقام.

وعليه فنقول نسبة نور الله تعالى الذى هو ماء الحياة الحقيقية كما قال ومن الماء كل شىء حى وقال ايضاً كان عرشه على الماء بالنسبة الى الأرواح الصادرة عنه المسماة بالزُجاجة التي هي كالكوكب الدرى، المؤقد من الشجرة المباركة التي هي الوجود المطلق يكاد زيتها يفىء بذاته ولو لم تمسه نار، الأجسام الكيرة والأجساد المظلمة التي هي منبع الظلمات الثلاث المذكورة.

والسر فيه هو ان النور الالهي لولا احتجابها بالجلابيب البدنية والغواشي
الحسية لأضاء بذاته وعرف ربه وشاهد بنوره على ما ينبغي وقال بلسان الحال
(عرفت ربي بربي كما قال ﷺ يا من دل على ذاته بذاته)

لانه كان من ذلك الوقت نوراً على نور اعنى نور الحق على نور العقل
كالقمر مثلاً فان نوره من نور الشمس فكما زادت نوره زادت مشاهدته
فتكون مشاهدته لها على حسب نوره، وهذا بعينه حال الشاهد العارف ربه
بنوره فكما يجوز للقمر ان يقول عرفت الشمس بنور الشمس، كذلك يجوز
للعارف ان يقول عرفت ربي بربي، ولهذا قال الله تعالى عقيه يهدى الله لنوره
من يشاء ويضرب الله الأمثال.

اذا عرفت هذا وامعنت النظر فيه حق الامعان فاستعد لما نتلو عليك في
تطبيق شجرة الانسان الكبير على شجرة الانسان الصغير ومشاهدة معنى قول
النبي ﷺ من عرف نفسه فقد عرف ربه، فانك تجده مطابقاً لصورته موافقاً
لهيئته وليس المراد بمعرفة الله الا هذا اى مشاهدة احاطته بالعالم الكبير ومعيته
به كمشاهدة احاطة روجه بالعالم الصغير ومعيته به، لان بدنه كالمشكاة، وقلبه
كالزجاجة، وروحه كالمصباح، والمجموع كالشجرة وهكذا فان كل واحد منها
مناسب لجزء من اجزاء العالم كما تقدم تقريره واليه الاشارة بقوله ﷺ اتزعم
انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر وامثال ذلك مما قيل في المقام
ولنعم ما اشار اليه العارف الصمدانى قدس سره حيث قال:

نَظَرْتُ بِنُورِ اللَّهِ أَوَّلَ نَظَرَةٍ

فَعَبْتُ عَنِ الْأَكْوَانِ وَارْتَفَعَ اللَّبْسُ

وَمَا زَالَ قَلْبِي لِإِذْ بَجَمَالِكُمْ

وَحَضَرْتَكُمْ حَتَّى فَنَّتْ فِيكُمْ النَّفْسُ

وَزَيَّتُونَهُ الْفِكْرَ الصَّحِيحَ أَصُولَهَا

مُبَارَكَةٌ أَوْرَاقُهَا الصُّدُقُ وَالْقُدْسُ

فُروحي زيتي والخيال زجاجتي

وعقلي مصباح ومشكاته الجِسِّ

فصار بكم ليلى نهاراً وظلمتى

ضياءً ولاحت في خيامكم الشمس

وينبغي ان يعرف ايضا ان المعارف كلها ثلاثة معرفة الحق ومعرفة الآفاق المسماة بمعرفة الأنسان الكبير، ومعرفة الأنفس وهى المعرفة بالانسان المُعَبَّر عنه بالعالم الصَّغير وعند التَّحقيق رأس المعارف معرفة الحق لانَّ العلة الغائية من معرفة الآفاق والأنفس معرفته لاغير، هذا، وعليك بالتأمل والتدبُّر فيما ذكرناه حتَّى تُعرف معنى الحديث الذى رواه المجلسى (قدَّه) وغيره من ارباب الحديث وقد نقله الشَّارح الخوئى فى شرحه عن البحار عن الصادق عليه السلام فى «الله نُور السَّمَوَاتِ» وغير خفيِّ على اولى البصائر انَّ الاحاديث بهذا المضمون كثيرة عن اهل البيت عليهم السَّلام انَّ فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب. ثمَّ انَّ هذا الذى ذكرناه فى معنى الآية هو اجمال ممَّا ذكروه فى تفسيرها وتأويلها ولولا مخافة الأطناب المُملِّ لأَطَلنا الكلام فى هذا المقام واشبَّعناك الا انَّ السُّكوت فى الأسرار اولى ولنرجع الى اصل البحث.

فقوله عليه السلام: وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا، قد ظَهَرَ شرحه ممَّا قدمناه، وخلاصته انَّ ذاته المقدَّسة لكونها متَّصفة بجميع الكمالات كانت مَظْهَره الاثم الاكمل فى عالم الوجود بعد الرُّسول وقد قلنا انَّ الوجود اذا لم يكن للشئىء فى ذاته فَهُوَ مُستعار لا قوام له بنفسه وهذا المعنى ثابت لكل الموجودات الأمكانيَّة الا انَّ بعضهم لكثرة انغماره فى ظلمات المادَّة وسباحته فى بحور عالم الجسمانيات بمتابعته لِلنَّفْس الأمارة لا يقدر على الأستضائة والأستفاضة من مبدء الفياض لا لبُخلٍ من المُفيض بل لعدم القابليَّة والأستعداد من المستفيض بسوء تدبيره وإعراضه عن الحق فيقال لهم ذرهم فى خوضهم يلعبون، واما اولياء الله ولا سيَّما الأنبياء والأوصياء منهم فليُسوا كذلك، اذ هم الذين

أَخْرَجَهُمُ اللَّهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ كَمَا أَنَّ غَيْرَهُمْ أَخْرَجَهُمُ اللَّهُ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلْمَةِ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ظُلْمَةِ الْعُرْيَةِ وَحِجَابِ الْإِنَانِيَّةِ.

□ قوله ﷺ: وَكُنْتُ أَحْفَظُهُمْ صَوْتًا وَأَعْلَاهُمْ قَوْتًا...

قالوا فى شرح العبارة لأن خفض الصوت دليل الدعة والأستكانة، والتواضع ورفع الصوت علامة الجلالة والتكبر والتجبر قد كان مشركو العرب يتفاخرون بالأصوات الرافعة فَوَيَّخَهُمُ اللَّهُ بما حكاه من وصية لقمان لابنه بقوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْخَمِيرِ﴾^(١)، قاله الشارح الخوئي وقد أخذه عن المحقق البحراني فإنه (قده) أيضا قال فى شرحه فى المقام نظير هذه الكلمات ولا حاجة الى نقلها فان شئت فراجع الى شرحه.

اقول: ما ذكروه لآبأس به بالنظر الى ظاهر اللفظ إلا ان هذا المعنى مما لا يُلْتَفَتُ اليه من وجوه.

احدها: أنه ﷺ فى هذه الخطبة بصدد بيان كمالاته النفسانية اللاتى ميزته عن اشباهه وامثاله فى الناس كما ترى فى الجملات السابقة وسرى فى الجملات الآتية وائى قدح وفضيلة يتصور من خفض الصوت حتى يقال بأنه ﷺ افضلهم لأنه اخفض صوتاً منهم ثم اى شىء يثبت به.

وثانيها: أنه على فرض التسليم وان خفض الصوت من الكمالات فى بعض الموارد بالنسبة الى بعض الأشخاص فلا شك أنه لا يصح على سبيل الكلية بل نقول أنه فى بعض الموارد مذموم مردود كما ان المؤذن والمدرس والواعظ وامثالهم ليس خفض الصوت بالنسبة اليهم من الكمالات بل الأمر بالعكس لأن فى رفع الصوت فوائد لا توجد فى خفضه.

وثالثها: ان ما قاله الخوئي من ان الخفض فيه دليل الدعة والأستكانة ورفع

دليل على التكبر والتجبر فهو من العجائب وليت شعري من اين قال بهذا المقالة وممن نقله واي دليل نقلي او عقلي دَلَّ على ما تَفَوَّه به والجواب انه لم يدل عليه دليل من العقل والنقل لكون هذا الكلام من الهفوات او التصديق بلا تصور وافحش فيه قوله بان مشركى العرب كانوا يتفاخرون بالأصوات الرافعة. فان هذا الكلام مضافا الى انه من استنباطاته الشخصية وانه ليس منه فى التواريخ عين ولا اثر لا يدل على اثبات مدعاه فانه لم يدل دليل عقلاً ولا شرعاً على انه كلما كان من اوصاف المشركين فهو من القبائح حتى عد هذا منه. واما الآية الشريفة فلا ربط لها بالمدعى فان الآية قد نهت عن الأصوات المنكرة الغير المتعارفة وهذا النهى مع انه اخص من المدعى لا يثبت كون صاحبه من المتكبرين كما هو المدعى فلا استدلال بالآية ساقط من رأسه. ورابعها: ان رفع الصوت وخفضه من الأمور الفطرية الطبيعية، ولا يدخل تحت الاختيار فان بعض الافراد خفى الصوت وبعضهم جهرى الصوت فعلى ما ذكره لا بد من القول بكون جهرى الصوت متكبراً وخفى الصوت متواضعاً مع انه ليس كذلك فالتكبر والتواضع لا ربط لهما بهذا الموضوع وهو ظاهر. وخامسها: اى مناسبة بين خفض الصوت وقوله الصلوات: وَأَعْلَاهُمْ قَوْتاً فان الفوت بالفاء على ما ذكره بمعنى السبقة فى الأمور فيصير المعنى انى كنت اخفضهم صوتاً ونداءً واعلاهم وافضلهم سبقة الى الأمور وهو كما ترى بمعزل عن كلام الفصحاء فضلاً عن كلامه الصلوات وهو امام الفصحاء بهذه الوجوه المذكورة وغيرها مما لم نذكره حذراً من الأطناب ظهر لك ان الامر ليس على ما تخيلوه بل هو من تخريب الكلام لاشرحه اذا عرفت وجوه الخلل فيما قالوه فنقول:

الصوت بفتح الصاد جاء فى لغة العرب على معان:

احدها: النداء صات يصوت ويصات صوتاً وصوت به كله نادى، وهذا هو

الذى فهموه من كلامه.

وثانيها: الصَّيْحَة والأَسْتِغَاثَة كما قال رويشد ابن كثير الطائي فيه.
يا أَيَا الرَّاكِبِ المُزْجِي مَطِيَّتِهِ سائل بني اسدٍ ما هذه الصَّوْتِ
اي ما هذه الأَسْتِغَاثَة.

وثالثها: الأعلان كما ورد في الحديث عن طريق العامة فَصَّلَ ما بين الحلال
والحرام الصَّوْتِ، اي الأعلان في النكاح.

ورابعها: الشُّهْرَة بين الناس يقال ذهب صيته في الناس اي ذكره، قال واصله
من الواو وإنما انقلبت ياء لأنكسار ما قبلها كما قالوا ريح من الرّوح كأنهم بنوه
على فعل بكسر الفاء للفرق بين الصَّوْتِ المَسْمُوعِ وبين الذِّكْرِ المَعْلُومِ، ثم قال
وربما يقال انتشر صوته في الناس بمعنى الصَّيْتِ انتهى لسان العرب ج ٢
حرف التاء ص ٥٧ و ٥٨.

وأما الخَفْضُ بالخاء المُعْجَمَة فقد جاء على معان ايضا:
احدها، الخذلان ومنه كونه تعالى خافِضاً لأن من اسمائه الخافض لكونه
تعالى هو الَّذِي يَخْفِضُ الجَبَّارِينَ والفراعنة اي يَصْعَعُهُمْ وَيُهْنِيهِمْ.
وثانيها، اللينة يقال امرئة خافضة الصَّوْتِ اي لينة الصَّوْتِ.
وثالثها، بمعنى السَّهْلِ يقال ارض خافضة السَّقِيَاءِ اذا كانت سهلة السَّقِيَاءِ
ورافعة السَّقِيَاءِ اذا كانت على خلاف ذلك.

ورابعها، العيش الطيب يقال خَفَّضَ عَلَيْكَ جاشك اي سَكَّنَ قلبك
وخامسها، الموت يقال خَفَّضَ الرُّجُلَ اي مات قاله في لسان العرب ج ٧
ص ١٤٥ و ١٤٦ حرف الضاء.

هذا اذا كانت الكلمة في الخُطْبَة (اخْفَضَهُمْ) بالخاء واما اذا كانت بالحاء
المَهْمَلَة كما هو المحتمل فهو بمعنى الألقاء والطرح وجاء بمعنى الحامل ايضا
يقال هؤلاء احفاض العلم اي حامله انتهى لسان العرب ج ٧.

اذا عرفت هذا فنقول قوله ﷺ: وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً يحتمل حمله على
هذه المعاني المذكورة كلها إلا ان احسنها دقة ان يحمل الصَّوْتِ على المعنى

الرابع وهو الشهرة والخفض على المعنى الأول من الخمسة وعليه فالمعنى انا اخفضهم شهرةً ويمكن الخفض على المعنى الثاني ايضاً اي اليهم شهرةً او الثالث اي اسهلهم شهرةً وهكذا والمقصود اني لم اكن بصدد جلب الشهرة بين الناس وبهذه الجهة كان بعض الاصحاب أشهر مني في ايام خلافته فان الحاكم على الناس اذا طالت مدة حكمته ووافق الناس في اغراضهم واهوائهم واميالهم يصير مشهوراً بينهم محبوباً عندهم وهذا بخلاف من لا يكون كذلك ولاجل ذلك كان ﷺ بعد الرسول واجتماع الناس في السقيفة وتعيينهم الخليفة قد انزوى في بيته معرضاً عنهم في امور دينهم ودنياهم بحيث لم يعاشرهم الا بقدر الضرورة ولم يتكلم معهم الا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما هو شأن المؤمنين التابعين له في كل عهد وزمان الى يوم القيمة كل ذلك لان الناس الى اشباههم اميل.

هذا بناء على قراءة الأخفض بالخاء المعجمة واما على قراءة الخاء المهملة فالمعنى اوضح لان الخفض بمعنى الطرح فالمعنى اني كنت اطرحهم للصيت والشهرة في الدنيا فانها ليست من شئون المؤمن العارف بالله وبعبارة اخرى: اني اتركهم للدنيا وما يتبعها وزخارفها ورياستها كما هو مما لا كلام فيه بالنسبة اليه صلوات الله عليه.

هذا كله في شرح الجملة الاولى واما الثانية وهي قوله ﷺ: وَأَعْلَاهُمْ قُوْتاً فقد قالوا فيها اي اعلاهم سبقاً الى مراتب الكمال والسعادة حائزاً قصب السبق في مضمار البراعة وهو ايضاً لا يرجع الى محصل سيما بناء على ما ذكرناه في قوله ﷺ: اخفضهم صوتاً، من المعنى فانه لا يناسبه اصلاً.

والحق هو ان القوت وان جاء بمعنى السبق الا ان معناه لا ينحصر فيه حتى لا بد من حمل الكلام عليه بل له معان اخر واذا كان كذلك فلا محيص عن حمل الكلام على ما يناسب المقام فنقول:

فمنها السبق كما ذكره في المقام يقال فاتني كذا اي سبقتني.

ومنها الأنفراد بالرأى رجل فويت مُنفرداً برأيه.

ومنها الخلل والفرجة بين الأصابع.

ومنها الفجأة يقال موت الفوات، أى موت الفجأة ومنه الحديث الذى رواه بعض العامة عن أبى هريرة أنه قال قال مرّ النّبى ﷺ تحت جدار مائل فاسرع المشى فقيل يا رسول الله اسرعت المشى فقال ﷺ أتى اكره موت الفوات يعنى موت الفجأة انتهى لسان العرب ج ٢.

ولا يخفى عليك أنّ احسن المعانى فى المقام هو الثانى منها، اعنى الأنفراد بالرأى وعليه فالمعنى أتى اعلاهم فى الاستقلال بالرأى والأنفراد به لعلمى بعواقب الامور، وذلك لانه ﷺ كان معصوماً ومعنى العصمة الاحتراز عن الزلل والخطأ فى القول والفعل وليس المراد انه ﷺ كان مُستقلاً مُستبداً برأيه فى جميع الامور بل المقصود لو شئت لفعلت لقدرتى عليه واما غيرى فلا يقدر لقلّة علمه وسوء تدبيره وحاصل المعنى فى الجملتين أتى مع قدرتى على ادارة الامور مُنفرداً من غير احتياج الى الاصحاب من حيث الاستمداد الفكرى والعلمى تركت الحكومة والشهرة التى كانت غاية آمالهم فى الوصول اليها والبلوغ الى شئونها من الحُظوظ واللذات الجسمانيّة هذا ما عندى فى شرح كلامه والله اعلم بحقائق الامور.

□ قوله ﷺ: فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا وَاسْتَبَدَدْتُ بِرِهَانِهَا...

قالوا انّ الضميرين يرجعان الى الفضيلة وان لم يسبق لهما ذكر لفظى والظاهر رجوعهما الى الخلافة والحكومة دون الفضيلة اذا الكلام فى قيامه عليه السلام بالأمر كما قال فى صدر الخطبة (فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ) ولا شك فى انّ المقصود بالأمر هو امر الخلافة واما الفضيلة فلم يسبق لها ذكر فى الكلام لالفظاً ولا معنى ولا حكماً وايه ضرورة اقتضت رجوع الضميرين اليها مع وجود المرجع فيها ولا سيما انه ﷺ قال بعد هذا الكلام (كَالجَبَلِ لِأَثْرَكِهِ الْقَوَاصِفِ) وانهم قالوا بانّ المراد به الخلافة واما استدلالهم على مدعاهم

بأنه ﷺ كان حائزاً للفضائل النفسانية والكمالات المعنوية فهو مفروغ عنه لا كلام لنا وله ﷺ في اثبات هذا المعنى إنما الكلام في قيامه بأمر الخلافة وتصدية لأمر الزعامة وابن هذا من ذلك.

شبه ﷺ الخلافة بالخيل واثبت لها عناناً ورهاناً كما في الخيل ادعاءً كما هو شأن الاستعارة التخيلية فكما أن الخيل لا بد له ممن قبض بعنانه واستبد برهانه فكذلك الخلافة والحكومة لا بد لها ممن يمنع عن طغيانها فإن الرئاسة باغية طاغية في حد نفسها لولا المانع لوجود المقتضى فيها ولذلك قال فطرت بعنانها الخ.

والحاصل أن في قوله ﷺ هذا اشعار بأن الحكومة والزعامة وجودها وعدمها بالنسبة إليه على حدٍ سواء لأن عنان الخلافة وأزمة أمورها مقهورٌ تحت إرادته فلا يأخذ في الله لومة لائم بخلاف غيره من الخلفاء والحكام حيث أنهم كانوا متوجهين إلى آميال الناس وأهوائهم معرضين عن الله ورسوله ولأجل ذلك كانوا محبوبين في الناس إلا من شذ منهم من المؤمنين الصالحين ومن الواضح أنهم قليلون في كل عهد وزمان وأكثر الناس من قبيل أولئك كالأنعام بل هم أضل همج رعاع اتباع كل ناهق يميلون مع كل ربح الخ.

الأتري أن عثمان بعد قتله في المدينة صار سبباً لوصول معاوية إلى الخلافة كما عرفت في وقعة صفين فإن معاوية وإن كان كاذباً في دعواه وأنه طالب بدم عثمان إلا أن كثيراً من الأراذل والأوباش في الشام وغيره الذين حضروا في صفين وغيره وحاربوا علياً كانوا من أشياع عثمان واتباعه واقعاً ولا غرو فيه فإن أبابكر وعمر وعثمان كانوا خيراً لهم لوجود السنخية بينهم حقيقة وأما أمير المؤمنين وأولاده المعصومين فلا وليس هذا أول قارورة كسرت في الإسلام وبعد اللتيا والتي المؤمن لا يستحوش في الله وإن كان وحيداً فريداً.

□ قوله ﷺ: كالجبل لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف...

بعد ما بين ﷺ في الجملة السابقة أنه ﷺ هو الأخذ بزمام الخلافة وعنانها

والأستقلال بأمورها قال عليه السلام: كالجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ شَبَّهَ عليه السلام نفسه بالجَبَلِ العَظِيمِ الَّذِي لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ لِثِقَلِ الْجَبَلِ وَعَظْمِهِ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْمُؤْمِنُ كَالجَبَلِ الرَّاسِخِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ (العَوَاصِفُ) ثُمَّ شَبَّهَ النَّاسَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَهَمُونَهُ فِي الْأُمُورِ بِالْقَوَاصِفِ فَكَمَا أَنَّ الْقَوَاصِفَ وَجُودَهَا وَعَدَمَهَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْجَبَلِ سَيَانِ كَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ وَلَا سَيِّمًا امِيرَهُمْ لَا يَعْتَنِي بِدَعَاوِيهِمُ الْبَاطِلَةِ وَأَقْوَالِهِمُ الْفَاسِدَةَ الْعَاطِلَةَ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَكُونُ عَبْدًا وَمُطِيعًا لِلَّهِ مُنْقَادًا لِأَمْرِهِ مُجْتَنِبًا عَنِ نَوَاهِيهِ لِأَعْبَادًا مُطِيعًا لِلْعَوَامِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾^(١)

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ وَذُو أَلْوَانٍ قَدِ هَمُونَ﴾^(٢)

روى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أخاف في الله لومة لائم انتهى بحار الانوار الأيمان والكفر...

وروى أيضاً عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لا تأخذكم في الله لومة لائم يكفيكم الله (يكفيكم الله) من زادكم ويقى عليكم... وروى أيضاً عن الصادق عليه السلام أن المؤمن أشد من زبر الحديد أن زبر الحديد إذا دخل النار تغيروا أن المؤمن لو قتل ثم نُشِرَ ثم قُتِلَ لَمْ يَتَغَيَّرْ قَلْبُهُ. انتهى...

وقال عليه السلام ما اقْبَحَ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ تَكُونَ لَهُ رَقَبَةٌ تُذَلُّهُ، انتهى بحار الانوار الأيمان والكفر...

ثم أن الرياح الشديدة تُوصَفُ بِالْعَوَاصِفِ وَالْخَفِيَّةِ بِالْقَوَاصِفِ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى أَرَادَ عليه السلام أَقْوَالَ الْمُتَوَسِّطِينَ أَوْ الْأَدْنِيِّينَ مِنَ النَّاسِ وَفِي الثَّانِيَةِ كَلِمَاتِ الْأَعْيَانِ وَالْأَشْرَافِ مِنْ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ وَغَيْرِهِمْ وَالْمَقْصُودُ إِفَادَةُ أَنَّ هَذِهِ الْأَقَاوِيلَ وَالْإِتْهَامَاتِ لَا تَنْصُرُ بِي مِنْ آيَةٍ طَبَقَةٍ كَانَتْ وَمِنْ أَيِّ مَتَكَلَّمٍ صَدَرَتْ وَذَلِكَ لِتَوَجُّهِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِغَيْرِهِ.

□ قوله ﷺ: لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَعْمَزٌ...

وهذا كَدَعَوَى الشَّيْءِ بِالْبَيِّنَةِ وَالْبُرْهَانِ فَكَانَتْ قَبِيلَ لَهُ وَلَمْ لَا تُؤَثِّرْ فِيكَ كَلِمَاتِ الْقَوْمِ وَشِنَاعَاتِهِمْ فَقَالَ ﷺ فِي الْجَوَابِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ الْخِ وَتَوْضِيحُ ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُنْحَرِفًا عَنْ طَرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ فِي حُكُومَتِهِ عَلَى النَّاسِ أَوْ مَعَاشِرَتِهِ لَهُمْ بَانَ لَا يُضَيِّعُ حُقُوقَهُمْ وَلَا يَظْلِمُهُمْ وَيَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْعَدْلِ وَيَنْتَقِمُ عَنِ الظَّالِمِ وَلَا يَكُونُ عَوْنًا لَهُ وَيَتَنَصَّرُ لِلْمَظْلُومِ وَبِالْجُمْلَةِ لَا يَتَجَاوَزُ فِيهِمْ عَنِ قَانُونِ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ فَلَا مِحَالَةَ لَا يَكُونُ فِيهِ مَوْضِعٌ طَعْنٍ وَلَا مَوْرَدٌ قَدَحٍ فَلَوْ صَارَ مَعَ ذَلِكَ مَقْدُوحًا مَطْعُونًا فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الطَّعْنَ لِأُمُورٍ لَهُ وَإِنَّمَا نَشَأَ عَنِ الظَّالِمِ الْفَاسِقِ الْمُغْرِضِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى التَّعْدِي، وَالتَّجَاوُزِ بِحُقُوقِ النَّاسِ وَهَذَا بِخِلَافِ الْحَاكِمِ الظَّالِمِ لِعِلْمِهِ بِتَجَاوُزِهِ وَظُلْمِهِ فَكُلُّ مَا قَالَ النَّاسُ فِيهِ أَوْ يَقُولُ حَقٌّ لَهُ وَحَيْثُ أَنَّهُ ﷺ كَانَ فِي أَيَّامِ حُكُومَتِهِ بَلْ أَيَّامِ عَمْرِهِ مُعِينًا لِلْمَظْلُومِ وَمُنْتَصِرًا لَهُ مُنْتَقِمًا لِلظَّالِمِ وَعَدُوًّا لَهُ سَالِكًا سَبِيلَ الْحَقِّ مُعْرِضًا عَنِ الْبَاطِلِ رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ عَطُوفًا عَلَيْهِمْ شَدِيدًا عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ مُطِيعًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَنَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ تَارِكًا لِهَوَاهُ مُطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ لَمْ يَقُلْ إِلَّا حَقًّا وَصَدَقًا وَلَمْ يَفْعَلْ إِلَّا قِسْطًا وَعَدْلًا كَيْفَ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُعْطِ إِخَاهُ عَقِيلُ بْنُ أَبِيطَالِبٍ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ حَتَّى تَرَكَ الْكُوفَةَ وَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ وَالتَّجَاءَ إِلَى مَعَاوِيَةَ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُعْطِ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِمَا أَبَدًا مَعَ أَنَّ مَنزِلَتَهُمَا عِنْدَهُ مَعْلُومَةٌ حَتَّى قَالَ ﷺ مَخَاطَبًا لِابْنِهِ مُحَمَّدَ الْحَنْفِيَّةِ أَنَّهُمَا بِمَنْزِلَةِ عَيْنَايَ، أَوْ قَالَ مُحَمَّدُ أَنَّهُمَا بِمَنْزِلَةِ عَيْنَاهُ عَلَى اخْتِلَافِ الرَّوَايَتَيْنِ وَكَذَلِكَ سَائِرُ أَوْلَادِهِ مِنَ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ فَهَمْ كَانُوا كَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ الْحُقُوقِ عَلَى مَا هُوَ ثَابِتٌ عِنْدَ الْمُخَالَفِ وَالْمُوَافِقِ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَيَلْبِقُ بِهِ أَنْ يَقُولَ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَعْمَزٌ. وَإِنَّمَا قَالَ ﷺ: لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ وَلَا لِقَائِلٍ، وَلَمْ يَقُلْ لَمْ يَكُنْ فِيَّ مَهْمَزٌ وَلَا فِيَّ مَعْمَزٌ، لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْمَوْجُودَ الَّذِي لَا يَكُونُ فِيهِ مَهْمَزٌ وَلَا مَعْمَزٌ عَلَى سَبِيلِ

الأطلاق إنما هو الخالق دون المخلوق فإن المخلوق كائنا من كان لا يخلو من
النقص والعيب ولا اقل من نقص الأمكانيّة والأفتقار الى الخالق ولذلك قال ﷺ
ما قال وأما بالقياس الى المخلوق فلا عيب فيه ولا نقص له صدق ولى الله
ولينعم ما قال الشافعى فى حقّه:

لو ان المرتضى أبدى محلّه لخزّ الناس طراً سُجداً له
ومات الشافعى وليس يدرى على ربّهم ربّه الله
واحسنّ منه قول خزيمة ابن ثابت فيه:

اذا نحنُ بايعنا عليّاً فحسبنا

أبو حسنٍ ممّا يُخاف من الفتن
وجَدناه أولى الناس بالناس إنّه
أثب قريش بالكتاب وبالسنن
وإن قريشاً لا يشقُّ غُبارَه

اذا ما جرى يوماً على الضمر البدن
ففيه الذى فيهم من الخير كلّه
وما فيهم مثل الذى فيه من حسن
وصّى رسول الله من دون أهله

وفارسه قد كان فى سالف الزّمن
وأول من صلى من الناس كلّهم
سوى خيرة النسوان والله ذو منن
وصاحب كَبشِ القوم فى كلّ وقعة

يكون لها نفسُ الشّجاع لدى الدّفن
فذاك الذى يثنى الخناصر بأسمه

امامهم حتى أغيب فى الكفن

وعلى ائى حال فلا شك ان امير المؤمنين ﷺ وكذلك الأوصياء بعده

مُنزَّهُون مُبرِّتُون مُقدِّسُون عن كلِّ عيبٍ وشينٍ فَمَا قالوا فيهم او يُقال من جانب الأعداء بغضاً لهم وحَسداً عليهم إلا انَّ السُّنَّ المُعاندين في كلِّ عهدٍ وزمان بالنسبة اليهم كانت شاهرة حتى انَّ الأنبياء ايضاً لم يَسلمُوا منها كما قال بعض العرفاء فيه.

وما أَحَدٌ من السُّنَّ الناس سالماً
ولو أنَّه ذاك النَّبِيُّ المُطَهَّر
فان كانَ مِقْداماً يقولون أَحوجُ
وان كانَ مِفْضالاً يقولون مُبذِرُ
وان كانَ سِكايتاً يقولون أبكم
وان كانَ مِنطيقاً يقولون مُهدر
وان كانَ صَوّاماً وبالليل قائماً
يقولون زَرَّاقُ يُرائى وَيَمكُرُ
فلا تكثرت بالناس في المَدحِ و الثنا
ولا تَخشَ غير الله فالله أكبر

وسياتى الكلام منّا فى تضاعيف مباحث الكتاب ما يدلّ عليه اكثر ممّا ذكرناه ان شاء الله تعالى.

□ قوله ﷺ: الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخِذَ الحَقِّ وَالْقَوِيُّ عِنْدِ ضَعِيفٍ حَتَّى آخِذَ الحَقِّ مِنْهُ...

ثمّ انه صلوات الله عليه بعد ما قال ما تقدّم شرحه فى الاستقلال بالرأى والاستبداد به فى الدين وانه لا توجد فيه نقطة ضعفٍ حتى يقال فيه ما يقال لانه لم يعدل عن الصّراط السّوى قطّ اردف كلامه بقوله ﷺ: الدَّلِيلُ عِنْدِي الخ وفيما ذكره ﷺ فى المقام دلالة بل صراحة بكمال عدله فانّ العدالة الواقعية لامعنى لها إلا الانتصار للمظلوم والانتقام من الظالم وهذا هو الذى تدور عليه العدالة الاجتماعية والشّرعية وتدلّ على قوله ﷺ هذه الآيات والأخبار والعقول

السليمة. اما الآيات فكثيرة:

منها قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾^(١)

و: ﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾^(٢)

و: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَائِهِمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ إِلَى قَوْلِهِ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣)

و: ﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّوا﴾^(٤)

و: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(٥) وامثالها من الآيات.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٦)

وجه الاستدلال بهذه الآيات وامثالها هو انَّ عَدَمَ النَّصْرَةِ لِلْمَظْلُومِ بِالْإِنْتِقَامِ مِنَ الظَّالِمِ فِي صُورَةِ الْقُدْرَةِ ظَلَمٌ عَلَى الْمَظْلُومِ وَاعَانَةٌ لِلظَّالِمِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّوا﴾^(٧) وَعَلَيْهِ فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَكَلَّفٍ رَدْعُ الظَّالِمِ عَنْ ظُلْمِهِ بِفِعْلِهِ أَوْ قَلْبِهِ أَوْ لِسَانِهِ وَهُوَ ظَاهِرٌ. وَأَمَّا الْأَخْبَارُ.

فمنها ما قال رسول الله ﷺ: **إِنَّ أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ مَنْ وُلِّيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يَعْدِلْ لَهُمْ** انتهى...

ومنها قوله ﷺ: **جَوْرُ سَاعَةٍ فِي حُكْمٍ أَشَدَّ وَأَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مَعَاصِي سَنَةِ** انتهى ومعلوم انَّ عَدَمَ نُصْرَةِ الْمَظْلُومِ فِي صُورَةِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا أَوْ عَدَمَ

٢. المجادلة - ١٤.

٤. المائدة - ٢.

٦. الشورى - ٤٢.

١. الذاريات - ٥٩.

٣. المجادلة - ٢٢.

٥. هود - ١١٣.

٧. المائدة - ٢.

الانتقام عن الظالم كلاهما جورٌ على المظلوم...

ومنها قال رجل لعليّ ابن الحسين انى كنت من الولاة فهل لى من توبة فقال لاحتى تودى الى كل ذى حق حقه انتهى...

ومنها ما قال الصادق عليه السلام ان الله تعالى اوحى الى نبي من انبيائه فى مملكة جبّارٍ من الجبّارين ان ائت هذا الجبّار فقل له انى لم استعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال وانما استعملتك لتكف عنى اصوات المظلومين فانى لن ادع ظلامتهم وان كانوا كفّاراً انتهى...

ومنها ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا كان يوم القيمة نادى مناد، اين الظلمة واعوان الظلمة ومن لاق لهم دواة او ربط لهم كيساً او مدّهم بمدّة قلم فاحشروهم انتهى...

وقال صلى الله عليه وآله من مشى مع ظالم فقد اجرم انتهى و الأحاديث نقلناها عن جامع السعادات للزرقى «ج ٢، ص ٢١٧ و ٢١٨»...

روى فى البحار باسناده عن الصادق عليه السلام قال ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله فى الدنيا والآخرة انتهى...

وروى ايضا باسناده ان النبي صلى الله عليه وآله أمر بسبع عيادة المرضى، واتّباع الجنائز وإبرار القسم وتسميت العاطس ونصر المظلوم وافشاء السلام وإجابة الداعى، انتهى...

وروى ايضا باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال صلى الله عليه وآله أقعد رجل من الاخيار فى قلبه (قبره) فليل له انا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله فقال لأطيقها فلم يزالوا به حتى انتهوا الى جلدة فقالوا ليس منها بدّ فقال فيما تجلدونها قالوا نجلدك لانك صليت يوماً بغير وضوءٍ ومررت على ضعيفٍ فلم تنصره قال فجلدوه جلدة من عذاب الله فأمتلى قبره تاراً انتهى...

وروى ايضا باسناده عنه عليه السلام انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله كل معروفٍ صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إعانة اللّهفان...

وروى ايضا باسناده عنه عليه السلام قال قال امير المؤمنين من رد عن المسلمين عادية ماء او عادية نار او عادية عدو مكابر للمسلمين غفر الله له ذنبه، انتهى...

وروى ايضا باسناده عن الصادق عليه السلام قال عليه السلام ما من مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً إلا كان افضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته إلا نصره الله في الدنيا والآخرة وما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة، انتهى... والروايات نقلناها عن البحار كتاب العشر ص ١٢٣ ومن اراد الاطلاع على اكثر مما ذكرناه فعليه بالبحار وغيره من الكتب الموضوعه له هذا كله بالنسبة الى عامة المكلفين ومنهم الأمراء والحكام وأما بالنسبة الى خصوص الأمراء والحكام فقد وردت أيضاً روايات فإن الامر فيهم أشد من غيرهم لقوله عليه السلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.

فمنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله رجالان لاتنالهما شفاعتي صاحب سلطانٍ عُسوفٍ عُشومٍ وغالٍ في الدين مارق انتهى...

ومنها ما عن ابي عبد الله عليه السلام قال ثلاثة يدخلهم الله الجنة بغير حساب وثلاثة يدخلهم النار بغير حساب فاما الذين يدخلهم الله الجنة بغير حساب فامامٌ عادلٌ وتاجرٌ صدوقٌ وشيخٌ أفنى عمره في طاعة الله واما الثلاثة الذين يدخلهم النار بغير حساب فامامٌ جائرٌ وتاجرٌ كذوبٌ وشيخٌ زانٍ، انتهى...

ومنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله صينفان من أمتي اذا أصلحا صلحت أمتي واذا فسدت افسدت أمتي، الأمراء والقراء انتهى...

ومنها ما عن الصادق عليه السلام قال من تولى من أمور الناس فعدل وفتح بابَه ورَفَع شَرَّه ونظَر في أمور الناس كان حقاً على الله عز وجل ان يؤمن روعته يوم القيمة انتهى...

ومنها ما رواه باسناده عن ابي بريدة عن النبي صلى الله عليه وآله قال لا يؤمر رجل

على عشرة فما فوقهم الأجيء به يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه فان كان
مُحسباً خلا عنه وان كان مُسبباً زيد غلاً الى غله انتهى...

ومنها ما عن الصادق عليه السلام قال من والى شيئاً من أمور المسلمين فضيئهم
ضيئعه الله عز وجل انتهى «بحار الانوار كتاب العشره ص ٢٠٩ الى ٢١١ ط
كمپانى»...

اقول: والروايات في الباب كثيرة لا يمكن احصائها وانما اطلنا الكلام
بذكرها لجلالة الموضوع وأهميته.

واما العقل: فيكفي في الاستدلال به حكمه بحسن العدل وقبح الظلم
حكماً قطعياً لا يشك فيه ابداً حتى لو لم يحكم الشارع لنا بالعدل وترك الظلم
لوجب علينا الأخذ بالعدل وترك للظلم بحكم العقل ولذلك يقال انها من
المستقلات العقلية فاذا كان العدل حسناً والظلم قبيحاً فدفع الظلم عن المظلوم
ايضاً يتصف بالحسن كما ان اعانة الظلم تتصف بالقبح.

وتوضيح ذلك يستدعي التكلم فيها اجمالاً فنقول اعلم ان الظلم على ما
قسّموه علماء الاخلاق على قسمين: ينطبق عليهما على سبيل الأشتراك
المعنوي فانه قد يستعمل ويُراد به ما هو ضدّ العدالة وعليه فهو من الأمور
الوجودية كما هو شأن الضد ومعناه على هذا التفسير هو التعدى عن الوسط
في اى شىء كان وهو جامع للردائل باسرها وعبروا عنه بالظلم بالمعنى الاعم
وقد يطلق عليه الجور ايضاً بهذا المعنى، وقد يُستعمل ويُراد به ما يُرادف
الأضرار والأذى بالغير وهو يتناول قتله وشتمه وضربه وقذفه وغيبته واخذ
ماله قهراً ونهباً وامثال ذلك وهذا هو الظلم بالمعنى الأخص وهو المراد اذا
اطلق في الآيات والَاخبار وفي عُرف الناس.

ويقابله العدل بالمعنى الأخص والعدل بالمعنى الاعم عبارة عن السلوك
في جادة الوسط وعدم التعدى عنها في كل الأمور عبادياً كان او غيره والعدل
بالمعنى الأخص هو الكف عن القتل والشتم والضرب وغيرها من الأمور

واقامة كل فردٍ على حَقِّه والعدل بهذا المعنى هو المراد عند اطلاقه في الآيات والاحبار، قال الله تعالى: ان الله يأمر بالعدل والأحسان قال الله تعالى: ﴿إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (١)

فقوله ﷺ: الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ له اشارة الى لزوم نصرَة المظلوم واعانتة وهو العدل بالمعنى الأخص.

وقوله ﷺ: وَالْقَوِيُّ عِنْدِ ضَعِيفٍ حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ مِنْهُ، اشارة الى اقامة كل انسان على حَقِّه وهو العدل بالمعنى الأخص ايضاً وكلاهما عقليان لامحيص عنهما للمؤمن القادر على الأتيان بهما ولا سيّما الحاكم على الناس فإنه لو لم ينصُر المَظْلُومُ لكان راضياً بمظلوميته وقال ﷺ العامل بالظلم والمُعِين له والراضى به شركاء ثلاثتهم، فلا بد له من نصرته وهو المطلوب.

وكذلك الأمر بالنسبة الى الظالم فإن الحاكم القادر لو لم يَمْنَعه منه لم يأخذ حَقَّ المظلوم منه لكان راضياً به لامحالة ومن كان راضياً بفعل الظالم فهو ظالم فلا جرم يدفع عنه فثبت ان العقل يحكم بحسن العدل وقبح الظلم وحيث ان امير المؤمنين عليه السلام كان اماماً عادلاً فقال ما قال

ثم ان في كلامه ﷺ هذا اشعار بان الحاكم على الرعيّة لا بد له من ان يكون كذلك والا فليس له حق على الأفراد اذ الغرض الأصلي من الحكومة والسلطنة هو بسط العدالة فيهم باعطاء كل ذي حق حقه دون الوصول الى المُستَهْيَات النفسانيّة والغرائز الطبيعيّة الحيوانيّة وهو كذلك الا أنه قليل في الأمراء والحكّام عملاً وان يقولوا به لساناً ونحن نذكر بعض ما ورد في العدل: قال اردشير لأبنة، يا بُنَيَّ انّ المُلْك والعدل اخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر فالملك أسّ والعدل حارس، والبناء ما لم يكن فيه أسّ فمهدوم والملك ما لم يكن له حارس فضائع، يا بُنَيَّ اجعل حديثك مع اهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد، وبشرك لأهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك من ذوى العقول.

وقالت الحكماء ممّا يجب على السُّلطان ان يلتزمه العدل في ظاهر افعاله لأقامة اهل سُلطانه (امر سلطانه) وفي ضميره لاقامة اهل (امر) دينه فاذا فسدت السياسة ذهب السُّلطان ومدار السياسة كلّها على العدل والانصاف لا يقوم سُلطانٌ لاهل الكُفر والأيمان إلا بهما ولا يدور إلا عليهما مع ترتيب الأمور مراتبها وانزالها منازلها.

وينبغي لمن كان سُلطاناً ان يُقيم على نفسه حُجّة ومن كان رعيته ان يُقيم على نفسه حُجّة وليكن حكمه على غيره مثل حكمه على نفسه، وانما يعرف حقوق الأشياء من يعرف مَبْلَغ حُدودها ومواقع اقدارها ولا يكون أحدٌ سُلطاناً حتّى يكون قبل ذلك رعيّة.

وقال عبد الملك ابن مروان لبنيه كلُّكم يترشّح لهذا الأمر ولا يصلح له منكم إلا من كان له سيفٌ مسلؤل ومالٌ مبدول وعدلٌ تطمئنّ اليه القلوب.

وقال اردشير لأصحابه اتى أملك الأجساد دون النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وافحص عن الأعمال لاعن السرائر.

وخطب سعيد ابن سُويد بحمّص وقال ايها الناس ان للأسلام حائطاً منيعاً وباباً وثيقاً فحائط الاسلام الحق وبابه العدل ولا يزال الاسلام منيعاً ما اشتدت السُّلطان وليست شدة السُّلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط ولكن قضاءً بالحق واخذاً بالعدل.

روى قحطبة ابن حميد اتى لواقف على رأس المأمون يوماً وقد جلس للمظالم فكان آخر من تقدّم اليه وقد همّ بالقيام امرءة عليها هيئة الضر وعليها ثياب رثة فوقفت بين يديه وقالت السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فنظر المأمون الى يحيى ابن اكنم فقال لها يحيى وعليك السلام يا أمة الله تكلمي بحاجتك فقالت:

يا خير مُنتصفٍ يهدى له الرشد ويا اماماً به قد أشرق البلد
تَشكُّو اليك عميدُ القوم أرملةً عدى عليها فلم يترك لها سبداً

وَأَبْتَزَّ مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مُنْعَتِهَا ظُلْمًا وَفَرَّقَ مِنِّي الْأَهْلَ وَالْوَالِدَ
فَأَطْرَقَ الْمَأْمُونُ حِينًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَقَالَ:
مِنْ دُونِ مَا قُلْتِ عَيْلَ الصَّبْرِ وَالْجَلْدِ
وَاقْرَعِ الْقَلْبَ هَذَا الْحُزْنَ وَالْكَمْدُ
هَذَا إِذَا نُ صَلَوَةُ الْعَصْرِ فَانصرفي
وَأَحْضِرِي الْخِصْمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي آعِدُ
فَالْمَجْلِسُ السَّبْتُ أَنْ يُقْضَى الْجُلُوسُ لَنَا
نُنْصِفُكَ مِنْهُ وَالْأَلَمَ الْجُلُوسُ الْأَحَدُ
قَالَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْأَحَدِ جَلَسَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تِلْكَ الْمِرْثَةَ فَقَالَتْ
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فَقَالَ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ أَيْنَ الْخِصْمِ فَقَالَتْ الْوَاقِفُ عَلَى رَأْسِكَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْمَأَتْ إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِهِ، فَقَالَ يَا أَحْمَدُ ابْنُ أَبِي خَالِدٍ خُذْ بِيَدِهِ
فَأَجْلِسْهُ مَعَهَا مَجْلِسَ الْخُصُومِ فَجَعَلَ كَلَامَهَا يَعْطُونَ كَلَامَ الْعَبَّاسِ فَقَالَ لَهَا أَحْمَدُ
بْنُ أَبِي خَالِدٍ يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّكَ تَكَلِّمِينَ الْأَمِيرَ
فَأَخْفِضِي مِنْ صَوْتِكَ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ دَعِهَا يَا أَحْمَدُ فَإِنَّ الْحَقَّ انْطَقَ بِهَا، وَالْبَاطِلُ
أَخْرَسَهُ ثُمَّ قَضَى لَهَا بَرْدًا ضَيَعَتْهَا إِلَيْهَا وَظَلَمَ الْعَبَّاسُ بِظُلْمِهِ لَهَا إِلَى الْعَامِلِ الَّذِي
بِبِلْدِهَا أَنْ يُؤْغِرَ لَهَا ضَيَعَتْهَا وَيَحْنُ مَعَاوَنَتِهَا وَأَمَرَ لَهَا بِنَفَقَةٍ.

وَلِذَلِكَ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى الْخِرَاجِ عَمُودَ الْمُلْكِ وَمَا اسْتَعَزَّزَ بِمِثْلِ الْعَدْلِ
وَمَا اسْتَنْزَرَ بِمِثْلِ الظُّلْمِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَالَتْ
الْحِكَمَاءُ النَّاسُ تَبِعُوا لِأَمَامِهِمْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

وَاطَّلَعَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ عَلَى ضَيَعَتِهِ لَهُ بِالْغَوْطَةِ فَاذْكُرَ شَيْئًا فَقَالَ لِيُوكِيلِهِ
وَيَحْكُ إِنِّي لَا ظُنُّكَ تَخَوَّنِي قَالَ أَفْتَضُنُّ وَلَا تَسْتَيْقِنُهُ قَالَ، وَتَفَعَّلَهُ قَالَ نَعَمْ وَاللَّهِ
إِنِّي لِأَخُونِكَ وَإِنَّكَ لِتَخُونُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيَخُونُ اللَّهُ شَرَّ
الثَّلَاثَةِ وَالْأَخْبَارُ وَالْآثَارُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ.

واما امير المؤمنين عليه السلام فلا يقاس به أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله
فانه صلوات الله كان هيكل التوحيد ومجسمة العدل وترجمان العلم والزهد
وميزان السخاوة والشجاعة والانسانية فهو عليه السلام كما قال الشاعر

فَتَى زَادَهُ عِزَّ الْمَهَابَةِ ذَلَّةً فَكَلَّ عَزِيزٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعُ
وقال ابو العتاهية:

يَا مَنْ تَشَرَّفَ بِالْدُنْيَا وَطَيَّبَتْهَا لَيْسَ التَّشْرِيفُ رَفَعَ الطَّيِّبِ بِالطَّيِّبِ
اِذَا ارْتَدَّتْ شَرِيفَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَاَنْظُرِ إِلَى مَلِكٍ فِي زِيٍّ مَسْكِينِ
ذَاكَ الَّذِي عَظُمَتْ فِي اللَّهِ نِعْمَتُهُ وَذَاكَ يَصْلِحُ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ
وقال آخر:

لَهُ لِحَظَاتٌ عَنْ حَفَا فِي سَرِيرِهِ اِذَا اكْرَهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ
كَرِيمٌ لَهُ وَجْهَانُ وَجْهٌ لَدَى الرَّضَا اَسِيْلٌ وَوَجْهٌ فِي الْكَرْبِيهَةِ بَاسِلُ
فَأَمُّ الَّذِي آمَنَتْ آمَنَةُ الرَّدَى وَأُمُّ الَّذِي اَوْعَدَتْ بِالثَّكْلِ ثَاكِلُ
وَلَيْسَ بِمُعْطَى الْعَفْوِ مِنْ غَيْرِ قُدْرَةٍ وَيَعْفُوا اِذَا مَا مَكَّنْتَهُ الْمُقَاتِلِ
وقال آخر:

تَسْمُوا الْعُيُونَ إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ مُعْطَى الْمُهَابَةِ نَافِعٌ ضَرَّارُ
وَنَرَى عَلَيْهِ إِذَا الْعُيُونَ لَمَحْنَةٍ سَيِّمًا الْحَلِيمِ وَهَيِّبَةَ الْجَبَّارِ

□ قوله عليه السلام: رَضِينَا عَنِ الْحَقِّ قَضَائِهِ وَسَلَّمْنَا لِهَذَا أَمْرِهِ...

ثم انه عليه السلام عقب الكلام بذكر امرين احدهما الرضا به و ثانيهما الأمر والتسليم
اليه وفيه اشعار بان الحكومة والخلافة لا بد من رجوعها الى رضى الحق
والتسليم اليه والا فهي بدعة فان كل شيء يرجع الى اصله واصل الحكومة
والولاية له تعالى.

وايضا: في كلامه عليه السلام اشعار بان المؤمن لا بد له من الرضا بقضائه تعالى
والتسليم لأوامره ونواهيهِ وبالجملة تفويض الأمر اليه وحيث ان هذا الكلام من
المشكلات وهو مع هذا اشارة الى نهاية سير العارف السالك في السلوك اليه

تعالى فلا بدّ لنا من البحث فيه على طريق الأجمال وحلّ معضلاته لتقريب الأفهام ويقع البحث فيه من جهات.

الجهة الأولى: فى الفرق بين القضاء والأمر، والثانية: فى الفرق بين الرضا والتسليم، الثالثة: فى علة تعلق الرضا بالقضاء والتسليم بالأمر، الرابعة: فى الآثار المترتبة على الرضا والتسليم بحسب الشرع.

أما البحث فى الجهة الأولى:

اعلم: أنّ القضاء على ما عرفوه فى الفلسفة عبارة عن العلم الكلى المحيط الذى بعد مرتبته الذات وهو على ضربين: اجمالى، وتفصيلى، أما الأجمالى فهو الصورة القائمة بالقلم اعنى العقل الأول بل مجموع العقول الطولية لأن الترتيب يؤدى الى الوحدة.

والتفصيلى على ضربين: أولى، وهو الصورة القائمة بالمعقول التفصيلية اعنى الطبقة المتكافئة، وثانوى وهو الصورة الفائضة على النفوس الكلية من جهتها العقلية المسماة بالروح المحفوظ وبأمر الكتاب والقضاء المطلق أيضاً يقال له أم الكتاب وقال صد المتألهين فى الأسفار.

وأما القضاء فهى عند هم عبارة عن وجود الصور العقلية لجميع الموجودات فائضة عنه تعالى على سبيل الأبداع دفعةً بلا زمان لكونها عندهم من جملة العالم ومن افعال الله المبائنة ذواتها لذاته، وعندنا صورٌ علمية لازمة لذاته بلا جعلٍ وتأثيرٍ وتأثرٍ وليست من اجزاء العالم اذ ليست لها حيئية عديمة ولا امكانات واقعية فالقضاء الربانية وهى صورة علم الله قديمة بالذات باقية ببقاء الله انتهى.

وقال الفيلسوف المحدث الفيض القاشانى فى كتابه المسمى بعلم اليقين فى تعريف القضاء ما هذا اللفظ:

اعلم: أنّ صور جميع ما اوجد الله سبحانه من ابتداء العالم الى آخره منتقشة فى العالم العقلى اى الخلق الأول نقشاً لا يشاهد بهذا العين بل حاصلة فيه على

وجه بسيطٍ عقليٍّ مقدّسٍ عن شائبة كثرةٍ وتفصيلٍ وهو صورة القضاء الألهي وكأنه أشير إليه بقوله عزّ وجلّ وان من شيءٍ إلا عندنا خزائنه وكلام مولانا زين العابدين عليه السلام أنّ في العرش تمثال جميع ما خلق الله وهو بهذا الاعتبار يُسمى بأم الكتاب كما قال سبحانه وأنه في أم الكتاب لدينا لعليٍّ حكيمٌ انتهى.

وأما الأمر فهو أيضاً على ضربين تشريعيٍّ، وتكوينيٍّ، أما الأمر التشريعي فلا كلام لنا فيه فعلاً وأما هو عبارة عن إنزال الكتب السماوية فالأنزال هو الأمر التشريعي التدويني قال الله تعالى: ﴿شَرَعْنَا لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّيْنَا بِهِ نُوْحًا﴾^(١) وأما التكويني، فهو على ضربين: أعلى وأوسط فالأعلى منه هو عالم القضاء الحتمي وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وأوسط وهو عالم القدر إنا كل شيءٍ خلقناه بقدرٍ وكلها من ضروب الكلام هذا بحسب الأجمال.

وان شئت قلت كلام الحق على ثلاثة أضرب، أعلى، وأوسط، وأدنى. فاعلى الكلام ما يكون عين الكلام مقصوداً أولاً بالذات ولا يكون بعده مقصود اشرف وأهم منه لكونه غاية لما بعده وهذا مثل إبداعه تعالى عالم أمره بكلمة (كن) لاغير اذ ليس الغرض من انشائها منه تعالى سوى امر الله وهذا هو الذي قال ارسطو في كتابه المُسمّى باثولوجيا، على ما نقل عنه أنّ ما هو ولم هو في المفارقات شيء واحد.

وأوسط الكلام ما يكون لعين الكلام مقصوداً آخر غيره على وجه الترتب واللزوم من غير جواز الأنفكاك بحسب الواقع كأمره تعالى للملائكة السماوية والمدبرات العلوية الفلكية بما أوجب الله عليهم ان يفعلوا من التدبيرات والتحرّيكات والأشواق والعبادات والنسك الالهية لغايات اخرى عقلية فلا جرم، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وفي «ما يؤمرون» حيث لم يقل (بما يؤمرون) إشارة لطيفة فتأمل.

وأدناه ما يكون لعين الكلام مقصوداً آخر ولكن لأعلى سبيل اللزوم وعدم

جواز الأنفكاك بل قد يتخلف عنه وقد لا يتخلف ثم فيما لا يتخلف أيضاً إمكان التخلف والتعصّي ان لم يكن هناك عاصم عن الخطاء والعصيان وهذا كأوامر الله وخطاباته للمكلفين من الجنّ والأنس بسبب ارسال الرّسل وانزال المَلَك ففي هذا القسم من الكلام وهو الأمر بالواسطة يحتمل الطاعة والعصيان فمنهم من اطاع ومنهم من عصى وأما الأمر مع عدم الواسطة او بواسطه امرٍ آخر فلا سبيل إلا الطاعة.

فاعلى ضروب الكلام هو الأمر الأبداعي كما قال تعالى: «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَفِجٍ بِالْبَصْرِ»^(١) وهو عالم القضاء الحتمي وقضى ربك إلا تعبدوا إلا إياه، والأوسط هو الأمر التكويني وهو عالم القدر كما قال أنا كل شيءٍ خلقناه بقدر والأنزل هو الأمر التشريعي التدويني، شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً هكذا حققه في الأسفار والله أعلم بحقائق الأمور.

فثبت وتحقّق ممّا ذكرناه أنّ القضاء في الحقيقة قسمٌ من الأمر او شأن من شئونه ولا فرق بينهما إلا بالأعتبار العقلي كما عرفت كما أنّ القدر أيضاً قسمٌ من القضاء فإنّه عبارة عن القضاء الغير الحتمي.

أما البحث في الجهة الثانية: اعنى الفرق بين الرضا والتسليم فنقول إنّ الرضا قيل في تعريفه هو ترك الاعتراض والسخط ظاهراً وباطناً قولاً وفعلاً وعليه فهو ضدّ السخط ومن ثمرات المحبة ولو ازمها اذ المحب يستحسن كلما يصدر عن محبوبه ويستوى عنده الفقر والغنى والراحة والعناء والبقاء والفناء والعزّ والذلّ والصحة والمرض ولا يثقل شيء منها على طبعه اذ يرى صدور الكل منه سبحانه وتعالى كيف وهو قد رسخ حبه في قلبه بحيث يحب افعاله ويرجع على مراده تعالى فيرضى لكل ما يكون، وما يرد. قيل: لبعض اصحاب الرضا ما وجدت من آثار الرضا في نفسك فقال ما في رايحة من الرضا ومع ذلك لوجعني الله جسراً على جهنم وعبر عليه الاؤلون

والآخرون من الخلائق ودخلوا الجنة ثم يلقونى فى النار وملاء بى جهنم لأحببت ذلك من حكمه ورضيتُ به من قسمة ولم يختلج ببالى أنه لم كان كذا وليت لم يكن كذا ولم هذ أحظى وذاك حظهم.

وصاحب الرضا أبداً فى روح وراحةٍ وشروورٍ وبهجةٍ لأنه يشاهد كل شىء بعين الرضا وينظر فى كل شىء إلى نور الرحمة الألهية وسر الحكمة الأزلية فكان كل شىء حصل على وفق مراده وهواه ففائدة الرضا عاجلاً فراغ القلب للعبادة والراحة من الهموم، وأجلاً رضوان الله والنجاة من غضبه ولنشر الى بعض ماورد فى فضيلة الرضا ثم نتبعه بالبحث فى التسليم قد عرفت ممّا ذكرناه أنّ الرضا افضل مقامات الدين وأشرف منازل المقربين وهو باب الله الأعظم ومن دخله دخل الجنة قال سبحانه رضى الله عنهم ورضوا عنه والأخبار الآثار فى مدحه وفضله اكثر من ان تحصى.

فمنها ما عن النبى ﷺ انه سأل طائفة من اصحابه فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصير على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال ﷺ مؤمنون ورب الكعبة، انتهى وفى آخر حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا انبياء...

ومنها ما عنه ﷺ انه قال اذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباها فان رضى اصطفاه انتهى...

ومنها ما عنه ﷺ أعطوا الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقرم انتهى... ومنها ما عنه ﷺ ايضاً قال اذا كان يوم القيمة انبت الله تعالى لطائفة من أمتى اجنحةً فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرعون فيها ويتنعمون فيها كيف شاؤوا فنقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حساباً فنقول لهم هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطاً فنقول هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئاً فنقول الملائكة من أمة من أمة من أمة من أمة

محمد ﷺ

فتقول ناشدناكم الله حذثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته فتقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحي ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة بحق لكم انتهى...

ومنها ما عن الصادق عليه السلام انه قال ان الله تعالى بعذله وحكمته وعلمه جعل الروح والفرج في اليقين والرضا عن الله تعالى وجعل الهم والحزن في الشك والسخط انتهى. وقال موسى عليه السلام يا رب دُلني على امر فيه رضاك فقال تعالى ان رضاي في رضاك بقضائي انتهى...

ومنها ما عن زين العابدين عليه السلام انه قال الصبر والرضا رأس طاعة الله ومن صبر ورضى عن الله فيما قضى عليه فيما أحب أو كره لم يقض الله عز وجل له فيما أحب أو كره الا ما هو خير له انتهى...

ومنها ما عنه ايضا قال الزهد عشرة اجزاء اعلى درجة الزهد ادنى درجة الورع واعلى درجة الورع ادنى درجة اليقين واعلى درجة اليقين ادنى درجة الرضا، انتهى...

ومنها ما عن الصادق عليه السلام قال اعلم الناس بالله ارضاهم بقضاء الله انتهى وقال عليه السلام ايضا قال الله عز وجل عبدى المؤمن لا اصرفه فى شىء الا جعلته خيراً له فليرض بقضائى، وليصبر على بلائى، وليشكر نعمائى اكتبه يا محمد من الصديقين عندى، انتهى...

واما التسليم ويسمى تفويضاً ايضاً فهو قريب من الرضا وهو فوق الرضا لانه عبارة عن ترك الاعراض فى الامور الواردة عليه وحوالتها بأسرها الى الله مع قطع تعلقه عنها بالكلية بمعنى ان لا يكون طبعه متعلقاً بشىء منها فهو فوق الرضا اذ فى مرتبة الرضا كلما يفعل الله به يوافق طبعه فالطبع ملحوظ ومنظور فيه وفى مرتبة التسليم يجعل الطبع وموافقته ومخالفته كلها موكولة الى الله سبحانه وفوق مرتبة التوكل ايضاً اذا التوكل عبارة عن الاعتماد فى اموره على

الله فهو بمنزلة توكليل الله في اموره وكأنه يجعل الله تعالى بمثابة وكيله فيكون
تعلقه باموره باقياً وفي مرتبة التسليم يقطع العلاقة من الأمور المتعلقة به
بالكلية والذي قلنا في الرضا والتسليم مع الأخبار المذكورة نقلناه عن جامع
السعادات للترقي ج ٣، ص ٢١٠ و ٢١١.

ثم انه لا بأس بالأشارة الى تعريف الرضا والتسليم في الفلسفة تكميلاً
للبحث وتنويراً للقلب فنقول:

قالوا الرضا هو البهجة والشورر بما قضى الله له او عليه كما قال الشيخ في
الأشارات العارف هسُّ هسُّ يبجل الصغير من تواضعه كما يبجل الكبير،
وينبسط من الخامل مثل ما ينبسط من النبيه وكيف لا يهش وهو فرحان بالحق
وبكل شيء فإنه يرى فيه الحق الخ.

واليه اشار السبزواري (قده) حيث قال:

وَذُو الرِّضَا بِمَا قَضَى مَا اعْتَرَضَا	وَبَهْجَةً بِمَا قَضَى اللَّهُ رِضَا
وَحَازِنِ الْجَنَّةِ رِضْوَانًا دُعَى	أَعْظَمَ بَابِ اللَّهِ فِي الرِّضَا وَقَى
وَذَانِ سَيَانٍ لِصَاحِبِ الرِّضَا	فَقَرَأَ عَلَى الْغِنَا صَبُورًا إِرْتِضَا
إِنْ لَمْ يَقُلْ رَأْسًا الْأَشْيَاءِ كَائِيَةً	عَنْ عَارِفٍ عَمَّرَ سَبْعِينَ سَنَةً
مِمَّا هُوَ الْمَرْغُوبُ لَيْتَهُ وَقَعَ	يَا لَيْتَ لَمْ تَقَعَ وَلَا لَمَّا ارْتَفَعَ

وقالوا في تعريف التسليم هو عبارة عن ارجاع الأمور من الذوات،
والصفات والأفعال الى الله تعالى لأنه المالك الحقيقي كما قال لمن الملك
اليوم، لله الواحد القهار والى هذا التعريف اشار في المنظومة وقال رحمته:

يَمْلِكُ كُلاًَّ سَمَّ بِالتَّسْلِيمِ	إِرْجَاعُ مَا لَنَا إِلَى قَدِيمِ
مَحِيضُهُ فِي النَّارِ يُدْعَى مَالِكاً	مَنْ فِي الْأَنَانِيَةِ صَارَ هَالِكاً
إِذْ حَيْثُمَا الرَّبُّ وَكَيْلاً جَعَلَا	وَهُوَ عِلَا الرِّضَا وَالتَّوَكُّلَا
وَلَيْسَ يَخْلُوا ذَاكَ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ	فَمُتَوَكَّلْ تَعَلَّقاً صَحِيبِ
يَفْعَلُ حَقَّ طَبْعِهِ قَدْ لَا يَمَا	دُونَ مُسَلِّمٍ وَرَاضٍ كُلاًَّ

وَهِيَئُهَا الطَّبِيعُ وَمَالُهُ فَقَدْ كَلَّ الْأَمَانَاتُ لِأَهْلِهَا تُرْدَ
 وَأَمَّا الْبَحْثُ فِي الْجَهَّةِ الثَّلَاثَةِ: فِي عِلَّةِ تَعَلُّقِ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالتَّسْلِيمِ بِالْأَمْرِ.
 اعْلِمُ: اِيْدَكَ اللهُ تَعَالَى أَنَا قَدْ قَلْنَا أَنَّ الْقَضَاءَ مِنْ مَرَاتِبِ الْأَمْرِ فِي الْحَقِيقَةِ
 لَيْسَ الْقَضَاءُ شَيْءٌ بِرَأْسِهِ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْأَمْرِ وَعَلَيْهِ فَالْأَمْرُ هُوَ الْأَصْلُ
 وَالْقَضَاءُ هُوَ الْفَرْعُ عَلَيْهِ وَقَدْ مَرَّ أَيْضًا أَنَّ مَقَامَ التَّسْلِيمِ أَعْظَمُ وَأَفْضَلُ وَأَشْمَخُ عَنِ
 مَقَامِ الرِّضَا فَإِنَّ التَّسْلِيمَ عِبَارَةٌ عَنِ ارْجَاعِ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ بِحَيْثُ لَا يَبْقَى مِنْهَا
 شَيْءٌ وَقَدْ ثَبَّتَ وَتَحَقَّقَ فِي مَوْضِعِهِ أَنَّ أَمْرَ اللهِ تَعَالَى لَيْسَ إِلَّا كَلَامُهُ فَإِنَّ كَلَامَهُ
 جَلَّ اسْمُهُ هُوَ أَمْرُهُ بِلَا فَرْقٍ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْإِعْتِبَارِ وَلَيْسَ الْمَقَامُ مَوْضِعَ بَحْثِهِ.

أِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَتَقُولُ نَسَبَ ﷺ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ الْأَعْمَمِ مِنَ الْحَتْمِيِّ وَغَيْرِهِ
 إِشْعَارًا بِأَنَّ الْمُؤْمِنَ الرَّاضِيَ لَا يَدُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ خَاضِعًا خَاشِعًا بَلْ مُبْتَهَجًا
 مَسْرُورًا بِمَا حَكَّمَ اللهُ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ فَالرِّضَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِي جَنْبِ الْمُقَدَّرَاتِ الْإِلَهِيَّةِ.
 وَأَمَّا التَّسْلِيمُ فَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ مَقَامُ الْفَنَاءِ أَيْ فَنَاءِ الذَّاتِ
 وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَلَيْسَ فِي هَذَا الْمَقَامِ حُكْمٌ أَوْ
 شَيْءٌ آخَرَ كَمَا فِي الْقَضَاءِ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ مَقَامَ الرِّضَا مَقَامَ الْأَثْبَاتِ وَأَظْهَرَ
 الْحَيَاةِ وَمَقَامَ التَّسْلِيمِ مَقَامُ الْفَنَاءِ وَأَنْدَكَ الْأَثْبَاتِ وَبَيْنَ الْمَقَامَيْنِ بَوْنٌ بَعِيدٌ وَلَا
 مَعْنَى لِلْفَنَاءِ بِالنُّسْبَةِ إِلَى الْحُكْمِ فَإِنَّ الْحُكْمَ فِي حَدِّ نَفْسِهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَأَمَّا
 إِعْتِبَارُهُ بِإِعْتِبَارِ الْحَاكِمِ فَالتَّسْلِيمُ أَفْضَلُ مِنَ الرِّضَا كَمَا أَنَّ الْأَمْرَ اشْتَرَفَ وَأَفْضَلَ
 مِنَ الْقَضَاءِ وَلِذَلِكَ نَسَبَ الرِّضَا إِلَيْهِ وَالتَّسْلِيمَ إِلَى الْأَمْرِ وَإِلَيْهِ إِشَارَ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا
 الْحُسَيْنِ ﷺ فِي مَنَاجَاتِهِ حِينَ وَفَاتِهِ، أَلْهَى رَضِيَّ بِقَضَائِكَ وَتَسْلِيمًا لِأَمْرِكَ
 لِأَمْعُودِ سِوَاكَ يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ صَدَقَ وَلِيُّ اللهِ ﷺ.

بَابُهُ اقْتَدَى عُذِيَّ فِي الْكِرْمِ وَمَنْ يَشَابُهُ أَبَهُ فَمَا ظَلَمَ
 وَأَمَّا الْبَحْثُ فِي الْجَهَّةِ الرَّابِعَةِ: أَعْنَى الْأَثَارِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَيْهِمَا شَرَعًا فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ فَقَدْ ذَكَرْنَا شَطْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي الْمَقَامِ وَتَرَكْنَا الْأَكْثَرَ مَخَافَةَ
 الْأَطْنَابِ وَمَنْ شَاءَ التَّفْصِيلَ فَعَلَيْهِ بِمِرَاجِعَةِ الْبَحَارِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ

وَنَظَرُنْ أَنْ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ كِفَايَةٌ لِأَنَّ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمَ مِنَ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي قَلَّمَا يَتَّفَقُ مَنْ يَتَّصِفُ بِهِمَا وَكَفَى فِي شَأْنِهِمَا وَفَضْلِهِمَا أَنَّهُمَا مِنْ أَوْصَافِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

ثُمَّ أَنْ فِيمَا ذَكَرَهُ عليه السلام إِشَارَةٌ إِلَى نَكْتَةٍ دَقِيقَةٍ وَجَوْهَرَةٍ ثَمِينَةٍ قِيمَةٍ وَهِيَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ رَاضِيًا بِقَضَائِهِ تَعَالَى فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ حَالَاتٍ سِوَاهُ كَانَ فِي عُسْرٍ أَوْ يُسْرٍ أَوْ فَقْرٍ أَوْ غِنَى أَوْ صِحَّةٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ ذُلٍّ أَوْ عِزٍّ فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِهِ إِذَا لَمْ يُوَثَّرْ فِي الْوُجُودِ إِلَّا هُوَ وَلَا مَلْجَأَ وَلَا مَلْأَذَ إِلَّا فِي التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَتَفْوِضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ.

وَإِذَا وَصَلَ الْعَبْدُ فِي سُلُوكِهِ إِلَى اللَّهِ هَذَا الْمَقَامَ وَعَلِمَ أَنَّ الرِّضَا بِقَضَائِهِ مِنْ أَحْسَنِ الْقُرْبَاتِ وَأَفْضَلِ الطَّاعَاتِ إِلَى جَنَابِهِ فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَالِمٌ بِالْحَقَائِقِ بَصِيرٌ بِالظُّوَاهِرِ وَالسَّرَائِرِ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يَرِيدُ وَمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ فَاعِلٌ بِالْعِنَايَةِ حَكِيمٌ بِالْبِدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ فَكُلُّ مَا يُقَدَّرُ أَوْ يَفْعَلُ بِالْعَبْدِ عَيْنُ صِلَاحِهِ وَنِظَامِهِ وَإِنْ كَانَ الْعَبْدُ جَاهِلًا بِالْمَصَالِحِ وَالْعِنَايَاتِ الرَّبَّانِيَةِ فَرُبَّمَا يَتَخَيَّلُ أَوْ يَظُنُّ أَنَّ صِلَاحَهُ فِي الْغِنَى وَالثَّرْوَةِ دُونَ الْفَقْرِ وَالْمَسْكِنَةِ أَوْ فِي الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ دُونَ الْمَرَضِ أَوْ فِي الْعِزِّ وَالشُّوْكَةِ دُونَ الذُّلِّ وَالْحِقَارَةِ مَعَ أَنَّ الْأَمْرَ فِي الْوَاقِعِ لَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الْفَقْرُ أَوْ الْمَرَضُ أَوْ عَدَمُ الْعِزَّةِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ بِصِلَاحِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ وَهُوَ تَعَالَى يَعْلَمُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(١) فَالْعَقْلُ السَّلِيمُ عَنِ شَوَائِبِ الْأَوْهَامِ وَالْإِيمَانُ الصَّحِيحُ يَقْتَضِيَانِ بِكَوْنِهِ رَاضِيًا بِقَضَائِهِ مُوَافِقًا لِمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ بِمَشِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ مُجْتَنِبًا عَنِ التَّأَلُّمِ وَالتَّحَسُّرِ عَمَّا فَاتَهُ أَوْ لَمْ يَأْتِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْحَادِثَةِ الْفَائِئَةِ السَّرِيعَةِ الرَّوَالِ فَإِنَّ مَا عِنْدَكُمْ يَنْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَالْعَاقِلُ لَا يُرْجِحُ الْفَائِئَةَ عَلَى الْبَاقِي، وَالدَّائِمُ عَلَى الزَّائِلِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الرِّضَا بِقَضَائِهِ عَلَى سَبِيلِ الْجَمَالِ.

ثم بعد الوصول الى هذا المقام الذي نُعبر عنه بمقام الأطمينان والسكون للعارف السالك تصل النوبة الى توجُّهه الى المعبود بجميع ذاته وافعاله وصفاته وأنحاء الذات في الذات والصفات والأفعال في الصفات والأفعال بمعنى أنه لا يرى لنفسه وجميع شئونها الذاتية والصفاتية، والأفعالية شيئاً إلا التعلُّق بجنابه تعالى ولا يمكن البلوغ الى هذه المراتبة العالية إلا عند التوجُّه بأن جميع الأفعال والآثار والصفات الصادرة منه من شئون النفس وهي لا تكون إلا رَشْحاً من رَشْحَات فيض العِلَّة وقطرة من قطرات بحر وجوده وصفاته التي هي عين الذات مصداقاً وغيرها مفهوماً فلا وجود لها إلا بوجوده تعالى بل وجودها بالنسبة الى وجوده ليس إلا محض الربط والتعلُّق كما هو شأن الوجود الأمكاني الظلي المُستعار.

ألم تر الى ربك كيف مدد الظل ولو شاء لجعله ساكناً. الفرقان ٤٥.
فالنفس مدبرة للبدن وما يتعلَّق به كما ان الله تعالى مدبر للعالم وما يتعلَّق به ففي الحقيقة ليس في الدار غيره ديار.

وعليه فينبغي للسالك العارف ان لا يرى ذاته وصفاته وافعاله إلا في ذاته وصفاته وافعاله، ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وهذا هو معنى تسليم الأمر اليه وفيه بحث لا يسعه المقام، والحمد لله على كل حال.
□ قوله ﷺ: أتراني أكذب على رسول الله والله لأننا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه...

والهمزة في قوله ﷺ: (أتراني) للأستفهام الأنكاري والتقدير (لاتراني) وفي هذا الكلام بحثان.

احدهما قوله ﷺ: أتراني أكذب على رسول الله وفيه اشارة الى عدم نسبة الكذب الى رسول الله وذلك لأن نسبة الكذب اليه ﷺ نسبة الكذب الى الله ومن يكذب على الله فهو كافر فكذلك الأمر بالقياس اليه ﷺ ومفهوم العبارة يدل على كونه اعنى امير المؤمنين ﷺ صادقاً في اقواله وَاخْبَارِهِ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

فإن إنكار الكذب عليه ﷺ اثبات الصدق فيما أخبر عنه ﷺ ويلزم أن يكون ﷺ مفترض الطاعة فإن المفروض أن ما أخبر به ﷺ بعينه ما أخبر به الرسول ولا شك أن قول الرسول صدقٌ وحقٌ لا يجوز لأحدٍ مخالفته فكذلك الأمر بالنسبة إليه ﷺ وهو المطلوب.

ثم إن في هذا الكلام تعريضٌ على غيره من الخلفاء حيث أنهم لم يُبالوا في أن يكذبوا على رسول الله ﷺ وحديث نحنُ معاصر الأنبياء لأنورث ما تركناه صدقة، أقوى شاهدٍ على المدعى وقد قال رسول الله ﷺ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ وامثال ذلك كثيرة كحديث تحريم النبي المتعة في الحج وغيره، وقد سبق الكلام فيها مفصلاً وقد أثبتنا أنه من المبدعات في عهد عمر ابن الخطاب.

وكقول سمرة ابن جندب بأمر معاوية ابن ابي سفيان في تفسير الآية الشريفة: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ»^(١) الآية حيث قال أتى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول هذه الآية نزلت في مدح عبد الرحمن ابن ملجم قاتل عليّ ابن ابيطالب.

وكقول معاوية في زياد والحاقة بابي سفيان وقد قال رسول الله الولد للفراش وللغاهر الحجر واما معاوية فقد قلب الحكم وقال الولد للغاهر وللغراش الحجر ونسبه الى الرسول ﷺ وامثال ذلك كثيرة الا ترى ان بني أمية وعلماءهم قد نقلوا عن النبي ﷺ أنه قال من تولّى أمر امتي ثلاثة ايام فلا تضره المعصية أبداً وان بلغت ما بلغت والمجعولات كثيرة.

وثانيها قوله ﷺ: وَاللَّهِ لَأَنَا أَوْلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوْلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ: اشارة

به ﷺ الى كونه ﷺ اَوْلُ المسلمين والمؤمنين بالله ورسوله من الرجال كما ان خديجة بنت خويلد زوج النبي اولهم من النساء وهذا اي كون عليّ اَوْلُ من

آمن به ﷺ مِمَّا عَلَيْهِ اتَّفَاقُ الْأُمَّةِ أَجْمَالاً وَلَمْ يَخَالَفْ فِيهِ أَحَدٌ مِمَّنْ يُعْتَنَى بِقَوْلِهِ
أَمَّا الْخَاصَّةُ فَمَعْلُومٌ وَأَمَّا الْعَامَّةُ فَايْضاً كَذَلِكَ الْأَمِنْ شَدُّ وَنَدْرٌ مِنْهُمْ وَالْأَجْمَاعُ
مِنْهُمْ عَلَى خِلَافِهِ وَنَحْنُ نَشِيرُ إِلَى اقْوَالِ الطَّرْفَيْنِ بِحَسَبِ الْأَجْمَالِ حَتَّى يَتَّضِحَ
الْحَالُ فَنَقُولُ:

أَمَّا الْخَاصَّةُ: فَقَوْلًا وَاحِدًا اتَّفَقُوا عَلَى كَوْنِهِ ﷺ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ بِلَا
خِلَافٍ بَيْنَهُمْ فِيهِ وَلُنُشِرَ إِلَى بَعْضِ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ تَيْمَنًا وَتَبْرَكَأً بِهِ.

رَوَى فِي الْبِحَارِ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الصَّادِقِ ﷺ قَالَ ﷺ أَوَّلُ جَمَاعَةٍ كَانَتْ إِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يُصَلِّي وَامِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ إِذْ مَرَّ أَبُو طَالِبٍ بِهِ وَجَعَفَرٌ مَعَهُ
فَقَالَ يَا بُنَيَّ صَلِّ جَنَاحَ ابْنِ عَمِّكَ فَلَمَّا أَحْسَسَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ تَقَدَّمَهُمَا وَانصَرَفَ
أَبُو طَالِبٍ مَسْرُورًا «بِحَارِ الْأَنْوَارِ، ج ٩، ص ٣٢٦، ط كَمِيَّانِي...»

وَرَوَى بِإِسْنَادِهِ أَيْضاً عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ أُمَّتِي
عُرِضَ عَلَيَّ فِي الْمِيثَاقِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِي عَلِيٌّ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَنِي حِينَ
بُعِثْتُ وَهُوَ الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ وَالْفَارِقُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ «ص ٣٢٦»...

وَرَوَى بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ عَنْ آبَائِهِ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ كُنْتُ أَوَّلَ
النَّاسِ إِسْلَامًا بُعِثَ ﷺ يَوْمَ الْأَثْنَيْنِ وَصَلَّيْتُ مَعَهُ يَوْمَ الثَّلَاثَةِ وَبَقِيْتُ مَعَهُ
أَصَلَّى سَبْعَ سِنِينَ حَتَّى دَخَلَ نَفْرًا فِي الْأَسْلَامِ «ص ٣٢٦»...

وَرَوَى بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي سَخِيلَةَ إِلَى أَنْ قَالَ قُلْتُ يَا أَبَا ذَرٍّ أَنَّى أَرَى أُمُورًا قَدْ
حَدَّثْتَ وَأَنْتَ خَائِفٌ أَنْ يَكُونَ فِي النَّاسِ اخْتِلَافًا فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فَمَا تَأْمُرُنِي قَالَ
الزَّمِ كِتَابَ اللَّهِ وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ
عَلِيٌّ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِي وَأَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ
وَهُوَ الْفَارُوقُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ «ص ٣٧٧»...

وَرَوَى عَنْهُ أَيْضاً قَالَ خَرَجْنَا مَعَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّحْبَةِ
قُلْتُ إِلَى أَبِي ذَرٍّ وَسَاقَ الْحَدِيثَ نَظِيرَ مَا مَرَّصَ «ص ٣٧٧»...

وَإَيْضاً بِإِسْنَادِهِ عَنْ سَلِيمَانَ قَالَ إِنَّ أَوَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَرُوداً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
أَوَّلُهَا إِسْلَامًا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ «ص ٣٧٧»...

وباسناده عن ابن عباس أنه قال أوّل مَنْ آمَنَ برسول الله مِنَ الرّجالِ عليٌّ
ومن النّساء خديجة رضوان الله عليهم «ص ٣٧٧»...

وايضاً باسناده عن ابن عباس قال قال ابو موسى عليٌّ أوّل مَنْ أسلم «ص
٣٧٧»...

وايضاً باسناده عن ابي ذر وسلمان الفارسي قالَا أَخَذَ رسول الله ﷺ بيدي
عليّ ابن ابيطالب فقال هذا أوّل مَنْ آمَنَ بي وأوّل مَنْ يُصافحني يوم القيامة
وهو الصديق الأكبر وفاروق هذه الامّة ويعسوب المؤمنين «ص ٣٧٧»...

وايضاً باسناده عن ابن عباس قال ستكون فتنة فان ادركها أحدٌ منكم
فَعَلِيهِ بِخَصَلَتَيْنِ كتاب الله وعليّ ابن ابيطالب فانّي سمعتُ رسول الله يقول
وهو آخِذٌ بيد عليّ ابن ابيطالب هذا أوّل مَنْ آمَنَ بي وأوّل مَنْ يُصافحني يوم
القيامة وهو فاروق هذه الامّة يفرق بين الحقّ والباطل وهو يعسوب المؤمنين
والمال يعسوب الظلمة وهو الصديق الأكبر وهو بابي الذي أوتى منه
انتهى «ص ٣٢٧»...

ولمّا كانت الروايات الواردة من طرق الخاصّة في الباب كثيرة والموضوع
مما لم يَخْتَلَفَ فيه أحدٌ من اهل المذهب فلا نُطِيلُ الكلام بذكرها.
وامّا الروايات العامّة فهي ايضاً كثيرة وتُشير الى شَطْرٍ منها:

منها ما رواه الترمذي بسنده عن انس ابن مالك قال بُعثَ النبي ﷺ يوم
الأثنين وصَلَّى عليّ يوم الثلاثاء وهذا حديث غريب «ينابيع المودّة، ص ٥٢»...
منها ابن ماجة القزويني واحمد في مسنده وابو نعيم الحافظ
والتعلبي والحموي اخرجوا جميعاً بأسانيدهم عن عباد ابن عبد الله قال قال
عليّ ﷺ انا عبد الله وأخو رسول الله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي الآ
كذاب ولقد صَلَّيتُ قَبْلَ النَّاسِ سَبْعَ سُنِينَ «ص ٥٣»...

ومنّها ابن المغازلي والحموي اخرجوا بسنديهما عن ابي ايوب
الانصاري قال قال رسول الله ﷺ صَلَّتُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى عَلِيٍّ سَبْعَ سُنِينَ

لأنه لم يكن من الرجال غيره «ص ٥٢»...

قال ايضاً موفق ابن احمد اخرج هذا الحديث بسنده عن عكرمة ابن عباس وايضاً عن انس.

ومنها موفق ابن احمد والحموي اخرجاً بسنديهما عن ابي رافع مولى النبي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ صَلَّيْتُ اَنَا اَوَّلَ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ وَصَلَّتْ خَدِيجَةُ اٰخِرَ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ وَصَلَّى عَلَيَّ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ مِنَ الْاِثْنَيْنِ وَصَلَّيْنَا مُسْتَخْفِيًا قَبْلَ اَنْ يُصَلِّيَ مَعَنَا اَحَدٌ سَبْعَ سُنَيْنٍ وَاَشْهُرَ «ص ٥٢»...

ومنها موفق ابن احمد بسنده عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اَوَّلَ مَنْ اَسْلَمَ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ خَدِيجَةَ عَلِيٌّ اِبْنُ اَبِيطَالِبٍ قَالَ اَنْشَدَ بَعْضُ اَهْلِ الْكُوفَةِ اَيَّامَ صَفِيِّنَ فِي مَدْحِهِ شِعْرًا:

اَنْتَ الْاِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بِطَاعَتِهِ
اَوْضَحْتَ مِنْ دِينِنَا مَا كَانَ مُشْتَبِهًا
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِاَوْلَى النَّاسِ كَلِّهِمْ
وَفِي النَّبِيِّ وَمَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ مَعًا
يَوْمَ النَّشُورِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَانًا
جَزَاكَ رَبُّكَ مِنَّا فِيهِ اِحْسَانًا
بَعْدَ النَّبِيِّ عَلِيِّ الْجَبْرِ، مَوْلَانَا
وَاَوَّلِ النَّاسِ تَصَدِيقًا وَاِيْمَانًا

ومنها عبد الله ابن احمد ابن حنبل بسنده عن مقسم عن ابن عباس قال إِنَّ عَلِيًّا اَوَّلَ مَنْ اَسْلَمَ «ص ٥٢»...

ومنها عبد الله ايضاً بسنده عن الحسن البصري وغيره قال ان علياً اَوَّلَ مَنْ اَسْلَمَ بَعْدَ خَدِيجَةَ «ص ٥٢»...

ومنها عبد الله وموفق ابن احمد بسنده عن زيد ابن ارقم قال اَوَّلَ مَنْ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلِيٌّ «ص ٥٢»...

ومنها عبد الله بسنده عن عبد الله ابن يحيى عن علي كرم الله وجهه قال صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثَ سُنَيْنٍ قَبْلَ اَنْ يُصَلِّيَ مَعَهُ اَحَدٌ «ص ٥٢»...

ومنها عبد الله ايضاً عن جبة العوفي قال عَلَيٌّ اَللّٰهُمَّ اِنِّي لَا اَعْرِفُ اِنْ اَعْبَادًا لَكَ مِنْ هَذِهِ الْاُمَّةِ عَبَدَكَ قَبْلَ نَبِيِّكَ قَالَ ذَاكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَالَ لَقَدْ صَلَّيْتُ قَبْلَ اَنْ يُصَلِّيَ اَحَدٌ «ص ٥٢»...

منها ابن المغازلي بسنده عن مجاهد عن ابن عباس في «وَالسَّابِقُونَ
السَّابِقُونَ»^(١) قال سَبَقَ يُوَسِّعُ ابن نون وَسَبَقَ مؤمن آل فرعون الى موسى
وَسَبَقَ صاحب نيس الى عيسى وَسَبَقَ علي الى محمد ﷺ «ص ٥٢»...

منها ابن المغازلي بسنده عن سلمان قال قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْلُ وُرُوداً
عَلَى الْحَوْضِ وَأَوْلَهُمْ اسلاماً عَلَيَّ ابن ابيطالب «ص ٥٣»...

منها موفق ابن احمد الثعلبي بسنده عن عفيف الكندي قال كنتُ تاجراً
فَقَدِمْتُ مَكَّةَ أَيَّامَ الْحَجِّ فَنَزَلْتُ فِي دَارِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَبَيْنَا أَنَا وَالْعَبَّاسُ
أَن جَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ اسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ وَجَاءَهُ غُلَامٌ فَقَامَ عَنْ يَمِينِهِ وَجَاءَتْ امْرَأَةٌ
فَقَامَتْ خَلْفَهُ فَرَكَعُوا وَسَجَدُوا ثُمَّ رَفَعُوا رِوْءَهُمْ فَقُلْتُ يَا عَبَّاسُ أَمْرٌ عَظِيمٌ
قَالَ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ أَخِي يَقُولُ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَهُ رَسُولاً وَأَنَّ كُنُوزَ كَسْرَى وَقِيصَرَ
سَتَفْتَحُ عَلَيَّ مِنْ أَمْنٍ بِهِ وَهَذَا الْغُلَامُ ابْنُ أَخِي عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَهَذِهِ
زَوْجَتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَإِيضاً هَذَا الْحَدِيثُ أَي حَدِيثُ عَفِيفِ الْكِنْدِيِّ فِي
الْكِتَابِ الْأَصَابَةِ وَذَخَائِرِ الْعُقَبِيِّ مَذْكُورٌ «ص ٥٣»...

منها موفق ابن احمد بسنده عن ابي مُعَمَّرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى عَلِيٍّ سَبْعَ سِنِينَ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ
تُرْفَعْ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا مِنِّي وَمِنْ عَلِيٍّ «ص ٥٣»...

منها موفق ابن احمد بسنده عن ابن مسعود قال شئٌ علمته من امر
النبي ﷺ قَدِمْتُ مَكَّةَ فَنَزَلْتُ دَارَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذَا
قَبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَابِ الصِّفَا وَمَعَهُ مُرَاهِقٌ وَامْرَأَةٌ فَاسْتَلَمَ الْحَجْرَ ثُمَّ اسْتَلَمَهُ
الْغُلَامُ ثُمَّ الْمِرْثَةَ ثُمَّ طَافُوا بِالْبَيْتِ سَبْعاً فَقُلْنَا يَا عَبَّاسُ إِنَّ هَذَا الدِّينَ لَمْ نَعْرِفْهُ
فِيكُمْ قَالَ هَذَا ابْنُ أَخِي مُحَمَّدٍ وَالْغُلَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْمِرْثَةُ زَوْجَتُهُ خَدِيجَةُ
بِنْتُ خُوَيْلِدٍ مَا عَلِيٌّ وَجْهَ الْأَرْضِ أَحَدٌ أَيْعَبُدُ اللَّهُ بِهَذَا الدِّينِ إِلَّا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ «ص
٥٣»...

منها موقوف ابن احمد بسنده عن سلمة ابن كهيل عن حبة العوفى قال سمعتُ علياً رضى الله عنه يقول انا اول من اسلم «ص ٥٣»...

منها موقوف ابن احمد والحمويين بسنديهما عن ابي رافع قال قال النبي ﷺ بُعثت اول يوم الاثنين وصَلتُ خديجة آخر يوم الاثنين وصلى على ﷺ يوم الثلاثاء من الغد وصلوا مُستخفياً قبل الناس سبع سنين واشهر «ص ٥٣»...

منها الحمويين بسنده عن ابي رافع عن ابي ذر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي أنت اول من آمن بى وانت اول من يُصافحنى يوم القيمة وانت الصديق الأكبر وانت الفاروق الذى يفرق بين الحق والباطل وانت يعسوب المسلمين والمال يعسوب الكفار انتهى «ص ٥٤»...

منها وفي المناقب عن ابي الزبير المكي عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما قال كنا عند النبي ﷺ فاقبل علي ﷺ فقال ﷺ قد اتاكم اخي ثم التفت الى الكعبة فمسها بيده ثم قال والذى نفسى بيده ان هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيمة ثم قال ﷺ انه اولكم ايماناً معى واوفاكم بعهد الله واقومكم بأمر الله وأعد لكم فى الرعية واقسمكم بالسوية وأعظمكم عند الله مزية قال فنزلت ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية اذا قيل علي قالوا قد جاء خير البرية «ص ٥٤»...

ومنها وفي المناقب بالأسناد عن ابن الزبير المكي عن جابر ابن عبد الله الانصارى قال: قال رسول الله ﷺ انك الله تبارك وتعالى اصطفاني واختارني وجعلني رسولا وأنزل علي سيد الكُتُب فقلت الهى وسيدى ان ارسلت موسى الى فرعون فسئلك ان تجعل معه اخاه هرون وزيراً يُشدبه عضده ويصدق به قوله واتى أسئلك يا سيدى والهى ان تجعل لى من أهلى وزيراً تُشدبه عضدى فاجعل لى علياً وزيراً واحاً واجعل الشجاعة فى قلبه والبسبه الهيبة على عدوه وهو اول من آمن بى وصدقنى وأول من وحد الله معى واتى سئلتُ ذلك ربى عز وجل فاعطانيه فهو سيد الأوصياء اللُّحوق به

سعادة والموت في طاعته شهادة واسمه في التوراية مقرون الى اسمى
وزوجته الصديقة الكبرى ابنتى وابناه سيّد اشباب اهل الجنة ابنائى وهو
وهما والائمة من بعدهم حجج الله على خلقه بعد النبيين وهم ابواب العلم فى
أمتى من تبعهم نجا من النار ومن اقتدى بهم هدى الى صراط مستقيم لم يهب
الله محبتهم لعبد إلا ادخله الجنة ثم قال قال الحسن ابن على عليه السلام فى خطبة كما
تقدّمت فكان أبى اولهم ايماناً فهو سابق السابقين وفضل الله السابقين على
المتأخرين كذلك فضل سابق السابقين على السابقين «ص ٥٤»...

اقول: والأحاديث المنقولة من طريق العامة كثيرة جداً بحيث ان احصائها
مشكّل لو لم يكن محالاً وما نقلناه فى المقام انما هو منقول عن كتاب ينابيع
المودة من مؤلفات الشيخ سليمان الخنفي النقشبندى وهذا الكتاب من الكتب
المعتبرة عند العامة وقد تلقوه بالقبول بل بأحسن القبول كيف ومؤلفه من
مشاهير العامة واعاظهم هذا كله مع اننا لم ننقل عن الكتاب المذكور كل ما
رواه فى الباب مراعاة للاختصار واذا كان الأمر كذلك فى هذا الكتاب مع كونه
من المختصرات المدونة فى هذا المِضمار فما ظنك بالمطولات فيها ولولا
مخافة الأطناب المُمِل والتطويل المُخِل لَنَقَلْتُ من الروايات الواردة فى
مسانيدهم ولا سيما فى صحاهم السّت ما يُشبعك حقّ الاشباع لكنّه خروج
عن موضوع الكتاب وعدوّ عمّا نحن بصدّه فى كتابنا هذا من شرح كلماته
وبعد التّيا واللّتى لاختلاف عند العامة والخاصّة فى كونه عليه السلام أوّل من اسلم
وآمن بالله ورسوله وهذا من المتواترات بل فوق التواتر ولذلك ترى
الأصحاب فى الصّدر الأوّل كانوا يَضْرِبُونَ به المثل ويُشيرُونَ اليه بالبّنان لكوّن
المَوْضوع عندهم من المُسلّمات.

قال الشّارع القوشجى فى شرحه على التّجريد عند قول المصنّف (قدّه)
(واقدمهم ايماناً، ما هذا الفظه):

يدلّ على ذلك ما روى انّ النّبى عليه السلام قال بعثت يوم الاثنين واسلم علىّ
يوم الثلاثاء ولا اقرب من هذا المدة وقوله عليه السلام أوّلكم اسلاماً علىّ ابن ابى

طالب، وما روى عن عليٍّ أنه كان يقول انا أوّل من صلّى وأوّل من آمن بالله ورسوله ولا يسبقني الى الصلوة إلا نبيّ الله وكان قوله مشهوراً بين الصحابة ولم يُنكر عليه مُنكر فدَلّ على صدقه واذا ثبت أنه أقدم إيماناً من الصحابة كان أفضل منهم لقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١) وروى أنه قال على المنبر بمشهد من الصحابة انا الصديق الأكبر آمنتُ قبل إيمان أبي بكر واسلمتُ قبل ان أسلم ولم يُنكر عليه مُنكر فيكون أفضل من أبي بكر. شرح القوشجى، ص ٤٨٩

وقال ايضاً عند شرحه لقول المصنّف (قدّه) (ولأنّ تفضاء سبق كُفْره) ما هذا لفظه: فأنّه لم يكفّر بالله قطُّ بل هو من حين بلوغه كان مسلماً مؤمناً، بخلاف باقى الصحابة فإنهم كانوا قبل بعثة النبي ﷺ كُفَرًا. شرح القوشجى، ص ٤٩٠. وقد اعترف الشارح المعتزلى فى شرح نهج البلاغة بهذا المعنى وقال ان أكثر اهل الحديث وأكثر المحققين من اهل السيرة رَوَوْا أنه ﷺ أوّل من أسلم ثم نقل كلام أبى عمرو يوسف ابن عبد البر فى كتابه المعروف بالاستيعاب واطنّب الكلام فيه وروى احاديثاً كثيرة عن العامة فى كونه ﷺ أوّل من أسلم ولا حاجة بنا الى ذكرها ومن ارادها فعليه بالشرح المعتزلى ثم قال:

واعلم: انّ شيوخنا المتكلمين لا يكادون يختلفون فى انّ أوّل الناس اسلاماً على ابن ابيطالب إلا من عساه خالف فى ذلك من اوائل البصريين فاما الذى تقررت المقالة عليه الآن فهو القول بانّه سبق الناس الى الأيمان لانكاد نجد اليوم فى تصانيفهم وعند متكلميهم والمُحَقِّقين منهم خلافاً فى ذلك، ثم قال. واعلم: انّ امير المؤمنين مازال يدعى ذلك لنفسه ويفتخر به ويجعله حُجَّةً فى افضليته ويصرّح بذلك وقد قال غير مرّة انا الصديق الأكبر، والفراروق الأوّل اسلمتُ قبل اسلام أبى بكر وصلّيتُ قبل صلوته وروى عنه هذا الكلام بعينه ابو محمد ابن قتيبة فى كتاب المعارف وهو غير مُتَّهم فى أمره انتهى ما قاله فى المقام ثم انّ الشارح بعد ما ذكر بعض الأشعار المروية فى اثبات

المُدْعَى نقل بعض الروايات الدالة على كون ابى بكر او زيد ابن حارثة او بلال
أول من أسلم وقال فى آخر الكلام فدلّ مجموع ما ذكرناه على أنّ علياً أول
الناس اسلاماً وإنّ المخالف فى ذلك شاذّ والشاذ لا يُعتدّ به انتهى كلامه.

وقال المفيد (قدّه) منّا فى الكتاب الفصول اجتمعت الأمة على أنّ امير
المؤمنين عليه السلام أول ذكر اجاب رسول الله ﷺ ولم يختلف فى ذلك أحد من
اهل العلم الخ ثم نقل كثيراً من الروايات الواردة فى الباب بطرق العامة على
اثبات المدعى ويدلّ على اثبات الموضوع مضافاً الى اجماع الامّة وتواتر
الاخبار به كما علمت قول الأصحاب فى صدر الاسلام نظماً ونثراً فيه عليه السلام
بكونه أول من أسلم ونحن نذكر بعضاً منها تكميلاً للبحث فنقول:

منها قول كعب ابن زهير:

صهرُ النبى وخيرُ الناس كُلّهم فكلُّ من رامه بالفخر مَفخوراً

صلى الصلوة مع الأمى أولهم قبل العباد وربُّ الناس مكفوراً

ومنها قول ربيعة ابن الحرث ابن عبد المطلب حيث يقول عند بيعة ابى
بكر:

ما كنتُ أحسبُ هذا الأمر مُنتقلاً

عن هاشمٍ ثمّ منها عن ابى حَسَنِ

اليسَ أولَ من صلّى لِقِبَلَتِهِم

واعلمَ الناسَ بالآثارِ والسُّنَنِ

وأخِرَ الناسَ عهداً بالنبى ومَن

جبريلَ عونٌ له فى الغسلِ والكفَنِ

مَن فيه ما فيهِم لا يمترونُ به

وليسَ فى القومِ ما فيه من الحَسَنِ

ما ذالذى ردّكم عنه فنعلّمه

ها أنّ بيّعتكم من أولِ الفِتنِ

ومنها قول الفضل ابن عتبة ابن أبى فيما ردّبه على الوليد فى مديحه لعثمان

وتحريضه على امير المؤمنين في قضيدته التي يقول في اولهما:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ قَتِيلِ الْيَحْسَبِيِّ الَّذِي جَاءَ مِنْ مِصْرٍ
فَقَالَ الْفَضْلُ فِي جَوَابِهِ:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَخَيْرَتَهُ فِي خَيْبِرٍ وَرَسُولِهِ
وَأَوَّلَ مَنْ صَلَّى وَصِنُو نَبِيِّهِ فَذَاكَ عَلِيُّ الْخَيْرِ مَنْ ذَا يَفُوقُهُ
مَهِيمَتُهُ التَّالِيَهُ فِي الْعُرْفِ وَالنُّكْرِ
نَبِيذُ عُهُودِ الشَّرْكِ فَوْقَ أَبِي بَكْرٍ
وَأَوَّلَ مَنْ أَرَدَى الْغُوَاةَ إِلَى بَدْرِ
أَبُو حَسَنِ خَلْفِ الْقِرَابَةِ وَالصَّهْرِ

ومنها قول عبد الله ابن ابي سفيان ابن الحرث ابن عبد المطلب، حيث يقول.

وَكَانَ وَلِيُّ الْأَمْرِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَصِيُّ رَسُولِ اللَّهِ حَقًّا وَجَارُهُ
عَلِيٌّ وَفِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ صَاحِبُهُ
وَأَوَّلَ مَنْ صَلَّى وَمَنْ لَانَ جَانِبَهُ

ومنها قول النجاشي ابن الحرث ابن كعب حيث يقول:

فَقُلْ لِلْمِضَلِّ مَنْ وَايَلِ جَعَلَتْ ابْنَ هِنْدٍ وَأَشْيَاعَهُ
وَمَنْ جَعَلَ الْغَيْثَ يَوْمًا سَمِينًا نَظِيرَ عَلِيٍّ أَمَا تَسْتَحِينَا
إِلَى أَوَّلِ النَّاسِ بَعْدَ الرَّسُولِ أَجَابَ الرَّسُولُ مِنَ الْعَالَمِينَا

ومنها قول جرير ابن عبد الله البجلي حيث يقول:

فَصَلَّى إِلَاهَ عَلِيٍّ أَحْمَدٍ وَصَلَّى عَلَى الطُّهْرِ مِنْ بَعْدِهِ
رَسُولِ الْمَلِكِ تَمَامُ النِّعَمِ خَلِيفَتُنَا الْقَائِمُ الْمُدْعَمُ
عَلِيًّا عَنِيتُ وَصِيَّ النَّبِيِّ لَهُ الْفَضْلُ وَالسَّبْقُ وَالْمَكْرَمَاتُ
وَبَيْتُ النَّبِوةِ لَا الْمُهْتَضَمُ

ومنها قول عبد الله ابن الحكيم التميمي حيث يقول:

دَعَانَا الزُّبَيْرُ إِلَى بَيْعَةٍ وَطَلْحَةُ مِنْ بَعْدِ مَا انْقَلَا
فَقَلْنَا صَفَقْنَا بِأَيْمَانِنَا فَان شِئْتُمَا فَخُذْ الْأَشْمَلَا
نَكُتُّمُ عَلِيًّا عَلَى بَيْعَةٍ وَأَسْلَامُهُ فَمَيْكُمُ، أَوْلَا

ومنها قول عبد الله ابن جبيل حيث يقول:

لَعَمْرِي لئن بَايَعْتُمْ ذَا حَفِيفَةٍ
 غَفِيفاً عَنِ الْفَحْشَاءِ ابْتِغَاءَ مَا جَدِ
 عَلِيٌّ وَصِيَّ الْمُصْطَفَى وَوَزِيرَهُ
 عَلَى الدِّينِ مَعْرُوفَ الْعِيفِافِ مُوَفَّقاً
 صَدُوقاً وَلِلْجَبَّارِ قِدْماً مُصَدِّقاً
 فَلَيْسَ كَمَنْ فِيهِ لَدَى الْعَيْبِ مَنْطِقاً
 وَأَوَّلَ مَنْ صَلَّى لِذِي الْعَرْشِ وَأَتَقَى

ومنها قول ابي الاسود الدؤلي حيث يقول:

وَأَنَّ عَلِيّاً لَكُمْ مُفَخَّرٌ
 أَمَا إِنَّهُ ثَانِي الْعَابِدِينَ
 يُشَبِّهُهُ بِالْأَسَدِ الْأَسْوَدِ
 بِمَكَّةَ وَاللَّهِ لَمْ يُعْبَدْ

والاشعار في هذا الباب كثيرة وفيما ذكرناه كفاية فثبتت وتحقق ان كونه عليه السلام او من اسلم كان من المسلمات في الصدر الاول ومن راجع التاريخ والسير لا يشك فيه ابدأ والمُنكر مُعاند لا كلام لنا معه ولاجل كون الموضوع مما لا ريب فيه اكد ﷺ كلامه بلام التأكيد في قوله (لأننا) بعدما صدره بالقسم واسم الجلالة وهذا ظاهر.

واما قوله ﷺ: فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ:

ففيه اشارة الى انه ﷺ كان أول القوم اسلاماً واقدمهم ايماناً بالله ورسوله فلا ينبغي له ان يكون اول من كذب على الرسول ﷺ لانه لم يؤمن برسول الله الا قربة الى الله ولم يكن ايمانه به لِحطام الدنيا والأغراض الفاسدة حتى لو لم يصل الى هدفه وغرضه تركه كما هو شأن كثير من المسلمين في صدر الاسلام.

□ قوله ﷺ: فَظَنَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا اطَاعْتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي...

قالوا في شرحه قال ﷺ: فَظَنَرْتُ فِي أَمْرِي، هو الخِلافة، او المقصود حاله ﷺ معهم بعد النبي، فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي، اي وجوب طاعتي لرسول الله ﷺ فيما امرني به من ترك القتال عند عدم الأعوان قد سبق علي بيعتي للقوم فلا سبيل على الامتناع (واذ الميثاق في عنق ليغيري) اي ميثاق الرسول وعهده إلي بترك الشاق والمنازعة فلم يحدلي ان اتعدى امره او

اخالف نهيته انتهى ما ذكره الخوئي (قده) في شرحه على هذا الكلام وكذا قبله من الشراح.

اقول: يمكن ان يراد من كلامه عليه السلام معنى آخر وهو انه عليه السلام اشار به الى سبق طاعته من الله ورسوله قبل وصول الخلافة الظاهرة اليه لقوله عليه السلام انت مني بمنزلة هرون من موسى وامثال ذلك من النصوص المرورية الدالة على امامته وكونه اماماً مفترض الطاعة لا يجوز لاحد مخالفته ولا شك ان الطاعة له عليه السلام بهذا المعنى قد سبقت بيعته بالخلافة بعد عثمان هذا ان اردنا من البيعة الخلافة الظاهرة ومن الأمر ايضا الخلافة وعليه فقوله عليه السلام: وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي، اشارة الى الميثاق الذي كان من الخلفاء الثلاثة في عنقه بحيث لم يمكن له عليه السلام مخالفتهم ظاهراً فيلزم ان يكون الخطبة صادرة عنه عليه السلام بعد تصديده لأمر الخلافة الظاهرة كما هو الظاهر المترئى من كلامه في هذه الخطبة فالمعنى الذي ذكره في المقام لا يساعد زمان صدور الخطبة إلا على القول بالألتفات وهو التوجه من الخطاب الى الغيبة وهو كما ترى.

فالمقصود الأصلي من ايراده عليه السلام لهذا الكلام هو ان الناس كان واجباً عليهم ان يطيعوه لما امرهم الله ورسوله لسبق طاعته على بيعته الظاهرة لأن البيعة في ظاهر الامر آخض من الأطاعة والأنقياد بحسب موازين الشرع لعدم الدليل من العقل والنقل على وجوب اطاعة الحاكم مطلقاً سبقت طاعته بيعته ام لا والله اعلم بحقائق الأمور.

فان قلت - اية فائدة في قوله عليه السلام: فَتَنْظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا اطَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي ...

قلت - فائدته الأشعار بالفرق بين خلافته عليه السلام وخلافة من كان قبله من الخلفاء او من بعده حيث ان طاعتهم لم تسبق بيعتهم بل كان الأمر بالعكس واما هو عليه السلام فطاعته قد سبقت بيعته وبعبارة اخرى امير المؤمنين عليه السلام كان مفترض الطاعة من قبل الله ورسوله ولم تكن طاعته دائرة مدار البيعة الظاهرة بخلاف غيره من الخلفاء حيث ان طاعتهم كانت بالبيعة وان كانت بالقهر

والغلبة فسبقت الطاعة على البيعة يدل على كون الحاكم لائقاً بالخلافة دون عكسه لأنه أدل دليل على عدم اللياقة وأنه لا وجوب لطاعتهم عقلاً وشرعاً إلا تقيّة فقولته عليه السلام «مُشعراً بأنّ الأمام المفترض الطاعة يجب ان تكون بيعته مسبوقه بوجوب الطاعة من الله ورسوله وهو الذي نعبر عنه بالنص الجلى وانّ الأمام لا بد من ان يكون منصوباً من قبل الله ورسوله فلو لم يكن كذلك فلا يجب اطاعته بل تحرّم إلا من باب التقيّة والخوف من النفس واليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١)، لا كل من صار مُسلطاً على الناس بالقهر والغلبة والسيف والسنان من ارباب الظلم والعدوان. ومُحصّل الكلام انّ البيعة لا تكفى في وجوب الأطةاعة والأنقياد عقلاً وشرعاً إلا اذا كانت مسبوقه بوجوب الطاعة لصاحبها من الله ورسوله كما في امير المؤمنين عليه السلام واما مجرد البيعة فوجودها وعدمها على حدسواء.

واما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٢) او وجوب الوفاء بالعهد وامثال ذلك مما يتمسك به احياناً في لزوم الطاعة لمن كان والياً على الناس كما عليه اكثر العامة فلا يمكن الذهاب اليه لان هذه الأدلة ناظرة الى العهود والعقود الاختيارية التي أمضى الشارع صحتها لالعهود القهرية الأضرارية التي لا يمكن لأحد الاعتماد بها والركون اليها الا من اتخذ إلهه هواه وكان بصدد احياء المنكر واماتة المعروف فهذه العهود لا يقال بوجوب الأنقياد لهما اختياراً كيف وهو من مصاديق الأعانة على الظلم بل نفسها وقد قال الله تعالى: ﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٣) وقد لعن الله تعالى الظالمين في موارد كثيرة في كتابه والسنة انبيائه فكيف يمكن القول بوجوب طاعتهم في صورة الاختيار واما علة تقاعده عليه السلام عن القتال بعد النبي صلى الله عليه وآله مع الخلفاء الثلاثة فقد مرّ الكلام فيها مفصلاً ولا نحتاج الى الأعادة.

٢. المائدة-١.

١. النساء-٥٩.

٣. المائدة-٢.

﴿ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (٣٨) ﴾

□ قوله ﷺ: إِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبُهَةُ شُبُهَةً لِأَنَّهَا تُشَبَّهُ الْحَقَّ، فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاءٌ هُمْ الْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى، وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدُعَائُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى، فَمَا يَنْجُوا مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ.

◀ اللّغة

(الضّيَاءُ) ما يُسْتَضَاءُ به في المَحسوسات والمَعقولات. (سَمْتُ الْهُدَى) السَّمْتُ الطَّرِيقُ. (الْعَمَى) عَدَمُ الْبَصَرِ عَمَّا مِنْ شَأْنِهِ ان يكون بصيراً.

◀ المعنى

قال ﷺ في وجه تسمية الشُّبُهَةِ بها لأنها تُشَبَّهُ الْحَقَّ، أي تُشَبَّهُ ظاهراً وأما في الواقع فلا (فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ) الخ قَسَمَ ﷺ النَّاسَ إلى قسمين أحدهما أولياء الله وهم الَّذِينَ ضِيَاءُهُمْ فِي الْمُشْتَبِهَاتِ الْيَقِينُ ودليلهم طريق الهدى وذلك لأن نفوسهم تكون مُشْرِقة بِمَصْبَاحِ النُّبُوَّةِ فِي سُلُوكِ الشَّرِيعَةِ الْقَوِيْمَةِ الْمُسْتَقِيْمَةِ. وأما أعداء الله فعلى خلاف ذلك لكونهم عن الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيْمِ بِمَعزِلٍ فلا جرم ليس دعائهم إلى ما يدعون إليه إلا ضلالاً عن القصد لأن ما يعتمدون عليه ليس دليلاً يعتمد عليه ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نورٍ ثم أشار ﷺ بقوله (فَمَا يَنْجُوا مِنَ الْمَوْتِ) الخ إلى أصليين آخرين وهو أنّ الخوف من الموت

لا ينجو صاحبه منه كما ان حُبَّ البقاء لا يوجب البقاء له.

◀ الشرح

□ قوله عليه السلام: إِنَّمَا سُمِّيَتْ الشُّبْهَةُ لِأَنَّهَا تُشَبَّهُهُ الْحَقُّ...

قال الله تعالى تشابهت قلوبهم، اي اشبه بعضهم بعضاً في الكفر والفسق، و «أَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا»^(١)، اي يشبه بعضها في الجودة والحسن يقال يشبه بعضه بعضاً في الصورة ويختلف في الطعم يقال شُبَّهَتِ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ اقيمت مقامه بصفة جامعة بينهما ومنه المشابهة وهي المشاركة في معنى من المعاني وتكون الصفة ذاتية ومعنوية فالذاتية نحو هذا الدرهم كهذا الدرهم والمعنوية نحو زيد كالأسد وقد تكون مجازاً نحو الغائب كالمعدوم.

واشبهت الامور وتشابهت التبتت ولم تتميز

□ قوله عليه السلام: فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فِضْيَاءُهُمُ الْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى...

وهذا هو القسم الاول من القسمين اللذين مر ذكرهما ووجه الحصر فيهما هو ان الانسان لا يخلو امان ان يكون تابعا للشرع عاملاً باحكامه واما ان لا يكون كذلك ولا ثالث في المقام فعبر عن الاول بالاول وعن الثاني بالثاني، ولكل من الطائفتين دليل يستدل به.

اما الطائفة الاولى اعنى اولياء الله واحبائه فضيائهم في الشبهات اليقين دون الشك والظن وذلك لانها من مراتب ضعف النفس ومن كان من الاولياء لا يكون ضعيف النفس ابداً ودليلهم سمت الهدى دون سمت الضلالة والردى وتحقيق الكلام فيه يستدعى التكلم فيه اجمالاً فنقول:

اعلم: ان النفس الانسانية لكونها امراً ربانياً وجوهراً ملكوتياً فهي بحسب الفطرة سالحة لمعرفة الحقائق ولذا امتازت عن سائر المخلوقات من السموات والارض والجبال وصارت قابلة لحمل امانة الله التي هي المعرفة

والتوحيد فجرمان النفس عن معرفة اعيان الموجودات انما هو لِأجل هذه الموانع اعنى كدورات ظلمة المعاصي والأقتحام في رُسُوم العادات وخبائث الشهوات وغيرها من الخواطر المُشوشة لها وتخليتها عن التعصّب والتقليد وقد اشير الى هذه الموانع في كلمات النبي ﷺ حيث قال ﷺ في عدم جواز التعصّب والتقليد، كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه ويمجسانه ويُنصرانه، وأشار ﷺ الى مانع كدورات المعاصي بقوله ﷺ لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات والارض. فلو ارتفعت عن النفس حُجب السيئات والتعصّب، وحاذت شطرًا لحقّ الأول تجلّت لها صورة عالم الملكوت والشهادة بأسرها اذ هو ممّا يمكن الأحاطة به وصورة عالمي الملكوت والجبروت بقدر ما يتمكن منه بحسب مرتبته لأنها الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المختصة بادراك البصائر وهي غير متناهية وما يلوح منها للنفس متناه ان كانت في نفسها وبالأضافة الى علم الله سبحانه غير متناهية ومجموع تلك العوالم يُسمى بالعالم الربوبي، اذ كل ما في الوجود من البداية الى النهاية منسوب الى الله سبحانه وليس في الوجود سوى الله سبحانه وافعاله وآثاره.

فالعالم الربوبي والحضرة الربوبية هو العالم المحيط بكل الموجودات فعدم تناهيه ظاهرٌ بيّنٌ، ثم بقدر ما يحصل للنفس من التصفية والتزكية وما يتجلّى لها من الحقائق والأسرار ومن عظمة الله ومعرفة صفات جلاله ونعوت جماله تحصل له السعادة والبهجة واللذة والنعمة.

ثم انه لا ريب في ان اليقين الحقيقي النوراني المُبرئ عن ظلمات الأوهام والشكوك لا يحصل من مُجرد الفكر والاستدلال بل يتوقف حصوله على الرياضة والمجاهدة وتصقيل النفس وتصفيتها عن كدورات ذمائم الأخلاق ليحصل لها التجرد التام فتخاذي شطر العقل الفعال فتتضح فيها جليلة الحق حق الاتّضاح.

والسر فيه هو ان النفس بمنزلة المرآة تنعكس فيها صور الموجودات من العقل الفعال ولا ريب في ان انعكاس الصور من ذواتها الى المرآة يتوقف على تمامية شكلها وصقلالة جوهرها وحصول المقابلة وارتفاع الحائل بينهما والظفر بالجهة التي فيها الصور المطلوبة فيجب في انعكاس حقايق الأشياء من العقل الفعال الى النفس تحقق امور:

احدها: عدم نقصان جوهرها فلا يكون كنفس الصبي التي لا تنجلي لها المعلومات لنقصانها.

وثانيها: توجها التام وانصراف فكرها الى المطلوب فلا يكون مستوعب الهم بالأمور الدنيوية وهو بمنزلة المحاذاة.

وثالثها: تخليتها عن التعصب والتقليد وهو بمثابة ارتفاع الحجب ورابعها: استحصال المطلوب من تأليف مقدمات مناسبة للمطلوب على الترتيب المخصوص وهو بمنزلة العثور على الجهة.

فاذا تمت لها هذه المقدمات الخمسة تنكشف لها الحقائق كما هي وتصير عالماً عقلياً يضاهي عالم الجسي كما قال عليه السلام أتزعم انك جرم صغير، وفيك انطوى العالم الأكبر، وقال عليه السلام ليس العلم بكثرة التعليم والتعلم بل هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء ولهذا قلنا ان الشكوك والأوهام الفاسدة من لوازم ضعف النفس ونقصانها.

اذا عرفت هذا فقد علمت ان اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. لعلو رتبتهم وفيخامة شأنهم وكمال نفوسهم ليست لهم وقفة في الأدراكات الى الغايات كيف وهم في مقام العقل بالمستفاد المتجدد بالعقل الفعال الذي فيه صور الأشياء والحقائق كلها بتركهم الشهوات المانعة عن الارتقاء الى درجة الكمال واخذهم الكمالات الموجبة الى الوصول بمراتب القرب الذي هو اعلى المراتب وأسنى المفاخر.

وبعبارة اخرى، النفس الانسانية ترتقى في مقام العقل الهولاني الى العقل

بالمَلَكَة ومنه الى العَقْل بالفعل ومنه الى العَقْل بالمُسْتَفَاد ففي المَرْتَبَة الأولى لا تَعْلَم شيئاً وفي الثَّانِيَة تَعْلَم البَدِيهِيَّات وفي الثَّالِثَة تَعْلَم بعض النُّظَرِيَّات بعد الفِكر والمِرَاجَعَة وفي الرَّابِعَة تَعْلَم الاشياء علماً يقينياً بمعنى انَّ صُور الاشياء حَاضِرَة لَدَيْهِ ولا واسِطَة لَهَا ح مع العَقْل الفَعَال الوَاهِب لِصُور فَالشُّكُوك وَالظَّنُون لَامِحَل لَهَا فِي العَقْل بِالْمُسْتَفَاد، لِانَّ المَفْرُوض كُون صُور الاشياء حَاضِرَة لَدَيْهِ حَيْث اَنَّهُ يَرَاهَا عَلى مَا هِيَ عَلَيْهَا كَمَا اَنَا لِانْشُكَّ فِي المَحْسُوسَات فَالْقَوْل بِوَجُود الشُّكِّ فِيهِ يَسْتَلْزِم الخُلف والى هَذِهِ المَرَاتِب اِشَار السَّبْزَوَارِي فِي المَنْظُومَة وَقَالَ:

وَعَمَلِيٌّ اِنْ تَشَاء فَعَبَّر	لِلنَّفْس قُوتَان عَقْلٌ نَظَرِيٌّ
لأَرْبَع مَرَاتِبٍ قَدْ صَعَدَا	عِلْمَةٌ عَمَالَةٌ فَالمُبْتَدَاء
ذِي الضَّعْفِ وَالتَّوَسِيطِ وَاشْتِدَادِ	بِحَسَبِ الكَمَالِ وَاسْتِعْدَادِ
لصُّنْعِهِ وَمَاهِرٍ مَا صَنَعَا	كَقُوَّةِ الطِّفْلِ وَمَنْ تَرَعَّرَعَا
سُمِّيَ بِالعَقْلِ الهَيُّو لَانِّي	فَمَا هُوَ اسْتِعْدَادِ الأَوَّلِيُّ
مِنْ أَوَّلِيَّاتِ لَهُ بِالمَلَكَة	وَعَقْلَ اسْتِعْدَادِ كَسْبِ المُدْرَكَة
لِلنُّظَرِيَّاتِ بِلا اِنْظَارِ	بِالفِعْلِ ذُو اسْتِعْدَادِ الأَسْتِحْضَارِ
وَاسْتَحْضَرَ العُلُومَ مُسْتَفَادُ	وَالعَقْلَ حَيْثُ اِنْعَدَمَ اسْتِعْدَادُ

وَالْحَقُّ عِنْدِي اِنَّ العَقْلَ بِالْمُسْتَفَادِ لا يَحْصُلُ اِلَّا لِمَنْ كَانَ كَامِلًا فِي مَرْتَبَتِي
العِلْمِ وَالعَمَلِيِّ وَالسَّرِّ وَالعَلْنِ وَهَذَا هُوَ الَّذِي اَشِيرُ اِلَيْهِ فِي الاَخْبَارِ بِاَنَّهُ نُورٌ يَقْذِفُهُ
اللَّهُ فِي قَلْبِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ كَانَ وَاجِدًا هَذِهِ المَرْتَبَة فَهُوَ لَامِحَالَة يَكُونُ مِنْ
الأَوْلِيَاءِ وَليس لِغَيْرِهِمْ فِيهِ حَظٌّ وَلَا نَصِيبٌ وَذَلِكَ: لِانَّ الأَنْسَانَ لَهُ جَنَاحَانِ
جُنَاحِ العِلْمِ وَجُنَاحِ العَمَلِ فَكَمَا اِنَّ الطَّيْرَ لا يَقْدِرُ عَلى الطَّيْرَانِ اِلَى الفَضَاءِ اِلَّا
بِهِمَا فَكَذَلِكَ الأَنْسَانَ لا يَمْكَنُ لَهُ الطَّيْرَانِ اِلَى فِضَاءِ المَلَكُوتِ اِلَّا بِهِمَا وَمَنْ
المَعْلُومُ اَنَّهُ اِذَا وَصَلَ اِلَى هَذَا المَقَامِ وَيَرى بَعينِ البَصِيرَة مَا يَرى يَقُولُ بِلِسَانِ
حَالِهِ لَوْ كَشَفَ الغِطَاءَ مَا اَزْدَدْتُ يَقِينًا فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ لَافِي الأَرْضِ وَلَا فِي

السَّمَاءُ لِأَنَّهُ يَقُولُ سَلَوْتِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَأَتِي بِطُرُقِ السَّمَوَاتِ أَعْلَمُ بِهَا مِنْ طُرُقِ الْأَرْضِينَ، الْإِتْرَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْصِيَاءَ لَمْ يَشْكُوا فِي شَيْءٍ أَبَدًا بَلْ كُلُّ مَا قَالُوهُ أَمَّا قَالُوا بِهِ عَنْ قَطْعٍ وَيَقِينٍ لِأَنَّ الشُّكَّ يَنَافِي مَقَامَ النَّبُوَّةِ وَالْوَلَايَةِ كَيْفَ وَهُمْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.

وَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَلَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (١) وَ

قَدْ رَوَى عَنِ الْمُعْصُومِ (ع) أَنَّهُ قَالَ نَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ صَدَقَ وَلِيُّ اللَّهِ. ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا (ع) أَشَارَ فِي كَلَامِهِ إِلَى أَنَّ ضِيَانَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ الْيَقِينِ وَدَلِيلُهُمْ فِيمَا سَمَّتِ الْهُدَى. وَفِيهِ أَشْعَارٌ بِكَوْنِ صَاحِبِ الْوَلَايَةِ الَّذِي فِي مَرْتَبَتِهِ الْيَقِينِ لَا يَسْتَضِيءُ فِي ظُلُمَاتِ الشُّبُهَاتِ إِلَّا بِنُورِ الْيَقِينِ وَلَا يَتَطَّرَقُ فِيهَا إِلَّا سَمِيَّةُ الْهُدَى لِأَنَّ الْمَفْرُوضَ كَوْنَهُ حَائِزًا لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّجْلِيَةِ.

□ قَوْلُهُ (ع): «وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدُمَانُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى...»

بَعْدَ مَا أَشَارَ (ع) فِي الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ إِلَى أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ ضِيَانَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ الْيَقِينِ وَدَلِيلُهُمْ سَمَّتِ الْهُدَى، أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ الَّذِينَ لَيْسُوا بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ فَطَرِيقُهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ لَيْسَ إِلَّا الضَّلَالُ وَذَلِكَ لِعَدَمِ وَصُولِهِمْ إِلَى مَقَامِ الْيَقِينِ وَدَلِيلُهُمْ فِيهَا الْعَمَى أَيْ عَمَى الْقَلْبِ فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا لَمْ يَتَنَوَّرْ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ يَتَّصِفُ بِالْعَمَى مَجَازًا وَاسْتِعَارَةً تَشْبِيهًا لَهُ (ع) الْقَلْبَ بِالْبَصْرِ فَكَمَا أَنَّ الْبَصَرَ جُعِلَ لِلْأَبْصَارِ كَذَلِكَ الْقَلْبُ جُعِلَ لِلْأَدْرَاكِ وَالْأَدْرَاكِ الرَّؤْيِيَّةُ فِي الْحَقِيقَةِ لِأَنَّ الرَّؤْيِيَّةَ عِبَارَةٌ عَنِ كَشْفِ الْمَسْتُورِ سِوَاءَ كَانَ الْمَسْتُورُ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ أَمْ مِنَ الْمَعْقُولَاتِ.

وَأَمَّا قَالَ (ع) فِي الْأَوْلِيَاءِ (فَضِيَانَهُمْ)، وَفِي الْأَعْدَاءِ (فَدَعَانَهُمْ)، لِأَنَّ الضَّلَالََةَ وَالْغَوَايَةَ لَيْسَتْ مِنَ الضِّيَاءِ بِشَيْءٍ فَإِنَّ الضِّيَاءَ ظَاهِرٌ بِالذَّاتِ، وَمُظْهِرٌ لِلْغَيْرِ وَالضَّلَالَاتُ ظُلْمَةٌ فِي حَدِّ نَفْسِهِ لِكَوْنِهِ أَمْرًا عَدَمِيًّا وَلِذَلِكَ عَبَّرَ عَنِ الْيَقِينِ بِالضِّيَاءِ

وعن الضلال بالدعاء وفيه اشارة الى «وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ» (١) كما اشار بقوله ودليلهم العمى الى قوله تعالى حيث قال «وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» (٢)

و : «وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَى» (٣)

و : «وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ» (٤)

و : «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى» (٥)

و : «أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَا هُوَ أَعْمَى» (٦) وغير.

ذلك من الآيات، ثم ان المقصود الأصلي من هذا الكلام هو وجوب رجوع اعداء الله الى اوليائه ليخرجوا من ظلمات الغي والضلالة ويدخلوا في بحر السعادة والهداية والغرض من الأولياء في هذا المقام وغيره انما هو اهل البيت سلام الله عليهم اجمعين كما قال رسول الله: مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق.

وذلك لان غيرهم كائناً من كان لا يمكن الرجوع اليه في الأمور المشبهة والوقائع المشككة لان الانسان لو لم يكن معصوماً عن الخطاء في الافعال والاقوال كيف يُعتمد على قوله مضافاً الى انه لا يخلو عن الجهل والعمى والعجز عن رفع النقاب وكشف الحجاب في الأعضاء وعليه فالعقل والنقل يحكمان بوجوب الرجوع الى من كان عالماً بالحقائق واقفاً بالدقائق كاشفاً عن الأعضاء معصوماً عن الخطايا والزلات عارياً عن الأشتباهات والهفوات متجنباً عن المعاصي والخطيئات وهو لا يكون إلا نبياً او وصياً له فنحكم بكون امير المؤمنين وأولاده المعصومين هم الذين أمرنا باتباعهم عقلاً ونقلاً، وهو المطلوب كما قال الفرزدق.

٢. الحج ٤٦.

٤. فاطر ١٩.

٦. الرعد ١٩.

١. الرعد ١٤.

٣. فصلت ٤٤.

٥. طه ١٢٤.

يا سائلِ أينَ حَلَّ الجُودُ والكَرمُ
 عندي بيان إذا طَلَّبه قَدِمُ
 مِن مَعَشَرَ حُبُّهم دِينُ وُبُغْضُهم
 كُفْرُ وُقْرُبُهم مَنجاً ومُعْتَصِمُ
 يُسْتَدْفَعُ الشُّوءَ والبَلْوى بِحُبِّهم
 وَيُسْتَزَادُ بِهِ الأَحْسَانُ والنَّعَمُ
 مُقَدَّمُ بَعْدَ ذِكْرِ الله ذِكْرُهُم
 فِي كَلِّ قَرَضٍ وَمَخْتومُ بِهِ الكَلِمُ
 انْ عُدَّ أَهْلُ التُّقَى كَانُوا ائِمَّتَهُم
 او قِيلَ مَن خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ قِيلَ هُمُ
 لا يَسْتَطِيعُ جَوَادُ بَعْدَ غَايَتِهِم
 ولا يُدَانِيهِمُ قَوْمٌ وانْ كَرُّهُ
 هُمُ الغَيُوثُ إذا ما ازمَةُ ازمَت
 والأَسَدُ أَسَدُ الثَّرَى والبَأْسُ مُحْتَدَمُ
 يَأبَى لَهُمُ انْ يَحَلَّ الدَّمُ سَاحَتَهُمُ
 خَيْمُ كَرِيمُ وَايْدِي بِالنَّدَى هَضْمُ
 لا يُقْبِضُ العُسرَ بَسْطاً مَن أَكْفَهُمُ
 سَيَّانَ ذَالِكُ انْ أَثَرُ وانْ عَدَمُوا
 مَن يَعْرِفُ اللهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَةَ ذَا
 فَالذِّينَ مَن بَيْتِ هَذَا لَه الأَمَمُ
 بُيُوتُهُمُ فِي قَرِيشٍ يَسْتَضَاءُ بِهَا
 فِي النَّائِبَاتِ وَعِنْدَ الحُكْمِ انْ حَكَمُوا
 □ قَوْلُهُ ﷺ: فَمَا يَنْجُوا مِنَ المَوْتِ مَن خَافَهُ، وَلَا يُعْطَى البَقَاءُ مَن أَحَبَّهُ...
 أشار ﷺ به الى أصليين مُسَلِّمين هما أساس السَّعادة والهداية وهما أنَّه
 لانجاة لأحدٍ مِنَ المَوْتِ وانْ خَافَهُ ولا بقاء لأحدٍ وانْ أَحَبَّهُ

فَمِنِ الْأَوَّلِ:

- و: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ (١)
و: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ (٢)
و: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (٣)
و: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٤) وامثال ذلك.

وَمِنِ الثَّانِي:

- قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (٥)
و: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (٦)
و: ﴿وَأَنْتَ أَهْلَكَ عَادَ الْأُولَى، وَتَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ (٧)
و: ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٨) وغيرها من الآيات.

فقوله ﷺ: إشارة الى ان الموت لا بد منه وان البقاء لا دوام له شاء أم لم يشاء فلا الخوف من الموت ينجو الإنسان منه ولا الحُب الى البقاء يُعطيه الوجود الدائم، وذلك لان الممكّن محفوف بالعدمين السابق والأحق فهو بمقتضى ذاته يكون دائراً فانياً ومن جهة علته موجوداً باقياً فان الممكن من ذاته ان يكون ليس، ومن علته ان يكون آيساً، ومن كان كذلك فكيف يمكن له البقاء الأبدى والدوام السرمدي مع انه مخالف لذاته.

ثم انه ﷺ اشار بقوله هذا الى ان الانسان لا ينبغي له الخوف من الموت الذي لا بد له بمقتضى ذاته بل ينبغي له الاستعداد والتهيؤ لانه يأتيه بغتةً وايضا لا يصلح له الحُب للبقاء فان العاقل لا يحب شيئاً لا يمكن الوصول اليه كما انه لا يبغض شيئاً لا بد له من التورود عليه وقد تقدم البحث عن الموت

٢. النساء - ٧٨.

٤. الرحمن - ٢٦.

٦. النحل - ٩٦.

٨. الرحمن - ٢٧.

١. الجمعة - ٨.

٣. آل عمران - ١٨٥.

٥. الحاقة - ٨.

٧. النجم - ٥٠.

وماهيته مفصلاً وسيأتي في موضع آخر بوجه أبسط مضافاً الى أن الموضوع لا يحتاج الى دليل بعد حكم العقل بل صريح الحس عليه ولم يخالف فيه أحد.

﴿وَمِنَ خُطْبَةٍ لَهُ﴾ (٣٩)

□ قوله ﷺ: مُنِيْتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لَا أَبَالَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبُّكُمْ؟ أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ، وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ؟ أَقَوْمٌ فِيكُمْ مُسْتَصْرِحًا، وَأَنَادِيكُمْ مُتَّعِوثًا، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا، حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورَ عَنِّ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ، فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ ثَارٌ، وَلَا يُبَلِّغُ بِكُمْ مَرَامٌ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَزَجَرْتُمْ جَزَجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرَى، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقَلَ النَّضْوِ الْأَدْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جَنِيْدٌ مُتَدَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ.

◀ اللّغة

(مُنِيْتُ) مَبْنِيٌّ لِلْمَفْعُولِ مِنَ الْمِنَى أَيْ ابْتَلَيْتُ. (تُحْمِشُكُمْ) يُقَالُ حَمَشَ الْقَوْمَ إِذَا سَاقَهُمْ بِغَضَبٍ. (الْمُسْتَصْرِحُ) اسْمُ الْفَاعِلِ مِنْ اسْتَصْرَحَ بِمَعْنَى اسْتَعَاثَ، أَيْ الْمُسْتَعِيثُ (مُتَّعِوثٌ؛) أَيْضًا فَاعِلٌ مِنْ تَعَوَّثَ مِنَ الْغَوْثِ وَهُوَ مَعْلُومٌ. (ثَارٌ) الثَّارُ الدَّمُ وَالطَّلَبُ بِهِ. (الْجَزَجَرَةُ) صَوْتٌ يُرَدِّدُهُ الْأَبْلُ فِي حَنْجَرَتِهِ. (الْأَسْرَى) السَّرْرُ دَاءٌ يَأْخُذُ الْبَعِيرَ فِي سَرَّتِهِ. (النَّضْوِ) بِكسْرِ النُّونِ الْبَعِيرِ الْمَهْزُولِ. (الْأَدْبَرِ) الَّذِي بِهِ دُبُرٌ وَهِيَ الْقُرُوحُ فِي ظَهْرِهِ. (الْجَنِيْدُ) تَصْغِيرُ الْجُنْدِ لِلتَّحْقِيرِ.

◀ المعنى

(مُنِيْتُ)، اى اِبتَلَيْتُ (بِمَنْ لَا يُطِيعُنِي) اِذَا امْرُؤُهُ، (وَلَا يُجِيبُ اِذَا دَعَوْتَهُ)،
والمقصود منه اصحابه المنافقون (لَا اَبَالَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبُّكُمْ؟)
وَبَخَّهْمُ عَلَى الثَّقَلِ وَالتَّقَاعِدِ وَالتَّنَظَارِ: اى لِمَ لَا تَنْصُرُونَ دِينَ اللَّهِ وَلَا تُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ. (أَمَّا دِينَ يُجْمَعُكُمْ)، اى نَسِيتُمْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَعْتَصَمُوا بِحَبْلِ
اللَّهِ وَلَا تَفَرَّقُوا (وَلَا حَمِيَّةٌ تُحْمِشُكُمْ؟) اى اَلَا حَمِيَّةٌ لَكُمْ تَغْضِيكُمْ. والمعنى ان
لم يكن لكم دين فَاينَ حَمِيَّتِكُمُ الْعَرَبِيَّةَ. (أَقَوْمٌ فِيكُمْ) يَا مَعْشَرَ اصْحَابِي،
(مُسْتَصْرِحًا، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثًا)، اى اسْتَصْرَحَكُمْ وَأَتَغَوِّثُ بِكُمْ. (فَلَا
تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا)، اى مَا لَكُمْ أَنْ تَدِينُوا لِي فَلَا تُجِيبُونِي
(حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ)، اى تَقَاعِدِكُمْ عَنِ الْجِهَادِ وَعَدَمِ
انْقِيَادِكُمْ مُسْتَمِرًّا إِلَى أَنْ تَظْهَرَ الْأُمُورُ وَتَبْقَى النَّدَامَةُ. (فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ ثَارٌ، وَلَا
يُبَلِّغُ بِكُمْ مَرَامٌ)، تَهْيِجُ لَهُمْ عَلَى التَّأْنِفِ فِي النُّصْرَةِ وَالتَّهْيُوءِ لِلْجِهَادِ.
(دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ) مِنَ الْمُسْلِمِينَ. (فَجَزَّجَزْتُمْ جَزْجَرَةَ الْجَمَلِ
الْأَسْرَى)، وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ وَالْمَقْصُودُ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْغَيْرَةِ. (وَتَثَاقَلْتُمْ
تَثَاقُلَ النَّضْرِ الْأَدْبَرِ)، اَيْضًا اسْتِعَارَةٌ وَسَيَجِيءُ شَرْحُهَا. (ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ
جَنِيدٌ إِلَى آخِرِهِ). اِشَارَةٌ بِهِ إِلَى قَلَّةِ عَدَدِهِمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثِينَ أَوْ أَقَلَّ وَمَعَ ذَلِكَ
مِنَ الْخَوْفِ مُضْطَرِبُونَ.

◀ الشرح

قوله ﷺ: مُنِيْتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ...
واعلم: ان هذه الخطبة انما صدرت عنه ﷺ في مقام الشكاية عن نفاق
اصحابه وتقاعدهم وتثاقلهم لأمر الجهاد والسبب فيه على ما ذكره هو ان
معاوية ابن ابي سفيان لعنه الله بعث النعمان ابن بشير في الفى فارس لأرهاب
اهل العراق فأقبل حتى دنا من عين التمر وكان عاملها يومئذ من قبل على مالك
ابن كعب الأرحبى ولم يكن معه اذ ذاك سوى مائة رجل او نحوها فكتب مالك
اليه ﷺ يعلمه الخبر فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: أخرجوا هداكم

الله الى مالك ابن كعب أخيكم وان النعمان ابن بشير قد نزل به في جمع من اهل الشام ليس بالكثير فانهمضوا الى اخوانكم لعل الله يقطع بكم طرفاً من الكافرين ثم نزل فتناقلوا فأرسل الى وجوههم فأمرهم بالتهوض فتناقلوا ولم يجتمع معهم الا نفر يسير نحو ثلثمائة رجل فقام ﷺ وقال مُنِيْتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ الْخ...

وقد ذكر الشارح المعتزلي صورة هذه القضية على وجه آخر بسط مما ذكرناه نقلاً منه عن كتاب الغارات ولا بأس بنقله قال:

هذا الكلام خطب به امير المؤمنين ﷺ في غارة النعمان ابن بشير الأنصاري على عين التمر ذكر صاحب الغارات ان النعمان ابن بشير قدم هو وابو هريرة على علي من عند معاوية بعد ابي مسلم الخولاني يسألانه ان يدفع قتلة عثمان الى معاوية ليقدّمينهم بعثمان لعل الحرب ان يطفأ ويصطلى الناس وانما اراد معاوية ان يرجع مثل النعمان وابي هريرة من عند علي الى الناس وهم لمعاوية عاذرون ولعلي ﷺ لا ثمون وقد علم معاوية ان عليا لا يدفع قتلة عثمان اليه فاراد ان يكونا هذان يشهدان له عند اهل الشام بذلك وان يظهر أعذره فقال لهما اثتيا علياً فانشده الله وسلاه بالله لما دفع اليها قتلة عثمان فانه قد آواهم ومعهم ثم لا حرب بيننا وبينه فان ابي فكونوا شهداء لله عليه واقبلوا على الناس فاعلماهم بذلك فاتيا الى علي فدخلا عليه.

فقال له ابو هريرة يا ابا الحسن ان الله قد جعل لك في الاسلام سابقة وفضلاً وشرفاً وانت ابن عم محمد رسول الله ﷺ وقد بعثنا اليك ابن عمك معاوية يسألك أمراً يسكن به هذه الحروب ويصلح الله تعالى به ذات البين ان تدفع اليه قتلة عثمان ابن عمه فيقتلهم به ويجمع الله تعالى امرك، وامره يصلح بينكم وتسلم هذه الامّة من الفتنة والفرقة ثم تكلم النعمان بنحو من هذا. فقال ﷺ لهما دعا الكلام في هذا - حدّثني عنك يا نعمان انت اهدى قومك سبيلاً يعني الأنصار؟ قال لا.

قال فكلُّ قومك تبعي الأَشْذاذ منهم ثلاثة أو أربعة أَفْتَكُونُ أنت من الشذاذ فقال النعمان أصلحك الله إنما جئتُ لآكونَ معك الزمك وقد كان معاوية سألني ان أودى هذا الكلام ورجوتُ لي ان يكون موقفاً اجتمع فيه معك وطمعتُ ان يجز الله بينكما صلحاً فاذا كان غير ذلك رأيك فانا ملازمٌ وكاينٌ معك فاما ابو هريرة فلحق بالشام واقام النعمان عند علي فاخبر ابو هريرة معاوية بالخبر فأمره ان يعلم الناس ففعل.

واقام النعمان بعده ثم خرج فاراً من علي حتى اذا مرَّ بعين التمر أخذه مالك ابن كعب الأرحبي وكان عامل علي عليها فاراد حبسه وقال له مامربك هيهنا؟ قال إنما انا رسول بلغت رسالة صاحبي ثم انصرفت فحبسه وقال كما انت حتى أكتب الي علي فيك فناشده وعظم عليه ان يكتب الي علي فيه فارسل النعمان الي قرطبة ابن كعب الانصاري وهو كاتب عين التمر يجبي خراجها لعلي عليه السلام فجاءه مُسرِعاً وقال لمالك ابن كعب خَلَّ سبيل ابن عمي يرحمك الله فقال يا قرطبة اتق الله ولا تتكلم في هذا فإنه لو كان من عباد الانصار ونسأكهم لم يهرب من امير المؤمنين الي امير المنافقين فلم يزل به يتقسم عليه حتى خلى سبيله وقال له يا هذا لك الأمان اليوم والليلة وغداً والله لأن ادركتكَ بعدها لأضربن عنقك فخرج مُسرِعاً لايلوي علي شيءٍ وذهبت به راحلته فلم يدر اين تبتكع من الأرض ثلاثة ايام لايعلم اين هو ثم قدم الي معاوية فخبّره بما لقي ولم يزل معه مصاحباً له يُجاهد علياً ويتبع قتلة عثمان حتى غز الضحاك ابن قيس ارض العراق ثم انصرف الي معاوية.

فقال معاوية أما من رجلٍ ابعثُ معه بجريدة خيلٍ حتى يُغير علي شاطيء الفرات فإن الله يرغب بها اهل العراق فقال له النعمان فابعثني فإن لي في قتالهم نيّة وهوى وكان النعمان عثمانياً قال فانتدب علي اسم الله فانتدب وتذب معه الفئ رجل وأوصاه ان يتجنب المُدن، والجماعات وان لا يُغير إلا علي مسلحةً وان يُعجل الرجوع.

فاقبل النعمان حتى دنى من عين التمر وبها مالك ابن كعب الأرحبي الذي جرى له معه ما ذكرناه ومع مالك الف رجل وقد اذن لهم فقد رجعوا الى الكوفة فلم يبق معه الا مائة او نحوها.

فكتب مالك الى عليؑ اما بعد فان النعمان ابن بشير قد نزل بي في جمع كثير فمر رأيك سددك الله تعالى وثبتك والسلام.

فوصل الكتاب الى عليؑ فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال عليه السلام ما ذكرناه على النقل السابق انتهى ولنرجع الى الشرح فقوله عليه السلام منيت الخ قد اشارؑ فيه بعدم اطاعتهم لهؑ وتقاعدتهم عن الجهاد كما هو شأن المنافقين في كل عهد وزمان ولبس الأبتلاء هذا بل هو من اعظم المصائب واشد الامراض الذي لا دواء له في الحقيقة فان داء الجهل والتفاق مما لم يقدر على علاجه الانبياء والاصياء والاولياء وهذا مما لاشك فيه.

□ قوله عليؑ: لا ابالكم ما تنتظرون بنصركم ربكم...

ثم دعاء عليهم وقال ما تنتظرون اي ليم لا تنصرون ربكم وتتقاعدون عن جهاد عدوكم فان كلمة (ما) استفهامية وانما قال عليؑ بنصركم ربكم، مع ان الرب بحسب الظاهر لا يحتاج الى النصرة والمعونة من العبد بهذا المعنى لانه قادر على كل شيء والنصرة تتصور لمن لا يقدر، لان الجهاد يوجب نصرة الدين واعلاء كلمة الحق والدين له تعالى فنصرة الرب ترجع الى نصرة الدين، فالمعنى بنصركم دين ربكم فالكلام على حذف المضاف كما قال الله تعالى وجاء ربك، اي امر ربك.

ثم ان في كلامه هذا حث على الجهاد وترغيب وتحريض على نصرة الدين وهذا مما يجب على عامة المكلفين كائناً من كان على قدر طاقته واستعداده مع وجود الشرائط المعتبرة وقد دلت الآيات على وجوب نصرة الله ورسوله، منها قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُخْرِجْ

أَقْدَامَكُمْ»^(١) أَي ان تَنْصُرُوا دِينَ اللَّهِ.

و : «ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلِتَنْصُرُنَّهُ»^(٢)

و : «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ»^(٣)

و : «وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ»^(٤)

و : «وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ»^(٥) وكثير من الآيات.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «فَمَا لَكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ»^(٦) فَهَذِهِ الْآيَاتُ وَآمِثَالُهَا أَمْرَتُهُمْ وَإِيَانَا بِنَصْرَةِ الدِّينِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَقَدْ خَذَلَ وَاللَّهِ مِنْ سَلَكِ مُسْلِكًا غَيْرَ هَذَا وَاتَّخَذَ طَرِيقَ الدُّلِّ وَالْحِقَارَةِ وَكَثُرَ ابْنَاءُ الزَّمَانِ فِي كُلِّ دَوْرَةٍ وَلَا سِيَّمَا فِي زَمَانِنَا هَذَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ فَإِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ لَثَقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ بِهِ مَعَايِشُهُمْ فَإِذَا مُحِصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: «أَمَّا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ...»

ثُمَّ أَرَدَفَ ﷺ كَلَامَهُ بِقَوْلِهِ هَذَا وَحَاصِلُهُ أَنَّ الدِّينَ وَالْحَمِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ وَالْغَرِيزَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ تَوْجِبَانِ الْوَحْدَةَ بَيْنَ الْأَفْرَادِ وَاعَانَةَ الْمَظْلُومِ وَالْفِرَارَ عَنِ الظَّالِمِ وَدَفَعَهُ فِي صُورَةِ التَّمَكُّنِ وَالْقُدْرَةِ وَأَمَّا الْإِخْتِلَافُ وَالتَّشْتُّتُ فَهُوَ مِنْ آثَارِ النِّفَاقِ وَالكُفْرِ وَالخُرُوجِ عَنِ طُورِ الْإِنْسَانِيَّةِ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الْمُوَحَّدَ يَنَادِي بِلِسَانِ حَالِهِ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَهَكَذَا الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَحْرَارِ فَإِنَّ الْحُرِّيَّةَ مَانِعَةٌ عَنِ الدُّلَّةِ وَالنِّكْبَةِ كَمَا قَالَ الْحَسِينُ ﷺ مُخَاطِبًا لِأَهْلِ الْكُوفَةِ:

يَا شِيعَةَ آلِ أَبِي سَفْيَانَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ فَكُونُوا حُرَارًا فِي دُنْيَاكُمْ.

فَهُوَ ﷺ أَخَذَ مَا أَخَذَ عَنِ مِشْكُوتِ وَلايَةِ أَبِيهِ ﷺ وَأَعْتَرَفَ عُرفَةً مِنْ بَحْرِ عِلْمِ

اللَّهِ وَرَسُولِهِ بَلِ اتَّصَلَ بِهِ فِي الْوَاقِعِ وَنَفْسِ الْأَمْرِ وَالِي هَذَا الْمَعْنَى إِشَارَةُ ابْنِ سَعْدٍ

حين أمره عبید الله ابن زياد لعنه الله بأخذ البيعة له منه عليه السلام كتب في جوابه فو الله ان روح ابيه كبين جنبيه ولا غرو فيه فان الحسين: والأوده المعصومين كلهم سلكوا مسلك أبيهم امير المؤمنين عليه السلام طابق النعل بالنعل على طبق المقتضيات فى كل عهد وزمان.

والحاصل انه لا كلام لنا ولا لأحد من ذوى العقول فى ان الانسان اذا لم يكن له دين ولا حمية وغيره فهو ليس من حقيقه الانسان بشىء بل هو فى الصورة انسان وفى السيرة من البهائم.

آيس شيوخ الفحشاء والمنكرات وسلطة الظالم على المظلوم وامانة المعروف وامثال ذلك من القبائح معلولاً ومُسبباً عن تقاعد هذه الافراد عن القيام وتثاقلهم وتكاهلهم فى امور الدين والدنيا ولأهمية الموضوع نشير الى امور:

احدها: ان الانسان لا يخلو اما ان يكون موحداً مؤمناً تابعاً لأديان الألهية والكتب السماوية واما ان لا يكون كذلك بمعنى انه غير متدين بدين صحيح اعنى به الأديان الواقعية الألهية لا الأديان المُخترعة الموهومة.

وعلى الثانى: ايضاً لا يخلو اما ان يكون له عقل صحيح وفكر متين او لافهذه ثلاثة اقسام: متدين مؤمن غير مؤمن عاقل غير مؤمن غير عاقل والقسم الثالث لا كلام لنا معه لخروجه عن حدود الانسانية وعدم لياقته بالتخاطب لكونه من مصاديق اولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلاً.

واما القسمين الآخرين اعنى المؤمن والعاقل فكلامه عليه السلام وكلامنا متوجه اليهما لان التكليف الشرعية والاجتماعية تدور مدار العقل وجوداً وعدماً وشدة وضعفاً ولذلك قيل من لا عقل له لا دين له فان الدين يلزم العقل ولا عكس وبعبارة اخرى: كل متدين عاقل وليس كل عاقل بمتدين هذا اذا اردنا بالعقل معناه الاصطلاحى وهو الدرك للكليات واما اذا قلنا بانه عبارة عما عبد الرحمن واكتسب به الجنان كما وردت به الرواية فالملازمة بينهما من

الطرفين.

ثم ان المؤمن المُوَحَّد العارف بالله ورسوله له أنس وعلاقة باخيه المؤمن لامحالة لأن نور الايمان فيهما واحدة والمسلك والهدف ايضاً لهما واحد وذلك لأن معبودهما واحد والكعبة واحدة والكتاب واحد والرسول واحد والأمم واحد وهكذا فكل ما فتشت حاله لا تجد فيها او فيهم شيئاً يوجب الاختلاف بينهما في الأحكام الشرعية لانقول ان الفكر والأرادة فيهما واحد فان كل انسان له فكر مستقل وارادة مستقلة بل نقول بان الأهداف، والمقاصد الدينية فيهما واحدة وان كانت الأغراض الشخصية في سائر الجهات فيهما شتى إلا انه لا كلام لنا فيها فعلاً واذا تصورت هذا المعنى بالنسبة الى شخصين فاحكم بهذا الحكم بالنسبة الى جميع المؤمنين لعدم الفرق وحكم الأمثال واحد والى هذا المعنى أشير في كلامه ﷺ المؤمن مرآت المؤمن وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١)

قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢) وامثال ذلك من الآيات والروايات وسيجيء الكلام على وجه ابسط في هذا البحث منا مفصلاً انشاء الله تعالى.

اذا عرفت هذا فقد علمت ان المؤمن بمقتضى الأخوة والأشتراك في الهدف لا بد من ان يكون معيناً ناصراً للمؤمن موافقاً له فيما له تعلق بالأمور الدينية والاجتماعية ومن لم يكن كذلك فهو ليس بمسلم ولا مؤمن حقيقنا كما قال ﷺ من اصبح ولم يهتم بامور المسلمين فليس بمسلم فضلاً من ان يكون مؤمناً فالجامع بين الافراد انما هو الدين لا غير وهذا معنى قوله ﷺ: أما دين يجمعكم، هذا كله في المؤمن المتدين بالدين.

واما غيره من العقلاء فهو ايضاً لا بد له من سلوك هذا المسلك في الأمور الاجتماعية لأنه انسان عاقل على الفرض والانسان بمقتضى جبلته وطبيعته

لا يظلم انساناً ولا يرضى به ايضاً لان الظلم وما شابهه من القبائح العقلية وكل انسان عاقلٍ مُتَنَفِّرٌ عنه طبعاً ولذلك لا يرضى ان يصبر مظلوماً مقهوراً ومن المعلوم ان دفع القبيح واجبٌ عقلاً على كافة الناس فيجب عقلاً على كل فردٍ من الأفراد اعانة المظلوم ومن لم يكن كذلك فهو خارج عن الانسانية قطعاً وهذا هو الذي عبّر عنه بالحمية في قوله ﷺ: «او حَمِيَّةٌ تُحْمِشُكُمْ» وليس المراد منها الحمية العربية فقط كما تُوهِم لان هذه الحمية مركوزة في طبائع الأفراد بلا تفاوت بينهم.

وثانيها ان هذا التوبيخ والتهديد في كلامه ﷺ وان كان في ظاهر الأمر لأصحابه من اهل الكوفة وغيرهم الا انه في الواقع متوجه الى كل انسان يحذو حذوهم الى يوم القيمة لأشراكهم معهم في الدين او الحمية ووجود معاوية واشباهه في كل عهدٍ وزمان وذلك لانه لأخصوصية في شخص معاوية وامثاله في ذلك الزمان بل الغرض هو وجود ملاك اللعنة والعذاب، والتنفّر ولا شك في ان الملاك لها هو الظلم والتعدى والنهي عن المعروف والأمر بالمنكر وغيرها من الأمور الشنيعة القبيحة فكل من صدرت عنه هذه الأمور واراد اطفاء نور الحق فهو معاوية وان كان اسمه زيدا وعمر فان البحث ليس في الالفاظ وايضاً كل من كان عن القتال مع هؤلاء الشياطين متقاعداً متثاقلاً لأغراض دنيوية فهو في زمرة اصحابه المنافقين ويكون مصداقاً لقوله ﷺ: «أما دينٌ يُجَمِّعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةٌ تُحْمِشُكُمْ...»

والدليل على ما ذكرناه بعد حكم العقل بصحته «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ»^(١)

فنقول لك ايها المؤمن ما معنى هذه الآية وما الوظيفة بعد الرسول النصرة للدين بالقول والعمل أو الانقلاب على الأعقاب أعني الرجوع الى عهد

الجاهليّة، فان قلت بالتّاني فلا كلام لنا معك وقد اجابك الله بقوله: «وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً»^(١) ونحن ايضا نقول انت ظلمت نفسك وما ربك بظلامٍ للعبيد.

وان قلت - بالاول وهو الحق حيث قال تعالى: «وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ»^(٢) فنقول اين نصرتك للدين واين امرك بالمعروف ونهيك عن المنكر ثم اين عمّلك بما جاء به النبي ﷺ وانتهاك عما نهى عنه، اليس المنكر في زماننا صار معروفاً والمعروف منكراً اليس الاسلام بلسان حاله يقول هل من ناصر ينصرنى وهل من معين يعيننى أفلا تتأسف على غربة الاسلام والقرآن والأحكام أنسيّت قول رسول الله ﷺ حلالاً محمداً حلال الى يوم القيمة، وحرامه حراماً الى يوم القيمة فلم تحلل ما حرّمه الله وتحرّم ما أحله الله. فمن المحرّمات باجماع الفريقين الرّبا مثلاً باقسامه وهو قد شاع وكثر بين المسلمين بحيث لا يعد ولا يحصى.

ومنها الرّبا وهو ايضا شايع ذايغ في سوق المسلمين بحيث لا يعد في عرفهم من القبائح المحرّمة.

ومنها الظلم بأنواعه من القتل والسب والفحش وامثالها وهو صار من العاديات فضلاً عن الأعانة عليه.

ومنها الكذب والغيبة والتّهمة وعليها بنى اساس اجتماعنا ومحاوراتنا وافعالنا واقوالنا وهكذا سائر المحرّمات ممّا يطول الكلام بذكرها تفصيلاً، والحاصل انه ما من محرّم الا وان الأتيان به شايغ بين المسلمين في هذا الزّمان وما من واجب الا وهو متروك مطرود في عرف المسلمين الا بالنسبة الى قليل منهم ومن المعلوم ان النادر كالمعدوم.

وثالثهما انه يستفاد من كلامه ﷺ ان الدين والحمية يمنعان عن الظلم والتعدى فمن لم يكن له دين او حمية لا يترقب منه الدفاع عن حريم الانسانية

٢. آل عمران / ١٤٤.

١. آل عمران - ١٤٤.

والقيام بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه بنفسه مُنكرٌ ومن كان منكراً فكيف ينهى عنه ولعله لاجل هذه الدقيقة جرت سياسة الأستعمار على رواج هذين الأصليين في مجامع المسلمين وغيرهم أولاً ثم الوصول الى اهدافهم الغير المشروعة ثانياً اذ مع وجودهما او احدهما لا يمكن استيصالهم وهتكهم واخذ اموالهم ونوااميسهم وغير ذلك وهو اصل متين كما نراه في الممالك الإسلامية جارياً والمسلمون من الدين والحمية عارياً وهذه سيرة مستمرة في الاجتماع من الصدر الاول الى زماننا هذا والسرف فيه هو ان رسوخ الدين والأيمان باليوم الآخر مما يوجب اتفاق المسلمين ومشيهم على الطريق المستقيم لوحيد الغرض كما ذكرنا قبلا والحمية والغيرة الانسانية توجب عدم الرضا بتسلط المخالف على شئونهم واما مع فقد هما فلا مانع للكفار والأعداء في اجراء مقاصدهم واعمال نفوذهم بما شاؤوا ولا شك ان المسبب يتوقف على سببه. فتارة ترايهم بايجادهم المذاهب المختلفة الموجبة لتشتت الآراء، والعقائد وصلوا الى ما وصلوا وتارة تريبهم يتمسكون بأشاعة الفواحش والمنكرات وأخرى بجهات اخر مما لا يكاد يخفى على أحد والمنشاء لهذه الجهات كلها ليس الا هدم الدين او ضعفه فان المسلمين في القرون السالفة لو توجهوا بهذه النكته وتيقظوا من نوم الغفلة لما كنا نحن بهذه الحالة التي ينبغى البكاء عليها الى آخر الدهر وكيف لا ينبغى البكاء على أمة بلغت عدتها ثمانمائة مليون (٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠) انسانا او أكثر على قول وليس لها في الدنيا مجد ولا عظمة ولا ثروة ولا شوكة وبالآخرة ليس لهم دنيا ولا آخرة وصارت مصداق «خسیر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين»^(١) فنحن نقول ايضا لعامة المسلمين اما دين يجمعكم او حمية تحمضكم.

□ قوله ﷺ: اقوم فيكم مستصرخا وانا ديكم متغوئا فلا تستمعون لي قولا ولا تطيعون لي امرا...

ثُمَّ عَقَّبَ ﷺ كَلَامَهُ بِقَوْلِهِ أَقْوَمُ الْخِ وَحَاصِلُهُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ خَاطَبَ أَصْحَابَهُ وَقَالَ: أَقْوَمُ فِيكُمْ وَأَنَا أَسْتَصِرُّكُمْ وَأُنَادِيكُمْ بِوَاغُوثَاهُ وَمَعَ ذَلِكَ فَانْتَهَمَ لِأَسْمَعُونَ لِي مَا أَقُولُ لَكُمْ وَلَا تُطِيعُونَ لِي مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنَ الْقِيَامِ بِالْحَقِّ وَالْجِهَادِ مَعَ أَعْدَاءِ الدِّينِ وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ نِفَاقِهِمْ وَعَصِيَانِهِمْ وَتَمَرُّدِهِمْ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِسُوءِ نِيَّتِهِمْ وَخُبْثِ ذَاتِهِمْ وَسُوءِ سَرِيرَتِهِمْ وَعَدَمِ تَوْجُّهِهِمْ إِلَى أَنْ مَخَالَفَةَ أَمْرِهِ مُخَالَفَةَ أَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ الرَّسُولِ الْمُوجِبَةَ لِعَذَابِ الْآخِرَةِ وَالنَّكْبَةِ وَالذُّلَّةِ فِي الدُّنْيَا.

□ قَوْلُهُ ﷺ: حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَائِدِ...

وَفِيهِ اشْعَارٌ بِشِدَّةِ حَرِيصِهِمْ عَلَى الدُّنْيَا وَزَخَارِفِهَا وَحُبِّهِمُ الْحَيَاةَ الدَّائِرَةَ الْفَانِيَةَ وَاسْتِمْرَارَهُمْ عَلَى هَذِهِ الرُّوْيَةِ الرَّدِيَّةِ وَالْمَسَلَكِ الْمُحَقَّرِ الْمُبْتَدَلِ الَّذِي لَا يُورِثُهُمْ إِلَّا ذُلًّا وَخِسَارًا وَعَدَمَ مَبَالِغَتِهِمْ بِهَذَا التَّقَاعُدِ، وَالتَّنَاقُلِ فِي أَمْرِ الْجِهَادِ حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورَ عَنْ عَوَاقِبِهَا وَتَنَاقَلُوا حَتَّى غَلَبَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ وَاسْتَوْلَى عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَنُفُوسِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ، بِسَبَبِ الْغَارَاتِ الْوَاقِعَةِ مِنْهُ وَلَا شَكَّ الدَّفْعِ أَسْهَلُ مِنَ الرَّفْعِ بِمَرَاتِبٍ كَثِيرَةٍ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ ثَارٌ وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ...

أَيُّ أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُنَافِقِينَ مِمَّنْ لَا يُدْرِكُ بِسَبَبِ قَوْلِكُمْ وَفِعْلِكُمْ ثَارٌ مِنْ نَارَاتِ الْمَظْلُومِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِأَيْدِي الْأَعْدَاءِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا، وَوَلِيُّ الْمَظْلُومِينَ الْمَقْتُولِينَ أَمَّا هُوَ الْأَمَامُ الْحَاكِمُ عَلَيْهِمْ إِذَا كَانَ مَبْسُوطِ الْيَدِ فَكَأَنَّهُ ﷺ يَقُولُ بَأْنِي لَسْتُ بِمَبْسُوطِ الْيَدِ فِي أَخْذِ الثَّارَاتِ عَنْ مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ لَعَدَمِ نُصْرَتِكُمْ لِي.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ،، فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْوَصُولُ إِلَى الْمَقْصَدِ الْأَصْلِيِّ وَهُوَ إِجْرَاءُ الْعَدَالَةِ وَأَحْيَاءُ الْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَعْلَاءُ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَالرَّسَالَةِ بِأَمْثَالِكُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْمَخَالَفِينَ لِلْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ:

□ قوله ﷺ: دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرَةِ إِخْوَانِكُمْ فَجَزَجَزْتُمْ جَزَجْرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرِّ
وَتَشَاقَلْتُمْ تَشَاقُلَ النَّضْوِ الْأَدْبَرِ...

ثم استدل على نفاقهم وشقاقهم وعدم اطاعتهم لأمامهم بقوله ﷺ: دَعَوْتُكُمْ
إِلَى نَصْرَةِ النِّخِ أَيِ وَالِدَيْهِ عَلَى مَا قُلْتُمْ فِيكُمْ هُوَ أَيْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرَةِ
إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قَتَلُوا وَنَهَبُوا وَأَسْرَوْا بِأَيْدِي الْفَسَقَةِ
الْفَجْرَةِ مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ الْكُفْرَةَ فَجَزَجَزْتُمْ إِلَى آخِرِهِ وَالْجَرْجَرَةَ اسْتَعْمَلَتْ
فِي مَعَانٍ:

أحدها: صَوْتُ وَقُوعِ الْمَاءِ فِي الْجَوْفِ وَعَلَيْهِ حُمَلُ الْحَدِيثِ الَّذِي يَشْرَبُ
فِي إِنْاءِ الْفِضَّةِ أَيْ يُجْرَجِرُ وَهِيَ صَوْتُ وَقُوعِ الْمَاءِ مَجَازاً لِأَنَّ نَارَ جَهَنَّمَ
لَا تُجْرَجِرُ فِي جَوْفِهِ حَقِيقَةً وَهَذَا ظَاهِرٌ.

وثانيها: تَطَلُّقُ عَلَى صَوْتِ الْبَعِيرِ عِنْدَ الضُّجْرِ.

وثالثها: يُقَالُ جَرَجِرَ فُلَانٌ إِذَا جَرَعَهُ جَرَعاً مُتَوَاتِراً لَهُ صَوْتُ وَمِنْهُ حَدِيثُ
الْحَسَنِ يَأْتِي الْحَبَّ فَيَكْتَارُ مِنْهُ ثُمَّ يُجْرَجِرُ قَائِماً أَيِ يَغْتَرِفُ بِالْكُوْزِ مِنَ الْحَبِّ
ثُمَّ يَشْرَبُهُ وَهُوَ قَائِمٌ.

والحديث الآخر قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ جَرَجِرَهُمْ أَيِ حُلُوقَهُمْ سَمَّاءُ
جَرَجِرَ لَجَرْجَرَةِ الْمَاءِ فِيهِ أَنْتَهَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النُّهَيْيَةِ.

إذا عرفت هذا فنقول: شَبَّهَ ﷺ جَوَابِهِمْ بِالْجَرْجَرَةِ بَأَيِّ مَعْنَى كَانَ فَإِنَّ
الْجَرْجَرَةَ صَوْتُ فَقَطْ لَا يُتَجَاوَزُ الْحُلُقُومَ أَوْ الْبَطْنَ وَعَلَى أَيِّ التَّقَادِيرِ لَانْفَعِ فِيهِ
وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ فِي جَوَابِهِ ﷺ مَا لَمْ يُتَجَاوَزْ مِنْ حَنَاجِرِهِمْ كَمَا قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى: فِي وَصْفِ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ،
فَكَلَامُهُ ﷺ هَذَا اسْتِعَارَةٌ وَنَعَمُ اسْتِعَارَةٌ وَهَكَذَا قَوْلُهُ وَتَشَاقَلْتُمْ تَشَاقُلَ النَّضْوِ
الْأَدْبَرِ، فَإِنَّ النَّضْوَ الدَّابَّةَ الَّتِي أَهْرَلَتْهَا الْأَسْفَارُ وَأَذْهَبَتْ لَحْمَهَا قَالَ فِي النُّهَيْيَةِ
قَالَ وَمِنْهُ أَكَانَ أَحَدُنَا لِيَأْخُذَ بِنَضْوِ أَخِيهِ. وَحَدِيثُ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنْضَيْتُمُ الظَّهْرَ
أَيِ أَهْرَلْتُمُوهُ، وَحَدِيثُ جَابِرٍ جَعَلَتْ نَاقَتِي تَنْضُو الرِّقَاقَ أَيِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهَا

انتهى.

بيان الاستعارة هو أنه ﷺ شَبَّهَهُم بِالذَّابَةِ الْمَهزُؤَةِ الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ لِضَعْفِهَا فَكَانَتْهُمْ ضَعْفُوا عَنِ الْجِهَادِ وَالْقِتَالِ وَفِي هَاتَيْنِ الْأَسْتِعْمَارَتَيْنِ مَا لَا يَخْفَى مِنَ اللَّطْفِ وَالذِّقَّةِ فَتَأَمَّلْ.

□ قوله ﷺ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ...

أى بعد اللُّتْيَا وَالَّتِي خَرَجَ مِنْكُمْ إِلَى الْجِهَادِ نَفْرًا يَسِيرًا وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مُضْطَرَّبُونَ ضَعِيفُونَ كَأَنَّهُمْ يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ جُبْنِهِمْ وَخَوْفِهِمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَقَدْ قُلْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ أَوْ أَقَلَّ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿ وَمَنْ كَلَامَ لَهُ ﴾ (٤٠)

وهو فى الخوارج

□ قوله ﷺ: لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُمْ «لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ»، قَالَ ﷺ: كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا الْبَاطِلُ. نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَكِنْ هُوَ لِأَنَّ يَقُولُونَ: لِأَمْرَةٍ، وَإِنَّهُ لِأَبَدٍ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي أَمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتَعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَىءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى. لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ: قَالَ حُكْمُ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ، وَقَالَ: أَمَّا الْأَمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ، وَأَمَّا الْأَمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَسْتَمْتَعُ فِيهَا الشَّقِيُّ، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ، وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ، انتهى متن.

◀ اللُّغَةُ

(نَعَمْ) بفتح العين وبكسر العين أيضا حرف جواب فى التصديق اذا وقعت بعد الخبر. (أَمْرَةٌ) بكسر الألف الولاية. (وَالْبَرُّ) بالفتح البَار (الفاجر) الفاسق او المُنْبَعَثُ فى المعاصى. (الْفَىءُ) الغنيمة (السُّبُلُ) بضمّتين جمع سَبِيلٍ كالطَّرِيقِ جمع طَرِيقٍ. (الْمَنِيَّةُ) الموت.

لَمَّا سَمِعَ ﷺ قَوْلَهُمْ: اى قول الخوارج. (لأَحْكُمُ إِلَّا لِلَّهِ) لاللمخلوق انكاراً منهم قضية الحكمين على ما مرّ تفصيلاً. (قَالَ ﷺ: كَلِمَةٌ حَقٌّ) اى هذا الذى قالوا اعنى لاحكم الا لله كلمة حقّ ظاهراً (يُزَادُ بِهَا) اى بهذه الكلمة (الْبَاطِلُ) واقعاً وذلك لانهم اجبروا علياً على الرضا بالتحكيم. (نَعَمْ إِنَّهُ لأَحْكُمُ إِلَّا لِلَّهِ)، اى نحن ايضا نقول بهذا الكلمة ولا ننكرها. (وَلَكِنْ هُوَ لَأَيُّ) اى الخوارج (يَقُولُونَ لِأَمْرَةٍ) لآن لازم قولهم لاحكم الا لله ظاهراً ومخالفته واقعاً هو نفى الأمرة مطلقاً. (وَإِنَّهُ لأَبْدَ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ)، وذلك لانه لو لم يكن امير فيهم لزم الهرج والمرج. (يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتَعُ فِيهَا الْكَافِرُ)، وذلك لآن المؤمن لا يتبعه ولا يستفيد من دنياه اذا كان الأمير كافراً فاجراً بخلاف الكافر فانه يستمتع بها، واما اذا كان برّاً فالأمر بالعكس ويمكن ان يكون كلامه ﷺ من قبيل اللف والنشر المرثب وعليه فالمعنى يعمل المؤمن فى حكومة البرّ ويستمتع الكافر فى حكومة الفاجر. (وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الْأَجَلَ)، بتذكير العصاة ببلوغ الأجل وتخويفهم به هكذا قالوا فى شرحه: (وَيُجْمَعُ بِهِ) اى بالأمير برّاً كان او فاسقاً. (الْفَيْءُ) وهو الغنيمة (وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ) اى الكافر بالله. (وَتَأْمَنُ بِهِ) اى بسطوته وهيبته، (السُّبُلُ، وَيُؤَخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ) لأمكان حصولهما فى امارة الفاجر كحصولهما فى امارة البرّ. (حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ) فى هذه الأمارة (وَيُسْتَرِاحُ مِنْ فَاجِرٍ)، اى ويستريح الناس من الفاجر بموته وغير ذلك. (وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى. لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ:) اى الخوارج (قَالَ ﷺ حُكْمُ اللهِ أَنْتَظِرُ فَبِكُمْ)، ولعله اخباراً عن وقعة النهروان. (أَمَّا الْأَمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ)، لعدم وجود المانع فيها له. (وَأَمَّا الْأَمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَسْتَمْتَعُ فِيهَا الشَّقِيُّ)، لوجود السخية بين الأمام والمأموم (أَنْ تَنْقَطَعَ مُدَّتُهُ، وَتُدْرِكُهُ مَنِيَّتُهُ)، اى الأمير.

(مَنِيَّتُهُ)، وهى الموت.

□ قوله ﷻ: كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا الْبَاطِلُ...

اي الكلمة التي قالوا بها اعني لأحکمم إلا لله، كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا الْبَاطِلُ أَمَا كونها حقاً فلأنه لاشك في ان الله تعالى هو أحكم الحاكمين لاراد لحكمه ولا دافع لقضائه يفعل ما يشاء وَيَحْكُمُ ما يُريد فهو اعني ما قالوه كلمة مطابقة لنفس الأمر والواقع فإن صدق الخبر مطابقتة للواقع وكذبه عدمها وقال النظام صدق الخبر مطابقتة لإعتقاد المُخبر ولو كان ذلك الأعتقاد خطأً غير مطابق للواقع وكذب الخبر عدم مطابقتة له ولو كان صواباً هذا اذا كان الحق والصدق بمعنى واحد وهو المطابقة للواقع وأما اذا قلنا بالفرق بينهما كما هو الحق الحقيق بالاتباع فليس الامر كما ذكره ونحن نذكر الفرق أولاً ثم نذكر ما لا بد لنا من ذكره فنقول: اصل الحق المُطابقتة والمُوافقة بفتح الباء بصيغة المفعول والحق يقال على اوجه:

الاول: يقال لِمُوجِدِ الشَّيْءِ بكسر الجيم بمعنى السَّبَبِ والعِلَّةِ لِلشَّيْءِ على ما يقتضيه الحكمة ولهذا قيل في الله تعالى هو الحق قال الله تعالى في كتابه: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾^(١)

و: ﴿فَذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾^(٢)

والثاني، يقال لِلْمُوجِدِ بفتح الجيم بصيغة المفعول اعني المَعْلُولِ بحسب مقتضى الحكمة ولهذا يقال فعَل اللهُ تعالى كلمة حق، وقال الله تعالى: هو الذي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا الى ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٣)

و: ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٤)

و: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾^(٥)

و: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ أَيُّ رَبِّيَ إِنَّهُ لِحَقٌّ﴾^(٦)

٢. يونس - ٣٢.

٤. الحج - ٥٤.

٦. يونس - ٥٣.

١. الانعام، آية ٦٢.

٣. يونس - ٥.

٥. المؤمنون - ٩٠.

والثالث، يقال في الاعتقاد للشئ المطابق لما عليه ذلك الشئ في نفسه
كقولنا اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق.
قال الله تعالى: ﴿فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾^(١)

والرابع، يقال للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وفي
الوقت الذي يجب كقولنا فعلك حق وقولك حق.

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾^(٢)

و: ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾^(٣)

و: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٤)

قاله الراغب في مفرداته واما الصدق والكذب فهما في القول ماضياً كان او
مستقبلاً وعداً كان او غيره ولا يكونان بالقصد الا في القول ولا يكونان
في القول الا في الخبر دون غيره من اصناف الكلام انتهى.

اذا عرفت الفرق بين الحق والصدق وان الثاني اختص بالقول فقط بخلاف
الاول فقد دريت ان الحق اعم من الصدق لاستعماله في القول وغيره وعليه
فالصدق اخص منه فيبينهما العموم والخصوص مطلقاً من النسب الرابع.

وقد ظهر بما ذكرناه وجه تخصيص الكلام بالحق حيث قال ﷺ كلمة حق،
دون الصدق حيث لم يقل كلمة صدق وذلك لان الحق اعم فيشمل الصدق
واكثر ولو قال بدل كلمة حق كلمة صدق لما يشمل الحق وايضا صدق الخبر
على قول النظام عبارة عن مطابقة القول لأعتقاد المخبر وان كان مخالفاً للواقع
وكذبه عدمها وان كان مطابقاً له كما ذكرنا فلو قال ﷺ كلمة صدق لم يصح على
القول الا في معنى الصدق وهو مطابقتها للواقع فلا يبعد ان يقال ان قوله ﷺ
يؤيد قول النظام والله اعلم. واما الحق فليس كذلك لأعميته وشموله هذه
المعاني كلها هذا كله من حيث اللغة واما حقانيتها هذه الكلمة اعني
(لاحكم الله) من جهة النقل:

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

٢. يونس - ٣٣.
٤. المؤمنون - ٧١.

١. البقرة - ٢١٣.
٣. السجدة - ١٣.

فمنها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾^(١)
 قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(٢) يُقْضَى الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ،
 و: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتَغَى حَكْمًا﴾^(٣)
 و: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٤)

وامثال ذلك من الآيات واصل الحُكْم المَنْع يقال حَكَمَ اى مَنَعَ مَنَعاً
 لأصلاح ومنه سُمِّيَت اللُّجَام حكمة الدَّابَّة قال الشاعر: ابْنَى حَنِيفَةَ أَحْكَمُوا
 سُفْهَاءَكُمْ اى امْنَعُوهُمْ.

وامَّا قوله ﷺ: يُرَادُ بِهَا الْبَاطِلُ...

فهو اشارة الى عدم اعتقادهم بكونه حقاً او ارادتهم غير ما اعتقدوه او
 ارادتهم غير واقع المعنى وامثال ذلك والجامع هو انهم لم يُرِيدُوا بقولهم هذا
 اعنى لا حُكْم الا لله، معناه الواقعى اعنى تفويض الأمر اليه والدليل على انهم
 اراد وبها به الباطل من وجوه:

اما اولاً: فلانهم لو صدقوا فيما قالوه وانه لا حُكْم الا لله، فَلِمَ اجابوا دَعْوَةَ
 مُعَاوِيَةَ واصحابه حين رَفَعُوا المصاحف ودعاهم الى التَّحْكِيم مع ان امير
 المؤمنين ﷺ نهاهم عن الأجابة وأمرهم بالمقاومة والأستقامة فى الحرب ولا
 سيما آثار الفتح والغلبة كانت لائحة فَلِمَ يَقْبَلُوا قوله ﷺ بل أجبروه بالقبول
 وهددوه بانه، لو لم يَقْبَل ولا يَرْضَى بالتَّحْكِيم قتلوه وقالوا له نفعك بك كما فعلنا
 بابن عُفَّان على ما مر شرحه مفصلاً فان صدقوا فى قولهم هذا فكيف قالوا بعد
 ذلك لا حُكْم الا لله. وان كذبوا وجَهِلُوا ثم عَلِمُوا فالجواب عليهم الرُّجوع عن
 الذَّنْب والتَّسْلِيم لحُكْمِهِ ﷺ فى امر الجهاد ثانياً وحيث قالوا ما قالوا فلا معنى
 لقولهم ثانياً لا حُكْم الا لله الا ارادة الباطل وهو نفى الأمرة بالكلية وهو ظاهر.
 وثانياً: ان الخوارج الذين قالوا هذ الكلام لم يكونوا من المؤمنين بالله

ورسوله حتى صدقوا فيما قالوه بل انهم كانوا من المنافقين المظهرين لاسلام
والمُنكرين له بقلوبهم والدليل عليه اعمالهم الشنيعة من قتلهم عبد الله ابن
خبيب عامل علي عليه السلام مع كونه من اكابر الصحابة واعاظم المؤمنين وامثال ذلك
من الفجائع التي ارتكبوها عند مسيرهم الى النهروان على ما مرّ ومن كان
كذلك فكيف يقول لاحكم الا لله، فيقال له امين حكم الله قتل المؤمنين ونهب
اموالهم وهتك اعراضهم فان كنتم صادقين فلم ارتكبتموه فان الله يأمر بالعدل
والاحسان ولا يأمر بالظلم والفحشاء فثبت كذبهم فيه.

وثالثاً: ان امير المؤمنين كان وصي الرسول بنص منه عليه السلام على خلافته
والرّاد عليه كالرّاد على الرسول والرّاد على الرسول كالرّاد على الله والرّاد على
الله كيف يقول لاحكم الا لله.

والمفروض انه راد على حكمه وهل هذا الا التهافت في القول.

ورابعاً: على فرض كونه عليه السلام غير منصوص للخلافة من قبله عليه السلام فلا شك
انه كان مفترض الطاعة لكونه اماماً لهم بالبيعة من اهل الحل والعقد كما قالوا به
في ابي بكر وعمر وعثمان فهلاً قالوا لاحكم الا لله، في عهد الخلفاء الثلاثة مع
وجود البدع الكثيرة التي ابدعوها وقدمر الكلام فيها مفصلاً مع انه قد ثبت ان
حلال محمد حلال الى يوم القيمة وحرامه حرام الى يوم القيمة فلم يحكموا في
دينه بما حكموا من عند انفسهم كقول عمر متعتان محللتان في زمن النبي انا
احرمهما واعاقب عليهما، اليس هذا وامثاله من قبيل الحكم في دين الله.

وخامساً: ما الذي ارادوا بقولهم هذا اعني لاحكم الا لله فان ارادوا التحكيم
في امر الخلافة كما هو الظاهر فهو مع انه لم يكن من قبله عليه السلام بل كان من قبلهم
لا ينفذ لهم لان امر الخلافة لا يخلو من حالين:

احدهما. القول بان الخلافة والامامة لا تكون الا بامر من الله ونص من
الرسول ولا تنالها ايدي الناس وافكارهم واراتهم في تعيينهم اياها كما تقول به
الشيعة الاثني عشرية وعليه فقولهم لاحكم الا لله، معناه ان التحكيم في امر

الخلافة لا مورد له اذا المفروض ان الخلافة لا تثبت برأى الناس حكومتهم
وحيث ان علياً عليه السلام كان منصوباً بالخلافة من قبل الرسول فكيف يصح له عليه السلام
الرضا بحكومة الناس فيها كما هو الظاهر من قولهم فى بعض الموارد لاحكم
الا لله لالك يا على.

وثانيهما. ان تكون الخلافة بتعيين الناس فكل من عينوه بها وانفقوا عليه
فهو الامام والخليفة ولا دخل لله ولرسوله فى هذا الامر كما هو مسلك العامة
وعلى كلا التقديرين لا مجال لقولهم لاحكم الا لله.

اما على الاول: فلان حكم الامام حكم الله فان الامام المنصوب منه تعالى
للأمامة لا يخالفه ابداً فقولهم لاحكم الا لله، مخالف لهذه العقيدة لان هذا
القول كالرد على الامام والرد عليه رد على الله وهو كما ترى وحيث قالوا به فلا
محالة لم يريدوا به الا الباطل اعنى لم يريد ومعناه الواقعى لمنافاته لما ذكر.

واما على الثانى: ايضا لا معنى له لان الخلافة لو كانت بتعيين الناس كما هو
المفروض فما الفرق بين التحكيم فى دومة الجندل والتحكيم فى المدينة
وبعبارة اخرى ما الفرق بين ما نحن فيه وبين السقيفة حيث حكموا هناك
بصحّة حكم الناس بخلافة ابى بكر ولم يقولوا لاحكم الا لله لالك يا عمرو يا
ابا عبيدة وغيرهما من افراد السقيفة وقالوا بهذا القول فى المقام فان ابا موسى
الاشعري وعمرو ابن العاص واصحاب السقيفة الذين حكموا فيها بخلافة ابى
بكر لم يكن بينهم فرق فالحكم بصحّة التحكيم فى دين الله هناك، دون المقام
تحكم وتعتسف وعلى المدعى الاثبات.

واعجب منه بل افحش واقبح قولهم بصحّة حكم ابى بكر وحده بخلافة
عمر من غير مشورة منه مع الاصحاب بل ومع مخالفته لكثير منهم كما ذكرناه
فى موضعه وبطلان التحكيم فى المقام الا يقال لهم كيف صح حكم رجل
واحد فى دين الله ولم يصح حكم رجلين فيه وكيف تحكمون بكفر على
لانه عليه السلام رضى به مع انه كان مجبوراً عليه ولا تحكمون بكفر ابى بكر ومن

صَدَّقَ قَوْلَهُ وَفَعَلَهُ ثُمَّ مَا يَقُولُونَ فِي الشُّورَى بَعْدَ عُمَرَ فِي تَعْيِينِ الْخَلِيفَةِ وَجَعَلَ عُمَرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ عَوْفٍ حَكَمًا فِي الشُّورَى وَقَالَ خُذُوا بِمَا قَالَه عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَلَيْسَ هَذَا تَحْكِيمًا فِي أَمْرِ اللَّهِ فَثَبَّتَ وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ لَامَعْنَى مُحْصَلٌ لِهَذَا لِكَلَامِ فَلَا جُرْمَ ارَادُوا بِهَا الْبَاطِلَ وَبِهَذِهِ الْوُجُوهُ الْمَذْكُورَةُ وَغَيْرَهَا مِمَّا لَمْ نَذْكُرْهُ مِرَاعَاةً لِلْأَيْجَازِ وَالْإِخْتِصَارِ قَالَ ﷺ كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا الْبَاطِلُ.

ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ وَمَا شَابَهَا مِنَ الْإِلْفَازِ لَا تَكُونُ مَنْحَصِرَةً بِمَا قَالَتْهُ الْخَوَارِجُ وَلَا إِخْتِصَاصَ لَهَا بِهِمْ بَلِ السَّيْرَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ جَرَتْ بِأَجْرَانِهَا عَلَى الْأَلْسِنَةِ فِي كُلِّ عَهْدٍ وَزَمَانٍ لِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ الْكَاذِبِينَ لَمْ يَنْقَطِعْ نَسْلُهُمْ، وَلَا طَرِيقُ الْإِلَى وَصُولُهُمْ بِمَقَاصِدِهِمْ وَنِيَلِهِمْ لِأَهْدَافِهِمْ إِلَّا هَذَا الطَّرِيقَ الْفَاسِدَ فَانْكَ تَرِيهِمْ يُظْهِرُونَ الْأَسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَيُضْمَرُونَ الْكُفْرَ وَالطَّغْيَانَ فَيَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَآكْثَرُ النَّاسِ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِحَالِهِمْ لِكُونِهِمْ هَمِجَ رِعَاءِ اتِّبَاعِ كُلِّ نَاهِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ وَلَا يَسْتَضِيئُونَ بِنُورِ الْعِلْمِ وَالْهُدَايَةِ فَيَمَشُونَ خَلْفَ هَوْلَاءِ الظُّلْمَةِ وَيُطِيعُونَ أَمْرَ هَوْلَاءِ الْفَسَقَةِ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا هَدْمٌ لِلدِّينِ وَخَرَقٌ لِأَحْكَامِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَآحْيَاءِ الْبَاطِلِ وَآمَاتَةِ الْحَقِّ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ذَرْهَمٌ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَلَكِنَّ هَوْلَاءَ يَقُولُونَ لِأَمْرَةٍ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ...

ثُمَّ أَنَّهُ ﷺ بَيَّنَّ مَرَادَهُمْ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ اعْنَى لِأَحْكَامِ الْإِلَهِيِّ، وَقَالَ وَلَكِنْ هَوْلَاءُ الْخِ أَيْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِنَفْيِ الْأَمْرَةِ وَأَنَّهُ لِأَحْتِيَاجِ الْإِلَى وَجُودِ الْأَمِيرِ فِي النَّاسِ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ بَلِ لِأَمْحِيصِ فِي كُلِّ زَمَانٍ مِنْ وَجُودِ الْأَمِيرِ وَالْحَاكِمِ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا عَلَى طَرِيقِ الْمُنْفَصَلَةِ الْحَقِيقَةِ الْمَانِعَةِ الْخُلُوعِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخُلُوعَ الْأَجْتِمَاعِيَّ عَنِ الْأَمِيرِ أَيَّامًا كَانَ يُوجِبُ إِخْتِلَالَ النِّظْمِ وَظُهُورَ الْهَرَجِ وَالْمَرَجِ وَهَذَا ظَاهِرٌ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ وَجُودُ هَذِهِ السَّيْرَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ مِنْ أَوَّلِ الدُّنْيَا إِلَى زَمَانِنَا هَذَا فَانْكَ لِاتَرَى زَمَانًا مِنْ الْأَزْمَنِ خَالِيًا مِنْهُ وَالْمَشْهُورَ أَنَّ أَوَّلَ

السلاطين والحكام في البشر هو رجل يُسمى بكيومرث كما اشار اليه الفردوسي الطوسي في كتابه المسمى بشاهنامه حيث قال:

نخستين خديوي كه كشور گشود سر پادشاهان كيومرث بود
ولكن لادليل على صحة ما ذكره من العقل والنقل والحق ان ما ذهب اليه في هذا الباب كسائر القضايا التي ذكرها في كتابه بالموهومات أشبهه منه بالواقعات فان كتابه هذا يحتمل قوياً بل قطعياً ان يكون من مستخرجات اوهامه او اوهام امثاله لعدم مساعدة التاريخ والعقل السليم عليه ولسنا نحن بصدد البحث في هذا الموضوع.

والذي نقطع به هو ان البشر لا يبد له من حاكم او امير او سلطان او خليفة او ما شئت فسمه حتى انك ترى القبائل في القرون السالفة وفي العهد الحاضر لكل منها امير ورئيس واما كونه عادلاً او ظالماً مؤمناً او كافراً او فاسقاً فهو شيء آخر غير ما نحن بصدده فان الغرض فعلاً اثبات اصل وجود الامير لا وظيفته، وشئونه من العدالة وغيرها.

ثم انه لاشك ظاهراً في ان الخوارج لم يصرحوا بانه (لا امرة)، وانما لازم قولهم لا حكم الا لله) هو ذلك وتوضيحه ان قولهم هذا له منطوق ومفهوم اما منطوقه فهو نفى الحكم الا لله وهو يوجب حصر الحكم في حق الله تعالى على نمط ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ والاستثناء في المنفى يفيد اثبات الحكم للمستثنى كما ثبت وتقرر في محله هذا بالنظر الى المنطوق.

واما بالنظر الى المفهوم فمفهومه ان لا حكم لغير الله كائناً من كان فان المفهوم تابع للمنطوق في الشمول وعدمه ومعنى عدم جواز الحكم مطلقاً لغير الله يرجع الى نفى الامرة، ايضاً فلزم قولهم لا حكم الا لله، عدم الامرة بين الناس وهو كما ترى مردود عقلاً اذ لا بد للناس من امير بر او فاجر وذلك لانه يقال لهم ان صح قولكم لا حكم الا لله، والمفروض على زعمكم عدم وجود الحكم له تعالى فيه فما تكليف الاجتماع في هذا الامر فلا محالة يجيبون بعدم

الأمره اذ ثبوت الأمره يستلزم وجود الحكم لغير الله وهم لا يقولون به.
ان قلت - أليس قوله ﷺ: **وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ**، اثبات
الإمارة والحكومة في الناس بالناس وهو ينافي ما قلت سابقاً في بحث الأمامة
من ان الحكومة على الناس والسلطنة عليهم لا تكون الا بجعل من الله ونص
من الرسول وليس للناس وافكارهم وآرائهم في هذا الامر حظ ولا نصيب.

قلت - نعم، ولا منافاه بين ما ذهبنا اليه وما صرح به ﷺ في المقام وذلك لان
ما قلناه واستدللنا عليه انما هو بحسب موازين الشرع والعقل على ما مر
تفصيله، واما ما ذكره في المقام فهو بحسب جريان الطبيعة والتكوين، وبعبارة
أخرى: هو ﷺ قال لهم هذه المقالة على زعمهم الفاسد واعتقادهم الكاسد
حيث أنهم لم يعتقدوا بان الأمام لابد من ان يكون منصوباً من قبل الله تعالى بل
اعتقدوا بعدم وجود النص او عدم لزومه وان تعيين الأمام انما هو بتعيين الناس
اياهم وعليه فلا مجال لقولهم لا حكم الا الله فكأنه عليه السلام الزمهم بفساد
قولهم على حسب رأيهم واعتقادهم.

وتوضيحه، ان الناس لابد لهم من الأمام والحاكم وهو اما من الله او من
الخلق فان كان الاول فلا بد لهم من المتابعة بلا كلام وان كان الثاني فلم قالوا
لا حكم الا لله، وانه يوجب نفي الأمره بالكلية وهو مناف لمسلكتهم، ومذهبهم
فقد تمت عليهم الحجة، فليس في كلامه ﷺ دليل على جواز تعيين الناس
الأمر شرعاً وعقلاً فقوله ﷺ هذا نظير ما يقال لابد للناس من مأكول ومشروب
ومسكن حلالاً كان المأكول او حراماً وهكذا في المشروب والمسكن وليس
في هذا الكلام دلالة على جواز اكل المحرم وفان لزوم الشيء للشيء بحسب
العادة والطبيعة لاربط له بالحكم الشرعي فاذا يقال الانسان لكونه جسماً لابد له
من الحيز فان المتحيز يحتاج في وجوده الخارجى الى الحيز وهذا حكم له
بمقتضى جسميته واما كون الحيز غصباً او وقفاً او غير غصب ووقف فهو امر
خارج عن لوازم ذاته فان اللوازم العقلية غير اللوازم الشرعية فالأول لاتناله يد

الجعل بخلاف الثاني فإنه مَجْعُول.

إذا تقرر هذا فنقول: قوله ﷺ: لا بدّ للناس الخ اشاره الى الاول، اي اللوازم العقلية فإنّ العقل يحكم بلزوم الأمير والحاكم دفعاً للهرج والمرج واختلال النظم وامثال ذلك إلا أنّ هذه اللوازم لها اي لوجودها طريقان طريق من الناس، وطريق من الشارع فإذا فرضنا انتفاء الثاني على زعمهم وعقيدتهم او وجوده مع عدم قبولهم آياه كما أنّهم كثيراً ما لا يلتزمون بغيره من الأحكام ايضاً فالطريق الاول محفوظ لعدم الملازمة بين الطريقتين وقول الخوارج ينفى الطريقتين معاً أمّا الشرع فمعلوم لعدم قبولهم امر الشارع فيه وأمّا العقل فلأنّه مولود حكم الناس والمفروض عدم التزامهم به وهو معنى قوله ﷺ: يَقُولُونَ لِأَمْرَةِ الخ.

والحاصل أنّ قوله ﷺ في المقام لا دلالة فيه على جواز حكم الناس في الموضوع بل يدلّ على وجود الأمير لامحالة سواء كان بتعيين من الله ورسوله او بتعيين من الناس لأنّ الحكومة في الناس من لوازم وجودهم الاجتماعي في ادامة الحياة وحفظ النظم فالقول بنفيها وردّها على كلا التقديرين ممّا يضحك به الثكلى فما ذكره ﷺ في ردّهم وجوابهم دليل على حماقتهم وجهلهم وأنهم من الذين لا دين لهم ولا عقل لأنكارهم الشرعيات والعقليات والعرفيات.

□ قوله ﷺ: يَعْمَلُ فِي أَمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ وَيَسْتَمْنَعُ فِيهَا الْكَافِرُ وَيُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفِيءُ الى آخر الخطبة...

ثمّ أنّه ﷺ بعد ما بيّن لزوم الأمانة في الناس برّاً كان او فاجراً شرع في بيان الآثار المترتبة على امارته بالنسبة الى الأفراد وغيرها وقد صرح عليه السلام منها بأمور.

احدها قوله ﷺ: يَعْمَلُ فِي أَمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ...

الظاهر رجوع الضمير في (امرته) الى الأمير الأعم من كونه برّاً او فاجراً وان كان الرجوع في هذه الجملة الى الأمير البرّ وفي تاليتها الى الأمير الفاجر من

المُحتملات العَقليَّة على سبيل اللَّفِّ والنَّشْرِ إلا أنَّ قرينة السِّيَاق والمَرَجِع في الجُمَلات الآتية مع كونها معطوفة على الأولى لا يساعِد هذا الاحتمال كما هو غير خَفِيِّ على من له أنس بقواعد الأدب وموازين البلاغة والفصاحة وعليه فالمعنى أنَّ المؤمن يَعْمَل في إمرة الأمير لآخرته ودنياه.

أما أنه يَعْمَل في إمرة الأمير البَر فهو واضح لأنَّ الأمير إذا كان بَرًّا ومَهَّد بساط العدل وأمر بالمعروف ونَهَى عن المنكر فلا محالة تكون هذه الإمارة سبباً لحفظ النِّظام الاجتماعي على وجه الأحسن والمؤمن لا يريد إلا هذا فهو يَعْمَل لنفسه ما شاء لوجود المقتضى وانتفاء الموانع وهذا ظاهر لا يحتاج إلى دليل وبرهان.

وأما في حُكومة الفاجر فهو أيضاً يعمل لنفسه وذلك بعدم دخالته في الأمور والأنزواء من النَّاس وأعماله التَّقِيَّة تارة، القيام بالمعروف والنَّهْي عن المنكر والمُجالسة والمَراودة مع أبناء زمانه تارة أخرى كل ذلك بمقتضى تكليفه الشَّرعي وعلى كلا التَّقديرين فيصدق عليه أنه يعمل في إمرة الفاجر والحاصل أنَّ المؤمن لكونه على بصيرة في دينه وأنه ينظر بِنُور الله لا يصير تابعاً للشَّيطان واعوانه في الواقع ونفس الأمر بل يحفظ دينه وإيمانه بائٍ نحو من الأنحاء ولا بأس بتوضيحه فنقول حال المؤمن في إمرة الفاجر لا تَخْلُو من وجهين.

أحدهما أن يكون مُنزويّاً في زوايا الخُمول مُشتغلاً بالرياضات النَّفسانيَّة والعبادات والنُّسك في الخَلوات غير معاشِرٍ لأبناء زمانه أو سُلطان وقته كما هو شأن كثيرٍ من المؤمنين في الأدوار السَّابقة وفي زماننا هذا من العلماء والزَّهاد وغيرهم من طبقات النَّاس ولا شك في أنَّ هذا المَسلك متينٌ جداً وزيِّنٌ شريفٌ عقلاً وشرعاً وقد وردت بحسنه روايات كثيرة في الأخبار المأثورة عن الأئمَّة عليهم السَّلام كما ستَعلم.

وثانيهما أن لا يكون كذلك أي لا يكون مُنزويّاً بل كان معاشِراً لهم مُجالساً

معهم قائماً بالأمر بالمعروف وناهياً عن المنكر ولو كان هذا بلغ ما بلغ حتى السب والضرب والقتل علماً أو ظناً منه ان هذه الروية أصلح للدين وأنفع للمسلمين وقد وردت به ايضاً روايات وفي كلا المسلكين يصدق انه يعمل ونحن نذكر بعض الروايات الواردة في الباب من الطرفين ثم نتكلم فيهما على طبق الموازين عقلاً وشرعاً فنقول:

فمن الاوّل ما رواه في الوسائل عن ابي الحسن موسى ابن جعفر عليه السلام في حديث طويل انه قال يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوّة العقل فمن عقل عن الله اعتزل اهل الدنيا والراغبين قيتها ورغب فيما عند الله وكان الله أنسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة وغناه في العلية ومُعِزّه من غير عشيرة، انتهى...

وعن امير المؤمنين عليه السلام: طوبى لمن لزم بيته وأكل كسرتة وبكى على خطيئته وكان من نفسه في تعبٍ والناس عنه في راحة، انتهى...

وعن عيسى ابن مريم عليه السلام أطلب السلامة أينما كنت وفي اي حال كنت لديك وقلبك وعواقب أمورك الحديث، انتهى...

وعن إرشاد القلوب للديلمي روى سفيان الثوري قال قصدت جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فأذن لي في الدخول فوجدته في سرداب ينزل اثني عشر مرقاة فقلت با بن رسول الله انت في هذا المكان مع حاجة الناس اليك فقال يا سفيان فسد الزمان وتنكر الأخوان وتقلب الأعيان فاتخذنا الوحدة سكناً أمعك شيء تكذب قلت نعم قال عليه السلام أكتب شعراً:

لا تجز عن لوحدة وتفرد	و من التفرد في زمانك فازد
فسد الأخاء فليس ثم أخوة	الا التملق باللسان وباليد
واذا انظرت جميع ما بقلوبهم	ابصرت ثم نقيع سم الأسود
فاذا فتشت ضميره عن قلبه	وامنت منه نقيع سم الأسود

وعن امير المؤمنين عليه السلام انه قال مداومة الذكر خلصان الأولياء، ملازمة الخلوة

ذَابُّ الصُّلْحَاءِ انتهى الى غير ذلك من الأخبار والآثار الحائئة على الخلوّة والأعتزال وهذا اعنى الأعتزال وان كان فى حُكومة الأمام العادل ايضاً ممكناً جائزاً ولا اختصاص له بحكومة الفاجر الاّ أنّه فى دولة الفاجر اصلح وانفع بالدين والدنيا فى دولة البار لكون العشرة مع الفاجر فى بعض الأحيان لولا اكثرها من الأمانة على الأثم والنصرة للظالم وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(١)

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٢)

وهذا بخلافه فى دولة الحقّة فانّ العشرة معها والدخول فى حكومتها يكون ممدوحاً اكثرأ ومصدّقاً لقوله تعالى: ﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(٣) وهذا ظاهر وسيأتى من الكلام فى اوصاف الخلوّة والعشرة مفصلاً فى موضعه انشاء الله ولسنا الآن بصدد تحقيقه وتفتيشه والمقصود انّ المؤمن فى حُكومة الفاجر كثيراً ما يحتاج الى الأعتزال والخلوّة عن الناس حتى يقدر على العمل.

ومن الثانى ما رواه المجلسى (قده) عن رسالة الغيبة للشهيد الثانى باسناده عن عبد الله ابن سليمان النوفلى قال كُنْتُ عند جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ الصَّادِقِ عليه السلام فاذا بمولى لعبد الله النجاشى قد وَرَدَ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَاوْصَلَ إِلَيْهِ كِتَابَهُ فَقَضَّه وَقَرَّاهُ فاذا أَوَّلَ سَطْرٍ فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اطَّالَ اللَّهُ بِقَاءِ سَيِّدِي وَمَوْلَائِي وَجَعَلَنِي مِنْ كُلِّ سَوْءٍ فِدَاهُ وَلَا أَرَانِي مِنْهُ مَكْرُوهاً فَأَنَّهُ وَلِيٌّ ذَاكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. اعْلَمْ: يَا سَيِّدِي وَمَوْلَائِي أَنِّي بَلِيْتُ لَوْلَايَةِ الْأَهْوَاذِ فَاِنْ رَأَى سَيِّدِي اِنْ يَجِدَلِي حَدّاً أَوْ يُمَثِّلُ لِي مَثَلاً لِلْأَسْتِدْلَالِ بِهِ عَلَيَّ مَا يُقَرِّبُنِي إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالِي رَسُولِهِ وَيُلَخِّصُ فِي كِتَابِهِ مَا يَرَى لِي الْعَمَلُ بِهِ وَفِي مَا يَبْدُلُهُ وَأَبْتَدِلُهُ وَأَيْنَ أَضْعَ زَكَوَاتِي وَفِي مَنْ أَصْرَفُهَا وَبِمَنْ أَنَسَ وَإِلَى مَنْ اسْتَرِيحُ وَبِمَنْ أَتَّقَى وَأَمَّنَ وَالْجَاءُ إِلَيْهِ فِي سِرِّي فَعَسَى اِنْ يُخَلِّصَنِي اللَّهُ بِهَدَايَتِكَ وَدِلَالَتِكَ فَانْكَ حِجَّةُ اللَّهِ عَلَيَّ خَلْقَهُ

وَأَمِينَهُ فِي بِلَادِهِ لَأَزَالَتْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ سَلِيمَانَ فَاجَابَهُ أَبُو
عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَاطَكَ اللَّهُ بِضَعْفِهِ وَلَطَّفَ بِكَ بِمَنَّهُ وَكَلاكَ
بِرِعَايَتِهِ فَإِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ.

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَاءَ إِلَيَّ رَسُوكَ بِكِتَابِكَ فَقَرَأْتَهُ وَفَهِمْتُ جَمِيعَ مَا ذَكَرْتَهُ
وَسَأَلْتُ عَنْهُ وَزَعَمْتَ أَنَّكَ بُلِيتَ بِوَلَايَةِ الْأَهْوَازِ فَسَرَرَنِي ذَلِكَ وَسَاءَنِي،
وَسَأَخْبِرُكَ بِمَا سَأَلْتَنِي مِنْ ذَلِكَ وَمَا سَرَرَنِي أَنْشَاءَ اللَّهِ تَعَالَى.

فَأَمَّا سُرُورِي بِوِلَايَتِكَ فَقُلْتُ عَسَى أَنْ يَغِيبَ اللَّهُ بِكَ مَلَهُوْفًا خَائِفًا مِنْ أَوْلِيَاءِ
آلِ مُحَمَّدٍ وَيَعِزِّبِكَ ذَلِيلَهُمْ وَيَكْسُو بِكَ عَارِيَتَهُمْ وَيُقَوِّى بِكَ ضَعِيفَهُمْ وَيُطْفِئِي
بِكَ نَارَ الْمُخَالَفِينَ عَنْهُمْ.

وَأَمَّا الَّذِي سَأَلْتَنِي مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ أَدْنَى مَا أَخَافُ عَلَيْكَ تَغْيِيرُكَ لَوْلِيٍّ لَنَا فَلَا تَشْمُ
حَضْرَةَ الْقُدْسِ فَإِنِّي مُلَخِّصٌ لَكَ جَمِيعَ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ إِنْ أَنْتَ عَمِلْتَ بِهِ وَلَمْ
تَجَاوِزْهُ رَجُوتُ إِنْ تَسَلَّمَ أَنْشَاءَ اللَّهِ الْحَدِيثُ بِحَارِ الْأَنْوَارِ، ج ١٦، ص ٢١٥، ط
كَمْبَانِي..

اقول: والرّوايات من الطّرفين في الباب كثيرة وفيما ذكرناه كفاية وناهيك
فيه دخوّل كثير من الأولياء والصّلحاء في كلّ عصرٍ وعهدٍ في حكومات
الجبابرة وعدم نهى المعصومين عنه وكفّك شاهداً عليه هذه الرّواية ونظائرها
فإن موسى ابن جعفر ايضاً اجاز عليّ ابن يقطين في وزارته ليهرون الرّشيد بل
أمره بها حين استأذنه الخروج عمّا كان فيه وامثاله كثيرة كخواجة نظام الملك
الطّوسى وعظاملك الجوينى والخواجة نصير الدّين الطّوسى وامثالهم الاّ انه
يجب علينا الجّمع بين هذه الأخبار حتى يتّضح الحال فإنّ العمل بالوظيفة
الشّرعية في دولة الجائر الفاجر من المشكلات ولا سيّما في المعاشرة مع
اركان دولته فنقول اعلم يا اخى هذاك الله تعالى، الى سعادة الدّارين وحلاوة
النشأتين انّ الحقّ في المقام هو القول بالتّفصيل فلا يمكن القول بالأعتزال في
حكومة الجائر مطلقاً ولا يمكن القول بالعشرة فيها ايضاً مطلقاً بل قد يكون

الترجيح للأول وقد يكون للثاني وذلك، لأن الواجب على المؤمن ان يكون عبداً لله تعالى عاملاً بوظائف العبودية مُخلصاً لوجهه الكريم راعياً ربّه في جهة العبادة والخدمة حاضر القلب متوجهاً اليه مُتقرباً به مُمثلاً او امره ونواهيهِ لا يتحرك ولا يسكن إلا به وبالجملة لا بد للمؤمن الحقيقي ان يراعى في جميع حركاته وسكناته وعباداته، ومعاملاته وجميع شئونه الحياتية رضا الله تعالى فكل ما فيه رضى له تعالى يفعله وكل ما ليس كذلك يتركه وهذا هو الملاك له في جميع اموره.

فمن كان يُمكنه ان يعمل بما امره الله به في صورة المعاشرة والمُجالسة للخلق بلا تفاوت فيه عنده في الخلاء والملاء فهو لا يحتاج الى الاعتزال والتخلي سواء كانت الدولة والحكومة حقة او باطلة فان الاعمال بالنيات ومن لا يقدر فعليه بالاعتزال والأنزواء وحفظ الدين ولا شك ان المعاشرة وتحمّل المحنة لهداية الناس افضل في صورة القدرة عليها مع الشرائط ولذلك لم يؤمر الأنبياء والأوصياء بالاعتزال عن الخلق كيف ولو اعتزل المؤمن عنهم فمن يهدى الفجار الى الطريق المستقيم ولا تقوم لله حجة على خلقه ولا يُعرف الحق من الباطل ولُفسدت السموات والارض فانهما خلقتا للحق وبالحق ومن المعلوم انه ان يكون مانع هناك كما وقع لكثير من الأوصياء والصلحاء فالملاك هو تشخيص الوظيفة الشرعية.

وحاصل الكلام ان قوله ﷺ: وَيَعْمَلُ فِي أَمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، لا يختص بأمر البر كما تُوهّم بل المؤمن كما انه يعمل في دولته يعمل في دولة الفاجر ايضا الا ان كيفية العمل فيها بالنسبة اليه متفاوتة ففي دولة الظلم ايضا يمكن العمل للمؤمن احياناً.

روى عن الكاظم عليه السلام انه قال من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع ابلاغها أثبت الله عز وجل قدميه على الصراط انتهى...

وعن اعلام الدين للديلمى باسناده عن الرضا عليه السلام قال ان لله تعالى أبواب

السُّلَاطِينِ مَنْ تَوَّارَ اللهُ وَجَهَهُ بِالْبُرْهَانِ وَمَكَّنَ لَهُ فِي الْبِلَادِ لِيَدْفَعَ بِهِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَيَصْلَحَ بِهِ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ يَلْجَأُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الضَّرَرِ وَيَفْزَعُ ذُو الْحَاجَةِ مِنْ شِيَعَتِنَا وَبِهِ يُؤْمِنُ اللهُ الْكَوَاكِبَ الدُّرِيَّةَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ وَأُولَئِكَ مِنْ تَوَّارِهِمْ تُضِيءُ الْقِيَمَةَ خُلِقُوا وَاللَّهُ لِلْجَنَّةِ وَخُلِقَتْ الْجَنَّةُ لَهُمْ فَهَنِيئاً لَهُمْ مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ شَاءَ لِيَنَالَ هَذَا كُلَّهُ قَالَ قُلْتُ بِمَاذَا جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ قَالَ ﷺ تَكُونُ مَعَهُمْ فَتَسْرِنَا بِأَدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ شِيَعَتِنَا أَنْتَهَى...

وهذه الرواية وامثالها كما ترى تنادى بان المؤمن كما تختلف وظيفته الشرعية من جهة المعاشرة والاعتزال في زمان حياته بالنسبة الى السلطان الظالم كذلك تختلف بحسب الأزمنة والأدوار واعمال الجبابة في كل عهد وزمان فان الامراء الفجرة ليسوا على حد سواء وذلك لان الظلم والفسق منهم من الأمور المقولة بالتشكيك فهو يختلف فيهم شدة وضعفاً وكمالاً ونقصاً وهذا هو الأساس والموجب لتغيير التكليف بالنسبة الى المؤمن وانقلابه عما هو عليه فظلم يصح الاعتزال والسكوت فيه للمؤمن وظلم لا يصح كما ترى في حالات المعصومين بالنسبة الى خلفاء زمانهم فالحسن ابن علي ﷺ قد اعتزل عن الناس وصالح معاوية ابن ابي سفيان مع انه من الظلمة والحسين ابن علي ﷺ لم يصالح ابنه يزيد مع انه ايضاً من الظلمة ولا شك لنا ان كلاهما قد عملا بوظيفتهما المقررة لهما من الله ورسوله فعمل المؤمن في دولة الفاجر تارة يكون بالعودة وتارة يكون بالقيام وعلى المؤمن التشخيص بين الموردين لئلا يلقي نفسه الى التهلكة قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة، وعلى كل لا استحالة في عمل المؤمن في دولة الفاجر لكونه على بصيرة في دينه.

□ قوله ﷺ: وَيَسْتَمْنَعُ فِيهَا الْكَافِرُ...

وهذا هو الاثر الثاني المترتب على الامرة بقول مطلق سواء كان الأمير برّاً او فاجراً، اما استمتاع الكافر في دولة البار فلا خفاء فيه وذلك لان الحاكم اذا كان من الأبرار فبره يمنعه من الظلم والتعدى ويحثه على العدل والأحسان واعطاء

كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقُّهُ وَعَلَيْهِ تَكُونُ الطَّبَقَاتُ وَالْأَفْرَادُ كَانَتْ أَمْ كَانَ فِي الْفَسْحَةِ
وَالرَّاحَةِ فَكَمَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَكُونُ فِي دَوْلَتِهِ مُسْتَرِيحاً فِي مَهْدِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ
فَكَذَلِكَ الْكَافِرُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ كَمَا هُوَ مِفَادُ الْعَدْلِ.

وَأَمَّا قَالَ ﷺ يَعْمَلُ الْمُؤْمِنُ وَيَسْتَمْتَعُ الْكَافِرُ وَلَمْ يَقُلْ فِيهِمَا يَعْمَلُ أَوْ
يَسْتَمْتَعُ، لِنَكْتَةِ وَهِيَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَسْتَمْتَعُ فِي الدُّنْيَا سِوَاءَ كَانَ فِي دَوْلَةِ الْبَارِ أَمْ
دَوْلَةِ الْفَاجِرِ لِأَنَّهُ مِنْ أِبْنَاءِ الْآخِرَةِ لِأَنَّ أِبْنَاءَ الدُّنْيَا فَهُوَ فِي الدُّنْيَا لَا يَسْتَرِيحُ أَبَداً
لِقَوْلِهِ ﷺ: الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ وَكَيْفَ يَسْتَمْتَعُ مَنْ هُوَ فِي السِّجْنِ
وَهَذَا بِخِلَافِ الْكَافِرِ فَإِنَّهُ فِي الدُّنْيَا مُسْتَمْتِعٌ بِهَا لِكَوْنِهَا جَنَّتَهُ وَالْآخِرَةَ سِجْنَهُ
وَلِأَجْلِ هَذَا لَمَّا سُئِلَ الْإِمَامُ الْمَعْصُومُ عَنْ مَعْنَى الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ وَقَالَ إِنَّا نَرَى
بَعْضَ الْكُفَّارِ فِي الدُّنْيَا ذَلِيلًا فَقِيرًا وَبَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا عَزِيزًا مُتَمَكِّنًا مُتَنَعِمًا
فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ. قَالَ ﷺ فِي جَوَابِ السَّائِلِ
كَوْنُ الدُّنْيَا سِجْنًا لِلْمُؤْمِنِ وَجَنَّةً لِلْكَافِرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمَا أَمَّا هُوَ بِالْقِيَاسِ إِلَى
الْآخِرَةِ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الْوَاقِعِي لَهُ دَرَجَاتٌ عَالِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ فَكُلُّ مَا يَنَالُهُ فِي الدُّنْيَا
بِالْقِيَاسِ إِلَى مَا ذُخِرَ لَهُ عَدًّا حَقِيرًا لَا يُعْبَأُ بِهِ وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِاجْمَعِهَا تَحْتَ
قُدْرَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ لَمَا تَعَدَّلَ جُنَاحُ بَعْضُوهَا لِكَوْنِهَا دَائِرَةً وَالْآخِرَةَ بَاقِيَةً دَائِمَةً
وَالدُّنْيَا مَحْدُودَةٌ مَتْنَاهِيَةٌ وَالْآخِرَةُ غَيْرُ مَحْدُودَةٍ غَيْرُ مَتْنَاهِيَةٌ وَلَا نَعْنَى بِالسِّجْنِ الْأَ
مَحْدُودِيَّتَهُ مِنْ حَيْثُ الْأَفْكَارُ وَالْأَعْمَالُ وَالْأَلْفَاظُ فَالْفَرْقُ بَيْنَ الْبَيْتِ وَالسِّجْنِ.

وَأَمَّا الْكَافِرُ فَالْأَمْرُ فِيهِ بِالْعَكْسِ لِأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ مُعَذَّبٌ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ وَلَيْسَ
لَهُ فِيهَا حَظٌّ وَلَا نَصِيبٌ إِلَّا النَّقْمَةُ وَالنَّكْبَةُ وَالْمَصِيرُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ
كَانَ كَذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ فَالدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ جَنَّتَهُ وَإِنْ كَانَ فِيهَا أَيْضًا ذَلِيلًا مُعَذَّبًا
فَإِنَّ عَذَابَ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَعْظَمَ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا بِمَرَاتِبٍ كَمَا أَنَّ نِعَمَ الْآخِرَةِ
بِالْقِيَاسِ إِلَى نِعَمِ الدُّنْيَا أَيْضًا كَذَلِكَ فَالْكَافِرُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يَكُونُ مُتَمْتِعًا عَلَى أَيْ
حَالٍ وَالْمُؤْمِنُ يَعْمَلُ عَلَى كُلِّ حَالٍ حَتَّى يَسْتَمْتَعَ فِي الْآخِرَةِ هَذَا كُلُّهُ فِي دَوْلَةِ
الْحَقِّ وَالْحِكْمَةِ الْعَادِلَةِ.

وامّا استمتاع الكافر فى دولة الفاجر فهو اوضح من الأوّل بل لا يكاد يخفى على احدٍ لوجود السُنخية الكاملة بين الفاجر والكافر اعنى الرّاعى والرّعية فانّ الفاجر قسمٌ من الكافر واقعاً وان كان قسيماً له ظاهراً ولذلك ترى الكفّار فى حكومات الباطلة والدُّول الغاصبة العاصية مُتنعّمين بانواع التّنعمات واللذائذ يفعلون ما يشاؤون ويحكمون ما يريدون بلا رادع لهم ولا مانع كما نرى فى زماننا هذا حيث أنّهم صاروا مالكين لرقاب المؤمنين والمسلمين حتّى فى الحكومات الإسلامية فضلاً عن غيرها وجعلت ازمة الأمور بأيديهم فى جميع المراتب والشئون فلا رأى الا رأيهم ولا امر الا امرهم هذا كلّه فى الدُّول الإسلامية فما ظنك بغيرها واما المؤمن فى هذا الزمان فحاله معلوم كيف لا ولا ذنب عند الحكومات الفاجرة اعظم من ذنب الأيمان ولا جرم أشدّ من جرم العاطفة والأنسانية والكافر بمعزولٍ عنها.

وعلى ما ذكرناه قد ظهر لك انّ الكافر على كلّ حالٍ متّصفٌ بالاستمتاع من هذه الدنيا الدّنية وهو المطلوب.

وثالثها قوله ﷺ: وَيَبْلُغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ...

قالوا فى تفسير هذه الكلمة، اى فى إمارة الأمير برّاً كان او فاجراً، وفايدة هذه الكلمة تذكير العصاة ببلوغ الأجل وتخويفهم قاله المحقّق البحرانى (قدّه) وتبعه الخوئى (قدّه) فى شرحه وقال الشّارح المعتزلى ما هذا الفظه لانّ الأمانة فى الفاجر كإمارة البرّ فى انّ المدة المضرّوبة فيها تنتهى الى أجل الموقّت للإنسان.

اقول: وانت ترى انّ الشّارحين قد اتفقوا على هذا المعنى ولقائل ان يقول آية فائدة فى هذا الكلام فانّ البلوغ الى الأجل المُعين امرٌ قهريٌّ للممكن قال ﷺ به او لم يقل ولا سيّما أنّه بصدّد بيان اوصاف الأمانة وآثارها، ولا مناسبة لذكره بينهما كما هو ظاهر فانّ البلوغ الى أجل ليس من آثار الأمانة بل هو من المتيقّنات ووجد أميرٌ فى العالم أولاً يوجد فهذا الذى ذكروه لا يرجع الى محضلٍ

وان يرجع فلا أفهم معناه.

والذى حَصَلَ لى فى هذا المقام بعد التأمل والتفكر فى كلامه ﷺ والله اعلم هو ان مراده ﷺ بهذه الكلمة ان كلاً من المؤمن والكافر فى حكومة البرّ والفاجر يصير مورداً للأمتحان والأختبار بأعماله وامواله وافعاله وهذا اعنى الأختبار هو الأجل المَضروب للناس وذلك لأن لكل فردٍ من افراد الانسان يعمل فى الدنيا مدّةً اما بالطاعة والانقياد او بالمعصية والانحراف ويُعبر عن هذه المدّة المَضروبة بالأجل ثم بعد هذه المدّة فلا يبقى له الا التأسف والتندّم وتوضيحه: ان الأمير بَرّاً كان او فاجراً له مدّة معيّنة فى علم الله تعالى من جهة حكومته وكذا الغنى من جهة غناه والفقير من جهة فقره والصّحيح فى صحته والمريض فى مرضه والمؤمن فى ايمانه والكافر فى كفره وهكذا ولا نعنى بالمدّة المذكورة حياته فى الدنيا بل الغرض منها هو المدّة التى تمكّن فيها للفاعل.

مثلاً كل أمير له مدّة عشرين سنين او ثلاثين او أكثر او أقلّ بَرّاً كان او فاجراً وهو مأمور عن الله تعالى فى هذه المدّة بأعمال وافعالٍ من بسط العدالة والترحم على الضعيف وأخذ الظالم واعانة المظلوم وغير ذلك ممّا يترقّب منه شرعاً وعقلاً والمؤمن مثلاً يكون مبتلى بهذه الحكومات فهو فى حكومة البرّ له وظيفة مخصوصة بها وفى حكومة الفاجر بنحو آخر من التقية وعدمها وهكذا وقد عبّر عن هذه المدّة بالنسبة الى كل واحد منهم بالأجل فالأجل عبارة عن مدّة الشىء ولذلك يقال لحلّول الدين ونحوه الأجل كما يقال لغاية الوقت فى الموت الأجل سواء كانت المدّة طويلة ام قصيرة فتخصيص الأجل بوقت الموت كما ذهب اليه المحقق البحرانى (قدّه) لامعنى له. ومُحَصَّل الكلام هو ان مراده ﷺ ان الله تبارك وتعالى يُبلِّغ فى الأمرة المدّة المعلومة المُعيّنة للأمير والمأمور بالأختبار والأمتحان ليكون هذا الامتحان حُجّة عليهم يوم القيمة وعليه فالكلام من آثار الأمانة قال الله تعالى فى كتابه الكريم:

﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (١)

ومن المعلوم أنّ الأفتنان في كلّ شيءٍ إنّما هو بحسبه وائىّ افتنانٍ أعظم وأحسن من إفتنان الأمير برعيّته وامارته عليهم وافتنانهم بأمرهم في امر الدين والدنيا والعلم عند الله.

ورابعها قوله ﷺ: وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ...

وهذا هو الرابعة من الآثار المترتبة على الأمانة والمراد به الغنيمة الحاصلة في الحروب والغزوات او مطلقاً حتى يشمل الجزية وغيرها من المنافع الحاصلة في بيت المال فإنّ الفئء في اللغة بمعنى مطلق الغنيمة الراجعة الى الإنسان والفئء في الأصل الرجوع قال في النهاية يقال فاءً يَفِيءُ فَيْئَةً كأنه كان لهم في الأصل فَرَجَعَ اليهم وقيل ومنه الظلّ الذي يكون بعد الزوال.

وأما ما ذهب اليه اكثر العامة من أنّ الفئء ما حصل للمسلمين من اموال الكفار من غير حربٍ ولا جهادٍ فهو قولٌ بلا مأخذ بل الحقّ أنّه عبارة عن مطلق ما يرجع الى الإنسان تحت عنوان الغنيمة سواء كان في الحروب او في غيرها والأمر فيه سهل وبالجمله المقصود من هذا الكلام هو أنّ الغنائم الحاصلة للمسلمين لا يمكن تحصيلها وجمعها إلا بوجود الأمير والحاكم وهو اى جمع الغنائم من الاصول المهمة في الحكومة الإسلامية اذ بها تنتظم الامور من الجيوش وغيرها ضرورة أنّ الحكومة لو لم يكن لها مال وثروة لاتقدر على دفع الأعداء واصلاح الطرُق والشوارع وغيرها ممّا يحتاج اليه المسلمون في اعاشتهم وحياتهم وهو اى الفئء ممّا يتعلّق بجميع المسلمين والناس فيه شرع سواء فلا فضل لأحدٍ على غيره فيه.

وأما قول العامة أنّ كلّما يُجمع في بيت المال فإنّ الاجتهاد فيه الى مُتولّي الأمر يَضَعُه حيث يشاء بمقتضى استنباطه ورأيه فكلام موهومٌ وقولٌ مطرودٌ مردودٌ كما ثبت في محله فإنّ المُتولّي للأمر امينٌ للمسلمين فقط والمال مالهم

وليس تقسيم الأموال الموجودة في بيت المال من الأحكام الفرعية حتى يجتهد فيها ولذلك ترى النبي ﷺ في حياته كان يُقسّم الأموال بين المسلمين من غير تفاضلٍ وكذلك بعده أمير المؤمنين ﷺ في أيام خلافته وإنما قَسَمَها الخلفاء وبنوا على التفاضل لأن فيه اى فى الأختلاف بين المسلمين وترجيح الأعيان على غيرهم كان نفعٌ وتقويةٌ لحكوماتهم الفاسدة وهذا هو الذى صار سبباً لأنحراف الرؤساء والأشراف عن على واهل بيته وميلهم الى خلافة الأشرار فإن الناس عبيد الدنيا والبحث فيه طويل وهو مع ذلك خارج من طورنا فعلاً فإن الأمور مرهونة بأوقاتها.

وخامسها قوله ﷺ: وَيُقَاتِلُ بِهِ الْعَدُوَّ...

وهو ايضا ظاهر لأن القتال مع الأعداء لا يمكن بدون الأمير والقائد اذ هو الذى فى الناس بمنزلة الرأس من الجسد فكما لاخير فى جسدٍ لرأس معه لاخير فى اجتماع لارئيس له وهذا هو العلة فى احتياج الناس الى الأمير وهو من الواضحات.

وسادسها قوله ﷺ: وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ...

وهذا ايضا ممّا لا كلام فيه فإن أمانة الطرق والشوارع تدور مدار وجود السلطان وعدمه وقدرته وضعفه ألا ترى ان موته وضعفه بوجب الهرج والمرج فى جميع الشؤون الاجتماعية والخوف والجزع والهول فى جميع الافراد برأ كان الأمير او فاجراً فإن لياقة السلطان وقدرته وعدالته شىء وايمانه بالله ورسوله شىء آخر ولا ملازمة بينهما.

وسابعها قوله ﷺ: وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ...

اى بسببه يؤخذ للضعيف من القوى حقه المسلم اذ لولاه لما يقدر الضعيف على اخذ حقه من القوى وهو يوجب استراحة المؤمن وكونه مأموناً من شرّ الفاجر فإن الفجار لو لم يخافوا من عذاب السلطان لايرحمون على

أحدٍ وذلك لأنهم غير مؤمنين بالله ورسوله فلا خوف لهم من الله، واليوم الآخر.

وفى رواية أخرى أنه لما سمع تحكيمهم قال عليه السلام حُكِمَ اللهُ انتظر فيكم وهو كونهم مقتولين في النهروان وفيه اخبار عن المستقبل قال عليه السلام أما الإمرة البرة فيعمل فيها التقى وقد مرّ الكلام فيه وكذا فى قوله عليه السلام وأما الإمرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقى الى ان تنقلع مدته وتُدركه منيته اى موته، ولا فرق بين هذه العبارات وما تقدّم منها إلا بالألفاظ والمآل واحد:

عبارتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذاك الجمال يُشير تنبيهه: اعلم انّ الشارح المعتزلى بمصداق كل يجرّ النار الى قرصته وكلّ حزب بما لديهم فرحون، اجتهدوا استنبط من هذه الخطبة شيئاً آخر وهو انه يظهر من كلام عليّ عليه السلام خلاف ما ذهب اليه اتباعه، واشياعه من الامامية من انّ الامامة لا تكون الا بنص من الله ورسوله ولا دخل للأفراد فى تعيينه وذلك لانه عليه السلام قال نعم الى قوله عليه السلام: وَلَا يُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فلو كانت الامامة من قبل الله ورسوله كما زعمته الشيعة فكيف قال عليه السلام انه لا بد للناس ونحن نذكر اولاً عين عباراته ثم نتعرض ما فيها من الخلل حتى تعلم انّ الشياطين ليؤحون الى اوليائهم قال ما هذا الفظه فاما طريق وجوب الامامة ما هى، فانّ مشايخنا البصريين رحمهم الله يقولون طريق وجوبها الشرع وليس فى العقل ما يدل على وجوبها.

وقال البغداديون وابو عثمان الجاحظ من البصريين وشيخنا ابو الحسين (ره) انّ العقل يدل على وجوب الرياسة وهو قول الامامية الا انّ الوجه الذى منه يوجب اصحابنا الرياسة غير الوجه الذى توجب الامامية منه الرياسة وذلك انّ اصحابنا يوجبون الرياسة على المكلفين من حيث كان الرياسة مصالح دنيوية ودفع مضار دنيوية والامامية يؤجبون الرياسة على الله من حيث كان فى الرياسة لطف به وبعد المكلفين عن مواقع القبائح العقلية والظاهر من كلام

امير المؤمنين يطابق ما يقوله اصحابنا الا تراه فكيف علل قوله عليه السلام: **وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ** فقال في تعليقه يجمع به الفىء ويقا تل به العدو ويؤمن به السبيل ويؤخذ للضعيف من القوى وهذه كلها من مصالح الدنيا ثم قال فان قيل ذكرتم ان الناس كافة قالوا بوجوب الامام فكيف يقول امير المؤمنين عن الخوارج انهم يقولون لأمره.

قيل: انهم كانوا فى بدو امرهم يقولون ذلك ويذهبون الى انه لاجحة الى الامام ثم رجعوا عن ذلك القول لما امرؤا عليهم عبد الله ابن وهب الراسبى انتهى ما ذكره بالفاظه وعباراته.

اقول: ليس فى كلامه عليه السلام ما يدل على ما ذهب اليه اصحابه أبداً الا على القول بصحة حمل الكلام على ما لا يرضى به صاحبه كما هو دأب العامة ويُسَمَّونه اجتهاداً مع انه ليس الا جهلاً ونفاقاً وكفراً والحاداً.

اما اولاً: فلان الامامة التى نبحت عنها فى الاصول ونقول بانها رياسة عامة فى امور الدين والدنيا خلافة عن النبى وان الامام لطف فيجب نصبه على الله تعالى تحصيلاً للغرض وامثال ذلك من التعاريف التى فى كتب الاماميه، غير ما فهمه الشارح المعتزلى واستنبطه من كلامه عليه السلام فى المقام وذلك لان هذه الخطبة التى شرحناها لاربط لها بالامامة الشرعية المبحوث عنها فى علم الكلام وانما هو عليه السلام فيها بصدد بيان انه لا بد للناس من امير بر أو فاجر، من جهة العاده المستمرة الثابتة للناس فى طول الأزمنة سواء كان الناس متدينين بدين أم لم يكن فان وجود الامير لهم امر طبيعى قهرى لامحيص لهم عنه فى ادارة امورهم والجهاد مع عدوهم، وامثال ذلك من الامور الدنيوية واما الامامة فهى شىء آخر وبينهما بون بعيد من الثرى الى الثريا ولا بد لنا من ذكر موارد الفرق حتى يتضح الحال ولا يلتبس المقال كما التبس عليه.

منها ان الامامة على مذهبنا رياسة عامة فى امور الدين والدنيا خلافة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم واما الامامة على مذهبه ومذهب اصحابه فهى رياسة لأجل المصالح

ودفع المصارَ في الدنيا بتعيين من المُكَلِّفِين فهي ليست من الرِّياسة العامَّة بشيء بل هي رياسة خاصَّة بالنسبة الى افراد معين الاترى ان السلاطين في كل زمان كثيرون وهذا بخلاف الأمام فانه لا يكون الا واحداً في زمانه ولا يمكن جمع امامين في زمان واحد الا واحداً هما صامتاً

ومنها ان الأمامة في امور الدين والدنيا على مذهبنا واما على مذهبه فهي في امور الدنيا فقط كما صرح به في كلامه.

ومنها ان الأمامة على مذهب الامامية انما هي خلافة عن النبي واما على مسلكه فهي بتعيين المُكَلِّفِين رضى به النبي أم لا.

ومنها ان الامام على ما نقول به يجب نَصُّه على الله تعالى لقاعدة اللطف تحصيلاً للغرض، واما الامام على مسلكه فليس كذلك.

ومنها ان الامام واجب العصمة واما الذي يقول المعتزلي به فلا يكون معصوماً البتة.

ومنها ان الامام لا بد ان يكون اعلم الناس واشجعهم وأسخاهم وأعدلهم واتقاهم وبالجملة جامعاً للصفات كلها وهذه الشرائط لا يمكن جمعها الا فيمن عينه الله ونص عليه الرسول ﷺ وهو على ﷺ واولاده المعصومون سلام الله عليهم اجمعين.

اذا عرفت موارد الأفتراق بين الامام والامير بالمعنى العرفي فقد علمت ان ما ذكره ﷺ في الخطبة راداً على الخوارج انما هو الإمرة بالمعنى اللغوي العرفي التي لا بد لها في كل طبقة من طبقات الناس حتى الوحوش والطيور والسبع وسائر الموجودات لعدم اختصاص الإمرة بهذا المعنى للإنسان فقط كما ثبت في محله، فغرضه ﷺ ان الخوارج انكروا الحسيات والمُشاهدات بل التكوينية فضلاً من العقليات والشرعيات في امر الأمامة والأمارة وهذا يدل على انحطاطهم وتنزلهم عن مقام الأنسانية ورجوعهم الى القهقري حتى صاروا في الحقيقة أخس من الحيوانات فان الحيوانات لم تُنكروا الإمرة في

عالم الوجود وهم انكروها واى ربط بين ما قاله ﷺ فى المقام وأثبتته وبين الأمام المفترض الطاعة الذى يجب نصبه على الله تعالى هذا أولاً.

وثانيا لو كان الامر كما ذكره الشارح وأنه ﷺ أثبت فى قوله هذا ان الرياسة واجبة على المكلفين لمصالح الدنيا ودفع مضارها فيلزم ان تكون السلاطين كلهم أجمعون من أول الدنيا الى آخرها أئمة لان رياستهم من قبل المكلفين فى كل عهد وزمان دون الصبيان والمجانين وعليه فلقائل ان يقول للشارح المعتزلى نسلك ايها العالم المعتزلى، من كان الامام فى عهد موسى ابن عمران، موسى ﷺ او فرعون، وفى عهد الخليل نمرود او الخليل وهكذا فى زمان غيرهما من الأنبياء، فلا محالة على مسلكه بوجوب نصب الأمام على المكلفين يجيب بان الامام كان فرعون ونمرود وامثالهما دون موسى و ابراهيم وغيرهما من الأنبياء ضرورة ان فرعون ونمرود وامثالهما من الجبابرة كانت رياستهم وحكومتهم من قبل الناس اعنى المكلفين منهم دون الصبيان منهم لمصالح الدنيا ودفع مضارهم. واما موسى وغيره من الأنبياء فلم يُعَيِّنهم أحد من الناس للرياسة بل الله عيَّنهم ونصَّبهم لها، ولا يبعد بالتزامه به كما التزم هو واشباهه بنظائرهم فى الإسلام وليس هذا أول قارورة كسرت فى الاسلام.

ثم أعجب مما قاله كله قوله فى اثبات مدعاه بقوله الا تراه فكيف علل قوله ﷺ: **وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ** فقال فى تعليقه يجمع به الفىء الى آخر ما ذكره ولعله سمّاه تحقيقاً وتدقيقاً.

فيقال اى دليل فى هذا التعليل على مدعاك فان قوله ﷺ: **وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَىءُ** الى آخره تعليل لوجود الأمير وأنه مما لا بد منه لأجل هذه الأمور او أنّهما مُترتبة على وجوده وكيف كان قوله عليه السلام هذا لا يثبت اكثر من كون الأمير له هذه الآثار فى الخارج واما أنّها علة مُحصرة لوجود الأمير ونصبه من قبل الناس دون غيرها من الأمور فلا دليل عليه فان اثبات الشىء لا ينفى ما عداه.. وبعبارة اخرى: كون هذه الآثار من المصالح الدنيوية لا يدل على ان الأمير

معلول لها آلا على فلسفة المعتزلة.

واما ثالثا فنقول له قوله عليه السلام: **وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ**، على فرض التسليم لجميع ما ذكره ايضاً لا يثبت مدّعا، لانه عليه السلام لم يقل اكثر من انه لا بد للناس من امير.

واما كونه منصوباً من قبل المكلفين فهو لا يفهم من كلامه فمن اين اثبت الشارح هذا المعنى، اللهم الا ان يقال انه استفاد هذا المعنى من قوله عليه السلام: **أَوْ فَاجِرٍ**، لان المكلفين لا ينصبون للإمامة الا فاجراً فثبت ان الإمامة ليست من قبل الله وانها منهم و"ح" لا كلام لنا معه لان البحث ليس في الأمام الفاجر.

واما قوله في آخر كلامه ان الخوارج كانوا في بدو امرهم يذهبون الى انه لاحاجة الى الأمام، ثم اعترفوا به، فهو ايضاً كسابقه من اجتهاداته ومستثبطاته، فان قوله عليه السلام: **أَنَّهُمْ يَقُولُونَ لِأَمْرَةٍ**، ليس معناه ما ذكره من ان الخوارج ذهبوا بدو امرهم بانه لاحاجة الى الامام ثم رجعوا عنه، بل المراد ما ذكرناه في شرح الجملة من ان لازم قولهم **لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ**، هو نفى الأمرة مطلقاً لان الأمرة لا تخلو حالها اما ان تكون من الله او من الناس ولا ثالث لها.

اما كونها من الله فهم انكروه.

واما كونها من الناس فهم يقولون **لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ**، اي للخلق وانكار القسمين يوجب خلو الزمان عن الأمرة وهو ظاهر والذي يسهل الختم هو ان الخطبة ليس فيها دليل على ما ذكره الشارح ولا انه عليه السلام كان بصدده اثبات ما توهمه وتخيّله أبداً.

الفهرست

- ومن خطبة له ﷺ (٢٤) ٥
- قوله ﷺ: وَلِعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ إِلَى لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا مِّنَ ٥
اللُّغَةُ ٥
- المعنى ٥
- الشرح ٦
- قوله ﷺ: وَلِعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَّنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَخَابَطَ الْغَيَّ و ٦
- قوله ﷺ: فَاتَّقُوا لِلَّهِ عِبَادَ اللَّهِ ٧
- قوله ﷺ: وَفِرُّوا مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ٩
- قوله ﷺ: وَامْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ ٢١
- قوله ﷺ: وَقَوْمُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ ٢٢
- قوله ﷺ: فَعَلَيَّْ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ آجِلًا إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا ٢٢
- ومن خطبة له ﷺ (٢٥) ٢٣
- قوله ﷺ: مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا إِلَى مِنْهُمْ فَوَارِسٌ مِثْلُ أَرْضِيَّتِهِ ٢٣
الْحَمِيمِ ٢٣
- اللُّغَةُ ٢٣
- المعنى ٢٤
- الشرح ٢٥
- قوله ﷺ: مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا إِنْ لَمْ تَكُونِي و ٢٥
- قوله ﷺ: أُنَيْشْتُ بُسْرًا قَدْ أَطَّلَعَ عَلَيَّ الْيَمَنَ ٢٦
- قوله ﷺ: وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيِّدَ الْوَنِّ مِنْكُمْ و ٣٦
- قوله ﷺ: بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيَّ بَاطِلِهِمْ ٣٧
- قوله ﷺ: وَتَفَرَّقِكُمْ عَن حَقِّكُمْ ٣٨

- قوله ﷺ: وَيَمَعُصِيْتَكُمْ إِمَامَكُمْ الْحَقُّ ٣٨
- قوله ﷺ: وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَتُهُمْ فِي الْبَاطِلِ ٣٨
- قوله ﷺ: وَبِأَدَائِهِمْ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ ٣٨
- قوله ﷺ: وَحَيَاتِكُمْ صَاحِبِكُمْ ٣٩
- قوله ﷺ: وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ ٣٩
- قوله ﷺ: وَفَسَادِكُمْ ٣٩
- قوله ﷺ: فَلَوْ أَنَّتُمُنْتُمْ أَحَدَكُمْ عَلَى فُغْبٍ لَخَشِيْتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ .. ٣٩
- قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَيْتُهُمْ، وَمَلَّوْنِي وَسَمَّيْتُهُمْ وَسَمَّوْنِي ٣٩
- قوله ﷺ: فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي ٤٠
- قوله ﷺ: اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبِهِمْ كَمَا يُمَاتُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ ٥١
- ومن خطبة له ﷺ (٢٦) ٥٣
- قوله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى فِئَةٍ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ، انْتَهَى. ٥٣
- اللَّغَةُ ٥٣
- المعنى ٥٤
- الشرح ٥٥
- قوله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ٥٥
- قوله ﷺ: وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَشَرِّ دَارٍ ٥٩
- قوله ﷺ: مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَاتٍ صُمٍّ ٦١
- قوله ﷺ: تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ ٦٢
- قوله ﷺ: وَتَأْكُلُونَ الْجَشِيبَ ٦٢
- قوله ﷺ: وَتَسْفِكُونَ دِمَائِكُمْ ٦٥
- قوله ﷺ: وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ ٦٥
- قوله ﷺ: الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنصُوبَةٌ ٦٥
- قوله ﷺ: الْأَثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ ٦٥

- قوله ﷺ: فَانظُرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي ٦٥
- قوله ﷺ: فَضَيَّنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ وَأَعْضَيْتُ وَ..... ٦٩
- قوله ﷺ: وَصَبَّرْتُ عَلَىٰ أَخْذِ الْكَظْمِ وَعَلَىٰ أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ ٦٩
- قوله ﷺ: وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّىٰ شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَىٰ الْبَيْعَةِ ثَمَنًا ٦٩
- قوله ﷺ: فَلَا ظَفِيرَتْ يَدُ الْبَايِعِ وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُتَبَاعِ ٨١
- قوله ﷺ: فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا فَقَدْ وَ..... ٨٢
- قوله ﷺ: وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَىٰ لِلنَّصْرِ ٨٢
- و من خطبة له ﷺ (٢٧) ٨٧**
- قوله ﷺ: أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ لَأَرَأَيْ لِمَنْ لَا يُطَاعُ.. ٨٨
- اللغة ٨٨
- المعنى ٨٩
- الشرح ٩٢
- قوله ﷺ: أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ٩٤
- قوله ﷺ: فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ ١٠٢
- قوله ﷺ: وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَىٰ وَدَرَعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ وَجُنَّتُهُ الْوَيْقَةُ ١٠٥
- قوله ﷺ: فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الدُّلِّ، وَ..... ١٠٩
- قوله ﷺ: الْأَوَائِي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَىٰ قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَ..... ١١٤
- قوله ﷺ: وَقُلْتُ لَكُمْ أَعَزُّوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزَوْكُمْ ١١٥
- قوله ﷺ: فَوَاللَّهِ مَا غَزَىٰ قَوْمٌ قَطُّ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا ١١٥
- قوله ﷺ: فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّىٰ سُئِنْتُمْ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ وَ..... ١١٧
- قوله ﷺ: وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ وَ..... ١٢٠
- قوله ﷺ: وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ وَ..... ١٢٠
- قوله ﷺ: فَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا وَ..... ١٢٢
- قوله ﷺ: فَيَا عَجَبًا عَجَبًا!! وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَ..... ١٢٢

- قوله ﷺ: فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى ١٢٣
- قوله ﷺ: يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيَّرُونَ، وَتُغَزَوْنَ وَلَا تُغَزَوْنَ ١٢٤
- قوله ﷺ: فَإِذَا أَمَرْتَكُمْ بِالسَّيْرِ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ ١٢٧
- قوله ﷺ: يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ حُلُومِ الْأَطْفَالِ، ١٢٧
- قوله ﷺ: لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمُ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً ١٣٥
- قوله ﷺ: قَاتَلَكُمْ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قِيحاً وَشَحْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، ... ١٣٦
- قوله ﷺ: حَتَّى قَالَتْ قَرِيشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِيطَالِبٍ رُجُلٌ شُجَاعٌ ١٣٧
- قوله ﷺ: لِلَّهِ أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِّنْهُمْ أَشَدُّ مِرَاساً لَهَا ١٣٨
- ومن خطبة له ﷺ (٢٨) ١٤٣**
- قوله ﷺ: فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَأَدْنَتْ بِوَدَاعٍ، إِلَى أَنْفُسِكُمْ غَدَاً، انْتَهَى. ١٤٣
- اللُّغَةُ ١٤٤
- المعنى ١٤٤
- اللُّغَةُ ٢٣٧
- قوله ﷺ: أَمَا بَعْدَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَأَدْنَتْ بِوَدَاعٍ ١٤٥
- قوله ﷺ: وَإِنَّ الْأَخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ ١٥٨
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ وَغَدَاً السَّبَاقُ وَالسَّبَقَةُ ١٦١
- قوله ﷺ: أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّةٍ ١٧١
- قوله ﷺ: أَلَا غَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُوسِهِ ١٧٧
- قوله ﷺ: أَلَا وَأَنْتُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلٍ مِّنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ فَمَنْ عَمِلَ ١٧٧
- قوله ﷺ: أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ ١٨٥
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَكَأ لِحَنَّةٍ نَامَ طَائِبِيهَا وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبِيهَا ١٨٧
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّهُ مَن لَّا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ ٢١٧
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أَمَرْتُمْ بِالظُّعْنِ وَدَلَّيْتُمْ ٢١٩
- قوله ﷺ: وَإِنَّ مَا أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ إِتِّبَاعَ الْهَوَى وَطَوَّلَ الْأَمَلِ ٢٢٢

- قوله ﷺ: تَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مَا تَحْزُرُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا ٢٣٢
- ومن خطبة له ﷺ (٢٩) ٢٣٧
- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، أَلِي وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ مَتْنِ. ٢٣٧
اللُّغَةُ ٢٣٧
- المعنى ٢٣٨
- الشرح ٢٣٩
- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَائُهُمْ ٢٤٠
- قوله ﷺ: كَلَامُكُمْ يُوْهِي الصُّمَّ الصَّلَابَ وَفِعْلُكُمْ ٢٤١
- قوله ﷺ: تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وَكَيْتَ فَإِذَا جَاءَ ٢٤٢
- قوله ﷺ: مَا عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ وَلَا اسْتَرَاخَ قَلْبٌ مِنْ قَاسَاكُمْ ... ٢٤٢
- قوله ﷺ: أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ وَسَأَلْتُمُونِي التَّطْوِيلَ دِفَاعًا ٢٤٤
- قوله ﷺ: لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ وَلَا يَدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ ٢٤٦
- قوله ﷺ: أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ، وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ ... ٢٤٩
- قوله ﷺ: أَلْمَغْرُورُ وَاللَّهِ مِنْ غَرَّرْتُمُوهُ ٢٤٩
- قوله ﷺ: وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللَّهِ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ ٢٥٣
- قوله ﷺ: مَا بَالُكُمْ مَا دَوَّائِكُمْ مَا طَبِّكُمْ ٢٥٥
- قوله ﷺ: الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالِكُمْ ٢٥٧
- قوله ﷺ: أَقُولًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَغَفْلَةً مِّنْ غَيْرِ وَرَعٍ، وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ .. ٢٥٨
- ومن كلام له ﷺ (٣٠) ٢٦٧
- قوله ﷺ: لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا، أَوْ نَهَيْتُ أَلِي وَالْجَزَاعِ مَتْنِ. ٢٦٧
- اللُّغَةُ ٢٦٧
- المعنى ٢٦٧
- الشرح ٢٦٨
- قوله ﷺ: لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا ٢٦٨

- قوله ﷺ: غَيْرَ أَنْ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ خَذَلَهُ مَنْ ٢٧١
- قوله ﷺ: وَمَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ٢٧١
- قوله ﷺ: وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ، إِسْتَأْثَرُ وَ..... ٢٧٥
- قوله ﷺ: وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَقَعَ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَارِعِ ٢٧٧
- ومن كلام له ﷺ (٣١) ٢٧٩
- قوله ﷺ: لَا تَلْقَيْنَ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقَّحْتَ إِلَى فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ ٢٧٩
- اللغة ٢٧٩
- المعنى ٢٧٩
- الشرح ٢٨٠
- قوله ﷺ: لَا تَلْقَيْنَ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقَّحْتَ تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ وَ..... ٢٨٠
- قوله ﷺ: يَرْكَبُ الصُّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ الدَّلُّولُ ٢٨١
- قوله ﷺ: وَلَكِنَّ الْقَى الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلْتِنُ وَ..... ٢٨٢
- قوله ﷺ: فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَ..... ٢٨٣
- ومن خطبة له ﷺ (٣٢) ٢٨٧
- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ إِلَى أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ مَتْن ٢٨٨
- اللغة ٢٨٨
- المعنى ٢٨٩
- الشرح ٢٩٢
- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ وَ..... ٢٩٢
- قوله ﷺ: وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُنُودًا ٢٩٧
- قوله ﷺ: لِأَنْتَفِعَ بِمَا عَلِمْنَا وَلَا نَسْئَلُ عَمَّا جَهِلْنَا ٢٩٧
- قوله ﷺ: مِنْهُمْ مَنْ لَا يُمْنَعَةُ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةٌ نَفْسِهِ وَ..... ٣٠٤
- قوله ﷺ: وَمِنْهُمْ الْمُضْلِبُ بِسَيْفِهِ وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، وَ..... ٣٠٩
- قوله ﷺ: قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ دِينَهُ ٣١١

- قوله ﷺ: لِحُطَامٍ يَنْتَهِرُهُ، أَوْ مِقْنَبٍ يَتَّقُوهُ ٣١١
- قوله ﷺ: وَلَبِئْسَ الْمَشْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا ٣١٣
- قوله ﷺ: وَ مِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ٣١٥
- قوله ﷺ: وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤْلَةٌ ٣١٧
- قوله ﷺ: وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ ٣١٨
- قوله ﷺ: وَآرَاقَ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ ٣١٨
- قوله ﷺ: فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدِ نَارٍ وَخَائِفِ مَقْمُوعٍ ٣٢٢
- قوله ﷺ: أَحْمَلْتَهُمُ التَّقِيَةَ، وَشَمَلْتَهُمُ الذُّلَةَ ٣٢٣
- قوله ﷺ: فَهُمْ فِي بَحْرِ أَجَاجٍ ٣٢٦
- قوله ﷺ: أَفَوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ، أَي سَاكِتَةٌ: ٣٢٦
- قوله ﷺ: وَقَلُوبُهُمْ قَرِيحَةٌ: ٣٢٧
- قوله ﷺ: قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مُلُّوا: ٣٢٧
- قوله ﷺ: وَقَهَرُوا حَتَّى ذَلُّوا: ٣٢٧
- قوله ﷺ: وَقَتَلُوا حَتَّى قَلُّوا: ٣٢٨
- قوله ﷺ: فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرْظِ ٣٢٨
- قوله ﷺ: وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ٣٢٩
- قوله ﷺ: وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ ٣٢٩
- ٣٣١ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (٣٣)**
- قوله ﷺ: عِنْدَ خُرُوجِهِ لِقِتَالِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَ إِلَى أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ. ... ٣٣١
- اللُّغَةُ ٣٣١
- المَعْنَى ٣٣٢
- الشَّرْحُ ٣٣٣
- قوله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا وَ لَيْسَ أَحَدٌ ٣٣٧
- قوله ﷺ: فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وَ بَلَّغَهُمْ مَنَاجِيَتَهُمْ ٣٤٢

- قوله ﷺ: فَاسْتَقَامَتْ قَنَاثُهُمْ وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ ٣٤٦
- قوله ﷺ: أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَافَتِهَا حَتَّى تَوَلَّيْتُ ٣٤٧
- قوله ﷺ: وَأَنْ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا وَلَا تُقْبِنِ الْبَاطِلَ حَتَّى ٣٥٠
- قوله ﷺ: مَا لِي وَ لِقُرَيْشٍ وَاللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ ٣٥١
- قوله ﷺ: وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ ٣٦٤
- ومن خطبة له ﷺ (٣٤) ٣٦٧**
- قوله ﷺ: أَفْ لَكُمْ لَقَدْ سَمِئْتُ عَنَابِكُمْ، وَالطَّاعَةَ حِينَ أَمْرِكُمْ ٣٦٨
- اللغة ٣٦٨
- المعنى ٣٦٩
- الشرح ٣٧٠
- قوله ﷺ: أَفْ لَكُمْ لَقَدْ سَمِئْتُ عَنَابِكُمْ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ ٣٧١
- قوله ﷺ: إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدَّوْكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ ٣٧٨
- قوله ﷺ: وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَيَعْمَهُونَ ٣٧٩
- قوله ﷺ: فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَالِوَسَةٌ فَانْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ متن: ٣٨١
- قوله ﷺ: مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ ٣٨٢
- قوله ﷺ: سَجِيسَ اللَّيَالِي ٣٨٢
- قوله ﷺ: وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ وَلَا زَوَافِرُ عِزٌّ يُفْتَقِرُ إِلَيْكُمْ ٣٨٢
- قوله ﷺ: مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَابِلٌ ضَلَّ رُعَاتُهَا فَكَلَّمَا جُمِعَتْ ٣٨٣
- قوله ﷺ: لَبِئْسَ لَعَمْرُوَاللَّهُ سَعَرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ تُكَادُونَ ٣٨٤
- قوله ﷺ: وَتُنْتَقِصُ أَطْرَافَكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ لِأَيْنَامٍ عَنْكُمْ ٣٨٤
- قوله ﷺ: وَائِمُّ اللَّهِ إِنِّي لَاظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَا ٣٨٧
- قوله ﷺ: وَاللَّهِ إِنْ أَمْرُو يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَغْرُقُ ٣٨٨
- قوله ﷺ: يَعْظَمُ عَجْزُهُ ضَعِيفٌ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ ٣٨٩
- قوله ﷺ: أَبْهَى النَّاسِ إِنْ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ ٣٩٠

- قوله ﷺ: فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ ٣٩٠
- قوله ﷺ: وَتَوْفِيرُ فَيْئَتِكُمْ عَلَيْكُمْ ٣٩٠
- قوله ﷺ: وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا ٣٩٠
- قوله ﷺ: وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ ٣٩٠
- قوله ﷺ: وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ ٣٩١
- قوله ﷺ: وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ٣٩١
- قوله ﷺ: وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمْرُكُمْ ٣٩١
- ومن خطبة له ﷺ (٣٥) ٣٩٣**
- قال ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ إِلَى الْأَرْضِ الضَّحَى الغَدِ .. ٣٩٣
- اللُّغَةُ ٣٩٣
- المعنى ٣٩٤
- الشرح ٣٩٤
- قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ ٣٩٤
- قوله ﷺ: وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ ٣٩٦
- قوله ﷺ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ ٤٣١
- قوله ﷺ: وَقَدْ كُنْتُ أَمْرُتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي ٤٣٢
- قوله ﷺ: لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرِ أَمْرٍ ٤٣٢
- قوله ﷺ: فَأَيُّتُّمُ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاءِ وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ ٤٣٣
- قوله ﷺ: حَتَّى أَرْثَابَ النَّاصِحِ بِنُصْحِهِ وَضَنْ الزُّنْدِ بِقَدْحِهِ ٤٣٣
- قوله ﷺ: فَكُنْتُ أَنَا وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هُوَازَنْ ٤٣٣
- ومن خطبة له ﷺ (٣٦) ٤٣٩**
- قوله ﷺ: فَأَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ أَنْ تُصْبِحُوا إِلَى أَوْلَا أَرَدْتُ بِكُمْ ضُرًّا ٤٣٩
- اللُّغَةُ ٤٣٩
- المعنى ٤٤٠

- الشرح ٤٤٠
- قوله ﷺ: فَأَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ أَنْ تُصْبِحُوا صَرَعى بِأَثْنَاءِ و..... ٤٥٢
- قوله ﷺ: عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ ٤٥٤
- قوله ﷺ: قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمْ الدَارَ وَاحْتَبَلَكُمْ المِقدَارُ ٤٥٤
- قوله ﷺ: وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الحُكُومَةِ و..... ٤٥٧
- قوله ﷺ: وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَحْفَاءِ الأَهَامِ سُفَهَاءِ الأَحْلَامِ و..... ٤٥٧
- ومن كلامٍ له ﷺ: (٣٧) ٤٦١
- قوله ﷺ: فَفَعَمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَسَلُوا، وَتَطَلَّعْتُ، الِى فِي عُنُقِي لِغَيْرِي. . ٤٦١
- اللغة ٤٦١
- المعنى ٤٦٢
- الشرح ٤٦٢
- قوله ﷺ: فَفَعَمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَسَلُوا ٤٦٢
- قوله ﷺ: وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا ٤٦٥
- قوله ﷺ: وَنَطَقْتُ حِينَ نَعَتَّعُوا ٤٦٥
- قوله ﷺ: وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا ٤٦٨
- قوله ﷺ: وَكُنْتُ أَحْفَضَهُمْ صَوْتًا وَأَعْلَاهُمْ فَوْتًا ٤٧٥
- قوله ﷺ: فَطَرْتُ بِعِنَانِهَا وَاسْتَبَدَّدْتُ بِرِهَانِهَا ٤٧٩
- قوله ﷺ: كَالجَبَلِ لِأَثَرِكُةِ القَوَاصِفِ وَلَا تَزِيلُهُ العَوَاصِفُ ٤٨٠
- قوله ﷺ: لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَعْمَزٌ ٤٨٢
- قوله ﷺ: الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الحَقَّ و..... ٤٨٤
- قوله ﷺ: رَضِينَا عَنِ الحَقِّ قَضَائِهِ وَسَلَّمْنَا لِهَامِرِهِ ٤٩٢
- قوله ﷺ: أَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهِ لِأَنَا أَوَّلُ مَنْ و..... ٥٠١
- قوله ﷺ: فَظَنَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا اطَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ و..... ٥١٢
- ومن خطبةٍ له ﷺ (٣٨) ٥١٥

- قوله ﷺ: إِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبُهَةُ شُبُهَةً لِأَنَّهَا إِلَى الْبَقَاءِ مِنْ أَحَبَّةٍ..... ٥١٥
- اللُّغَةُ..... ٥١٥
- المعنى..... ٥١٥
- الشَّرْحُ..... ٥١٦
- قوله ﷺ: إِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبُهَةُ لِأَنَّهَا تُشْبَهُ الْحَقَّ..... ٥١٦
- قوله ﷺ: فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاءٌ هُمْ الْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمَتْ الْهُدَى... ٥١٦
- قوله ﷺ: وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدُمَائُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى..... ٥٢٠
- قوله ﷺ: فَمَا يَنْجُوا مِنَ الْمَوْتِ مِنْ خَافَهُ، وَلَا يُعْطَى..... ٥٢٢
- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (٣٩)..... ٥٢٥
- قوله ﷺ: مَنِتُّ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ... ٥٢٥
- اللُّغَةُ..... ٥٢٥
- المعنى..... ٥٢٥
- الشَّرْحُ..... ٥٢٦
- قوله ﷺ: مَنِتُّ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ..... ٥٢٦
- قوله ﷺ: لِأَبَائِكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ..... ٥٢٩
- قوله ﷺ: أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حِمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ..... ٥٣٠
- قوله ﷺ: أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَضْرِحاً وَأُنَادِيكُمْ مُتَّعِوثاً فَلَا..... ٥٣٥
- قوله ﷺ: حَتَّى تَكْشَفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَائِدِ..... ٥٣٦
- قوله ﷺ: فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ ثَارٌ وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ..... ٥٣٦
- قوله ﷺ: دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرَةِ إِخْوَانِكُمْ فَجَزَّجَرْتُمْ..... ٥٣٧
- قوله ﷺ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَانِبٌ ضَعِيفٌ..... ٥٣٨
- وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ ﷺ (٤٠)..... ٥٣٩
- قوله ﷺ: لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُمْ «لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ»، إِلَى وَتَدْرِكُهُ مَنِيَّتُهُ مَتْنٌ..... ٥٣٩
- اللُّغَةُ..... ٥٣٩

- المعنى ٥٤٠
- الشرح ٥٤١
- قوله ﷺ: كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا الْبَاطِلُ ٥٤١
- قوله ﷺ: وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ لَا أَمْرَةَ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ ٥٤٦
- قوله ﷺ: يَعْْمَلُ فِي أَمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ وَيَسْتَمْنَعُ فِيهَا الْكَافِرُ ٥٤٩





